الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و٢٠٠
للهيئات والدوائر الحكومية
المراسلات باسم رئيس التحرير

العرب
مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
الرياض: حي الورود - شارع حمد الجاسر
ص.ب ١٣٧ الرمز ١١٤١١
هاتف وناسوخ ٤٦٢١٢١٣
الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ج ١، ٢ س ٣٤ - رجب، شعبان، سنة ١٤١٩هـ - تشرين ٢، كانون ١ (نوفمبر، ديسمبر) سنة ١٩٩٨م

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٢٣)

زُخيخُ: (رُختيخ)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (زُخَيْخ تصغير زخ، وزخَّ يَزُخُّ إذا دفع في قفا رجل، وهو موضع كانت به وقعة لتميم، وهو على مرحلتين من فلج، على جادة الحاج، قال زيد الخيل:

غـدتْ من زُخَيخٍ ثم راحتْ عَشيَّـة ... بحِبْـرانِ إرقـال الفَنِيق المُجفَّـر

قد يطلق اسم زُخَيْخ على موضع في جهة فَلج على طريق الحُجَّاج، وهذا مالا أعرفه. أما بيت زيد الخيل فصواب الاسم فيـه (رُخَيخ) بالراء المهملة لا بالزاي، وقد تُحدثت عن هـذا الموضع فيما تقدم، وأضيف الآن مـا علقت به على كتاب نصر، إذ قال: وأمـا براء وخاءَين منقوطتين، وقيل بدال وحـاء وجيم موضع قرب المُكَيْمن وحِبران والرَّوْحاء. فعلّقت بقولي: رُخَيخ المقرون بحِبران جبلٌ لا يزال معـروفًـا، وقـد تحـدثت عنـه بتـوسع في (قسم شمـال المملكـة) من «المعجم الجغرافي» وأوردت قول زيد الخيل:[1]

غـدت من رُخَيْخ ثمَّ راحت عَشيَّـة ... بحِبـران إرقـال الهَجين المُجَفَّـر

وأوضحت أن حبران جبل يقع شمال جبل الرُّخَيْخ، وأن رُخَيْخ جبل يقع غرب جبل (أُدَبي)، وشرق جبل (رَخَّة) متصل به، وأشرت إلى تصحيف الأسماء، وجبل (الرُّخَيْخ) يقع بقرب (خط الطول: ٥٨َ/ ٤٠ْ وخط العرض: ١٠/ ٢٦ْ) كما حددت جبل حبران، وذكرت أن الاسم يطلق على جبلين أحدهما جبل أسودُ في حرَّة ليْلَى، من أبرز قمَمها، يقع جنوب بلدة (الشَّمْلي) (بقرب خط الطول: ١٥َ/ ٤٠ْ وخط العرض: ٣٠َ/ ٢٦ْ) والجبل الثاني يقع في الشمال الغربي من جبل مُتالع، في منطقة الجبلين (بقرب خط الطول: ٣٨َ/ ٤٠ْ، وخط العرض: ٤٥َ/ ٢٧ْ) أما المُكَيْمن فلم يذكر ياقوت في «المعجم» سوَى مُكَيْمنَ الجمَّاء في عقيق المدينة، واستشهد عليه بقول عديّ بن الرقاع، وما أراه قصدَهُ، والرُّوْحَاءُ عند إطلاق الاسم يقْصدُ بها الموضع المعروف بقرب المدينة في الطريق إلى مكة، فالمواضع الثلاثة التي ذكرها نصرٌ متباعدة. ولم أرَ في «المعجم» اسم (دُحَيْج).

زَمْـع: (رَمَـع)

قال البكري في «معجم ما استعجم»: (زَمْع - بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وبالعين المهملة-: من منازل حمْيَر باليمن، وبعضهم يقول: زَمْعة، بالهاء، وكان رسول الله ﷺ قد قَسَّم اليمن علَى خمسة رجال: خالد بن سعيد على صنعاء، والمهاجر بن أبي أُمَيَّةَ على كنْدَة، وزياد بن لَبيد على حضرموت، ومعاذ بن جبل على الجَنَد، وأبي موسى علَى زَبيد، وزَمَعَةَ وعدن والساحل). وقد أورد البكريّ الاسم صحيحًا في حرف الراء، فقال: (رمَع بكسر أوله وفتح ثانيه وبالعين المهملة غير مُجْرَى، أرض باليمن قبل زَبيد، وهي من المخاليف التي تَعظمُ أعنابها، حتى لا يحملُ الرجل الجلد منها أكثر من عُنْقُود واحد، وتنسجُ في رِمَع البرود الجياد، قال الطائي:

وَسَرْو وشْي كأنَّ شِعْري أحيا   نًا نَسِيبُ العيون من بِدَعهْ
لافي رِئَام ولا قُراه ولا   زَبيده مثلُهُ ولا رِمَعِهْ

وهذه كلها من مخاليف اليمن، تنسج فيها البُرُد الجياد.

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: (رِمَع - بكسر أوله وفتح ثانيه وعين مهملة، مُرتَجلٌ-: موضع باليمن، وقيل هو جبل اليمن، وقال نصر: رمَع قرية أبي موسى ببلاد الأشعريّين من اليمن قرب غسّان وزَبيد، وقال ابن الدُّمَيْنة: يَتلو وادي زَبيد رِمَعُ، وهو وادٍ حارٌّ ضيق، أوله من أشراف جَهران وغربي ذي خَشران، إلى وادي الشجبة، ويهريق فيه من يمينه جنوبي ألهان وآنس، ومن شماله بلد جمع وسربة حتى يرد شجبان فسلك بين جُبْلان العركبة وجبلان ريمة وظهر بذُوال، فسقى مزارعها إلى البحر، وفي أسفل رِمَع موضع الماء الذي كان يسمى غسّان، قال أبو دهبل الجُمَحِيُّ يمدح الأزرق بن عبدالله المخزومي وقد عُزِل عن اليمن:

ماذا رُزِئنا غداة الخَلِّ من رِمَعٍ ... عند التَّفَرُّق من خيمٍ ومن كرمِ
ظلَّ لنا واقفًا يُعْطي فأكثر ما ... قلنا وقال لنا في بُعْدِهِ نعمِ
ثمَّ انتحى غير مَذْمُومٍ وأعيُنُنَا ... لمَّا تولَّى بِدَمعٍ واكف سَجِمِ

وقد تكرر الاسم كثيرًا في «صفة جزيرة العرب» مع مواضع أخرى علَّق عليها القاضي محمد الأكوع بقوله: (أما اليوم ففي رِمَع وغيره الجهل المطبقُ والوباء القتَّال). وقال أخوه القاضي إسماعيل في كتاب «البلدان اليمانية عند ياقوت»: (رِمَعُ وادٍ مشهور بين وادي زَبيد جنوبًا وبين سهَامٍ شمالاً). انتهى، وكل هذه الأودية من أودية تِهامة تنحدر من سراة اليمن حتى تفيض في البحر على مقربة من مدينة زَبيد.

زِئْنَة: (زِنْيَة)

قال ياقوت في «معجم البلدان» (زِئْنَةُ - بكسر أوله وهمز ثانيه، وقد لا يهمز- واشتقاقه من الزِّينة معروف، فأما مَنْ همَزَه فلا أعرفه، إلا أن يقال: كلبٌ زِئْنِيٌّ

وهـــو القصير، والظاهر أنه غير مهموز، قال الأصمعي: قال لي بعض بني عقيل: جميع خَفَاجة يجتمعون ببيشة وزينـة، وهما واديان، أمـا بيشة فتصب من اليمن، وأما زينة فتصب من السرَّاة - سـراة تهامة - وقال ابن الفقيه: طولـه عشرين يومًا في نجْد، وأعلاه فـي السراة، ويسمى عقيق تَمْرة، وقيل: الذي فيـه عقيق تَمْرة هو زبية، بتقديم الباء الموحدة، والله أعلم بالصواب. انتهى.

أشرت فيمـا تقدم إلـى أن مبالغة حـرص ياقـوت - رحمه الله - علـى تحرِّي الاسم الصحيح من كتب نقل عنهـا محرِّفـة ألجاهُ إلى كتابـة الاسم الواحـد بعدَّة صور، ومن ذالك (زبْيَـة) والصواب (رَنْيَة) التـي أورد تعريفها ونقل هـذا الكلام عند ذكـر اسمها الصحيح (رَنْيَة)، فقـال: (رَنْيَة - بفتح أولـه وسكون ثانيـه ثم ياء مثناة من تحت خفيفة يقال: رنا إليه يَرْنُو رُنُوًّا إذا أدام النظر، يقال: ظل رانيًا وأرْناه غيره، فيجوز أن يكون رَنْيَـة من ران كأنه مرَّة واحدة: وهي قريَة مـن حدِّ تبَالَةَ عن أبي الأشعث الكِنْدي، يسكنها بنـو عُقَيل، وهي قرب بيشة وتَثْليثَ ويَبَمْبَم وعَقيقَ تَمْرَة، وكلهـا لبني عُقَيل، ومياهها بُثُـور، والبثور: الأحسـاءُ تجري تحت الحصَى على مقدار ذراعين، وذراع، وربما أثارته الدوابُّ بحوافرها). انتهى.

وما أورده من وصف في المـواضع المصحفة ينطبق على هذا الـوادي الكبير الذي تجتمع فيه عدة روافد، ويحوي كثيرًا من السكان والقرَى، ولا يزال معروفًا - من أشهر المنـاطق في عالية نجـد، والهَجَرِيُّ يـورد الاسم مهموزًا، وينقل عن شيخـه أبي محمد الـرنوي، من سـاكني رَنْئة وقـال: (أهل تربـة ورَنْئَة من سَلُـول وخثعم ونَهْد وجـرْمٍ وهم نُهْيَةٌ في الفصـاحة)، وقـال أيضًا: (أبـو محمد الـرَّنويُّ أفصح منْ رأينا ولقينا بهَجر). وقال في ذكر الحرار: (حِرار العرب أوَّلُهَا حرة بني هلال وهي مُنْبتلةٌ من الحِرَار برنِئَة مـن حجاز النَّجد المتَيامن، بينه وبين أوَّلِ حرَّة

بني سليم تبتدئ من ذات عرْق ورُهاط) كذا، ولم يرد تقدير المسافة بين الحرتين في المخطوطة الهندية منَ «النوادر والتعليقات» - ص ٢٨٠ -.

سِعْرُ: (شِعْر)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (سِعْر - بالكسر والرَّاء -: جبل في شِعر خُفَاف بن نُدْبَة). انتهى.

لعل مصدر ياقوت هذا ما جاء في كتاب نصر من قوله: (سِعْر بكسر السين المهملة: جبلٌ في شعْر خُفَاف).

وخُفَاف معروفَ أنه عُمير بن الحارث السُّلمي، من الشعراء الإسلاميين، ونُسب إلى أمه نُدْبة، وقد جمع شعره الدكتور نوري حمودي القيسي، ولم أرَ فيه اسم (سعْر).

وقد أَورد البكري في «معجم ما استعجم» في رسم (شِعْر) نقلاً عن أبي عبيدة في شعر خُفاف بن نُدبة:

تَطاول ليلَهُ ببِراَق شعْر لذكْرهم وأيٌّ أوان ذكْرَ

ولا أستبعد أن يكون اسمَ (شعرٍ) بالشِّين المعجمة المَكسورة تصحَّف على نصر ومثله ياقوت، وتقدم الكلام عن شعر مبسوطًا، ولكنه ليس في بلاد بني سليم، بل في بلاد بني كلاب من بني عامر، ولكن الاسم الواحد قد يطلق على عدّة مُسَمّيَات، فلعل أحدهما في بلاد بني سليم، إلا أنه ورد في شعر خُفاف - بالشَّين المعجَمة لا بالسين المهملة.

(للحديث بقية)

حمد الجاسر

«أنساب الأشراف» للبلاذري

نظرًا لكثرة موضوعات هذا الجزء فإن مجلة «العرب» سوف توالي نشر ملاحظاتها حول تحقيق الأستاذ محمود فردوس العظم لهذا الكتاب في الأجزاء التالية إن شاء الله.

بَريَّة بن أبي اليُسرِ الرِّيَاضي
وكتابه «تلقيح العقول»

لم يذكر مصدرٌ من المصادر المطبوعة صاحبنا بريَّة هذا، ولم يترجم له أحدٌ، ولم يقف عنده أو عند كتابه مرجعٌ من المراجع التي أُلّفت في الأدب العربي، فكلُّ ما نعرفه عنه أنه ابن إبراهيم بن محمد الشيباني، المعروف بأبي اليُسر الرِّياضي.

وحياةُ أبي اليُسر هذا نفسها - كما ترسمها المصادر - أقرب إلى الغموض منها إلى شيء آخر، فكلٌّ ما لدينا منها ما ذكره ابن الأبار،[1] فنقله عنه المقّريٌّ نقلاً يكادُ يكونَ بألفاظه[2].

وهذا الذي ذكره ابن الأبار هو أقرب إلى الاضطراب منه إلى شيء آخر، ومن آيات هذا الاضطراب أن يقال عنه: إنه (لقي من الشعراء أبا تمام والبحتري، ودعبلا وابن الجهم) ويقال بعد ثلاثة عشر سطراً معدودة عداً: إنه (توفي بالقيروان سنة ثمان وتسعين ومئتين.. وهو ابن خمس وسبعين سنة) وكأنَّ القائل يذهلُ عن أن يحسب عمر أبي اليسر يوم التقى أبا تمّام، فإذا كان قد توفي سنة ٢٩٨هـ وله من العمر خمس وسبعون سنة، فإنَّ ذالك يعني أنه ولد سنة ٢٢٣هـ وأنه كان يبلغ من العمر الثامنة يوم توفي أبو تمام، فكيف تهيأ له أن يلتقيه وأن يروي ديوانه بحيث يحمل ابن الأبار هذه الرواية عنه فيقول: إنه يروي «ديوان أبي تمام» (عن ابن زرقون، عن الخولاني، عن أبي القاسم حاتم بن محمد، عن أبي غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي، عن أبي سعيد عثمان بن سعيد الصيقل، عن أبي اليسر، عن أبي تمام).

أسوق كلَّ هذا أريد أن أقول: إنه لا يكاد يصحُّ عندي مما ورد في ترجمة أبيه إلاّ أنه من أهل بغداد، هاجر منها في سنة لا نعرفها، فاستقرت به الحال في إفريقية كاتبًا لأميرها إبراهيم بن أحمد بن غالب، ثم لابنه أبي العباس عبدالله، ثم صاحب بيت الحكمة لزيادة الله بن عبدالله آخر ملوك الأغالبة.

ويغلبُ على الظنّ أنا أبا اليسر كان شيعي المذهب، وأنه نجح في أن يخفي تشيُّعَه عن مخدوميه الأغالبة، فقد رأيناه يرافق الـداعي الفاطمي عند توجُّهه إلى سجلماسة، ثم يرافقـه وهو يتوجَّه إلى تاهـرت، يقضي على دولة الرُّسْتُميِّين فيهـا: دولة الخوارج الإباضيين، وكنا رأيناه أيضًا يكتب لعبيد الله الشيعي في رقّادة أيضًا[٣].

ولابدّ أن يكون ابنه بريّة قد ورِثَ عنه هذا التشيُّع لآل بيت النبوة.

لا نعرف متى ولد بـريّة، ولكننا نستطيع أن نُخمِّنَ أنه بلغ العشـرين من عمره، قبل وفاة أبيه، فقد رأيناه يروي عنه في كتابـه هذا شيئًا من شعره، أثناء مرضه، فإذا صحّ هذا - ولا شيء يمنع من صحَّته - كان معنى ذالك أنـه ولد في العقد الثامن من القـرن الثالـث، ولعل مـولـده كان في سنـة ٢٧٨هــ - على وجه التقـريب لا التحديد - أما مكـان هذا الميلاد، فيغلب على الظنّ أنه كان بـالقيروان، فقد رأينا أن أباه كـان من أهلها، فإن لم يكن ابنـه بريّة قـد ولد بها فـلاشك أنه قـد نشأ بها، وأنها قد شهدت طفولته.

ولـم يكن أبو اليسـر - كما رأينـا - من عامّـة الناس، وإنما كـان (أديبًا شـاعرًا مرسِّلاً حسن التأليف) له من الكتب: «لقيط المرجان» قيل عنه: إنه أكبر من «عيون الأخبار» لابن قتيبة، وكتاب «سراج الهدى» في القرآن ومشكله وإعرابه ومعانيه، و «المرصعة» و «المدبجة» و «قطب الأدب» وسو ى ذالك من الكتب حتى قيل: (إنه هـو الذي أدخل [إلى] إفـريقية رسـائل المحدثين، وأشعارهـم، وطرائقهـم) وإنه (كان عالمًا)[٤].

وأبٌ مثل هذا لابد أن يكون عُنيَ بتأديب ابنه، وبتلقينه مبادئ العلوم، مما يبيح لنا أن نتخيل أن صاحبنا أخذ أول ما أخذ عن أبيه.

على أننا لا نعرف - بعد هـذا - أحدًا من أساتذته في القيروان، ولـم يدلنا هو في كتابه على أحد منهم.

ويبدو أنه شد الرِحال - ولعل ذالك كان بعد وفاة أبيه - إلى العراق موطن أبيه

ومـوطن أهل العلم يطلب فيــه العلم، وكـان ذالك قبل سنـة ٣٠٠هــ[٥]، وإنما نصصتُ على هذه السنة، لأنني رأيته يروي في مـوضعين من كتابه عن أبي أحمد المنجِّم، المتوفى - كما هو معروف - في تلك السنة.

وقد كان طـريقه إليه يمر بمصـر، وقد توقف فيها - على مـا يبدو - ولقي فيها جملة من أدبـائها، فـروى عنهم في كتابه هـذا، من مثل: سيبويـه المصري، وأبي سهل الحـاسب، فقـد قـال: (حدثنـا أبـو سهل الحـاسب، ونحن معـه في بعض حوانيت الفسطـاط، فقال..)[٦]، ولكن قلـة شيوخـه فيها لا تدلنـا على أنـه أطال الإقامة فيها، فلم تكن مصر يومذاك من الحواضر التي تقصد لطلب العلم.

وتوجه صاحبنا إلى العراق، فأقـام في بغداد وفي البصرة فأخذ فيهما عن: أبي أحمد المنجِّم المتوفى سنة ٣٠٠هـ، وأبي محمد الأبحري- ولم أعرف من هو- وهـو يروي عن أبي العينـاء، وأبي الطيب الكـاتب - ولم أعـرف من هو أيضًـا - وابن الوزيـر، وكان من رواة شعـر ابن الرومي وقد وصفـه أبو العينـاء بأنه (كبش الـزنادقـة)[٧]. وأبي الحسن الأهـوازي - ولم أعـرفه - وأبي بكـر بن الأنبـاري المتوفى ٣٢٨، وأبـي سهل الأهوازي - ولم أعـرفه -، وأبي أحمد بـن إسماعيل العلـوي، وهـو من رواة شعـر علي بن محمـد الحمَّاني العلـوي المتـوفى سنـة ٣٠١هـ على وجه التقـريب - ولا أعرف عنه أكثر من ذالـك، وأحمد بن سليمان السري، وهو من رواة شعر الحماني أيضًـا - ولا أعرف عنه أكثر من ذالك، وأبي الباسـاني وهو من رواة شعر الحماني أيضًا، وشعر أحمد بن أبي طاهـر المتوفى سنة ٢٨٠ - ولا أعرف عنه أكثر من ذالك - والناقـد الشاعر - ولـم أعرفه - وأبي عبدالله الكـرماني الـوراق المتوفى سنة ٣٢٩هــ تلميذ ثعلب، وقـد التقى به في البصرة، وأبي إبراهيم الأبجدي - ولم أعرفه - .

وكمـا أخذ من أفـواه الرواة والعلمـاء، عكف على ما وقع بيـده من مؤلفـات العلماء يفيد مما بها، فمن المؤلفات التي اطلع عليها وهو في العراق: «أخبار بني المهلب» و«أخبار أبي العتـاهية»، و «البيان والتبييـن» للجاحظ، وبعض كتب أبي

بكر الصولي، ولم يسمّه، و «كليلة ودمنة» وقد نقل منه نصوصاً لم أجد بعضها في مطبوعته اليوم، وكتاب «الآداب» لابن المعتز، وقد نقل منه نصوصاً لم أعثر على بعضها في مطبوعته.

ويمكن أن تدلنا هذه الكتب التي ذكرها على ميله إلى الأدب الرطب الذي لا تكلفه قراءته مشقّةً ولا عنتّا على أن ذكره إيّاها لا يعني أنه اقتصر عليها، وإن كنا لا نعلم على وجه اليقين ما أضافه إليها في قراءاته.

ويبدو أن إقامته في بغداد قد امتدّت إلى أيام الخليفة الراضي الذي تولى الخلافة من سنة ٣٢٢هـ حتى سنة ٣٢٩، فقد روى حديث أبي عبدالله الكرماني عن أبي بكر الصولي أنه قال: (كنا بين يدي الراضي - وأنا أذكر فضائل المكتفي - فلم يعجبْهُ ذالك)..

وأكاد أظن أنه عاد إلى موطنه قبل سنة ٣٢٩، يدفعني إلى هذا الظن أنه توقف في رواية ما تمثل به خلفاء بني العباس عند الخليفة المكتفي الذي كانت سنة ٢٩٥هـ آخر سنة من سنوات خلافته، ولعله أهمل ذكر الخليفتين: المقتدر والقاهر لهوان شأنهما عنده، وعند الناس، فقد كانت شغب أم المقتدر هي الخليفة الحقيقي في عهد ابنها المقتدر، وكان القاهر على ذوق الخمر أقدر منه على ذوق مرارة الخلافة وحلاوتها، فإذا استقام تصورنا سبب إهماله أخبار ذينك الخليفتين قلنا: إنه غادر بغداد، والراضي ما يزال خليفة، لم تجرؤ الألسن بعد على لوْكِ سيرته، والخاص من أخباره، مما يتيح له تدوين شيء منهما، كما فعل في أخبارَ سواه من آبائه.

وعاد إلى موطنه - كما أرجح - أثناء خلافة القائم الفاطمي (٣٢٢ - ٣٣٤هـ)، ولكننا لا نعرف ما إذا كان اتصل به أم لا؟ على أننا نعرف أنه اتصل بابنه الخليفة المنصور (٣٣٤ - ٣٤١هـ) وأهداه كتابه «الأمثال السائرة والأبيات النادرة» فقد تحدث هو عن هذا الإهداء في مقدمة كتابه الذي أتحدث عنه، ولا

يبعد أن يكون المنصور قد نظر إليه بعين الرعاية، فمن المعقول أن يكون قد حفظ له حُرمة أبيه الذي رافق الداعي إلى سجلماسة - كما رأينا- ثم رافقه وهو يقضي على دولة الرستميين إلى تاهرت، والذي استكتبه عبيدالله الشيعي في رقّادة.

وإذ توفي المنصور، وتولى ابنه المعز الخلافة سنة ٣٤١هـ اتصل به، فألّف له كتابه هذا «تلقيح العقول» ويبدو أنه أهداه الكتاب، والمعز في صبرة القيروان لم يغادر بعد إلى مصر في سنة ٣٥٨هـ ولم يبتن القاهرة المعزية، يدلنا على ذالك حديثه عن المعز في مقدمة الكتاب، ووصفه إياه بالحداثة في قوله عنه: (الواسع الحلم الذي لم تستهزه فيه الحداثة..) إذ كان عمر المعز[8] يوم ولي الخلافة - في إفريقية - لا يتجاوز الرابعة والعشرين، على حين قد تجاوز الأربعين يوم نقل ملكه إلى مصر، مما لا يصح معه أن يوصف بالحداثة.

والكتاب حصيلة ثقافته العراقية، فقد قال عنه: (فلما سافر عبد أمير المؤمنين إلى العراق، ورأى أدباءه، وكتّابه لا يتكلمون في معنًى من المعاني حتى يُقدِّموا قبل كلامهم مثلاً مشهورًا، وبيتًا مذكورًا يُنْبِئُ عما يريد [ون] الكلام فيه، واستحسن ذالك منهم جعل كلَّما سمع مثلاً سائرًا، وبيتًا نادرًا، كتبه ووعاه، ليكون له ذخيرة إلى تأليف كتاب جامع فيه، وكانت نفسه تنازعه إلى ذالك في الغربة، فحال بينه وبين ذالك تقسُّمُ قلبه في البلدان، واشتغاله بالتروُّحِ إلى الأوطان).

(فلما استقر بعبد أمير المؤمنين القرار، وقعد عن الأسفار، واستوطنت به الدار استنهض نفسه إلى تأليفه فوجد فيها قوَّةً تنهضه إلى ذالك)[9].

وأدركت صاحبنا الشيخوخة، والمعز في المغرب، فقد رأيناه يشكو من آثارها في كتابه بقوله: (كنت أسمع بكاء من بكى على الشباب، ونوح من ناحَ عليه، فأتوهَّمُ أن ذاك للخلاعة والمُجانة، حتى ابتليت بفقده فوقفت على أخبار القوم..)[10].

ويبدو أنه توفي في هذه المرحلة من عمره في سنة لا نعرفها ولا تعرفها مصادر الأدب[11].

نسبة الكتاب: قلتُ: إنه لم يذكر أحدٌ صاحبنا بريَّة، فأحرى أن نتصور أن لم يذكر أحدٌ كتابه أيضًا، ولكن هذا التصور ليس في محله تمامًا، فقد انفرد ابن ظافر الأزديّ بنقول عن كتابنا هذا في كتابه «بدائع البدائه» نصٌ فيها أنه ينقل - كما قلت - عن هذا الكتاب[١٢] على أن هذا النقل أثار لنا مشكلتين أولهما: أن اسم بَرِيَّة قد ورد فيه مصحفا على (يزيد) ولا أعرف إن كان التصحيف قد لحق اسم صاحبنا من قلم المؤلِّف ابن ظافر الأزدي، أو من قلم المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، رغم أنني أميل إلى الاحتمال الثاني، لأن معنى وروده على (يزيد) عند ابن ظافر الأزدي أن نعيد النظر في صحة ما ورد على وجه الورقة الأولى من مخطوطات الكتاب على أنه اسمه، إذ ورد فيها اسمه (بريَّة)، ولعل تقارب الرسمين هو الذي جعله يتصحف على (يزيد) لأن من المستبعد جدًّا أن يُسمي رجل شيعيٌّ مثل أبي اليسر ولدًا من أولاده باسم صار علمًا على قاتل الحسين بن علي سبط رسول الله وريحانته عليه صلوات الله وسلامه، أعني يزيد بن معاوية، لا يكاد يتعداه إلى غيره، على أنه من المهم أن أقول إن حاجي خليفة[١٣] وقد ذكر الكتاب، لم يذكر اسم مؤلِّفه.

أما المشكلة الثانية فهي ذكره الكتاب على أنه في الأمثال، وكذالك فعل حاجي خليفة، ويبدو لي أن مقدمة المؤلِّف هي التي أوحت إليهما بذالك، أقول هذا لأنني لم أر شيئًا من الأمثال التي نعرفها على أنها من أمثال العراقيين[١٤] في هذا الكتاب، وإنما الذي ورد فيه هو أقرب إلى الحكمة والموعظة، والحث على مكارم الأخلاق، منه إلى الأمثال.

أما حاجي خليفة فإن اهتمامه بتقسيم تندرج تحته أسماء الكتب هو الذي جعله - زيادة على السبب الذي ذكرناه - يُدرجه تحت كتب الأمثال، فليس هناك باب أليق به من باب كتب الأمثال.

وذكر الكتاب له من المعاصرين المستشرقان الألمانيان (كارل بروكلمان)[١٥]

و (رودلف زلهايم)[١٦] ولم يطلع زلهايم على الكتاب، فأثبت عنوانه «تلقيح العقول في الأمثال والحكم» ولم ترد عبارة (في الأمثال والحكم) في عنوان الكتاب وإنما نقلها عن آخر.

وإذن فكتاب «تلقيح العقول» هو لبريَّة بن أبي اليسر الرياضي غير مدفوع.

أما أهمية الكتاب: فأريد أن أتحدث عنها فأقول: يغلب على الظن أن هذا الكتاب هو أول كتاب في الأدب يصل إلينا من الحقبة الفاطمية المغربية، فلم أعثر على من ذكر كتابًا في الأدب أسبق منه فقال: إنه وصل إلينا، ومن هنا فالكتاب يمكن أن يكون أنموذجًا مبكرًا للتأليف الأدبي في المغرب العربي.

وليس من قبيل المصادفة أن يكون في الأدب الأندلسي كتاب مثل «العقد الفريد» يكاد ينعقد برمَّته على الأدب في المشرق العربي، وأن يكون في الأدب المغربي هذا الكتاب، فقد كانَ الأدب المشرقي قبلةَ الأدبين في مرحلة من مراحلهما.

وإذا كان «العقد الفريد» قد تناول الأدب العربي في المشرق حيثما كان من أرض الأدب الواسعة فإن هذا الكتاب قد وقف عند العراق لم يتعدَّهُ إلى سواه إلا قليلاً.

وإذا كان ابن عبد ربه قد احتفل بإيراد شعره في ثنايا «العقد الفريد» فإن برية قد احتفل أيضًا بإيراد كثير من شعره في كتابه، وإيراد قليلٍ من شعر أبيه، مما جعله متفرِّدًا برواية شعر أبي اليُسر، إذ لم يورد مصدر من المَصادر التي ترجمت لأبي اليسر - مما نعرف - شيئًا من شعره رغم إجماعها على أنه كان شاعرًا.

وزاد الكتاب على ذالك فتفرَّد برواية شيء يسير من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ونسب إليه ما تداولته مصادر الأدب على أنه لسواه، وروى أشياء يسيرة لشعراء مغاربة لا نعرف عنهم شيئًا مثل ابن أخت أبي العتاهية ورحمون الفارسي.

وروى من الأدب في العراق ومصر مالم أعثر عليه في مصدر سواه، فقد روى من شعر الجاحظ - وأنا أمثِّل ولا استقصي - ماليس في مصدر من المصادر التي نعرف، وكذلك فعل وهو يروي من شعر أحمد بن أبي طاهر، ومحمد بن حازم

الباهلي، وروى للناقد الشاعر شيئًا من شعره، ولم نكن نعرف الناقد الشاعر فضلاً عن أن نعرف شعره، وقدَّم لنا أديبين لم نجد لهما ذكرًا في مصادر الأدب هما: أبو الطيب الكاتب، وأبو سهل الحاسب، وروى عن آخرين مجهولين، سوى هاؤلاء، مما هو واضح في حواشي التحقيق.

ولعل هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي تحدث لنا عن جوانب إنسانية تدل على خبرة عميقة بالحياة لم نكن نعرفها لدى نفر من علمائنا الأوائل، مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن الأعرابي وابن الأنباري وأبي عمرو بن العلاء، أما ابن الأنباري فقد بدأ في هذا الكتاب أقرب إلى الحكيم منه إلى النحوي اللغوي الذي نعرف.

على أن أهم ما يلفت النظر - من وجهة نظري - في هذا الكتاب هو صورة الخلفاء الفاطميين في الحقبة المغربية من خلافتهم، فقد دأب الدارسون على دمج مرحلتي خلافاتهم المغربية والمصرية، والحديث عنهم - في المرحلتين معًا - على أنهم إنه لم يكونوا آلهة في عيون أنفسهم وعيون أتباعهم فأنصاف آلهة، حتى يُخيَّلُ لمن يصغي إلى أحكام هاؤلاء الدارسين أن أولئك الخلفاء قد مرقوا عن الإسلام مروق السهم من قوسه وحسبك من هذا أن تجد من يزعم: أن (الإمام عند الإسماعيلية هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار)[١٧]، فراح يُعلِّلُ سخف مطلع قصيدة ابن هانئ الأندلسي يمدح المعز الفاطمي القائل:

مـا شئتَ لا مـا شـاءت الأقـدار فـاحكم فـأنت الـواحـد القهـارُ

بأنه من عقائد الفاطميين في أنفسهم، ولا أعرف لماذا لم يعلل الباحثون قياسًا على استنتاجهم عقائد الفاطميين من شعر ابن هانئ قول يزيد بن مفرِّغ الحميري في خالد بن... أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبدشمس، وسعيد بن عثمان بن عفان:

والبهـاليـل خـالـد وسعيـدٌ شمس دجن، ووضحٌ كـالهـلال

في الأرومات والذُّرا من بني العيـ ـص، قـرومٌ إذا تعـدُّ المعـالي

كنت منهم مـا حـرمـوا فحـرامٌ لم يـرامـوا وحِلُّهم من حـلالي[١٨]

أقول: لا أعـرف لماذا لم يعلّلوا قـول ابن مفرغ بأن التحريم والتحليل في أبيـاته من عقـائد ولاة الأمويين في أنفسهم، بأنهـم أنبياء مـرسلون، يحللـون ويحرّمـون؟ ولكن ذالك ليس بصحيح في الحالين، لأن تلك أساليب الشعراء وذالك هو الشعر.

ويهمني الآن أن أقول: إننا لا نجد ظلاً لاعتقـاد الفاطميين المزعوم في أنفسهم بأنهم آلهة أو انصاف آلهة في حقبة خلافتهم المغربيـة، كما يدلنا عليه هذا الكتاب، فقد رأينا المعز الفاطمي في مقدمةالكتاب لا يزيد عن كونه أمير المؤمنين يُدعى له كما يُدعى لأي خليفـة آخر سواء أكان عادلاً أم جائرًا، ويسبغ عليـه من الصفات ما يُسبغ على نظرائه سواء أكانوا من أهل السنـة أم من الخوارج، فهو (معز الدين أمير المؤمنين، الإمام من الأئمة المهديين، والخلفاء الـراشدين، مولانا أطال الله بقاءه، فجعله أحْمَدَ رحمة للعالمين، وبركة في الغابرين، يهدي به من الظلمات، ويستنقذ به من الهلكات..)[١٩] ولم يُدعَ لأبيـه المنصور بأكثر من (قدس الله روحـه، ونوَّر ضريحه)[٢٠] كما يُدعى لأي إمام من أئمة الجمعة، فأين هي الألوهية؟

هذه واحـدة، فأمّا الثـانية فهي أنني لـم أر في طول الكتـاب وعرضه شيئًـا من التجريح بصحابة رسول الله - عليه صلوات الله وسلامه - سواء ممن اختلفوا مع الإمـام علي بن أبي طالب - عليـه السلام - أم ممن والـوه ولم أر أيضًا شيئًـا من التقديس يُضْفي على شخصية الإمام أو على أحـد أبنائه من أئمة الشيعة، فلم يزد لدى ذكرهم على الترضي عنهم.

ولا أريـد أن أخـوض في عقـائد الفـاطميين بمقـدار مـا أريـد أن أدعـو المتخصصين أن ينبذوا عقائدهـم المذهبية الضيقة التي ورثوهـا عن الأميّات من العجائز وراء ظهـورهم، وأن ينظروا إلى الحقائق العلميـة كما وقعت[٢١] لا كما يتخيلها الهاجس المـذهبي، فيدرسوا أسباب تحـول عقائدهم - وهم في مصر - عما كانت عليه وهم في المغرب.

وبمقدار ما يـدعونا هذا الكتاب إلى إعـادة النظر في عقائد الفاطميين يـدعونا

إلى إعادة النظر في موقفهم من الخلافة العباسية، فقد بدت هذه العلاقة طبيعية إلى الحدٍّ الذي كان فيه (الباب الخامس والخمسون بعد المئة فيما تمثل به الخلفاء من بني العباس)، فلم يذكر فيه ما يمكن أن ينتقص من أقدارهم، أو يسيء إلى ما انطبع في الأذهان من احترامهم، أو ما يراد من ذكره أن يزحزحهم عن إمرة المؤمنين، فهل يكون كلُّ ذالك قد جاء مصادفةً ليست بذات معنى؟!

وعلى أية حال، تلك مسألة لم أشَأ أن أسكت عنها، لأنني أريد أن ينظر إلى تراثنا على أنه إرث أمَّة لا إرث طائفة واحدة، تنظر إليه على هواها، وكأنها وحدها تمتلك الحقيقة التاريخية والدينية.

ومن أهمية الكتاب ما يثيره من مشكلات اصطلاحية، فمن هذه المشكلات استعمال المؤلف مصطلح (التمثُّل) فالذي نعرفه أن التمثل يعني الاستشهاد بقول آخر، سواء أكان هذا القول مثلاً أم بيت شعر أو ما هو بسبيلهما، وبهذا المعنى كان الثعالبي قد ألَّف كتابه «التمثل والمحاضرة»[٢٢]، ولكننا نجد المؤلِّف يستعمل هذا المصطلح للقول يتمثل به قائله، وللبيت يتمثل به ناظمه تارة، ويستعمله كما استعمله الثعالبي وسواه تارةً أخرى، أي أن يتمثل الرجل بقول سواه، ويمكنني أن أسوق على ذالك مثلاً بقوله وهو يتحدث عن الخليفة العباسي المهدي: (ومما تمثل به [وقد] كتب إلى الخيزران وهي بمكة:

نحنُ في أفضل السرور، ولكن ليس إلا بكم يتمُّ السرورُ
عيبُ ما نحن فيه يا أهل ودِّي أنكم غيَّبٌ ونحن حضورُ
فأجدوا المسير، بل إن قدرتمْ بحياتي بأن تطيروا فطيروا

فأجابته).[٢٣] والأبيات - كما يدل سياقها على ذالك - للخليفة المهدي نفسه، هذا إلى أن القرطبي قد نسبها إليه[٢٤] وأسوق مثلاً آخر بقوله - وهو يتحدث عن الخليفة العباسي المنصور - (ومما تمثل به في موت عمرو بن عُبيد:

صلى الإلهُ عليك من متوسِّدِ قبر[اً] مررتُ به على مرّان)

فالأبيات قد أوردها ابن خلكان على أنها من شعر المنصور نفسه[٢٥].

هذان مثلان سقْتُهما على ما يتمثل بـه المرءُ من شعره هو، وأسـوق الآن مثلاً على ما يتمثل به من شعر غيره بقولـه - وهو يتحدث عن المنصور نفسه - (ومما تمثل به، وهو على المنبر، لما بلغه خروج محمد بن عبدالله:

مـالي أكفكف عن سعـد وتشتمني ... ولـو شتمت بني سعـد لقـد سكنـوا

جهـلاً علينـا وجبنًـا عن عَـدوّهم؟! ... لبئست الخلّتان الجهلُ والجبُنُ)[٢٦]

فالبيتان - كما هو معروف - لقعنب بن ضمرة الغطفاني المعروف بابن أم صاحب[٢٧].

ومشكلـة أخرى يثيرهـا الكتاب هي معنى الإنشـاد، فـالمعروف أن المنشـد ينشد- في العادة- شعـر غيره، إلا إذا نصَّ على أنه أنشد لنفسه، ولكننا نجـد بريَّة لا يتقيـد - دائمًـا - بهـذا المعنى في الإنشـاد، فقـد تـراه يجمع المعنين معًـا في صفحة واحدة كمثل قوله: (... وأنشدني أبو أحمد المنجِّم في هذا المعنى:

ويعــرضُ لي حـقٌ ولا استطيعــهُ ... ولا يقبل العـافـون أهـلاً ومـرحبـا

وأنشدني [ابن] الوزير ببغداد، قال: أنشدني ابن الرومي لنفسه:

أبـا بكــر لك المجــد المُعلّى ... وخـدٌ عـدوِّك التربُ الـذليلُ)[٢٨]

فلا تعرف إن كان ما أنشده أبـو أحمد المنجم هو له أم رواه؟ أقول هذا، لأنني رأيته يقول: (وأنشدني أبو سهل الحاسب:

تقـاضـاك دهــرك مـا أسلفـا ... فكــدَّر عيشـكَ بعــد الصَّفـا

فــلا تنكــرنَّ؛ فـإنَّ الـزمــان ... جــديـرٌ بتشتيـت مـا ألَّفـا)[٢٩]

فوجدت أن البيتين من شعر محمد بن أبي محمد اليزيدي[٣٠].

ولا أعرف الآن إن كـان ذالك يجب أن يدعونـا إلى النظر في دقـة لغة بريَّـة، أم أنه يجب أن يدعونا أن نؤرخ للفظة (أنشد)، تلك مسألة أردت أن أثيرها لا أن أبحث فيها.

وأجيء إلى كتاب بريـة الموسوم بـ «تلقيح العقول» فأقول: إن لـدينا منه أربع نسخ، هي نسخة (مكتبـة ليدن) ونسختا (الظاهـرية) ونسخة (عاشـر أفندي)، في تركية، فأما نسختا (الظاهرية) فهما نـاقصتان نقصًا فادحًا وأما (راغب باشا) فهي

قد توحي بالكمال، ولكنها ليست كذالك، وحسبك من هذا أن اعتمد ناسخها على خطه الجميل، فأغفل لدى النسخ كلّ ما استعصت عليه قراءته، حتى لقد وجدته قد أثبت أربعة عشر بيتًا من أرجوزة تعدادها أربعون بيتًا، فإذا سألتني عن سبب فعله ذالك قلت: يغلب على ظني أنه فعله لسببين: ضعف الذّمّة، وصعوبة قراءة الأصل الذي نسخ عليه.

أما نسخة ليدن وهي متأخرة شأنها في ذالك شأن مثيلاتها، إذ فرغ ناسخها منها في (يوم الأربعاء المبارك من شهر ربيع الثاني من شهور سنة ثلاثة [كذا] وثلاثين بعد الألف) فهي أتم النسخ المعروفة من الكتاب، وأكملها ولكن مشكلتها جهل ناسخها محمد بن محمد الجزري المعروف بابن ممّى، فهو لا يفهم ما ينسخ، ويبدو أنه كان (فتاح فأل) اتخذ من الكتاب له عونًا على مهنته، فكتب على أعالي أوراقها جملاً من مثل: (يافاتح الفال أبشر خيرًا) ومن مثل: (هذا الأمر فيه رضاء الله فلا تترك فأنت رشيد) وهكذا. ودع عنك مهنته واسأله لتدرك مدى جهله عن شهر لم يكن فيه أربعاء؟!!

وأريد أن أدع ما شُوِّه به الكتاب فأعرض إلى منهجه، لأنني تحدثت عن طبيعته، فأقول: إنه يتألّف من مئة وسبعة وخمسين بابًا، كان الباب الأول منها (باب المجاوبة بالشعر والتمثيل [كذا] به) وينتهي الباب السابع والخمسون بعد المئة بعنوان (من الحكم المنثورة) وبين هذين البابين أبواب هي أقرب ما تكون إلى العناوين التي تتداولها كتب المحاسن والأضداد من مثل قوله في الباب الثالث: (فيما يتمثل به في طلاب الأدب) ومن مثل قوله في الباب الرابع: (فيما يُتمثَّل به فيمن استغنى بأدبه عن حسبه ونسبه) وهكذا على أن نفهم أن هذا الكتاب هو مرحلة من مراحل التأليف في هذا الموضوع، وهو في منهجه هذا يكاد يكون امتدادًا غير مُتقَن لمنهج ابن قتيبة في «عيون الأخبار»، فإذ نجد ابن قتيبة يُسلسل ما يريد الحديث عنه تسلسلاً أقرب ما يكون إلى وضوح الرؤية، والقصد، نجد أن صاحبنا كأنه يلهث وراء التفريع، فهو يتبع منهج ابن قتيبة طيلة الأبواب الأولى من كتابه إذ يظل يتابع فضل الأدب - على سبيل المثال - فيعقد الباب الخامس لما (يُتمثل به فيمن مُدِح بنفسه لا بسلفه) والسادس لما (يُتمثل به

فيمن شرَّف حسبه أدبه) وهكذا، ولكننا نجده يعرضُ عن هذا المنهج إلى منهج يُذكِّرنا بما نراه في كتب المحاسن والأضداد من مثل قوله في الباب السابع والثمانين: (ما يُتمثل به في مدح العاقل وذكر فضله) وقوله في الباب الذي يليه: (ما يتمثل به في ذمِّ الحمق).

وإذن استطيع القول أن منهجه في الكتاب لم يكن على وتيرة واحدة، وأستطيع القول أيضًا ان حجم الأبواب التي عقدها لم يكن على وتيِّرة واحدة، فإذ نجد أن الباب الأول قد استغرق خمس ورقات من نسخة (ليدن) وأن الباب الخامس والخمسين بعد المئة قد استغرق ما يقرب من عشر ورقات، نجد أن بعض الأبواب لا يزيد على سطرين اثنين كما في الباب الثالث والخمسين بعد المئة والباب الثاني والخمسين بعد المئة، والباب الثالث والأربعين بعد المئة، وغيرها مما لا فائدة من إحصائه.

وطريقته في أغلب الأبواب أن يبدأ بحكمة مأثورة أو غير مأثورة، ثم يثني عليها بشعر، ونادرًا ما ينسب الحكمة إلى صاحبها، أو الشعر إلى قائله، ويمكن أن أضرب على ذالك مثلاً بباب لم أختره وإنما اتفق لي اتفاقًا هو (الباب الثالث والعشرون بعد المئة فيما يتمثَّل به فيمن يتشاغل بما لا يعنيه) فقد بدأه بقوله: (قالت الحكماء: من تشاغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه)[٣١] ثم ثنى على ذالك بقوله: (وقال الأول:

ضيَّعتُ مالا بدَّ لي ... منه بما لي منه بُدُّ

وقال الآخر:

إذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما أنت محتاجٌ إليه)

ولا أريد أن أطيل فيَّ نقد الكتاب، وإنما أردت أن أُعرِّف به وبمؤلفه على أنني أرجو - وقد فرغت من تحقيقه - أن أوفق إلى نشره والله ولي التوفيق.

بولنده: محمد حسين الأعرجي

الحواشي:

(١) ينظر «التكملة» ١٧٣. (٢) ينظر «نفح الطيب» ٣/ ١٣٤ - ١٣٥.

(٣) ينظر «البيان المغرب» ١/ ٢٠٩.

(٤) نفساهما، ولا أكادُ أشكُّ في صحة ما ذهب إليه الأستاذ هلال ناجي في مجلة «المورد»: ٤٥، مج ١٢، ع ٢ من

أنه هو كاتب «الرسالة العذراء»، فقد ورد على نسخها المخطوطة أنها مما كتب به إبراهيم بن محمد الشيباني لابن المدبِّر، وكذلك قال ابنُ عبد ربِّه في نقله عنها. ينظر «العقد الفريد» ٤/ ١٥٩، ١٧١ - ١٧٢ وفي صفحات أخرى. هذا ولم يترجم له الداوودي في «طبقات المفسِّرين»، ولم يذكر كتابه: «سراج الهدى».

(٥) لا عبرة بما أوحى به بريَّة في مقدمة كتابه من أنه زار العراق أثناء خلافة المنصور الفاطمي (٣٣٤ - ٣٤١هـ)؛ لأن معظم شيوخه المذكورين في الكتاب تُوفُّوا قبل خلافته، فلعله لم يُحسن التعبير عن تأريخ سفره.

(٦) «تلقيح العقول»: ٤. (٧) «زهر الآداب»: ٦٥٧.

(٨) ولد المعز، معد بن إسماعيل المنصور يوم الاثنين الحادي عشر من رمضان سنة ٣١٧. ينظر «السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي» ١٠٣.

(٩) «تلقيح العقول» ٢ ظ. (١٠) السابق: ٤٤ ظ.

(١١) جعل كارل بروكلمان في «تأريخ الأدب العربي» ٢: ٢٧٧ وفاته سنة ٣٤١هـ، ولا أعرف مصدره في ذلك.

(١٢) ينظر - على سبيل المثال - «بدائع البدائه» ١١٠ - ١١١؛ ٢٢٢؛ ٣٤٥؛ ٣٤٦.

(١٣) ينظر «كشف الظنون» ٢/ ٤١٧.

(١٤) جمع أبو بكر الخوارزمي هذه الأمثال في كتابه: «الأمثال» الذي صدر في الجزائر بتحقيقنا عام ١٩٩٣، ولم نر فيه من الأمثال ما يلتقي بما ورد في هذا الكتاب.

(١٥) ينظر «تأريخ الأدب العربي» ٢/ ٢٧٧.

(١٦) ينظر «الأمثال العربية القديمة»: ١٨٢.

(١٧) ينظر «الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج» ١٠٧ للأستاذ محمد الطمار.

(١٨) ديوانه: ١٩١ - ١٩٢. (١٩) «تلقيح العقول» ١ ظ. (٢٠) السابق: ٢ ظ.

(٢١) من اللافت للنظر أن تسمي النقود الفاطمية عبيد الله المهدي بعبدالله، وأن تصرَّ كتبُ التأريخ أن تسميهُ عبيد الله تحقيراً لشأنه، فيتابعها على ذلك الباحثون العلميون المعاصرون، ينظر بحث (المسكوكات الفاطمية) في مجلة «معهد الآثار» في جامعة الجزائر، ١٩٩٣.

(٢٢) هكذا ورد اسم الكتاب في نسخته المخطوطة المحفوظة بمكتبة جامعة ليدن، وهي نسخةٌ جليلةٌ في ضبطها وقدمها، ولكنَّ محقق الكتاب الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو لم يطَّلع عليها، واكتفى في تحقيق الكتاب بالنسخ المحفوظة في مصر - وهي نسخٌ متأخرة ناقصة - فأثبت عنوانه: «التمثيل والمحاضرة» مما دعاني أن أكلِّف الأستاذة زهية سعدو بإعادة تحقيقه رسالة لنيل دكتوراه الدولة، وقد سجلت هذه الرسالة بجامعة الجزائر.

(٢٣) «تلقيح العقول» ٥٤ ظ. (٢٤) ينظر «بهجة المجالس» ١/ ٨١٩.

(٢٥) ينظر «وفيات الأعيان» ٣/ ٤٦١، ونقلها عنه بهاء الدين العاملي في «الكشكول» ١/ ٢٣٤.

(٢٦) «تلقيح العقول»: ٥٤ ظ.

(٢٧) تنظر نسبتها في «حماسة أبي تمام»: ٤٦١، و «حماسة البحتري» ٢٤٨، و «اللسان» - وزن، و «مختارات شعراء العرب» ٣٠، و «لباب الآداب» ٤٠٣، و «محاضرات الأدباء» ١/ ٣٦٠.

(٢٨) «التلقيح» ١٥ و. (٢٩) السابق: ٤٢ ظ - ٤٣ و.

(٣٠) ينظر «معجم الشعراء» ٣٥٥، وفيه زيادة بيت ثالث.

(٣١) القول في كتاب «الآداب» لابن المعتز: ١٢٤ وروايته: (من تكلَّف مالا يعنيه...).

قراءة معاصرة في نصّ تراثي:

الحوار في حكايات «كليلة ودمنة»

أُتيح لحكايات «كليلة ودمنة» أن تصاغ صياغة فصيحة ميزتها عن حكايات «ألف ليلة وليلة» وسواها، إذ صاغها عبدالله بن المقفَّع الذي مارس الكتابة الفنية وبرع فيها، وكان محطَّ أنظار الفصحاء في عصره خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري، ومهما قيل عن أصلها الهندي وترجمتها إلى الفارسية فإن طابع الثقافة العربية بيِّنٌ فيها، بل إن الأصل الهندي قد ضاع، وظلَّتْ هذه الصياغة هي المعوّل عليها في العودة إلى هذا الأثر التراثي النفيس[1].

ولأن ابن المقفع استفاد من علوم عصره وأخباره، وطبيعة لغته في نقل هذا الأثر مما كان له انعكاس على «كليلة ودمنة» بطريقة وبأخرى، لذالك فقد انصهرت تلك الحكايات في بوتقة موهبته الفذة، فجاءت قوية التأثير من خلال رموزها ودلالاتها، وهو ما كان يعيه ابن المقفع وينصّ عليه، بل إنّ اختياره لهذا النص بالذات، ونقله بأسلوبه المؤثر يعطي دلالة على أنَّ ابن المقفع كان يريد أن يقول شيئًا لم يستطع التصريح به في عصره، فأورده على هذا النحو الرامز، ودليلنا على هذا أن ابن المقفع يوصي قارئْ هذا الكتاب بأن: (يديم النظر فيه ويَلْتَمس جواهر معانيه، ولا يظن أنّ مغزاه إنما هو الإخبار عن حيلة بهيمتين، أو محاورة سبع لثور، فينصرف بذالك عن الغرض المقصود).[2] ويفصّل ابن المقفع في موضع آخر مُوَضِّحًا هدفه من كتابه، ومن خلال الباب الذي أضافه تحت عنوان (غرض الكتاب) يورد فيه إنما قصد به مستوًى يستمتع به (أهل الهزل من الشبان فيستميل به قلوبهم.. والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الألوان والأصباغ ليكون أُنسًا لقلوب الملوك.. والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتّخذه الملوك والسُّوْقَةُ فيكثر بذالك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام.. والغرض الرابع وهو الأقصى وذلك يَخُصُّ الفيلسوف أعني الوقوف على أسرار معاني الكتاب الباطنة)[3] ولم يخب ظنُّ ابن المقفع في كتابه

الذي لم تذبل نضارته بمرور الأيام بل احتفت به الأجيال، لأنه ممّا يُشعّ بإيحاءآت شتّى، وفي شعب متنوعة، منها ما يفيد الإمتاع والاستئناس، وهو هدفٌ مُهمّ من أهداف الأدب والفن، ومنها ما يعلم ويربّي وهو الهدف المُهمّ الآخر للأدب والفن كليهما على أن لا يأتي ذالك التعليم وتلك التربية على نحو مباشر بل تمتزجان بالإمتاع، وتلتحمان معه فلا يمكن الفصل بينهما بأيّ شكل من الأشكال.

ويبدو أنّ صياغة هذا الأثر على يد ابن المقفع قد أثارتْ ردَّ فعل قويًّا في الأدب العربي القديم (ذالك أن عبدالله بن الأهوانيْ قد كُلّف بأن يترجمه مرة ثانية) ثم صاغه نظمًا - في نحو أربعة عشر ألف بيت - أبان بن عبدالمجيد بن لاحق أيضًا، وحاكاه في ذالك شعراء آخرون ومنهم علي بن داوود، وبشر بن المعتمر، وأبو المكارم أسعد بن خاطر، ولم يصلنا من هذه الآثار الأدبية إلا نحو سبعين من نظم أبان بن عبدالمجيد، نقلها الصولي في كتابه: «الأوراق»(٤).

لقد لاقت حكايات «كليلة ودمنة» هوًى في النفوس في حينها ذالك أنها تعبير عن حاجة المجتمع للنقد الاجتماعي والسياسي، ولم تكن ثمّة وسيلة لمثل هذا النقد إلا على لسان الحيوان، كما عبر أحد الباحثين(٥) فضلاً عن أنّ لحكايات الحيوان جذورًا ممتدة في الأدب العربي جعلته يحتضن حكايات «كليلة ودمنة» فلا ينكرها أو يرفضها بل أن (الكسندر كراب) يجعل الشرق العربي أصلاً لحكايات الحيوان، وقد انتقلت إلى الهنود والإغريق فيما بعد(٦).

والحوار أداة فنية مشتركة تخص كل فنون القص، وقلما يستغني فنّ قصصيٌّ عن الحوار، وهو في أبسط تعريفاته حديث متبادل بين شخصيتين أو أكثر(٧). وربما يكون الحوار حديثًا منفردًا مع الذات فيدعى (المونولوج)(٨).

ولايظهر الحوار في فنون القصّ على مستوًى واحد، بل إنه يأخذ شكل الفن الذي يأتي من خلاله، ويكتسب خصوصية مستمدة من طبيعة الفنّ الإبداعي ولذلك فإن الحوار في الفن المسرحي يتّسم بسمات لا نجدها في الفن الروائي أو فن القصة القصيرة، ناهيك عن الفنون الجديدة التي تطلبتها وسائط الإعلام العملاقة، كـ (التلفاز)، والسينما والإذاعة. و الحوار في هذه الفنون عامة يتصف

بقدر من الاتِّساق والمهارة، لأنه حصيلة التطور الدائب لهذه الفنون، فالحوار في أنماط القصّ المعاصرة، يشتمل على نسَب موزونة من الإيقاع والاتِّزان، وأن صوته ووقوعه في النفوس لهما أثر بالغ في تقويم العمل الفني[٩].

فإذا عكسنا ذالك على حكايات «كليلة ودمنة» فإننا نجد حواراً ذا خصوصية مستمدة من طبيعة الحكايات، وظرفها التاريخي والحضاري، لذالك فإن أية موازنة بين فنون القص المعاصرة وحكايات «كليلة ودمنة» تبدو قاصرة نظراً لاختلاف السياقات الزمانية والمكانية، ومع ذالك لا نعدم خُطُوطًا عامة مشتركة يلتقي فيها الحوار في الحكايات بالحوار في فنون القَصّ المعاصرة. وتقف هذه الدراسة عند الحوار في «كليلة ودمنة» لأنه من أبرز الأدوات الفنية في هذا النص التراثي، ذالك أنَّ فكرة هذا الأثر قائمة على الحوار بين الفيلسوف (بَيْدَبَا) والملك (دَبْشَلِيْم) وكل الكتاب عبارة عن حوار متصل بين الشخصيتين، فالحوار ينطوي على الحكاية الرئيسة التي انتظمت الكتاب، والتي تقوم على عزم الفيلسوف على التصدي للحاكم الظالم ووعظه، وجلبه إلى طريق الرشاد، وكيف أنَّ الفيلسوف الصابر واجه حماقات (دَبْشَليم) ومزاجه المتقلب، حتى نجح في هدفه النبيل. وحتى الاستهلالة الشيقة للكتاب التي وردت على شكل حكاية منفصلة في (باب برزويه الطيب) فإنها جاءت على شكل حوار منفرد (مونولوج) وبضمير المتكلم، وعلى لسان الطبيب (برزويه) الذي يسرد على القارئ حكاية نسخه الكتاب من خزائن أحد ملوك الهند.

لقد احتضن الحوار عناصر الحكاية وأدواتها الفنيَّة، لا سيما الحدث الذي اتَّخذ أكثر من شكل، فالشكل الأول الذي يظهر لأول وهلة هو الذي يشبه عناقيدَ من الحكايات المرتبطة ببعضها، عن طريق ما يدعوه علماء النفس بـ (تداعي الأفكار الحر) ويعرّف بأنه (توارد الأفكار أو الخواطر أو الكلمات على الذهن بصورة حرة)[١٠]. وهو ما دُعيَ عند العرب الأقدمين بالاستطراد، وهو يعني من حيث اللغة التتابع[١١] بَيْدَ أنهَ عند الجاحظ يعني (الانتقال من موضوع إلى آخر لكي لا يملّ القارئ أو السامع)[١٢]. إن الحوار في «كليلة ودمنة» يقود إلى

حكايـات كثيرة متنوعة، ويبـدو عدد العناقيـد بقدر عدد أبواب الكتـاب، وبهدف توضيح هذه الفكرة نذكر أنَّ (بـاب الفحص عن أمر دمنة) الذي يأتي بعد الشروع بحكـايـة «كليلـة ودمنـة» التي استأثـرت بعنـوان الكتـاب تضمن مجمـوعـة من الحكايـات التي ترتبط ببعضها بخيط التـداعي الحُرّ، وعلى النحو الـذي نراه في حوار دمنة مع الأسـد، وقد كان يقال: (إن الذي يعمل بالشبهـة لا يَتَّئِدُ عندها ولا يَتثبَّتُ فيهـا، يكون قد صـدّق ما ينبغي أن يُشَـكَّ فيه وكَـذّب ما ينبغيَ أن يصـدّقه فيكـون أمره كأمـر المرأة التي بـذلت نفسها لعبـدها حتى فضحهـا، قال الأسـد: وكيف كان ذالك؟ قـال دمنة: كـان بارض..)[١٣] ويمضي دمنة في سـرد حكايته التي تعزّز فكـرةً مهَّد بها للحكاية، ومثل ذالـك يقال عن الحكاية الثانيـة التي ترد على نحـو ما وردت سـابقتها: (وأعلمـوا انّ من قال مـا لَمْ يَرَ، وأدَّعَى علْم مـالم يعلم أصابـه ما أصـاب الطبيب الجاهل المتكلف فقـال له القاضـي: وكيف كان ذالك؟ قال دمنة: زعموا أنه كان في مدينة...)[١٤] ويسرد دمْنة الحكاية من خلال حواره مع الأسد وبقية الحيـوانات. وينطبق ما ذكرناه علىَ الحكايـة الثالثة: (وقد قـال رجل مـرة لامـرأتـه: احفظي نفسك ثـم اطعَني على غيـرك، ودعي النـاس وأصلحي عيوبَك التي أنت بها أعـرف وذَالك مثلَك. فقال سيد الَخنازيـر لدمنة: وكيف كان ذالكَ؟ قال دمنة: زعموا أنه كانت مدينةَ...)[١٥] وفي الحكاية الرابعة التي تأتي في إطار حوار دمنة مع القـاضي وبقية الحيوانات: (وإياكم أن يصيبكم ما أصـاب القائل بمـا لا يعلم ومالم يُحطْ به خبْـرًا فقال عظيم الجنـود للقاضي: وكيف كـان ذالك فقـال دمنــة: زعمـوًا أنـه كـان...)[١٦] وتـرتبط كل أحـداث الحكايات التي شكّلت أبواب الكتاب بالطريقة نفسها.

وإذا تطلعنا إلى أحداث الحكايات الـواردة من خلال الحوار من زاوية أخرى رأينا أنهـا تتخذ شكل دوائر متعـددة، فثمة دائرة كبيـرة تشكل عنوان البـاب، وهي تنطوي على دوائر أصغر فـي إطار الدائرة الكبيرة بمعنى أن الحدث يبـدأ من نقطة مّا، ثم يعود إلى النقطة ذاتها مُشكّلاً ما يشبه الدائرة. يبدأ الكتاب على النحو التالي (قال دَبْشَلِيم ملك الهند لِبَيْدَبَا رأس فـلاسفته: اضرب لي مَثَل الرجلين المتحابَّيْنِ

يقطع بينهما الكذوب الخؤون، ويحملهما على العداوة والشَّنآن، قال بيدبا الفيلسوف: إذا ابْتُلِيَ الرجلان المتحابان بأن يدخلَ بينهما الخؤونُ الكذوبُ تقاطعا وتدابرا وفسد ما بينهما من المودة، ومن أمثال ذالك أنه كان بأرض (دستا بند) تاجر مكثر وكان له بنون)[١٧]، ويبدأ بيدبا بأن يسرد حكاية التاجر وبنيه مع الملك. وفي إطار أحداث الحكاية الرئيسة تتشعب حكاية ثالثة من حكاية الرجل الهارب من الموت، التي ترد في سياق أحداث الحكاية الثانية[١٨] فهي إذَنْ الدائرة الأصغر التي ترد داخل دائرة أكبر منها، وهي بدورها تكون في إطار الدائرة الأكبر التي تستوعب حكاية كليلة ودمنة، التي استأثرت ببابين في الكتاب، ولا تخرج بقية أبواب الكتاب على هذه الطريقة في إيراد أحداث الحكايات. إن هذه الطريقة في إيراد أحداث الحكايات يعدّها الدكتور محمد غنيمي هلال سمة من السمات الفنية للحكاية الهندية، ويطلق عليها اسم تداخل الحكايات (فكل حكاية رئيسة تحوي حكايات فرعية، وكل واحدة من الحكايات الفرعية قد تحتوي على حكاية أو أكثر متداخلة فيها كذلك)[١٩]. ويبدو أن هذه الوسيلة في هذه الحكايات قد اقترنت بالحكاية الهندية فالباحث الألماني (دير لاين) يورد ما أورده الدكتور هلال، ويضيف إليه أنّ (هذه الطريقة في عرض الحكايات عرفها الأدب المصري القديم أيضًا، وهي تقوم على إدخال عدد وفير من الحكايات في إطار الحكاية الواحدة)[٢٠].

وكما أن الحوار يحتضن الأحداث في هذا الكتاب، فإنه يرد فيعطينا انطباعًا عن طبيعة الشخصيات الواردة في حكايات «كليلة ودمنة» وهي وظيفة مهمة من وظائف الحوار في الفنون القصصية قاطبة، فالحوار المفضي إلى رسم الشخصيات يبدو في التشخيص الاستعاريٌ الذي أضفى على الحيوان سمات الإنسان ولوازمه، نلمس فيها ذالك من خلال تلك الأجَمة التي جاءت في حكاية كليلة ودمنة، والتي كان فيها أسد يقال له (بنكلة، وكان ملك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة من الذئاب وبنات آوى والثعالب وغير ذالك.. وكان فيما معه ابنا آوَى، يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة وكانا ذوي دهاء وأدب)[٢١]. ومن

الـواضح أن هـذه المجموعـة من الحيـوانـات إنما هي صـورة لمجتمع إنسـاني مصغـر، لـم يشأ الكتاب أن يصـرّح بأنـه مجتمع الإنسان لا الحيـوان، فما الأسـد العظيم في تلك الغابـة إلا الحاكم أو الملك، وربما رَمَزَ الكتـاب إلى دور الأدباء من خلال كليلـة ودمنة، فدمنة داهيـة أديب، كما يوصف وقد اتصل بملك الغـابة وتقرب إليه، وبهره بمنطقه وحكاياته وأمثاله، لذالك تتكرر المواقف التي يعجب فيها الأسد بدمنة قبل أن يكتشف خداعه.

وثمة ما يغرينا بـأن نقول بوجود مستويين للحوار أحدهما حـوار الرعية عامة والأدباء منهم خـاصة، وهو يتمثل بحـوار دمنة وحكمه، وحوار الثـور وسواه من الحيوانات، والمستوى الأخر هـو حوار الأسد أو الملك الذي يكشف عن القوة والسيطـرة ألا تَرَى أن ملك الغـابة حين يتحـدّث فإنـه يقول مـا يعبر عن سلطتـه واقتداره (قال الأسد لجلسـائه: إنه ينبغي للسلطان أن لا يلج في تضييع حق ذوي الفضل والمروءة، ولا وضع منـزلته وأن يستدرك ما فـاته من ذالك)[٢٢] في حين أن دمنة يمهد للقائه مع الملك في هذا الحوار: (لم أزل بباب الملك مرابطًا رجاءَ أن يحضر أمر أعين الملك فيه برأيي ونفسي فإن باب الملك تكثر فيه الأمور التي أحتيج فيهـا إلى من لا نباهـة له، وربمـا كـان صَغير المنـزلة فيكـون عنده منفعـة بقدره، فإن العـود المطروح في الأرض ربما انتفع به الإنسـان في حكّ أذنه)[٢٣] ولا نطمح في أن نجـد خصوصيـة في لغـة كل من المستـويين المذكـورين وفي أسلوب التعبير عنهمـا وعلى النحو الذي نجده في أنمـاط القصص المعاصرة إذْ أنّ لهذه الحكايات سياقها الحضاري الخاص بها، كما أسلفنا.

إن تشخيص الحيوانـات وإسباغ السمات الإنسـانية عليها يجعلنا نقـرر أن ثمة استعارة كبيـرة تنتظم معظم حكايات كليلـة ودمنة، وهي الحكايـات التي اتخذت من الحيوانات أبطالاً وشخصيات لها، بحيث يمكن القول بأن الحيوانات (مستعار لـه) وأن الإنسان (مستعـار منـه)، ومن الواضح أن الإنسـان هـو الهدف من هـذه الاستعارة، وليس الحيوان إلاّ قَنَاعًا استثمره الكتاب كي يعبر من خلاله بِحُرِّيَةٍ عن

أمور قد لا يستطيع التصريح بها إن لم يلجأ إلى مثل هذه الوسيلة الفنية الرامزة.

ويكاد التشبيه يبرز في معظم الحكايات الواردة تعبيرًا عن عنصر الشخصية وتعزيزًا له، وهو يرد من خلال الحوار، وعن طريق أدواته، وأهمها (الكاف) و(مثل)، ولكي يوضح بيدبا الفيلسوف للملك دَبْشَلِيم حال الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراهُ لنفسه فإنه يسرد حكاية كاملة هي حكاية الحمامة والثعلب ومالك الحزين: (قال الفيلسوف إن مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين قال الملك: وما مثلهم؟ قال الفيلسوف:زعموا أن حمامة...)[٢٤]. وبذالك يكون الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه (مشبَّها) وتكون الحكاية كلها (مشبَّهًا به). وهنا يصعب أن نحدِّدَ وجه الشبه بكلمة واحدة وإنما يمكن القول بأنه تعبير عن الإنسان الذي يجيد الوعظ ولا يتعظ. لذا فوجه الشبه في صورته هذه يستنبط من متعدد كما يعبر البلاغيون وهو أقرب إلى التشبيه التمثيلي[٢٥].

وثَمَّة من التشبيهات المتقنة ما يحفر له مكانًا في الذاكرة، بحيث يصعب نسيانه، ومن ذالك قوله على لسان الطبيب بَرْزَوَيْه: (فالتمست للإنسان مثلاً فإذا مثله مثل رجل ألجأه الخوف إلى بئر تَدلَّى فيها، وتعلق بغصنين نابتين على شفيرها فوقعت رجلاه على شيء عددهما فنظر فإذا هو بأربع أفاعٍ قد أطلعن رؤوسهنَّ من أجْحرَتهن. ونظر إلىّ أسفلها فإذا هو بتنين فاغر فَاه نحوه. ورفع بصره إلى الغصنينَ فإذَا في أصولهما جرذان أبيض وأسود يقرضانهما دائبين لا يفتران. فبينما هو على ذالك يهتم بالحياة لنفسه إذ نظر فإذا قريب منه كوارة نحل فيها شيءٌ من عسل فتطعم منه واشتغل بحلاوته عن التفكر في أمره)[٢٦]. إن في هذا التشبيه أكثر من آصرة تربطه بحال الإنسان وهو يواصل حياته متناسيًا مصيره، وما يؤول إليه. ويتولى بَرْزويه مهمة عقد التشبيهات بين حال الإنسان والصورة التي رسمها إذ يقول: (فشبهت البئْر بالدنيا المملوءة آفات وشرورًا ومخاوف ومتالف. وشبهت الحيَّات الأربعَ بالأخلاط الأربعة التي هي في بدن الإنسان... وشبّهت الغصنين بالحياةَ وشبهت الجُرْذَيْن بالليل والنهار، وقرضهما دأبهما في إنفاد الآجال. وشبهت التِّنِّين بالموت الذي لَا بُدَّ منه. وشبهت بالعسل

هذه الحلاوة القليلة التي يصيبها الإنسان فتشغله عن نفسه)[٢٧]. إن هذا التشبيه المركب يستثمر جملة حواس، وأولها حاسة البصر التي تبدو من خلال الفأرَيْن الأبيض والأسود، تليها حاسة اللَّمْسِ المستوحاة من ملمس الأفاعي الأربعَ، وحاسة السمع المستنتجة من أصوات قَرض الجرذين الدائبين، وحاسة الذوق المُستنتجة من حلاوة العسل، إشارة إلى غنَى هذا التشبيه وقوة تأثيره النابعة من تُوَغُّله داخل حواسِّ الإنسان ومن إحاطته بظَروفه ومصيره.

ويَتجلّى تَضَادٌ مُوحِ بين الشخصيات يرد من خلال الحوار، وهو تَضَادٌ قد يفضي إلى صراع ينتهي بانتصار أحد الطرفين، أو أنه تَضَادٌ من نوع آخر، إذ لا يؤدي إلى هزيمة أحد الطرفين، بل إلى توافقهما واتساقهما. وهذا ما نجده في ذالك التَّضادّ بين بيدبا الفيلسوف الذي يمثل الرعية ونخبة المفكرين، منهم خاصة، وبين دبشليم الذي يمثل الملك أو الحاكم فهو تضاد ينتهي بالانسجام ولكن هذا لا يطرد تماماً فالتضادُ بين كليلة الذي يجسد الحكمة والوفاء وبين دمنة الذي يمثل الحُمْقَ والغَدر ينتهي بنهاية دمنة. ومثله ذالك التَّضَادٌ بين الأسد ودمنة. وتزخر الحكايات بالتَّضَادٌ من النمطين كليهما.

وثَمَّةَ تَضَادٌ من نَمَط ثالث يكون داخل الشخصية الواحدة فهذا مالكٌ الحَزين ينطوي على تضادّ فيَ داخل ذَاته، يبدو من خلال نجاحه في أن ينصح سواه، وفشله في أن ينصح نفسه وقد لقي حتفه بسبب ذالك)[٢٨]. بل إن التَّضَادَّ يحيط بالإنسان من كل جانب، فضلاً عن أنه ينبع من داخله، فالأبيض والأسود ضدَّان يرمُزَان إلى اتِّساق الليل والنهار المعبرين عن استمرار هذه الحياة وتواصلهاَ، وما حلاوة العسل إلا النقيض للسُّمِّ الزُّعاف المرتبط بحضور الأفعىَ وأنياب التِّنِّين المشرعة لالْتهامه، ومثلما تتضادُّ الطعوم ما بين حلاوة العسل ومرارة السُّمِّ فإنَّ التضادٌ يكونَ على صعيد الأصوات التي تحيط به، فهو يسمع قرض الجرذين للغصنين اللّذَيْنِ يتعلق بهما وهو صوت موحٍ بالموت والنهاية الوشيكة، ولكنه في الوقت نفسه ينجذب إلى الأصوات المنبعثة من خلايا النحل الزاخرة بالحركة

المعبِّرة عن ساعات الهناء القصيرة في هذه الحياة. وأما مشاعره وإحساساته فهي أخلاط شتَّى من المتضادَّات فهو يرغب في هذه الحياة، ويرهبها في الوقت نفسه، وقد يذمُّها إحساسًا منه بقصرها وفنائها. وتنبع من هذا التضادّ فروع أخرى تشير إلى تناقض حياة الإنسان أحيانًا، واشتمالها على الخير والشر وما يتفرع منهما من حق وباطل، وجمال وقبح ووفاء وغدر.

ويحتضنُ الحوارُ الأمثالَ المركزة، والحكَمَ الدالة، مما يدفعنا إلى أن نقول بأنَّ ثَمَّةَ رؤية للإنسان وطبيعته وقيوده النابعة من غرائزه وأهوائه ومطامعه، وهناك تكرار لفكرة تغير أحوال الحياة وتقلُّبها (فلما فكَّرْتُ في أمر الدنيا وأن هذا الإنسان هو أشرف الخلق فيها وأفضله، ثم هو على منزلته لا يتقلب إلاَّ في شرٍّ ولا يوصف إلا به، علمت أنه ليْسَ من أحد له أدنى عقل يفهم هذا ثم لا يحتاط لنفسه، ولا يعمل لنجاتها، ويلتمس الخلاص لها إلاَّ وهو ضعيف الرأي، قليل المعرفة بما عليه وله. ونظرت فإذا هو لا يمنعه من ذالك إلا لذة حقيرة يسيرة من المشرب والمطعم والشمّ والنظر والسمع واللمس، لعلّه يصيب منه طفيفًا لا يوصف، سريع انقطاعُهُ، وامتحاقه وزواله)[٢٩].

ونلمس فكرا قَدَريًّا يؤمن بالقضاء والقدر المكتوبين على الإنسان وذالك من خلال حوار الملك في حكاية الملك والطير قبَّرة.

قال الملك: قد علمت أنه لا يستطيع أحد لأحد ضرًّا ولا نفعًا وأنه لاشَيْءَ من الأشياء صغيرًا ولا كبيرًا يُصيب أحدًا إلا بقدَر مقدور. وكما أن خلق ما يُخْلق، وولادة ما يولد وبقاء ما يَبْقى ليس إلى الخلائق منه شيء، كذالك فَنَاءُ ما يفنى وهلاك ما يهلك)[٣٠]. وتتكرر هذه المفاهيم عن الحياة الدنيا والإنسان في غضون الكتاب وبين طيَّاته.

وينطوي الكتاب على قيمة تربوية تبرز في تلك العظات التي يوجهها للرعية والرعاة على حدٍّ سواء فالملوك (يحتاجون إلى النظر في وجوه شتَّى فإذا آثروا النظر في بعض تلك الوجوه على بعض لم يأمنوا خطأ البصر وزلل الرأي)[٣١].

وينطلق هـذا النص التراثي من فهم لطبيعـة الإنسـان المتغيرة المتقلبـة، فالمـودّة والعداوة لا تـدومان (وكثيـرٌ من المودة يتحـول بُغضا وكثير مـن البغض يتحول محبة ومودة عن حوادث العلل والأمـور. وذو الرأي والعقل يهيىءُ لكل ما حدث من ذالك رأيًـا.. فـلا يَمْنعَنَّ ذا العقل عداوةٌ كـانت في نفسـه لعـدوه من مقاربتـه والتمـاس مـا عنـده إذا طمع منـه فـي دفع مَخُـوف ويُعْملُ الـرأي في إحـداث المـواصلـة والمـوادعـة ومن أبصـر الـرأي فـي ذالك فأخَـذ فيـه بـالحـزم ظفـر بحاجته)[٣٢] ويزخـر الكتاب بعشـرات الحكم القيمـة، والأفكار السـديدة ذات الأسلوب المركـز الرصين، وجَميلٌ حوار الفيلسوف مع الملك إذ يقـول له: (إنه لا يقدم على طلب ما يضر الناسَ ويسوؤهم إلا أهل الجهالة والسفه، وسوء النظر في عواقب الأمور في الدنيا والآخـرة، وقلة العلم بما يدخل عليهم في ذالك من حلـول النقمة، ويلـزمهـم من تبعـة ما اكتسبـوا ممـا لا يحيط به القـول. فإن سلم بعضهم من بعض لمنيّة عـرضَتْ قبل نزول وبَـال ما صنعوا، اعتبـر بهم الآخرون بمـا ينقطع فيه الكـلام والوصف من الشـدة وعظم الهـول. وربما اتَّعَظ الجـاهلُ واعتبر بما يصيبه من المكروه من غيره، فارتدع من أنْ يبتلي أحدًا بمثل ذالك من الظلم والعدوان، ورجا نفع ما كَفَّ عنه في الآخرة)[٣٣].

ونفحات الدين الإسلامي الحنيف بيّنـةٌ في هذا النص وذالك من خلال ورود الآخـرة التي يثاب فيهـا الإنسـان الصالح ويعـاقب فيهـا المُسيءُ، وبذالك يعـود الاتّزان إلى الحياة والمجتمع، فضلاً عن أنَّ الإنسان المؤمن يحِرص على أن ينفع الناسِّ لا أنْ يضرهـم. وهذا يعني ضمنًا أنَّ صياغة ابن المقفع لهذا الأثر التراثي قد تـركتَ بصَمَات أصـابعـه ونبرات معتقـده، التي نسمعهـا في هذا النصٌ وسـواه. ويصدر الكتابَ معظم الحكايات الواردة فيه بقوله: (زعموا أنَّ)وهو احتراز بارع يوحي بحذر الكتاب من القطع والحسم إذْ أنَّ الحقائق في هذه الحياة نسْبيَّة وهي تصح إلى حد مـا بيْدَ أنها لا يمكن أنْ تكون مطلقة فـي جميع الأحوالَ والَظروف ولا سيما تلكَّ الحقائق التي لها صلة بالإنسان وسجاياه وأفكاره)[٣٤].

بابل: د. صبري مسلم

الحواشي:

(١) «عبد الله بن المقفع كليلة ودمنة» تحقيق: الشيخ الياس خليل زخريا، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٤، ص٢٢. وقد ورد هـذا الرأي في مقدمـة د. عبدالوهـاب عزّام لنسختـه التي اعتمدها هـذا الكتاب وكان د. عـزّام قد اعتمد على مخطوطة (مكتبة أيا صوفيا في اسطنبول) وقد كتبت عام ٦١٨ ولم يكتف المحقق الياس خليل بهذه النسخـة بل اعتمد معها النسخ التاليـة: نسخة الأب لويس شيخـو اليسوعي، عن مخطوطة مكتبـة دير البشير، سوق الغرب المكتوبـة ٧٣٩هـ ومخطوطة نوري الكيلاني (حماة) المكتـوبة عام ١٢٠٠هـ نسخة الشيخ خليل اليازجي المعروفة بنسخة مكتبة صادر في بيـروت، نسخة أحمد حسن طبّارة المعروفة بنسخة المكتبة الأهلية في بيروت عن نسخة الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي المكتوبة عام ١٠٨٦هـ.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٤. (٣) المصدر السابق، ص ٩٥.

(٤) د. محمد غنيمي هلال، «الأدب المقارن»، دار العودة، ط ٣، بيروت ١٩٨١، ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٥) د. داود سلوم، كتاب «قصص الحيوان في الأدب العربي القديم»، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٩، ص ١٦١.

(٦) الكسندر هجرتي كراب «علم الفلكلور»، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٧، ص ١١٣.

(٧) ينظـر د. إبراهيم حمـادة «معجم المصطلحات الـدراميـة والمسرحيـة» دار الشـعب، القاهـرة ١٩٧١، ص ١٣٤. وينظر كذالك: مجدي وهبة «معجم مصطلحات الأدب»، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٤، ص ١١٠.

(٨) ينظر: مجدي وهبة، «معجم مصطلحات الأدب»، ص ٣٢٩.

(٩) د. طه عبـدالفتاح مقلـد «الحوار في القصة والمسـرحية والإذاعة والتليفزيون»، مكتبـة الشباب، القـاهرة ١٩٧٥، ص ٣٤٥.

(١٠) د. فاخر عاقل «معجم علم النفس» دار العلم للملايين. ط ٢، بيروت ١٩٧٧. ص ٤٦.

(١١) ابن منظور «لسان العـرب» نسخة مصورة عن طبعة بولاق، الـدار المصرية للتأليف والترجمـة، القاهرة (د. ت)، مادة (ط ر د).

(١٢) د. أحمد مطلـوب «معجم المصطلحات البـلاغية وتطـورها»، مطبعـة المجمع العلمي العراقـي، بغداد ١٩٨٣، ج ١، ص ١٣٠.

(١٣) «كليلة ودمنة»، ص ١٨٨. (١٤) «كليلة ودمنة»، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(١٥) نفسه، ص ١٩٩. (١٦) نفسه، ص ٢٠٣ - ٢٠٤. (١٧) نفسه، ص ١٢٦.

(١٨) نفسه، ص ١٢٨. (١٩) د. محمد غنيمي هلال، ص ١٨٣.

(٢٠) فرد ريش فون دير لاين «الحكاية الخرافية» ترجمة د. نبيلة إبراهيم، دار القلم، بيروت ١٩٧٣، ص ١٩١.

(٢١) ينظر: بيرسي لوبوك، «صنعة الرواية»، ترجمة: عبدالستار جواد، الدار الوطنية، بغداد ١٩٨١، ص ٢٣٤.

(٢٢) «كليلة ودمنة»، ص ١٢٩. (٢٣) نفسه، ص ١٤٠

(٢٤) نفسه، ص ١٣٥. (٢٥) نفسه، ص ٣٥٩.

(٢٦) د. أحمد مطلوب «فنون بلاغيّة» دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٥، ص ٥١.

(٢٧) و (٢٨) «كليلة ودمنة»، ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٢٩) نفسه، ص ٣٥٩. (٣٠) نفسه، ص ١٢٣. (٣١) نفسه، ص ٣٢٠.

(٣٢) نفسه، ص ٣٣١. (٣٣) نفسه، ص ٣٠٩. (٣٤) نفسه، ص ٣٥٢.

طريقة محمد بن شريفة
في تحقيق التراث ودراسته

[ما أحوج القراء في بلادنا إلى أن يعرفوا الكثير الكثير عما لأساتيذنا وإخواننا في الجزء الحبيب من بلادنا بلاد المغرب، ومما يؤسف أن الصفوة المثقفة من ابنائنا، الذين درسوا خارج البلاد يعرفون عن جهود بعض علمائها في الميدان العلمي الواسع مالا يعرفون عن مشاهير علماء أمتهم في مختلف أقطارها.

ومنذ نحو عام أقامت (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) في (جامعة محمد الأول) في (وجدة) ندوة عن تحقيق التراث المغربي الأندلسي، قصد منها تكريم عالم جليل، له آثار خالدة بارزة في الدراسات الأندلسية وغيرها، من جميع الجوانب الثقافية التي لأساتيذنا في المغرب من الجهود المتميزة البارزة، مالا نزال في أشد الحاجة إلى معرفته.

وها هي محاضرة ألقاها الصديق الكريم الدكتور عز الدين عمر موسى في (كلية الآداب) من (جامعة الملك سعود) في تلك الندوة، بعنوان (طريقة محمد بن شريفة في تحقيق التراث ودراسته).

لعل فيها ما يلقي ضوءاً عن جهد ذالك العالم الجليل، وخاصة لبعض ابنائنا الذين لم تجد الدراسات المغربية من اهتمامهم واتجاهاتهم ما يمكنهم من معرفة الكثير عن هذا الأستاذ الفاضل، وعن إخوانه في عصرنا والعصور المتقدمة].

المتعاطون مع التراث أنواع: إن التعاطي مع التراث علم كسائر العلوم له مناهجه وله قواعده وله أصوله، وتختلف هذه الأصول وتلك القواعد والمناهج باختلاف النظرة إلى التراث؛ أهو الماضي الذي يرجى إحياؤه لذاته؟ أم هو الماضي الذي يبتغى إحياؤه باعثًا حافزًا؟ أم أن التعاطي مع التراث فن من الفنون؟؟؟ فإحياؤه هو للتذوق الفني وللمتعة الأدبية، وللسياحة الذهنية وللسياحة الفكرية، ولكنه فن لا يكون إلا بعد اكتشاف قطعه الفنية وترميمها وتجميعها حتى تجلى صوره. والحالة هذه يتداخل العلم والفن في حالة التراث ويتفقان في إحيائه أولاً ثم تختلف الغايات وقد تتباعد. فمن الدارسين من يتعاطون مع التراث كشيء جامد، لا حياة فيه ولا حركة، فيطبقون مناهج صارمة وأدوات قاطعة، فيخرجونه بلا طعم، ولا رائحة ولا لون. وقليل أولئك الذين يتعاطون مع التراث علمًا وفنًا في آن، وأولئك هم المبدعون الذين يجمعون بين التحقيق والدراسة، البناء والطلاء، الصنعة والإحياء.

وقليل أيضًا أولئك الذين يلجون ميدان التراث ولهم منذ البداية رؤية واضحة

عما يريـدون، ورؤية أوضح عن أية طريقـة ينهجون، ومثل هؤلاء غالبًـا ما تتعدد أعمـالهم وتتنوع، وتتكـاثـر سبلهم وتتشعب، غيـر أنها تصـب في مجرى واحـد يسقـــي نبتة عما قليل تصبح شجرة باسقة أغصانها، وارفة ظلالها، جذورها في الأرض ضاربة، وإلى السماء صاعدة شامخة، ذالك لأن هذا النوع من أهل العلم مواهبه متعددة، وقاعدته في المعرفـة صلبة، ورواه إلى الذرى متشوقة مستشرقة، فله من المعرفة توقها وتوهجها وتوترها وأدواتها وآلاتها، فيضيفون على عملهم حيـاة من قيمهم تنبعث، ومن تصـوراتهم تفيض، فإذا التـراث شـاخص متحـرك كأنما ولد من سـاعته لا من أمسه، فمثل هؤلاء يغدون أعلامًـا في بابهم حاصلين على التفرد محلقين في سماء المجد بلا ند.

فكم من العلماء بـرز في البحث عن المخطوطات والوثـائق فجمعها وصنفها وفهرسهـا، وله في هـذا الميدان باع طـويل وتبريز عظيـم، وكم من العلماء حقق التراث المكتشف وقدمـه في أقرب حال إلى ما كـان عليه عندما صنفـه صاحبه. وأصبح أمثال هؤلاء العلماء أساطين تحقيق، وناشرين تراث قل إن يدانيهم أحد، وكم من دارسين لما ينشر، مركبين منه صور الماضي إلى أقرب ما كان، وكم من النـاقدين لمـا ينشـر نقدًا فنيًـا رائعًـا يوضـح القسمات ويشخص الصـور، ويبين الإبـداع ويكشف القصور، وأحسبك إلى كل نـوع من الأنـواع الأربعة تشيـر إلى أسماء بذاتها وأعلام بأعيانها في محيطنا العربي، ولن تخطئ أو تضل السبيل.

وكل هاؤلاء خـدم التراث من الضـرب الذي اختاره، وواتتـه الفرصـة فأجاد، وقليل من جمع الأنواع الأربعـة فأصبح علماء في عالم، وفنانين في فنـان. واتحد الإثنان، العـالم والفنان، في تنـاغم مدهش، فإذا الـواحد منهم عن المخطـوطات باحث، وعن جزئية منقب، وعن تحقيق عمل نـادر مكب، وعن كتابة تاريخ حقبة بذاتهـا منهمك، يجلي غامضها، راسمًـا صورة أوضاعهـا، والعوامل الفاعلـة فيها والنتائج المترتبة عليها، وفي الوقت ذاته تجده لشاعر دارسًا، ولنقد أدبي ممارسًا، وبدراسة فترة أدبية قائمًا، في كتابة التاريخ والأدب قد ينجز عملاً موسوعيًا مع عمق فكر، وأصالة رأي، وصرامة منهج، وسلاسة أسلوب وحسن عبارة.

شمولية المعرفة وضرورتها: وهذا الأخير جيل عزيز وجوده الآن، مع تفرع المعارف وتقطيع أوصالها بالتخصصات، والتخصصات الفرعية والأخرى الدقيقة، فيصعب على أهلها الربط بين الفروع، وفروع الفروع، فانعدمت النظرة الكلية في العلم الواحد فكيف بالعلوم المختلفة على ما بينها من ترابط في الواقع، وأصبح بينها تدابر وتنافر، يُفْضِيان إلى تقاطع وانعدام تواصل، فقاد التخصص المعرفي الدقيق إلى تحجر معرفي وتقوقع علمي، يختلف شكلاً ويتفق مخبراً مع عصر الترهل في الحضارات القديمة. من الانكفاء على الفروع وشرحها، وشرح شرحها، وحاشية على شرحها، وما الفرق بين هذا النوع المعرفي المترهل ووضعنا الراهن، فدارس التاريخ يقطع صلته بالأدب، ومتعاطي الأدب تنعدم علاقاته بعلوم الدين، وطالب علوم الدين ينفر عن الفلسفة، والحال مع العلوم الأخرى - خاصة العلوم البحتة والتطبيقية - أشكل، والتواصل معها أبعد.

بل إنك لتجد في العلوم الاجتماعية كالتاريخ واللغة والأدب قد قسموها إلى مناطق وفي كل منطقة حقب، وفي كل حقبة فنون مختلفة في العلم الواحد، محرم دخولها إلا على أهلها -.

فأثر هذا ليس في دراسة التراث فحسب، بل في تحقيقه، لأن الواحد لا يملك كل المعارف التي يتضمنها الأثر المحقق، أو قل لا يعرف عنها شيئًا، فكم من شعر تلقاه في كتاب محقق منثورا، وأخطاء لغوية ونحوية وإملائية مبثوثة، مع تحريف عظيم، وتصحيف كثير، وعدم قدرة على التخريج شنيعة، وعجز عن كشف أصول النقول غريب، مع جهل بالأعلام الواردة، فمن سلم من أحد هذه العيوب وقع في غيره، فكيف مثل هذا يدرس التراث وعلمه به شانه ناقص.

لهذا من جمع من دارسي التراث شتى العلوم المتصلة أو نال منها نصيبًا وكانت له ثقافة شمولية ونظرة كلية تجده قد تميز وتفرد، وهذا نوع نادر عزيز، وعدده قليل، فمن الرعيل الأول أحمد زكي باشا في مصر، وحسن حسني عبدالوهاب في تونس ومحمد الفاسي في المغرب عليهم أجمعين رحمة الله

ورضـوانه، ومن الأحيـاء أستاذ الجيل إحسـان عباس أمـد الله في عمره، فقـد زرع نبتـات هنا وهنـاك، بصورة مبـاشـرة أو غير مبـاشرة ظهـر أثـرها مع وداد القـاضي والمحتفى بـه محمد بن شريفة، فابن شريفة باحث عن الأثر المخطوط، وله مصنفًا ومحققًا ودارسًا، ومن تركيب الحقائق الجزئية يغدو مؤلفًا، وفي عمله تجد المحقق المؤرخ والأديب والناقد الذي يدرس المبحوث من خلال عصره، ولكن له طريقته المتفرد بها والتي ليس له فيها شبيه إلا أستاذنا محمد الفاسي - رحمه الله -.

الأعلام مدخل بن شريفة إلى التراث: منذ البداية اختار بن شريفة دراسة التراث من خـلال الأعـلام، فبـدأ بأبي المطرف أحمـد بن عميـرة المخـزومي في دبلـوم الدراسات العليا (١٩٦٤)، فدرس حياته ووضح أطوارها، وأحصى آثاره وحللها، وانتهى إلى رسم صورة عنـه في تحركها وتقلبهـا في عصره، ثم ثنى بدراسـة أسرة سلاوية، وهي (أسرة بني عشرة) - فجمع أشتات معلومات من مظانها، فأخرج في فصلـة عن أصلها ونسبهـا ومن عرف منهم وتنقـلاتها وإسهـاماتهـا فأحيا دارسهـا وأعاد بناء أطلالها بصورة لا يجدها القارئ المطلع في موضع واحد من قبل.

وهكذا تبلور عند ابن شريفة نمطان في دراسة التراث من خلال الأعلام، وهما نمطان يختلفان شكلاً ويتوافقان مـوضوعًا ومنهجًا. فيختلفان في أن النمط الأول يقوم على اختيـار أعلام لم تدرس، ويرتكـز الثاني على دراسة أعلام مجهـولة إلا من إشـارات متفرقة، ويتـوافقان من حيث تـراه يُكَوِّن من البحث في هـذا وذالك دراسة متكـاملة لشخصيـة المبحوث، نـاظرًا إليهـا من خلال عصـرها، مـوضحًا آثارها، مجليًـا إسهامها الأدبي وواضعًا له في إطاره التـاريخي، مع ضبط للأسماء ورسـومها، وتحقيـق نسب الأسرة وأصـولهـا، ومعـرفة المبـرزين منهـا من قبل، ومحاولة تحديد تاريخي المولد والوفـاة ومكانهما، مع بذل الجهد لمعرفة شيوخ الشخصية موضوع الدراسة وتلاميذه ومشاركته في أحداث عصره ومآله فيها.

وبعد أن بلور ابن شريفة هـذين النمطين، وألهم عمله غير واحد من الباحثين، فحـذوا حذوه في رسـائلهم الجـامعيـة في غير جـامعـة من جـامعات المغـرب

والقاهـرة ومدريـد، تجده انصرف سـريعًا عن هـذه الطريقة في كتـابة أطـروحته للـدكتوراه، فلجأ لـلأمثـال فحقق «أمثال العـوام» للزجـالي، مع دراسـة ضافيـة للمجتمـع الأنـــــدلسي مـن خلالها (١٩٦٩) - لكن الحنين راوده إلى معايشة الأعلام، فاتجه نحو كتب الرجال محققًا، فحقق مشتركًا ثم منفردًا بعض ذيل ابن عبـدالملك المـراكشي وتكملتـه، وحقق مشتـركًا «تـرتيب المـدارك» للقـاضي عياض، ويبدو أنه لم يجد نفسه لا في تحقيق كتب الرجال ولا الأمثال التي كملها بدراسة، فغالبه الشوق والشوق أغلب، وعاد أدراجه إلى دراسة الأعلام.

صحيح أن لابن شريفة أبحاث أخرى كثيـرة، وتحقيقات متنوعة، قد يظن لأول وهلة أنهـا تختلف عن طريقته في دراسـة التراث من خلال الأعـلام، ولكن بنظرة مستبصـرة تلقاهـا إلى طريقتـه تنتسب، بل وترتبط بأوثق ربـاط، فانظـر على سبيل التمثيل لا الحصر في تحقيق ديوان ودراسته كـ «ديـوان ابن فركون» و «مظهر النور الباصر» له أيضًا وكتاب «البسطي آخر شعراء الأندلس» أو كتاب أدب مثل «روضة الأديب في التفضيل بين المتنبي وحبيب» لابن لبـال الشريسي، أو تحقيق بـرنامج شيوخ كـالتعريف بالقـاضي عياض لابنـه محمد (ولعل تحقيقه لنـوازل عياض لا تخـرج عن محاولـة ابن شـريفة في التعـريف بشتى جـوانب القاضي عيـاض)؛ أو تراجم رجال مثل «طـرفة الظريف في أهل الجزيرة وطـريف» للملزوزي، أو بحثه «أبو تمام وأبو الطيـب في أدب المغاربة» الذي نال به جـائزة المغرب الكبرى سنة ١٩٨٧م، أليست هذه كلها آثار تدرس التراث من خلال الأعلام.

ومع كل هـذا فإنه جل إنتـاجه في الأعـلام يتركـز، وعلى أول نمطين بهما تجـده ينهج: نمط أبي المطـرف ونمط (أسـرة بنـي عشـرة) وفي النمط الثـاني مكثـر، وعن الأول مضرب حتى عاوده بعد نحو ثلاثـة عقود مع ابن عبد ربه الحفيد (١٩٩٢) فهو إلى هـذا النمط ينتمي لأن تمريض ابن شـريفة حين يقـول: (قد لا نجـد له ذكـرًا بين الأعلام في المـوسوعات القـديمة) (ص ٣) دحضه بما أورده لاحقًا (ص ٢٦ - ٣٠) ثم تلاه بابن مغاور الشاطبي، وابن شريفة لا يكتمك أنه مع مثل هذه الأعمال يجد لذة

دافئة وسعادة غامرة، لأنه يجد فيها نفسه، ويحقق ذاته، وهو يقول: (وأشهد أني أشعر بسعادة كلما أنجزت عملاً من هذا القبيل، هكذا شعرت عندما حررت ترجمة أبي المطرف ابن عميرة المخزومي الشقري منذ ثلاثين سنة خلت، ثم فيما تلا ذالك من تعريفي بالبسطي والحُكَيِّم والثّغْريّ والكفيف الزرهوني والكانمي وغيرهم، وهكذا أشعر الآن بعد أن انتهيت من التعريف بأبي عمرو ابن عبد ربه الحفيد) (ص ٣).

فلا غرو بعد هذا أن نرى ابن شريفة يجول في التراث تحقيقًا ودراسة من خلال أعلامه، فما أن يجد مخطوطًا جديدًا فيه ما يكفي لرسم صورة لأحد الأعلام إلا إليه يهرع، وفي بحثه يشرع، فيخرجه وفيه أناة الباحث الصبور، وسرعة العالم المقتدر العارف بالأمور، وهذا حاله مع ابن عبد ربه الحفيد وابن مغاور الشاطبي، وربما يدعى إلى حلقة دراسية في بلد، فينفض جراب جذاذاته التي جمعها في سنين متفرقات من مظان شتى وفروع متباينة، ويأخذ ما فيها عن أحد الأعلام المجهولين في بلد الملتقى العلمي أو منطقته، فيخرج سيرته ولها رونق ومعنى.. فانظر دراسته «وجه من الثغر الأعلى: عبدالله ابن قاسم الثغري» التي قدمها خلال (الأيام الثقافية الإسلامية) المنعقدة في مدينة تروال بإسبانيا (١٩٨٨)، وهي من الثغر الأعلى، وقال: (قد وقع اختياري على شخصية من شخصيات الثغر الأعلى هي شخصية عبدالله بن قاسم الثغري الذي يذكر كلما ذكر الثغر، ولا تنصرف نسبة الثغري بإطلاق إلا إليه) (ص ١١٤) - وكذلك كان الدافع وراء اختياره لعرضه «من أعلام أواسط العصر الغرناطي: المنْتَوْري» في (الملتقى الإسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية) المنعقد في غرنَاطة (١٩٨٩) (ص ١٥) وكذلك بحثه «الأسر الأندلسية في مدينة أسفي» ثم دراسته «بنو زهر: نظرات في تاريخ أسرة أندلسية» في افتتاح السنة الدراسية في (جامعة ابن زهر) في أكادير «مجلة دراسات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية»، (العدد ٤/ ١٩٩٠) وبحثه «ابن طفيل: السيرة والمؤلف» بمناسبة اجتماع الخبراء لتدريس الفلسفة والبحث الفلسفي في الوطن العربي، المنعقد في مراكش ١٩٨٧. ومثل هذا (ابن عبيد يس النفري)

بمناسبة الدراسات المهداة للأستاذ محمد المنوني (الدار البيضاء، دار توبقال، ١٩٨٦) أو بنشر تحقيق كتاب فيستفزه عدم الترجمة الدقيقة الوافية للمصنف فيدبج أخرى أعظم وأتمّ وأدق، فانظر إلى الدافع لكتابة مقاله «ابن خُمَيْر السبتي وآثاره» في مجلة «دار الحديث الحسنية» (١٩٩٢) إذ يقول عن كتاب «تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء» لابن خمير السبتي بتحقيق محمد رضوان الداية: (ولعلي لست في حاجة إلى التنويه بالجهد الذي بذله الأخ الكريم في ضبط متن الكتاب وشرح غريبه ووضع فهارسه، فكل هذا معهود في أعماله غير أني وجدت مقدمة التحقيق خالية مما يعتمد عليه في معرفة مؤلف الكتاب...) (ص ٣).

وهذا المنهج من دراسة التراث من خلال الأعلام تلقاه حتى في محاولاته لدراسة صلات المغرب الثقافية بالمناطق الإسلامية الأخرى، فقد سبقت الإشارة إلى الصلات الأدبية مع المشرق، علاوة على بحثه «الأندلس في آثار المبدعين والدارسين المصريين» في الحلقة الدراسية عن العلاقات المصرية المغربية (القاهرة، الهيئة العامة للكتاب)، والناظر في أبحاث ابن شريفة المتأخرة يلاحظ اهتمامًا بالعلاقات الثقافية المغربية والبلاد السودانية، وهي أبحاث تتمحور حول الأعلام أيضًا، مثل صنيعه مع التواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان متخذًا إبراهيم الكانمي أنموذجًا مبكرًا (١٩٩١) فيقول: (وسنتناول هذه العلاقات من خلال شخصية ثقافية طريفة، وهذه الشخصية هي إبراهيم الكانمي، فمن هو هذا الكانمي؟ وما الدور الذي كان له في عملية التواصل الثقافي بين بلاد المغرب وبلاد السودان؟) (ص ١٤). وشبيه بهذا الصنيع دراسته لدور إبراهيم الساحلي(ت ٧٤٧/ ١٣٤٦م) الثقافي في مملكة مالي (١٩٩٢) أو بحثه عن مساهمة المغاربة في تأسيس الحركة العلمية في شمال نيجيريا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وذلك من خلال نظره في زيارة عبدالرحمن سقين إلى بلاد الحَوْسَ (١٩٩٣).

ولا يعيب أبحاثه عن العلاقات الثقافية مع البلاد السودانية إلا ما يسود جل الدراسات العربية المتأثرة برصيفاتها الاستشراقية والأفريقية من روح استعلائية

في النظرة إلى حضارة بلاد السودان عموماً وثقافتها خصوصًا ولكن عند ابن شريفة تلحظه خافتًا.. فالكانمي، حسب رأيه نتاج مغربي والساحلي الغرناطي وسقين المغربي دورهم تثقيفي.. وليس هذا مجرد انطباع.. فانظر إلى قوله: (وأنا عارض أمامكم اليوم نموذجًا للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان في أول عهد الموحدين.. من خلال شخصية ثقافية طريفة يبدو أنها كانت من الثمرات المبكرة لتسرب الثقافة العربية المغربية إلى مملكة غانة ومملكة كانم الصغرى الواقعة شرقها، وهذه الشخصية هي إبراهيم الكانمي..) (ص ١٣ - ١٤) فأين كانم من غانة، وهل كانت قائمة وقت إبراهيم الكانمي؟ وأين كانم من المغرب؟ والمعروف أن تأثيرات كانم مصرية مشرقية، وغانة ومالي تأثيرات مغربية أندلسية، وبلاد الحَوْسَ مكان تلاقي بين الاتجاهين من المؤثرات.

وتتجسد تلك الروح بصورة أوضح مع الإشارة إلى ما في هذا القول من سلبيات في قوله: (ولما سُد باب الأندلس وانتهت مسؤولية المغرب في شبه الجزيرة الإيبيرية اتجه المغاربة إلى إفريقيا في عهد المنصور السعدي، وقد كان هذا الاتجاه - برغم بعض سلبياته - هو الذي مزج بلدان المغرب ببلاد السودان مزجًا حقيقيًا وأثمر تواصلاً ثقافيا غنيًا تجلى على الخصوص في حركة التأليف عموماً وحركة التأليف التاريخي خصوصًا وقد عرفتها في هذا العهد بلاد السودان لأول مرة، كما تجلى هذا التواصل أيضًا في مظاهر أخرى ليس هنا محل شرحها.

وهنا يَجْدُر بنا القول بأن أشهر المؤلفين من بلاد السودان وهو الشيخ أحمد بابًا قد انتفع كثيراً من مكتبة أحمد المنصور ومكتبة ولده زيدان، كما انتفع بمكتبات الخواص وفوائدهم في مراكش، مثل الكاتب الأديب الإخباري أبي عبدالله محمد بن يعقوب الأيسي الذي يحيل عليه أحمد بابا كثيرا في «نيل الابتهاج وكفاية المحتاج» (ص ٩).

ولا مشاح أن أحمد بابا استفاد من المكتبة المغربية فائدة عظيمة، ولكنه جاء المغرب وهو عالم مكتمل، يمثل نهاية دورة ازدهار الثقافة الإسلامية في دورها الأوسط.. وغني عن القول أن الحملة السعدية جاءت والبلاد السودانية قد دخلت في طور انحلالها السياسي وضمورها الثقافي.. ولم تكن سببًا في ذالك كما ادعى المستشرقون والأفريقينيون، ولم تثمر ازدهار ثقافيًا كما تذهب مقولة الأستاذ

الكريم (انظر مقالي بالإنجليزية عن الأسلمة وحركات الإصلاح الإسلامي - مجلة دراسات الأردنية - ومقالي بالإنجليزية عن قيام علم التاريخ الإسلامي السوداني - في أوراق مقدمة للدكتور إحسان، تحرير وداد القاضي والمصادر المذكورة فيهما).

وهذه القضية استوجبت هذه الوقفة المطولة لأنها تثير قضية هامة في معالجة التراث من حيث النظرة الداخلية والنظرة الخارجية، فأين حدود المغربية والأندلسية والسودانية والمشرقية، أليست هذه قضايا نسبية يكون العلو حينا لهذه وفي آخر لتلك.. ذكر ابن الأبار ابن المناصف بين الأندلسيين ضنانة على العدوة بعلمه، وكتب أحمد بابا كتابيه «النيل» و «الكفاية» لتوضيح تبريز علماء السودان، ولهذين أشباه ونظائر مما هو في أدب المنافرة معلوم، وفي كتب التراث مبسوط.

منهجه في دراسة التراث: والناظر في الأعلام التي درسها ابن شريفة يتبدى له منهجه واضحًا جليًّا، وهو على نسق نمطيه الأولين يسير، فهو يربط الشخصية موضوع الدراسة بعصرها ربطًا محكمًا، فانظر وقفته المطولة الموفقة مع ابن مغاور في صلاته بمعاصريه (ص ٢٠ - ٤١) وخططه ووظائفه (ص ٤١ - ٥٦) وابن مغاور في خدمة أبي حفص عمر بن عيسى (ص ٥٦ - ٦٢) وابن مغاور في خدمة أبي الربيع (ص ٦٢ - ٧٢) وابن مغاور في آخر حياته (٧٢ - ٧٨) بينما نظر لابن عبد ربه الحفيد من خلال بحثه عن كتاب الدواوين في عهد الموحدين لا عصره لأنه إلى ذالك الصنف ينتمي، وما أروع عبارته عن ابن خُمير وعصره، فيلمحه حلقة في سلسلة جهود علماء سبقوه وآخرين عاصروه. فقال: (والواقع أن عمل ابن خُمير والعزفي وابن دحية إنما هو امتداد لعلم الشيخين: ابن عياض وابن سبع) (ص ١٢). وهكذا يفعل مع أعلامه المدروسة حتى صورها شخوصًا ماثلة متحركة.. فاعلة منفعلة بمجتمعها، وهنا إحدى مكامن إبداعاته في تناوله للتراث.

وهذا التصوير الدقيق المبدع لأعلامه ما كان له أن يتأتى له لولا دقة ملاحظته، وسعة اطلاعه، وبراعة تنقيبه؛ وشدة تنخيله.. وعلى كل صفة من هذه شواهد لا تحصى في أبحاثه، فانظر دقة ضبطه للأعلام رسمًا وضبطًا، فابن عَميرة (بفتح العين وكسر الميم) لا كما كان جاريًا على ألسنة الدارسين من ضم الأولى مصغرًا. وانظر تعقبه لمحقق «تنزيه الأنبياء» من أن رسم اسم المؤلف وضبطه هو

ابن خُمير، لا بفتحها ولا حاء مهملة (ص ٣ - ٦)، أو ضبطه المنتَوري، بكسر الميم وسكون النون وفتح التاء وسكون الواو وكسر الراء (صَ ١٥ - ١٦). وانظر أيضًا ضبطه ابن بيّاع السبتي لا ابن زنباع (مجلة «المناهل»، الرباط، وزارة الشؤون الثقافية، ١٩٨٢، العدد ٢٢) وأبا الحجاج يوسف بن غَمْر لا ابن عُمْر (مؤرخ دولة يعقوب المنصور: تعريف وتصحيح تصحيف، في مجلة الأكاديمية، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٣، العدد ١٠).

وقل مثل هذا في تجميع المعلومات عن شجرة نسب أعلامه أو ما تيسر من أعلامها، وإعطاء صورة حية نابضة لبيئة من يدرسه، مثل ما صنع مع أسرة ابن مغاور أو ابن عبد ربه على سبيل التمثيل.

وهذه الملاحظات هي نتيجة مقابلات ومعارضات بين المعلومات، هي ذاتها نتاج تنويع مصادره من جهة، واعتماده على رسائل العَلَم المدروس وأشعاره وآثاره من جهة أخرى، علاوة على تنقيب في المصادر متنوعة متعددة بارع، وتمييز بين المعلومات بارز، فحصل في كثير من الحالات على معلومات مفردة كثيرة، كون منها صورة فريدة، فتخيل حاله وقد وجد ترجمة لابن خُمير عند ابن الشعار فيها (أكبر مادة وأكثر إفادة) عما عرف من قبل، فقال: لقد وجدتني وأنا أقرأ هذه الترجمة أردد قول طرفة (ص ٤):

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً   ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له   بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

أخاله يَفْترُّ باسمًا، ويعرك شعر رأسه جَذَلاً، و: كأنه جليلو وقته، وحق له ذالك، فالعلم عنده هوى، والهوى قدر. لقد وجد ابن شريفة ذاته في بحث التراث من خلال الأعلام، تحقيقاً ودراسة، وتنقيبًا وتنخيلاً وتجميعًا، ثم بحثًا وتحليلاً وتركيبًا، فرسم طريقة مرتكزة على طريقة قديمة في التراث فاستحدثها وجعلها معاصرة، فخط طريقًا للمواءمة بين الأصالة والمعاصرة في المنهج، وعرض الأعلام التي درسها شخوصًا ماثلة متحركة، مرسومة بالكلمات كأنها إبداع فنان رسّام أو نحات مثّال.

د. عز الدين عمر موسى
كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

الشعراء الأمويون في العصر العباسي

(١)

١- المخضرمون:

المقدمة : بنو أمية، ملوك العرب وذوو تيجانها، الحماة البناة، الفاتحون العظام، لهم الحسب الباذخ والمجد المؤثل، أصحاب السريرين والتاجين والدولتين، ما غابت شمس دولتهم في الشام حتى أشرقت في الأندلس، ولهم ما للملوك الحاكمين من المحاسن والمساوئ، وليس هذا البحث في بيان مناقبهم ولا في تعداد سيئاتهم، فقد اختصم الناس بهم زمناً طويلاً، أحياءً وأمواتًا، واستنفد الشعراء معاني ذلك كله في مئات من القصائد التي قيلت في مدحهم ورثائهم وهجائهم، في زمنهم وبعد ذهاب دولتهم، وفعل الكتّاب مثل ذلك في خطبهم وتآليفهم ورسائلهم، حتى لم يعد لقائل أن يقول جديدًا في هذا، ثم إنهم وقد صاروا حديثًا يروى وعبرة وموعظة للناس من بعدهم، لم يعد ينفعهم مدح ولا يضرهم هجاء.

إنما أردت في هذا البحث، أن أقف عند شعرهم وشعرائهم في ظل الدولة العباسية، وما كانوا عليه بعد أن فقدوا دولتهم وفعل بهم السيف فعله قتلاً وتشريدًا، وذاقوا مرارة الخوف وذل المطاردة وشظف العيش.

وقد عمل العباسيون على استئصال البيت الأموي وإفنائه، وتعاون السفاح وأعمامه عبدالله وداود وسليمان على هذا في الشام والعراق والحرمين، وكان لعبدالله بن علي النصيب الأوفى من هذا، إذ قتل العشرات منهم في مذبحة نهر أبي فُطرس[١] وقد فعل العباسيون ذالك ثأرًا للهاشميين الذين قُتلوا وسُجنوا وشُردوا أيام الأمويين، وفعلوه حماية لدولتهم الجديدة من أية مطامع لخصومهم في الملك بعد ذلك، وكان معظم المقتولين من عامة الأمويين، الذين لم يتولوا منصبًا ولا عملاً ولم يكن منهم للعباسيين إساءة ولا أذى[٢]، إنما قتلوهم لنسبهم في أمية أو لأن بعضهم من أحفاد الخلفاء الأمويين الذين يضطغن عليهم العباسيون.

ولهذا فلم ينج من تلك المذبحة الرهيبة إلاّ من كانت بينه وبين أحد من الأمراء العباسيين مودة سابقة وصحبة قديمة، فحفظوا لهم ذلك وسعوا في العفو عنهم بعد أن لاذوا بهم مستعطفين وقد أرهقهم الخوف والتشرد، ومن هاؤلاء عمرو بن معاوية ابن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان الذي استجار بسليمان بن علي فأجاره وشفع فيه وفي قومه إلى السفاح وكتب إليه قائلاً: (يا أمير المؤمنين، إنّه قد وفدَ إليّ وافدٌ من بني أمية، وإنّا إنّما قاتلناهم على عقوقهم، لا على أرحامهم، ثم يجمعنا وإياهم عبد مناف، فحقٌ الرحم أن تُبَلّ ولا توبس، وتوصل ولا تقطع، فإنْ رأى أمير المؤمنين أن يهبهم لي ممتنًا، ويجعل ذالك كتابًا عامًّا في بلدان خلافته، ليكون ذالك شكر نعمة الله عندنا، فعل)[٣].

قال ابن بكار: فأجابه أبو العباس إلى ما سأل،(فكان ذالك أول أمان بني أمية)[٤].

كما أخذ داود بن علي الأمان من السفاح لصديقه القديم إبراهيم بن سليمان ابن عبدالملك[٥].

وممن نجا من بطش العباسيين، أبناء عمر بن عبدالعزيز وأحفاده، لما كان من احسان جدهم للهاشميين قديمًا، ومن هاؤلاء عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز الذي صار من خاصة المنصور والمقربين إليه، وقد وصفه من رآه بقوله: (ورأيته في صحبة أبي جعفر وعليه السواد)[٦] وابنه آدم بن عبدالعزيز الذي استعطف عبدالله بن علي فتركه وعفا عنه[٧].

ونجا بعضهم لانحرافه عن قومه في أيامهم وميله لخصومهم، ومن هاؤلاء الشاعر العبلي لما عُرف عنه من الميل قديمًا إلى الهاشميين[٨]، ومحمد بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان، وكان هواه وهوى أبيه مع ابن الزبير على بني أمية، لأن أم أبيه من بنات الزبير بن العوام[٩]، ومثل أبي العَمَيْطر السفياني علي ابن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية، وأخواله علويون، وأمه السيدة نفيسة بنت عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب[١٠]، وقد شفعت له الخؤولة العلوية عند

العباسيين، كما شفع عبدالله بن الحسن العلوي لأخويه لأمه محمد والقاسم ابني عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان[١١]، عند داود بن علي فعفا عنهما وحماهما حتى قتلهما المنصور بعد ذالك لاشتراكهما في ثورة ابن أخيهما محمد بن عبدالله بن حسن المعروف بالنفس الزكية[١٢].

وقد قام بعض الأمراء الأمويين بمحاولات فاشلة لاسترداد ملكهم بدمشق مثل سعيد بن خالد بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، خرج بالشام في أيام المأمون وادّعى الخلافة وجعل يطلب القيسية ويقتلهم ويتعصب لليمن[١٣] وقد قضى العباسيون على تمرده، كما ثار أبو العميطر السفياني وبويع له بالخلافة في ولاية الأمين سنة ١٩٥، وغلب على دمشق، عندما كان المأمون في خراسان[١٤]، وقُضي على حركته سنة ١٩٨، كما أخمد العباسيون تمردًا آخر قام به أموي آخر اسمه مسلمة بن يعقوب، وهو من أحفاد مسلمة بن عبدالملك[١٥]، وقد بايع لنفسه بالخلافة في دمشق أيام المأمون سنة ١٩٨هـ.

١ - العبلي: أمّا أقدم شعراء الأمويين في هذا العصر، وأوفرهم حظًّا شاعرية وشعراء، فأبو عدي عبدالله بن عمر بن عبدالله العبلي، وقد ذكره أبو الفرج بقوله: (شاعر مجيد، من شعراء قريش، من مخضرمي الدولتين، وله أخبار مع بني أمية وبني هاشم)[١٦]، والغريب في أمر هذا الرجل خصومته مع قومه انتصارًا لبني هاشم (كان في أيام بني أمية يميل إلى بني هاشم، ويذم بني أمية، ولم يكن منهم إليه صنع جميل، فسلم بذالك في أيام بني العباس)[١٧].

وقد فعل ذالك غضبًا للإمام علي عليه السلام إذ كان يراه رجلاً من أهله ومفاخر عشيرته (كان يكره ما يجري عليه بنو أمية من ذكر علي عليه السلام وسبّه على المنابر، ويظهر الإنكار لذلك، فنهاه الأمويون عن ذالك بمكة، فانتقل إلى المدينة)[١٨] وقال في ذالك:

شـرّدوا بي عنـد امتـداحي عليًّـا ... ورأوا ذاك فـيّ داءً دويًّـا

فوربي لا أبرح الدهرَ حتى تختلي مهجتي بحبي عليا
وبنيه لحبّ أحمد إني كنت أحببتهم بحبي النبيا
حبٌّ دين لا حُبّ دنيا وشرٌّ الـ ـحبّ حبٌّ يكون دنياويا
صاغني الله في الذؤابة منهم لا زنيمًا ولا سنيدًا دعيا
عدويًا خالي صريحًا وجدي عبد شمس وهاشم أبويا
فسواءٌ عليَّ لستُ أبالي عبشميًا دُعيتُ أم هاشميا)[١٩]

ولعل بيته الأخير يوضح سبب ميله للهاشميين لما يراه بينه وبينهم من نسب جامع قريب، ولم يغفر الأمويون له ذالك ولم يفهموا ما دعاه إليه، وأنه كان رجلاً عدلاً وداعية خير ومحبة واجتماع، فأعرضوا عنه ولم يجعلوا له نصيبًا من رعايتهم وأموالهم، ومن ذالك أنه وفد على هشام بن عبدالملك ومدحه بقصيدة طويلة عصماء، قال فيها:

لم يرَ الله معشرًا من بني مروا ن أولى بالملك والتسويد
قادةٌ سادةٌ ملوكٌ بحارٌ وبهاليلُ للقروم الصيدَ
أهلُ رفدٍ وسؤددٍ وحياء ووفاءٍ بالوعد والموعود
يا ابنَ خير الأخيار من عبد شمس يا إمام الورى وربَّ الجنود
عبدُ شمس أبوك وهو أبونا لا نناديك من مكان بعيد
ثم جدي الأدنى وعمّك شيخي وأبو شيخك الكريم الجدود
فالقراباتُ بيننا واشجاتٌ محكماتُ القوى بحبل شديد
فأثبني ثواب مثلك مثلي تلقني للثواب غيرَ جحود[٢٠]

ومع إحسان الرجل في مديحه وعرض حاجته وإشارته إلى قرابته من بيت الخلافة، إلا أن ذالك لم يعطف عليه هشامًا، فأخر عطاءه زمنًا ثم أعطاه نزرًا قليلاً وفضل عليه في العطاء أخواله من بني مخزوم فقال شاكيًا ذاك ومعرّضًا بهشام وأخواله:

خسٌ حظي أن كنتُ من عبد شمس ليتني كنت من بني مخــــــزوم
فـأفـــــوز الغـــــداة منهم بسهـم وأبيع الأبَ الشـــريف بلُـــوم[21]

ويبدو أنه تاب بعدها عن الوفود على الخلفاء ومديحهم، إذا لم نجد له مدحًا ولا صلة بأحد منهم بعد هشام، وقد عوّضه الهاشميون خيرًا مما حرمه قومه منه، وتعهده الحسنيون بالرعاية في المدينة المنورة، (كان عبدالله بن الحسن يتعهده بالرعاية والمال زمن الأمويين)[22] فحفظ لهم ذالك، وقال يمدحهم:

أقـــام ثـــوِيٌ بيت أبي عـــدي بخيــر منــازل الجيــران جــارا
تقـــوّض بيتــه وجـــلا طــريــدًا فصـــادف خيــر دور النـــاس دارا
وإنّي إنْ نـــــزلت بـــدار قـــوم ذكـــرتهم ولـم أذمم جـــوارا[23]

ولم يُحفظه إعراضُ قومه عنه، ولم يدفعه إلى كرههم ومعاداتهم أو تمني ضعفهم وزوال دولتهم، وإنما كان لهم محبًا وعليهم مشفقًا، فعلَ الرجل الكريم ذي المروءة، وقد أمضّه وآذاه ما شجر بينهم من خلاف وخصومة في آخر أيامهم، فقال يمدحهم ويشيد بهم ويحذرهم الفتنة وعواقب الفرقة والاقتتال. فخورًا بهم مشفقًا عليهم، وأن نفسه لتسيل حزنًا وتنقطع أسًى لما هم فيه من حرب وتناحر، في قصيدة من عيون شعره ومحاسنه:

مــا بــالُ عينك جــائلاً أقـذاؤهــا شـرقت بعبـرتهـا وطـال بكـاؤهـا
ذكــرت عشيرتهــا وفــرقةَ بينهــا فطــوت لــذالك غُلّــةً أحشــاؤهــا
واعتـادهــا ذكــر العشيـرة بــالأسى فصبــاحهــا نــاب بهــا ومســاؤهــا
شــركـوا العِدا في أمـرهم فتفـاقمت منهــا الفتـوق وفُــرقت أهـواؤهــا
ظلت هنــاك ومــا يعــاتب بعضهــا بعضًــا فينفـع ذا الـرجـاء رجــاؤهـا
إلاّ بمـــرهفـــات الظُّبـــات كـأنهــا شهبٌ تَقِلُّ إذا هـــوت أخطــاؤهــا
وبُعسَّلٍ زُرقٍ يكـــون خضـــابهــا علقَ النحـــور إذا تفيـض دمــاؤهــا

فبــذاكــم أمست تَعــاتَبُ بينهــا	فلقــد خشيت بأن يُحَمَّ فنــاؤهــا
مــاذا أومّـلُ إن أميـــة ودعـت	وبقــاءُ سكـــان البــلاد بقـــاؤهــا
أهلُ الـريـاسـة والسيـاسـة والنـدى	وأســودُ حـرب لا يخيم لقــاؤهــا
غيث البــلاد هُـمُ، وهُمْ أمــراؤهــا	سُرجٌ يُضيء دُجى الظلام ضياؤها
فلئن أميـــةُ ودعـت وتتــايعت[٢٤]	لغــوايــة حَميت لهــا خلفــاؤهــا
ليُــودّعنّ من البــريـــة عــزُّهــا	ومن البــلاد جمــالهــا ورجــاؤهــا
ومن البليـــة أن بقيـتَ خـــلافهم	فــردًا تهيجك دورهــم وخــلاؤهــا
لهفي على حــرب العشيــرة بينهــا	هَــلاّ نهى جُهّـــالهَــا حلمــاؤهــا
هــلاّ نُهًى تنهى الغَــويّ عـن التي	يُخشى على سلطانهــا غـوغـاؤهـا
وتُقًى وأحــلامٌ لهــا مضــربـــةٌ	فيهــا إذا تــدمى الكلــوم دواؤهــا
لمــا رأيت الحــرب تـوقــدُ بينهــا	ويشب نــار وقــودهــا إذكــاؤهــا
نــوهتُ بــالملـك المهيمن دعــوةً	ورواحُ نفس في البـــلاد دعــاؤهــا
ليـــردَّ إلفتَهـــا ويجمع أمـــرَهـــا	بخيارهــا، فخيــارُهــا رحمــاؤهــا
فأجـــاب ربي في أميـــة دعـــوتي	وحمى أميـــةَ أن يُهــدَّ بنــاؤهــا
وحبـــا أميـــةَ بـــالخـلافـــة إنهم	نــورُ البـــلاد وزينهــا وبهــاؤهــا
فبنــوا أمية خيــرُ من وطئ الثــرى	شـرفًـا وأفضلُ سـاسة أمـراؤهـا[٢٥]

ورحم الله أبا الفرج الأموي الأصبهاني الذي دفعته عصبيته لقومه إلى ذكر ما ذكره من هذه القصيـدة، وتفرده بذاك، وغفر الله له إذا لـم يذكرها كاملـة بتمامها، فقد قال: (وهي قصيدة طويلة اقتصرت منها على ما ذكرته)[٢٦].

وهذا الجزء من القصيدة الذي حرصتُ على ذكـره كاملاً كما ذكره أبو الفرج، يدلّ على شـاعرية مطبـوعة، ولغة فصيحـة جزلة وعـاطفة موفـورة، وهي إحدى

القصائد المتفردة في موضوعها وجمال بنائها وتماسكه، هذا إلى غير ما تدل عليه من نبل الرجل ومروءته وعصبيته لقومه.

وقد سلم الشاعر من مذابح العباسيين لما عُرف عنه من ميل إلى الهاشميين، ولكن شيئًا من الأذى وقع عليه أول أيام الثورة، إذ أخذ داود بن علي حرمه وماله، فهرب منه حتى جاء السفاح مادحًا مستعطفًا مذكّرًا بالنسب المشترك بينهما وبقديم بلائه في نصرة الهاشميين وما شُهر به من الميل إليهم، ومن ذالك قوله من قصيدة عامرة طويلة، بدوية المطلع كريمة النسج:

إلى أهل الرسول غدَتْ برحلي ... عُذافرةٌ تَرامَى بالصحاري
تَؤُمُّ المعشرَ الأبرارَ تبغي ... فكاكًا للنساء من الإسار
أيا أهلَ الرسول وصيدَ فهرٍ ... وخيرَ الواقفين على الجمار
أتؤخذ نسوتي ويُحازُ مالي ... وقد جاهرتُ لو أغنى جهاري
واذعَرُ أنْ دُعيتُ لعبد شمسٍ ... وقد أمسكتُ بالحَرمِ الصواري
بنصرةِ هاشمٍ شهّرتُ نفسي ... بداري للعدا وبغير داري
بقربي هاشمٍ وبحقّ صهرٍ ... لأحمدَ لفَّه طيبُ النجار
ومنزل هاشم من عبد شمسٍ ... مكان الجيد من عُليا الفَقَارِ[٢٧]

فقال له السفاح: (حقٌ لعمري أعرفه قديمًا ومودةٌ لا أجحدها، وكتب إلى داود بن علي باطلاق مَنْ حبسَه من أهله وردّ أمواله عليه وإكرامه، وأمر له بنفقة تبلغه المدينة)[٢٨].

وإذا كان هذا الرجل النبيل قد أغضبه قديمًا أن يسيء قومه إلى ذكرى الإمام علي رضي الله عنه، لما يجمعه به من النسب البعيد، فإنه لاشك أكثر غضبًا لقومه الأدنين وأشد حزنًا وتفجعًا على ذهاب دولتهم وعلى ما أصابهم من قتل وتشريد وأذى، مع ما تقدم من إساءتهم إليه وحرمانهم له، ومع ما يعرفه من بطش

العباسيين وقسوتهم في معاقبة من تُسَوِّل له نفسه ذكر الأمويين بخير أو الترحم عليهم، ولكن ما فُطِر عليه من النبل والمروءة غلب دوافع الخوف في نفسه، ودفعه إلى ما يليق به من ندب قومه ورثائهم والتفجع على ما أصابهم، وقليل من الشعراء من يفعل ذالك أو يقوى عليه، وقد كانت قصيدته في رثاء قومه بقافيتها السينية وجرسها الحزين المهموس، من محاسن شعره وجياد قصائده، صادقة اللوعة، موفورة العاطفة، تثير في النفس شعور التعاطف مع الشاعر المفجوع، وتشفق عليه وتتفهم دوافع حزنه النبيل، وتعجب به وبمروءته وشجاعته، وهو يتحدى الدولة الجديدة بقوله مخاطباً ابنته أُمَامَة:

تقول أُمامةُ لما رأت ... نُشوزي عن المضجع الأنفسِ
وقلّة نومي على مضجعي ... لدى هجعة الأعين النُّعّسِ
أبي ما عراكَ؟ فقلت الهمومُ ... عرونَ أباكَ فلا تبلسي
عَرونَ أباك فحبّسنَهُ ... من الذُّلّ في شرِّ ما مَحبِسِ
لفقد العشيرة إذ نالها ... سهامٌ من الحَدث المُبئسِ
رمتها المنونُ بلا نُصّلٍ ... ولا طائشات ولا نُكّسِ
بأسهمها الخالسات النفوس ... متى ما اقتضت مهجةً تخلسِ
فصرعاهم في نواحي البلا ... د تُلقى بأرض ولم تُرمسِ
كريمٌ أُصيب وأثوابه ... من العار والذّام لم تدنَسِ
وآخرُ قد طارَ خوفَ الردى ... وكان الهُمامَ فلَم يُحسَنِ
فكم غادَرُوا من بواكي العيو ... ن مرضى ومن صبية بُؤّسِ
إذا ما ذكرنهمُ لم تَنم ... لحرِّ الهموم ولم تجلسِ
يُرجّعنَ مثل بكاء الحَمام ... في مأتم قلق المجلسِ
أفاضَ المدامع قتلى كُدًى ... وقتلى بكثوةَ لم تُرمسِ

وقتلى بوَجٍّ وباللابَتين	من يثرب خيرُ ما انفُسِ
وبالزابيين نفوسٌ ثوتْ	وقتلى بنهر أبي فُطرسِ
أولئك قومٌ تداعت بهم	نوائب من زمن مُتعسِ
أذلّت قيادي لمن رامني	وألزقت الرَّغمَ بالمعطسِ
فما أنسَ لا أنسَ قتلاهمُ	ولا عاشَ بعدهم مَنْ نَسي[٢٩]

ولعل القارئْ الكريم يكبر معي أن هذا الشاعر لم يجمجم بما في نفسه وإنما صرح به وأعلنه وأنشده الناس ورثى قومه وعدّد المواقع التي قُتلوا بها، ولم يكتم إعجابه بذاك الهمام من قومه الذي طار ولم يحس العباسيون بهربه، وهو يقصد عبدالرحمن الداخل صقر قريش، ولعلك لاحظت أيضًا أن الشاعر لم يذكر العباسيين ولم يتعرض لهم بالهجاء، وكان الهاشميون يكبرون في الرجل شجاعته ومروءته ويتفهمون تفهمًا حسنًا دوافعه النفسية العاطفية فيما قاله من شعر في قومه، ويقدرون حزنه عليهم، ثم لا يجدون في أنفسهم حرجًا في استنشاده بعض شعره ذاك، ومن ذالك أن المنصور استنشده قصيدته الهمزية التي قالها أثناء الفتنة التي وقعت بين الأمويين[٣٠]، كما استنشده صديقه القديم عبدالله بن الحسن العلوي قصيدته هذه السينية في رثاء قومه، وشاركه البكاء عليهم، وقال لمن لامه في ذالك: (لقد كانت للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر)[٣١].

ونحن مدينون لأبي الفرج - رحمه الله - بهذه القصيدة التي تفرد بذكرها في مكانين من كتابه[٣٢] مع تقديم وتأخير في أبياتها واختلاف يسير في روايتها. ولعل تعصبه لقومه حبب إليه ذالك رغم تشيعه الزيدي.

ويبدو أن شاعرنا كان مشاركًا لعبدالله بن الحسن في سوء رأيه بالمنصور، وكان ميله للعلويين أكثر من ميله للعباسيين ودولتهم، ولم ينسَ لهم كثرة من قتلوه من قومه، وقد دفعه هذا كله إلى تأييد ثورة النفس الزكية محمد بن عبدالله

ابن الحسن على المنصور والمشاركة بها، حتى جعله النفس الزكية واليه على الطائف أيام ثورته[٣٣]، فلما أخفقت الثورة وجدّ المنصورة في طلب القائمين بها، هـرب شاعـرنا إلى اليمن، وقـال يذكـر غـربته هنـاك ويأسى على ما أصـاب قومـه القرشيين بني غالب بن فهر من فرقة وتناحر وماطحنهم من كثرة الحروب والتقاتل:

قـــد حلّ بيـن أبـــارق من إنْ لـــه ... فيهـــا من إخـــوان ولا أصحـــابِ
شطت نـــواه عـن الأليف وســاقـه ... لقُـــرًى يمـــانيـــة حمـــامُ كتـــابِ
يــا أخـت آل أبي عَـــديّ أقصــــري ... وذرى الخضـابَ فمـا أوانُ خضـابِ
أتخضّبين وقـــد تخــــرّمَ غـــالبًـــا ... دهـــرٌ أضـــرَّ بهـــا حـــديـدُ النـــابِ
والحـربُ تعـــرك غـــالبًـا بجـــرانهـا ... وتعضُّ وهي حـــديـــدةُ الأنيـــابِ
أم كيف نفسـك تستلـــذ معيشــــةً ... أو تنقعين لهـــا ألـــذّ شـــرابِ[٣٤]

وفي القصيدة شيء من رثاء الشاعر نفسه ولعل المنية أدركته في غربته تلك إذ لا أخبـار له بعـد سنـة ١٤٥هـ، وهي السنـة التي قضى فيهـا المنصور على ثـورة النفس الزكية، ولاشك أنـه مات شيخًا قد نيّف على الستين، إذا افترضنـا أنه مدح هشامًا سنة ١١٥ وعمره ثلاثون سنة يومذاك.

ومن الناس مَنْ جبله الله على حب العدل والإنصـاف وتحدي الظالمين نصرةً للمظلومين ودفاعًا عنهم، نبلاً وكرمًا ومروءة، وقد كان شاعرنا كذالك، مدح عليًّا والهاشميين زمن بنـي أمية، واحتمل جفاءهم لـه وحرمـانه من بـرّهم ورعايتهم، وهم أسرته وقومـه، وفخر بالأمويين ورثاهم وتفجع عليهم يوم كـان الناس عامة والشعـراء خاصـة يتقربـون إلى العباسيين بشتم بني أميـة وثلبهم وإظهار الفـرح والشماتة بما أصابهم.

ولعل من أجل هذا تحاماه عدد من المـؤلفين وأهملوا ذكره كابن المعتز وابن قتيبة، مع أنهم ترجموا لشعراء كثيرين دونه شعرًا وشاعرية وإحسانًا وتفردًا.

٢- أبو سعيد مولى فائد: وممن شهد سقوط دولة بني أمية، وحزن لهم وتفجع عليهم، أبو سعيد مولى فائد، وفائد هذا كان مولى لعمرو بن عثمان بن عفّان، قال أبو الفرج: (يُعرف بالشعراء بابن أبي سنّة مولى بني أمية، وفي المغنين باسم أبي سعيد مولى فائد، وكان شاعرًا مجيدًا ومغنيًا، وعمّر إلى خلافة الرشيد، وله قصائد جياد في مراثي بني أمية، الذين قتلهم عبدالله وداود أبنا علي)[٣٥].

ومع أنّ الرجل لم يكن من بني أمية في صميمهم، وإنما كان مولى لأحد مواليهم، إلاّ أنّ وفاءه لهم كان عظيمًا، فأكثر من رثائهم شعرًا، وكان معاصرًا للعبلي وصديقًا له، فحرص على إذاعة رثاء العبلي لهم، بما كان يغنيه من قصائده فيهم، فقد غنى قصيدته السينية في رثائهم، وادّعى أنه شارك العبلي في نظم قسم منها[٣٦]، وقد ذكرته مع شعرائهم، تصديقًا للحديث المأثور «مولى القوم منهم».

ومن شعره في رثائهم، قوله:

بكيتُ وماذا يردّ البكاء … وقلّ البكاء لقتلى كداءْ
أصيبوا معًا فتولوا معًا … كذالك كانوا معًا في رخاءْ
بكت لهم الأرض من بعدهم … وناحت عليهم نجومُ السماءْ
وكانوا الضياء فلما انقضى الزّ … مان بقومي تولى الضياء[٣٧]

ومن شعره وغنائه فيهم:

أثّرَ الدهرُ في رجالي فقلّوا … بعد جمعٍ فراحَ عظمي مهيضا
ما تذكرتهم فتملك عيني … فيضَ غربٍ، وحُقّ لي أن تفيضا[٣٨]

ومن شعره وغنائه فيهم أيضًا:

أولئك قومي بعد عزّ ومنعة … تفانوا، فإلاّ تذرف العينُ أكْمَدِ
كأنهم لا ناسَ للموت غيرهم … وإن كان فيهم منصفًا غير معتدي[٣٩]

وقد نصّ أبو الفرج أنّ الشعرَ والغناء له في المقطعات التي نسبها إليه، ومعنى

ذالك أن الرجل وضع موهبته الشعرية وموهبته الغنائية في رثاء الأمويين وندبهم، وإشاعة ذالك وإذاعته عن طريق التلحين والغناء، حبًّا لهم ووفاءً، إذ كان يعدُّ نفسه رجلاً منهم، وأنهم أهله من دون الناس، ولهذا كرر ندبهم بكلمتي (رجالي وقومي) في شعره هذا، ولعل القارئ الكريم لاحظ أن هذا الشعر دون شعر العبلي متانة وجزالة وجودة، تغلب عليه سهولة اللفظ وبساطة التركيب، ليلائم الغناء خاصة، بل لعله لم ينظم هذا الشعر إلاّ من أجل تلحينه وغنائه.

٣- أبو وهب: ومن شعراء أمية الذين أدركوا دولتهم وشهدوا ذهابها، أبو وهب يحيى بن ذي الشامة محمد بن أبي قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٤٠]، وكان أبوه ذوالشامة وجده أبو قطيفة شاعرين متوسطين من شعراء العصر الأموي[٤١]. وقد تولى أبوه ولاية الكوفة[٤٢] ليزيد بن عبدالملك (١٠١ - ١٠٥هـ) فإن كان شاعرنا قد ولد في أوائل القرن الثاني فلا شك أنه أدرك الثورة العباسية وهو في الثلاثين من عمره أو جاوزها قليلاً، ولعله نجا من القتل لنسبه البعيد في أمية وأنه لم يكن من أمرائها وذوي المكانة فيها.

وليس لدينا شيء من أخباره أو شعره، ولا نجد له في قومه مدحًا ولا فخرًا ولا رثاءً، إنما رويت له مقطعتان يشكو فيهما فقره وشظف عيشه، وما يلقاه من قسوة الشتاء وهو لا يجد مالاً ولا مأكلاً ولا ملبسًا، وهي صورة قاسية مروعة لما وصلت إليه حال بعض الأمويين في العصر العباسي من فقر وبؤس ومسغبة، وفي ذالك يقول من إحدى مقطوعتيه:

بردَ الليلُ والنهارُ أبا وهب وهبت عليك ريحٌ برودُ
وأتاك الشتاءُ يسعى وما عندكَ إلاّ الإخلاص والتوحيدُ
وثياب لبستها أول الصيف إلى أن علاك بردٌ شديدُ
ولِقدمًا أُفيد ثم أبيد المال، إني امرؤ مفيدٌ مبيدُ
لم تزل تلك عادة الله عندي والفتى آلفٌ لما يستعيد[٤٣]

وقال في الثانية:

جـاء الشتـاء وليس عنـدي درهمُ | وبمثل هـذا قـد يُخصُّ المسلمُ
وتأهـب النـاسُ الجبـابَ لبـرده | وكأنني بفنـاء مكـة محـرم[٤٤]

٤ - آدم بن عبدالعزيز: وإذا كان هذا الشاعر من عامة الأمـويين، فإن معاصره آدم بن عبـدالعـزيـز بن عمـرو بن عبـدالعـزيـز[٤٥]، كـان من صميم بيت الملك والرئاسة فيهم، وقد صـار أبوه كما قدمنا من خاصـة المنصور ومقربيه[٤٦]، ونجا وأسرته من موت محقق لما تقدم من عدل عمر بن عبدالعزيز وإحسانه.

وقد أدرك آدم هذا في شبابه السنوات الأخيرة من ملك أهله وشهد مصارعهم، واستعطف عبـدالله بن علي فعفا عنـه[٤٧]، ثم تـرك الشام إلى العـراق وأقام فيـه، وسيرته غامضـة، إذ لـم نجد له شعرًا ولا خبرًا أيام السفـاح والمنصور، إنما ذكروه زمن المهدي بقولهم (كان شاعرًا ماجنًـا خليعًا، وكان في صحابة المهدي، ومات على توبة ومذهب جميل)[٤٨] وأن المهدي أراد معاقبته بعـد أن سمع له شعرًا في الخمرة يدعو لشربها ويصرح به، واتهمـه بالزندقة، فدافع عن نفسه قائلاً: (لا والله يا أمير المـؤمنين، ومتى رأيت قرشيًا تزندق، والمحنة في هـذا إليك، ولكنه طربٌ غلبني وشعر طفح على قلبي في حال الحداثة، فنطقت به)[٤٩].

وإذا كـان في العشـرين من عمـره أثناء الثـورة العبـاسيـة، فإنه يكـون قـد بلغ الخمسين أو جاوزها زمن المهـدي، وغريب أن يهمّ المهدي بمعاقبتـه لأمرٍ كان منه في شبابه، ولعل الرجل بقي على غيّه وضـلاله حتى هذه السن، وكانت توبته بعد ذالـك، ويرجح هـذا قول أبي الفـرج: (وكان آدم في أول أمـره خليعًا مـاجنًا منهمكًا في الشراب، ثم نسك بعدما عُمّر، ومات على طريقة محمودة)[٥٠].

ولعلـه وجـد في الانغماس في السُكـر والمجـون مـا ينسيه محنتـه في أهلـه ويذهله عن آلامه، ولعله أراد أن يشهر بِـذاك عند العباسيين ليصرف أنظارهم عنه

ويأمن بطشهم، إذا استقر عندهم أنه رجل لهو ومجون وعربدة، لا مطمح له في السياسة ولا طمع له في الملك، وقد ذكر أبـو الفرج تقريب المهدي له، وأنه كان (يحبه ويكرمه لظرفه وطيبة نفسه)(٥١).

هذا رجل مسالم، ليس لـه جرأة العبلي ولا شجاعته، على أنـه أقرب لصرعى الأمويين منـه وأمسّ رحمًا، ولكنه آثـر العافيـة والموادعة، وشعـره قليل لا يعدو بضع مقطعات، يرد في إحداها على مـن عرّض بذهاب دولتهم وانقضاء زمنهم، ويعزي نفسه عن هـذا بسنة التاريخ في ذهاب الدول، وزوال الممـالك مهما طال الزمن عليها. وأنـه قد بقي له بعد ذهاب دولتهم عراقـة النسب وتليد الحسب وما شاده أوائلهـم من أمجاد ومفاخر لا تبلى:

وإنْ قـــالت رجـــالٌ قـــد تـــولى ... زمـــانكـم وذا زمنٌ جــــديـــدُ
فمـــا ذهبَ الـــزمـــانُ لنـــا بمجـــد ... ولا حسبٍ إذا ذُكــــرَ الجــــدودُ
ومـــاكنـــا لنخلـــد لـــو ملكنـــا ... وأي النـــاس دامَ لـــه الخلـــودُ(٥٢)

ويتندر في مقطعاته الأُخر بلحى بعض أصحاب المهدي وندمائه(٥٣) مما يدلّ على حضوره مجـالسه الخاصـة وخلطته بـه، وأعجب ما في شعره جميعًـا، هذه المقطعة:

أقـــول وراعنـي إيـــوان كســـرى ... بـــرأس معـــان أو أدروسفـــان
وأبصـــرتُ البغـــالَ مـــربّطـــات ... بـــه مـن بعـــد أزمنـــة حســـان
يعـــزّ علي أبـي ســـاســـان كســـرى ... بمـــوقفكن في هــــذا المكــــانِ
شـربـتُ على تـذكـر عيـش كسـرى ... شـرابًـــا لـــونـه كـالـــزعفـران
ورحتُ كـأنني كســـــرى إذا مــــا ... عــلاه التـاج يـــومَ المهـرجــان(٥٤)

ووجه العجب في هـذا الشعر، أن إيوان كسرى في المدائن قـرب بغداد، ولم نسمع بإيـوان له بمعـان من أرض الشام، ولم تـذكر كتب البلـدان موضعًا بـاسم

(أدروسفان) هذه التي ذكرها في شعره، والكلمة واضحة العنجمة لا مشاكلة بينها وبين معان، ونستبعد أن تكون مكانًا في بلاد العرب، وعجيبٌ أيضًا أن يأسى أموي على أثر من آثار الفرس، أو يعزّ عليه اتخاذه مأوى للبغال ودواب المسافرين. ثم لا يجد ما يحيي به ذكر الملك الفارسي غير الشرب في ظل خرائب إيوانه.

ولعل الشاعر تذكر في هذا الأثر الذي رآه من آثار الملوك البائدة للفرس أو لغيرهم في مكان ما، قصور أهله الأمويين في معان وغيرها من ربوع الشام، وقد أكلها البلى وأسرع إليها الخراب وصارت مرابط للبغال بعد طول عزّ وبهجة وغضارة، بل لعله قصد رثاءَ قصر بعينه من قصورهم في معان، فخاف التصريح بذلك واتخذ من إيوان كسرى رمزًا لما قصد إليه، على أننا لا ننكر أن المصائب تجمع المصابين وتقرب المسافات وتلغي الفوارق، ولا نستبعد أن يكون وجه الشبه الجامع بينه وبين الملوك السابقين في ذلهم بعد عزّ، وفي خراب قصورهم بعد أن كانت عامرة مأنوسة، لا نستبعد أن يكون ذالك سببًا لهذا الأسى وهذه المشاركة الوجدانية التي أظهرها لطلل قصرٍ لا تربطه بأهله رابطة من نسب أو دين.

هذه حالة من التعاطف الإنساني صورها متمم بن نويرة قديمًا بقوله المشهور: (فدعني فهذا كله قبر مالك).

وصورها البحتري في سينيته الرائعة التي قالها وهو العربي الصميم في رثاء إيوان كسرى، وقد اتخذه ذريعة للتنفيس عن أحزانه وآلامه الشخصية لما لقيه من إعراض ابن عمه وجفائه ومن شظف العيش وقسوته، فخلع ما في نفسه على ذالك الطلل الأبكم ورآه مثله غريبًا مجفوًا في أرض العراق، يشكو الوحدة ويظهر التجلد لعاديات الزمن وخطوبه.

٥- عتّاب بن عبدالله: وقد عاصر آدم هذا، شاعر أموي آخر، أصغر منه سنًّا، وأقل مكانةً، إذ كان من عامة الأمويين، ولم يكن من أمرائهم، ولعله كان صبيًّا

عند قيام الثورة العباسية فسلم من القتل بعد أن قتل داود بن علي أباه عبدالله بن عنبسة[٥٥]، هذا الشاعر هو عتّاب بن عبدالله بن عنبسة بن سعيد بن العاص[٥٦]، وحياته غامضة، وأخباره وشعره قليلان، وأجمع من ترجم له على أنه كان كوفيًا معاصرًا للمهدي[٥٧]، ولا ندري أنزح للكوفة من الشام وسكنها بعد قيام الثورة، أم أنها كانت موطن أسرته ومسقط رأسه في العصر الأموي، ولا نجد له خبرًا مع السفاح والمنصور ولا شعرًا فيهما، إنما له مقطوعة واحدة في مديح المهدي يذكّره بما يجمع بينهما من النسب ويحثّه على البرّ بالأمويين ورعايتهم، صلةً للأرحام وحفظًا لما يجمعهم من أبوة عبد مناف وعمومة عبد شمس لعبدالمطلب، وفيها يقول:

يا أمينَ الله قد قلتُ لكم ... قولَ ذي دينٍ ورأيٍ وحسبْ
مَنْ يقل غيرَ مقالي فلقد ... قال زورًا وتعدّى وكذب
عبد شمس كان يتلو هاشمًا ... وهما بعدُ لأمٍّ ولأب
ثم ما فرّق حتى آدم ... بيننا الرحمنُ في جذم النسب
لكمُ الفضلُ علينا ولنا ... بكم الفضلُ على كل العرب
فابْدَ بالأقرب منّا إنّنا ... عصبٌ نأتيك من دون عَصَبْ
لا ننادي من بعيد إنما ... يهتف الهاتف منّا من كثب
القراباتُ شديدٌ ودُّها ... عقدُها أوكدُ من عقد الكرب
فصِلوا الأرحام منا واحفظوا ... عبد شمس عمَّ عبدالمطلب[٥٨]

وذكرَ مثل هذه القرابة التي تربطه بالعباسيين عندما حاول عبدالله بن مصعب الزبيري أن يفسد علاقته الطيبة بهم أو يحرضهم عليه، فقال له:

إن كنتَ حرّان من عَداوتنا ... ملآن غيظًا، لأنفك الرَّغمُ
عبدُ مناف أبو أبوتنا ... وعبد شمس وهاشم تُؤَمُ

بحـــرانِ خـــرٌّ العـــوّام بينهمـــا فـــالتهمـــاء، والمـــوج ملتطم[٥٩]

فأجابه الزبيري بقوله:

أتـــرك بني هـــاشم وذكـــرَهمُ فإنهـم جـدّعـوكَ فـاصطلمـــوا

نحن نفينـــاك فـــاغتـــربـت إلى الشـــام مهـــانًـــا، لأنفكَ الـــرغمُ

مـــروان يُحـــدى بـــه على قتبٍ شـــلاً كمـــا شُلَّ قبلـــه الحكم[٦٠]

وواضحٌ أن عتابًا يشيـر (بالعاصيين) إلى عبدالله ومصعب ابني الـزبير، اللذين قتلهما الأمويون، وأن الزبيري يشيـر إلى نفي الحكم وابنه مروان من المدينة إلى الشام، ويبدو أن ذالك كـان داخلاً عندهم في باب المفاخـرات القبلية، والعصبية الأسـرية، لا يورث عـداءً ولا يفسـد ودًّا، بل إن مصعب بن عبـدالله بن مصعب الزبيري رأى في هذا ضربًا من المزاح بيـن الرجلين، فقد قال: (كان عتّاب يمازح أبي بالشعر)[٦١] ثم إننا لا نعلم شيئًا بعد ذا من خبر عتاب وشعره وسيرته.

٦- عمرو بن أمية: ومن شعرائهم لهذا العصر أيضـًا، عمرو بن أمية بن عمرو ابن سعيـد بن العاص الأمـوي[٦٢]، وهـو ممن عاصـر الثورة العبـاسية، وعـاش خاملاً مغمورًا، لـم يتقرب للعباسيين ولـم يقل شيئـًا في قومه، غير ثلاث مقطعات يهجو بها عمته أم موسى ويتهمها بمتطبب نصراني يقال له وهب[٦٣]، وفي ذالك ما فيه من إساءة لقومه ونسائهم، مما يدل على سوء خلقه، وسقوط همته.

٧- حماس بن ثامل مولاهم: وتتمة لهذا البحث لابد من الإشارة إلى شاعرين مغمـورين من موالي الأمـويين ومخضـرمي الدولتيـن، ولـمْ تكن لهما جـرأة أبي سعيد مولى فائد الـذي تقدم ذِكره، وكانا دونه إخلاصًا لـلأمويين ووفاء لهم. أمّا أولهما فحماس بن ثامل، مولى عثمان بن عفـان رضي الله عنه، وقد أشار ياقوت الحمـوي إلى أنـــه سمع إسمـاعيل القسـري يـذم بني أميـــة ويسبهم في مجلس السفاح، فـأنكر عليـه ذالك وأنكر على السفـاح تسامحـه فيه، وقـال له: (يـا أمير المؤمنين أيسبّ هذا بني عمك وعمالهم، وهو رجل اجتمع والخريت في نسب،

إن بني أمية لحمك ودمك، فكُلْهم ولاتُؤْكِلَهم، فقال له: صدقت، وأمسك إسماعيل، فلم يحر جوابًا)[٦٤] وهذا موقف محمود من الرجل لو صحّ، وإن كنا لا نميل إلى تصديقه، ولا نعتقد أن مولًى لبني أمية يسمح له بحضور مجالس السفاح، ويتجرأ عليه بمثل هذا الكلام دفاعًا عن بني أمية التي مازالت دماؤهم ساخنة، والأحقاد عليهم متأججة.

ولهذا الشاعر ثلاثة أبيات يذكر فيها نجاته من أحد الأمراء بيمين كاذبة، ثم لا يجد حرجًا من حث الناس على الحلف كذبًا وتزيين ذالك لهم وتبريره:

الله نَجّى قلوصي بعدما علقت	من الأمير ومن عمرو بن سيّار
بحلفة من يمين غير صادقة	حلفتها ثم لم تلحقني بالنار
إحلف يمينًا إذا ما خفتَ مضلعةً	وتب إلى غافر للذنب غفّار[٦٥]

ورجل كهذا يزيّن الكذب للناس ويحثهم عليه طلبًا للنّجاة: ليس هو الّذي يتجرأ علّى السفاح في مجلسه، منكرًا قول جلسائه واستماعه لهم في أمر خصومه الأمويين.

٨- حفص مولاهم: وثاني هذين الشاعرين المغمورين رجل ذكره ياقوت باسم حفص مولى الأمويين، ولم يذكر له أبًا ولا ذكر مواليه فيهم، وإنما ذكر له شعرًا في مدح هشام بن عبدالملك وتهنئة له بفوز خيله في سباق أجراه، وأشار إلى روايته لشعر كثيّر عزة وإلى هجائه لبني هاشم قديمًا[٦٦]، وقد اضطر للاعتذار لعبدالله بن علي العباسي عن هذا الهجاء، بشتم مواليه الأمويين وسبّهم:

وكانت أمية في ملكها	تجور وتكثر عدوانها
فلما رأى الله أنْ قد طغت	ولم يحمل الناس طغيانها
رماها بسفاح آل الرسول	فجذّ بكفيه أعيانها
ولو آمنت قبل وقع العذاب	فقد يقبل الله إيمانها[٦٧]

هذا شاعر أعجمي مولى، ساقط المروءة، دنيْ النفس، أدخل نفسه دون مبرر في أمر لا علاقة له به، وهو الخصومة بين بني أمية وبني عمهم من الهاشميين، فكان يهجو الهاشميين تقربًا للأمويين في أيام دولتهم، ثم صار يهجو مواليه

الأمويين تقرباً للعباسيين وتزلفًا لهم، وما كان ينبغي للعباسيين ولا للأمويين قبلهم أن يسمحوا للموالي بشتم قومهم.

ولعل هذا الشاعر هو آخر الشعراء المخضرمين من الأمويين، عصبةً وولاءً، وبه نختتم هذا البحث، الذي سيتلوه بحث آخر إن شاء الله عن شعرائهم العباسيين.

(للبحث صلة) كلية الآداب - جامعة بغداد: د. محسن غياض عجيل

الحواشي:

(١) «الأغاني» ٤/ ٣٤٣. (٢) انظر «معجم بني أمية» للدكتور المنجد، في مواضع كثيرة.
(٣) و (٤) «الأخبار الموفقيات»: ٤٧٢. (٥) «معجم بني أمية»: ٨ (٦) نفسه: ١٠٥.
(٧) «الأغاني»: ١٥/ ٢٨٦. (٨) نفسه: ١١/ ٢٩٤. (٩) «معجم بني أمية»: ١٥٣.
(١٠) نفسه: ١٠٥. (١١) «الأغاني»: ٤/ ٣٤٣.
(١٢) «مقاتل الطالبيين»: ١٤٩. (١٣) «معجم بني أمية»: ٥٣. (١٤) نفسه: ١٠٥.
(١٥) نفسه: ٦٦. (١٦) «الأغاني»: ١١/ ٢٩٣. (١٧) نفسه: ١١/ ٢٩٤.
(١٨) نفسه: ١١/ ٣٠٣. (١٩) نفسه: ١١/ ٣٠٣. (٢٠) نفسه: ١١/ ٣٠٧.
(٢١) نفسه: ١١/ ٢٩٤. (٢٢) نفسه: ١١/ ٢٩٧. (٢٣) نفسه: ١١/ ٣٠٠.
(٢٤) تتايعت: تهافتت وسارعت في الشر. (٢٥) «الأغاني»: ١١/ ٣٠٨ - ٣٠٩.
(٢٦) نفسه: ١١/ ٣٠٩. (٢٧) نفسه: ١١/ ٢٩٥. (٢٨) نفسه: ١١/ ٢٩٧.
(٢٩) نفسه: ٤/ ٣٣٩ - ٣٤٠، ١١/ ٢٩٨ - ٣٠٠. [«العرب»: العبلي هذا تحدث عنه قبل صاحب «الأغاني» الزبير بن بكار في كتابه «جمهرة نسب قريش» ولكن القسم المتعلق بنسبه وأخباره لا يزال مفقوداً، أما القصيدة فقد وردت في القسم المطبوع بتحقيق الأستاذ محمود شاكر - ص ٤٩٧ وما بعدها - في ١٩ بيتاً مع اختلاف في ألفاظها، ثم أوردها المبرد في كتاب «التعازي والمراثي» - ١٦٠ - مع ورود طرف موجز من أخباره في الكتابين].
(٣٠) نفسه: ١١/ ٢٩٤. (٣١) نفسه: ١١/ ٣٠٠. (٣٢) نفسه: ٤/ ٣٣٩، ١١/ ٢٩٨.
(٣٣) نفسه: ١١/ ٣٠١. (٣٤) نفسه: ١١/ ٣٠١. (٣٥) نفسه: ٤/ ٣٣٠.
(٣٦) نفسه: ٤/ ٣٤١. (٣٧) نفسه: ٤/ ٣٥٢. (٣٨) نفسه: ٤/ ٣٥٢.
(٣٩) نفسه: ٤/ ٣٥٣. (٤٠) «معجم الشعراء»: ٣٨٤. (٤١) نفسه: ٦٧، ٣٤٩.
(٤٢) نفسه: ٣٤٩. (٤٣) نفسه: ٤٨٤. (٤٤) نفسه: ٤٨٥.
(٤٥) «الأغاني»: ١٥/ ٢٨٦. (٤٦) «معجم بني أمية»: ١٠٥.
(٤٧) «الأغاني»: ١٥/ ٢٩١، وذكر أنه قال لعبدالله بن علي عندما همَّ بقتله عند نهر أبي فُطرس: إن أبي - أي عمر بن عبدالعزيز - لم يكن كآبائهم، وقد علمتَ مذهبه فيكم، فقال له: صدقت، وعفا عنه.
(٤٨) «الأغاني»: ١٥/ ٢٩١. (٤٩) «الأغاني»: ١٥/ ٢٨٧ - ٢٩٠ و «تاريخ بغداد» ٧/ ٢٦.
(٥٠) نفسه: ١٥/ ٢٨٦. (٥١) نفسه: ١٥/ ٢٨٧. (٥٢) «تاريخ بغداد»: ٧/ ٢٧.
(٥٣) «الأغاني»: ١٥/ ١٥/ ٢٩٠ - ٢٩١. (٥٤) نفسه: ١٥/ ٢٨٨.
(٥٥) «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ٨٢. (٥٦) الورقة ٨٥ و «معجم الشعراء» ١٠٨.
(٥٧) «معجم الشعراء»: ١٠٨ والورقة ٨٥. (٥٨) الورقة: ٨٥. (٥٩) نفسه: ٨٦.
(٦٠) الورقة: ٨٦ و «معجم الشعراء» ١٠٨، وشلَّ: طردَ. (٦١) الورقة: ٨٥.
(٦٢) «معجم الشعراء»: ٥٢. (٦٣) نفسه: ٨٢. (٦٤) «معجم الأدباء» ٤/ ١٤١.
(٦٥) نفسه: ٤/ ١٤١. (٦٦) نفسه: ٤/ ١١٦. (٦٧) نفسه: ٤/ ١١٦.

من طرائف التشبيهات في كتاب «طرائف الطرف»

للبارع البغدادي (الحسين بن محمد بن عبدالوهاب الحارثي)

التشبيه أسلوب في التعبير، يقرن فيه الإنسان شيئًا بشيء آخر، بهدف التوضيح والإفصاح، والمماثلة هي جوهر التشبيه الذي تشير إليه المعاجم اللغوية[١]. بَيْدَ أن الحد الاصطلاحي يأخذ بعدًا آخر مستمدًا من وظيفة التشبيه في يد الشاعر الماهر، الذي يوجهه وجهة فنية هدفه منها أن يُغني شعره، ويثري أجواءَه وصوره الفنية، وهو بهذا المعنى فنٌ من فنون البيان، بل إنه (أصل أساسي من أصول الصور البيانية لتصويره المعنى تصويرًا هادئًا تنتقل منه إذا ما أردت التعمق في التصوير إلى الاستعارة ثم إلى الكفاية، فهذه هي الطرق المختلفة في الدلالة على المعنى وضوحًا وخفاء)[٢]. وقد اتفق البلاغيون على أهمية التشبيه و (شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وإنّ تعقيب المعاني به ولاسيما قسم التمثيل منه يُضَاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود به. مدحًا كانت أو ذمًّا أو افتخارًا أو غير ذالك)[٣]. وعدّ يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥ هـ) التشبيه (بحر البلاغة وأبا عُذْرتها وسرها ولبابها وإنسان مقلتها)[٤].

ولا يدخل في دائرة الفن ذالك التشبيه المكرور المستهلك، إذ لا يستثير فينا الدهشة، وتأتي الطرافة في التشبيه على وفق ما أورده الأقدمون من ذالك التباعد بين طرفي التشبيه (المُشَبَّه والمشبَّهُ به). وفي ذالك يقول عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ): (هكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب)[٥]. ويبدو دور الخيال في هذا الشأن حاسمًا ومهمًّا. فهو الذي يصهر طرفي التشبيه، ويظهرهما على صعيد الفن مُتَوَحِّدَيْن، يكاد أحدهما أن يكون الآخر، ولذالك عُرِّف الخيال بأنه (تلك القوة التركيبية السحرية التي تخلق توفيقًا وتوازنًا بين الصفات المتضادة أو المتعارضة)[٦]. والتشبيه الحي هو مما يتآزر فيه الفكر والوجدان كلاهما، فإذا استطاع الشاعر أن يطبع في

وجدان سامعه وفكـره، صورةً واضحةً مما انطبعَ في ذات نفسه فإنـه يكون بارعًا في تشبيهاته، وما ابتـدع التشبيه لرسم الأشكال والألوان محسوسـة لذاتها، وإنما ابْتُدِعَ لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى نفس[٧].

وفي كتـاب «طـرائف الطـرف» للبـارع البغـدادي الحسين بن محمـد بن عبدالوهـاب الحارثي (ت ٥٢٤هـ) ثَمَّةَ إضمامـة من التشبيهات، التي جاءت في الباب الخـامس (باب الأوصاف والتشبيهـات). وهي نصوص منتقاة لمجمـوعة من الشعـراء تتضمن زادًا بـلاغيًّا للقـارئ المتـذوق، وقـد كان بـاب الأوصـاف والتشبيهات ميـدانَ هذه الدراسـة ومرتكزها لمـا انطوى عليه من نمـاذج تشبيهية جديرة بالدراسة والتحليل.

وعبر اختيارات البـارع البغدادي للنصوص الشعرية الـدالة على معظم أنماط التشبيه ومنها التشبيـه المرسل الذي تظهـر فيه أداة التشبيه[٨]. يورد قول الشـاعر واصفًا ليل الصدود:

أطـــالَ ليلي الصــــدود حتـى ... أيِسـت من غُـــــرَّةِ الصبــــاحِ
كـأنــــه إذا دجــــا غُــــدَافٌ ... قــد حضن الأرض بــالجنــاحِ[٩]

عندما يتفاقم إحساس الشـاعر بالوحـدة والوحشة والترقب، إذْ يسدل الليل أستـاره الكثيفـة، فإنـه يجعل الليل قسيمًـا تشبيهيًّـا للغـداف على أرض التشبيـه المرسل، رغبة منـه في وصف ظلام الليل الحالك، وهو ليل نفسي تمتد سـاعاته مع دوام صـدود من يُحِـبُّ، ويفصح عن هـذا الليل النفسي استهـلالـه لـوحتـه الشعريـة بقوله: (أطـالَ ليلي الصدود). بَيْـد أن جَلَده يتداعى ويتهشم أمـام قسوة تلك العتمة التي تجثم على أنفـاسه فيعبّر عن نفـاد صبره بقولـه: (أيِستُ من غرة الصبـاح). وما حضـور الصباح وغـرته النـاصعة إلّا إشـارة إلى رغبَته في عـودة الوصــال، ولقائه بمن يحب، ذالك اللقـاء الذي اقترن في ذهنـه بالصبـاح ونوره، وهو يثير في ذاتـه الغِبْطة، بَيْدَ أنّ ذالك الصباح يأتي في إطار دائرة محـاطة بظلال

من العتمة المستمدة من طول الليل، واحساسه بساعاته الثقيلة التي لا تريد أن تغادر زمنه.

وتأتي أداة التشبيه (كأنَّ) في مستهل بيته الثاني كي تعقد الصلة بين الليل (المشبَّه المحسوس) والغُداف (المشبه به المحسوس). وقد اضفى المشبه به (الغُداف) على المشبه (الليل) دلالته المقترنة بالخراب والشؤم فضلاً عن لونه الأسود الفاحم. إن إحساس الشاعر بالأسى قد أحال ذالك الغداف ضَخمًا خرافيًّا يمتزج مع ظلام الليل حيث يتوحّدان فلا يرى دُجُنَّة الليل وحندسَهُ إلا جناحًا هائلاً من أجنحة ذالك الغداف يُخيِّم على الأرض برمتها فيُحيل ألقهَا عَتمةً خاوية.

ويصطرع اللونان الأسود والأبيض في إطار هذه اللوحة، حيث يعطي السياق الشعري الغلبة للّون الأسود، لذالك فإن الألفاظ الدالة على اللون الأبيض غير الصريح والمتضَمن في لفظتي (غرة) و (الصباح) تنزوي في خاتمة البيت الأول. وتتكرر الألفاظ الموحية باللون الأسود غير الصريح مثل (ليلي) و (دجا) و(غداف) مؤكدة المعنى الذي أراده الشاعر، وهو إحساسه باليأس من بزوغ الفجر الآتي، وكأنَّ الشاعر وبوعي منه ألبس لوحته الشعرية اللون الأسود حِدَادًا على فراق من يحب وصدوده عنه.

ويتكرر التشبيه المرسل في سياقٍ شعري آخر تغمره البهجة والغبطة هذه المرة في قول الشاعر:

مررتُ على رياض من شَقيق كما خُرطَتْ كؤوس من عقيق
فذكرني الحبيبَ ووجنتيه فكدتُ أشقُّ جيبي للشقيق[١٠]

يعقد الشاعر المبتهج بحلول الربيع الصلة بين شقائق النعمان (المُشَبَّه) وكؤوس من عقيق (المشبه به) وفي إطار ما دعاه البلاغيون (التشبيه التخييلي)[١١]. والجامع بين طرفي التشبيه هو الهيئة المستديرة واللون الأحمر. تعبيرًا عن الغبطة التي غمرت ذات الشاعر وهو يتأمل تلك الشقائق، وقد أضْفَى العقيق على الصورة التشبيهية دلالاته المقترنة بالتألُّق الدائم والندرة.

ولا يقف خيال الشاعر عند هذا الحدّ بل يتقصّى تفاصيل لوحته الشعرية حين تتداعى المعانى إلى ذاكرته، وهو يمعن النظر في جمال تلك الأزاهير وتألق حمرتها، فيتجلّى له وجه من يحب وحمرة وجنتيه إيحاءً باقتران الطبيعة وتوحدها مع الحبيبة في مخيلته، ويختم الشاعر هذه اللوحة خاتمة طريفة انطوى عليها قول الشاعر: (كدت أشقُّ جيبي للشقيق) نَمَّتْ عن احتفائه بالجمال حتى إنه كاد يفقد صوابه، ولا يتمالك نفسه إزاء مشهد آسر، تحضر فيه الحبيبة والطبيعة كلتاهما. وقد تضمن لفظ (الشقيق) الذي ختمَ بهِ بيته الشعري الثاني تورية[١٢] تعكس معنيين أحدهما قريب، وهو زهور شقائق النَعمان، والآخر بعيد (الحبيبة) إذ رأى بينهما صلة قرابة فهما شقيقان (الحبيبةَ والشقائق). توخّيًا للإيهام المفضي إلى الطرافة.

لقد بدا اللون الأحمر المتضمن في طرفي التشبيه (الشقيق) و (العقيق) هالة تحيط وجه الحبيبة، وتزيده ألقًا وفتنةً. إذ بدأ الشاعر بالشقيق ولونه، ثم انتقل إلى العقيق وكؤوسه، وعادَ في خاتمة لوحته الشعرية إلى الشقيق مرة أخرى تعبيرًا عن كلفه بهذا اللون وترجيحه إياه بحيث يقترن بمن يحب ويؤثره على من سواه.

كما أضفى الجناس الناقص بين لفظتي (شقيق) و (عقيق) - يؤازره تكرار (شقيق) مرتين - تصعيدًا نغميًّا يخدم السياق الشعري.

وتخدم أداة التشبيه وتكرارها هدف الشاعر في توالي المشبه به الذي أراده قسيمًا تشبيهيًّا لرمز من رموز البطولة العربية (السيف) (المشبه)، فكان لَهَبًا مرةً ونارًا ثانية وماءً ثالثة وفي إطار ما يدعى بـ(تشبيه جمع)[١٣] في قول الشاعر:

له حسامٌ صقيل المتْن جَرّدُهُ ... كأنه ملَكٌ في كفه لهب

كالنار بالأثرِ لكن ليس مشتعلاً ... كالماء بالجرم لكن ليس ينسكب[١٤]

يحتضن هذا النمط من التشبيه (تشبيه الجمع) ثلاثة تشبيهات أولها: تشبيه تمثيلي انتظم البيت الأول إذ يتجلّى الممدوح وسيفه (المشبه) (ملكًا في كفه

لهب) (المشبه به) وقد أضْفَى الملك خزينه الدلالي المقترن بالسمو والنقاء على الممدوح، كما أسبغ اللهب على الحسام إيحاءَين متضادَّيْن فاللهب يمنح الحسام دلالات الرعب والخوف التي تستقر في قلوب الأعداء من مضائه ووقائعه من جانب. كما يمنحه إيحاءات النور الذي يُستضاء بهِ من جانب آخر فضلاً عن شدة تألقه ولمعان نصله.

وثانيها: تشبيه مرسلٌ قرن بين الحسامِ (المشبَّه) و (النار) (المشبه به) إشارة إلى قدرته على دحر الأعداء إذْ يعكس هذا الاقتران حركة الحسام السريعة في سوح القتال فهو حسام لامع لا يُرى إلا ناراً يحرق لهيبها فلول الأعداء، ويهزم جيوشهم. ويَنُمُّ استدراكه (ولكن ليس مشتعلا) عن أن هذا الحسام يمتلك تألقًا دائمًا. وهو ليس قرين النار التي تخلف إثْرَها رماداً بل إنّ الحسام يترك بعده مناقب تضيء صفحات التاريخ بألقها المتجدد.

وثالثها: تشبيه مرسل آخر يجعل من الماء (المشبه به) قسيمًا تشبيهيًّا للحسام (المشبه) إفصاحًا عن حدة نصله، وسرعة قطعه، ويعكس استدراك الشاعر (ولكن ليس ينسكب) طبيعة هذا الماء الذي ينبع من مخيلة الشاعر ويصبّ في مصبّ تشبيهه الطريف.

ويعي الشاعر تأثير الحواس ودورها في إعطاء لوحتِه التشبيهية طابعها المميّز فهاهي حاسة البصر تحضر بحضور الألفاظ (حسام، لهَب، نار، ماء) تليها حاسة اللمس متمثلة بالنعومة المستمدة من اللفظين (صقيل) و (ماء) والحرارة المستقاة من اللفظين (اللهب، النار).

وترفد الموازنة(*) نسيج التشبيهين المرسلين بالرونق والجَرْس البديع(**) إذ يحتضن الطرف الأول للموازنة (كالنار بالأثر، لكن ليس مشتعلاً) لوحة الحسام وقد أضفت عليه الصورة التشبيهية دلالات القوة وشدة التأثير. ويكشف الطرف الأخر للموازنة (كالماء بالجرم لكن ليس ينسكب) عن إيحاءات البطش وسرعة

الضربات لذالك الحسام، وتشتدُّ الموازنة أطرافَ التشبيهين حيث يبدو أن تحت جناحيها أشدّ تلاحمًا وأكثر تقاربًا لاسيما أنها وازنت بين (النار) و (الماء) بوصفهما رَمْزَيْن متضادَّيْن يجتمعان في إهاب هذا الحسام فتشع أكثر من دلالة عبر اقترانهما الطَريف.. كَما أراد الشاعر من موازنته بين (لكن ليس مشتعلاً) و(لكن ليس ينسكب) أن ينفي عن ذالك الحسام (المشبه) الدلالات المألوفة ليخلع عليه إيحاءات جديدة تُثري السياق الشعري.

وحين تتوالى التشبيهات المرسلة فإن الخَيط الذي ينتظمها هو التشبيه المقرون[15] في قول الشاعر:

وليلةٍ مشرقةٍ كليلةِ المعراجِ
والنجم في الغرب يُرى كزئبقِ رجراجِ
والصبحُ مثلُ صارمٍ يُسَلُّ باستدراجِ[16]

يسبغ الشاعر في البيت الأول على ليلته (المشبه) هالة من القدسية والأجواء الروحانية السامية، حين يقرنها وعلى أرض التشبيه بـ(ليلة المعراج) (المشبه به) وهو يورد وجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه (مشرقة) مما يجعل هذا التشبيه يدخل في مضمار التشبيه المفصل[17]. ويتوقف الشاعر في البيت الثاني عند أفق تلك الليلة ووشي نجومها فتتجلّى له النجوم (المشبه) - في إطار التشبيه المرسل - زئبقًا رَجراجًا (المشبه به) ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المحسوسين هو اللون والتألق المتذبذب جرّاء وميض النجم، وغياب استقراره أمام عين الرائي. ويختتم الشاعر لوحته التشبيهية بتشبيه مرسل، قرن بين الصبح (المشبه) و (الصارم) (المشبه به) ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه هو الظهور الوَئيد للصبح، وقد أورده الشاعر بقوله (يسل باستدراج) فأدخله في إطار تشبيه مفصَل آخر.

وقد منح تكرار حرف الصاد ثلاث مرات (ص، ص، ص) وتكرار حرف

السين مرتين (س. س) الصورة التشبيهية تصعيداً نغميًّا، ناسب فيه تكرار حرف الصاد صخب النهار وضجيجه. واتسق تكرار صوت السين مع أجواء الهمس التي تشوب الليل فلا تعكر صفاءه، كما ربط تكرار الحروف (الراء والألف والجيم) في (معراج، ورجراج، واستدراج) التشبيهات الثلاثة التي وردت تحت ظلال التشبيه المقرون بخيط إيقاعي، يؤكد رغبة الشاعر ورجاءه في مكوث تلك الليلة المترعة بالغبْطة والمسرة، وغياب رغبته في حلول الصبح قرين الصراع مع هموم الحياة ومصاعبها، فكأنه كان وبوعي منه يكرر (راج، راج، راج) كي يطمئن ذاته إلى دوام ساعات تلك الليلة الساحرة.

ويتفنن الشاعر في إيراد أدوات التشبيه التي انتظمت هذه اللوحة التشبيهية فنجده يستخدم الاسم (مثل) والفعل (يرى) والحرف (الكاف) رغبة منه في التنويع وخرقًا لرتابة التكرار.

ويصطفي البارع البغدادي تشبيهًا مقرونًا آخر يُجَلّي من خلاله دور القلم في إعلاء شأن الكلمة الخيّرة وقدرتها الفاعلة على إقامة الحق ونصرته إذْ يورِد قول الشاعر:

وأعجميّ عربيّ اللسان	لسانُه يشبه حدَّ السنانْ
أخرس لا ينطق إلا إذا	قطعتَ بالسكّين منه اللسانْ
منطقُه همْسٌ ولكنّه	يسمع منه كلّ قاصٍ ودانْ
يمضي مضاء الصارمِ المنتضَى	بالخوف في أوطاره والأمانْ(١٨)

جاءت هذه اللوحة التشبيهية على هيئة لغز يُحفّز ذهن القارئ إلى معرفته يطالعنا فيها التشبيه المرسل الذي انتظم قوله (لسانه يشبه حد السنان) والجامع بين طرفي التشبيه (لسانه) (المشبه) وحد السنان (المشبه به) هو الشكل والهيئة من جانب، والقدرة على إعلاء شأن الحق ودحر الباطل من الجانب الآخر. ويأتي التضادُّ في إطار هذه اللوحة كي يكرِّسَ طرافة الأحجية بحيث تبدو للقارئ غير منطقية لأول وهلة بَيْدَ أنها وبعد إمعان النظر إليها تتخلّى عن حجبها، وتسفر

واضحة جلية. وثَمّةُ طرافة أخرى مفادها أنّ الشاعر عبر عن أداة الكلمة الخيّرة (القلم) بصور سمعية مستقاة من الألفاظ (اللسان، لسانه، ينطق، اللسان، منطقه، همس، يسمع) مما يبرر اختيار المصنف لهذه الأبيات إذ أنّهُ يروم «طرائف الطرف» كما نصّ على ذالك من خلال عنوان كتابَه.

ويفصح التشبيه المتضمن في قوله: (يمضي مَضاء الصارم المنتضى) وهو يقرن بين القلم (المشبّه) والصارم المجرد من غمده - عن المعنى ذاته حين جمع الشاعر بين القلم والسنان على صعيد التشبيه الأول. بما يوحي بأن الكلمة الخيّرة في حالة حرب دائمة ضد كل دلالات الشر، وأنها تبقى بذالك متألقة تألق القيّم النبيلة التي تحركها.

لقد لجأ الشاعر إلى أكثر من أسلوب فني، كي يفصح عما يريد، ومن ذالك أنه أسبغ السمات الإنسانية على القلم فبدا كائنًا إنسانيًّا مفعمًا بالحيوية والعنفوان، فضلاً عن أن الشاعر ألبس الكلمة الخيّرة رداء الحواس، فبدت مدججة بالسلاح، متأهبة للفتك كي يؤكد فكرته في أن القلم قد يفعل مالا يفعله الصارم والسنان كلاهما.

ويورد صاحب كتاب «طرائف الطرف» عنقودًا من التشبيهات ظللّها التشبيه المقرون بظلاله انتظمت قول شاعر تلبّث عند عتمة الليل ووَشْيِ نجومه:

فَيالك من ليل أثيث شعورُهُ أخذتْ جلابيبَ الدّجى فيه أمْزقُ
وأرعَى نجومَ الأفقِ فيه كأنّها على كفّ مفلوج المفاصلِ زئبقُ
أشبّهُ نجم الرجم عند انقضاضِهِ بمعبل مرماةٍ على القوسِ يرشقِ

●●●

كأنّ سهيلاً عاشقٌ متململ يلجّ بعينيه السّهادُ المؤرّقُ
كأن الدجىٰ والصبح ينشرُ بردهُ على الجوّ زنجيٌّ تبسّمَ أروق[19]

يسبغ الشاعر السّمَات الإنسانية على الليل فيبرزه كائنًا يعي ذاته، يحاوره

الشـاعـــر في مستَهل لوحته الشعرية ويناجيه (فيالك من ليل..) تعبيرًا عن سخط الشاعر على ذالك الليل من جَانب، ورغبتهِ في إبعاد هواجس الوحدة ووساوسها في تلك الليلة الحالكة الظلام.

وحين يـرتـدي ليل الشـاعر (الأثيث الشعـور) جـلابيب الـدجى فإن تشبيهًـا بليغًا[٢٠] يتشكل. ووجـه الشبـه الـذي يجمع بين طـرفي التشبيـه المحسـوسين المفـردين (الدُّجَى) (المشبَّـه) والجلابيب (المشبـه به) هـو الكثافـة والإحاطـة والاشتمـال. ويفصح الفعل (أمْـزق) عن سعي الشاعـر في تبـديـد تلك الدُّجنَّـة وأستَارهـا الكثيفة، فضـلاً عن انَ هذا الفعل انطـوى على معطيات حـاسة السمع واللمس، فأما الأولى فإنهـا تستقى من حركة تمزيق تلك الجـلابيب (المشبَّه به) وما تحدثهُ من أصداء تشق سكون الليل وصمته، وأما الأخرى فإنها تستوحى من الشروع بمسك تلك الجلابيب وخرقها.

ينسج الشاعر في البيت الثاني تشبيهًا تمثيليًّا يعقد الصلة من خلاله بين (نجوم الأفق) (المشبَّه) و (الزئبق على كف مفلوج المفاصل)، (المشبه به)، حيث يسبغ فيه المشبه بـه المركب على (نجوم الأفق) دلالات الحركة السريعـة غير المتَّسقة والمستـوحاةَ من طبيعـة الـزئبق الرجـراجـة من جانب، وطبيعـة حـركة مفلـوج المفاصل وهـو يمسك بالشيء من جـانب آخر. وقـد نَمَّ الفعل (أرعَن) عن تأمل الشـاعر لسمـاء الليل ونجومهـا المتألقـة حتى تراءت لـه تلك النجوم (المشبـه) قطعانا يسوقها الشاعر منذ ظهورها على صفحة الأفق وحتى رحيلها.

ويتَلَبَّثُ الشاعر في البيت الثالث عند حـركة الشهاب وما يثيره مروره في الأفق المعتم من حركة خاطفـة، وضوء باهر، فيصوغ تشبيهًا تمثيلـيًّـا يقرن من خلاله بين نجم الـرجم (المشبـه) و (معبلّ مرمـاة على القـوس) (المشبـه به). وتسبغ لفظـة (معبلّ) دلالاتهـا المعجمية(*). المـوحيـة بشـدة الإصابـة من جـانب، وسـرعـة الإنطلاق من جانب آخر، كما كرَّسَ اللفظان (الانقضاض) و (يرشق) هذه الحركة السريعة للشهب، وهي تحفر بنورها عتمة اللّيل لتطفئْ بحضورها كل الشرور.

ويَهَبُ الاقتباس[٢١] المستقى من (نجم الرجم) هالـة من القدسية على أجواء الصورة التشبيهية، تلك الأجواء المستمدة من عظمة الأسلوب القرآني وإعجازه، وما يشيعه من إيحاءات سامية مرتبطة بالنور والبركة إذ استحضر هذا التشبيه قوله تعالى: ﴿ولقد زيَّنَّا السماءَ الدُّنيا بمصابيحَ، وجعلناها رجُومًا للشياطين﴾[٢٢].

ويمنح الجناس الناقص بين (نجم) و (رجم) الصـورة إيقاعيـة محبّبة تثـري السياق الشعري وتعزّزه.

ويتواصل الشاعر في البيت الرابع مع لوحة الليل، حيث يحلّ سهيل (المشبه) تحت أفق التشبيه التمثيلي – في إهاب (عـاشق) (متَمَلْمل) يؤذي (عينيه) السهادُ والأرق. لقد استثمر الشاعر هذا التشبيه كي يعكس إحساَسَه بالضجر من السهاد، وسأمه من ذالك الليل الذي اقترن في ذهنه بالنَّصَب والأرق.

ويأتي البيت الأخير حـاملاً بين طياتـه بشائر الصبح، إذ يطالعنـا تشبيه تمثيلي يعقد الصلة بين امتزاج ضيَاء الصبح مع عتمـة الدُّجَى (المشبه) و (ابتسامة زنجيّ أروق) (المشبه به) ووجـهَ الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيـه المحسوسين هو انـدماج اللـون الأبيض باللـون الأسـود، ويمنح الفعل (تبسّم) التشبيه إيحـاءات الغبطة والمسـرة التي غمرت روح الشـاعر، وهو يـرقب الحركـة الوئيـدة لأشعّة الصبح الذي تجلى له كَـائنًا ينشر برده الوضـاء على الأفق المعتم فيبدّد بحضوره جلابيب الدُّجى وقد أحاطَت ذات الشاعر بحلكتها ولونها الفاحم.

ومن الواضح أن اللّونين اللـذّين يصطرعان بين جنبات هذه اللـوحة التشبيهية هما اللونان الأسود والأبيض، حيث يبدأ الشـاعر بوصف الظلال المعتمة لذالك الليل، بَيْدَ أنه لا ينسى بهاء نجوم الأفق وضيـاءها المتألق. كما أنهُ راقب الشهاب المارق بسـرعة السهم، في قلب الأفق. ولاحظ سهيلاً العـاشق الأرق. وكل هذه السمات البيض ممـا يوشي جلابيب الـدجى السود، ولكن الشاعـر يختم تشبيهه المقرون بغلبـة اللون الأبيض الناصع بعـد أن يكتسح اللون الأسود ويـزيحهُ من أرجاء اللوحة الشعرية.

ويتكرر التشبيه المقرون في النماذج الشعـرية التي أوردها البارع البغدادي في (باب الأوصـاف والتشبيهات) فهـاهو ينتقي نصًّـا شعريًـا يعبر عن بعض مظـاهر

البيئة العربية، ومنها احتفاؤها بالفرس، حتى أن الشاعر لم يجد قسيمًا تشبيهيًا للفرس (المشبه) أقل شأنًا من الشهاب في قوله:

وشهباءَ تستهوي القلوبَ بحسنها إذا لَمَعتْ قُلْنَا وميض شهاب
وإنْ عصفتْ تحت الأمير حسبتَها مبشرةً بالرزقِ تحت سحابِ[٢٣]

يشكل الشاعر تشبيهًا بليغًا تجلت من خلاله الفرس (وميض شهاب) وقد خلع (المشبه به المحسوس) (وميض شهاب) على الفرس دلالات الظهور الخاطف الوضّاء، الذي يبدد عتمة الظلام وحندسه، ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المفردَيْن هو اللون المشرق، والسرعة الفائقة. ويعود الشاعر إلى الطبيعة فيصطفي منها ما يعزز سمات تلك الفرس (المشبه المحسوس) فإذا بها قرينة العاصفة بدلالة الفعل الماضي (عصفت) ومايجمع بين الفرس والعاصفة هو السرعة الخاطفة والقوة. وإذا بالأمير مثل سحاب فوقها وقد وهبت لفظة (السحاب) التشبيه التمثيلي سمَات الخصب والخير العميم والنماء، تلك السمات المستقاة من طبيعة البيئةَ العربية وصحرائها، التي تسعد بالغيث وقَطْره. ويكرس اللفظان (مبشرة) و (الرزق) هذا المعنى إذ يُشيعان أجواء اليُمْن والخَير المعقودَيْنِ بناصية تلك الفرس الشهباء. وتعزز الأفعال (تستهوي، لمعت، عصفت، حَسبتها) التي شكلت قوام التشبيه المقرون أجواء الحركية والقوة، وجمال الشكل وهي لوازم الأصالة في لوحة الفرس الشعرية.

ولأنَّ التشبيه التمثيلي يتسم بالإحاطة وتقصي التفاصيل فإن الشاعر لا يكتفي بمجرد عقد الصلة بين شيئين، وإنما تتسع دائرة التشبيه من خلاله، ولذالك يحتاج وجه الشبه فيه إلى إمعان فكر، وقد عبر عن هذا المعنى عبدالقاهر الجرجاني حين ذكر بأنه ماكان وجه الشبه فيه مُحَصَلاً بضرب من التأويل[٢٤]. ويجد الشاعر مبتغاه في التشبيه التمثيلي وسيلة تعبيرية يرصد من خلالها حركة الحصان الأصيل، وتناسق أعضائه وهذا مما وقف الشعراء العرب عنده كثيرًا ولكن الشاعر يبغي الطرافة إذ يقول:

وأشْهَبَ وقَّـــــاد الأديـمِ مطهَّـمٍ   إذَا عَنَّ في الليـل البهيمِ تـوضّحـا
متى مـا عـلاه السيِّدُ القـرمُ خِلتَـه   سحابًا يُقلُّ الشمسَ في رونق الضحى(٢٥)

وتسبغ الصفـات (أشهب) و (وقَّاد الأديـم) و (مُطهَّم) على الحصان سمـات الأصالة والجمال. وكـي يسوِّقَ الشاعر القارئَ لمعرفة المـزيد من تلك السمات فإنه يجعل من عتمة الليل ميدانًـا لاستحضارها إذ يقول: (إذا عَنَّ في الليل البهيمِ تَوَضَّحا) إشارة إلى إشراق لونه، ونصاعـة بياضه الذي يبدد دُجَنَّة الليل، والشاعر يمهد بـذالك لصورتـه التشبيهية التمثيليـة، التي انتظمت البيت الثاني حيـث عقد فعل التشبيـه (خلتَـهُ) الصلة بين (السيـد القـرم وحصانـه) (المشبـه) و (الشمس والسحاب) (المَشبه به) ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المحسوسين المركبين في هـذا النَّمط من التشبيه ينتزع من متعـدد فهو قد يعني الجمـال، وقد يعني الخصب والنمـــاء وقــد ينم عن كل الإيحــاءات المستقـــاة من الشمس والسحاب لاقترانهما بالحياة والعنفوان.

ويتقصَّى الشاعر مـلامح المشبه به وسماته، فهو لا يـرمقه في كل الأوقات بل يتخيّر زمنًـا يبرز فيـه جمال المشبه بـه فيذكره محـددًا (في رونق الضحى) حيث تكون أشعة الشمس الذهبية ساطعة وتُثِير فيما حولها البهاء والغبطة.

ومثلمــا جعل التشبيــه التمثيلي من الشمس زمن الضحـى قسيمًا تشبيهيًّــا للممدوح، فإنـه في موضع آخـر من باب الأوصـاف والتشبيهات يجعل الشمس (غداة صَحْوٍ) قسيمًا تشبيهيًّا للوكف في قول الشاعر:

بـدت شمـس النهـار غـداةَ صَحْـوٍ   على وجـه السمــاء بـلا حجـاب
فمـــا شبهتهـــا إلا بـــوكْـفٍ   على المـرآة مـن ذهب مـذاب(٢٦)

وحين ينسج الشاعر تشبيهًا تمثيليًّا فإنه يذيب في غضونه تشبيهين، فأما الأول فقـد قرن بين شمس النهـار (المشبَّه) والـوكف (المشبـه بهِ) ووجـه الشبه الـذي يجمع بين طـرفي التشبيه المحســوسين هو الـرقة والانسيـاب، فضلاً عن الهيئـة والتألق. وأما الأخـر فقد عقد الصلـة بين الأفق (وجه السماء) (المشبـه) و (مرآة

من ذهب مُذَاب) (المشبه به) مستثمرًا إيحاءات (المرأة) المقترنة بالصفاء من جانب، ودلالات (الـذهب) الموحية باللـون الأصفر البراق، والنـدرة من جانب آخـر. ويكشف هـذا الـربط بين التشبيهين عن وعي الشـاعـر في تشكيل صـورة تشبيهية مركبة يتلاشى حسنها لو أن الشاعر أورد التشبيهين منفردين.

زَخَرَ هـذا التشبيه بالحـركة والعنفوان، علـى الرغم من غلبة حضـور الأسماء إزاء حضـور الأفعال فيمـا عـدا حضـور فعلي التشبيـه (بَدَتْ) و (شبهتهـا) إذْ أن للأسماء التي شكلت قوام هذه اللوحة الشعرية حيوية تنبع من طبيعتها الموصولة بالحياة وتجددها.

لقد تـوخَّى الشاعـر الطرافة حين لـوَّنَتْ ريشته جنبات بيتـه الشعريين بـاللون الأصفر البـرَّاق عاكسًا ما يثيـره حضور هذا اللـون الذي غَمر رَوحه بإحسـاسات الغبطة والارتياح.

ويورد صاحب كتاب «طرائف الطـرف» نصًّا آخر، ينتظمه التشبيه التمثيلي في قول الشاعر:

أنفسنـا بـالهـلال مـرتـاحـه   لمـا إليـه العيـون لمـاحـه
رأيـتُ والمشتـري تسنمـه   جـام لجين عليـه تفـاحـه(٢٧)

يستهل الشاعر وصفه للهلال بصورة تقـريرية انتظمت البيت الأول غابَ عنها الجانب الرامز، وحضرت المفردة التي قلّ اكتنـازها بالإيحاء. فهي ألفاظ مباشرة المعنى لُفَّت بغلالـة إيقاعية، عبـرت عن إحساسـات الغبطة التي يثيرهـا حضور الهلال ونوره الهادئْ المبدد لعتمة الأفق وظلامه.

ويصوغ الشـاعر في البيت الثـاني تشبيهًا تمثيليًّا انتظـمَ شطري البيت احتضن الشطر الأول كفة المشبه (الهلال والمشتري)، وضمّ الشطر الآخر كفة المشبه به (جـام لُجَيْن، وتفاحـة). وقد غـابَ وجـه الشبه الـذي يجمع بين طرفي التشبيـه المحسـوسيْن المركبين كي ينفتح بـاب الخيـال أمام القـارئْ لينتقي ما يشـاء من وجوه التشبيه المنتزعة من أمور متعددة.

ويحلو للشاعر من خلال تشبيهـه التمثيلي أن يتذوق جمال سماء تلك الليلة، وهي تزدان بهـلال ناصع البياض، ونجوم متـألّقة فبدا الهلال، وعبـر فعل التشبيه (رأيت) جامَ لُجَيْن مترعًا بـالأريحية والمسرة، تتذوقه عيون الشـاعر فتطير روحه نشوة وغبْطـة. ومثلما تجلّى لهُ الهـلال (جام لجين) فإن نجم المشتري المتـوقد إزائه قد حل، في اهاب (تفاحة) رغبة من الشـاعر في أن يستحضر أكثر من حاسة مستمدة من حضـور التفاحـة وإيحاءاتهـا الذوقية والشميّـة واللمسية والبصرية. وبذالك فقـد وظف الشاعـر أكثر من حـاسة ليعكس انشغـاله وولهـه بتلك الليلة وجمال أُفُقها الذي ملك عليه حواسه، وقد أغفل حاسة السمع واعيًا، كي يُتاح لهُ أن ينعم بالَهدوء الذي يبعده عن ضجيج النهار وصخبه.

ويطالعنا البدر والمشتري من خلال تشبيه تمثيلي آخر انتظم قول الشاعر.

ويحضر نمط آخر من التشبيه هو التشبيه المجمل[٢٨]. في قول الشاعر:

ولمَّـا هَــزَّنـا شـوقٌ قصـدْنـا ... على حكم الهـوى روضًـا بحـاجـرْ
كأن شقــائق النعمــان فيـــه ... عيـون أُدْميَتْ منهـا المحــاجـر[٢٩]

تبث اللوحـة الشعرية الحيـاة الإنسانية في الشوق والهـوى من خلال قول الشـاعر (هزّنا شـوق) و (حكم الهوى) مفصحةً عن المشاعـر التي كانت تغالب الشـاعر وهو يحثُّ الخُطى صوب (روض حـاجر) منصاعًا لقسـوة الشوق وأمْر الهوى. وهـو بهذا يمهد لصورتـه التشبيهية المجملة التي انتظمت البيت الثاني حين وقف الشـاعر متأملاً ذالك الروض المتفتّق عن (شقائق النعمان) وقد تجلت - على أرض التشبيه - (عيونا أُدْميَتْ منها المحـاجر) ووجه الشبه الـذي يجمع بين طرفي التشبيه المحسـوسين هو اللَون الأحمـر ودلالاته المقترنـة بالحزن واللـوعة. لقد أسقط الشـاعر ما بـداخله من إحساسات على شقائق النعمان (المشبه) فتراءَتْ لهُ أناسيٌ تشاركه ألَمَه وحزنه.

ويعكس الجناس الناقص بين (حاجر) و (محاجر) جانبًا إيقاعيًّا دلالته أن هذا المكان (حـاجـر) أثيرٌ إلى قلب الشاعر بحيث لـم يجد قرينًا له مثل مـوضع بصره ونافذته على الحياةَ (محاجره).

ويُوَائم الشاعـر بين نمطين من التشبيه أحدهما تمثيلي والأخـر مقلوب، وهو يرصد غُرَّة الحصان وسرعته إبَّانَ وقت الصباح في قوله:

فكأنمـــا لَطمَ الصبـــاحُ جبينَــهُ فـاقتـص منه فخاضَ فـي أحشـائه

وبـدا لنـا في مَشْيـه من سُـرعـة فتظن أنَّ الســريحَ مـن إنشـائه[٣٠]

يستهل الشاعـر تشبيهه التمثيلي بصراع حـادّ يحصل ما بين الصبـاح - بعد أن أُسبغت عليه سمات إنسـانية - والحصـان، إذ يبـدأ الصباح ذالك الصـراع حين (يلطم الحصان) طابعًا كفه البيضاء على جبينه، إشارة إلى غـرة الحصان البيضاء المشرقة، فيقتص الحصـان منه بطريقة طـريفة تخيلها الشاعر وهـو يَرى الحصان منطلقًا بأقصى سرعتـه في قلب الأفق، آنـاء الصباح البـاكـر فكأنه (يخـوض في أحشـائه) ولأن التشبيـه المقلـوب - والـذي أسمـاه صـاحب «الطـراز» التشبيـه المعكوس[٣١] من شأنـه أن يكـرس المبـالغـة والتهـويل[٣٢] في رسم الصـورة التشبيهية فإن الشـاعر لا يجد أكثر مناسبـة منه يصف عَبْرهُ سرعـة ذالك الحصان (المشبه به) ورشاقة وثباته فيقرنه بالريح (المشبه) قسيمًا تشبيهيًّا لشدة انطلاقه بل إن (الريح من إنشائه) مبالغة من الشاعر وتـوخيًا للطرافة التي ألقتْ بظلالها على التشبيه المقلوب الذي انتظم البيت الثاني.

وبعـد؛ فإن مصنف كتاب «طـرائف الطـرف» انتقى من عيـون الشعر العـربي تشبيهـات انطـوى عليهـا البـاب الخـامـس اشتملت على معظم أنمـاط التشبيـه المعـروفـة وأبـرزهـا المـرسل، والتمثيلي، والجمع، والمقـرون، والمفصل، والمجمل، والتخييلي، والبليغ، والمقلوب.

وقد عكست هـذه التشبيهات بعض مظاهر البيئـة العربية كالحصـان والفرس والسيف والسنـان والقَلم. كمـا تغلغلت بعض مظـاهـر الطبيعـة إلى نسيج هـذه التشبيهـات فبـدَت من خـلال أحـد طرفي التشبيـه أو كليهمـا كـالليل والنجـوم والشهب والمشتـري والهـلال والبـدر والصبـاح والشمس والسحـاب والقَطْر

وشقائق النعمان. وقد ظهرت التشبيهات مضمَّخة بتأثير الحواس جميعًا حيث تعزز فاعليَّتها. كما استند التشبيه إلى مهاد بديعي، حضر من خلال الجناس الناقص والموازنة والاقتباس والتورية فوهبه قوة تأثير.

جامعة بابل - الدكتورة: وجدان عبدالإله الصايغ

الحواشي:

(١) ينظر: الفيروز آبادي «القاموس المحيط» دار الفكر بيروت (دون تاريخ) مادة (ش ب هـ).

(٢) د. حفني شرف «التصوير البياني» مكتبة الشباب، ط ٢، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٨ - ص ١٩.

(٣) الخطيب القزويني «الإيضاح في علوم البلاغة» تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٥، بيروت ١٩٨٠، ص ٣٢٧ - ص ٣٢٨.

(٤) يحيى بن حمزة العلوي، كتاب «الطراز»، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣، ج ١/ ص ٣٢٦.

(٥) عبدالقاهر الجرجاني، كتاب «أسرار البلاغة» تحقيق: هـ. ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، ١٩٥٤، ص ١١٦.

(٦) ينظر: أ. أ. ريتشاردز «مبادئ النقد الأدبي» ترجمة: د. مصطفى بدوي، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٦٣، ١١٠.

(٧) ينظر: عبدالحي ذياب «عباس العقاد ناقدًا»، الدار القومية للطباعة، القاهرة ١٩٦٥، ص ٥٠٠.

(٨) ينظر: القزويني، ص ٣٨٨.

(٩) الحسين بن محمد بن عبدالوهاب الحارثي الشهير بالبارع البغدادي، «طرائف الطرف» تحقيق: هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٨، ص ٦٩.

(١٠) نفسه: ص ٧٠. (١١) ينظر: القزويني ص ٣٣٥ - ٣٣٦. (١٢) ينظر: القزويني، ص ٤٩٩.

(١٣) ينظر: القزويني، ص ٣٧١. (١٤) البارع البغدادي. ص ٧٢.

(*) ينظر: القزويني، ص ٥٥٢ كما ينظر: العلوي، ج ٣/ ص ٣٥٨.

(**) ينظر: العلوي، ج ٣/ ص ٢٦٠. (١٥) ينظر: القزويني، ص ٣٧٠. (١٦) البارع البغدادي، ص ٧٠.

(١٧) ينظر: القزويني ٣٧٤. (١٨) البارع البغدادي، ص ٦٩. (١٩) البارع البغدادي، ص ٧٣.

(٢٠) ينظر: القزويني، ص ٣٨٣. (*) ينظر: الفيروز آبادي مادة (ع . ب . ل).

(٢١) ينظر: القزويني، ص ٥٧٥. (٢٢) سورة الملك: آية ٥. (٢٣) البارع البغدادي، ص ٧٢.

(٢٤) عبدالقاهر الجرجاني، ص ٨١. (٢٥) البارع البغدادي، ص ٧١. (٢٦) نفسه: ص ٧١.

(٢٧) نفسه: ص ٧١. (٢٨) ينظر: القزويني ٣٧٣. (٢٩) البارع البغدادي، ص ٧١.

(٣٠) نفسه: ص ٦٨. (٣١) العلوي، ج ١/ ٣٠٩. (٣٢) نفسه: ج ١/ ٣٠٩.

شعر بَلْعاء بن قَيْس الكِناني

حياته: بلعاء بن قيس بن ربيعة بن عبدالله بن يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة[١]، كان رئيس بني كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم، وكان كثير الغارات على العرب[٢]. وكان سيد بني بكر في حرب الفِجَار، وشهد أيامها الأربعة ومات قبل يوم الحُرَيْرة؛ فقام مكانه أخوه جَثَّامَة[٣].

أصيب بلعاء بالبرص عندما أسن؛ فقيل له في ذالك، فقال:(سيف الله صقله) وقيل: (سيف الله حَلاَّه) وقيل: (سيف الله جَلاه)[٤].

كان بلعاء راميًا يُصيبُ بالنبل من مكان بعيد؛ لُقِّبَ بالِعَ الجيران، لأنه كان نكدًا لجُوجا شكسًا داهيًا لاَ يرام ما وراء ظهره، ولقب بلعاء بقوله:

كأنما كانوا طعاما فَابْتُلِع[٥].

(١) قال [من الوافر]:

١) إلـى روض بــــه نَفَـلُ وبَقْـلٌ يُغَنِّي فـي أسِــرَّتِـه الــذُّبــابُ

* التخريج: «نضرة الإغريض» ٨٢.

* اللغة: النفل: نوع من البقول. الأسرة: أوساط الرياض.

(٢) قال [من الوافر]:

١) ألا أبلغ سُـراقــة: يــا ابن مــال فبئس مقــالــة الــرَّجـل الخطيب

٢) أتــرجـو أن تــؤوب بظعن ليث! فهـــذا حين تبصـــر من قـــريب!

* المناسبة: يخاطب سراقة بن مالك بن جعشم.

* التخريج: «البيان والتبيين» ٢/ ١٨٥.

* اللغة: ١- مال: ترخيم مالك. ٢- ليث: بنو ليث من كنانة رهط بلعاء. ظعن: نساء في الهوادج.

(٣) قال [من الطويل]:

١) وإني لأقــري الهمَّ حين يضيفني زمـاعًـا إذا مــا الهمُّ أعيَتْ مصـادرُهْ

٢) وأبغي صــواب الظّـنّ أعلم أنّــه إذا طـاش ظنُّ المرء طـاشت مقـادره

٣) وقد يكره الإنسان ما هو رشده ... وتُلقى على غير الصواب شَراشِرُهْ

٤) وكم كان في آل المُلَوّح من فتى ... منادًى مفدًّى حين تبلى سرائره

٥) وكم كان في آل الملوّح من فتى ... يجيب خطيبا لا تُخاف عوائره

* التخريج: «المؤتلف والمختلف» ١٥٠، «التذكرة السعدية» ٢٥١، «مجموعة المعاني» ٦٥، والثاني له في «البرصان والعرجان» ٥/ ٣٣، و«الحيوان» ١/ ٦٣ و«فصل المقال» ١٤٤، و«زهر الآداب» ١/ ٥٨، والثالث في «جمهرة الأمثال» ١/ ١٧٤، ونسب الثاني لعفرس بن جبهة الكلبي في «حماسة البحتري» ٢٥٥، والرابع والخامس في «البيان والتبيين» ٢/ ٢٨٤ لبلعاء.

* اختلاف الروايات: ١- التذكرة: زمانا. ٣- التذكرة: ما فيه رشده.

* اللغة: ١- زماع: عجول. ٣- شراشر: نفس. ٥- عوائر: كلمات قبيحة.

(٤) قال [من الطويل]:

١) تمنّى حُمَيْدٌ أنْ يلاقيَ قَرْحتي ... على صاعد يعدو كَعَدْوِ المُضَمَّرِ

٢) تخيّرتُه خيلي وخيلَ فوارس ... يردُّون في الهيجا على كل محجَرِ

* التخريج: «أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها» ١٤٧.

* اللغة: ١- قرحة: عض السلاح وألمه مما يجرح الجسد ويخرج من البدن. ٢- مُحجر: فرس تتخذ للنسل.

(٥) قال [من الرمل]:

١) أبلغ الحارثَ عنّي أنني ... شرٌّ شيخ في إياد ومُضَرْ

٢) رألةٌ منتفٌ بلعومها ... تأكل الفثّ وخمّان الشجر

٣) إن مضى الحول ولم أغزكم ... في عناج تهتدي أحوى طمرّ

٤) قدر الرحمن أن ألقاكم ... عارضًا رمحي على متن الأغرّ

* التخريج: «أسماء خيل العرب وأنسابها وذكرِ فرسانها» ٣٩. والأول والثاني دون نسبة في «اللسان» (رأل).

* اختلاف الروايات: ٢- «أسماء الخيل»: القت.

* اللغة: ٢- رألة: نعامة. الفثّ: نبات يختبز حبه ويؤكل في الجدب. خمان: رديء.
٣- عناج: خطام . أحْوَى: لونه أسود مائل إلى الخضرة، ويعني الفرس. طِمِرٌّ: فرس جواد.

(٦) قال [من الطويل):

١) ألا آذَنَتْنا من تَدلُّلِها مَلْس ... وقالت: أما بيني وبينك من بَلْسِ

٢) وقالت ألا تسعي فندرك ما مضى		وما أهلك العانون في القدح والضرس
٣) أتأمــرني سعــد وليث وجنــدع		ولست بـراض بـالــدنية والـوكْس
٤) يقولون: خُذْ عَقْلاً وصالِحْ عشيرة!		فمـا يأمـروني بـالهمـوم إذا أُمسى؟!
٥) فأقسمــت لا أنفكُّ حتـى أزورهم		بقُبٍّ كأمثــال المُجُــوِّعَــة الغُبْسِ

* المناسبة: صولح بلعاء على دم أخيه، ثم نكث فعنفه قومه.

* التخريج: الأبيات ١ - ٤ في «كتاب الغارات» ٣٢٧، والبيتان ٤، ٥ في «حماسة البحتري» ١٤.

* اللغة: ١ - ملس: اسم امرأة. البلس: السكوت والحيرة والانقطاع.

٢ - القدح: التآكل في الشجر والأسنان. الضرس: اشتداد الزمان.

٣ - سعد وليث وجندع: بطون من كنانة. الوكس: النقصان.

٤ - عقل: دية. ٥ - جمع أقب، وهو الفرس الضامر. المجوعة: الجائعة، وهي الذئاب. الغبث: لون الرماد.

(٧) قال [من الطويل]:

١) حملت عليه الـوَرْد حتى تـركتـه		تليـلا يسـفُّ التـرب واللـون فــاقع

* التخريج: «أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها» ٢٥٤.

* اللغة: ١ - الورد: فرس. تليل: صريع.

(٨) قال [من الطويل):

١) رأتني صريعَ الخمر يـومًا فَسُؤْتُهَا		وللشّــاربيهـا المـدمنيهـا مصــارعُ

* المناسبة: لامته امرأته على إدْمان الشراب وقالت: (ذهبت بشريك) أيَ قتلك الشرب.

* التخريج: «المختار من قطب السرور» ١٢٠.

(٩) قال [من الطويل]:

١) معي كلُّ مستــرخي الإزار كأنّــه		إذا مشى من أخمص الــرِّجل ظـالعُ

* التخريج: «البرصان والعرجان» ٣٣، ونسب البيت لحسابن بن ثابت في «خَلْق الإنسان» لثابت ٣٢٣.

* اللغة: ١ - مسترخي الإزار: مترف. أخمص: ضُمْرُ باطن الرِّجْلِ الذي يتجافى عن الأرض إذا مشى الإنسان.
ظالع: به عرج.

(١٠) قال [من الكامل]:

١) ومغيـر حجر قـد جـررت برجلـه		بعــد الهــدوّ لـــه قـــوائم أربعُ

* التخريج: «البرصان والعرجان» ٣٣.
* اللغة: ١- مغير: الذي يغير، وربما يعني الفرس. حَجْر: دفعٌ ومنع.

(١١) قال [من الكامل]:

١) مهلاً دُريدُ عن التسرّعِ إنني ... ما في الجَنَانِ بمن تسرَّعَ مولعُ
٢) مهلاً دريدُ عن السفاهة إنني ... ماضٍ على رغمِ العداة سميدَعُ
٣) مهلاً دريدٌ لا تكنْ لاقيتَني ... يوماً دريدُ فكل هذا يُصنَعُ
٤) وإذا أهانكَ معشرٌ أكرِمهُم ... فتكون حين ترى الهوان وتسمع

* المناسبة: يخاطب دريد بن الصمة.
* التخريج: «كتاب الغارات» ٣٣٧.
* اللغة: ٢- سميدع: سيد.

(١٢) قال [من الرجز]:

١) إمَّا تَرَيْني اليومَ من لحمي الضَّبَعْ ... ٢) ورَخَماتٌ وبُغاثٌ قد طَمِعْ
٣) قد أخصمُ الخَصْمَ وآتي بالربُعْ ... ٤) وأرفعُ الجفنةَ بالهَيْدِ الرُّقَعْ
٥) من قيسِ قيسِ عامرٍ ومن شُجُعْ ... ٦) أنا ابنُ قَيْسٍ سَبُعًا وابنُ سَبُعْ
٧) أبارَ من قيسٍ قبيلاً والتَمَعْ ... ٨) كأنما كانوا طعامًا فابْتُلِعْ

* التخريج: الأشطر ١ - ٥ في «حماسة البحتري» ٢٠٨، والأشطر ٦ - ٨ في «الروض الأنف» ٢/ ٥٣.
* اللغة: ٢- رخمات: جمع رخمة طيور ضعيفة تأكل الجيف. بغاث: ضعاف الطير.
٣- الربع: المرباع، أي ربع الغنيمة. ٤- الجفنة: وعاء يوضع فيه الطعام للأكل.
٦- سبع: أسد. ٧- أبار: أهلك وأفنى. التمع: ذهب بهم، أي أهلكهم.
٨- بهذا الشطر سمي بلعاء.

(١٣) قال [من الوافر]:

١) تركتُ ابنَ الحريز على ذمام ... وصحبته، تلوذ به العوافي
٢) ولم يصرف صدور الخيل إلا ... صوائحُ من أيائيم ضعافِ
٣) وقِرْنٍ قد تركت الطير منه ... كمعتنز العواركِ من منافِ

* التخريج: «معجم البلدان» ٥/٢٠٣ [مناف] والثالث في «الأصنام» ٤٨.
* اختلاف الروايات: ٣- «معجم البلدان»: كمعترك.
* اللغة: ١- الذمام: الحق والحرمة. العوافي: الكادون على عيالهم.
٢- صوائح: صياح. أيائم: من لا أزواج لهم من الرجال والنساء.
٣- قرن: كفء وند. معتنز: تنحّى وبعد. العوارك: الحائضات.
مناف: صنم، كانت العوارك لا يقربنه.

(١٤) قال [من البسيط]:

١) وفارسٍ في غمار الموت منغمس ... إذا تألّى على مكروهة صَدقا
٢) غَشّيْتُه وهو (؟) جأواءَ باسلةً ... عَضْبًا أصاب سواءَ الرأس فانفلقا
٣) بضربة لم تكن مني مُخالَسةً ... ولا تعجَّلْتُها جُبْنا ولا فَرقا
٤) فإن تكن عبرتي ظلت أكفكفها ... فربَّ قرْن أمَلْتُ الرأس والعنقا

* التخريج: الأبيات ١ - ٣ في «ديوان الحماسة» ٣٣، «التذكرة السعديّة» ٤٣.
والرابع في «إصلاح ما غلط فيه النمري» ٣٣.
* اللغة: ١- تألّى: أقسم. ٢- جأواء: كتيبة يعلوها السواد لكثرة الدروع. عضب: سيف قاطع.

(١٥) قال [من الطويل]:

١) إذا الهَشِمُ القَهُّ اشترى بناته ... وجدِّكَ لم أرقع بهن خلالي
٢) جعلت بناتي في موالٍ قَصْرةً ... وما راعني ذو شورة وجمال
٣) وما راعني شكْد وبُرْدًا سحابة ... ولا ذرع نوبي أشق طوال
٤) رأيت الألى يأتون للحق دعوتي ... مواليَّ، والأقْصَيْنَ غيرُ موالي
٥) ولست ببانٍ لامرئٍ سَمْكَ بيته ... وأترك بيتي خاويا بخمال

* التخريج: «جمهرة نسَب قريشٍ وأخبارها» ٢٦١.

(١٦) قال [من الكامل]:

١) فلكَمْ هريرة ما تجفُّ دموعها ... أهُريرُ ليس أبوك بالمطلول!

* التخريج: «نسب قريش» ٣٥٢.
* اللغة: ١- هريرة: بنت المحجل بن قيس أخ بلعاء. المطلول: من ذهب دمه هباء ولم يثأر له.

(١٧) قال [من البسيط]:

١) يُبْكَى علينا ولا نبكي على أحد   لنحن أغلظ أكبـاداً من الإبل!

* التخريج: «ثمار القلوب» ٣٤٨، «المستقصى في الأمثال» ١/ ٦٩، ونسب لبلعاء بن عصيم في «اشتقاق أسماء الله» ١٩٨، وللمهلهل بن ربيعة في «قواعد الشعر» ٥٤، وللمخبل السعدي في «عيون الأخبار» ٢/ ١٩٢. ولمنيع ابن معاوية المنقري في «جمهرة النسب» ٢٢٣ و «أدب الخواص» ١٠١. ودون نسبة في «زهر الآداب» ٢/ ٧٧٤.

(١٨) [من الوافـر]:

١) جزى الله ابن عروة حين أمسى   عقـوقـا والعقـوق لـه أثـام

* التخريج: «مجاز القرآن» ٢/ ٨١، ودون نسبة في «الكامل» ٩٢١. ولشافع الليثي في «اللسان» (أثم).

* اختلاف الروايات: ١ - «الكامل»: من الأثام.

* اللغة: ١ - أثام: عقاب.

(١٩) قال [من الطويل]:

١) أبَيْتُ لنفسي الخَسْفَ لما رَضُوا به   ووليتهم شتْمي ومـا كنت مُفْحَما

* التخريج: «البيان والتبيين» ٢/ ١٨٥، ٢٧٥.

* اختلاف الروايات: في صفحة ٢٧٥: ووليتهم سمعي.

(٢٠) قال [من الوافر]:

١) أيـوعـدني أبـو ليلى طُفَيْلٌ   ويُهدي لي مع القلص الكلاما؟!

٢) أتـوعـدني وأنت ببطن نجـد؟!   فـلا نجـدا أخـاف ولا تهـامـا!

٣) وطئنـا نجـدكم حتى تـركنـا   حـزون النجد نحسبهـا سخـامـا

* المناسبة: جاور بنو ليث الطفيلَ بن مالك الكلابي، والد عامر بن الطفيل، ثم إن الطفيل أحب أن يتنصل من عهده لهم لعرامتهم وشرهم، فأخبرت ليلى بنت الطفيل بلعاء بذالك، فأغار بلعاء وقومه على أموال لبني عامر وهربوا بها، وقال بلعاء هذه الأبيات.

*: التخريج: «المنمق في أخبار قريش» ١١٧.

(٢١) قال [من الوافر]:

١) وكنتم مثل شـاة السـوء ظلت   تثيـر بظلفهـا ذكـرا حسـامـا

* التخريج: «حماسة البحتري» ١٧٩.

(٢٢) قال [من الطويل]:

١) دعوت أبا ليلى إلى السلم كي يرى ... بـرأي أصيل أو يـؤول إلـى حلْمِ

٢) دعـاني أشُبُّ الحربَ بيني وبينه ... فقلت لـه: مهـلا هَلُمَّ إلـى السَلْم

٣) فلمـا أبـى أرسلتُ فضلة ثـوبه ... إليـه، فلم يـرجـع بحـزم ولا عـزم

٤) وحين رمـانيهـا رميت سـواده ... ولا بُدَّ أن يـرمى سَوَادُ الـذي يـرمي

٥) فكـان صـريعَ الخيل أول وهلة ... فبعـدًا لـه مختـار عجـز على علم

٦) إذا أنت حَرَّكْت الـوغَى وشهدتها ... وأفْلتَّ مـن قتل، فـلابـد مـن كَلْمِ

* التخريج: «الحماسة البصرية» ١/ ٢١٣، ونسبت لأخيه جثامة في «حماسة ابن الشجري» ٥٣، وللحارث بنَ وعلة الشيباني في «مجالس ثعلب» ٣٣٤، ولحكمة بـن قيس الكناني في «مجموعة المعاني» ٢٠٢، ودون نسبة في «حماسة البحتري» ٥٥، ٥٦، و «الاختيارين» ١٨١، ١٨٢.

(٢٣) قال [من الطويل]:

١) لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... ولم يبـق إلا صـورة الـدم واللحمِ

٢) وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيـادتـه أو نقصـه فـي التكلم

* التخريج: «نشوة الطرب» ١/ ٣٧٩، وهما لزهير بن أبي سلمى في «شرح المعلقات السبع» للزوزني ٢٤٤، ٢٤٥، وليسا في ديوانه بروايتي ثعلب والأعلم. ونسبا لعبدالله بن معاوية الجعفري في «حماسة البحتري» ١٣٥، وللأعور الشني في «البيان والتبيين» ١/ ١٧١.

(٢٤) قال [من البسيط]:

١) كـالـرأس مـرتَفِـعٌ فيـه مشـاعـرُهُ ... تهـدي السبيلَ لـه رأس وعينـان

* التخريج: «البرصان والعَرجان» ٣١٢.

(٢٥) قال:

١) لعمـرك مـاليـثٌ وإن كنت منهم ... بتـاركـة ليث خـلافي وعصيـاني

٢) وَهُمْ أسْلَمُوني يومَ ذي الرِّمْث والغضا ... وهم تـركـوني بين هَـرْشَى وَوَدَّان

٣) وهم أخرجـوا من كل بيتين سَيِّدًا ... كمـا كَثُّـرَتْ ســادَاتُهـا قبل عَـدْوان

* التخريج: «أنساب الأشراف» ١٣/ ٢٦٨.

الإمارات العربية (دبًا): أحمد بن محمد علي بن عبيد الهنداسي

ملاحظات حول تحقيق كتاب:

«الأشباه والنظائر» للسيوطي

طُبع كتاب «الأشباه والنظائر» للإمام جلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ) عدّة طبعات، كانت إحداها تلك الطبعة التي حققها الدكتور عبدالعال سالم مكرم، ونشرتها مؤسسة الرسالة ببيروت في تسعة أجزاء.

وقد نصّ الدكتور عبدالعال على السبب الذي حمله على إعادة طبع هذا الكتاب محققًا، وهو أنّ الكتاب بحالته الراهنة تكثر فيه الأخطاء المطبعية، والتحريفات التي لا تُعَدّ لكثرتها، فضلاً عن الكلمات الغامضة، والنصوص الشعرية التي اختلطتْ بالنصوص النثرية، وبعض التركيبات التي سقطتْ بعض كلماتها فعزّتْ على الفهم. (١/ ٦)

ثم تَعرّض الدكتور عبدالعال لتاريخ طَبْع كتاب «الأشباه والنظائر» مبيِّنًا المثالب التي اعتورت الطبعات السابقة، فأخرجتها من نطاق التحقيق العلمي، وتوقف عند الطبعة الأخيرة التي حقّقها - أو نَشَرها كما يُصوِّب - طه عبدالرءوف سعد، فبيَّن أنّه في هذا الكتاب لم يفعل شيئًا غير اعتماده على النسخة المطبوعة طبعة ثانية في حيدر آباد. (١/ ٢٣)

ثم جعل الدكتور عبدالعال يسرد نقائص هذه الطبعة الأخيرة، كخلوِّها من الضَّبْط، والتعليقات، ونسبة الأبيات، وتكرارها لأخطاء الطبعات السابقة، وانتهى إلى النتيجة الآتية: (من أجل هذا كلّه فالنسخة في باب التحقيق ساقطة، لم تقدِّم جديدًا، ولم تحقق فائدة، وزادت الطين بلّةً، فأفسدت كثيرًا من صواب النسخة المطبوعة طبعة ثانية، ولهذا صمم عزمي على أن أقوم بتحقيق هذا الكتاب) (١/ ٢٨).

وقد بذل الدكتور عبدالعال جهدًا كبيرًا في إعادة تحقيق هذا السِّفْر الكبير، فجمع المخطوطات، وضبط النصَّ، وشرح الغامض، ونَسَب الشعر، ووثّق المنقول، وصوّب المحرَّف، وفصَّل الفقَر، وصنع الفهارس الوافية.

بَيْد أنّ هناك بعض الهنات التي عنّتْ لدى قراءة الجزء الأول من هذا الكتاب، فرأيتُ أن أنشرها، حتى تَبرأ منها طبعاته اللاحقة.

وتتجسم هذه الهنات فيما يلي:

أولاً: عدم الرجوع إلى بعض المصادر التي صرح السيوطي بالنقل عنها:

ومن هذا: تلك النصوص التي صرّح فيها السيوطي بالنقل عن كلٍّ من:

- ابن يعيش في «المفصَّل» (انظر: ١/ ٢٤، ٧١، ٧٤، ١١٨، ١٣٧، ١٤٨، ١٩٩، ٣١١).
- ابن السرّاج في «الأصول» (انظر: ١/ ٧١، ٢١٠، ٣٤٥).
- ابن هشام في «المُغْني» (انظر: ١/ ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٣).
- الحريريْ في «دُرَّة الَغوّاص» (انظر: ١/ ٣١٧).
- ابن جنّي في «سرّ الصّناعة» (انظر: ١/ ٣١٧).
- ابن مالك في «التَّسهيل» (انظر: ١٧٣).

وكل هذه المصادر ذائع ومطبوع، وقد كان في الرجوع إليها مُعتَصَم عمّا شاب بعض هذه النصوص المنقولة من تحريف، أو سقط، أو إقحام، كما سيأتي. هذا فضلاً عن أنّ مطابقة النصوص المنقولة على مصادرها عنصر مهم من عناصر التحقيق العلمي.

ثانيًا: الفهم الخاص لبعض العبارات والكلمات:

- (١/ ٢٥): (وقال ابن جنى في «المحتسب»... وَهُمْ لمَا كَثُرَ في استعمالهم أشدّ تغييرًا، كما جاء عنهم كذلك: لم يكُ، ولا أدْرِ، ولم أُبَلُ، تقول: وجايجي، وسايسو بحذف همزتيهما).

والصواب: (ولم أُبَلْ، وأيشِ تقول، وجايجي..) كما هو في «المحتسب» (انظر ١/ ٣٧).

- (١/ ٢٧ – ٢٨): قال ابن إياز في «شرح الفصول»: (اعلم أنّ العرب قد أكثرتْ من الاتباع، حتى صار ذالك كأنه أصل يقاس عليه، وإذا كانت قد زالت حركة الدال مع قوتها للإتباع، وذالك ما حكاه الفَرّاء من: الحمد للّه، بكسر الدال اتباعًا لكسرة اللام، وقَلَبوا أيضًا الياء إلى الواو، مع أنّ القيَاَس عكس ذالك، فقالوا: أنا أخوك، يريدون: أنا أخيّك، حكاه سيبويه).

ثم علّق المحقق على ذالك بقوله: (في ت فقط: أبا أخوك – أبا أخيك،

تحريف، ولعلّ الصواب: أنا أخوك - أنا أخيك في حالة تصغيرها).

قلتُ: بل الصواب هو: (أنا أجُوءك) يريدون (أنا أجيئك). وعبارة سيبويه في «الكتاب» (٤/ ١٠٩) وهي ما يلي: (وأما الذين قالوا: مغيرة ومعين، فليس على هذا، ولكنهم أتبعوا الكسرةَ الكسرةَ، كما قالوا: مِنِتِن، وأنبُؤُكَ وأجُوءَكَ، يريد: أجيئك وأنبئك).

- (١/ ٣٢) في سياق الحديث عن الاتساع في المصدر: (وإذا كان [أي: المصدر] بمعنى فاعل، جاز أنْ يكون صفة).

ثم علّق المحقق على ذالك التقرير في الهامش بقوله: (أي: إذا كان المصدر بمعنى فاعل جاز أن يكون صفة كالمالح والعافية، وقد جاءت مصادر كثيرة على فاعلة، تقول: سمعتُ راغيةَ الإبل، وثاغيةَ الشاة، أي: سمعتُ رُغاءها وثُغاءها).

ولا أظنّ أنّ هذا هو المقصود من التقرير الذي بالمتن، وإنما مثل قولهم: (رجل عَدْلٌ)، أي: عادل.

- (١/ ٧٥ - ٧٦): (وقال الشيخ بهاء الدين ابن النحّاس في التعليقة على «المقُرَب»: كان الأصل أنْ يوضع لكلّ مؤنث لفظٌ غير لفظ المذكَّر، كما قالوا: عَيْر وأتّان، وجَدْيٌ وعَناق... وحَصان وحَجَر [هكذا بفتح الحاءين]).

ثم علّق المحقق على المثال الأخير في الهامش بقوله: (في «القاموس» (حصن): حَصَان، كسحاب: الدُّرة!! والحَجَر: يقصد به الحَجَر الكريم!!).

قلتُ: ولا وجه للحَجَر والدُّرّة ها هنا، بل الصواب: (حِصان) - بكسر الحاء- وهو ذَكَر الخيل، و (حِجْر)- بكسر الحاء وسكون الجيم- وهي أنثى الخيل.

وقد كان يجوز في الظنّ أن يكون ضبط (الحصان) و (الحجر) على الصورة المصحّفة في متن الكتاب من صنع الطبّاع، ويُفهم اللفظان على النحو الأسَدّ، لولا تعليق المحقق عليهما في الهامش.

- (١/ ١٢٧) في سياق الحديث عن الاستغناء: (وقال الزمخشريّ في «الأحاجي»: سرادق وحمّام وبوّان في الأسماء... لم يجمعوها إلا بالألف والتاء

وهي مذكّرات ... استغناء به عن التكسير).

ثم علّق المحقق في الهامش على كلمة بوّان بقوله: (في ط والنسخ المخطوطة: بَوَّان، وشكّ مصحح الطبعة الثانية من «الأشباه» فذكر في الهامش: كذا في الأصلين، ولعله: إيوان، مع أنّ إيوان يُكسَّر فيقال: أواوين، كما في «القاموس» والصواب بَوّان، وهو شعب مشهور سجَّله المتنبي في شعره بقوله:

يقول بشعب بوّان حصاني: أعَنْ هذا يُسارُ إلى الطِّعان؟

قلت: لا وجه لـ (بَوّان) اسمًا لهذا الشِّعب المشهور هاهنا، وإنما هو (البوَان)- بكسر الباء أو فتحها مع فتح الواو غير المشددة- الذي يُطَلق على عمودَ الخباء (انظر: «الكتاب» ٣/ ٦٠٢ و ٦١٥، و «شرح الشّافية» للرضي الاستراباذي ٢/ ١٢٧، و «تاج العروس»: (بون).

ثالثاً: السقط والإقحام:

- (١/ ١٨): (فيقال هذا مُرءٌ وفُمٌ، ورأيت مَرْءًا وَفمًا، ونظرتُ مرء وفم).

ففي الجملة الأخيرة سقط، ولعلّ الصواب هو: (نظرتُ إلى مرءَ وَفمٍ).

- (١/ ٢٤): (وقال ابن يعيش في شرح «المفصَّل»... فحذفوا ألفَ الوصل من ابن، لأنه لا ينوى فَصْله مما قبله، إذا كانت الصفة والموصوف عندهم مُضارعة للصِّلة والموصول من وجوه).

والصواب: (إذْ كانت)، كما هو مُثْبَت في شرح «المفصَّل» (٢/ ٥).

- (١/ ٢٩) في سياق الحديث عن الاتساع: .. (عقد له ابن السَّرّاج بابًا في «الأصول»، فقال: اعلم أنّ الاتساع ضَرْبٌ من الحذف، إلا أنّ الفَرْقَ بينهما أنك لا تُقيم المتوسَّع فيه مقام المحذوف، وتُعربه بإعرابه).

والصواب هو حذف (لا) من قوله: (لا تقيم المحذوف)، وهي لا وجود لها في «أصول ابن السَّرّاج» (انظر: ٢/ ٢٥٥).

- (١/ ٣٠) في سياق الحديث عن الاتساع في الظروف، وقيامها مقام الأسماء: (والثاني: نحو: صيد عليه يومان، والمعنى: صيد عليه الوحش في يومين. ووُلد له الولد ستّون عامًا، والمعنى: وُلِد له الولد ستّين).

والصـواب هو حـذف كلمة (الـولـد) من المثال الأول، لأنّ هـذا هو مـوضع التـوسع فيه، ثم إنّ النص في «الأصـول» (٢/ ٢٥٥) هكـذا: (وأمَّا اتسـاعهم في الظروف فنحو قولهم... ووُلِد له ستون عامًا، والتأويل: وُلِد الولد في ستّين عامًا.

- (١/ ٢٣) في سيـاق الحَديث عن الاتسـاع في المصـادر: (وإذا تُوسِّع بهـا، وكانت عامة على أصلها لم تُثَنَّ ولم تُجمَعْ رعيـا للمصدر، وخاصة نحو: ضَرْبَ زيد، وسَيْر البريد، فربَّما جازت التثنية والجمع...).

والصواب هـو: (أو خاصـة)، لأن المقصود ذكـر حالـة أخرى للمصـادر فيها حكم خاص، هو جـواز تثنيتها وجمعها، وهذه الحَالة مقابلـة للحالة الأولى التي تكـون فيهـا المصـادر عامـة على أصلهـا، وهي في طبعـة طـه سعـد: (أو على الصواب): (انظر: ١/ ٢٠).

- (١/ ٢٦٣): (وذالك قولهم: لاه ابْنُ عَمِّكَ أفْضَلْتَ في حَسَبِ).

والصواب: (لا أفضلت)، وهو شاهد مشهور.

رابعًا: التصحيف والتحريف:

- (١/ ٢٧ - ٢٨): (وإذا كانت قد زالتْ حركة الدال مع قوتها للإتباع، وذالك ما حكاه الفَرَّاء من: الحمد لله، بكَسْر الـدال، اتباعًا لكسرة اللام.. كأن الاتباع في نحو: مُدُّو وشُدُّ أجوز وأحسن).

والصواب: (كان الاتباع...).

- (١/ ٩٥): (بـاب رَمْيَـة، يُنسَب إليـه، رَمَـوي كـذالك، والمحـذوف اليـاء الأولى، وهي الياء المدغمة في لام الكلمة).

والصواب: (باب رَميَّة) - بكسر الميم، وفتح الياء المشددة -.

- (١/ ١٥٢): (ويجاب بأنّ الحامل موجود، وهو أنّ اللفظ إذا احتيج في فَهْم معناه إلى إعمال فكْر كأن أبلغ (وآكد).

والصواب: (كَان أبلغ...).

- (١/ ٢٢٤): (وقال ابن جنّي في «الخصائص»... كما صَحّحوا عَوِرَ وحَوِلَ لمّا كانا في معنى أعْور وأحْول).

والصواب: (اعْوَرّ واحْوَلّ)، كما هو مثبت في «الخصائص» (٢/ ٢٢٤).

- (١/ ٢٤٥): (وعليه جاء قوله: وليس عَلَيْه تَبَّعه اتّباعا).

والصواب: (وليس بأنْ...) كما هو مثبت في «الخصائص»: (٢/ ٣٠٩).

- (١/ ٢٤٩): (وضـربتُه تأديبًـا منصوبٌ بتقـديـر اللام، وغـلامُ زيدٍ مجـرورٌ بتقديم اللام).

والصواب: (بتقدير اللام).

خامسًا: الأخطاء المطبعية: وقد رأيت أنْ أذكرها استتماما للفائدة، وهي كما يلي:

الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه
١/ ٢١	٩	وقياسة	وقياسه
١/ ٤١	١١	الياء	الباء
١/ ٤٤	٣	حدفت	حذفت
١/ ٤٤	٥	ابن عصفو	ابن عصفور
١/ ٥٩	٩	يفحل	يحفل
١/ ٧٠	١	مبيى	مبني
١/ ١٨٦	٢	إعباره	إعرابه
١/ ٣٤٨	٦	تثكير	تكثير

وبعد، فإنّ تحقيق نصٍّ تراثـيّ تحقيقًا علميًا أمرٌ دونه عقبـات نَسُوف، فإذا كان النصّ متعاظم الحجم كـ«الأشباه والنظائر»، وإذا كـان المؤلّف متراحب الثقافة، كـالسيوطي، فقـد بعُدتْ الشُّقّـة، وتضاعف الجهـد، فاللهم نسألك العصمـة من طَغْوة القلـم، وامتطاء البديهة، واستبهام النَّفَد.

كلية الآداب - (جامعة طنطا) - د. عبدالكريم محمد حسن جبل

مدرس العلوم اللغوية

نظام السفارة عند العرب قبل الإسلام

السّفارة منذ القـديم فنّ تحشد طاقات الشعـب للدفاع عن مصالحـه الوطنية، ولا تتجه الوجهـة الصحيحة في دعم قوة الشعب بدونهـا، وقد بلغت السفارة في عصرنـا الحاضـر بعد التطـور الذي شهـدته عبـر التاريخ، درجة تفـوّق من حيث التقدم والنضج ما كان أمرها في بدايتها.

ولكن رغم ذالك فلا شك في أن السفارة - بمعنى الإجـراء المنظم للعلاقات بين جماعة بشرية معينة وجماعة بشرية أخرى أجنبية عنها هي أقدم من التاريخ[١] وعمـرها ليـس أقل من عمر الشعـوب، فقـد بـدأ استخدامهـا منـذ خلق الأرض وسيبقى إلى نهايتها[٢].

فككلّ الشعوب استخدمت العرب السفارة، واستطـاعت بها أن تبني علاقات وتكون روابط بينها وبين الشعوب والقبائل الأخرى، وهـذا ما سنستعرضه بمزيد من التفصيل والدقـة في هذا البحث، لكن قبل هذا يجب علينـا معرفة مفـاهيمها التي تقدم فيما يلي:

المبحث الأول: مفهوم السفارة لغة واصطلاحًا:

(١) السفارة لغة: السفارة مصـدر لفعل (سفر)، ولهذا الفعل مفـاهيم مختلفة منها قطع المرء لمسـافة بعيدة[٣]، مثلاً يقـال: (سفر يسافر سفـرا بعيدًا)[٤]، كما تطلق هذه الكلمـة على الارتحال فيقال: (سفـر الرجل أي خرج لـلارتحال)[٥]، وقد قيل (السفر) بكسر السين وسكون الفاء أي الكتاب الذي يسفر عن الحقائق، وقيل الكتاب الذي يبين الشيء ويوضحه، ويطلق على الجزء من التوراة وجمعها أسفار[٦]، ومن هـذا كلمـة (السفـرة) جـاء في «لسـان العـرب»: (السفـرة كتبـة الملائكة الـذين يحصون الأعمال)[٧]، وتطلق لغة على إيقاع الصلح بين القوم، فيقال سفر بين القوم أي أصلح بينهم[٨].

وقد اشتقّ من لفظ السفـارة (السفير)، فقالـوا السفيري، وسفير الأمـة، وسفير

الممالـك، وسفير الملوك والسـلاطين[٩]، وعـرفوه بأنـه الرسـول المصلح بين القوم، وجمعه سفراء كفقيه وفقهاء[١٠].

(٢) مفهوم نظام السفـارة اصطلاحًا: كما أشـرنا، فإن السفير عند العـرب هو الـرسول والمصلح بين القـوم، وقـد كان العـرب في جـاهليتهم إذا وقعت بينهم وبين غيـرهم من القبـائل حـرب، وأرادوا الصلح بعثـوا سفيـرًا عنهم، وكـذالك الحال إذا أرادوا المنافرة أو المفاخرة، جعلوا من بينهم سفيرًا إلى القبيلة الأخرى ليعلمهم بما استقر عليه الأمر وبما اشترط عليه من الشروط[١١].

وكان عمـر بن الخطاب أحـد سفراء قريش في الجـاهلية، وقد كـانوا يبعثـونه سفيرًا إن وقعت بينهم وبين غيـرهم حرب، أو نافرهـم منـافر، أو فاخرهـم مفـاخر بعثوه منافرًا أو مفاخرًا ورضوا به[١٢].

وبنـاء على ما تقـدم يمكن تعريف السفـارة اصطـلاحًا بأنهـا بعثة ولي الأمـر لشخص معتمد من قبله إلى جهة معينـة لمباشرة مهمة معينة[١٣]، وهذا التعريف لا يختلف عمـا نجـده فـي مفـاهيم الـدبلـومـاسيـــة، ويمكن القـول أن العـرب استخدمت السفارة بمعنى الدبلوماسية.

المبحث الثاني: نشأة السفارة عند العرب في الجاهلية:

البلاد العربية هي البلاد التي عرفها القدماء عادة باسم عربية Arabia[١٤]، وكلّ من سكن جزيرة العرب ونطق بلسان أهلها فيسمونه عربيًا على اسم بلدهم[١٥].

اقتسم العـرب جـزيـــرتهم على خمسـة أقيـام هي تهـامـــة والحجـاز ونجـد والعروض واليمن، وإنّما سميت بلاد العرب جزيـرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها، فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر[١٦].

وقد جاور العرب الشعوب القديمة كاليونان والرومان الذين اعتبروهـم عمومًا برابرة[١٧] أي متوحشين، ويسمونهم Saraceni أو (السراقية)، وربما كان اشتقاق كلمة (شرقيين) من هذه الكلمة الأخيرة[١٨].

أما الفترة التي يطلق عليها لفظ (الجاهلية)[١٩] فهي فترة ما قبل الإسلام، وقد كانت مدينة مكة تحتل مقاماً مقدّساً في الجاهلية أيضاً، وتسمى أيضاً (بكة)[٢٠].

وقد مارس العرب السلطة في شكلها البدائي في مكة، فقد كان شيخ القبيلة بمثابة رئيس الدولة الذي يدير شؤونها المالية والقضائية والحربية والسياسية[٢١]، وكانت السفارة وظيفة معروفة في سلطة مكة، إذ كانت تتولى تمثيل القبيلة في شؤون الصلح بعد القتال، أو التفاوض مع سائر القبائل، وقد كانت هذه الوظيفة خاصة ببني عدي وهم أحد بطون قريش[٢٢]، وقد تولى عمر بن الخطاب هذه الوظيفة قبل الإسلام[٢٣] وسفر في مهمته الدبلوماسية إلى الشام والعراق لتمثيل قريش عند كثير من ملوك العرب والعجم[٢٤].

فالعرب قد عرفوا نظام السفارة مع غيرهم من القبائل والأمم والشعوب المجاورة، واستخدموه في تنظيم علاقاتهم فيما بينهم ومع غيرهم، فكان من الطبيعي أن تكثر الوفادات والسفارات في تاريخ العرب قبل الإسلام، بوصفها وسيلة ليس ثمة بديل عنها للخروج من عزلتهم في شبه الجزيرة، ولتبادل المنافع مع جيرانهم، وخاصة في الشرق حيث كانت مملكة الغساسنة الموالية للروم، فضلاً عن حاجتهم لكسب الدعم والنصرة في المعارك الضارية التي كانت تنشب بين القبائل، أو لوقف هذه المعارك[٢٥].

ومن سفارات العرب المشهورة في الجاهلية سفارة عبدالمطلب بن هاشم (ت نحو ٤٥ ق. هـ/ ٥٧٩م) إلى أبرهة وهو في طريقه إلى مكة قاصداً هدم الكعبة بيت الله الحرام ومعه الفيل المشهور، وعندما سمعت العرب بخروجه عظّموه ورأوا الجهاد حقًّا عليهم ثم عرفوا أنهم لا يقدرون على هذا[٢٦]، وقد أصاب أبرهة مئتي بعير لعبدالمطلب، ولما ذهب هذا بسفارة من رجال قريش إلى أبرهة وقدم أموالاً إلى أبرهة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، فأبى عليهم[٢٧]، وخلال المفاوضات التي دارت بين عبدالمطلب وأبرهة سأله أبرهة

عن حاجته، فقال له: حاجتي أن يردّ عليّ الملك مئتي بعير أصابها لي. فاستغرب أبرهة من كلام عبدالمطلب عندما قال: (إني أنا ربّ الإبل وإن للبيت ربّا سيمنعه)، قال أبرهة: ماكان ليمنع منّي، قال عبدالمطلب: (أنت وذاك)[28].

وقد عرض القرآن الكريم قصة أبرهة ونهاية أحداثها حيث يقول جلّ شأنه في سورة الفيل: **﴿ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول﴾**[29].

ولا تزال تحتفظ لنا مقبرة مأرب Marib بالنقوش التي تفيدنا بقدوم سفارات التهنئة على أبرهة من شتى الأمصار والممالك سنة ٥٤٣ ميلادية[30]، وقد كان هدف هذه السفارات كسب الأنصار كما جاء في هذه النقوش بعد ذكرها: (جميعهم طلبوا مودّتنا بقوة من لدن الرحمن)[31].

المبحث الثالث: أغراض وأهداف السفارة عند العرب في الجاهلية:

١) كسب الأنصار والتعاون الدولي: استخدم العرب السفارة لكسب الأنصار وحشدهم زمن الحروب، وقد أدت السفارة أثناء الحرب وعقبها مهام عديدة، حيث تدعو الحاجة إلى تسوية ما نجم عن تلك الحروب من مشكلات، مثل تبادل الأسرى ودفع الديات وتنظيم شؤون الهدنة أو السلم والأمن، وغير ذالك من الأمور[32].

وقد كان لتراث مملكة سبأ أثر كبير ساعد على ازدهار السفارات، ودخول العرب في علاقات ودية مع جيرانهم، فقد حققت مملكة سبأ اليمنية انتصارات كبيرة غير مسبوقة عند العرب، حيث كانت الظروف الدولية تسمح بذالك التوسع على حساب الكيانات المجاورة الضعيفة التي لم تقدر على إيقاف هذا الزحف والتوسع، ويذكر لنا القرآن ثراء هذه الدولة وعمرانها الكبير، حيث يقول المولى جلّ ذكره: **﴿لقد كان لسبإ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وعن شمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة وربّ غفور﴾**[33] غير أن هذه المملكة

قد ضعف أمرها، وتحلل شأنها، فكان لذالك أثره الكبير على المنطقة كلها إذ شهدت حركة دبلوماسية نشطة لوضع نظام جديد، وقد سعت القوى الموجودة آنئذ إلى كسب الأنصار والحلفاء، كما سعت كل الدول للحصول على المساعدات الخارجية[٣٤].

وإثر زوال هذه المملكة استعمل العرب السفارة لتدعيم التعاون الدولي وإقامة العلاقات السياسية مع الشام والروم حيث كانت الشام من ولايات دولة الروم[٣٥]، بل إنّ ذراع الروم قد تجاوزت الشام حيث تشير بعض الروايات إلى أن الروم قد ساعدوا قصيًا بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تقلّد الحكم في مكة[٣٦]، فقد استعان قصيّ ببعض بطون قضاعة وحلفائها من الشام[٣٧]، كما أن هناك تعاونًا اقتصاديًا وثقافيًا يؤكد عمق التعاون الدولي والصلات الوثيقة بين الشام والروم قبل الإسلام، منها ما يروى عن وصول بعض تجار الروم إلى مكة في مقابل وصول تجار مكة إلى بلاد الروم، ومنها استخدام قريش لبنَّاء يقال بأنه رومي عندما أعيد بناء الكعبة على أثر سيل جارف قبيل البعثة النبوية[٣٨].

ولم تقتصر علاقات العرب على جيرانها الأقارب بل امتدّت إلى الهند، فقد كان بين الحضارتين تعاون وثيق يؤكده اقتباس العرب لعشرات من المصطلحات الهندية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية التي أخذت طريقها إلى اللغة العربية، أيضًا اشتهار أنوع من المنتجات الهندية عند العرب مثل أنواع الطيب وصناعة السيوف[٣٩].

كما نجد أن علاقات العرب امتدت غربًا إلى الحبشة حيث نجحت قريش في ربط علاقات تجارية مربحة مع الحبشة في زمن النجاشي الذي أيَّدَ هذه العلاقة وشجعها[٤٠].

هذه بعض الأمثلة المبينة لدور السفارة عند العرب في ربط أواصر التعاون ودعم العلاقات الدولية مع غيرهم من الدول والشعوب المجاورة.

٢) تطور التجارة الدولية: كان العرب أمة تعيش على التجـارة بالأساس، لذا وظفوا السفارة لدعم التجارة وتوسيعها وتطـويرها، وقد كانت التجارة مع الدول المجـاورة تسير عبـر الطرق البـريـة نحو الشـام، والبحـرية نحـو الهند وسيـلان والحبشة عبر الخليج[٤١] وقد استخدمت قريش السفارات في حماية هذه الطرق وتوفير سبل الأمان لها وتنظيم الرحلات[٤٢].

وتروي لنا الـروايات أن هاشمًا بن عبد منـاف (ت نحو ١٠٢ ق. هـ/ ٥٢٤م) سفر إلى ملوك الشام والروم وغسّان، وأقام معهـم معاهدات صداقة وأمان لتجار العرب[٤٣]، وسنّ الرحلتين المشهورتين رحلـة الشتاء إلى الشام ورحلة الصيف إلى الحبشة[٤٤]، وقد لقي هـاشم قيصر الروم، فلمـا سمع كلامه أعجبه، قـال له هاشم: (أيها الملك إنّ لي قومًا هم تجّار العـرب، تكتب لهم كتابًا يؤمنهم ويؤمن تجـارتهم حتى يأتـوا بما يستطـرف من إدم الحجـاز وثيابـه) ففعل قيصـر ذالك، وانصرف هاشم[٤٥].

ولتوسيع حركة التجارة بعثت العـرب عبد شمس بن عبد مناف إلى النجاشي وعبدالمطلب بن عبد مناف إلى ملوك حِمْيَر[٤٦]، وبهذا نجحت قريش في توسيع تجارتها باستخدام الدبلوماسية.

٣) التهاني والتعازي: وكان من أغـراض السفارة أيضًا إرسال الوفـود لتقديم التهاني أو التعـازي، ومن هذا النـوع سفارة عبدالمطلب بن هـاشم إلى سيف بن ذي يزن ملك حِمْيَرَ (٧٥ ق: هـ/ ٥٤٩ م - ٥٠ ق. هـ/ ٥٧٤م) لتهنئته، فكان من ذالك أن منحهمَ الأمان، وردّ ملك حمير على هذه السفارة قائلاً: (أنتم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم)[٤٧].

وكذالك استخدم العـرب السفارة للمفاخرات والمنافـرات، وقد كانت بعض سفارات عمر بن الخطاب لأجل هذا[٤٨].

٤) انعقاد الأحـلاف داخل جزيرة العرب وخـارجها: استعمل العرب السفارة

في تمثيل القبيلة لـدى القبائل الأخرى للتفاوض والوصـول إلى الاتفاق، ولحل المشاكل العـالقة والمنـازعات، وعقد الصلح بعـد الحرب، وكـانت تسمّي هذه الاتفاقيات الحلف[٤٩]، مثل حلف الفضول[٥٠] وكذالك الإيلاف الـذي ابتكرته قريش[٥١]، وقد استعمل القرآن الكـريم هذا المصطلح كما جاء في قـوله تعالى: ﴿لإيـلاف قريش، إيـلافهم رحلة الشتـاء والصيف﴾[٥٢]، فقد دخلت قـريش في إيلاف مع ملوك اليمن والحبشة والروم عندما بعثت أبناء عبد مناف هاشمًا وعبد شمس وعبد المطلب إليهم[٥٣].

كذالك دخل العرب فـي التحالف القبائلي[٥٤]، وكان من عادتهم عند إمضاء الاتفاقيات تنظيم الحفلات، ومن طقوسهم صبّ الدم في الخمر قبل الشرب[٥٥] كما كانت تشعل النار بعد إقامة المعاهدة وتسمى نار الحلف[٥٦]، ويبدو أن نظام التحالـف قد استمر فـي مكة حتى عصـر الرسول ﷺ، حيـث كانت هنـاك ثلاث فئات قرشية متنافسة هي كما يلي:

فئـة أولى تضـم بني هاشم والمطلب وزهـرة وتيم والحـارث بن فهر وعـدي، وفئة ثانية تضم بنـي عبد شمس ونوفل وأسد وعامر، وفئة ثـالثة تضـم بني مخزوم وسهم وجمح وعبـدالـدار، ويمكننـا أن نـلاحظ أن الفئـة الأولى كـانت تتضمن جماعـة حلف الفضول كمـا أنّه كانت بين الفئتين الثـانية والثـالثة علاقـات ودية ومصلحة مشتركة[٥٧].

وقد كـانت الأحلاف تكتب وتمـزق إلى جزئين، وكـان كل فريق يأخـذ جزءًا حتى لا يغير أي واحد شيئًـا من الحلف، وأحيانًا كانت المعـاهدة تعلّق على باب الكعبة، كمـا هو الشأن في معاهدة قطع العـلاقات الاجتماعية ضـد المؤمنين من أسرة الرسول ﷺ التي علقت على باب الكعبة[٥٨].

ومن أقوال العـرب عند الحلف والجوار: (دمي دمك وهدمي هـدمك، أي ما هدمت من الدماء، هدمته أنا)، ويقال أيضًا: (بل اللّدم اللّدم والهدم الهدم)[٥٩].

ومن أشهر الأحلاف حلف (المطيبين) الذي انعقد بين قريش بعد موت قصيّ بن كلاب، لتقسيم وظائف سلطة مكة(٦٠)، وحلف الفضول الذي اتفقت عليه بنو هاشم وبنو عبدالمطلب وآخرون بعد حرب الفجار، وقد شهد الرسول ﷺ هذا الحلف(٦١).

فكانت هـذه الاتفاقيات نتيجة المجهودات الـدبلوماسية التـي وفدت لأجلها السفارات.

هكذا أدت السفارة دورًا حيويًا لانعقاد المعاهدات وإبرام الاتفاقيات وتنشيط العلاقات بين الدول والقبائل في كافة مناحي الحياة.

المبحث الـرابع: قـوانين نظام السفـارة عنـد العرب فـي الجاهلية: استمدت السفارة عنـد العرب قوانينهـا ومضامينها وجميع ملابسـاتها من ثوابت اجتمـاعية واقتصادية وثقافية تميز بها العرب عن غيرهم بحكم موقعهم الجغرافي وتاريخهم الاجتماعي. كان نظـام السفارة في الجاهلية مبنيًا علـى بعض القوانين التي كانت القبائل تلتـزم بها، وكـان السفراء يـزوّدون بها قبل إرسـالهم في مهمـة، فقد روى الواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) أن قريشًا في الجاهلية كانت إذا أرسلت رسولاً إلى بعض الملوك قالت لـه: (احفظ شيئًا: انتهز الفريصة فإنهـا خلسة، وبت عند رأس الأمر لا ذنبـه وإيَّاك وشفيعًـا مهينًا فإنه أضعف وسيلـة، وإيَّاك والعجـز، فإنه أوطأ مركب، وعليك بالصبر فإنه سبب الظفر ولا تخض الغمر حتى تعرف القدر)(٦٢).

وقد مارس نظام السفارة عند العرب مهمّاته بناء على القوانين التالية:

١- **أمان الرسل:** عـرف العرب في الجـاهلية حصـانة الـرسل والسفراء، فكـان السفيـر آمنـا في القبيلـة التي يـرسل إليهـا ودون إذن منها، كمـا يقـول السـرخسي (ت٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م): (إن الـرسل لم تـزل آمنـة في الجـاهليـة والإسـلام)(٦٣). وكذالك عرف العرب نظام الأمان لبعض الأمكنة حيث إن من دخلها كان آمنًا(٦٤).

٢- **ضيافة السفراء:** ساعدت روح الضيافة المعروفة عند العرب السفراء على أداء مهامهم، فهذه الـروح قد ضمنت للسفير الراحة بعد طـول سفر في الصحراء

القاسية، وقد كانت هذه الصفة من مفاخر العرب ومناقبها، وقد قال النعمان بن المنذر (ت ٣٢٣ق هـ/ ٣١٢م) في مجلس كسرى في ذكر أوصاف العرب: (فإنّ أدناهم رجلاً الذي تكون عنده بكرهُ والناب عليها بلاغه في حموله وشبعه وريّه، فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويحتذي بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطيب الذكر)[٦٥].

٣- تكوين الوفود: كانت العرب يوفدون الوفود في المناسبات العديدة، وقد ساعدت هذه الفرص على تكوين الزعماء والشيوخ والرجال الكبار المتمرّسين، و كانت القبائل تنيبها عن نفسها لدى الملوك، وقد مثلها منهم وفود إلى ملوك الحبشة والشام وغيرهما.

٤- الأشهر الحرم: تعد الأشهر الحرم مناسبة كبيرة لتكثيف التحركات الدبلوماسية، وقد استغلت العرب هذه الفرصة المتميزة بالسلم والأمان، حيث يحرم القتال فيها وتضع الحرب أوزارها ويتخلص كل شخص من سلاحه دون خوف أو حيطة[٦٦].

٥- احترام المعاهدات: كان العرب يحترمون المعاهدات وكان وفاؤهم بها مشهورًا في الجاهلية، فإنّ أحدهم يلحظ اللحظة يومي الإماءة فهي ولث (أي عهد) وعقدة، لا يحلها إلا خروج نفسه، وإن أحدهم ليرفع عودًا من الأرض فيكون رهنًا بدَيْن فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته، وإن أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به، وعسى أَن يكون نائيًا عن داره، فيصاب، فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما خفر من جواره، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة، فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله[٦٧].

الوفاء بالمعاهدات من أخلاق العرب التي كانوا يتمدّحون بها، ويعيبون من خالف الوفاء بالعهد، فقد كان العهد عندهم دينًا يتمسكون به، ويستهينون في سبيل الوفاء به قتل أولادهم وتخريب ديارهم[٦٨].

٦- فض النزاعات بالتحكيم: كان التحكيم من قوانين الدبلوماسية العربية قبل الإسلام، وقد كان رئيس القبيلة أو كاهنها يتولّى مهمّة التحكيم في صورة النزاع الداخلي، وإن كان النزاع بين القبائل فيلجأ إلى أهل الشرف والصدق والأمانة والرئاسة والسن والمجد والتجربة[٦٩] للتحكيم، وقد ترك هاؤلاء الحكماء أمثلة في الحكم بالعدل والإنصاف[٧٠].

ومن أمثلة التحكيم العربي ما وقع في حرب داحس والغبراء، التي نشبت بين قبائل عبس وقبائل ذبيان، وقد قتل فيها كثير من الناس، فسعت القبائل المتحالفة إلى الصلح، وأرسل السفراء بينها حتى اختتمت الحرب بالتحكيم[٧١]. ويمكن اعتبار حكم محمد بن عبدالله ﷺ في قضية وضع الحجر الأسود عند إعادة بناء الكعبة مثالاً نادرًا في التاريخ الدبلوماسي عند العرب[٧٢].

وتحكي لنا المصادر أن الرسول ﷺ لما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره، حين جددت قريش بناء الكعبة، فقد اختلفت قبائلها فيمن يضع الحجر الأسود مكانه، ثم اتفقوا على أن يحكم في هذا أوّل من يدخل من باب بني شيبة، فكان رسول الله ﷺ أوّل داخل عليهم، فلمّا رأوه قالوا: (هذا الأمين، رضينا، هذا محمد)، ولو أراد محمد أن يستأثر بهذا الشرف لنفسه لكان ممكنًا، ولكنه طلب ثوبا، وأخذ الحجر ووضعه فيه بيده ثمّ قال: (تأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعًا)، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه[٧٣].

ويُعَدّ أسلوب الدبلوماسية الذي اختاره محمد ﷺ للتحكيم في هذه القضية مثالاً نادرًا في تاريخ الدبلوماسية[٧٤].

وخلاصة القول أن السفارة وسيلة الصلح بين الناس، كما كانت أداة التمثيل لدى القبائل الأخرى، وعرفتها العرب منذ فترة طويلة، واستخدمتها لأغراض شتى، وكانت تكوّن السفارات من نخبة الرجال، وقد حققت العرب باستخدامها نجاحات بارزة ووضعت لأجلها قواعد مختلفة.

الخاتمة: بعد تقديم تفاصيل حول السفارة عند العرب في الجاهلية وصلنا بحمد الله وتوفيقه إلى عدة نتائج، أقدمها فيما يلي:

١ - السفارة بعثة ولي الأمر إلى جهة معينة لمباشرة مهمة معينة.

٢- كانت السفارة من وظائف السلطة التي عرفتها العرب وكانت خاصة ببني عديّ.

٣- بعثت العرب سفارات عدة في الجاهلية لتنظيم علاقاتها مع الجيران ولتبادل المنافع معهم.

٤- استخدمت العرب السفارات لكسب الأنصار وعقد التحالفات العسكرية.

٥- استخدمت العرب السفارات لتوسيع حركة التجارة وحماية طرقها.

٦- وقد كانت السفارات تبعث لتقديم التهاني أو التعازي.

٧- عرفت العرب في الجاهلية نظام أمان السفراء، كما كانوا يهتمون بضيافة السفراء وتكوين الوفود لكي تؤدي السفارات مهماتها في أحسن الأحوال.

٨- الأشهر الحرم كانت لديهم فرصة لتكثيف مجهودات دبلوماسية كما كانت المعاهدات محترمة عندهم، وكان يلجؤون إلى التحكيم لفضّ نزاعاتهم دون الحرب.

راولبندي باكستان: محمد ضياء الحق

الحواشي:

(١) مشعان (محمد الدعيج)، «فصول في الدبلوماسية»، (المطبعة العربية الحديثة، القاهرة ١٩٨٢م)، ص ١٩.

(٢) R. Resdlede, "Histoire des Grands Prinicipes du Droit des Gens" (Paris, 1923), p: 79.

(٣) الزبيدي (محمد مرتضى) (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، «تاج العروس» مادة (سفر).

(٤) الزمخشري (جار الله أبو القاسم) (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، «أساس البلاغة» (دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٥م)، ص ٢٩٧.

(٥) النووي (أبو زكريا يحيى بن شرف)، (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، «تهذيب الأسماء واللغات» (دار الكتب العلمية، بيروت): ٣/ ١٤٩.

(٦) الزبيدي، المصدر السابق: ٣/ ١٥٥.

(٧) و (٨) ابن منظر، (محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، «لسان العرب» مادة (سفر).

(٩) القلقشندي (أبو العباس محمد بن علي، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء»: ٦/ ٥٣.

(١٠) ظافر (القاسمي)، «الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام»، (بيروت ١٩٨٢م)، ص ٤٤٦.

(١١) Bernard Lewis, "The Political Language of Islam", The University of Chicago Press, 1988), p: 76.

(١٢) ابن عبدالبر (أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد، ت ٤٦٣هـ/ ١٠٤١م)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، (تحقيق عادل محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر - القاهرة): ٣/ ١١٤٥.

(١٣) انظر: حسن محمد سفر، «السفارات في النظام الإسلامي»، مجلة «البحوث الفقهية المعاصرة»، العدد التاسع، ١٩٩١، ص ١١٧.

(١٤) انظر: Pling, "Natural Histiry" London, 1949, p: 2/259.

(١٥) ياقوت (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله)، «معجم البلدان» (دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٩٥٧): ٤/ ٩٧.

(١٦) انظر: ياقوت، م. ن: ٢/ ١٣٧.

Ameer Ali, "The Spirit of Islam", (Pakistan Publishing House, 1980), p: (Introduction) VII.

نبيه عاقل، «تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي» (جامعة دمشق ١٩٩١ - ١٩٩٢م)، ص ٢٤.

(١٧) انظر: Nicolson Harold, "Diplomacy", (III Edition, London, 1969), p: 9.

عبدالمنعم ماجد، «التاريخ السياسي للدولة العربية» (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٨): ١/ ٤٧.

(١٨) أمير علي سيد، «مختصر تاريخ العرب» (القاهرة ١٩٣٨م): ١/ ٤.

(١٩) يقصد بها الفترة التي سبقت الإسلام عندما لم يكن لديهم كتاب ولم يبعث إليهم رسول، وقد استعمل القرآن هذا المصطلح في مواقع متعددة مثلاً: آل عمران: ١٤٨، المائدة: ٥٥، الأحزاب: ٣٣.

انظر: Al. Ghunaimi (Muhammad Talaat), "The Muslim Conception of International Law and Wester Approach", Hague, 1968, p: 9.

(٢٠) يذكر ابن هشام في «السيرة النبوية» أنَّ بكّة اسم لبطن مكّة لأنهم يتباكّون فيها أي يزدحمون.

انظر: ابن هشام (محمد عبدالملك بن هشام)، «السيرة النبوية»، (دار الجيل - بيروت): ١/ ١٠٥.

ويرى الأزرقي أنّها سميت بكّة لأنها كانت تبكّ أعناق الجبابرة، وإنّما سمّي البيت العتيق لأنه عتق من الجبابرة أن يسلّطوا عليه، انظر: الأزرقي، «أخبار مكة المشرفة»: ١/ ٥٠.

(٢١) حسن إبراهيم حسن، «تاريخ الإسلام السياسي» (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩م): ١/ ٥٣.

(٢٢) الفوتي (محمد بللى، «السفارات في الجاهلية والإسلام»، مجلة «الهدي الإسلامي»، العدد الأول، السنة السادسة عشرة محرم ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٥٩؛ عدنان البكري، «العلاقات الدبلوماسية والقنصلية»، (بيروت ١٩٨٦م)، ص ٢٨.

(٢٣) ابن عبدالبر، «الاستيعاب» ٣/ ١١٤٥.

(٢٤) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين)، «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، (الجزائر ١٩٨٩م): ٢/ ٣٩٢.

(٢٥) حسن فتح الباب، «الحصانات الدبلوماسية في الإسلام»، مجلة «الأزهر»، الجزء الأول، السنة ٣٤، القاهرة، يونيو ١٩٦٢م، ص ١٩ - ٢٠.

(٢٦) ابن هشام، م. ن: ١/ ٤٠؛ ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)، «السيرة النبوية»، (دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م: ١/ ٣١.

(٢٧) ابن هشام، م. ن: ١/ ٤٤؛ ابن كثير، «السيرة»: ١/ ٣٤.

(٢٨) ابن هشام: ١/ ٤٤.

(٢٩) سورة الفيل: ١ - ٥.

(٣٠) Hamidullah, "Muslim Conduct of Muslim State", (Lahore, 1973), p: 58.

(٣١) سموحي فوق العادة، «الدبلوماسية الحديثة» (دار اليقظة العربية) ١٩٧٣)، ص ١٧.

(٣٢) حسن فتح الباب، «السفارات الدبلوماسية في الإسلام»، (مجلة «منار الإسلام»، العدد ٧، رجب ١٤١١هـ/ يناير ١٩٩١م). ص ٢٠.

(٣٣) سورة سبأ: ١٥.

(٣٤) انظر «تفصيل بعض التحركات الدبلوماسية: ابن هشام، م. ن ١/ ٣١.

(٣٥) الشبول (أحمد)، «علاقات الأمة الإسلامية في العصر النبوي مع بلاد الشام وبيزنطة» الندوة العالمية: الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين (المملكة العربية السعودية ١٩٩٣): ١/ ١٥٩.

(٣٦) الأزرقي، «أخبار مكة»، ص ٦٢ - ٦٣.

(٣٧) ياقوت، «معجم البلدان»: ٥/ ١٨٦.

(٣٨) يرى بعض الرواة هذا البنّاء هو من أصل حبشيّ أو قبطي.

انظر التفاصيل: «الأزرقي» م. ن ١/ ١١٤.

(٣٩) انظر: الندوي (محمد إسماعيل)، «تاريخ الصلات بين الهند والبلدان العربية» (دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت)، ص ٣٢ - ٣٣.

(٤٠) ابن هشام، م. ن: ١/ ٢٧٠ - ٢٨٨.

(٤١) محمد علي الحسن، «العلاقات الدولية في القرآن» (عمان - الأردن ١٩٨٢م)، ص ٩٤.

(٤٢) الدعيج: «فصول في الدبلوماسية»، ص ٣٢.

(٤٣) ابن هشام، م، ن: ١/ ١٩٨٦ : ابن سعد، «الطبقات الكبرى»، (بيروت ١٩٧٠): ١/ ٤٤٣؛ اليعقوبي (أحمد ابن أبي يعقوب)، التاريخ (بيروت ١٩٧٠ م): ١/ ٢٨.

(٤٤) ابن هشام، م . ن: ١/ ١٢٥؛ اليعقوبي، م . ن ١/ ٢٤٢. (٤٥) اليعقوبي، م . ن: ١/ ٢٤٣.

(٤٦) و (٤٧) المسعودي، «مروج الذهب»: ٢/ ٦٩؛ ابن كثير، «السيرة»: ١/ ١٨٦.

(٤٨) ابن الجوزي (أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد)، «سيرة عمر» (المطبعة المصرية بالأزهر)، ص ٩.

(٤٩) Al Ghunaimi Muhammads Talaat, "The Muslim Conception of International Law p: 18.

(٥٠) ابن هشام، م . ن: ١/ ١٢٣. (٥١) Hamidullah, Ibid, p: 56.

(٥٢) سورة قريش: ١ - ٢. (٥٣) ابن سعد، م . ن: ١/ ٧٧.

(٥٤) ويمكن تشبيه هذا تحالف القبائل بالسوق الأوروبية المشتركة، انظر: Al Ghunaimi, Ibid, p: 190.

(٥٥) اليعقوبي. م . ن: ١/ ٢٨٨.

(٥٦) القلقشندي، «صبح الأعشى»: ١/ ١٠٤.

(٥٧) Watt W. Montgomery, "Muhammad at Mecca" (Oxford University Press 1953), p: 7.

(٥٨) و (٥٩) ابن هشام، م . ن: ٢/ ٣، ٦٤.

(٦٠) ابن هشام، م . ن: ١/ ١٢١ - ١٢٢؛ ابن الأثير، «الكامل»: ١/ ٤٥٣.

(٦١) ابن الفراء (أبو علي الحسين بن محمد)، «رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة»، (تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٧م)، ص ٢٨.

(٦٢) السرخسي (شمس الدين محمد بن أحمد)، كتاب «المبسوط» (مطبعة السعادة - مصر ١٣٢٤هـ): ١/ ٩٢.

(٦٣) زناتي محمود سلام، «نظم العرب» (الطبعة الأولى): ١/ ٢١٦.

(٦٤) ابن عبد ربه، «العقد الفريد» (تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م): ١/ ٢٧٧.

(٦٥) اليعقوبي، م . ن: ١/ ٢٧١. (٦٦) ابن عبد ربه، م . ن: ١/ ٢٧٧،

(٦٧) محمد الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية): ١/ ٤١ - ٤٢.

(٦٨) اليعقوبي، م . ن ١/ ٢٥٨؛ Al Ghunaimi, "Muslim Concept of International Law" p: 18.

(٦٩) Hamidullah, Ibid, p: 60. (٧٠) ابن الأثير «الكامل»: ١/ ٥٦٦ - ٥٦٧.

(٧١) و (٧٢) ابن هشام. م . ن: ١/ ١٧٨ - ١٨٢.

(٧٣) ابن هشام، م . ن: ١/ ١٨٢ وابن كثير، «السيرة»: ١/ ٢٧٤.

(٧٤) Siddiqui Abdul Hameed, "The Life of Muhammad" 1985, p: 58.

ديوان يزيد بن مُفرّغ الحميريّ

تتمّة واستدراك

[«العرب» س ٣٢ ص ١٠٨]

من الأمور المُسَلّم بها أن الأستدراك بحر لا ساحل له ولا نهاية، ولا يستطيع أحد من المحققين أو الباحثين - مهما أوتي من قُدرةٍ وجهدٍ - أنْ يُلاحقَ ما يَصْدر من نفائسِ الكتبِ وأعلاقها بين الفَيْنة والأخرى.

لذا فانَّ ما يُنشر من أعمال يَظَلّ عرضةً للتغيير والإضافة والتَّهْذيب، وتكون الاستدراكاتُ عليها مفتوحةً دائمًا. ولا غنى للمحققين من الرجوع إليها، إذا أرادوا لأعمالهم - هذه - أن تستكمل منهجها العلمي الرَّصين، وتَجْنَح بها نحو الكمال، أو ما يقاربه.

وكذالك الأمر بالنسبة للناقد، وهو يتابع رَصْد عَمل المحقق بالاستدراك، فَيَنْشره أولاً، ثم يظلّ يزيد عليه ويتمّه ويَصله ويقوّم مُنَاده بما يَعْثر عليه في المظان المختلفة، التي لم يكن قد وَقَفَ عليها أوّل مرةٍ. ورائده - في كل ذالك - خدمة النَصّ وتثمين جهد المحقق الكريم وتحيَّته.

أقول هذا، وقد نَشَرتْ لنا («العرب» الزاهرةُ، (ج ١ - ٢ - س ٣٢/ ١٧/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ١٠٨ - ١١٤) ملاحظات ونظرات نَقْديه على: «ديوان يزيد بن مفرّغ الحميري ت ٦٩هـ»، جمع وتحقيق الدكتور عبدالقدوس أبو صالح - بطبعته الثانية، ١٩٨٢م.

وبُعَيْد ذالك، تَجَمَّعتْ لدينا ملاحظات أخرى، بعضها لمصادر صدرت قبل نشر الديوان، والأخرى ظهرتْ بعده، ولقد وددتُ أن أكتبَ هذه السطور المتواضعة - بما تحمل من فوائد ووقفات وملاحظ جديدة. لتكون تكملة وتتمة لنقداتنا السابقة واستدراكًا عليها.

وهي مدرجة على النحو الآتي، ومبسوطة بإيجاز وتوثيق:

أولاً: فائت الديوان: يُضاف إلى ما استدركنا على الديوان البيت الآتي:

قال يزيد بن مفرغ الحِميَري يهجو عبَّاد بن زياد بن أبيه:

شجاعٌ في المجانةِ والمخازي جبانٌ عندَ مُختضرِ المصاعِ

التّخريجُ: مالم يُنشر من «الأمالي الشَّجرية» ١٩٣ (لابن الشَّجري (ت ٥٤٢هـ)، تحـ: حاتم صالح الضامن، مجلة «المورد» بغداد، مج ٣، العدد ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م)، وأعاد الدكتور الضامن نشره ضمن كتابه: «نصوص محققة في اللغة والنحو» ٢٦٥ (جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩١م).

وبهذا نكون قد استدركنا على «ديوان ابن مفرّغ» أربعة أبيات أحتجَنَتْها مصادر نُشرتْ قبل صدور الطبعة الثانية في الديوان بسنوات طويلة.

ثانيًا: القسم المنسوب: كنا قد عثرنا على شطر بيت ورد منسوبًا للشاعر في كتاب «الكتاب» لابن دُرُستَوَيْه (ت ٣٤٧هـ)، وأشرنا إلى أنَّه لعديّ بن الرّقاع العاملي، في ديوانه الذي نَشَرَه د. القيسي و د. الضامن. وقد صدر ببغداد لا بيروت. والبيت وَرَد في الصحيفة ٨٥ منه.

وهو وارد أيضًا في «ديوان ابن الرقاع» بتحقيق عبدالله الحسيني البركاتي، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

والأمر اللافتُ للنَّظر في القسم المنسوب (المتدافع) من شعر يزيد بن مفرغ أنَّ المحقق الكريم ذكر أنه يقع في أربع مقطوعات فقط، هي الواردة في الصفحات: ٢٣٥، ٢٤٣ - ٢٤٦.

قال عباس الجراخ: والحقيقة أنَّ القطعتين (٢١) و (٤٢) - أيضًا - هما من الشعر المنسوب إلى الشاعر وإلى غيره، من دون شك، وكما أثبتَ صانعُ ديوانه في هوامشهما.

فالقطعة الأولى ص ١١٧ نُسبَتْ - أيضًا - إلى (عُميرة بن مُرَّة الحرشي) وإلى (أمراة)، والثانية ص ١٨١ نُسبتْ إلى (أحمد بن أبي فَنَن) وإلى (أبي الشّيص الخُزاعي).

فمن الضروري والمنهجي إلحاق هاتين القطعتين بـ (القسم المنسوب)، ثم الرجوع إلى:

١- «أشعار أبي الشيص الخزاعي» (ت ١٩٦هـ): جمع وتحقيق عبدالله الجبوري، مط الآداب، النجف ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ثم صدرت الطبعة الثانية بعنوان: «ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره» صنعة: د. عبدالله الجبوري، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢- (أحمد بن أبي فَنَن (ت ٢٧٨هـ) حياته وما تبقى من شعره): [جَمْع] د.يونس أحمد السامرائي، مجلة «المجمع العلمي العراقي»، مج ٣٤ - ج ٤ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. ثم أعاد نشره في الجزء الأول من كتابه: «شعراء عباسيون»، بيروت ١٩٨٦م.

بقي أمر القطعة (٢) من المنسوب ص ٢٤٤، وهي البيت:

عيّوا بأمرهم كما عيتْ ببيضتها الحمامهْ

قال المحققُ الكريمُ في هامشه: (وَرَدَ البيتُ في «الصحاح» (هيا) منسوبًا لابنْ مفرغ. والصواب انه لعبيْد بن الأبرص..).

أقول: هناك مصدر أقدم من «الصحاح» للجوهري (ت ٣٩٣هـ) نَسَبَ البيتَ إلى ابن مُفرّغ، لم يطّلع عليه د. أبو صالح، وهو: «تصحيح الفصيح» ١/ ٢٦٣ (لعبدالله بن جعفر بن دُرُستويه (ت ٣٤٧هـ)، تحقيق عبدالله الجبوري، مط الإرشاد، بغداد، ١٩٧٥م، بل أضاف إليه بيتًا آخر بعده، وهو:

جعلتْ لها عودَيْن من نشم وآخر من ثمامهْ

وكان صانع الديوان قد ذكر هذا البيت في الهامش وعزاه إلى ابن الأبرص، مع اختلاف في رواية: (جعلت).

لذا أرجو أن يعودَ د. أبو صـالح إلى إثبات البيتين في المتن، وتخريجهما على كتاب ابن دُرُسْتويه هذا، مع الإشـارة إلى أنّ الأوّل فقط في «صحاح» الجوهري، ومنْ ثمَّ تُذكر نسبة البيتين إلى عبيد بن الأبرص...

ثالثًا: تخريج المقطعات: يضاف إلى التخريجات ما يأتي:

١- القطعة (١): البيتان ٤ و ٥ في: «زهر الأكم في الأمثال والحكم» ١/ ٢٤٣ (للحسن اليـوسي (ت ١١٠٢هـ): تحـ: محمـد حجي ومحمـد الأخضـر، دار الثقافة، المغرب، الدار البيضاء، ١٩٨١م).

٢- القطعـة (٢٢) - وهي بيت مفـرد فـي: كتـاب «الخيل» ٢١٥ لـلأصعمي (ت٢١٦هـ)، تحـ: هلال ناجي، مجلـة «المورد» - بغداد - مج ١٢ - العدد ٤ - ١٩٨٣م). و: «الاقتضاب فـي شرح أدب الكتاب» ٢/ ٢٦٨، ٢٨٦ (لأبـي محمد عبـدالله بن السيـد البطليـوسي (ت ٥٢١هـ)، تحـ: مصطفى السقـا ود. حـامـد عبدالمجيد، القاهرة ١٩٨٠م).

٣- القطعـة (٢٣): الأبيـات ٥، ٦، ٩، ٤ في: «اختيـار الممتع في علم الشعـر وعملـه» ٢/ ٥٥٣(لأبي محمـد عبدالكـريم بن إبـراهيم النهشلي (ت ٤٠٥هـ). تحـ: محمود شاكر القطّان، دار المعارف، ط ١، ١٩٨٥م).

ورواية الرابع: بفندهار - بالفاء الموحدة، وكذالك في الشطر الثاني.

ورواية عجز التاسع: * وكان حقًّا لها في أمرنا غيرُ *

٤- القطعـة (٢٧) - وهي بيت مفـرد - في: «أدب الخواص» ١٣٤ (للـوزيـر المغربيّ (٤١٨هـ)، تحـ: الشيخ حمد الجاسر، الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٥- القطعة (٣٠) - وهمـا بيتان - في: «زهـر الأكم» ٣/ ١٢٦. وروايـة صدر الثاني: أبو ملكٍ.

والثاني فقط في: «التذكرة الحمدونية» ٢/ ١٥٩ (لمحمد بن الحسن بن حمدون البغداديّ (ت ٥٦٢ هـ)، تحـ: د. إحسان عباس وبكري عباس، بيروت ١٩٩٦م).

٦- القطعة (٣٥): الأبيات ١٥، ١٦، ١٧، ١٨ في: «التذكرة الحمدونية» ٢/ ٤٥١.

٧- القطعة (٤٠): البيت الأوّل في: «الفاخر» ٢٨٢ (للمفضَّل بن سلمة بن عاصم (ت ٢٩١ هـ)، القاهرة، ١٩٧٤م)، «مجمع البيان» ٣/ ١٠٦ (للطبرسي، بيروت ١٣٧٩هـ)، «المحكم» ١/ ٢٩١ (لابن سِيْدَه، مصر).

٨- القطعة (٤٨): الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٧، ٩ في: «التذكرة الحمدونية» ٢/ ١١٦.

ورواية الأول: ... أن تَشْقَيْ.

ورواية صدر الثالث: بكف بهلول له نجدة.

ورواية عجز السابع: توقظ منها سنةُ النائم.

٩- القطعة (٥١): البيت الثالث في: «البرهان في علوم القرآن» ٢/ ٧٣ (للزركشي (ت ٧٩٤هـ)، دار التراث، القاهرة، د. ت) - بلا عزو.

والثاني عشر في: «الزِّينة في الكلمات العربية الإسلامية» ٣/ ٢٨١ (لأبي حاتم الرازيّ (ت ٣٢٢هـ)، تحـ: د. عبدالله سلّوم السَّامرائي، ضمن كتابه: «الغلو في الحضارة العربية الإسلامية»، بغداد، ط ٢، ١٩٨٥م). و: «مجمع البيان» ٣/ ٧٥، و: «حدائق الآداب» ٦٢٢ (لشاهمردان الأبهريّ، تحـ: د. محمد بن سليمان السُّدَيْس. ط ٢، الرياض ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

والخامس عشر في: «التمثيل والمحاضرة» ٢٦٦ (للثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحـ: د.عبدالفتاح محمد الحلو، القاهرة ١٩٦١)، بلا عزو، وكذالك في: «المُسْتطرف» ١/ ٢٩ (لمحمد بن أحمد الأبشيهيّ (ت ٨٥٢هـ بيروت) - وهما

من المصادر التي اطَّلع عليهما المحققُ الكريمُ. وهـو لبشّار بن بُرد في: «الزَّهرة» ٢/ ٣٣٨ (لمحمد بن داود الأصبهـانيّ (ت ٢٩٧هـ) تحـ: د. إبراهيم السـامرائي ود. نوري حمودي القيسي: بغداد، ط ١، ١٩٧٥م).

وليزيـد بن مفرغ فـي: «تمثال الأمثال» ١/ ٢٩٦ (للعبـدري الشّيبيّ (ت ٨٣٧ هـ)، تحـ: د. أسعد ذبيان، دار المسيرة، بيروت ١٩٨٢م).

رابعًا: مآخذ ونظرات متنوعة: وهي أشتاتٌ من مَلاحظ تُضافُ إلى ما سَبَقَ:

١- فيمـا يخصُّ القطعـة الأُولىٰ (البائيـة)، هنـاك أبيـات متنازعـة مع شعـراء آخـرين، لذا كنـا نَتَمنَّى أنْ يهتمَّ المحققُ المِفْضالُ بهـاؤلاء، سواء بتـرجمتهم، أو الرجوع إلى دواوينهم المطبوعة، على ما هو معروف في تحقيق النصوص.

فالبيتان ٤، ٥ متنازعان بين أبن مفرّغ وبين إبراهيم بن هَرْمة وإبراهيم بن المهدي.

فالمنهج الصحيح يقتضي الرجوع إلى:

- «ديـوان إبـراهيم بن هرمـة»: صَنْعـة محمّـد جبَّار المعيبـد، مطـ الآداب٧ النجف ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

- «إبـراهيم بن المهـدي الخليفـة المغني»: تأليف: بـدري محمّـد فهـد، مط الإرشاد، بغداد ١٩٦٧م.

أما البيتان ١١، ١٢ فَذَكَر المحقّقُ انهمـا منسوبان للعتبيّ (من ولد عتبة بن أبي سفيان..).

قلتُ: هـو محمد بن عبيـد الله بن عَمْـرو بن عُتْبة، ويكنّـىٰ بأبي عبدالـرحمن. ترجمته في: «جمهرة أنساب العرب» ١١٢، «الوافي بالوفيات» ٤/ ٣.. وقد جَمَعَ شعره د. يونس السـامرائي في (مجلة «كلية الآداب» - جامعـة بغداد، العدد ٣٦، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م). وقد أخلَّ عمله بهذين البيتين.

٢- التصحيف والتحريف: يلاحظ أن د. أبو صالح لم يُفرِّقْ بين مُصطلحي: التصحيف والتحريف، والأوَّل يختص بالحروف المعجمة، والثاني خاص بالحروف المهملة، والتغييرات التي تطرأ عليها. من ذالك: وَرَدَ في الهامش الثاني في الصحيفة ١٠٠ انّ (هي ذا) تصحيف (حيّ ذا). والصواب: تحريف.. علاوة على صفحات أخرى في مقدمة الكتاب أو هوامش تحقيق الديوان.

٣- جاء في الصحيفتين ١٨٣ و ٢١٦: أبو دؤاد الإيادي. والصواب: أبو دُواد- بدون همزة - وقد نَشَرَ شعره غوستاف فون غرنباوم في كتابه: «دراسات في الأدب العربي»، وهو مطبوع ببيروت ١٩٥٩م، ومن الضروريّ الرجوع إليه.

٤- فهرس الأعلام: من المعروف أنَّ الفهارسَ هي مفاتيح مهمة للكتاب، ومن الأمور الضرورية في أي عمل علميّ، وهي إذا صُنعتْ فينبغي أن تكون كاملة ودقيقة لا ناقصة.

أقولُ هذا وأنا أُطالع - ولا أقول أُدَقِّقُ - (فهرس الأعلام) فقط. فهذا الفهرس أخَلّ بأعلام ذكروا في الديوان بكثرة، إضافة إلى أن بعضهم وردوا في الفهرس، إلاّ أنَّ صفحات أخرى لهم لم تُسْقَصَ.

فمن الأعلام الذين لم يردوا في الفهرس، مع أرقام الصفحات:

أسماء ١٣٠، الأخطل ٦٠ - ٦١، ١٩٦، أبو دواد الأيادي ١٨٣، ٢١٦، إبراهيم بن المهدي ٥٤ - ٥٥، إبراهيم بن هرمة ٥٤، الأعشى ١٣٨، العتبي ٥٧، عبيد بن الأبرص ٩٧، ٢٤٤، عُمر بن يزيد الشطرنجي ٥٥، عبدالرحمن بن حسان بن ثابت ٢٣٠، عبدالله بن المعتز ٢٣٣...

أما الأعلام الذين وردوا في الفهرس، ولم تَرِد صفحاتٌ أخرى لهم. فهم على النحو الآتي:

أناهيد ١٣٠، ٢٢٣، سُميّة ٢٢١، طلحة الطلحات ٢٣٩، عبَّاد ١٥١، عُبيدالله ابن عبدالله بن أبي بكرة ١٩٨، عبيدالله بن زياد ١٥٥، عمر بن عبيدالله ١٩١، هند الفزاريَّة ٦٧، يزيد (ورد: زيد) بن معاوية ١٦٣..

وهذا الإخلال ينطبق على (فهرس الأماكن).

٥- المصادر والمراجع: أثبت الدكتور أبو صالح قائمة (المصادر والمراجع) على أساس أسماء الكتب، وهذا يعني أنه سيلتزم بذالك في هوامش الديوان، لكننا نلاحظ عدم التقيّد بالأمر. إذْ نرى: آبن سلام، آبن خرداذبة، آبن الشجري، آبن عساكر، البلاذري، آبن الأثير، الطبريّ.. وكان الأولى ذكر أسماء مؤلفاتهم، أو: إعادة ترتيب قائمة المصادر والمراجع على أساس المؤلفين، ثم تغيير جميع ما نُشر في الهامش على أساسه. ولما كان هذا الأمر صعبًا، وجب الالتزام بذكر أسماء الكتب فقط عند الإحالة والتوثيق.

ثم انّ المحقق لم يستقص المصادر التي رَجَعَ إليها كلها، فهو قد أهمل نحو ثلاثين كتابًا منها وردت في تحقيقه للديوان، ورجع إليها أكثر من مرة.

وبعد، فإنَّ الملاحظات المتَّدَعَةَ في هذا المقال والذي سَبَقَهُ - والتي كتبها طالبُ علمٍ - كانَتْ حصِيلةَ جهود من البحث والتنقير في شتيت المظان والأُصول التي زادتْ على الأربعين كتابًا، آحتجنَتْ أشعار الشاعر وأخباره.

وإذْ أختتم ذالك أحبّ أنْ أقدّم ما كتبتُهُ إلى الأُستاذ الدكتور عبدالقدوس أبو صالح هديةً متواضعةً، تقديرًا لجهده الكبير هذا، لعلَّ لها مكانًا في الطبعة الجديدة من: «ديوان يزيد بن مُفرِّغ الحميري».

والحمدُ لله رب العالمين،

العراق: **عباس هاني الجراخ**

قبيلة السماعنة: نسبها وفروعها وديارها

السماعنة: وواحدهم سميعني قبيلة عربية عريقة تقطن شمالي سيناء وهي إحدى قبائل بادية العريش وتقيم في القسم الغربي من بلاد العريش في الشمال الغربي من سيناء في المنطقة جنوب بير قطية[1] ومن ديارهم الزُّقبة التي يزرعونها مع الدواغرة من مطير وغيرهم من القبائل الأخرى[2].

* نسب السماعنة: تُعدّ قبيلة السماعنة من أصرح القبائل العربية نسبًا في شمالي سيناء فهي قبيلة قضاعية قحطانية أصيلة كما سيأتي تحقيقه قال الطّيب في ذكرهم: نسب القبيلة: ذكرهم القلقشندي في «نهاية الأرب» و «سبائك الذهب» وأيّده السويدي أن السماعنة من بطون جذام[3]، قال المسعودي: هذا القول غير صحيح ذالك أنّ القلقشندي ذكر أن السماعنة من بني مهدي ثمّ من جذام وهناك فرق بين أن يكونوا من بني مهدي ثم من جذام كما نصّ عليه القلقشندي وبين أن يُعزى إليه أنه ذكر أنّ السماعنة من جذام لا سيما وأنّ بني مهدي من جذام حلفًا لا نسبًا كما أن «سبائك الذهب» ليس للقلقشندي كما توهمه عبارة الطيّب بل هو للسويدي وهذا لم يخالف القلقشندي بل جعل كتاب القلقشندي «نهاية الأرب» في صورة مشجرة كما نصّ عليه السويدي في مقدمة «سبائك الذهب» وهو لم يخالف القلقشندي في شيء لنقول هاهنا إنّه أيّده في نصّه هذا، وأضاف الطيّب يقول: (وفي «قلائد الجمان» المستدرك من العلامة القلقشندي عرّف السماعنة قائلاً: السماعنة من مهدي دخلوا في (بنو؟ طريف من جذام)[4] وهذا النصّ يفيد أن السماعنة وحدهم من بطون بني مهدي هم الذين دخلوا في بني طريف من جذام. وهذا لم يقله القلقشندي بل الذي ذكره كما سيأتي بيانه أن السماعنة بطن من بني مهدي، وأن أصل بني مهدي من عُذرة، وأنهم في عهده كانوا فرعًا من بني طريف ثم من جذام. وأضاف الطيّب يقول: (كان السماعنة والسعديين)؟ من أقدم البدو الذين توطنوا في شمالي سيناء تلا ذالك قدوم بطون طيّء من الشام مثل البياضية والأخارسة والعقايلة)[5]، قال الأحيوي: ها هنا في نصّ الطيب أوهام لابد من التنبيه عليها وهي:

١ - أن البياضية والأخارسة من جذام وقد ذكر الهمداني (ت نحو ٣٥٠ هـ) بني بياضة في شمالي سيناء ثم ذكرهم القلقشندي والمقريزي وقد بيّنا خطل الطيب في نسبته البياضية إلى طيّء في بحثنا عن قبيلة البياضية المنشور في «العرب» سنة ٢٩ ص ٣٨٥ - ٣٨٦.

٢- الغريب أن الطيّب يدّعي أن نزول السماعنة إلى شمالي سيناء أقدم من نزول البياضية مع أن القلقشندي وهو مصدر الطيب فيما ذكر عن السماعنة ذكر أن السماعنة كانوا يقيمون في بلاد البلقاء في الأردن في الوقت الذي ذكر فيه أن بني بياضة (البياضية) يقيمون في منطقة قطية في شمال غرب سيناء؟!!

٣- الصحيح أن السماعنة من القبائل التي دخلت متأخرة نسبيًا إلى شمالي سيناء كما سيأتي بيانه.

وقال محمد جميل خُمّيِّس في بحثه عن بلدة بيت نتيف وسكانها: (هم من قبيلة السماعنة التي تنتمي إلى قبيلة سعد التميمية القيسية ومن حيث العادات والتقاليد ومنها أن العروس عندنا تغطي رأسها بالبشكير الأحمر شعار القيسية وكما هو معلوم عندنا جميعًا أن العروس اليمنية تلبس على رأسها الطرحة البيضاء) وقال: (وأبناء بيت نتيف يفخرون بأنهم قيسية)[٦].

قال الأحيوي: القول بأنّ السماعنة من قيس قول باطل ساقط لا يسنده شبه دليل، وكون نزعتهم قيسية فإن هذا ليس دليلاً على نسبهم فكثير من ذوي الأصول اليمانية قَيْسِيُّو النَّزعة وكثير من ذوي الأصول العدنانية يَمَنِيُّو النزعة، وذالك بسبب الأحلاف، الأحلاف لا تقوم على أساس من النسب وإلا فإنها لا تصبح حلفًا، ومن ذالك على سبيل المثال حلف خندف الذي يضم من القبائل العدنانية هذيل وسليم وسبيع ويضم من القبائل القحطانية البقوم وغامد وبجيلة وحلف شبابة الذي يضم من القبائل العدنانية عُتيبة ومن القبائل القحطانية حرب وجهينة وبلي وزهران، وما ينطبق على حلفي شبابة وخندف في الجزيرة العربية ينطبق

على حلفي قيس ويمن في بلاد فلسطين، ومن ذالك أن آل جـرّار وهـم من عشائر فلسطين المشهـورة كانـوا ينقسمـون إلى قسمين أحدهمـا يمني النـزعة والآخـر قيسيّ النزعة، رغم أنهما من أصل واحد، وهذا يتبيّن لنا أن النزعة ليست دليلاً على النسب، والقـول بأن السماعنـة من بني سعد من تميم سيأتي القـول في بطلانـه.
وقال محمد جميل خميس أيضًـا: (قبيلة السماعنة قبيلة حجـازية تنتمي إلى قبيلة سعد التميميـة العدنانيـة القيسية، ولما كـان هناك خلط بين سعد التميميـة وسعد الجذامية القحطانية في مصر نسبها القلقشندي إلى قبيلة سعد الجذامية وهذا غير صحيح، فالسماعنة في بيت نتيف. وفي صحراء سينـاء والمحافظة الشرقية (بلدة السماعنـة) والمحافظـة الغربيـة (بلدة القـويسنة) في مصـر من القبـائل القيسية) وقـال: (السـماعنـة قبيلـة هاجـرتْ من الطائف قبيـل الفتح الإسلامي إلى جبـال الشوبك ووادي موسى في الأردن، ثمّ انتقلت إلى صحراء سيناء وفلسطين، وبعد البحث عن أصل السمـاعنة في بطـون كتب الأنسـاب العربيـة تبين أنهم بطن من قبيلـة سعد التميميـة حيث أن أكبـر عشائر السمـاعنة الحـاليـة وهي: المناصيـر، الشعايرة، المراشدة، الشتيات تنتمي إلى قبيلة سعـد المضرية العدنانية التي كانت تسكن الطائف - راجع كتـاب «أنساب العرب» ص ٢٤٩ عبـدالرزاق قطب -[٧]
قال المسعودي: القول بأن السماعنة من بني سعد من تميم وأنّ القلقشندي خلط نسبهم بسبب تشـابه الأسمـاء عندمـا نسبهم إلى بني سعد من جـذام قول سـاقط للأسباب التالية:

١ - أنّ بني تميم ليسوا من قيس فهم بنو تميم بن مرّ بن أُد بن طابخة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معـد بن عدنان وبنو سعد منهم هم بنو سعـد بن زيد مناة بن تميم، أما قيس فهم بنو قيس عيلان بن مضر.

٢ - أنّ القلقشندي لم ينسب السمـاعنة إلى بني سعـد من جذام بل نسبهم إلى بني مهـدي وقد نسبهـم إلى بني مهدي الحمـداني (ت ٧٠٠ هــ) وابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) وتابعهما القلقشندي (ت ٨٢١هـ).

والقول بأن السماعنة هاجروا من الطائف لا أصل له، ووجود المناصير من السماعنة وتشابه اسمهم مع مناصير تميم لا يعني ارتباط القبيلتين بصلة نسب وإلا فهناك قبائل كثيرة فيها مناصير، فالمناصير قبيلة مشهورة تقطن بلاد عُمان وقطر والسعودية، والمناصير من أشهر قبائل العرب في السودان، والمناصير بطن من المواهيب من خزام من بلي في الحجاز، والمناصير فرع كبير من الجرومية من قبيلة عباد في بلاد البلقاء في الأردن، والمناصير اسم لعدة بطون من شمّر السعودية فهل تشابه أسماء هذه القبائل يعني اتحاد نسبها؟ بالقطع لا وهذا ما ينطبق على أسماء فروع السماعنة، والقول بأن السماعنة سمّوا بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل عليه السلام قول باطل، والزعم أن قسمًا من تميم فرّوا من مكّة شرّفها الله تعالى إلى الطائف فرارًا بدينهم وظلوا محافظين عليه فسمّوا بالسماعنة قول ليس له أصل، فقد كان بنو تميم من قبائل العرب الكافرة قبل الإسلام بل إن منهم من ارتد بقيادة سجاح التميمية عن الإسلام في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولم يكن لبني تميم وجود ببلاد الطائف بل كانوا يقطنون بلاد وسط نجد وشرقها منذ العهد الجاهلي وكون السماعنة لا يغرّبون النكاح فذالك لأنّ السماعنة كانوا قومًا بدوًا فلما استوطنوا بيت نتّيف نزلوا على حضر مستقرّين، ولم يكن البدو يزوجون الحضر بسبب عادات وتقاليد كانوا يتبعوها فتوارث القوم هذا رغمَ استقرارهم، وليس لهذه العادة أصل من الدين وهذه العادة لا تقتصر على السماعنة وحدهم بل اتّبعتها كثير من القبائل العربية مع سكان الحواضر ممّن لا ينتمون إلى القبائل العربية ولا علاقة لهذه العادة بنسب هذه القبيلة أو تلك.

قال المسعودي: عدّ علماء الأنساب بني مهدي فرعًا من بني طريف من جذام وقد بيّن ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) أن بني مهدي من عذرة وهذا يعني أنهم فرع من قضاعة دخلوا في جذام حلفًا، وفيما يلي نصوص علماء الأنساب حول نسب قبيلة السماعنة:

١ - نصّ ابن فضل الله العمري: قال ابن فضل الله العمري في ذكر قبائل جذام:

(بنـو طـريف من جـذام ومنهـم: مسهـر وعجـرمـة ومهـدي وبنـو مهـدي منهـم المشاطبة... والسماعنة).

وقـال: (وجمـاعة قـرشـة بن جـربان من السمـاعنـة[٨]) وقـال: (بنو مهـدي ومنازلهم البلقاء من مضافات دمشق ونسبهم في عذرة)[٩].

٢- نصوص القلقشندي: قال القلقشندي: (بنو طريف أيضًا بطن من جذام من القحطانية) وقـال: قال الحمداني ومنهم: مسهـر وبنو عجرمة وبنـو مهدي عرب البلقاء من بلاد الشام).[١٠] وقال: (بنو مهـدي بطن من بني طريف من جذام من القحطانيـة منازلهم بـالبلقاء من بـلاد الشام وهم بطون كثيـرة أفخاذ متسعـة قال الحمداني: ومنهم المشاطبة.. والمجابرة والسماعنة)[١١] وقال: (السماعنة: بطن من بني مهدي، من جذام من القحطانية منازلهم مع قومهم بني مهدي بالبلقاء من بلاد الشام)[١٢] وقال في ذكر بطـون جذام: (البطن السابع من جـذام: بنو طريف ومنهم بنو مهدي وعدّ في «التعريف» بني مهدي من عُذرة وقد تقدم أنّ عُذرة من قُضاعـة من حمير وبـالجملة فهم من عـرب اليمن) وقال: (فـأما بنو مهـدي فهم أكثرهم عددًا وأوسعهم نطاقًا ومنهم المشاطبة.. والمجابرة والسماعنة)[١٣].

ومن خـلال هذه النصـوص يتضح أن السمـاعنة كـانـوا من قبائل البلقـاء في الأردن منذ القـرن السادس للهجـرة على أقل تقدير، فـأوّل ذكرٍ ورد لهم ورد في القـرن السـابع للهجرة علـى لسان الحمـداني (٦٠٢ - ٧٠٠هـ) فـابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) فالقلقشندي (ت ٨٢١هـ) وأنهم فـرع من بني مهدي وأن بني مهـدي من عُـذْرة نسبًـا، ثم دخلـوا في بني طـريف من جـذام شأن كثيـر من القبائل التي دخلت حلفًا في قبـائل أخرى وقد ورد ذكر السمـاعنة وأنهم فرع من بني مهدي في ناحية السلط من بلاد البلقاء في الوثائق العثمانية سنة ١٠٠٥هـ[١٤] وقـد ورد ذكر فـريق منهم في بلاد الخليل فـي القرن الثـاني عشر قـال الزَّبيـدي (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ): (السماعنـة بطن من العـرب مساكنهم جبل الخليل عليه

السلام).[١٥] وهذا يعني أنهم كانوا يقطنون بلاد الخليل خلال القرن الحادي عشر أي قبل عهد الزَّبيدي والله أعلم.

* فروع السماعنة: في حديث نَعُّوم شُقَير عن قبائل شمالي سيناء فيما كتبه عام ١٩٠٦م قال: (يسكن بادية العريش قبائل السواركة.. والسماعنة).[١٦] وقال: (السماعنة ومن مشايخهم محمد خضير وحسين شبانة[١٧]، وقال في ذكر الزُّقبة من بلاد العريش: (ومن القبائل التي تزرع الزقبة مع الدواغرة... والسماعنة).[١٨]

وفي ذكرهم قال (ج. و. موري): (السماعنة: ١٥٠ نسمة تحت قيادة الشيخ محمد خضير وحسين شبانة وقد قدموا من سورية)[١٩] يعني بلاد الشام التي تشمل بلاد البلقاء والخليل التي تواجد فيها السماعنة وقال (او بنهايم) في ذكرهم: إن عدد السماعنة في سيناء ١٥٠ نسمة ومن شيوخهم محمد خضير وحسين شبانة[٢٠] وتتفرع قبيلة السماعنة في شمالي سيناء إلى الفروع التالية:

١- الحساسنة: وواحدهم أبو حسون ومن فروعهم:

١- أولاد إبراهيم. ٢- أولاد حسن. ٣- الخضايرة.

٤- الشبانات (أولاد شبانة) وواحدهم شبانة منهم حسين شبانة من شيوخ السماعنة ذكره نعوم شقير كما مرّ ومن الشبانات فريق في قويسنا بمحافظة المنوفية، ولهم قرية الشبانات (عرب الشبانات) في مركز فاقوس في محافظة الشرقية.

٥- الهدايبة.

٢- الحوامدة: ومن فروعهم:

١- أولاد أحمد. ٢- أولاد حسن. ٣- الحلادسة. ٤- أولاد سويلم.

٥- الصبايحة. ٦- العوايضة.

٣- أبو دربي: وهم في العريش.

٤- الزقازقة: وواحدهم أبو زقزوق ومن فروعهم:

١- أولاد حسن.   ٢- أولاد خليل القرموس.

٣- الزوايدة.   ٤- أولاد يوسف.

ومن الزقازقة فريق في قويسنا بمحافظة المنوفية وفريق في منشية أبو عامر في مركز الحسينية في محافظة الشرقية.

٥- الشتيّات: وهم في نواحي قطية، وللسماعنة في قطية مياه ونخيل، ويتواجد فريق كبير جداً من السماعنة في محافظة الشرقية وغيرها من أنحاء الديار المصرية، ومن المعلومات المتوفرة عنهم في مطلع القرن التاسع عشر للميلاد أن السماعنة في الشرقية يعدّون ٣٥ فارساً وعدد مشاتهم ٥٠٠ رجل وكان شيخهم علي أبو شريف وذالك سنة ١٨٣٠م[٢١] وقد كانوا من قبائل محمل الحاج المصري قال نعوم شقير: (كان عرب العائد يلتزمون تقديم الإبل للمحمل المصري فلما تحضّروا التزمها سائر عرب الشرقية والقليوبية على التّناوب فسنة يلتزمها عرب القليوبية.. وسنة يتلزمها عرب الشرقية وهم النفيعات والسماعنة.. وكان كل فريق يقدّم في السنة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ جمل وكانوا يلتزمون حفظ المحمل إلى العقبة ولكن جمالهم تسير مع المحمل إلى مكة)[٢٢] وذكر (اوبنهايم) في كتابه الصادر عام ١٩٤٣ أن عدد السماعنة في الشرقية ٦١٠٦ نسمات[٢٣].

* فروع السماعنة في الشرقية وغيرها:

١- عشيرة أبو أحمد ويقطنون في منطقة اشكر.   ٢- عشيرة أبو توبة.

٣- عشيرة الجعان وهم في اشكر.   ٤- عشيرة الحجايجة ومن فروعهم:

١- أبو جنّة.   ٢- أبو سلمي.   ٣- الكلايخة.

٥- عشيرة الحصنة ومن فروعهم:

١- الحمايدة.   ٢- أبو شرف.   ٣- أبو شريف.

٦- عشيرة الحلوات وواحدهم أبو حلو ومن فروعهم قطّاوي ومنهم فريق في بيت نتيّف في فلسطين.

٧- عشيرة الذرين ويقطنون بلدة عرب السماعنة في مركز فاقوس ومنهم جماعة في أم عجرم.

٨- عشيرة الرّقايطة ومن فروعهم: ١- أبو ذياب. ٢- أبو ذيب . ٣- الكرّ.

٩- عشيرة الرّهيّات وواحدهم أبو رهيّة ومن فروعهم:

١- أبو جمعة. ٢- أبو رهيّة. ٣- أبو موسى.

١٠- عشيرة أبو زعرة. ١١- عشيرة الزقازقة: يقطنون في منشية أبو عامر في مركز الحسينية ومنهم فريق في قويسنا بمحافظة المنوفية.

١٢- عشرة أبو سبيتان: يقطنون قرية عرب عين شمس.

١٣- عشيرة السعادنة: ويقطنون في اشكر.

١٤- عشيرة أبو سعد: يقطنون في اشكر وفي أم عجرم.

١٥- عشيرة أبو سلمي: يقطنون قرية عرب عين شمس.

١٦- عشيرة السوالمة ومن فروعهم: ١- الجرادات. ٢- أهل حسن.

٣- الذيابات. ٤- أبو سرحان. ٥- الفحايلة (أبو راشد). ٦- المناخرة.

١٧- عشيرة الشبانات: يقطنون قرية عرب الشبانات في مركز الحسينية.

١٨- عشيرة الشعايرة ومن فروعهم: ١- أبو راشد. ٢- أبو سبيت.

٣- أبو عمر. ١٩- عشيرة الصبايحة: يقطنون قرية عرب عين شمس.

٢٠- عشيرة الطرايدة: يقطنون قرية عرب عين شمس.

٢١- عشيرة الطويل ومن فروعهم: ١- الخلايلة. ٢- أبو إسماعيل. ٣- أبو عايد.

٢٤- عشيرة أبو عامر: يقطنون في منشية أبو عامر في مركز الحسينية وفي فريق في أم عجرم.

٢٥- عشيرة العبايدة ومن فروعهم: ١- راشد. ٢- المراشدة (مرشد).

٣- مقبل. ٤- مقيبل وتقيم عشيرة العبايدة في بلدة عرب السماعنة.

٢٦- عشيرة العطاونة: يقطنون في منشية أبو عامر في مركز الحسينية.

٢٧- عشيرة أبو عطوان: يقطنون في أم عجرم.
٢٨- عشيرة العقدة: وواحدهم العقيد ومن فروعهم: ١- أبو سويلم.
٢- أهل عمّار. ٢٩- عشيرة أبو علي: يقطنون في اشكر.
٣٠- عشيرة العوامرة. ٣١- عشيرة العواودة.
٣٢- عشيرة قرمد: يقطنون في بلدة عرب السماعنة ومنهم جماعات في منشية أبو عامر في أبو كبير وفي منشية أبو إعْمَر.
٣٣- عشيرة القريناوي: يقطنون في قرية عرب عين شمس.
٣٤- عشيرة أبو معمّر: يقطنون في منشية أبو عامر في مركز الحسينية.
٣٥- عشيرة النجاجرة ومن فروعهم: ١- أهل حسن. ٢- الدراوشة[٢٤].

وقد جاء في «موسوعة القبائل العربية» حول مساكن السماعنة في الديار المصرية ما نصّه: (تعتبر قرية قطية على الساحل الشمالي هي المعقل الأول لعرب السماعنة وقد هاجر الكثير من الفخوذ إلى جوار إخوانهم من السماعنة القدامى في وادي النيل قادمين من سيناء وتوجد في الشرقية بلدة كبيرة باسم السماعنة تصلها محطة قطار من فاقوس وتسكن أغلب فخوذ عرب السماعنة في تلك البلدة التي أصبح تعدادها كبيراً كما تسكن فخوذ في أم عجرم وعرب شمس واشكر والحسينية وبعضهم يتبع مركز الحسينية والآخرون تابعون إلى مركز فاقوس وكما تسكن عائلات من السماعنة في عرب درويش والغزالة والغزلي وفاروق والحمامصة وبني عمرو ورأس طبل والسعادنة وكفر عمّار وسنيطة وأم غصن وصان الحجر والصالحية الجديدة وكُبري أبو شمسية وجزيرة سعود والحسنية وبني سريط وميت العزّ والصوفية والمأمور وهناك الكثير من السماعنة في قرى عديدة في قويسنا من السماعنة مثل الشبانات والزقازفة وغيرهم)[٢٥] وجاء فيها أيضًا: (يقيم فرع من السماعنة قرب عيون موسى جنوب شرق السويس مجاورون لقبيلة العليقات وفي منطقة جلبانة والدويدار وغراب وعسيلة وجامع العدوي والقوفة، كما تقيم بعض عائلات تنتمي إلى السماعنة أيضًا في صعيد مصر في دشنا وأبو طشت [في] محافظة قنا)[٢٦] وغيرها من أنحاء الديار المصرية.

*السماعنة في فلسطين: تتواجد قبيلة السماعنة في أنحاء مختلفة من فلسطين كما يتضح بيانه فيما يلي:

١- عشيرة جمّاد: وتقطن مدينة يافا على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

٢- عشيرة أبو حميد: وتقطن مدينة اسدود الواقعة على نحو ٤٠ كيلاً شمال شرق غزّة.

٣- عشيرة أبو دنّة: وتقطن بئر ماعين جنوب شرق مدينة الرملة وينسب إليهم بئر أبو دنّة الذي تقطنه عشيرة أبو دنة وبئر أبو دنة من قرى قبيلة النعيمات في جبال الشراة في جنوب غرب مدينة معان في جنوبي الأردن وهم هناك في عداد النعيمات.

٤- عشيرة السماعنة: وتقطن مدينة غزّة.

٥- عشيرة السماعنة: وتقطن بلدة بيت إيبا الواقعة على نحو ٧ أكيال غربي نابلس.

٦- عشيرة السماعنة: وتقطن مدينة بيت نتّيف في بلاد الخليل التي تقع على نحو ٢٠ كيلاً إلى الشمال الغربي من الخليل تحدث عنهم أحمد جميل خميّس فقال: (قبيل حملة إبراهيم باشا حوالي سنة ١٨٣٠ وصل إلى بيت نتّيف قسم من قبيلة السماعنة قادمين من جبال الشوبك مرورًا بالكرك ثم البلقاء ثم الشونة الجنوبية ثم القدس، وقد استقروا في بيت نتّيف وقد اختلطوا مع أهل البلدة الأوائل بالنسب وانصبغوا جميعًا بصبغة السماعنة وأصبح لقب أهالي بيت نتّيف في جبل الخليل وجنوب فلسطين يعرف بالسماعنة)[٢٧] قال المسعودي: قوله بالنسب يعني بالمصاهرة وهناك فرق بين النسب الذي يعني وحدة الأصل وبين المصاهرة التي كثيرًا ما تتم بين أصول مختلفة لا يجمعها بالضرورة نسب واحد. والقول بأن استيطان السماعنة في هذه الديار تَمَّ قبيل حملة إبراهيم باشا حوالي سنة ١٨٣٠م أي في مطلع القرن التاسع عشر للميلاد قول غير صحيح فقد كانوا يسكنون هذه الديار وينزلونها في عهد الزَّبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ ١٧٣٢ - ١٧٩٠م) وهذا يعني أنهم نزلوا هذه الديار في زمنٍ سبق عهد الزبيدي كما سبق

ذكره والسماعنة في بيت نتّيف هم أكبر تجمع للسماعنة في بلاد فلسطين وينقسمون إلى قسمين هما:

أ- خميّس: يتألف هذا القسم من العشائر التالية:

١- عشيرة بشير. ٢- عشيرة حمّاد. ٣- عشيرة حمد الله.

٤- عشيرة أبو ريالة. ٥- عشيرة أبو سرور. ٦- عشيرة محمد.

٧- عشيرة المشايخ (الحلـوات) والحلوات من عشائر السماعنـة في الشرقية كما سبق ذكره.

٨- عشيرة نحلة. ٧- منصور: يتألف هذا القسم من العشائر التالية:

١- عشيرة أبو راشد: أبو راشد في الشرقية فرع من الشعايرة من السماعنة هناك.

٢- عشيرة السداحمة. ٣- عشيرة الشربي. ٤- عشيرة أبو شعيرة (الشعايرة).

وقد سبق ذكر الشعايرة وفروعهم في الحديث عن سماعنة الشرقية في مصر.

٥- عشيرة الشواكيك. ٦- عشيرة الصوري. ٧- عشيرة أبو عمر.

٩- عشيرة مسلط. ١٠- عشيرة مطلق.

٧- عشيرة أبـو شعيرة (الشعـايرة) وتقطن مدينـة غزة ومنهم جمـاعة في بيت نتّيف وأخرى في الشرقية.

٨- عشيرة العمصي: وتقطن السوافير الواقعة على نحو ٤٢ كيلاً شمال شرق غزة.[(٢٨)]

٩- عشيـرة أبو ليّـة: وتقطن بلـدة بريـر الـواقعة على نحـو ٢١ كيـلاً شمال شـرق غزة.[(٢٩)] ويبقى أن نشير إلى أن احسان النمر في حديثة عن حمايل - أي عشائر- بيت ايبا ذكر السماعنة وذكر فروعهم فقال رحمه الله تعالى: (السماعنة ويقسمون إلى:

١- دار حمدان. ٢- ودار عقل. ٣- ودار سالم.

٤- ودار الصوص. ٥- ودار صالح الحسن.

ولهم أقـارب في جهـات متعـددة في بيت طيحـا (غـزّة) وفـي بيت نتّيف والسوافير)[(٢٩)].

* وسم السماعنة: تَسِمُ قبيلة السماعنة في شمالي سيناء سمة المَحَلّة وشكلها هكذا H وهو مثل وسم قَبيلة العيايدة الجذامية النسب.

العقبة: راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي

الحواشي:

(١) «سيناء الموقع والتاريخ». عبده مباشر وإسلام توفيق ص ٢٤.

(٢) «تاريخ سيناء». نعوم شقير ص ١٢٣.

(٣) و (٤) و (٥) «موسوعة القبائل العربية». محمد سليمان الطيب. مجلد ١ ص ٦٠٠.

(٦) «قبائلنا». أحمد موسى الفسفوس ج ٢ ص ٤٣.

(٧) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٨.

(٨) «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين). ابن فضل الله العمري. تحقيق دوروتيا كرافولسكي. ص ١٠٩ و ١١٠ وقد ورد الاسم هكذا السماعة سقطت منه النون وهكذا ورد أيضًا في «العرب» سنة ١٦ ص ٦١٠ وورد في «المسالك» ذكر جماعة قرسة بن حرسان من السماعة والصواب قرشة بن جربان كما ورد في «العرب» سنة ١٦ ص ٦١٠.

(٩) «التعريف بالمصطلح الشريف». ابن فضل الله العمري ص ١١٣ وورد فيه الاسم هكذا عدوة والصواب عُذْرة.

(١٠) «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب». القلقشندي ص ٣٢٣.

(١١) المصدر السابق ص ٤٢٧، «صبح الأعشى في صناعة الانشا». القلقشندي ج ٤ ص ٢١٣.

(١٢) «نهاية الأرب» ص ١٣٨.

(١٣) «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان». القلقشندي ص ٦٦، «صبح الأعشى» ج ٤ ص ٢١٣.

(١٤) «دفتر مفصل لواء عجلون» (طابو دفتري رقم ١٨٥). دراسة وتحقيق وترجمة د. محمد عدنان البخيت د. نوفان رجا الحمود. ص ١٢ و ٢٥٥ و ٢٨٢.

(١٥) «تاج العروس». الزبيدي (سمع).

(١٦) «تاريخ سيناء» ص ١٢١. (١٧) المصدر السابق ص ١٢٢. (١٨) المصدر السابق ص ١٢٣.

(١٩) «أبناء إسماعيل». ج. و. موري (بالإنجليزية) ص ٢٥٢.

(٢٠) «البدو». أو بنهايم (بالألمانية) ج ٢ ص ١٤١.

(٢١) مجلة «الهلال» سنة ١٥ (١٩٠٧م - ١٣٢٥هـ) ج ٦ ص ٣٦٦.

(٢٢) «تاريخ سيناء» ص ٢٦٣. (٢٣) «البدو» ج ٢ ص ١٤١ و ١٤٢.

(٢٤) و (٢٥) و (٢٦) «موسوعة القبائل العربية» مجلد ١ ص ٦٠٠ - ٦٠٣.

(٢٧) «قبائلنا» ج ٢، ص ٤٧. (٢٨) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٩ - ٥٠.

(٢٩) «تاريخ جبل نابلس والبلقاء». احسان النمر. ج ٤ ص ٢٨٢.

- ١٣ -

٥٨- بَابُ الآبِ وآلاتِ والآآت[١]

أمَّا - بقصر الهَمْزَةَ وتَخْفيف اللاَّم وآخرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ: شُعْبَةٌ وَاسِعَةٌ مِنْ دِيَار مُزَيْنَةَ قُرْبَ المَدِينَة عَلَى وَزْنَ سَرَاب[٢].

وَأمَّا جَمْعُ آلَةَ: مَوْضِعٌ، وَقِيلَ: بَلَدٌ، وقِيلَ: بلدان[٣].

وَأمَّا الآآت: عَلَى وَزْن فَعَالاَت: في شعْر[٤].

٥٩- بَابُ إلآلِ وَآلاَلَ وَآلاَلَة[٥]

أمَّا عَلَى وَزْن حمَار: حَبْلٌ أوْ جُبَيْلٌ عَنْ يَمِينِ الإمَامِ بِعَرَفَةَ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ بنُ بكَّار: إلاَلُ: هُوَ البَيْتُ الحَرَامُ في قَوْل بَعْضِهِم[٦].

---

(١) لَيْس في كتَاب الحَازميّ.

(٢) نَقَل يَاقُوت هَذَا بِنَصِّه دُوْن نسبَة، وَآلاب هَذَا: وَادٍ لاَ يَزَالُ مَعْرُوفًا، وَهُوَ مِنْ أكْبَر روافد وَادي الصَّفْرَاء، يَنْحَدر مِنْ نَوَاحِي الأشْعَر (جَبَل الفقرة) وَيَجْتَمِعُ بِوَادي طَاشا، حَتَّى يَفِيضَان في وادي الصَّفْرَاء في جهته الشَّمَاليَّة، وَسُكَّانُ الآب من الحَوَازِم مِنْ قَبِيلَة حَرْب.

(٣) أوْرَدَه يَاقوت عَنْ نَصر بدُوْن زِيَادَة.

(٤) في «المُعْجَم»: آلآآت: بوزن فَعَالاَت، وَيَلْفظ عَلاَمَات ذُكر في الشِّعْر عَنْ نَصر. وكُتبَ الاسْم بِألف بَعْدَهَا لاَمُ ألف، فَألفٌ أخرَى مَهْمُوزَةٌ فتاءٌ، ولكنّه بِهَذه الصُّوْرَة لاَ يَكُون عَلَى وَزْن فَعَالاَت أوْ عَلاَمَات.

(٥) لَمْ يَذْكُر الحَازِميُّ الاسْم الأخير.

(٦) عند الحَازمِيِّ: جَبَلٌ عَنْ يَمين الإمَام بعَرَفَة، ثُمَّ أوْرَدَ قَوْل الزُّبَيْر، وَعَقَّبَ عَلَيه بِقَوْله: والقَوْل الأوَّل أصَحُّ، قَال أمَيَّةُ بْنُ أبي الصَّلْت:

وَيَنْذُ القَائلِيْنَ فَهُمْ إلَيْه ... كَمَا نَظَر الحَجِيجُ إلَى الإلاَل

واختُلفَ في إلاَل، هَلْ هُو جَبَلٌ بالجِيم، أوْ حَبْلٌ مِن رَمْلٍ، وَهُو الحَبْلُ المَعْرُوف الآن بِعَرَفَة يَلْبُ بِجَبَلِهَا، وَيَقِفَ الإمَامُ بِجَانِبه.

وَأَمَّا أَلالُ عَلَى وَزْنِ أَحْمَرَ: مَوْضِعٌ بِالْجَزِيْرَةِ[1].

وَأَمَّا أَلالَةُ عَلَى وَزْنِ حُثَالَةَ: مَوْضِعٌ بِالشَّامِ[2].

٦٠- بَابُ الأَمْهَادِ وَالأَمْهَارِ[3]

أَمَّا بِالدَّالِ: أَمْهَادُ عَامِرٍ[4].

وَأَمَّا بِالرَّاءِ: ذَاتُ أَمْهَارٍ[5].

٦١- بَابُ أَمْنٍ، وَأَمَرَ، وَأَمَرٌ[6]

أَمَّا بِفَتْحِ الهَمْـزَةِ وَسُكُوْنِ المِيْمِ وَآخِرُهُ نُـوْنٌ: مَاءٌ فِي بِلاَدِ غَطَفَـانَ، وَقَدْ تُقْلَبُ الْهَمْزَةُ يَاءً عَلَى عَادَتِهِمْ يَمْنٌ[7].

= وَضَبَط يَاقُوتُ الاسْمَ بِوَزْنِ حَمَام، وَأَوْرَدَ عَنْ ابنِ دُرَيْد: حَبْلُ رَمْلٍ بِعَرَفَات عَلَيْه يَقُوم الإِمام، وَقِيل: جَبَلٌ عَنْ يَمِيْنِ الإِمَام، وَقِيل: إِلاَلَ: جَبَل عَرَفَة نَفْسُه، ثُمَّ أَوْرَدَ الاسْمَ - بِكَسْرِ أَوَّلِه - قَائِلاً: والأَوَّل أَصَحُّ، وَأَوْرَدَ عَلَيْه شَوَاهِد مِنَ الشِّعْر. وانظر عن إلال «العرب» س ٣٢، ص ٢٩٦ وما بعدَها.

(١) هُوَ تَعْرِيْفُ الحَازِمِيِّ، وَفِي «المُعْجَم» بِوَزْنِ أَحْمَرَ، وَلَفْظ عَلعَلَ: بَلَدٌ بِالجَزِيرَةِ وَلَمْ يَزِد، وَيَقْصُـد بِالجَزِيْرَة هُنَا: الجَزِيْرَة الفُرَاتِيَّة.

(٢) لَمْ يَذْكُرْه الحَازِمِي، وَفِي «المُعْجَم» أَلالَة بِوَزْن عُلاَلَة: مَوْضِع فِي قَوْل الشَّاعِر:

لَـــوْ كُنْتَ بِـــالطَّبَسَيْنِ أَوْ بِأَلالَــةِ

ثُمَّ أَوْرَدَ كَلاَمَ نَصر مَنْسُوبًا إِلَيْه.

(٣) لَيْس فِي كِتَاب الحَازِمِيِّ.

(٤) فِي «المُعْجَم»: الأَمْهَادُ - جَمْع مَهْدٍ - وَيَوْمُ الأَمْهَادِ مِنْ أَيَّام العَرَبِ وَيُقَـال لَهَا أَمْهَادُ عَامِرٍ، كَأَنَّهُ مِن مَهَدْت الشَّيْءَ، أي بَسَطْتُه. انْتَهَى.

والمُهْد: بِضَمّ المِيْم: مَا انْخَفَض مِنَ الأَرض فِي سُهُوْلَة واسْتِواء، جَمْعُهُ مُهَدَةٌ وَأَمْهَاد.

(٥) فِي «المُعْجَم»: ذَاتُ أَمْهَار: مَوْضِعٌ بِالبَادِيَة، والمُهْرُ: وَلَدُ الفَرَسِ، والجَمْعُ أَمْهَارٌ، وَلَمْ يَزِدْ.

(٦) عِنْد الحَازِمِيِّ (بَابُ أَمَرَ وَأَمَرٌ).

(٧) فِي «مُعْجَم البُلْدَان» كَلاَمَ نَصْر مَعَ زِيَادَة قَالَ الشَّاعِر:

إِذَا حَلَّـت بِيَمْـنٍ أَو جُبَّــــــــار

وَأُضِيـف: لاَ يَزَال يَمْنُ مَعْرُوفًا بِهَذَا الاسْم، وَفِي «المُعْجَم»: عَيْنُ مَاءٍ لِغَطَفَان بَيْنَ فَوٍّ وَرُؤَاف، عَلَى الطَّرِيْق =

وأَمَّا بفتح الهَمزة والميم وآخره راءٌ: ذُو أَمَر بنجد من ديار غطفان، وكان رسُول الله ﷺ خرج إليه لجمع بلغه أنه به من مُحارب، وغيرهم فهرب القوم منه إلى رؤوس الجبال، وزعيمهم دعثور بن الحارث المحاربي، فعسكر المسلمون بذي أمر، قصة قتل دعثور(1).

= بين تيماء وفيد، وأورد شاهداً من قول زهير، وقول عامر بن الطفيل، وقد أرسل رسول الله ﷺ في سنة سبع من الهجرة سرية إلى جبار ويمن، حين بلغه أن غطفان جمع رئيسها عيينة بن حصن جمعاً لغزو الرسول ﷺ، فأرسل بشير بن سعد ومعه الدليل حسيل بن نويرة الأشجعي، دليل الرسول ﷺ إلى خيبر، فانهزم جمع عيينة وقتل عبد له، وأصابت السرية إبلاً وغنماً، وانهزم عيينة ولقيه الحارث بن عوف منهزماً فقال: قد آن لك يا عيينة أن تقصر عما ترى. انتهى.

ويمن: هذا لا يزال معروفاً باسمه - بفتح الياء و إسكان الميم-: ماء فوقه بويتات قليلة، قليلة السكان، شرق الطريق.

وتقع بئر يمن هذه شرق الطريق من خيبر إلى تيماء قبل الوصول إلى حفيرة الأيدا، في الجنوب الشرقي منها بحوالي ٣٠ كيلاً في الطرف الشرقي الشمالي من جبال الخطم، شرق حمراء البديع، وقبل الوصول إلى وادي قو الواقع شمال يمن، وبعض فروعه قريبة من يمن.

أما رؤاف: فهو جبل لا يزال معروفاً يقع شمال يمن في الجهراء (الجناب) ويدع وادي قو جبل رؤاف شرقه (يمن بقرب الدرجة ١٦َ / ٣٩ طولاً و ٢٦َ / ٢٦ عرضاً) و(رؤاف بقرب الدرجة ٠٠َ / ٣٩ طولاً و ٥٨َ / ٢٦ عرضاً).

(١) عند الحازمي: ذو أمر قال الواقدي: من ناحية النخيل، وهو بنجد، ثم ساق كلام نصر، سوى جملة: (قصة قتل دعثور) وأراها مقحمة في كلام نصر. وفي «المعجم» نقل كلام الواقدي وبعده: وكان رسول ﷺ خرج في ربيع الأول من سنة ثلاث من الهجرة لجمع بلغه أنه اجتمع من محارب وغيرهم، فهرب القوم منه إلى رؤوس الجبال، وزعيمهم دعثور بن الحارث المحاربي، فعسكر المسلمون بذي أمر، ثم أورد رجزاً لعكاشة بن مسعدة السعدي، وقال: الأمر في الأصل الحجارة تجعل كالأعلام، الواحدة: أمرة، ثم ذكر أمر - بإسكان الميم-: موضع بالشام، وأورد شاهداً من شعر الراعي.

ويظهر لي أن ذا أمر هذا: يقع غرب الحناكية، بقرب وادي النخيل، فقد نقل السمهودي عن الأسدي قوله: ذو أمر: واد بطريق فيد إلى المدينة على نحو ثلاث مراحل من المدينة بقربه النخيل. انتهى.

وإذن فهو من أودية الحناكية نفسها، في أعلاها كما يفهم من خبر الغزوة أن القوم هربوا إلى رؤوس الجبال، أي أنهم ارتفعوا في شعافها الواقعة شمال الحناكية.

ووادي النخيل لا يزال معروفاً، يقع غرب الحناكية (نخل) بنحو عشرة أكيال، يجزعه الطريق المتجه إلى المدينة، وفي أعلاه قرية بهذا الاسم، ويبعد عن المدينة بنحو ثمانين كيلاً.

وأمَّا بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ والبَاقِي مِثْلُهُ: مَاءٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّامِ ذُو أَمَرٍّ[1].

٦٢- بَابُ الأَنْعَمِ، وَالأُنْعُمِ[2]

أَمَّا بِفَتْحِ العَيْنِ: جُبَيْلٌ بِبَطْنِ عَاقِلٍ بَيْنَ اليَمَامَةِ والمَدِينَةِ عِنْدَ مَنْعِجٍ وَخَزَازٍ، وَهُنَاكَ آخَرُ قَرِيبٌ مِنْهُ، يُقَالُ لَهُمَا الأَنْعَمَيْنِ، وَيُصَغَّرُ أُنَيْعِم[3].

وأمَّا بِضَمِّ العَيْنِ: جَبَلٌ بِالمَدِينَةِ عَلَيْهِ بَعْضُ بُيُوتِهَا[4].

---

(١) عند الحَازِمي: أَمَرٌّ: قَرِيبٌ مِنَ الشَّامِ، وَفِي «المُعْجَم»: أَمَرٌّ - بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ - أَفْعَلُ مِنَ المَرَارَةِ: مَوْضِعٌ فِي بَرِّيَّةِ الشَّامِ مِنْ جِهَةِ الحِجَازِ، عَلَى طَرَفِ بُسَيْطَةَ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ، وَعِنْدَهُ قَبْرُ الأَمِيرِ أَبِي البَقَرِ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَوْرَدَ شَوَاهِدَ مِنَ الشِّعْرِ.

وَيُفْهَم مِنْ كَوْنِ المَوْضِعِ عَلَى طَرَفِ بُسَيْطَةَ، أَنَّهُ يَقَعُ شَمَالَ تَبُوك، حَيْثُ الطَّرَفُ الغَرْبِيُّ الشَّمَالِيُّ لِبُسَيْطَةَ، إِذْ كَانَ حُجَّاجُ الشَّامِ يَمُرُّونَ بِهِ قَدِيمًا، وَمَوْقِعُ بُسَيْطَةَ يُدْعَى الآنَ العَرَائِضُ، والقَاعُ أَيْضًا، وَهِي وَاقِعَةٌ شَرْقَ حَالَةِ عَمَّارٍ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ المُدَوَّرَةِ (سَرْغُ قَدِيمًا) بِقُرْبِ حُدُودِ شَرْقِ الأُرْدُن.

(٢) لَمْ يَذْكُرْهُ الحَازِمِيُّ.

(٣) نَقَلَ يَاقُوت كَلاَمَ نَصر بِنَصِّهِ وَلَمْ يَزِدْ، وَعَاقِلُ: وَادٍ لاَ يَزَالُ مَعْرُوفًا بِاسْمِ (العَاقِلي) شَمَالَ جَبَلِ خزاز، وَوَادِي مَنْعِج الَّذِي هُوَ وَادِي دُخْنَة، والأَنْعَمَانِ القَرِيبَانِ مِنْ عَاقِل يُعْرَفَانِ الآنَ بِاسْمِ (القُشَيْعَيْن) تَثْنِيَةَ القُشَيْع، وَهُمَا جُبَيْلاَنِ صَغِيرَانِ يَقَعَانِ إِلَى الجَنُوبِ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسِّ، عَلَى بُعْدِ عَشْرَةِ أَكْيَالٍ تَقْرِيبًا، إِلَى الشَّمَالِ مِنْ وَادِي عَاقِل (العَاقِلي) وَلَهُمَا ذِكْرٌ فِي الشِّعْرِ العَامِيِّ، وَوَادِي العَاقِلِيِّ يَمُرُّ فِيمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ رَامَة، فَيَدَعُهُمَا إِلَى يَسَارِه، وَهُوَ مِنْ رَوَافِدِ وَادِي الرُّمَّة.

(٤) قَالَ يَاقُوت فِي «المُعْجَم»: الأُنْعُمُ - بِضَمِّ العَيْنِ -: مَوْضِعٌ بِالعَالِيَةِ، قَالَ جَرِير:

حَيِّ الدِّيَارَ بِعَاقِلٍ فَالأَنْعُمِ كَالوَحْيِ فِي وَرَقِ الزَّبُورِ المُعْجَمِ

ثُمَّ أَوْرَدَ كَلاَمَ نَصر مَنْسُوبًا إِلَيْهِ.

وَفِي «وَفَاءِ الوَفَاء» نَقَلَ عَنِ المَجْدِ فِي تَعْرِيفِ الأُنْعُمِ: أَنَّهُ الَّذِي بَنَى عَلَيْهِ المُزَنِي وَجَابِر بْن عَبْدِاللهِ الرَّبْعِي، وَنَقَلَ عَنِ ابْنِ زَبَالَةَ فِي كَلاَمِهِ عَلَى مَسْجِدِ المَنَارَتَيْنِ بِطَرِيقِ العَقِيقِ: أَنَّهُ الجَبَلُ الَّذِي عَلَى يَسَارِ المَارِّ أَوَّلَ الرُّقَيْقَتَيْنِ لِلقَاصِدِ لِلعَقِيقِ، وَلَمْ يَذْكُرِ السَّمْهُودِي الرُّقَيْقَتَيْنِ فِي مَوْضِعِهَا، وَقَالَ عَنْ مَسْجِدِ المَنَارَتَيْنِ: أَنَّ الرَّسُول ﷺ صَلَّى فِي المَسْجِدِ الَّذِي بِأَصْلِ المَنَارَتَيْنِ فِي طَرِيقِ العَقِيقِ الكَبِيرِ، قَالَ المَطَرِيُّ: وَهَذَا المَسْجِدُ لاَ يُعْرَف، وَهُوَ يَلِي طَرِيقَ العَقِيقِ، ثُمَّ أَضَافَ مِنْ قَوْلِهِ فِي الأُنْعُمِ وَهُوَ الجَبَلُ الأَحْمَرُ الَّذِي عَلَى يَسَارِكَ إِذَا مَرَرْتَ مِنْ أَوَائِلِ الرُّقَيْقَتَيْنِ قَاصِدًا العَقِيقَ. إِلَى آخِرِ مَا ذَكَر.

أَمَّا بَيْت جَرِير الَّذِي أَوْرَدَ يَاقُوت فَيَبْدُو أَنَّهُ أَرَادَ الجَبَلَ القَرِيبَ مِنْ عَاقِل.

أنهُ مُتألِّم، لا شكاة متظلم!![١]

[أستاذنا الأعرجي من أجلة علماء العرب، الذي صُلُوا - في الآونة الأخيرة - بحرِّ ما أحرقت به بغداد، مما اضطره ككثيرين غيره لمغادرتها إلى غير قصد، فتاه تتقاذفه الأمواج، متنقلاً بين أقطار المعمورة الواسعة التي ضاقت عنه - وعن أمثاله من ذوي العلم والفضل، حتى طوحت به المقادير في بلاد قصيّة من بلاد العالم - كما وصف المتنبي:

ولكن الفتى العربي فيها ... غريب الوجه، واليد واللسان

وكلمة (ولكن) هذه وردت في غير موقعها المناسب، ففي هذه البلاد للعلم والعلماء لدى أهلها منزلة أية منزلة، مما مكن أستاذنا الأعرجي بتأثير ما يحس ويشعر به مما اعتراه من ظلم ذوي قرباه:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً ... على المرء من وقع الحُسَام المهنَّد

ومما قاساه في وطنه الواسع من عدم اعتراف بفضله، بل من عدم تمكنه من وجود مكان استقرار وإقامة، مع ما أصابه في وطنه من أذى وإهانة وتشريد، فتمكن أثناء إقامته في تلك البلاد القصية - بعد أن أعياه التقلقل والتنقل حتى بلغها، تمكن من التعبير عن بعض آثار ما اعتراه إبان غربته التي تجاوزت الآن عشرين عامًا، إذ النكبات والحوادث أقوى محك للصمود، ولإبراز الصفات المميزة للرجال، كأستاذنا الأعرجي، الذي لم يخنع أو يخضع أو يذل لشيء مما أصابه، بل استمر قويًا صامدًا[٢]، غير أن شعوره الفياض الذي عبر عنه في رسالة بعثها لصاحب مجلة «العرب» بتاريخ ٢٧/ ٢/ ١٤١٩هـ أثار في نفسه شجى فأراد لتخفيفه إشراك قراء المجلة بنشر بعض ما ورد في تلك الرسالة].

ولقد نكأتْ في رسالة أستاذي من الجراح ما كنت أظنُّ أنَّه قد اندملَ من أمر غربتي عن وطني، التي مرَّ عليها حتى هذا اليوم الذي أكتب فيه تسعة عشر عامًا، وأحد عشر شهرًا، وثمانية عشر يومًا، هذه الغربة التي دفعتُ ثمنها القاسي جدًّا لا لشيء إلاّ لأنني أُحبُّ وطني بمقدار ما أُحبُّ أمَّة العرب.

ولقد كافأني الاثنان - بلدي وأمّتي - أن نُبِذتُ في هذا الصقيع، فالحمدُ لهما على ما أنعما، والحمد لله قبلهما وبعدَهما على ما قدَّر فلا اعتراض على حكمه الذي لا يردّ، وهو القائل جلَّ وعزَّ وعلا: ﴿عسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكُمْ﴾. ومؤلم وفوق المؤلم أن يَطلب منّي أستاذي العلاّمةُ أنا العربيّ الصليب المُسلم أن أؤرِّخ بالتاريخ الهجري الذي هو تاريخي، ثم لا أحسن ذالك إلا

بمساعدة (الكومبيوتر) ولكن إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

أمّا بُعدي عن وطني، وأحبابي الذي تحدثّتَ عنه متُفضّلاً، فلو كان وحدهَ لهان، ولكنّني كما قال شاعرُنا الجوهريٌّ:

شـــاء همٌّ النـــاسِ أحملُـــهُ ... فـــوق همّي أن يُـــلاث دمي

ولعلَّ ما يُصورِّ مقدار ألمي مما أنا فيه ما كتبتهُ من تسجيل مشاعري في شيءٍ أزعمُ أنّه قصيدةٌ قلتُها وأنا هنا هي:

غربـــة

غـــريبٌ شَعـــرُكَ الأســـــ ... ـــودُ في هفهفـــةِ الشُّقـــره

وعـبءٌ وجهـكَ الأســـــــ ... ـــمرُ لـــولا سُحنـــةٌ حُـــرّه

فقـــد تُنظَـــرُ عن سهــــو ... فتأسى أن تـــرى النظـــره

فمن يّصطـــادُ لي أطيـــا ... فَ أحبـــابي، ولـــو مَـــرّه؟!

فقـــد دارت بي الـــدنيـــا ... فمـــا وازنَت الـــدّوره

وغنَّتْ لي أغـــاني الخصـــ ... ـــبِ لكن لم أرَ الخُضـــره

فلي في كلِّ يـــومٍ مَنْـــ ... ـــزلٌ يُبنى على غِـــرّه

وسبحـــان الـــذي أنشأ ... دارَ اثنين في (صُـــــرّه)

وطُـــــوبَى للمُخفيِّن ... فـــلا زادٌ، ولا وَفْـــرَه

فمن كـــانت لـــه أُذنـــان ... فليسمَعْ شَجِى الـــزّفـــره

لبستُ صبـــايَ مَنفيّـــا ... ولا نـــدمٌ، ولا حَســـره

فـــرُحتُ أريقُ مـــاء العُمـــ ... ـــرِ حيثُ الضيّقُ والعُســـره

وكنتُ أخـــافُ من عشـــرٍ ... تُـــراقُ فـــزدتُهـــا عَشْـــره

وأضيعُ مُعْســــــرِ مَن لم يَصُن - مُتَعمِّـــــــدًا - عُمُـــــره

وإذْ عــــاشــــرتُ أحــــلامي فمــــا بــــالغتُ في العشِـــره

وأيـنَ مبــــالغــــاتُ الطــــــيْرِ يحلُمُ أن يَّــرى وكــــرَهُ؟!

ومــــــــاتَ أبي، ولـم تلمسْ دمـــــوعُ بُنــــوَّتي قبــــرَه

فمـن يَّنفـضُ عـن غُـــــــرَّةِ أيــــــامي أذى الغُبْــــــره

ومن يُّــــدفِئُ آصــــالي بِــذكـــرى الشَّمسِ محمَــرَّه

ويــــاليلي الـــرَّصــــاصيُّ ألـمْ تَشتقْ إلـى سَحْـــــــره؟

غـــريبَ الـــرُّوح لا تيأسْ ويستــــوفي الفتي صبـــــرَه

فمــــا بلـغَ الغنــــاءُ المُـــرُّ قلـبَ النــــايِ أو صـــــدرَه

ولاوِ أمسِ عصفَ الـــرِّيــــــحِ لن يلــــويــــه في بُكــــرَه

ويـــــدري الطحلبُ الغــــافي - ردعُ مـــــا يـــدَّعي - حـــذرَه

ويعـــرفُ يـــومَنـــا المـوعــودَ نخلـقُ بعـــــــدَه شَهـــــرَه

لســـــوف أظلُّ فـي مُقَل الصِّــــغارِ مضــــاحكًـــا فجــــرَه

ولــــــولا أنـــــــه وطني لكنتُ أريتُـــــه قَـــــدرَه

فلــم أرَ مثلَـــــــــهُ أفعى أذلَّ بَنيــــــه عـن خبـــــره

فشــــــرَّد كـلَّ ذي شـــــرفٍ ودلَّـلَ كــلَّ ذي غَـــــــــدْره

وراهـنَ أن يطيــــــرَ حَمَــــــامُـــهُ متحــــدِّيًّــــا صقــــرَه

ومجنـــونٌ مَـن اعتـــزلَ الفُـــراتَ، وعَــــــامَ فـي جَـــــرَّه

أقـــولُ - هُـــديتَ - لا أعني نبيَّ الشِّعــــــرِ أو شِعـــــرَه:

غـــريبَ الـــرُّوحِ لا تحـــزنْ فــأرضُ الله للهجـــــــــره

وكــــان السنـــــدبـــادُ يــــرى　　وضـــوء الـــرُّوح في البَصــــره

ففيمَ تضيــقُ بـــــــــالمنفى　　كـأنك جـــــاهـلٌ حَــــرّه؟!

وفيمَ تخـــــــافُ من روضٍ　　أنيقٍ لـم تَــــذُقْ عطــــرَه

تُمــــــــاحِكُــــهُ لعلّك وا　　جــــدٌ في نَظمــــه عَثــــره

أفـقْ لـي يــــــاهـــــداك الله　　واستحضِـــــرْ رؤى السكـــــره

فهل أجـــداكَ لـــونُ الـــوجــ　　ــــــهِ في مُستنقـع السُّمـــره؟

أم أنّـكَ قـــــد ظللـتَ الأجــــ　　ــــــنبيَّ الــــرُّوحِ والفطــــره

تـــروِّضُ نـــاصعَ الخَطَــرا　　تِ خـــوفَ عَــواقبِ الخَطــره

لأنت أجلُّ مـن أن تَنتمــي نسـرًا إلى حفُـره

فحلّـــق ثـــمَّ زِدْ حتّــــى　　تــــرى جنحيكَ من جَمــــره

وفـي الإنســــــان لـي وطـنٌ　　فسيـحٌ قلبُـــــــهُ زَهـــــره

وكـلُّ الأفـقِ معـــــــــــــراجٌ　　فمــــاذا قُبّـــةُ الصّخـــره؟

غـــريبَ الـــوجــهِ لا تَحــزنْ　　فكـلٌّ بــــــالـغٌ أمـــــرَه

فللـــــدودِ الثـــرى لكنّــــ　　ـــما لـــلأنجُمِ الـــزُّهـــره

فمــــاذا شَعــــرُك المُستغـــرَ　　بُ اللــــون؟ ... ومـــا السُّمـــره؟

بولندا: د. محمد حسين الأعرجي

الحواشي:

(١) لعمارة بن علي الحكمي (٥١٥/٥٥٩هـ) قصيدة بهذا المعنى نشرتها «العرب»، س ٢، ص ٨٨٩.

(٢) انظر ما نشرته جريدة «الرياض» [عدد ١١٠٢١ تاريخ ٥/٥/١٤١٩هـ) عن كتاب «جهاز المخابرات في الحضارة الإسلامية» تأليف الدكتور الأعرجي.

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم:

حول نسب العُميريين حكام مدينة سَمائل العمانية

تُعَدُّ أسرة آل عمير التي حكمت مدينة (سمائل) في داخلية عُمَان من أشهر الأسر الحاكمة في عمان خلال القرن العاشر، وأوائل الحادي عشر الهجريين، وفي أواسط القرن العاشر كان يحكم سمائل الأمير أبو الحسين علي بن سنان بن وشّاح العُمَيري، وورث الحكم من بعده أخوه عامر بن سنان، ومن أمرائهم في القرن نفسه أيضًا الأمير محمد بن ربيعة العميري، وابنه ربيعة بن محمد، أما في الربع الأول من القرن الحادي عشر فقد آلَ حُكم سمائل إلى الأمير عُمير بن حميَّرَ العميري الذي دخل في صراع مع السلطان سليمان بن مظفر بن سلطان النَبهاني، أحد أمراء بني نبهان المتأخرين، وأوقع به هزائم متلاحقة، مما عجَّل بسقوط دولة بني نبهان، ثم دخل في حرب مع حاكم (صُحَار) الأمير محمد بن مهنا بن محمد الهديفي، ولم يتورع عمير عن الاستعانة بالبرتغاليين لضرب خصمه اللدود حاكم (صُحار) وقد اشترك الحليفان في مهاجمة المدينة والقضاء على حاكمها الهديفي وذالك في شهر ربيع الآخر من سنة ١٠٢٥هـ.

وبعد مرور تسع سنين من هذا التاريخ قامت دولة اليعاربة في سنة ١٠٣٤هـ، وكان يحكم (سمائل) عندئذ الأمير مانع بن سنان بن سلطان العُمَيْري، وقد وقف هذا الأمير موقف العداء السافر من الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، أول أئمة اليعاربة الذي كان يسعى لتوحيد بلدان عُمَان تحت سلطته، تمهيدًا للبدء في محاولة إجلاء البرتغاليين من سواحل عمان، وقد انتهى الأمر بمقتل الأمير مانع بحيلة دبرها بعض أعوان الإمام في تاريخ مجهول ولم تقم للعميريين بعدها قائمة.

والذي أود الإشارة إليه هو أن النسابة المؤرخ سالم بن حمود السيابي حينما تطرق لنسب آل عمير هاؤلاء نسبهم إلى عمير بن عامر بن صعصعة[1] دون

تثبت، ومن المعلوم لدى علماء النسب أنه ليس لعامر بن صعصعة ولد يدعى بعُمير، وقد تنبه إلى هذا أستاذنا الفاضل الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ونبَّه إليه[٢]، غير أنني اطلعت مؤخرًا على ديوان لشاعر عماني من أهل القرن العاشر الهجري، وهو الشاعر أبو حمزة سالم بن غسان اللَّواح الخروصي[٣] وفيه ثلاث قصائد رثى فيها بعضَ أمراء آل عمير، ونسبهم فيها إلى قبيلة سَدُوس (بطن من قبيلة بكر بن وائل الربَّعيَّة) ففي قصيدة له هائية يرثي فيها الأمير أبا الحسين علي بن سنان العُميري يقول:

ومَن (سَدُوس) به شاعت مفاخرُها ... يوم المفاخر أُولاها وأُخراها

قد كان أصدقَها قولاً وأحسنَها ... فعلاً وأرسبَها عقلاً وأوفاها[٤]

وفي مرثية أخرى في الأمير أبي الحسين يقول:

بكَ افتخرت (جَديلةُ) في ثَراها ... وأنتَ فلستَ تفخرُ بالرِّمام

بكتك أبا الحسين (بنو سَدوسٍ) ... وآلُ عُميرةَ الشُّمُّ العظام[٥]

وقال في رثاء الأمير محمد بن ربيعة العميري:

وليست به خُصَّتْ (سَدوس) وآلُها ... (جَديلةُ) بل عُمَّتْ به البدوُ والحَضَرْ[٦]

وسَدوس هو ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكَابة بن صعب بن علي بن بكر ابن وائل.

وجديلة هو أحد أجداد بكر بن وائل فهو بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصَى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

ومن خلال تلك الأبيات نستنتج ما يلي:

١ - كان نسب آل عمير في سدوس متعارفًا عليه عندهم في القرن العاشر الهجري، وإلا لما نَسبَ الشاعرُ اللواحُ أمراءَهم إلى تلك القبيلة.

٢- جاء ذكرُ جدِّهم (جديلة) ليبدد الشكوك حول تحديد (سدوس) حيث أن هناك أكثر من قبيلة عربية تحمل هذا الاسم، وبالتالي فإننا غدونا على يقين من أن سدوسًا المقصود هو ابن شيبان بن ذهل من بكر بن وائل وليس هو سَدوس الدارمي، ولا سُدوس الطائي[٧].

٣- ورد اسم (عميرة) بدلاً من (عمير) في أحد أبيات مرثية اللواح الميمية ليستقيم الوزن، فقد ذُكر الاسم الأصلي في أكثر من موضع من القصيدة نفسها، ومن ذالك قوله في رثاء الأمير أبي الحسين:

لآل عُمَيْر بعد أبي حُسين ... مَن الوافي بعهد الالتزام؟
ومن لنساء آل عمير حامٍ ... متى تدعو الوغَا عند الزحامِ؟

وقوله في مدح أخيه وخليفته عامرِ بن سنان:

به فخرت عميرٌ واستطالت ... كما فخرت مَعدٌّ بالتّهامي

وقوله في مرثيته الهائية يمدح عامرًا:

أمست عميرُ به في حفظ مؤتمَنٍ ... عن كُلِّ نائبة الأيام وقّاها[٨]

مدير متحف إمارة عجمان: علي بن محمد بن علي بن راشد المطروشي

الحواشي:

(١) السيابي: سالم بن حمود بن شامس «إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان» منشورات المكتب الإسلامي سنة ١٣٨٤هـ دون ذكر للطبعة، ص ٥٨.

(٢) الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل «أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء» نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ١١٨.

(٣) الطبعة الأولى من الديوان سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، تحقيق محمد علي الصليبي، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، والمراثي المذكورة تقع في آخر الجزء الثاني من الديوان الذي طبع في جزئين.

(٤) ديوان اللواح، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٠، ٢٥١.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٨.

(٧) انظر «الإيناس في علم الأنساب» للوزير المغربي الحسين بن علي، تحقيق: حمد الجاسر، نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط ١ سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ١٦٩.

وكتاب «مختلف القبائل ومؤتلفها» لمحمد بن حبيب البغدادي، المطبوع في ذيل كتاب «الإيناس»، ص ٢٩٢.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، والأبيات مقتبسة من المرثيات الثلاث المشار إليها.

الجبعان من الشُّطَّر من بني عبدالله بن غطفان

إشارة إلى ما نشر في مجلة «العرب» س ٦، ص ١٦١ وكذالك س ٢٨، ص٦٧١ وما نشرتموه في كتابكم «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» عن قبيلة بني عبدالله بن غطفان وتفريعها وبالأخص قبيلة (الشُّطَّر) من الصعوب من بني عبدالله بن غطفان وذكر بطونها.

نفيدكم أن فخذ الجبعان هو أحد بطون قبيلة الشُّطَّر من الصعوب من بني عبدالله ابن غطفان وهم (ذوي عطية (العطاوية) وذوي منير) وهما أخوان أبناء سمران بن عابد بن عوض بن عثمان بن عوض بن مبارك (الأُجيبع) وهم أبناء شاطر.

نود ملاحظة ذالك ونشره عند إعادة طباعة الكتاب إن شاء الله.

جدة: فهد الشاطري

آل ثلاب فرع من العجالين الأسرة المعروفة

نشكر مجلة «العرب» والقائمين عليها لحرصهم واهتمامهم، إلا أننا نعتب على المجلة حينما نشرت س ٣٣ ص ٧١٤ مقالاً تضمن خطأ سببه جهل أحد ابنائنا الذي غُرِّرَ به وهو لم يتجاوز العقد الثالث من عمره هو عبدالرحمن بن حمد بن شافي آل ثلاب العجالين، حينما وَهِمَ فأخرج آل ثلاب من قبيلة العجالين. وهذا قول لم يسبقه إليه لا والده ولاجده، حيث أن ثلاب وهو رجل رافق حزام مع الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في فتح الرياض، هو ثلاب بن فلاج بن سويد ابن سعد بن عجلان، فعجلان الجد الثالث لثلاب، فإذا كان ثلاب من ذرية عجلان- كما زعم الأخ عبدالرحمن - فمن أي أفخاذ الفرجان يعود؟! لأن عجلان قبل الفرجان، أما حزام بن خزام العجالين فهو رجل مشهور، وأحد الذين رافقوا الملك عبدالعزيز في فتح الرياض وكتب التاريخ تشهد بذالك، وكذالك حكومتنا الرشيدة، وجميع الرجال، ولا أحد ينكر ذالك ولا صحة أن العجالين جيرانٌ لآل ثلاب، وليس من الممكن عقلاً أن اسم الجار يغلب على من

جاور كما ذكر ذالك عبدالرحمن في مقاله، واسم العجالين موجود قبل مولد ثلاب، وكلمة العجالين واحدة، ومناصرتهم للدولة معروفة في مواقف كثيرة، ونحن نعتز ونفتخر بذالك منذ بداية حكم الملك عبدالعزيز، ليس هذا مجال ذكرها.

وأما ثناؤكم على كتاب «تاريخ الأفلاج» فهو ثناء صادق، فهو من أجَلِّ ما كُتِب عن المنطقة ولأن مؤلفه أدرك كبار السن وأخذ عنهم.

هذا ما أحببنا إيضاحه لئلا يلتبس على البعض، ونرجو من القائمين على المجلة نشر هذا الإيضاح والله الموفق.

الأفلاج: عبدالعزيز بن حزام بن خزام العجالين

«العرب»: تأسف مجلة «العرب» أن تنشر شيئًا لا يتفق مع الحقيقة، أو يثير شيئاً من التساؤل وعدم الرضا و «العرب» كغيرها من الصحف مهمتها نشر ما فيه إبراز لمآثر قبائلنا ومفاخرها، ومن واجبها أن لا ينشر فيها أي شيء يتعرض لأية قبيلة أو فرع من فروعها بما لا يتفق مع الحقيقة، ولقد أدرك المشرفون على تحرير المجلة مافي مقال الأخ عبدالرحمن بن حمد بن شافي من تسرع، فحذفت بعض ما جاء فيه، ولعلها كتبت إليه تؤنبه كيف يغتاب رجلاً توفي، وينال من كتابه، ولماذا لم يبد رأيه حياله والرجل على قيد الحياة؟!

وعلى كل حال فالإنسان محل للخطإ، وتأمل «العرب» أن تجد من قرائها من ينبهها دائمًا إلى ما يقع فيها، لأنها تخدمهم وتسعى ما استطاعت السعي لإيضاح ما يجب إيضاحه من تاريخهم والله الموفق.

حول أسرة العلويط

نشرت «العرب» س ٣٢ ص ٧٠٨ مقالاً حول نسب هذه الأسرة الكريمة، فبعث الأخ عبدالله بن محمد العلويط تعقيباً على ما نشر، وأرفق به بعض الشهادات مصدقة من بعض الجهات المختصة بأنهم من الوهبة من بني تميم.

ومجلة «العرب» لا تريد أن تشغل صفحاتها بالكلام فيما لا يفيد قرائها، ولهذا

فهي تكتفي بما سبق أن نشرته، وليست هي سِجلاً للأنساب أو الطعن فيها، وإنما تورد من ذالك ما يستفاد منه ولا يثير التساؤل والقال والقيل والله الموفق.

حول كلمة (اسباهي)

علق الأخ الأستاذ محمد العيساوي الشتوي على ما ورد في مجلة «العرب» في مقال أستاذنا الدكتور إبراهيم السامرائي س ٣٣ ص ٤٤١ حول كلمة (اسباهي) بما نصه: (لقد تتلمذت على الدكتور السامرائي الباحث الكبير في علم اللغة في (معهد البحوث والدراسات العربية) التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، وقد دَرَّسَ في جامعة تونس وجامعة صنعاء إلى جانب جامعات عربية أخرى. وأضيف إلى ما ذكر أستاذنا السامرائي فأقول: إن (اسباهي) فارس فرسان الخليفة العثماني، وقد عرفها العرب في بلدانهم إبَّان تبعيتهم للإمبراطورية العثمانية، وعرفها العرب في الشمال الإفريقي، وأخذها الفرنسيون في أدبياتهم عن الشمال الإفريقي، كما ذكروها في معاجمهم (Spahi) وفي جنوب تونس في بلاد قبلي، والمرازيق وبنْقِردَان وتَطَاوِيْن وفي عهد الاستعمار الفرنسي، وكان الجنوب التونسي يُحكم حكمًا عسكَريًا (بيرو عرب) يقولون عن شرطة الفرسان: صبائحي، ومَخَازِني، وسبائسي، ويجمعونها على (صبائحية) ومخازنية وسبائسية، ويقولون عن الشرطة التي تستعمل الإبل والمهاري (قُومِيَّة).

أرجو بهذا التوضيح أن أكون قد قدمت شيئًا ذا بال في مجال خدمة لغتنا العربية.

طرابلس الغرب: محمد العيساوي الشتوي

تطبيع (خطأ مطبعي)

ورد في المقال المتعلق بآل رُمَيَّان - «العرب» - س ٣٣ ص ٧١٢ - بعض الأخطاء المطبعية (تطبيع) هاهو بيانها:

الصفحة	الخطأ	الصواب
٧١٢	ابناء موسى	ابناء محمد بن موسى
٧١٣	والضبيب والمزيد اهل	والضبيب والمزيد والصماعين أهل
٧١٣	الطمعاني	والصمعاني
٧١٣	الكليبية	الكليبة
٧١٣	الشماسية	الشماس
٧١٣	مبارك بن ثابت	مبارك بن سابق
٧١٣	الأثر الكائن	الاثل الكائن

وقد نبه إلى هذا كل من صالح بن عبدالعزيز الرميان وعقيل بن محمد بن صالح الصمعاني.

حول أسرة الفرهود في منطقة الزلفي

نشرت «العرب» س ٣٠ ص ٧٠٦ مقالاً حول آل راشد والفراهيد بقلم محمد ابن عبدالله السيف، وقد كتب إلى المجلة بندر بن فهد الفرهود من الزلفي بتاريخ ٢/ ٤/ ١٤١٩هـ تعقيباً طويلاً على ذالك ترى المجلة الاكتفاء بما يتعلق بأسرة الفراهيد في منطقة الزلفي منه، أما ما يتعلق بموضوع الإمارات في الزلفي وعلَقة وغيرهما، فأخبار الإمارات من الأمور المرتبطة بالنواحي الإدارية الرسمية، ولا يسوغ لـ «العرب» ولا لغيرها من الصحف أن تنشر منها شيئًا إلا ما توافق عليه الجهة المعنية بذالك. وهاهو نص ما كتبه الأخ بندر عن الفراهيد قال: هذا تفصيل موجز لذرية فرهود بن صالح:

أنجب فرهود ابنه علي ومن علي ذريته حمد وناصر ومنصور وعبدالمحسن أما الأخير فلم يعقب وأما ناصر فذريته آل ناصر في (الزلفي) و (عَلَقة) وهم غير آل ناصر بن راشد بن حمد الراشد، ويعرف أغلبهم بآل فرهود ومنهم من يسكن (الكويت)، وأما منصور فذريته آل منصور في (علقة) ومنهم من يسكن (الكويت) أيضًا أما الشطر الثالث فهم آل حمد بن علي بن فرهود ويتفرعون إلى:

(أ) آل عبدالله بن حمد وذريته.

١ - آل علي بن عبدالله: ويعرفون بآل فرهود، ومنهم التركي والرشيد ومن التركي آل سلطان.

٢ - آل دهش بن عبدالله: ويعرفون بآل دهش وآل حمد.

٣ - آل محمد بن عبدالله: ويعرفون بآل فرهود.

٤ - آل ناصر بن عبدالله: ويعرفون بآل مشاري وآل حمد، ومنهم من يسكن (الكويت) وهم ذرية عبدالله بن ناصر ويعرفون بآل فرهود.

٥ - آل عبدالعزيز بن عبدالله: ويعرفون بآل عبيد ومنهم من يسكن (الكويت).

٦ - آل صالح بن عبدالله: ويعرفون بآل فرهود.

٧ - آل حمد بن عبدالله: ويعرفون بآل فرهود.

(ب) آل عثمان بن حمد: ويعرفون بآل فهد نسبة إلى جدهم فهد بن عثمان بن حمد.

(ج) آل عبدالرحمن بن حمد: ويعرفون بآل حمد وآل قنيطير.

٢] ذكر الكاتب أن آل الزيد وآل ماجد المعروفين بآل ذكير من الفراهيد ولم يثبت ذالك وهذا مخالف تمامًا لما ذكره الوجيه عبدالعزيز بن زيد الزيد[٢] - رحمه الله - حيث إنه يعد نسبهم ونسب آل ذكير إلى ذرية محمد بن صالح بن

راشد - والناس مؤتمنون على أنسابهم - وأما آل الرشودي فهم أساعدة ولكن لا نعلم حقيقة انتسابهم للفراهيد ونترك ذالك لهم لإثباته أو نفيه.

٣] ما ذكره الكاتب عن الإمارة في (الزلفي) و (عين ابن فهيد) و (خضيرا) و(أبا الدود) و (المعاقلة) كلام لا غبار عليه . ولكن كيف يغفل عن ذكر إمارة (علقة) البلدة التي يسكنها فقد وجب أن يكون لها النصيب الأكبر من الحديث فهو أعلم بها من غيرها من القرى، وعلى العموم فقد كانت إمارة (علقة) مستقلة بكيانها عن إمارة (الزلفي) حتى العقود الثلاثة الأخيرة بعد التنظيم الإداري الجديد وما يثبت ذالك هو أن أميرها عبدالله بن صالح الفرهود قد ذهب نيابة عن أهل (علقة) لحضور مؤتمر الجمعية العمومية في نجد بالرياض الذي دعا إليه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لمبايعته على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - في يوم الاثنين الموافق ٢٢/ ٥/ ١٣٤٧هـ[٣] بالرغم من حضور أمير الزلفي عبدالرحمن بن عطا الله[٤] وكان أول أمرائها من الفراهيد هو عبدالله ابن ناصر بن علي بن فرهود، ثم الأمير دهش بن عبدالله بن حمد بن علي بن فرهود ثم أخوه الأمير محمد بن عبدالله الفرهود، الذي مكث في الإمارة سنين طويلة حتى دخلت (علقة) في آخر حياته تحت لواء الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وهذا ما تثبته رسائل جلالته ووالده عبدالرحمن والموجودة بحوزتنا، هذا وبقيت إمارة (علقة) لآل حمد بن علي بن فرهود حتى وقتنا الحاضر.

الزلفي: بندر بن فهد الفرهود

الحواشي:

(١) نقلاً عن الشيخ فهد بن حمين الفهد عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة كلية أصول الدين (سابقًا) تقاعد عام ١٤٠٩هـ.

(٢) عبدالعزيز بن زيد الزيد - رحمه الله - من أهل التنومة بالأسياح توفي عام ١٤١٣هـ.

(٣) «أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود». عبدالله الزامل، ص ٢٦٧.

(٤) نفس المصدر السابق.

*** «الوافـي بالوفيـات» (ج ٢٩) تحقيق الأستاذ ماهر جرّار:**

وقفات قصيرة: قـال أحدُ المتقـدمين: السيئـةُ في نفسها سيِّئـة، وهي من بيت النبوة أسوأ، فهل يصح تَرَسُّمَ هذا بالقول: بأن الهَنَاة اليسيرة، هي وإن كانت يسيرةً في نفسها إلاَّ أنها عندما تقع ممن يُعْنَوْن بتحقيق التراث، من المتخصصين فيه، من أجلة علمائنا لا تكون يسيرة، ومن هُنَا فَسَأُبْدِي بعض ما عَنَّ لي أثناء تَصَفُّحي لهذا الكتاب، مما هو من هذا القَبيل لثقتي بما يتصف به الأستاذ الجليل ماهر جَرَّار من عمق إدراك، وحرص على أن يكون عمله بارزًا بخير صورة يمكن أن يبرز بها:

١- ص ٧: (ومحيي الدين بن العـربي نزيل دمشق) وفي التعليق: (س: محيي الدين العربي): (س) يرمز بها إلى المخطوطة التونسية.

أليس من المناسب هنا إيضـاح أن محيي الدين المدفون بـدمشق يعرف باسم (محيي الدين ابن عربي) بدون (ال) التعـريف، وهو محمد بن علي بن محمد بن عربي (٥٦٠/ ٦٣٨هـ) الصوفي الحُلُولِي المعـروف، انظر ترجمتـه في «الوافي بالوفيات»- ج ٤ ص ١٧٣ -.

أما ابن العربي بـالألف واللام فهو العالـم المالكي الأنـدلسي المشهور محمد ابن عبـدالله بن محمـد الإشبيلي (٤٦٨/ ٥٤٣) من أجلـة العلمـاء لـه مـؤلفـات مشهورة في الحديث وفي الأحكام وغيرهما.

وقد فَرَّق بينهمـا صاحب «القاموس» انظـر رسم (عَرَب) وما ورد في الأصل وفي الحاشية مُوهِمٌ.

٢- ص ٢٦: (يعلى بن حمزة بن المطلب بن هاشم) يلاحظ هنا:

(١): حمزة بن عبدالمطلب، لا (حمزة بن المطلب).

(٢): وفي الهامـش تعقيبًا على قول المـؤلف: (قال مصعب لـم يعقب أحد). إلى آخره وعلق المحقق: ولم أجد الخبر في «نسب قريش» لمصعب والنقل عن «الاستيعاب».

وأضيف إلى هذا: لم يرد لبني حمزة كلهم ذكر، ويبدو أنه سقط من النسخة المطبوعة التي حققها (ليفي. بروفنسال) من كتاب «نسب قريش» فلم أر لهم ذكرًا فيه، وقد ذكروا في غيره.

(٣): ذكر الحافظ ابن حَجَر في «الإصابة» في (القسم الثاني) من حرف الياء في ترجمة يعلى بن حمزة بن عبدالمطلب ما نصه: (قال الزبير: لم يعقب حمزة إلاّ من يعلى، فإنه ولد له خمسة رجال لصلبه، لكنهم ماتوا ولم يعقبوا، وانقطع نسل حمزة بن عبدالمطلب). انتهى، فلعل ابن عبدالبر نقل عن كتاب «جمهرة نسب قريش» للزبير بن أخي مصعب فنسب الكلام إلى مصعب.

٣- ص ٣١: (في ترجمة الأحول: يعلى بن مسلم بن أبي قيس أحد بني يشكر ابن عمرو) إلى آخر الترجمة. وأشار المحقق الكريم إلى أن مصادر الترجمة هي «الأغاني» و «خزانة الأدب» و «أشعار اللصوص» لِلْمَلُّوحي في مجلة «مجمع اللغة العربية بدمشق». وأضيف إلى هذا:

١- (أحد بني يشكر بن عمرو) اسم (يشكر) هذا تكرر في كثير من كتب الأدب كـ «الأغاني» وعنه نُقل ما في «خزانة الأدب» وفي غيرهما من المؤلفات وخاصة المطبوعة، مما ورد فيه اسم هذا الشاعر، وصوابه الاسم (شكْر) كما قال ابن الكلبي فيما جاء من «مختصر الجمهرة»[1]: وولد عمرانُ بن عَديٍّ بن حارثة ابن عَمْرو مُزَيْقيَاء - عَمْرًا، فولد عمرو وآلآنَ وهو شكْرُ، وهم حَيٌّ بالسَّرَاة ولهم عَدَدٌ وجَلَدٌ، ولَيس منهم بالعراق أحد. قال هشام: زعم الشرقيُّ أنه سمي شكْرًا، لأنه مَرَّ بقوم فأعطوه شكْرًا، وهو الحَمَلُ، قال ويقال: شكْرٌ هو خزيمة) وفي الهامش: في «فتوح الشام» تأليف ابن الكلبي هذا: أن الطفيل ذا النور قاتل يوم اليرموك حتى قُتل، بعد أن قتل سبعة من الروم، وهو يقول:

قد علمت دَوْسٌ وشكْرٌ تعلم)[2]. انتهى

ومثل هذا ورد في كتاب «النسب الكبير» لابن الكلبي[3].

وجاء في «القاموس وشرحه» رسم (شكَر): وشكْرُ بالفتح لقبُ وآلآنَ بن عَمْرٍو، أبي حيٍّ بالسراة، وقيل هو اسم صُقْعٍ بالسراة. انتهى

وفي رسم (وأل) نقل عن ابن حبيب قوله: وآلآنْ لقب شكْرِ بن عمرو بن عمران ابن عدي بن حارثة.

وقد تحدث الهمداني في «صفة جزيرة العرب» عن قبيلة (شكْر) هذه وأنها من سكان السَّراة بما لا أطيل بذكره، ولكنني أضيف أن كثيراً منَ مواضعها القديمة لا تزال معروفة في بلاها القديمة التي انتشرت فيها قبيلة (غامد) بقرب مدينة (بَلْجُرَشي) مثل جبل (حزنَة) وجبلي (شَدَوَيْن) مُثَنًّى (شَدًا) اللذين يشاهدان من سراة (بَلْجُرَشي) رأي العين في تهامة، وقدَ توسعت في الحديث عن قبيلة (شكْر) هاؤلاء في كتاب «في سراة غامد وزهران» بما لا يتسع المقام لذكره، كما تحدّثت عن الشاعر الأحول الشكْرَيُّ في مجلة «العرب»(٤). في شهر رجب سنة ١٣٨٨ هـ منذ ثلاثين عامًا، وتحدَثت عن تحريف اسم (شكْر) في مقال لي نشر في «مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق(٥) منذ نحو ثلاث سنوات، مما يتضح به أن كل ما ورد في المؤلفات قديمها وحديثها، ومنها المصادر التي أشار إليها المحقق في الحاشية عن الشاعر الأحول: أنه (من بني يشكر) خطأ، والصواب (من بني شكْر)، ورواج الاسم الأول وشهرته سبَّبَ التصحيف.

وأُرَاني أطلت الكلاَم هنا والسبب كثرة ورود تصحيف في هذا الاسم، واستمرار ذالك منذ القرن الرابع حتى عهدنا.

٤- ص ٥٤: (فديوان الضَّيَّاع بفتح ضاد، وديوان الخراج بغير جيم).

هذا البيت في الهجو ويقصد الشاعر أنَّ ديوان الضِّياع بكسر الضاد جمع ضَيْعة وهو العقار والأرض المُغلَّةُ والجمع ضِيَعٌ وضِيَاعٌ فهي عند هاؤلاء الكتاب الذين يهجوهم ديوان الضَّياع بفتح الضاد، ولهذا كانَ ينبغي أن يكون الاسم الأول بكسر الضاد لا بفتحها كما ورد في المطبوعة لأن كلمة بفتح ضاد يقصد بها الضياع وهو ما هَجَا به أولئك. فينبغي أن تكون (فَديوان الضَّيَاع) يكون عندهم (الضَّياع).

٥- ص ٦٧: (إصلاح أغاليط أصحاب الحديث لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي). لعل من المناسب إيضاح أن الاسم الصحيح للخطابي هذا (حَمْد) بن محمد لا أحمد، وعلى هذا وردت ترجمته في «الأعلام» للزركلي

وقبله نقل عن كتاب «الوفيات» سُمِعَ في اسم أبيه أحمد والصحيح حَمْد، وذكر مصادر أخرى، وفي ترجمته في كتاب «الوافي بالوفيات» - ج ٧ ص ٣١٧- حيث أورده في حرف الألف (أحمد) نقل أنه (سئل أبو سليمان عن اسمه فقال: اسمي الذي سميت به حَمْد، لكن الناس كتبوه أحمد فتركته عليه، قال: ورثاه أبو بكر عبدالله بن إبراهيم الحنبلي فقال:

وقد كان حَمْدًا كاسْمه حَمدَ الورى شمائلَ فيها للثناء ممادح

وكتابه «في أغاليط أَصحَاب الحديث» مطبوع.

٦- ص ١٠٠: (فلو أنني قاضي المحبين.. وآخر البيت (على كل) ولم ترد القافية وليس لدي المصدر لأتثبت من عدم ورودها فيه أو أنها وردت فسقطت تَطْبيعًا (أي خطأ مطبعي).

٧- ص ٢١٩: (في ترجمة المهمندار: (الحمداني المهمندار شيخ متجند) وفي الصفحة التي تليها:

حتى دهاني وعَيْنُ الشمس فاترةٌ وقد جذَبْتُ بذيل الليل ما انجذبا

وهذا البيت في (مخطوطة د) هو الصفحة الثانية من الورقة الـ(٩٨).

وقبل ذالك في الصفحة ٢١٨ تبتدئُ الصفحة الثانية من الورقة الـ(٩٧) في المخطوطة (د) بالبيت:

إذًا هزَّت الرِّيحُ أعطافَه تمايلَ كالغُصنِ المائل

وتنتهي هَذه الصفحة بكلمة (متجند).

وعلى هذا سقطت صفحتان، الأولى من الورقة الـ(٩٨) فيما بين (شيخ متجند) وبين (حتى دهاني). وليس لدي أي نسخة من نسخ الأصلِ، ولكنني كنت نقلت ترجمته من كتاب «أعيان العصر» المخطوط القسم الثاني مِن الجزء السابع رقم (١٠٩١) تاريخ، نسخة (دار الكتب المصرية) المصورة ونصٌ ما فيه: المعروف بابن مهمندار العرب بدر الدين، كان شيخًا مجندًا فاضلاً شاعرًا مؤرخًا، صنف تصانيف منها كتابٌ في الأنساب، ومنها كتاب في البديع، سماه «الآيات البينات» أنشدني الشيخ العلامة أثير الدين قال أنشدني المذكور لنفسه:

وليلــة مثـل عين الظّبْي وهْــوَ معي   قطعتهــا آمنًــا عن يقظــة الــرقبـا
أرْدَفْتُــهُ فــوقَ دُهْــم اللّيل مختفيــا   والصبح يُـرْكِضُ خلفي خَيْلَهُ الشُّهبَا

وبعد هذا البيت: (حتى دهاني).

ويبدو أن هذا ومعه كلام آخر هو الذي سقط من هذه المطبوعة.

٨- ص ٢٢١: (ملأوا الفضا فعن قليل لم ندع   فــوق البسيطــة منهم من مُخْبِــر)

وكلمة (الفضـا) كذا ورت فـي المطبوعة بـالألف المقصـورة، ولكنها وردت (الفضاء) بالألف الممدودة في كتاب «أعيان العصر» وبها يستقيم الوزن.

٩- ص ٣٧٠: (إذًا لقال زهير حين يبصره   هــذا الجــواد على العـلات لا هــرم)

وفي تعليق المحقق: (تضمين مـن شعـر زهيـر بن أبي سُلمى، ديــوانـه (دار الكتب) ١٥٢).

ويعـرف المحقق الكريم أن التضمين بـاصطلاح العـروضين إيراد نَصٍّ قـول الشاعـر الأول بيتًا أو شطره، والشـاعر هنا لـم يورد هذا البيت، وإنمـا اقتبس منه المعنى، فنفى مـا أورده زهير في هـرم، وصرفـه إلى ممدوحـه الحسن بن سهل، ونص بيت زهير:

إن تَلْقَ يـومًــا على عِـلاَّتـهِ هَــرِمًـا   تلق السمـاحـة منــه وَالنَّـدَى خُلُقَـا

الحواشي:

(١) مخطوطة راغب باشا في (اسطنبول) رقم (٩٩٩) وهي من مخطـوطات القرن السابع الهجري، ومن أقدم المخطوطات وأوثقها، انظر وصفها في مجلـة «المجمع العلمي العربي» بدمشق سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١م) المجلد الـ (٢٧) من ص ٤٠ إلى ٥١ -.

(٢) وبقية الرجز:

إنّي إذا الأبْيَـضُ يــــــومَـــــا مُظْلـمُ   وعَـــــــرْدَ النّكْسُ وفَــــــرّ الأبْهَمُ
أبيٌ عُفُــرٌ في الــوقَـــاع صَيْغَمُ

والمصدر «تاريخ فتوح الشام» تأليف محمـد بن عبدالله الأزدي البغدادي المتوفى سنة ٢٣١ - ص ٢٢٤ - وما بعدها، مطبعة سجل العرب في القاهرة سنة ١٩٧٠م.

(٣) - ج ٢ ص ١٥٤ - ط. العظم.

(٤) السنة الثالثة - ص ١٨٣ - وما بعدها.

(٥) المجلد السابع والستين، الجزء الثالث سنة ١٤١٣ هـ.

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و٢٠٠ للهيئات والدوائر الحكومية
المراسلات باسم رئيس التحرير

العرب
مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
الرياض: حي الورود - شارع حمد الجاسر
ص.ب ١٣٧ الرمز ١١٤١١
هاتف وفاكس ٤٦٢١٢٢٣
الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ج ٣، ٤ س ٣٤ - رمضان، شوال، سنة ١٤١٩هـ - كانون ٢، شباط (يناير، فبراير) سنة ١٩٩٩م

إنه يـوم الوفـاء، والتعبيـر عن صادق الحب والولاء!!

هذا اليـوم الأغر المُحَجَّل في غرة الـزمان، المضيء على جبين الدهـر، اليوم الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩ للهجرة النبويـة الكريمة الموافق لليوم الرابع والعشرين من برج الجدي عام ١٢٨٠ من السنة الشمسية وللرابع عشر من كانون الثاني عـام ١٩٠٢ للميلاد[١]، يـوم استقر مُـوَحِّدُ الجـزيـرة، ومُوطِّـد الأمن في ربـوعها، ومعيـد شباب دولـة العدل والإصـلاح والعلم والإيمان والاطمئنـان، والألفة والتـآخي، والتعاون على البر والتقـوى، بين مختلف شعوبها وأقطـارها، الإمام الباني المـؤسس الملك عبدالعزيز - أسبغ الله على جدثه شـآبيب الرحمة والغفران، وأحلـه بجواره في فسيـح جنانه - حيـن استقر في (الـرياض) قـاعدة مُلْكـه الميمون، بعـد أن هَيَّأ الله سبحـانـه - وله الفضلُ والمَنُّ - لـه من أسبـاب التـوفيق مـا مكَّنَـهُ من القيـام بمـا أعـده للقيـام بـه، من اتخـاذ جميع الـوسـائل والأسباب، التي حقق بها على يـديه الفوز والظفر، من إمـداده برجال خُلَّص من أبناء أمته، وشعب وَفِيٌّ فَتَحَتْ له الصفـوةُ الممتازةُ من أبنائه الأفئدَةَ قَبْلَ أن تفتح الحصـون، وبذالك - بعـد تـوفيق الله سبحـانه - استطـاع أن يُنْشِئَ هـذا المُلْك السعيد، الباذخَ عِزَّةً وشموخًا، وذالك بتوحيد أقطار هذه البلاد الواسعة، توحيداً قـائمًـا على أُسُسٍ خـالصـة من الحب وصـادق الـولاء، دون استعمـال وسـائل

الاستيلاء بـالقوة والقهر، ومـا أجْدَرَ حكمًا قـام على تلك الأسس القوية بـالبقاء والاستقـرار، وما أحَقَّ دولـة أُنْشئت على قواعـد من العدل والإصـلاح والتَّآخي والتآلف، بِقُوَّةِ الرسوخ والثبات والاستمرار.

حقًّا إن الملـك عبدالعزيـز - وهو فـرد من هذا الشعـب الكريم، الـذي شمله بعدله، فأخلص له الطاعة والولاء، وسـارع للانقياد والسير تحت لواء قيادته، قد أبـدى - منذ أن أسعفـه الله وأسعده، فبـدأ بحركـاته المظفـرة لجمع شتات هـذه المملكة المُفَرَّقة المتمزقة - قد أبْدَى من صفات القائد الحكيم، وسياسة الحاكم العادل المنصف، وحُنُـوِّ الأب الكثير العطف والرعايـة لأبناء بررة، يبادلـونه حبًّا بحبٍّ، ورعاية، وعطفًـا باستجابة صـادقة، وانقياد تام دون رهبـة، وعدلاً وصدقَ تـوجُّهٍ للخيـر، بتسـاعد وتعـاون، عن عمق إدراك، وثقـة راسخة، وتَطَلُّعٍ إلى مـا سيعود ذالك كله بخيـر الثمار، وأعَمِّهَا نفعًا، وبذالك كله - مع مـا حباه الله به من خصائص القـائد البصير - استطاع أن يبني هـذه الدولة الشـامخة الذُّرَى، الثـابتة الأركان، بعد أن خَلَفَهُ أبناؤُهُ البررة، الـذين تعاقبوا على إدارة دَفَّة القيادة، بحكمة ومهارة وحسن تصرف، وصدق تَوَجُّهٍ وإخلاص - تعهَّدُوا ذالك البناء بما يتطلبه من إصلاح، واستكمال مالا بُدَّ لـه من استكمال وحفظ ورعاية، حتى بلغت هذه المملكة السعيـدة بأولئك القادة المخلصين، وتُؤَازُرُهُمْ وتساعـدهم تلك الأفئدة المغمورة بالسعـادة، المفَعمة بصادق الولاء، وبـالغ الاعتراف بالفضل، لأُولٰئك القادة، الذين قادوا هذه الأمة، وشادوا هذه الدولة الميمونة، حتى برزت بتقدمها، وأمنها ورخـائها، وانتشار العلم بين ربـوعها، وشمولها بمختلف صنـوف العدل والاستقرار، والاستفادة مما حفل به العصر من منتجات التقدم، والتطور العلمي التِّقْنِيِّ، في جميع أوجه الحياة العامة - برَزَتْ تُغْبط بين جميع الأمم.

فهنيئًا - في ذكرى يوم الباني المُؤَسِّس - لأولئك البناة، من القادة المخلصين بشعب وفيٍّ، بادلهم أسمى العواطف بمثلها، وأحَلَّهُم - وِدَادًا وحُبًّا وتقديرًا - في سويداء القلوب وشِغَافها.

وهنيئًا لشعب بتلك الصفات، من الوفاء والعزة والكرامة، بأن يتولّى قيادته وتوجيهه قادة مصلحون، نحو معارج التقدم، من الحسن إلى ماهو أحسن، بحكمة القائد المدرك، الحكيم بمتطلبات أبنائه، مِمَّن تربطهم بقادتهم وشائج الحب، وأواصر القُرْبَى، قبل حوافز الآمال، التي تتطلب التشارك والتعاون، ليتحقق بذالك أسمى الغايات وأنفعها، لهذه المملكة السعيدة بمواطنيها، ومشاركيهم في العمل فيما يعلي شأنها ويسعد سكانها.

وليُدِمِ المولى - جل وعلا - لهذه البلاد ما تنعم به من صنوف العزة والكرامة، وما تتمتع من سعادة واطمئنان، وتآخٍ وتعاون على سبل الخير بين جميع سكانها، وليُنْعِم عليها بالمزيد من ذالك وشموله، بدوام هذه الدولة الميمونة، التي يرعاها ويتولّى قيادتها مليك البلاد المفدى خادم الحرمين الشريفين الملك **فهد بن عبدالعزيز** - بمؤازرة إخوته البررة، والصفوة المختارة من رجال دولته الأوفياء، الأمناء على ما أُسْنِدَ إليهم من تصريف شؤون بلادهم، وخدمة أمتهم، إنه على كل شيء قدير.

حمد الجاسر

الحواشي:

(١) كما جاء في «تقويم أم القرى المقارن» الصادر عن وزارة المالية والاقتصاد الوطني، وورد في بعض المصادر كـ «دائرة المعارف الإسلامية الكبرى» ج ١ ص ٥٣١ من أنه في ٤ شوال ١٣١٩ (تموز ١٩٠٢م).

حول مقال:

آل مضيّان من شيوخ حرب

قرأت ما كتبه الأخ الصديق فايز بن موسى الحربي في مجلة «العرب» س ٣٣، ص ١٠٠ بعنوان (آل مضيان شيوخ قبيلة حرب.. هاؤلاء الرجال أليسوا جديرين بالذكر؟) ومدار كتابته حول نقطتين وردتا في كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوي. أولى النقطتين عدم ذكر آل مضيّان بين الإشارات المختصرة عن عدد من القادة الذين برزوا في عهد الدولة السعودية الأولى. وثانيتهما موقف قبيلة حرب من حملة طوسون.

وبما أنني مؤلف الكتاب المذكور، وأني بذالك المتهم الأول أمام محكمة الأخ فايز، فقد رأيت من المستحسن إزالة ما قد يحدث لبسًا عند بعض القراء؛ وبخاصة من لم يقرأوا تاريخ بلادنا قراءة متأنية. وقبل أن أبدأ تعليقي على الكتابة أود أن أشير إلى أني أكنّ لآل مضيّان كل تقدير أكنّه لغيرهم من قادة عشائر هذا الوطن، وأكنّ لقبيلة حرب كل إجلال أكنّه لغيرها من قبائله. ثم إني أود أن أشير إلى ما يأتي:

١ - أن الكتاب مقرر لطلاب مرحلة ثانوية. ولو ذكر فيه جميع من كانوا أمراء أو قادة في العهد المتحدث عنه لكان في ذالك شطط وظلم لمن قرر عليه. ولهذا استحسنت الإشارة إلى عدد منهم؛ أمثلة لا استقصاء. وقلت في مستهل تلك الإشارة: (برز عدد من الأمراء وقادة الجيوش في عهد الدولة السعودية الأولى إضافة إلى القادة من الأسرة السعودية ذاتها. ومن هاؤلاء.. إلخ).

٢- أنه حين ورد في كتاب بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين»، الذي ترجمته إلى العربية (ص ٩٣) ما يفيد بأن قبيلة حرب اضطرت إلى الخضوع لسعود بن عبدالعزيز بعد استيلائه على مكة، سنة ١٢٢٠هـ علقت على ذالك في الهامش بقولي: (كان زعماء قبيلة حرب من آل مضيّان قد انضموا إلى سعود قبل استيلائه

على مكة مرة ثانية. فقد لعبوا دوراً كبيراً في إدخال المدينة المنورة تحت نفوذه في أول السنة التي بايع فيها الشريف غالب، وهي سنة ١٢٢٠هـ).

٣- أني قد اقترحت إطلاق اسم مسعود بن مضيّان على أحد شوارع الرياض، وكتبت ملخصًا عن جهوده التي تبرّر قبول اقتراحي. وكان ذالك قبل أكثر من عشر سنوات، عندما كنت عضواً في هيئة أنيط بها اقتراح أسماء لشوارع هذه المدينة.

أما بعد: فإن تعليقي سيتركز، بشكل أساسي، على خمسة أمور:

الأول: مناقشة ما أورده الأخ فايز في كتابته من حيث الصحة وعدمها.

الثاني: إيضاح جهود القادة الثلاثة من آل مضيان: بادي، وبدّاي، ومسعود.

الثالث: أمير آل سعود على المدينة المنورة.

الرابع: إيضاح جهود القادة اللذين ذكر الأخ فايز اسميهما بما يفيد بأن جهودهما أقل من جهود أي واحد من آل مضيّان بصفة خاصة.

الخامس: موقف قبيلة حرب في المواجهة مع قوات طوسون.

الأمر الأول: ما أورده الأخ فايز من حيث الصحة وعدمها.

١- قال الأخ فايز (ص ١٠٢): (إن بداي بن مضيّان تولّى بعد أخيه (بادي)، وكان له دور نشط وشهرة كبيرة في أحداث ضم الحجاز للدولة السعودية الأولى..) ثم كرر هذه المعلومة بعد سطر واحد بقوله: (وكان لهذا الشيخ دور بارز في حوادث ضم الحجاز إلى الدولة السعودية الأولى وخاصة خلال الفترة ما بين ١٢١٧هـ حتى ١٢٢٠هـ حيث باشر قيادة القوات التي حاصرت المدينة خلال تلك الفترة).

وقد وضع في نهاية الكلام السابق رقمًا يفهم منه أنه سيشير إلى المصدر الذي يوضّح الدور المذكور، وقيادة بداي للقوات السعودية التي حاصرت المدينة

خلال الفترة التي ذكرها. لكنه بدلاً من ذالك اقتصر على القول بأن أمانة مدينة الرياض أطلقت اسمه على أحد شوارع الدرعية اعترافًا بفضله.

إن الحديث عن العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وقادة الحجاز منصب على العلاقات بين تلك الدولة وأشراف مكة، الذين منعوا أتباعها من الحج أكثر من نصف قرن، وبدأوا بحربها عسكريًّا من سنة ١٢٠٥هـ. ومعلوم أن الحجاز لم تدخل كلها تحت الحكم السعودي إلا سنة ١٢٢٠هـ. وكانت المعركة التي غيرت مجرى القتال بين الطرفين، ونقلت الأشراف من موقع الهجوم إلى موقف الدفاع، هي معركة (الجمَّانية) التي حدثت سنة ١٢١٠هـ. وكان أبرز قائد سعودي فيها هادي بن قرملة، زعيم قبيلة قحطان. وإلى جانبه ابن ربيعان ومن تبعه من عتيبة، والدويش ومن تبعه من مطير، وعربان السهول وسبيع والعجمان، وربيع ابن زيد أمير جميع الدواسر، الحاضرة والبادية)[١].

أما المعركة التي انتصرت فيها القوات السعودية انتصاراً عظيمًا على جيش الشريف غالب، وأجبرته على طلب الصلح والهدنة، فكانت معركة (الخرمة) سنة ١٢١٢هـ. وكان في طليعة تلك القوات هادي بن قرملة وأتباعه من قحطان، وربيع ابن زيد وأتباعه من الدواسر. ومما قاله ابن بشر عن نهاية تلك المعركة: (ولم تقم له (يعني الشريف) بعد هذه الوقعة العظمى قائمة، ولم يلبث بعدها أن صالح عبدالعزيز.. وأذن لهم بالحج. وقد أنشد في هذه الوقعة شعر كثير، ولكن ليس على اللفظ العربي. وقال راجح الشريف من قصيدة له فيها؛ وهي على لغة العامة:

جونا (الدواسر) مع فريق (القحاطين) كلنا لهم بالمدّ ووفّوا لنا الصاع
(الأشراف) لانوا بعد ما هم قاسين والشق ما يرفاه خمسة عشر باع)[٢]

ثم كان انضمام عثمان المضايفي، الذي كان وزيراً وصهراً للشريف غالب، إلى الدولة السعودية، عام ١٢١٧هـ، بداية النهاية لمقاومة ذالك الشريف؛ إذ اتخذ عثمان من (العبيلاء) مقراً له، وانضمت إليه قوات سعودية في طليعتها ابن

شكبان بأهل بيشة، وابن قطنان بأهل رنيـة وسبيع، وابن يحيى بأهل تربة، وهادي ابن قـرملة بجيـش من قحطان، وفئـات من عتيبـة وغيرهم، وسـار بـالجميع إلى الطائف فانتـزعها من الشريف غالب وعيَّنـهُ الإمام عبدالعزيز بن محمـد أميرًا لها وللحجاز[٣]. وبذالك مهَّد الطـريق إلى مكة ذاتها. ثم تلا هذا حصـار مكة بقيادة سعـود بن عبدالعـزيـز. ولما انتهى مـوسم الحج انسحب منهـا غالب إلى جـدة، ودخلها سعود في الثامن من المحرم سنة ١٢١٨هـ بدون حرب.

ولقـد كان للمعـركة التي هـزم فيهـا عبدالـوهـاب أبو نقطـة ومن معه قـوات الشـريف غالب بين مكـة وجدة أثـر كبير في فقـدان الأخير كل أمل في استمـرار المقـاومة. ولمـا حاصـر عبدالـوهاب وعثمـان المضايفي ومن انضم إليهمـا من قوات سعـودية مكة اضطر شـريفها إلى طلب الصلح على مواجهة الإمـام سعود ومبايعته. وكان في طليعة من دخل تلك البلدة المقدسة القائدان المذكوران[٤].

إذا اتضح ما سبق ذكره فإن من المعلوم أنه لم تكن للأشراف سلطة على المدينة المنـورة مثل سلطتهم على بلـدان الحجـاز الأخـرى. وليس هنـاك من المصـادر المتوافرة ما يفيد بأن جهود بداي بن مضيّان تجاوزت دورًا مهمًّا في حصار المدينة، والاشتراك مع زعيم جهينة، جابر بن جبـارة، في انتزاع بلدة ينبع من ممثل الشريف غالب فيها عام ١٢١٩هـ. على أن الشريف استعادها في العام نفسه.

٢- قال الأخ فايز (ص ١٠٢): (إن مسعود بن مضيّان كان من أبرز قادة الإمام عبدالعزيز وابنه سعود.. وقد عيَّنه الإمام سعود أميرًا على المدينة إلى أن قتل وهو يدافع عنها في أواخر سنة ١٢٢٧هـ).

أما تعيين مسعـود أميرًا على المدينة فأمـر ستتم مناقشته فيمـا بعد. لكن كيف يقال إنه كان من أبرز قادة الإمام عبدالعزيز وهو لم يتولَّ القيادة إلا بعد وفاة أخيه بداي سنة ١٢٢٠هـ، والإمام عبدالعزيز قتل سنة ١٢١٨هـ؟

وآخـر العبارة يفهم منـه أن مسعودًا قتل وهـو يـدافع عن المدينـة أواخر سنـة

١٢٢٧هـ. والمصادر والمراجع تفيد أنه اعتقل بعد استيلاء قوات طوسون على المدينة، ثم أرسل إلى القاهرة، ومن ثم اسطنبول حيث قتل هناك في ٢٠/ ١٢/ ١٢٢٨هـ.(٥).

٣- قال الأخ فايز (ص ١٠٣) لتبرير ترجيحه بأن مبايعة بادي وبداي ابني مضيان لعبدالعزيز بن محمد كانت سنة ١٢١٤هـ: (يذكر ابن بشر أن حربًا بعد مبايعتهم للسعوديين اتفقوا مع الإمام عبدالعزيز على فتح المدينة، فبنوا قصرًا في عواليها، وحاصروا المدينة، وأقاموا على ذالك سنين).

وهذا القول يفهم منه أن بناء القصر كان بمبادرة من قبيلة حرب، وأنها بقيت سنين محاصرة للمدينة في زمن الإمام عبدالعزيز. فماذا قال ابن بشر حقيقة؟

قال: (في أول سنة ١٢٢٠هـ بايع أهل المدينة سعودًا.. وذالك أن بادي وبداي ابني بدوي بن مضيّان ومن تبعهما من عربانهما بايعوا عبدالعزيز.. فأجمعوا على حرب المدينة، ونزلوا عواليها، ثم أمرهم عبدالعزيز ببناء قصر فيها، فبنوه، وأحكموه، واستوطنوه، وتبعهم أهل قباء ومن حولهم، وضيقوا الحصار على أهل المدينة، وقطعوا عنهم السوابل، وأقاموا على ذالك سنين).(٦)

ومن الواضح أن بناء القصر المشار إليه كان بأمر عبدالعزيز. لكن الأهم من هذا أن عبارة (وقاموا على ذالك سنين) تشير إلى سنين قبل عام ١٢٢٠هـ، الذي أورد فيه ابن بشر الخبر. وهذه السنوات منها ماكان في عهد عبدالعزيز، الذي انتهى عام ١٢١٨هـ، ومنها ماكان في عهد سعود. فليس في العبارة دليل يرجح أن المبايعة حدثت سنة ١٢١٤هـ.

على أن ما ذكره الأخ فايز (ص ١٠٣) عن الوثيقة المؤرخة سنة ١٢١٥هـ، التي أشير فيها إلى مناوشة بادي بن مضيّان للمدينة، واضح الدلالة على أن مبايعته لعبدالعزيز كانت في تلك السنة أو قبلها.

٤- قال الأخ فايز (ص ١٠٤) تحت عنوان استيلاء ابن مضيَّان على ينبع سنة

١٢١٩هـ: (لقد أدَّى انضمام ابن مضيّان للسعوديين إلى زيادة حدة الصراع بين السعوديين والشريف غالب، شريف مكة، ولعبت قبائل حرب دورًا هامًّا في توسع السعوديين غربًا في صراعهم مع الأشراف إلى أن انتهى الأمر بدخول الحجاز في تبعيتهم أخيرًا. وما حادثة ينبع هذه سوى جزء من هذا الدور الذي قام به ابن مضيَّان خير قيام).

لقد سبق الحديث عن موقف أشراف الحجاز من دعوة الشيخ محمد والدولة السعودية التي ناصرتها، منعًا لأتباعها من الحج، ثم قتالاً من سنة ١٢٠٥هـ، وعن تحوّل هاؤلاء الأتباع من الدفاع إلى الهجوم من سنة ١٢١٠هـ، ثم اضطرار الشريف غالب إلى مصالحتهم بعد معركة الخرمة سنة ١٢١٢هـ.

ولو سُلِّم بأن آل مضيّان ومن تبعهم من قبيلة حرب قد دخلوا تحت الحكم السعودي سنة ١٢١٤هـ - كما رجَّح الأخ فايز - فإن من الواضح أن الصراع بين آل سعود والشريف غالب قد احتد قبل ذالك الدخول. ثم إن المصادر المتوافرة لم تشر إلى أي جهود لآل مضيّان في ذالك الصراع باستثناء دورهم المهم في حصار المدينة، التي لم تكن سلطة الشريف غالب فيها مثل سلطته في مناطق الحجاز الأخرى، ومشاركة بداي مع جابر بن جبارة، الزعيم الجهني، في انتزاع ينبع من نائب الشريف غالب سنة ١٢١٩هـ؛ علمًا أن الشريف استعادها في السنة ذاتها، كما سبق أن ذكر.(٧)

٥- قال الأخ فايز (ص ١٠٥): (لم يذكر المؤرخون النجديون - وعلى رأسهم ابن بشر - شيئًا عن تعيين أمير المدينة من قبل السعوديين بعد استيلائهم عليها مع أن المصادر الحجازية تشير إلى أن الإمام سعودًا عيّن الشيخ بداي بن مضيّان أميرًا على المدينة وعلى قبائل حرب المحيطين بها. ثم توفي بداي وحل محلّه مسعود بن مضيّان). وأحال القارئ إلى ثلاثة كتب لثلاثة مؤلفين هم دحلان، وبوركهارت، والأخ فايز نفسه.

وأول مـا يلفت النظـر أنـه لم يشـر إلا إلى مصـدر حجازي واحـد هـو كتـاب دحلان. أما بوركهارت فمعروف أنه رحالة سويسري. وأما الأخ فايز فكتابه لا يعدّ مصدرًا؛ إضافة إلى أنه لم يشتمل على أكثر مما في مقالته. وعلى هذا الأساس فإن المصادر الحجازية التي ذكرها تحولت في الهامش إلى مصدر واحد.

على أن الأخ فايزًا لم يكن دقيقًا فيما قاله عن ابن بشر أو دحلان أو بوركهارت.

إن ابن بشـر لم يذكـر اسم من أمَّـره سعـود على المدينـة عنـدما تحـدّث عن دخولها تحت حكمه سنة ١٢٢٠هـ، لكنه عنـدما ذكر أمراءها - وهو يتحدّث عن وفاته سنة ١٢٢٩هـ - قال: وكان أميره على المدينة النبوية حسن قلعي.(٨)

أما دحلان فقد تحدّث عن إغداق قادة قوات محمد علي الأموال على القبائل الموجـودة بين ينبع والمـدينة، وتعاونهـا معهم حتى (ملكوهـم الأرض وصاروا يسعون في خـدمتهم وتقدمهم إلى أن أدخلـوهم المدينـة المنورة)(١١)، ثم قال: (وقبضوا على ابن مضيّان الذي كان متأمرًا في المدينة)(٩).

والمهم من الكلام السابق هو:

أ- أن دحـلان كـان يتحدث عن ابـن مضيان الـذي كـان مـوجودًا عنـد غـزو طـوسون للمـدينة سنـة ١٢٢٧هـ. وهـو وإن لم يذكـر اسمه الأول فمعـروف أن المراد مسعود بن مضيّان. ولم يتحدَّث عن ابن مضيّـان الذي كان حيًا عند دخول المدينة تحت حكم سعود سنة ١٢٢٠هـ؛ وهو بداي بن مضيَّان.

ب- أنه لم يشر إطـلاقًا إلى تعيين سعود أي رجل من آل مضيّـان على المدينة عند دخولها تحت الحكم السعودي.

وأما بوركهارت فلم يذكر في المكان الذي أشار إليه الأخ فايز - وهو صفحة ١٢٣ - أن سعودًا عيَّن بـداي بن مضيَّان أميرًا علـى المدينة، وإنمـا ذكر ذالك في صفحة ٩٤. على أنه لم يذكر الاسم الأول لابن مضيَّان. أما في صفحة ١٢٣ فقد ذكر أن سعودًا جعل مسعود بن مضيَّان شيخًـا لكل قبيلة حرب ووضع تحته عددًا

من القبائل الأخرى. ولم يشر في هذا الموضع إلى أنه عيَّنه أميرًا للمدينة.

٦- قال الأخ فايز (ص ١٠٦): (لما وصل طوسون باشا بقوته أرض ينبع وبدأ يقيم معسكراته خارجها استعدادًا للزحف صوب المدينة حدث أن فرقة سعودية مكوَّنة من قبائل جهينة وحرب الموالين للسعوديين بقيادة كل من الشيخ جابر بن جبارة من شيوخ جهينة ومسعود بن مضيّان أغارت على العساكر واشتبكت معهم في وقعة جريئة).

وأحال القارئ إلى كتاب عبدالرحيم «محمد علي وشبه الجزيرة العربية»، ج١، ص ٣١٣/ ٣١٤. ولم يذكر مكان الطباعة ولا سنتها ليتأكد من دقة نقله.

والمعروف أن كتاب الزميل عبدالرحيم، الذي يحمل العنوان المذكور، جزء واحد فقط، وبالرجوع إلى هذا الكتاب في الصفحتين المشار إليهما من طبعته الأولى في القاهرة سنة ١٩٨١م لم أجد شيئًا مما قيل. والحديث في هذا الكتاب، على أية حال، يتناول الأحداث الواقعة بين سنتي ١٢٣٤ و ١٢٥٦هـ.

ولقد تحدَّث عبدالرحيم عن وصول طوسون إلى ينبع وما حدث بعد ذالك في كتابه «الدولة السعودية الأولى»، الذي طبع للمرة الثانية في القاهرة سنة ١٩٧٦م. وقد قال فيه بعد أن تحدث عن استمالة طوسون لبعض القبائل: (تمكنت القوات المصرية، بمساعدة القبائل التي انضمت إليها، من إنزال هزيمة قاسية بأول فرقة سعودية تلتقي بها تحت قيادة جابر بن جبارة ومسعود بن مضيّان اللذين أسرعا إلى جانب الجيش السعودي الرئيسي).[١٠]

ومن الواضح أنه هناك فرقًا بين مدلول ما قاله الأخ فايز؛ نقلاً - كما قال - عن عبدالرحيم وما قاله نفسه عبدالرحيم.

٧- قال الأخ فايز (ص ١١١): (ويؤكد محمد علي باشا نفسه استبسال المدافعين عن المدينة بقيادة مسعود بن مضيّان).

وأحال القارئ إلى وثيقة في فيلم بمكتبة الملك فهد.

والوثيقة التي أحال إليها سبق أن نشرها الدكتور عبدالرحيم في كتابه «من وثائق الدولة السعودية الأولى في عهد محمد علي»، المنشور في القاهرة سنة ١٤٠٣هـ.[١١] ومن يقرأ هذه الوثيقة يجد أن محمد علي لم يؤكد أن المدافعين عن المدينة كانوا بقيادة مسعود بن مضيّان.

أما أن مسعود بن مضيّان قد وقف مع من وقف من أتباع الدولة السعودية للدفاع عن المدينة فأمر ثابت. لكن ما ذكرته المصادر المختلفة لا يرجح أن الدفاع عن وسطها بالذات كان تحت قيادته.

تذكر الوثيقة التي أشار إليها الأخ فايز، أن جيش محمد علي حاصر المتحصنين في داخل القلعة البالغ عددهم أربعة آلاف جندي، وضيق عليهم الخناق بإطلاق المدافع وإلقاء القنابل عليهم.. وحيث أنهم ثبتوا.. حصر الاضطرار إلى حفر الألغام.. حتى سلّ الغزاة سيوفهم واقتحموا القلعة، فأفنوا هاؤلاء الطائفة الكريهة. ولم تذكر من كان قائد أولئك القوم.

ويقول بوركهات: (إن سعوداً وضع في المدينة حامية عسكرية من عرب نجد واليمن (والمقصود عسير) وسلّحهم بالبنادق.. وكان المسلحون بالبنادق من أولئك النجديين خاصة يشكلون خيرة فيالق الجيش الوهابي الذين تسند إليهم أصعب المهام).[١٢]

ويقول ابن بشر: (إن أتباع محمد علي حاصروا المدينة ونصبوا عليها المدافع والقنابر الكبار، وهدموا ناحية قلعة البلد، وحفروا عليها السراديب وثوروا فيها البارود. وكان فيها عدد كثير من جميع النواحي جعلهم سعود فيها وقت قفوله من الحج نحو سبعة آلاف رجل.. لكنهم ابتلوا بالأمراض المؤلمة. ثم إن العساكر المصرية كادوهم بكل كيد، وسدّوا عنهم المياه الداخلة في وسط المدينة، وحفروا سرداباً تحت سور قلعة المدينة وملأوه بالبارود، وأشعلوا فيه

النار، فانهدم السـور فقاتلهم من كان فيها من المرابطة. ثـم إن أهل المدينة فتحوا للـروم باب البلـد، فلم يدر المـرابطة إلا والـرمي عليهم من الروم داخل البلـد.. فـانحاز المـرابطة.. إلـى القلعة فـاحتصروا فيهـا.. ونصب الـروم عليهم القنابـر والمدافع.. فكثر فيها المرضى والجرحى، فطلبـوا المصالحة بعد أيام، فأنزلوهم منها بـالأمان.. وهلك في هـذه الوقعـة.. نحو أربعة آلاف رجل مـن عسير وأهل بيشة والحجـاز وأهل الجنوب وأهل نجـد.. وأمسك الروم حسن قلعي وعـذبوه بأنواع العذاب، وبعثوه إلى مصر).[١٣]

ومن الواضـح أن ابن بشر لـم يشر إلـى قيادة ابن مضيّان للمـدافعين عن وسط المدينة.

وقال بوركهارت - بعد حديثه عن نجاح قوات محمد علي في فتح ثغرة بسور المدينـة نتيجة وضعهم لغمًـا تحته: (إن من لجأوا إلـى القلعة من السعوديين قد استسلموا بأمـان بعد انتهاء مؤنهم... وإنهم بعـد أن خرجوا من المدينـة طاردهم الأتراك وقتلـوا من قتلوا منهـم؛ وأغلب هاؤلاء من قبيلـة عسير.. أما مسعـود بن مضيّـان.. فرغب ألا يقفل على نفسـه داخل المدينـة. وذهب مع أسرتـه وأربعين رجلاً من أتباعه إلى بيت في بستان كان قد حصّنه على بعد ساعة من تلك البلدة. ولما أخـذت المدينة استسلم على شـرط الأمان له ولأسرتـه وأتباعه الـذين معه والاحتفاظ بأمتعتهم. وهُيِّئ لسكنـاه بيت في ضاحيـة المدينة حيث وضع أسـرته وأشيـاءه. لكن لما استسلمت القلعـة نهب الأتراك بيتـه، وقتلوا أبنـاءه ورجالـه، وقيـدوه بـالسلاسـل، وأرسلوه إلى ينبع. وفـي أثناء مـروره عبـر بـدر تمكن من الهـروب تحت جنح الظـلام إلى الجبال، ولجأ إلى بـدو من حـرب. لكن ذهب الأتـراك أغـرى هاؤلاء، فسلّمـوه إليهم بعـد ثـلاثـة أيـام. ثم أرسل من ينبع إلى القاهرة، ومن ثم إلى القسطنطينة حيث قطعت راسه).[١٤]

وليس ضروريّـا أن يقبل كل ما ذكره بـوركهارت، لكن من الـواضح أن روايته

تؤيد رواية ابن بشر بأن عبء الدفاع عن وسط المدينة وقع على كاهل الرجال الذي كانوا في قلعتها من مناطق مختلفة.

٨- قال الأخ فايز (ص ١١٤): (إن صح ما قيل عن إعطاء المخصصات لزعماء قبيلة حرب أثناء حملة طوسون باشا فيحتمل أن يكون المقصود به ما دفع من تعويضات عن مقتل الشيخ جزا الأحمدي من قبل وزير محمد علي في المدينة سنة ١٢٢٩هـ).

والاحتمال الذي ذكره بعيد. ذالك أن الجبرتي ذكر أن إعطاء المخصصات حدث قبل استيلاء طوسون على المدينة المنورة. وكان استيلاؤه عليها سنة ١٢٢٧هـ فلا يحتمل أن يكون تعويضات عن مقتل الشيخ جزا لأن قتله لم يحدث إلا سنة ١٢٢٩هـ حسب قول الأخ فايز نفسه.

الأمر الثاني: من كان أميرًا لسعود على المدينة؟

قال بوركهارت؛ وهو يتحدث عن دخول المدينة تحت حكم سعود بن عبدالعزيز: إنه عيَّن ابن مضيّان حاكمًا لها. لكنه قال: إن الرجل القوي فيها هو حسن القلعي، الذي ظلّ له بعض النفوذ تحت الحكم الوهابي.[١٥] وقال - وهو يتحدَّث عن استسلام المدينة لقوات طوسون: إن سعودًا قد جعل مسعود بن مضيَّان شيخًا لكل قبيلة حرب، و وضع تحته عددًا من القبائل الأخرى.[١٦]ولم يقل، هنا، إنه كان أميرًا للمدينة، بل قال أيضًا: (إن حسن القلعي قد اغتصب حكم المدينة قبل أن يأخذها الوهابيون).[١٧] وقال في كتاب آخر له: (إن حسن القلعي قد عيّن أغا على قلعة المدينة، فأصبح سيّد المدينة دون منازع. ولما أدرك عدم جدوى مقاومته لسعود - بعد استسلام البدو المحيطين بها له - دخل تحت طاعته مقابل بقائه في منصبه. وظلّ حاكمًا للمدينة من قبله إلا أنه لم يقترف المظالم التي كان يقترفها من قبل. ولما توجه طوسون، مرة ثانية، إلى المدينة بقوات أكبر من ذي قبل توقع حسن أن ينتصر، فتفاوض معه سرًّا - ووعده

طوسون بإبقائه على منصبه على أن يسهل لقواته الاستيلاء على المدينة).[١٨]

وإذا اتضح اختلاف أقوال بوركهارت حول هـذا الموضوع من مكان إلى آخر تبين أن تلك الأقوال تحتاج إلى تمحيص.

قال الجبـرتي - بعد أن ذكـر إغداق رجال محمـد علي الأموال على العـربان ومن ادّعى أنه رئيس قبيلـة حرب-: (والذي كـان متأمرًا في المـدينة من جنسهم استمالوه، أيضًا، وسلّم لهم المدينة).[١٩]

وعبارة: (من جنسهم) قد يـراد بها أنه من حرب، وقد يراد بهـا أنه من أتباع آل سعود الـذين كسبهم إغراء رجـال محمد علي. ولذالك فليـس فيها نص على أن ابن مضيّان كان أميرًا للمدينة ذاتها.

ومن الـواضح أن دحلان قـد نقل عن الجبـرتي ما ذكـره عن إغداق الأمـوال وتأثيرهـا، وختم عبارتـه بقولـه: (وقبضوا على ابن مضيّـان الذي كان متـأمرًا في المدينة).[٢٠] وكلامه، على أية حـال، ينصب على مسعود بن مضيّان. وليس فيه نص على أن سعودًا قد عينه أميرًا للمدينة.

أما ابن بشر فقـد نص على أن أمير سعود على المدينـة هو حسن القلعي.[٢١] وحين ذكر وفاة بداي بن مضيّان سنة ١٢٢٠ هـ، قال: إن سعودًا ولّى أخاه مسعودًا مكانه في بوادي حرب. وذالك يعني أن قيادتهما كانت في بوادي تلك القبيلة.

وأما مؤلف «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمـد عبدالوهاب»؛ وهو مؤلف معاصر لكل من الإمام عبدالعزيـز بن محمد وابنه سعود، فقط تحدَّث عن دخول المدينة تحت حكم سعود قائلاً: (وأمر (سعود) على أهالي نجد أن يقطعوا السبل عن المـدينـة حتى يضايق أهلهـا ويـدخلـوا في دين الإسلام، وبقـوا في حصـار المدينة نحو خمس سنـوات إلى أن طاعت المدينة على يد سعـود بن عبدالعزيز، فنصـره الله، وحكم بها رجل قلعي. والـذي أودع اسمه القلعي بمـا أنه من أتبـاع السلطان الذين في القلعة).[٢٢]

وقال في موضع آخر: (وأما المدينة فهي تحت حكم حسن قلعي. وما حولها فهي من حكم ابن مضيَّان من قبائل حرب).[٢٣]

ولعلّ الأرجح في هذه المسألة ما ذكره المؤلف الأخير؛ وهو أن المدينة نفسها كان أميرها القلعي، وأن ما حولها كان أميره ابن مضيَّان.

الأمر الثالث: جهود القادة الثلاثة من آل مضيَّان.

من المعروف أن قبائل حرب متعددة، وأن آل مضيّان كانوا قادة من قادة حرب. ولعلّ أول إشارة في المصادر المتوافرة عن بداية الاتصال بين فئة من حرب والدولة السعودية الأولى هي تلك الموجودة في تاريخ ابن غنام حين قال: (إن سعود بن عبدالعزيز أغار على عربان من مطير وحرب في مكان يقال له الشقرة، فأخذهم؛ وذالك سنة ١٢٠٦هـ).[٢٤]

وفي السنة التالية أغار حجيلان بن حمد، أمير القصيم، على بني عمرو من حرب.[٢٥] على أن دحلان أشار إلى إغارة أحد قادة الشريف غالب على قوم من حرب دخلوا (في دين الوهابي)، على حد تعبيره، قرب كشب؛ وذالك سنة ١٢١١هـ. لكنه ذكر أن كثيرًا من تلك القبيلة جاءوا إليه في الحناكية.[٢٦] وفي السنة التالية أغار على قوم (موهبين) من حرب في عريق الدسم.[٢٧]

ولقد تحمّس كل من بادي بن مضيّان وأخيه بداي لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وانضما بأتباعهما من حرب إلى الدولة السعودية، فأصبح لهما دور مهم في محاصرة المدينة المنورة. وتوفي بادي سنة ١٢١٧هـ، فتولّى القيادة بعده أخوه بداي، الذي ظل في طليعة المحاصرين لتلك البلدة، واشترك مع الزعيم الجهني، جابر بن جبارة، في انتزاع ينبع من ممثّل الشريف غالب فيها سنة ١٢١٩هـ لمدة قصيرة. ومن المعروف أن المدينة استسلمت لسعود في سنة ١٢٢٠هـ. ولم تشر المصادر المتوافرة إلى جهود واضحة لأي من بادي وبداي باستثناء ما ذكره.

أما مسعـود فقد تـولّى القيـادة بعد وفـاة بداي، سنـة ١٢٢٠هـ، وبعـد دخول المدينة تحت الحكم السعودي، فيما يبدو، ولـم تشر المصـادر إلا إلى مساهمته مع آخرين في محاولة صد قوات طوسون باشا المتجهة إلى المدينة المنورة.

وبذالـك يتضح أنه - مع التقـدير العظيم لجهـود أولئك القادة الثلاثـة من آل مضيّان فإن تلك الجهـود، مساهمـة في توسيع الحكم، أو دفـاعًا عنـه، كانت في محيط مواطنهم القريبة من المدينة المنورة، ولم تتجاوزه إلى مناطق أخرى.

الأمر الرابع: جهود القادة الذين أشير إليهم في كتاب «تاريخ المرحلة الثانوية».

لقد أشيـر في هذا الكتـاب إلى عشرة من الأمـراء والقادة؛ أمثلـة لا استقصاءً، كما سبق أن ذكر. وليس بين هاؤلاء العشرة من اقتصرت جهوده في سبيل الدولة السعودية الأولى على منطقته فقط. بل كـان لكل واحد منهم جهوده المتميزة في منطقته وخارجها. ولقد ذكر الأخ فايـز اسمي عثمان المضايفي وعبدالوهاب أبي نقطة وكأن جهود كـل منهما لا تصل إلى جهود أي واحد من آل مضيّـان الثلاثة: بادي وبـداي ومسعود. وإذا كـان قد اتضح مدى جهـود هاؤلاء الثـلاثة، رحمهم الله، فإن من المستحسن إيضاح جهود كل من عثمان وعبـدالوهاب بإيجاز ليتبين للقارئ إن كانت أقل من جهود آل مضيّان أو ليست أقل.

أولاً: عثمان المضايفي: كانت بينـه وبين الشريف غالب صلة رحم، كمـا كان وزيرًا له وقائدًا من قادة غزواتـه. ومن ذالك قيادته غزوة في سنة ١٢٠٨هـ[٢٨] ثم انضم إلى الدولة السعودية عام ١٢١٧هـ.

وكان انضمامه بداية النهايـة لمقاومة الشريف غالب، وقد سبقت الإشارة إلى تزعمه قوات سعودية انتزعت الطائف من ذالك الشريف في ذالك العام مما مهد طريق القـوات السعودية إلى مكـة نفسها. وعيَّنه الإمام عبـدالعزيز أميـرًا للطائف والحجاز. بل إن بـوركهارت قال: إنـه عُيّن أميرًا لقبـائل الطائف ومكة ومـا يليها شمالاً حتى منتصـف الطريق إلى المـدينة.[٢٩] وفي سنة ١٢١٨هـ دخلت ثقيف

وقبائل أخرى في طاعته[٣٠]، وفي سنة ١٢١٩هـ حاصر جدة - ومعه ابن شكبان - باثني عشر ألف مقاتل، كما صمد لحملة غالب على الطائف، ثم حاصر مكة[٣١]. أما في سنة ١٢٢٠هـ فقد هاجم جدة مرة ثانية[٣٢]، ثم وصل إلى مشارف مكة في طليعة قوات تصل إلى ثلاثين ألفًا؛ منها خمسة آلاف بقيادة ابن شكبان، وعشرة آلاف بقيادة أبي نقطة. فاضطر الشريف غالب إلى المصالحة والدخول في طاعة الدولة السعودية.[٣٣]

وفي سنة ١٢٢١هـ كان هو وأبو نقطة، وابن شكبان، وحجيلان بن حمد، وابن علي، وابن مضيَّان، وابن جبارة، بأتباعهم قرب المدينة المنورة - بأمر من الإمام سعود - لإرجاع أمير الحاج الشامي إلى بلاده خوفًا من أن يتآمر معه الشريف غالب.[٣٤]

وفي سنة ١٢٢٤هـ كان أخو عثمان بأتباعه مع أبي نقطة لمحاربة الشريف حمود، حاكم جازان.[٣٥] وفي سنة ١٢٢٥هـ حارب هو بأتباعه ذالك الشريف، وهزمه[٣٦].

ولقد كان لعثمان جهود في صد حملة طوسون المتجهة من ينبع إلى المدينة، كما كان في طليعة قوات عبدالله بن سعود في معركة وادي الصفراء. يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن، الذي كان شاهد عيان لتلك المعركة: (أمر سعود ابنه عبدالله أن يسير إلى قتالهم (يعني أتباع طوسون) وأمرهم أن ينزل دون المدينة. فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان المضايفي، وأهل بيشة وقحطان، فنزلوا بالجديدة، فاختار عبدالله بن سعود القدوم عليهم والاجتماع بهم؛ وذالك أن العسكر المصري في ينبع، فاجتمع المسلمون في بلد حرب، وحفروا في مضيق الوادي خندقًا، وعبأوا الجميع. فصار في الخندق من المسلمين أهل نجد، وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز في الجبل فوق الخندق. فحين نزل العسكر أرزت خيولهم... ساروا على عثمان ومن معه في الجبل، فتركهم حتى قربوا منه فرموهم بما احتسبوهم وما عدوه لهم حين أقبلوا عليهم فما أخطأ لهم بندق، فقتلوا العسكر قتلاً ذريعًا...)[٣٧]

وقد بذل عثمان جهوداً لمقاومة قوات طوسون بعد دخولها مكة واستيلاءها على الطائف إلى أن قبض عليه غدراً في العاشر من رمضان سنة ١٢٢٨هـ، وأُخذ إلى مصر.[٣٨]

وقد قال بوركهارت عن القبض عليه: إن الوهابيين فقدوا بذالك أنشط وأجرأ موال لهم في الحجاز.[٣٩] ولمكانته طلب سعود الإفراج عنه مقابل ألف فرانسة.[٤٠]

ولقد تحدّث الجبرتي عن عثمان بقوله: (والمضايفي زوج أخت الشريف (غالب)، وخرج عليه وانضم إلى الوهابيين، فكان أعظم أعوانهم. وهو الذي كان يحارب لهم ويقاتل، ويجمع قبائل العربان ويدعوهم عدة سنين، ويوجه السرايا على المخالفين، ونما أمره واشتهر لذالك ذكره في الأقطار... ولما قبضوا عليه أحضروه إلى جدة.. ثم وصل إلى القاهرة. فضربوا المدافع من القلعة إعلاماً وسروراً بوصوله أسيراً... فلما دخل عليهم (رجال الدولة في مصر) أجلسوه معهم فحدثوه ساعة... وهو يجيبهم من جنس كلامهم بأحسن خطاب، وأفصح جواب، وفيه سكون وتؤدة في الخطاب، وظاهر عليه آثار الإمارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال الجماعة بعضهم لبعض: (يا أسفي على مثل هذا إذا ذهب إلى اسلامبول يقتلونه).[٤١]

ثانيًا: عبدالوهاب أبو نقطة: كان قد أتى إلى الدرعية، مع أخيه محمد، وبايعا الإمام عبدالعزيز، وأخذا ينشران الدعوة في عسير. ولما توفي أخوه انفرد بالقيادة ووحّد تلك المنطقة. فأصبح أميراً لآل سعود عليها. وكان له دور مهم في العمليات العسكرية الموجهة إلى الشريف غالب سنتي ١٢١٩هـ و ١٢٢٠هـ. حتى اضطر الشريف إلى المصالحة ومبايعة الإمام سعود. وكان أهم شخصية دخلت مكة بعد الصلح؛ إذ تبادل الهدايا مع الشريف غالب وكان محلّ التقدير والإجلال.[٤٢] وقد قال عنه مؤلف «كيف كان ظهور شيخ الإسلام»: (قام مع ابن

سعود قومة عظيمة وقاتل أهل مكة حتى أسلموا (يعني دخلوا في طاعة الحكم السعودي). وجميع قومه إذا اجتمعوا بقدر مئة ألف، وخيله خمسة آلاف).(٤٣) وقد يكون في هذا مبالغة.

وفي سنة ١٢٢٠هـ كان عبدالوهاب في طليعة قادة آخرين توجهوا - بأمر من الإمام سعود - لقتال أهل نجران بثلاثين ألف مقاتل.(٤٤) أما في سنة ١٢٢١هـ فكان بأتباعه مع قادة آخرين قرب المدينة المنورة لصد حاج الشام، كما سبق أن ذكر.

وكان له دور كبير في إدخال منطقة المخلاف السليماني (جازان) تحت الحكم السعودي(٤٥)، وإدخال مناطق من أراضي إمام اليمن الساحلية. وقد ربطت منطقة المخلاف السليماني به إداريًا فترة، ثم نجح الشريف حمود بالانفصال عنه والاتصال بالدرعية مباشرة. ولما حدث من ذالك الشريف ما يريب الإمام سعودًا، سنة ١٢٢٤هـ، أمر عبدالوهاب بمقاتلته. فدارت بينهما معركة قتل فيها عبدالوهاب، لكن نهايتها كانت انتصارًا لأتباعه الذين تولّى قيادتهم قريبه طامي بن شعيب.(٤٦)

لعلَّه مما سبق يتضح أن جهود كلٍ من عثمان المضايفي وعبدالوهاب أبي نقطة لا تقل عن جهود أي قائد من آل مضيّان: بادي، وبداي، ومسعود.

الأمر الخامس: موقف حرب من طوسون.

من يتأمل تاريخ الدولة السعودية الأولى يجد أن من الحضر والبدو الذين أصبحوا تحت حكمها من لم ينضموا إليها طواعية. ولذالك لم يكن غريبًا أن وجد منهم من تخلّوا عن مساعدتها، أو انضموا إلى خصومها، عندما رأوا أن من مصلحتهم فعل ذالك.

والحديث الوارد في كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوي عن موقف حرب من طوسون منصب فقط على الفترة الواقعة بين انهزام طوسون في معركة وادي الصفراء وتقدمه - مرة ثانية - من ينبع إلى المدينة. فماذا قالت المصادر القريبة زمنًا من وقوع تلك الأحداث؟

الواقع أن بوركهارت ذكر بأن بعض القبائل لم يمنعها من مساعدة طوسون، قبل معركة وادي الصفراء، إلا خوفها من بطش سعود، فقال: (إن البدو بين ينبع والمدينة؛ خاصة حرب وجهينة، مهما كانت كراهيتهم للوهابيين ورغبتهم في العودة إلى المشاركة في الإتاوات والمكاسب من قوافل الحجاج الأتراك.. كانوا مذعورين من قوة سعود وبطشه. ولذا لم يجرأوا على الحركة مادام الأتراك لم يحصلوا على مكاسب حربية واضحة تعطيهم أملاً في نجاح حتمي إذا انضموا إليهم).[٤٧]

لكن كلام بوركهارت، هنا، يبقى مجرد رأي خاص له. على أن طوسون تمكن من استمالة فئات من قبائل عدة - بينها الحويطات، وجهينة، ومزينة - قبل معركة وادي الصفراء.[٤٨]

وقد قتل في تلك المعركة، التي حدثت في أواخر ذي القعدة سنة ١٢٢٦هـ، عدد من قادة السعوديين بينهم هادي بن قرملة زعيم قبيلة قحطان. لكن قوات طوسون منيت بهزيمة عظيمة، كما سبق أن ذكر.

أما ما حدث بعد تلك المعركة، مما له صلة بالأمر المتحدث عنه، فقد قال الجبرتي: (وعرفه (أي الباشا) كبراء العرب الذين استمالهم.. أن الذي حصل لهم - (رجال طوسون من هزيمة) إنما هو من العرب الموهبين - وهم عرب حرب - والصفراء، وإنهم مجهودون... والوهابية لا يعطونهم شيئًا، ويقولون لهم: قاتلوا عن دينكم وبلادكم. فإذا بذلتم لهم الأموال... ارتدوا... وصاروا معكم وملكوكم البلاد. فاجتهد الباشا في جميع الأموال... ولما وصل بونابرته إلى ينبع البر أخذ في تأليف العربان واستمالتهم، وذهب إليهم ابن شديد الحويطي ومن معه، وتقابلوا مع شيخ حرب، ولم يزالوا به حتى وافقهم، وحضروا به إلى بونابرته، فأكرمه وخلع عليه الخلع..) إلى أن قال: (وخص شيخ حرب بمفرده ثمانية عشر ألف فرانسة.. فعند ذالك ملكوهم الأرض. والذي كان متأمرًا في المدينة من جنسهم استمالوه، أيضًا، وسلّم لهم المدينة).[٤٩] ولا يلزم

من قوله (شيخ حرب) أن المراد مسعود بن مضيـان. فقد يكون المراد شيخًا آخر من مشايخ حرب.

ونقل دحلان، فيمـا يبدو، عن الجبرتي ما قـاله عن موقف حـرب. ولذالك لا داعي لإيراد ما ذكره.

على أنـه ورد في وثيقة مؤرخـة في ٩/ ٥/ ١٢٢٧هـ مـا يأتي: (شرع فـي هذه الآونة في جلب العربِ والعـربان حيث خضع من عربان جهينـة أكثر من نصفها، وانحل عقد عربـان حرب فبدأوا يفدون إلى هنا. غير أن هـذه المسألة تحتاج إلى كمية كبيرة من النقود والكساوي).[٥٠]

أمـا بـوركهـارت فقال: (أرسل محمـد علي مبـالغ كبيـرة من المـال إلى ابنـه طوسون ليوزعهـا على مشايخ البدو المجاورين؛ آملاً أن يبعدهـم عن الوهابية.. ونجح المحروقي بالـذهب في كسب عدد كبير من قبيلة حرب؛ خـاصة الفرعين القـويين من تلك القبيلـة: بني سـالم وبني صبح، اللـذين يحتلان ممـرّ الصفـراء والجديـدة.. وفي أكتوبر من سنـة ١٨١٢م (محرم ١٢٢٧هـ) كان كثيـر من أفراد جهينة قـد انضموا إليه.. فسـار وعبر ذالك الممـرّ، الذي سبق أن هزم فيـه، بأمان حتى وصل إلى أسوار المدينة دونه اشتباكات).[٥١]

وقـال الرافعي: (إن طـوسـون تلقى إمـدادات ماليـة، بعـد هزيمتـه في وادي الصفـراء، فمهدت لـه السبيل للاستيـلاء على المـدينة، فتحـرّك من ينبع قاصـدًا المدينة، وانضم إليـه كثير من عرب جهينة وحـرب، واحتل وادي الصفراء بدون مقاومة بفضل مؤازرة العرب الموالين له).[٥٢]

والرافعي، على أيَّة حال، لم يكن معاصرًا للأحداث التي كتب عنها. ولذا فإن ما كتبه ليس له وزن ما كتب معاصروها كالجبرتي وبوركهارت.

أما ابن بشر فقال: (أقبل أحمد بونابرت على العسكر، الذين في ينبع البحر مع أحمـد طوسـون، بعسـاكـر كثيرة.. فضبطـوا ينبع، وتبعهم بقيـة عـربان جهينـة،

واستالوا (هكذا) على ينبع النخل، ثم وادي الصفراء وبلدان بوادي حرب، ثم ساروا قاصدين المدينة، وسار معهم بوادي حرب).(٥٣)

ومن الواضح أن ابن بشر لم يذكر إغداق الأموال على القبائل. لكن الجبرتي أقرب زمنًا إلى مجريات الأحداث المتكلم عنها.

وبمقارنة المصادر المختلفة يترجح أن فئات - على الأقل - من حرب وجهينة قد انضمت إلى قوات طوسون؛ سواء كان ذالك بالإغراءات المالية والهدايا، أو لأسباب ذاتية أخرى. وهذا لا يتعارض مع كون مسعود بن مضيَّان قد بقي مخلصًا للدولة السعودية. وربما بقيت معه فئة من حرب أيضًا.

ومن كل ما سبق ذكره يتبين ما يأتي:

١ - أن ذكر القادة والأمراء العشرة في كتاب التاريخ للصف الثالث الثانوي هو ذكر لأمثلة وليس استقصاء لجميع الأمراء والقادة في الدولة السعودية الأولى. ذالك أن من الشطط، وتحميل الطالب ما لا يستطيع حمله أن يذكر الجميع.

٢- أن بعضًا - إن لم يكن كثيرًا - مما قاله الأخ فايز الحربي في انتقاده الكتاب المذكور غير دقيق.

٣- أن جهود القادة من آل مضيَّان: بادي، وبداي، ومسعود - مع تقديرها - كانت محصورة في منطقتهم: منطقة المدينة المنورة.

٤ - أنه ليس بين الأمراء والقادة العشرة الذين ورد ذكرهم في الكتاب المذكور من اقتصرت جهوده على منطقته، بل تجاوزتها إلى مناطق أخرى.

٥- أن جهود عثمان المضايفي وعبدالوهاب أبي نقطة، اللذين ذكرهما الأخ فايز بما يوحي أن جهودهما أقل من جهود آل مضيَّان، جهود لا تقل عن جهود هاؤلاء، إن لم تزد عليها.

٦- أن الحديث الوارد في كتاب الثانوية عن موقف حرب وجهينة منصب على فترة معينة بين هزيمة طوسون في معركة وادي الصفراء ووصوله إلى المدينة بعد

تلك المعركة. وقد اتضح مع مقارنة النصوص أن فئات - على الأقل - من جهينة وحرب قد استمالها طوسون في الفترة المتحدَّث عنها؛ وإن كان مسعود بن مضيَّان بالذات ظلّ متصديًا له. رحم الله الجميع، وألهمنا الصواب.

عبدالله الصالح العثيمين

الحواشي:

(١) عثمان بن بشر، «عنوان المجد في تاريخ نجد»، الطبعة الثانية من قبل وزارة المعارف، ١٣٩١هـ، ج ١، ص ١٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ص ١٦٢ - ١٦٥.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٤.

(٥) محمد أديب غالب، «من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي»، دار اليمامة، ١٣٩٥هـ، ص ١٥٠.

(٦) ابن بشر، ج ١، ص ١٨٦.

(٧) أحمد زيني دحلان، «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام»، إعادة طباعة، استانبول، ١٤٠٠هـ، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٨) ابن بشر، ج ١، ص ٢٣٧.

(٩) دحلان، ج ٢، ص ٢٩٥.

(١٠) انظر صفحة ٣٠٥ من كتابه المذكور.

(١١) انظر، ج ٢، ص ص ٣٠٣ - ٣٠٥ من الكتاب المذكور.

(١٢) بوركهارت، ص ٧٧.

(١٣) ابن بشر، ج ١، ص ص ٢١٢ - ٢١٣.

(١٤) انظر كتابه «مواد لتاريخ الوهابيين»، ترجمة عبدالله العثيمين، الرياض ١٤٠٥هـ، ص ص ١٢٢ - ١٢٤.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٩٤. ومن الواضح أن لوريمر؛ وهو مؤلف متأخر العهد، قد أخذ عنه في كتابه «دليل الخليج»، الذي ترجمه مكتب أمير قطر ونشر دون ذكر لسنة الطباعة، ج القسم التاريخي، ج ٣، ص ١٥٩٤.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(١٧) «مواد»، ص ١٢٤.

(١٨) بوركهارت، «رحلات في شبه جزيرة العرب»، ترجمة د. عبدالعزيز الهلابي ود. عبدالرحمن الشيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، ص ص ٣٦٠ - ٣٦٢.

(١٩) الجبرتي، ص ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢٠) دحلان، ج ٢، ص ١٩٥.

(٢١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٣٧. وانظر ج ٢، ص ١٨٧.

(٢٢) مؤلف مجهول، «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب»، درسه وحققه وعلّق عليه عبدالله العثيمين، ط ٢، الرياض ١٤١٤هـ، ص ٧٢.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(٢٤) حسين بن غنام، «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، طبعة أبي بطين، القاهرة، ١٣٦٨هـ، ج ٧٢ ص ١٥٧، وانظر، أيضاً، ابن بشر، ج ١، ص ١١١.

(٢٥) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ١٣٠.

(٢٦) دحلان، ج ٢، ص ٢٦٥.

(٢٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٢٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦٣.

(٢٩) بوركهارت، مواد، ص ٨٧.

(٣٠) دحلان، ج ٢، ص ٢٨١.

(٣١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٢ - ٢٨٥.

(٣٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٣٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩١. وأشار إلى دخول عثمان وأبي نقطة إلى مكة بعد الصلح وابن بشر، ج ١، ص ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٣٤) المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ١٨٨.

(٣٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٤.

(٣٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٠.

(٣٧) عبدالرحمن بن حسن، ضمن «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية، الرياض ١٣٨٨هـ، ج ٩، ص ٢٢٣.

(٣٨) ابن بشر، ج ١، ص ص ٢١٤ - ٢١٨.

(٣٩) بوركهارت، مواد، ص ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٤٠) الجبرتي، ص ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٤١) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(٤٢) ابن بشر، ج ١، ص ١٨٤.

(٤٣) مؤلف «كيف كان ظهور شيخ الإسلام»، ص ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٤٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٤٥) انظر عن ذالك عبدالرحمن البهكلي، «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود»، تحقيق محمد العقيلي، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ١٤٠٢هـ، ص ص ١٢٧ - ١٣٨.

(٤٦) ابن بشر، ج ١، ص ١٩٤.

(٤٧) بوركهارت، مواد، ص ١١٤.

(٤٨) طبقًا لوثيقة مؤرخة في ٥/ ١١/ ١٢٢٦هـ، عبدالرحيم، من وثائق...، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٤٩) الجبرتي، ص ص ١٤١ - ١٤٢. ولقد سبقت الإشارة إلى أن كلمة من جنسهم يحتمل أن يكون المراد بها من القبائل المذكورة أو من الوهابيين ويدخل ضمنهم القلعي.

(٥٠) عبدالرحيم، «من وثائق»، ج ٢، ص ٢٦٢.

(٥١) بوركهارت، «مواد»، ص ص ١٢٠ - ١٢١.

(٥٢) عبدالرحمن الرافعي، «عصر محمد علي»، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٣٧٠هـ، ص ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٥٣) ابن بشر، ج ١، ص ٢١٢.

حول كتاب «حدائق الآداب»:

نَظَـراتٌ في نَظَـرات

النظـرات النقـديـة التي ألقاهـا الأستـاذ عبـاس الجراخ على كتـاب «حدائق الآداب» للأبهريِّ، وأطْلَعَ قراء «العرب» مشكوراً عليها س ٣٣ (ص ص ٦٧١ - ٦٨٦)، كان جلُّها دقيقًا ومفيدًا، وقـد فَلَى (النَّاظر) الكريم العمل فَلْيًا، وتأمَّلَ كُلَّ عبارة فيـه بل كلَّ لفظة، وذالكم ضَـرْبٌ من القراءة لابُدَّ منـه للتَّعَاضـد على اتقان الأعمَّال، وسدِّ نقصه، وإصلاح خلله، والتخفيف من آثار الوهم والسَّهْوِ فيه.

ومن جَيِّد تلك الملحـوظات التنبيه على تكـرر ترجمة محمد بن كنـاسة، وعلى إيراد اسم النَّـوار زوج مالك بن زيد فـي ص ٧٣٩ على أنها زوج مالكٍ آخـر، وذكر «شعرِ العجيـر السلولي» ضمن مصادر التحقيق دون الـرجوع إليـه في تخريج بيتين له، ونسبـة أبيات في الفهارس لصـاحب «المختارات» التي وردت ضمنهـا (محمد ابن داود الأصبهاني)، والإشارة إلى أن (بهجة الحديثي) رجلٌ لا امرأة، كما ظُنَّ في ص ٤٥٦ من الكتاب، وهنا يجد المحقق نفسه مدينًا باعتذار للأستاذ بهجة عن هذا الخطأ غير المتعمَّد، فهذه أمور يجب تلافيهـا، ومن الفوائد التي أتحفنا بها صاحبُ النظرات الكريمُ ذكر قائل البيتين اللَّذَيْنِ في ص ٦، وشطر البيت الذي في ص ٥٤.

على أنَّ بعضًا ممـا أورده هو مما يستحسن فـي التَّحقيق استحسانًا ولا يـؤاخذ عليه، كما أن بعضه مما لا يتفق المحقق معه فيه.

ومحقق «حـدائق الآداب» إذ يشكر الأستـاذ عباسًـا على دقَّته ومـوضوعيتـه، وعلى ما ورد في مقـالته من ثنـاء على العمل وتقدير للجهـد المبذول فيـه، يشير أدناه إلى ما لديه حول بعض ملاحظـه خاصة من الفئة الأخيرة، محاولاً الاقتصار على مالا يجد بُدًّا من الحديث عنه مراَعاةً للاختصار:

١ - ورد في (٣) ص ٦٧٢: (وأظن أن كتب قواعـد التحقيق قد تحـدثت كثيراً عن القضية التي أشار إليها الدكتور السديس ورجع فيها إلى مقدمة الكتاب الوارد

في هامش هذه الصحيفة) انتهى. وفي هذا إشارة ضمنية إلى عدم استحسان ما ورد في مقدمة التحقيق من اقتباس من كلمة للأستاذ إحسان عباس، عن ضرورة عدم الالتزام بالضَّبط الذي في المخطوطات، بل الرجوع فيه إلى المعاجم، ولا إخال ظنَّ الأستاذ في محله، فأين مواضع ذالك الحديث الكثير في كتب التحقيق؟ ثم إن سطراً أو نحو سطر من كلام محقِّق كبير، ثَريٍّ التجربة، طويل الممارسة، إن هو إلا قنديلٌ هاد، ونورٌ على نور، وإن عَلم مضمونَهُ كبارُ المحققين من أمثال الأستاذ عباس، لأن صِغارهم ومُبْتَدئيهم في حاجة إلى التذكير به، فكثير منهم لا يحيدون قيدَ أُنملة عما يلفونه في المخطوطات، ظنًّا منهم أن مجرد قدَمها يُضْفي عليها حُجِّيَّةً قريبةً من القداسة، كما أن في كلمة ذالكم العلامة ما يُلجم ألسنَةً وأقلامًا عن المحقِّق، ويعفيه ويعفي القراء معه من عناء مناقشتها.

٢- لم تثبت في الكتاب صور من الصفحات الأولى والأخيرة من المخطوطات التي رُجع إليها في التحقيق، كما لاحظ الأستاذ في الصفحة نفسها، لعدم تضخيم الكتاب الذي يُعَدُّ كبير الحجم، ولعدم الاقتناع بكبير جدواها، وإن أُثبِتَتْ مثل تلك الصور في الطبعة الأولى، واتِّباعًا لمنهج محققين كثيرين كمحمد أبي الفضل إبراهيم، وعبدالسلام هارون، وأحمد شاكر، ومحمود شاكر، وحمد الجاسر، وعبدالستار فراج، مثلاً، إذ وُجدتْ كثيرٌ من تحقيقاتهم خلواً من أمثال تلك الصور.

٣- ورد في ص ٦٧٣: (النَّصُّ الوارد ص ٧٥ عن بعض الفُصحاء خرَّجه المحقق على كتاب «الفاضل» للمبرد باختلاف، وكان المفضَّل والصحيح أن يخرجه على كتاب «الخيل» للأصمعي، ولأن المصنف ينقل عن كتابه) انتهى.

قلت: هذا التعليل بحاجة إلى إثبات.

٤- أشار الأستاذ الجِراخ في (١) من الصفحة عينها إلى نَصٍّ نثريٍّ قصير لخالد بن صفوان قائلاً: إن المحقق لم يُخرِّجْهُ. قال المحقق: الأقوالُ والنصوص

القصيرة النثرية مما ليس من المعتاد تخريجه، ماعدا بطبيعة الحال، الآيات والأحاديث، وربما أقوال الصحابة، فهي إن خُرِّجتْ فحسنٌ، وإن لم تخرجْ فلا تثريب في ذالك، وهذا شيخ المحققين عبدالسلام هارون- رحمه الله - مثلاً، لا يخرج الجمل والأقوال النثرية التي يحفل بها «البيان والتبيين» ولو فعل لأثقل الكتاب أيّما إثقال.

وبالمناسبة، هنالك عبارة أخرى لابن صفوان نفسه وردت في الصفحة السادسة من «الحدائق» مخرّجة، وقد وردت مختصرة وباختلاف يسير في «البيان والتبيين» (١/ ٣٥٣)، ولم يخرِّجها هارون!

٥- في الصفحة عينها أيضًا (٣) نعتٌ لطبعة سعيد الخوري من «نوادر أبي زيد الأنصاري» بأنها (غير علمية)، والأدقّ وصفها بأنها قديمة، أما الطبعات غير العلمية فهي الطبعات التجارية التي لا تبالي بالناحية العلمية في النشر، وفيها إشارة إلى أن لفظة (ضنؤها) الواردة في «النوادر» في قول الراجز:

أُمُّ حُوارٍ ضِنْؤُهـا غيـرُ أَمِـرْ

كانت بكسر الضاد لا بفتحها. قلت: لكن يجوز فيها الكسر والفتح. (ليُنظَر، مثلاً، «الصحاح - رسم (ضنا)، وبالمناسبة فإن كلمة (أمر) التي في آخر البيت ومعناها (مبارك)، ووردت في مقالة الأستاذ محرفة (ينظرَ جدول التطبيعات في ذيل هذا التعقيب)، وردت صحيحة في طبعة سعيد الخوري، وخطأً، في نشرة محمد عبدالقادر أحمد عن «النوادر» التي حث الأستاذ على اعتمادها في التحقيق وحدها (تنظر ص ٤٦٠ من «النوادر» تحقيق محمد أحمد) فقط ضُبطت همزتها بالضَّمِّ!!

٦- في (٤) من الصفحة نفسها أشار الكاتب الكريم إلى حديث ورد في الكتاب بأنه مرويٌّ في البخاريِّ ومسلم، دون ذكر الجزء والصفحة، والكاتب بدوره لم يذكر الصفحة التي هو فيها من «الحدائق»، وقد يكون مشهوراً فلا موجب لتوثيقه.

٧- أشار الكاتب الكريم في آخر الصفحة نفسها إلى وجود آيات لم تُخرَّجْ في ص ص ١٩٥، ٣٣٧، ٦٠٠. قلت: أما ص ص ١٩٥، و ٦٠٠ فلم ترد في المتن فيهما آياتٌ، وإنما ورد في الأولى ذكرٌ للضريع، وأن الله ذكره في كتابه، فبيّن في الحاشية، أن ذالك في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طعامٌ إلاَّ مِنْ ضريع﴾، وورد في حاشية الثانية قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَان﴾ وموضع الآيتين من كتاب الله لا يحتاج إلى بيان، إلى كون ما في الحاشية لا التزام بتخريجه.

وأما الآية التي في ص ٣٣٧ فقوله تعالى: ﴿وإذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾، وهي، كذالك، يَعْلَم الصِّبْيَةُ موضعها من كلام الله وإنما التخريج لما يَغْلُبُ على الظن عُسْرُ الاهتداء إلى مكانه لتيسيره، أليس كذالك؟! ولا ينبغي خضوعُ التحقيق خضوعَ قِنٍّ مغلوب على أمره لقواعدَ بشرية جامدة، وغير متفق عليها، بل أن يُسمح للعقل والنظر السليم بحيِّز فيه، فهل يُعْقَلُ أن يُخَرَّجَ مثلاً قوله تعالى: ﴿والعَصْرِ. إنَّ الإنْسَانَ لفي خُسْرٍ﴾ أو: ﴿مَلِك النَّاس. إله النَّاس﴾ وأمثالها؟ لقد أُغفل تخريج تكلم الآيات عمداً فمن يجهل موقعها من التنزيل؟ إن من يجهله لغير خليق بأن يُخْدَمَ، ولا اعتذار عن هذا.

٨- قال الأستاذ الجراخ ص ٦٧٤: (من المفضَّل عدم إثقال الهوامش بالإحالة على المصادر الكثيرة التي وردت فيها الأبيات أو البيت بل يكتفي بالديوان أو المجموع الشعري للشاعر..).

قلت: مادام أنه (من المفضَّل) فلا ينبغي التحدث عنه، فهو نَفْلٌ وليس فرضًا، ثم إن هذه العبارة مطاطة، على أن في شأن الاكتفاء بالإحالة على دواوين الشعراء دون كتب التراث الأخرى التي تحوي شعرهم تفصيلاً، فإنْ كانت الدواوين قديمة صنعها علماءُ موثوقٌ بهم مثلُ «شعر حاتم بن عبدالله الطائيِّ وأخباره» لمُدْرِك الطائيّ، و «ديوان زهير بن أبي سلمى» صنعة ثعلب، وأمثالهما فَنَعَمْ، يَكتفَى بالرجوع إليها، وأما إن كانت من جمع باحثين معاصرين فلا مانع من الاعتماد

على المصـادر الأدبية التراثيـة الأخرى، وبعض الـدواوين التي جمعهـا محقِّقون معـاصرون لا يَجْمُل الاكتفـاءُ بـالتخريج عليهـا، لكثـرة فـوائتها كمـا يتجلى من الاستدراكـات التي كثيرًا مـا نشرت في الـدوريات والمجلات العلميـة على مثل تلك الأعمال، ولعدم اتسام بعضها بالـدِّقة و (العلمية) الحقيقية، ومن جانب آخر فإنه لمن قبيل التشدد النائي عن (التَّشْديد والمقارَبَة) المطلوبَيْن طلب الرجوع إلى جميع دواوين الشعـراء، فيكاد لا يكـونَ ممكنًا كـون جميع الدواوين في متنـاول البـاحث، ومن شأن ذالك تعطيـل التحقيق، أو إبطـاءُ حـركتـه، وهـانحن الآن في المملكة - على سبيل المثال - نرغب في الاطلاع على كثير من الدواوين الجيدة التي صنعها عدد من أجلـة الأساتذة العراقيين، كنـوري حمودي القيسي - رحمه الله - وحـاتم الضّامـن، وهلال نـاجي، ويحيى الجبـوري، فنجـد بعضًا، وتُعْيينـا الحيلة في نيل بعـض، لظروف عديـدة على رأسها الظـرف الغريب الشـاذُّ المؤلـم التي تمرُّ به أرض الرافدين العزيزة، حسبنا الله على من تسبب فيه، ونعم الوكيل!

ثم ألْأفْضَلُ أن أرجع إلى ديوان جمعه معاصرٌ من أن أعودَ إلى مجموعة شعرية قديمـة موثوق بهـا كـ «الأصمعيات» و «المفضليـات» وشرحها، والحمـاسات، وشروحهـا، و «جمهرة أشعار العـرب»، و «القصائد العشـر» أو «السبع الطِّوال» الجاهليات، وشروحها؟

وبالمنـاسبة فإن جُلّ ملحـوظات الأستـاذ عباس حـول هذا الأمـر، وكان من الخير إجمالُها مع الفقـرة الآنفة الذكر، والاكتفاء بصفحة واحـدة عوض الوقوف عند كل بيت، وتكـرار الكلام نفسه بأن هـذا البيت لم يرجع فيه المحقق لـديوان الشاعر إلخ ما أطال المقال بلا طائل في هذه الناحية.

وكـذالكم من التشـدد - في رأيي - الإصـرار على الـرجوع دائمـاً إلى طبعـة أخيرة جيدة للديوان، مع وجود طبعة قديمـة جيدة أيضًا له، كما في «ديوان جرانَ العود» (الملاحظة رقم ٨ ص ٦٧٤).

٩- ما ورد في (٦) ص ٦٧٥ من أن بيت الرؤاسـيّ في مجموعِ شعره لا داعي لذكره إذ إن المجموع نُشِر بعد نَشْر «الحدائق»!

١٠- البيت الـوارد في ص ١١٩ من «الحـدائق» والمتحدث عنـه في (٧) من الصفحة عينها وهو لقيس بن الحدادية رُجِع في تخريجه إلى ١٢ مصدرًا، وعبارة الكاتب الكريم توحي بأن المحقق نسبه إلى قيس دونما اعتماد على مصدر (لأنه لم يرجع إلى شعره المنشور في «المورد».

١١- ورد في (١٠) من الصفحة نفسهـا إشارة إلى بيت للعجيـر السلولي ورد في ص ٢٢٥ من «الحـدائق»، وأنه لم يخـرَّج على شعره المنشور فـي «المورد». قلت: خُـرِّجَ على مصدرين علميِّين، والعبـارة تـوحي أيضًا بأنـه لم يخرَّج ألبتـه، وورد: (ثم ورد في الصحيفة بيت له لم ينسبـه محقق الكتاب) انتهى، قلت: ليس في الصحيفـة ٢٢٥ بيت آخـر للعجير، ولعـل رقم الصفحة سقط سهـوًا، فتكـون العبـارة (ثم ورد في الصحيفـة ٣٥٠ بيت.. إلخ)، لكـن البيت الـذي في تلك الصفحة نُسِبَ وخُرِّج على «الصحاح»، و «التهذيب»، و «مجمل اللغة»!

١٢- ورد في السطـر الأخير من الصفحـة نفسها: (ولكنّ المحقق الكـريم لم يرجعَ - هكذا بالنصب - أو يشير، هكذا بعدم الجزم...)!

١٣- ص ٦٧٦ قـال الكـاتب في فقـرة (١٢) في سيـاق كـلام عن البيت المعروف جدًا جـدًا: (لا تنه عن خلق..): (... يضاف إلى ذالك أن البيت ينسب لأبي الأسود الدؤلي) انتهى، قلت: ولم يفت المحقق الإشـارة إلى هذه المعلومة بل قال في ح ٤ من ص ٢٤٧: (... ونسب فـي مصادر مختلفة لشعـراء كُثْر منهم حسانُ، وأبو الأسود الدؤلي، وسابق البربـري، و الطرماح)، ثم أحال إلى «فُرحة الأديب» ص ١٣٤ حاشية المحقق!

١٤- طلب الأستاذ الجراخ في فقرة ١٦ ص ٦٧٧ إضافة مصدرين إلى تخريج بيتين لأحمد بن فارس ذكرهما المحقق في الحـاشية. قلت: ما يذكره المحقق لا

داعي لتخـريجه، وإن أشيـر إلى موضع واحـد فهو فيـه فذالك كـاف، وللمحقق التمثل بما يشـاء دونما تخريج، وإنمـا التخريج لـلأشعار التي في متن المصنف، وينطبق هذا على الملاحظة (٢٥) في الصفحة التالية إذ استشهد المحقق في ص ٤٧٠ ببيت لبِشْرٍ فإذا بالكاتب يهبُّ طالباً تخريجه!

١٥- في الملاحظـة رقم ١٧ ص ٦٧٧ أيضًا أشار الكاتب الكـريم إلى وجود البيت المعروف: (وإذا تكون كريهة...) غير مَعْـزُوٌّ. وقال: إنه لضَمْرَةَ بن ضَمرة، وأحال إلى مجموع شعره في «المورد». قلت: قد رجع المحقق في تخريج البيت إلى ستة مصـادر قديمة، وأشار إلى نسبتـه فيها إلى تسعة شعراء أحـدهم ضمرة، فكيف، بعد ذالك، يجرؤ الأستاذ الجراخ على القول بأنه (غيـر معزوّ)؟ هذا غير مقبول إطلاقًا.

١٦- البيت الوارد في ص ٣٠٦ من «الحدائق» منسـوب في المتن لخزيمة بن نهـد في قصة مثل، ولا داعي لتخـريجـه كما صنـع الكاتب في الفقـرة (١٩) من الصفحة عينها.

١٧- سقط من الأحاديـث النَّبوية في فهـرسها حديـث: «إذا استأثر الله بشيء فَالْه عنه»، كما لحظ الكـاتب في الفقره (١) ص ٦٨٠، لأنه لم يرد في المتن على أنه حديث، بل قولٌ مسبوق بصيغة التمريض (يقال) وحسب.

١٨- ورد ص ٦٨٠ أن (المسيح عليه السلام) لم يورد في فهرس الأعلام مع ذكره في ص ٣٧٤ من «الحـدائق». قلت: لم يذكر لفظ (المسيح) اكتفـاءً بالاسم عن اللقب، فـالعبـارة التي ورد فيهـا ذكـر المسيح عليـه السـلام هي: (المسيح الصديق، ومنه قيل لعيسى بن مريم عليه السلام مسيح).

تُرَى أتورد لفظة (مسيح)، وهي في العبارة لقبٌ نكرة، مع ورود الاسم كاملاً؟ لا ياسيدي!

١٩- ورد في الصفحة عينها: (لا داعي لـذكر اسـم الشاعـر الكامل.. ينظـر: ٧٦١ و ٧٨٠) قلت: ص ٧٨٠ فيها فهارس المصادر وليسـت مختصة بالشعراء، أما اسم الشاعر فلا أرى مانعًا من ذكره للفائدة.

٢٠- ورد في الصفحة عينهـا أيضًا: (عبدالله بن همـام السلولي: ٢٢٥، ٣٩٠. الصواب: ٢٥٦، ٢٤٣). قلت: (بل الصواب: ٢٥٦، ٤٤٢)!

٢١- في ص ٦٨١ فقرة (١) قال الأستاذ عباس: إنه يرى أن يكون عنوان ثبت مصادر التحقيق (المصادر والمراجع) لا المصادر فقط، لـوجود (مراجع) حديثة فيه، والمحقق لا يـرى مانعًا من الاكتفاء بكلمـة (المصادر) لقلة ما أشـار إليه من مراجع حديثة بينها، ويكون ذالك من بـاب (التغليب)، وهو أولى من التزام الدقة الحـرفية في التعبيـر مما لا يتـلاءم مع ما تتيحـه لغتنا الجميلـة من استخدامـات متنوعة، وأسرار عجيبة.

٢٢- في الصفحـة عينها فقـرة (٤) حبّـذ (الناظـر) الكـريم ذكر سني وفيـات المـؤلفين إزاء أسمـائهم في قـائمـــة المصـادر، بل رأى ذالك (ضـروريًّـا جـدًّا وواجبًا)! والمحقق لا يلزم نفسه بما لا يلزم به المحققون المعروفون أنفسهم في كل تحقيقاتهم، فذلكم أمرٌ حَسَنٌ وحسبُ.

٢٣- في بيان الأخطاء المطبعية ص ٦٨٤ والتي بعدها: س ٤ ورد: (٩ هامش ٩ غـرهما)، وصـوابه: (٩ هـامش ٣ غـرهما). وفيـه تصويبٌ ورد خطأً، إذ كـان الخطأ الأصليّ في وضع نقطتين تحت الألف المقصـورة من (أدنى) الـواردة في قوله تعالى: ﴿ذَالِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا﴾ التي استُدل بها ص ٣٦١، فجاء التصويب [أدنى إلاّ] بكسر الهمزة من (ألاّ)، كما أنها في الَكتاب لم تك مُسْقَطَة الهمزة كما جاءت في البيان.

وفيـه من بين تلك الأخطـاء وردت (سمى) المـذكـورة في ص ٥٧٢ من (الحـدائق)، وأن صوابهـا (سُمِّيَ). قلت: هـذه لا خطأ فيهـا فهي فقط لم تضبط

بالشكل، أما نقطتا الياء فليس وضعهما بلازم، وإنما يتحتم وضعهما عند خوف اللبس ولا لبس هنا.

وفي ذالكم البيان عَدَّ الأستاذ عباس الفعل (أطْرَبُ) بفتح الراء الذي ورد في مطلع قصيدة سائرة في الآفاق للكميت هو:

طربتُ وما شوقًا إلى البيض أطْرَبُ

عَدَّهُ خطأً بفتح الراء، وذكر أن الصواب بكسرها، وهذا وَهمٌ، والفعل (طرِبَ) من باب (فرِح) المفتوح العين في المضارع، وهذا سهو منه عجيب، ولا أرى من داع للإحالة إلى المعاجم في هذه الحالة، لكن إن شاء فليراجع «الصحاح» أو «اللسان» (ط ر ب) على سبيل المثال.

هذا وقد وردت في البيان ألفاظٌ عدّةٌ ليست الأخطاء التي اعتَرتْهَا هي ما ظهرتْ عليها فيه مثل (الأفوه)، فلم تك في الكتاب بإسقاط الهمز وإسكان الواو، وإنما بفتح الفاء، وهذا وهم من الناسخ إذ حرك الفتحة من الواو إلى الفاء، ومثل (أمرى) لم ترد محذوفة الهمزة، و (يحى) لم ترد هكذا بل (يحيي) أي بوضع نقطتين تحت الألف المقصورة فكان على الكاتب، لاسيما وهو في ساحة النقد، التزامُ الحذرِ والحرصِ التامِّ فيما يُنَبِّه إليه.

٢٤- ورد في ص ٦٨٦ س ٣: (يوضع رقم (٢) أعلى قافية البيت...) قلنا: (نعم؛ لكن يوضع رقم لا (٢)) !

٢٥- **أخطاء مطبعية**: ورد في المقالة عدد من الأخطاء المطبعية نوردها هنا لا على سبيل المعاملة بالمثل، وإلا لكان ذالك غير لائق، بل لفائدة القارئ، ولتبيان أنه، حتى وهو مقال غايته إصلاح الخطأ في كتاب كبير، لم يَخْلُ من الخطإ، وذالك طبيعيٌّ، فلا أحدَ بقادر أن يكون كاملاً إلا الواحد الأحد، جلَّ وعزَّ، ولا أرى الشاعر وصَدَق حين رأى وجودَ (قادرين على الكمال) وعجب من نقصهم برغم ذالك، فما إنسانٌ بواصلٍ إلى مقام كمال:

ص	س	خ	ص
٦٧٢	٦	للصَّغَّاني	للصَّغَاني، بتخفيف الغين
٦٧٣	٥ من أسفل	صنئوها	ضِنْؤَها
	٨ من أسفل	غير آصر	غير آمِر
	٨ من أسفل	الأحتمي	الأهتمي
٦٧٥	٤	٨١٨/٦	٢١٨/٦
	١٠	الأيادي	الإيادي
٦٨٥	٣	٢٦٥	٦٩٥

وختامًا يُحيِّي محقق «حدائق الآداب» الأستاذ الكريم عباسًا على جَمِّ تواضعه، ويأبى كلَّ الإباء جُمْلَةَ (تحية الجدول للبحر المحيط) لأنها مُثْقَلَةٌ بمبالغة أفقدتْها الملاءَمَةَ لَشخصه الضعيف إلى ربه علمًا وعملاً، وبدنًا وروحًا، وقد أحَسَّ بخجل شديد مُحْرِج، ونظره يقع عليها، لكنه لن يقولَ عن الأستاذ عباس بأنه (بحرٌ) أو (نهرٌ) فيحاكيهُ في غُلُوِّه، بل هو (ينبوعٌ متدفّقٌ) أو (عدٌّ لا انقطاعَ لمادة مائه). ثم هاهو المحقق، كما طلب الأستاذ عباسٌ، يقبل جَيِّدَ (نظراته) قبولاً حسَنًا، بل يسعد بها، ويَعدُ بأن يكون لها أثرٌ، إن شاء الله تعالى، في الطبعة الثالثة (لا الثانية، فالثانية هي مَحَلُّ النظر)، وأما ماكان اعتياديًّا فيقبله قبولاً اعتيادياً، وأما الضرب الثالث فلا يقبله، وقد بيَّن رأيه هذه في هذه الكلمة، وعلى أيِّ حال، فمن رأيي كانت هذه السطور المتواضع أن لا موجبَ لاسترضاء أحد، فالعمل العلميُّ مذأنْ تَلْفظَهُ المطبعة لا يعودُ لكاتبه عليه سلطانٌ، بل يَضحى منتجعًا مباحًا لكل مُطلٍّ فيه، ومضمارًا لكلِّ جار، وقد قيل قديمًا: (من ألَّف فقد استهدف) ونضيف: وكذالك من حقَّقَ أو نقد.

والله تعالى الموفق.

د. محمد بن سليمان السُّدَيس

مِمّا أخلّت به الدواوين

(١)

أن تـؤلّف يعني تقـرأ، وأن تقـرأ قـراءةً مُتمعّنـةً مُتمهّلـةً، بمعنى أنّك تـلاحظُ وتوازنُ فترجعِ إلى هذا الكتاب أو ذاك، وإلى هذا الديوان أو ذيالك، توازن بين ما تقرأ ومـا تجده فيهما، فيكـون لك من كل ذالك ما تزعُم بـه أنّكَ استدركَتَ على الآخرين شيئًا من أعمالهم المشكورة.

وإذا قمتَ بكلٍّ هذا فإني أحمـدُ لك أن تقول: إنَّه ليس لي في هـذا المُستدرك على دواوين الشِّعر العربيِّ إلاّ أنني قرأتُ، فنسختُ فنشرتُ، أمّا ما سوى ذالك من ادّعاء علمٍ أسألُ الله أن يقيني زَهـوَ الآخرين من أدعيائه، وأسأله أن يـرزقني نفعهُ، وإن زهدَ الآخـرونَ في هذا الرِّزق، ولكن بالغـوا في عرضه؛ فذالك مـا أسأله أن يُجيب دَعوتي فيه لخدمةِ لغة قرآنه الكريم المُعجُز.

وإذن فليس لي في هـذه المستدرك إلاّ أنني قـرأتُ فنسختُ فنشرتُ، وأرجـو ألاّ يُحمِّل أحدٌ عملي أكثر من هذا: لأنّه سيكون مُفْتَئِتًا على الحقيقة إذا فعل.

على أنّني تعمدتُ إهمال ذكر أرقـام الأجزاء، والصفحات في ذكر مصادري، واكتفيتُ باسم المصدر؛ وهذا شأنٌ قد درجتُ عليـه منذ مُدَّة أدَّري فيه فسادَ ذمم الآخرين.

هذا ولـم أُرَتِّب المُستدرك على نسق أو منهج وإنّما سُقتُه كما اتّفق لي. وسأبدأ بشيخ الشعراء أبي الطيب المتنبي فأقولَ:

«ديوان المتنبي»: يقول ابنُ أيبك الصفـديُّ في «الوافي بالوفيـات»: (قال عليُّ ابن ظافر فـي الذيل على «بدائع البدائه»: حكى أبو الحُسيـن المؤدِّب، قال: كنتُ ببغـداد في داري أنسخ شيئًـا، فدخلَ أبـو الطّيب رحمـه الله تعالـى فقلتُ: يا أبـا الطّيب إنَّ في شعـرِك كلّ مليحٍ، إلاّ أنـك تـذكـر مصـراعًـا في معنى فتخـرج في

المصراع الآخر إلى غيره؛ فقال لي: أين؟ قلتُ: في قولك: (لهوى القلوبِ سريرةٌ لا تُعْلَمُ).

وانتظرنا أن يُتمَّ المصراعُ الآخرُ كشفَ السريرةِ فقلتَ: (عرضًا نظرتُ وخِلتُ أنّي أسْلَمُ).

ما في هذا معنًى يُطابق المصراع الأول. فخجل من ذالك وتمشّى في الدار وأنا أنسخُ، ثم عاد إليَّ وقال: اكتبْ:

لهوى القلوب سريرةٌ لا تُعْلَمُ	كم حار فيه عالمٌ مُتكلِّمُ
والناسُ مختلفون في تحقيقه	وصحيحُه فيما أتوْه توهُّمُ
كلٌّ يقول، ولا يُصحِّحُ قولَهُ	وعلى النُّجوم يُحيلُ من يتنجَّمُ
وإذا تفكَّر في الحقائقِ عاقلٌ	ضعفُت قواه وخانَهُ ما يَعْلَمُ
ما فاتني من كلِّ علمٍ سِرُّهُ	ومن الحقائقِ ما يُصانُ، ويُكتَمُ
والعِلمُ بحرٌ، والقرائحُ ليلةٌ[1]	ومن العناء لَزومُ ما لا يَلزم

أقولُ: الوضعُ يشي بنفسه في الروايةِ، ولكنّ هذا لا يعني أن نهمل الأبيات تمامًا؛ فقد يكون من المناسبِ - في الأقلّ - أن تُلحَق الأبيات بـ «ديوان المتنبي» في باب المنسوب إليه، هذا ولَم يذكر العلاّمة الميمني هذه الأبيات في «زيادات ديوان شعرِ المتنبي».

ويُستدرَك على ديوانه وعلى ما صنعه العلاّمة الميمني - تغمَّده الله برضوانه ورحمته - شطرٌ رواه له أبو بكر الخوارزميُّ في «الأمثال»، وهو قولُه: (تُفرِّقُ بينَ المُسلمين الدراهُم).

وأبوبكر ممن يوثَق به في روايةِ شعر المتنبّي، فقد عاصره في بلاط سيف الدولة، وبلغ من حُبِّه شعر أبي الطيبِ بحيث شرحه، كما يقول الشيخ يوسف البديعي في: «الصبح المُنبي»... والصفدي في «الوافي بالوفيات».

«ديوان ديك الجن»: أقول: صنع الـدِّيوان الشيخُ محمـد بن طاهـر السَّماويّ، فمسّاه «المُلتقط من شعر ديك الجنّ»، وقد رأيتُـه في مكتبة آية الله الحكيم العامّة بـالنجف الأشرف، وطَبَعـهُ دون الاعتماد على مـا جمع الشيخُ السماويُّ - عليـه رحمةُ الله ورضوانُه - الأستاذان عبـدالمعين الملّوحي، ومحيي الدين الدرويش، لأنهما لم يكونـا يعلمانِ بمـا صنع الشيخُ السمـاويُّ، ثمَّ جمَعَه الـدكتور أحمـد مطلوب، وعبـدالله الجبوري مُعتمـدَيْنِ على جمع السماويِّ، دون أن يُشيـرا إلى اسمـه على صفحة الغـلاف من جمعهما، وإنّمـا اكتفيـا بقولِهمـا: (حقَّقه وأعـدَّ تكملَته الدكتور أحمد مطلوب، وعبدالله الجبوري).

أقول هـذا لأنه كانت الأمانـةُ تقضيهما أن يقولا: «ديـوان ديك الجنِّ» صنعة: الشيخ محمد بـن طاهر السمـاويّ، حقَّقه وأعـدّ تكملته الـدكتور أحمـد مطلوب وعبدالله الجبوري). أمّا ما خرج به الديوان على الناس من أمر عنوانه فلا.

ثم صدر الـديوان مَـرَّة أخرى في بيـروت عن دار الفكر اللبنـاني سنة: ١٩٩٠ بشرح وتقـديم عبدالله المُهنّا، وصـدر مرَّةً رابعةً عن دار الكتـاب العربي، بتحقيق وشرح أنطوان مُحسِن القوّال.

والحقُّ أنَّ ما جاء بعـد طبعتي الملّوحي، ومطلوب وصاحبِه ممّـا يُعَدُّ في باب السرقة، فإن أحسنتَ الظنَّ فمن باب التجارة.

والمهمُّ في الأمر أن استدرك الأستـاذ هلال ناجي على الديـوان هذه القصيدة في كتـابه: «المُستـدرَك على صنّـاع الدواوين» وكـان ينبغي أن يكـون استدراكُـه كـافيًا، وألاّ أُعيـدُ ذكـرَهـا لا سيّما ونحنُ نـرجع إلى المصـدر نفسـه الذي هـو: «جمهرةُ الإسـلام..» لولا اختـلاف قراءتي عن قـراءته في بعض المَـواضع، مما يضطرنّي أن أُعيد قراءة القصيدة، فأقـول: يقول ديك الجنّ كما رواه الشَّيْزَري في «جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام» المخطوط:

سهـامُ لحـاظٍ من قِسيِّ الحـواجبِ نَظَمنَ الأسى في القلبِ من كلِّ جانبِ

غـــداةَ كتبنَـا فـي الخـدود رســائلاً | بأطـراف أقـلامِ الـدّمـوعِ السَّـواكب
تلـوحُ علـى لَبَّـاتنـا ونُحـورنـا | وتبعثُهـا أجفنـانُنـا للتـرائب[2]
وألسُننـا خُـرْسٌ كـأنَّ خـلاخـلاً | حكينَ وعاحا للحسـان الكواعب[3]
كفتك النَّوى عذلَ المُعنّى فأقصري | بمـا رُمـت فيـه من فـراق الحبـائب
حَنـاهُ الهـوى بـالشَّـوق حتّى كأنَّمـا | بأحشـائه للشـوق لَـذعُ العقـارب
يبيتُ على فـرشِ الضنى مُتَمَلْمِـلاً | قليـلاً تَسلّيـه كثيـر المصـائب[4]
فـريسـةَ أشجـان طـريحًـا بكفِّهـا | ومـا بيـن نـابَيْ سَبْعهـا والمخـالب
خليليَّ خـانَ الصبرُ، وانقطعَ الكـرى | وقد أحكمتْ عينـايَ رَعْيَ الكواكب
خليليَّ عن عَيْني سـلا أنْجم الـدُّجى | تُخبِّرْ بتسهيـد عَـريض المنـاكب[5]
خليليَّ كم من لـوعـة قـد كتمتُهـا | فأعلنَهـا دَمعي لمُقلَـة صـاحبي
وهتَّك سترًا في الحشـا كـان مُسبلاً | على الشَّـوق حتّى عنَّفَتني أقـاربي[6]
فما أفصحَ الدَّمـعَ السكوبَ إذا جرى | وأظهـرَه لُطفًـا لمـا في المغـايب[7]
سأكحـلُ عيني من بعيـد بنظـرة | إلى نـارهـا بـالـرّغم من أنف راغب
وهل يَمنعنـي نظـرةً إن بلغتُهـا | ولو زهقت نفسُ الغيور المُخَانب[8]
وقـلَّ لعينـي من بعيـد تـأمُّـلٌ | ولم أرضَ إلاّ حينَ عـزَّتْ مطـالبي
فعلَّلتُ نفسي بـالـذي هـو مُقنعي | وأعرضْتُ إعراضَ البغيضِ المُجَانب
صفـاءً، وإخـلاصًـا، وبُقيـا مـودَّة | بعهـد كـريم واصـلٍ غيـر قـاضب
وفي النفسِ منّي قـد طـويتُ مـآربًـا | إلى مَن إليهـا حَـاجتي، ومـآربي
لهـا من مَهـاة الـرَّمل عينٌ كحيلـةٌ | ومن خُضرة الرَّيحان خُضرةُ شارب[9]
كأنَّ غـلامًـا حـاذقًـا خَطَّـهُ لهـا | فجـاء كنصف الصّاد من خطّ كـاتب
أقـاتلَتي أمَّـا أنـا فمُسـالمٌ | وأرضى بمـا تَـرضَيْن غيـرَ مُحـارب

ولكنْ لقومي عندَ قومك بُغيةٌ ... وبينَهُمُ فيها قراعُ الكتائب[10]
فإنْ تَقْتُلني تَبعثِي الحربَ خدعةً ... علينا فَرويِّ، وانظري في العَواقب
فإن يَخلُ لي وجهُ الحبيب فإنَّني ... سأنشرُ ما أضمرتُ بينَ الحقائب
وإلاّ فإنَّ السِّرَّ عندي مكتَّمٌ ... دفينٌ على مَرِّ الليالي الذَّواهب
لئلاّ يرى الواشونَ قُرَّةَ أعينٍ ... ولا يجدوا فينا معًا ما لعائب[11]
وقد زعَموا أنّي بغيرك مُغْرَمٌ ... وعنك عَزوفٌ كالصَّدُوف المُوارب[12]
ولا، والثنايا الغُرِّ من فيك إنَّها ... لكالْغَيث أدَّتْهُ أكُفُّ السحائب[13]
تمجُّ مُدامًا عُتِّقتْ فتعنَّستْ ... بأحشاء شيخ عُدْمُليٍّ كراهب[14]
على فَرد رجْلٍ قائمٌ غيرُ قاعد ... له بُرنسٌ يَعتَدُّهُ في المَناسب
تمزَّقَ عنها الدَّهرُ من طول لُبثها ... ولم تتمَزَّق في بَلاء جَلائب[15]
بجلباب قارٍ قد تجسَّدَ جسمُها ... وآخرُ من طينٍ وليس بلازب
ويغشاهُما ثوبٌ رقيقٌ سَداؤهُ ... رقيقُ الحواشي من نسيج العَناكب
طرقْنا أباها في جيوشٍ من الدُّجى ... وأيدي الثُّريا في نَواصي المغارب
فقامَ إلينا مُسرِعًا لسرورنا ... يُفدِّي ويحمينا كبعضِ الأقارب
فقلتُ له: هاتِ المُدامَ فإنَّنا ... عكفْنَا عليها من صدور الرَّكائب
فَشمَّرَ رُدْنَيه، وقامَ مُبادرًا ... إلى وُقَّفٍ شُعثٍ قيامٍ نواصب
فشدَّ على الأقصى، فضرَّجَ خَصرَهُ ... بمثلِ جَناحٍ من دم الجَوف شاخب
وأقبلَ يسعى بالزُّجاجة ضاحكًا ... مُدلاًّ بها مُستَبشرًا غيرَ خائب
كأنَّ سحيقَ المسك في جنباتها ... إذا التمَعتْ تَفري رداءَ الغياهب[16]
كأنَّ نسيمَ الكأسِ عندَ ردائها ... تنسُّمُ عَودٍ في صُدور المُحارب[17]
كأنَّ دموعَ العاشقينَ تَرقرقتْ ... بأكؤسِها تجري على كلِّ شارب

لَمــا كنتُ إلاّ مُقصَدًا بك مُغرمًا ولستُ إلى أنثى سواك براغب[18]
إذًا فرماني البينُ عن قوس هجركمْ بأسْهُمِها ذات الشُّجون الصوائب
فقَلَّ كرى عيني لهمٍّ مُسهّد وفكرٍ طويلِ الذَّيل بالقلب لاعب

ويُستدرَك على «ديوان ديك الجنّ» شطرٌ ذكره أبو بكر الخوارزمي في «الأمثال» هو قولُه:

وخيرُ القراباتِ المودّةُ والنَّصرُ

ويستدرك عليه بيتٌ ذكره أبو بكر الخوارزمي في «الأمثال» أيضًا هو قولُه:

وأقوامٍ أعزُّ من المآقي تركتُهمُ أذلَّ من الخِصافِ[19]

ويُستدرك عليه أيضًا أنْ أورد المُحقّقان في تكملة الديوان قوله:

بأبي فمٌ شهِدَ الضميرُ له قبلَ المذاق بأنّه عذبُ

أقول: زاد على البيتين اللذين ذكرهما المحقّقان داوود الأنطاكيُّ في: «تزيين الأسواق» بيتًا ثالثًا هو قولُه:

والعينُ لا تُغني بنظرتِها حتّى يكونَ دليلَها القلبُ

هذا وقد ساق داوود الأبيات الثلاثة دون أن ينسبها لأحد.

ويُستدرَك على الديوان أيضًا ما ورد في «الدرّ الفريد» من قوله:

مَن ليس يدري ما يُريـ ـدُ فكيف يدري ما تُريدُ؟

ويروى: فكيف يفهمُ. وقال ابنُ أيْدَمِر: إنّه من الأمثال السائرة.

ويُستدرك أيضًا قولُه الوارد في «الدر الفريد»:

وأقتحمُ الكتيبةَ لا أُبالي إذا نزلتْ بما نزل القضاءُ

ويُستدرَك عليه قولُه الوارد في «الدر الفريد» أيضًا:

تمتَّعْ بها ما ساعفَتكَ ولا تكنْ عليك شجًى في الصَّدرِ حينَ تبينُ

وإن هي أعْطَتْكَ اللّيانَ، فإنَّها ... لغيرِك من خُلاّنها ستَلينُ
وإن حلَفتْ لا ينقضُ النأيُ عهدَها ... فليسَ لمخضوبِ البَنانِ يَمينُ
فَخُنْها وإن كانتْ وفيًّا فإنَّها ... على قِدَمِ الأيّامِ سوف تَخونُ

أقول: ثلاثة أبيات الأولى رواها أبو تمام في «الحماسة» بدون عزو، وسكت المرزوقي عن نسبتها في شرحه، وكذالك فعل التبريزيُّ، ونسبَها زيْدُ بن علي الفارسيُّ في شرحه إلى أبي دهبل الجُمحيِّ.

ونسبها أبو بكر الخوارزمي في «أمثاله المولَّدة» إلى قيس بن الخطيم، ولم أجدها في ديوانه، وسكتَ الوشّاءُ عن نسبتها إلى أحد في «الموشّى».

وإذا صدَّقنا ما تتناقله المصادر عمّا وقع لديك الجنِّ من خيانة جاريته مع غلامه، ومن قتله إيّاهما قلنا: إن الأبيات - أليقُ أن يقولها ديك الجنِّ من أن يقولَها قيس بن الخطيم أو أبو دهبل الجُمحيّ.

ويُستدرَك أيضًا بيتٌ ورد له في «الدر الفريد»:

ولو قالت الأيّامُ: هل لكَ حاجةٌ ... لقلتُ لها: ألاّ يُسَرَّ حسودُ

بقي أن أقول إن الأستاذ هلال ناجي قد سها في مُستدركه على ديك الجنّ فاستدرك قولَه:

ظلَّت مطايا الملاهي وهي واجفةٌ ... بنا وظلَّت مطايا الورد والآسِ

في موضعين من مُستدركه: مرَّة تحت رقم: ٣٥، وأخرى تحت رقم: ٣٦، والحقيقة أن المُقطَّعتين من قصيدة واحدة. وسأرتِّب المقطَّعتين مستعينًا بابن أيْدَمر على النحو التالي:

واصِلْ مدامَك واهجرْ قالةَ الناسِ ... ورُحْ إلى صدرِ ملهى خيرِ جُلاّسِ
إلى ثِمارِ سرورٍ في ثرى قدحٍ ... في فتيةٍ غُرَرٍ ليسوا بأنكاسِ
باكرتُها قبل إسفارِ الضحى بيدي ... فما تبلّجَ حتّى نكَّستْ راسي

ظلّت مطـايـا الملاهي وهـو واجفـةٌ		بنـا، وظلنـا مطايـا الـورد والآسِ...

هذا ورواية البيت الرابع أجود عند ابن أيدَمر مما هي عند سواه.

أبو الشمقمق: جمع ديوانَه المُستعرب غوستاف غـرونباوم، في كتابه: «شعراء عبّاسيّون» وتـرجمه إلى العربية الـدكتور محمد يوسف نجم، ويُستَـدركُ عليه ما رواه ابنُ المرزبـان في كتابـه «ذم الثقلاء»[٢٠] من قـوله: (حدثنـا عبدالمـؤمن بن عبدالله، قال: قدم على أبي الشمقمق ابنُ عمٍّ لهُ من البصـرة زائرًا، فأقام عنده أيامًا [ودفعَ] إليه شيئًا، وخرجَ، فأنشأ يقول:

ألا يـــــا أوخم الثَّقَلَيْنِ طـــــرًّا		وأثقـل [مـن ر] حَّى ومـن...[٢١]

[قَعَـد] تَ، كـأنمـا الـرحمـان ربِّي		بـــراكَ اليـــومَ من صُمِّ الصخـــورِ

فــلا تبغي الشخـــوصَ، ولا تَشكّى		ولا تبلى[٢٢] على مَــرِّ الــدهـــورِ

قعــودُكَ، مـا قعــدتَ، عليَّ غَمٌّ[٢٣]		وقد أكننتُ[٢٤] بغضك في ضميري

فــــــلاوالله لا أنســــــاكَ حتّى		يسيِّـــرني الــرِّجــالُ إلى القبـــورِ

ولـــو في جَنَّـــة كنّـــا جميعًـــا		نُنعَّمُ فـي الخيــامِ وفـي القُصـــورِ

إذًا خلّيتُهــــا، وخــــرجتُ منهـــا		لبغضـك، وانتقلتُ إلـى السعيـــرِ

قال: فلما أخـذ ابنُ عمه الذي أعطاه، إذا ابنُ عمٍّ له آخـر وقد ورد عليه، فأقبل يتأمَّلُهُ قبل جلوسه، ثمَّ أنشأ يقول:

ألا يـــــامعشــــرَ الثقـــــلاء أنتمْ		كـــوانينٌ [ولكنْ][٢٥] من حـــديــدِ

إذا مــا غـــابَ كـــانـــونٌ فـــولَّى[٢٦]		أتى دهــــرٌ بكـــانـــون جـــديـــدِ

ثم جلس فتحادثا سـاعةً، ثم ابنُ عمٍّ له آخر وردَ، وهمـا يتحادثان، فجلس، ثم أنشأ يقول:

يــاثقيــلان قــد عـــرضتُ [نـداءً		بهمــا][٢٧] طــارفي وكـلٌّ تــلادي

أنتمـا معــدنُ الـرصــاصِ فقومـا		قـــد شكَـــا منكُمـــا إليَّ فـــؤادي

محمد بن حـازم الباهليّ: صنع ديـوانه الـدكتور محمد خيـر البقاعـي، ومما يُستدرَك عليه ما ورد في «ذم الثقلاء» من قوله: قال: أنشدني [illegible] بن حازم:

لا زلتَ فـي غــربـــةٍ وفـي سفـــر ... حتى تحطَّ الــرحــالَ في سَقَــرِ[28]

فبئس ضيـفُ الكـــريـمِ مغتــربًــا ... وبئس جــارُ الأقـــوامِ في الحَضَــرِ

وقوله في الكتاب نفسه:

في غيـــر ستـــر الله من ســـارا ... لا قـــرَّب الله بـــه الـــدارا

لـــــو سخطَ الله على نــــاره ... لعــــذَّبَ الله بـــه النَّــــارا

وقوله في «تلقيح العقول» لبريَّة بن أبي اليُسر الرّياضي:[29]

يـــا خـــاضبَ الشيبِ الـــذي ... فـي كلِّ ثـــالثـــة يعـــودُ

إنَّ النُّصــــــولَ إذا بــــــدا ... فكأنّـــه شيــبٌ جَــديــدُ[30]

ولـــهُ بــديهـــةُ روعـــة ... مكـــروهُهـــا أبـــدًا عتيـــدُ

فـــدع المشيـبَ كمـــا أرادَ ... فلن يعـــودَ كمـــا تُـــريـــدُ

وقوله في الكتاب نفسه:

يـــا أسيـــرَ الطَّمَعِ الكـــا ... ذبِ فـي ذُلِّ الهــــــوان[31]

إنَّ عــــزَّ اليأسِ خيــــرٌ ... لـكَ مـن ذُلِّ الأمــــــاني،

رُبَّمـــا أعـــوزَ ذو الحـــرِص ... وأثْـــــرى ذو التــــواني

ســـامح النـــاسَ إذا غُـــرُّوا ... تَنَـلُ صَفْـــوَ الأمــــاني

لـــو تطَمَّعـتَ بـــروحِ اليـــ ... ـــأسِ يـــا بـــدرَ الأمـــان[32]

وقوله في المصدر نفسه:

رخيصٌ: (كيـفَ أنتَ) إذا التقينـــا ... وغـــال عنـــدَهم صلـةُ الصـديق

فإنْ يكن الـــرَّخيصُ تـــريـــدُ منهُمْ ... فقفْ لهُـمُ على ظهـــرِ الطـــريق

تجـــدْ منهُـمْ مُســـالَمـــةً وبـــرًّا ... وتَسليمًـــا يـــزيـــدُ علـى الحقـــوق

وروى ابنُ أيْدَمر من شعرِه في: «الدرّ الفريد وبيت القصيد» أسوقُها كما رواها.

قال ابن حازم الباهليُّ:

مـــا تصحبُ البـــازيَّ قُمـــرِيّـــةٌ ... ولا غُـــرابَ الـــزَّرعِ خُطّـــافُ

وقال:

مـن لـم يكـنْ لـكَ مُنصِفًـــــــــا ... في الـــودِّ فـــابغِ بـــه بـــديـــلا

وقال (وسمّاه أبا حازم)، وقد ورد منها ثلاثة أبيات في ديوانه، وهذا هو تمامُها:

مـن يُخبِّـــــــرْك بشتـمٍ عـن أخٍ ... فهـــو الشتـــاتمُ لا مَـن شتَمكْ

هـــو لـــولا كُلفـــةُ الجهلِ لمـــا ... بلَّـغَ الغيبـــــــةَ عمّـن هضَمَكْ

كيفَ لـم ينصـــرْك إذ كـــان أخًـــا ... ذا حفـــاظٍ عنـــد مَن قـــد ظلَمك؟

إنَّمــــا رامَ بـإعـــلامِ الـــذي ... نمَّ فيـــه، فـــاعلَمنْ، أن يُـــرغمك

ذاك أمـــرٌ لـم يُـــواجهكَ بـــه ... إنَّمـــا اللـــومُ على مَـن أعلَمك

إنَّ ذا اللـــؤمِ إذا أكـــــرمتـــه ... حسبَ الإكـــرامَ حقًّـــا لـــزمَك

فأهِنْـــهُ، إنَّـــه من لـــؤمـــه ... إن تَسُمْـــهُ بهـــوانٍ أكـــرَمَك

لكِـنْ الحـــرُّ إذا أكـــرمتَـــهُ ... لـم يُصغِّـــــرْكَ، ولكِـنْ عظَّمَـك

وقال:

والـــرِّزق لا يأتي امـــرءًا نـــالَـــهُ ... بحيلـــةِ المـــرءِ ولا رِفقِـــه

وقال:

وجـــدتُ مـن الهـــوى نـــارًا تلظّى ... على كبـــدي وتلتهبُ التهـــابـــا

وداءُ الحبِّ أهـــونُـــه شـــديـــدٌ ... وداءُ الحبِّ يقتـلُ من أصـــابـــا

وقال:

وربَّ عيّـــابٍ لـــه منظـــرٌ ... مُشتَمِـلُ الثـــوبِ على العيـبِ

وقد ورد هـذا البيت في مخطوطـة «تلقيح العقول» بدون عـزو، وروايتهُ: ربَّ عيّاب...

وذكر له جامع ديوانه قوله من ثلاثة أبيات:

وفعلـتَ بـي فِعل المُهلَّـب إذ غمـرَ الفـرزدقَ بـالنَّـدى الدّثـر

أقول: ورد عند ابن أيدَمِر قبلَه قوله:

ولقـد جنحـتَ إلى مسـالمتي وركنتَ بعـدَ تفـاقمِ الأمـرِ

وقال:

لا تكـذِبَنْ فصـلاحُ من جهلَ الكـرامـةَ في هـوانِه

وقال:

يـزدادُ لـؤمًـا على المـديح كمـا يـزدادُ نتنُ الكـلاب بـالمطـرِ
إنَّ الـذي يـرتجي نـداكَ لكـالـ ـغاسلِ مـن ثـوبـه خـرًا بِخَـرِ

وقال:

إذا مـا امـرؤٌ من ذنبِـه جـاء تـائبًـا إليك، ولـم تغفِـر لـه فلك الـذَّنبُ

وقال:

إذا ما دعـوتَ الشيخَ: شيخًا هجـوتَه وحسبُك مـدحًـا للفتى قـولُ: يـافتى
أُشبِّـهُ أيّـامَ الشبـابِ التـي مضتْ وأيّـامنَـا في الشيْـبِ بـالفقـرِ والغنى

وهما له، في «حليـة المحاضرة»؛ والأول منهما له في «محـاضرات الأدباء»، وهما لمحمـود الوراق في «بهجـة المجالسَ»، وفي روايـة الثاني منهمـا خلاف.
وهما في «تلقيح العقول» بدون نسبة. وقال:

النـاسُ فيمـا أرى عنـدي بأنفسِهمْ لا بـالعيـون، وبـالأسـلابِ والسَّلَبِ

وقال:

إن كنـتَ مُتَّخـذًا خليـلا فَتنـقَّ واتَّخـذِ الخليـلا

والحِـــرصُ داءٌ قـــد أضـــرَّ (م) بمَـن تَـــــرى إلاّ قليـــــــلا
كم مِـن عـــزيـــزٍ قـــد رأيـــ ـــتَ، الحـرص صيَّـره ذليـــلا
فتجنَّـب الشَّهـــوات، واحــــ ـــذرْ أن تكـونَ لهـــا قتيـــلا
فلـــرُبَّ شهــــوة ســـاعـــة قـــد أورثتْ حُـــزنـــا طـــويــلا
إضــربْ بطــرفـكَ حيثُ شئتَ (م) فلـن تَــــرى إلاَّ بخيـــــلا

وقال:

قـــد ذُقتنـي فـــوجـــدتَني مُـــرّا وبلـــوتَني فـــوجـــدتني حُــرّا
سهلَ الخـــلائقِ ذا مُحـــافظـــة آبى الصَّغـــارَ، وأمنعُ القَســـرا
وإذا أرادَ هضيمتـــــي رجُـــلٌ أبليـتُ دون تهضّمـي عُــــذرا
وإذا تجبَّـــر صـــاحـبٌ وزهـــا يـــومًـــا عليَّ أعـــرتُـــهُ كبـــرا
وإذا استكـــان لـــدى الغنى ضـرِعٌ يـــرجـــو جَـــداهُ رمقْتُـــهُ شـــزرا
وإذا تضيَّفني الـــزمـــان بصـــرفـه وكبـــا عليَّ قـــريتُـه صبـــرا [كـــذا]
وإذا نبـــا بي منـــزلٌ وجفـــا عنّي تـــركـتُ عـــراصَــهُ قَفـــرا
إنَّ القنـــاعـــةَ مـــا علمـتَ غنًى والحِـــرصُ يـــورثُ أهلَـه فقـــرا

وقال:

بـــان عن الأشكـــال في حُسنـه فلـم تقـعْ عيـنٌ علـى شبْهِـــه
يُغنيكَ عن بـــدرِ الـــدُّجـى وجهُـهُ والبـــدرُ لا يُغنيكَ عن وجهِــه
كم قـــد تَلهّـى بهـــوى غيـــرِه قلبـي فأغـــراهُ، ولـم يُلهِـــه

وقال:

مـــاكـان قُـــوتي يمـون دون غـدي فليس بـي حـــاجــةٌ إلى أحـــدِ
ربَّ فقيـــرٍ أعـــزّ من أســـدِ وربَّ مُثـــرٍ أذلّ من نَقَـــدِ

والنـــاسُ صنفـــان في زمـــانك ذا ... لــو تبتغي غيـــر ذيْنِ لم تجـــدَ
هـــذا بخيلٌ وعنــــدهَ سَعَـــــةٌ ... وذا جـــوادٌ من غيـــرِ ذات يـــدِ

ويـروي ابنُ أيْدَمـر نفسُه: (رب فقيـر) على: (رب عـديم)، ويروي: (وعنـده سعـة) على: (وعنـدَه جدةٌ). ولا يبعـد أن تكـون هذه الأبيـاتُ من مُقطّعته التي وردت على الصفحة السابعة والأربعين من ديوانه. وقال:

ســـؤالُ النـــاس مفتـــاحٌ عتيـــدٌ ... لبـــابِ الفقـــرِ فـازهَـــدْ بـالســـؤال

الجاحظ: جمع ديوانه الـدكتور محمد جبار المعيبد في «شعـراء بصريون من القرن الثالث الهجري، دراسة ونصوص»، مط الإرشاد، بغداد، ١٩٧٧ .

ويستدرك عليه ما ورد في «تلقيح العقول» الآنف الذكر من قوله:

إني أرى شجَـــرًا تـــورَّدَ غصنُـــهُ ... أخلِقْ بـــه مُتـــورِّدًا أن يُثمـــرا
وإذا السمـاءُ تمخَّضـتْ بـرعـودهـا ... وبـروقِهـا فجـديـرةٌ أن تُمطِـرا

وقوله:

ذكـرتُ مـواعيـد الأميـر ابن طـاهـرٍ ... ومثلُ العطـايـا في الأكفِّ عـداتُـهُ
وركَّبتُ مـا لـم أرجُـهُ من عطـائه ... فكنتُ كمن حـانتْ عليـه زكـاتُـهُ

وروى ابنُ أيْدَمر له شعـرًا غير قليل، ولكنّني لم أستطع أن أشير إليه؛ لأنَّني لا أمتلك الديوان هنا.

أبو يعقوب الخريمي: وصنع ديوانه أستاذي المغفور لـه العلامة الدكتور علي جـواد الطاهـر، والدكتـور محمد جبّـار المعيبد، وطُبع في دار الكتـاب الجديـد ببيروت سنة: ١٩٧١ .

ويُستدرك على الديوان ما ورد من قوله في «تلقيح العقول»:

يُـــريحُ آملَـــهُ تعجيـلُ نـــائلـــه ... والنيْلُ أروحُـــهُ للقلـبِ أروجُـــهُ
يُعطي ابتـداءً فإنْ يُضمِـرْ لمعتمِـدٍ ... وعـدًا فليسَ إلى الإذكـارِ يُحـوِجُـهُ

ومن قوله:

زانتْ يـديْه ثـلاثٌ قلَّمـا اجتمعتْ ... فيهـا ابتـداءٌ، وتعجيلٌ، و إجـزالُ
فحظُّهـا أربعٌ منّـي مُـوفَّـرَةٌ: ... حمـدٌ، وشكـرٌ، وتعظيمٌ، وإجـلالُ

وما قلتُه عن ابن أيدَمر والجاحظ أُعيدُه هنا ملاحظًا أن الـذي رواه من شعرِه في «الدر الفريد» شيء كثيرٌ.

ابن أبي طاهر: وصنع الأستاذ هـلال ناجي شعر ابن أبي طاهـر فنشره في دار الغرب الإسلامي ضمن «أربعة شعراء عباسيون» سنة ١٩٩٤.

ومما يُستدرَك عليه ما ذكره ابنُ أبي اليُسر الرياضي في «تلقيح العقول» من قوله:

سحـائبُـه لا البـرقُ منهـا بِخُلَّبٍ ... ولا وعـدُهُ للسـامعين بِمُـرعِـدِ

ومن قوله:

لقـد هَتك الشبـابُ الشيْبَ جـدًّا ... كمـا هتَك الصبـاحُ دجى الظـلامِ
إذا مـا زاد عُمـرُك كـان نَقصًـا ... ونُقصـانُ الحيـاةِ مع التَّمـامِ

ومن قوله:

وفتًى خـلا من مـالـه ... ومن المـروءة غيـرُ خـالِ
أعطـاكَ قبلَ سـؤالِـه ... فكفـاكَ مكـروهَ السـؤالِ

ومن قوله:

وبـادرْ بمعـروفٍ إذا كنتَ قـادرًا ... زوالُ اقتدارٍ أو غنًى عنك يذهب(٣٣)

ومن قوله:

وصـدَّقـوا فـيَّ أقـوالاً تقـوَّلَهـا ... سـاعٍ، ولستُ لمن يسعى بمطـواعِ
فإنْ تَصُـدّي بـلا جُـرمٍ، ولا تـرة ... وتُـولعي فـيَّ ظلمًـا أيَّ إيـلاعِ
فقـد يـرى الله أنّي قـد أُجِنُّ لكمْ ... حُبًّـا أقـامَ هـواهُ بين أضـلاعي

ولستُ على ثقة تامّة من نسبة هذه الأبيات الثلاثة إلى ابن أبي طاهر؛ فقد رواها بريَّةُ بقوله: (أخبرنا أبو محمد الأبحريّ، قال: وجد أبو العيناء على أحمد ابن أبي طاهر لَشيء بلغه عنه، فوافاه أحمد بن أبي طاهر؛ فقال له...)؛ فمن أسلوب بريَّة في كتابه ألاّ يُفرّق بين التمثّل، والقول.

ويُستدرك عليه ما رواه ابنُ شمس الخلافة في مخطوطة: «كتاب الشعر» من قوله:

ألا حبَّذا سلمى، وأرضٌ تحُلُّها وثوبٌ عليها في الثياب رقيقُ
وفي القلب من سلمى الذي ما دَرى به عَدوٌّ، ولم يظهرْ عليه صديقُ

أمّا قولُه تحت رقم: (٥٣):

إذا أبو أحمد جادت لنا يدُهُ لم يُحمد الأجودان: البحرُ والمطرُ

ففيه شيئان، أوَّلهما أن القول ليس خالص النسبة لابن أبي طاهر، فقد رواه ابن شمس الخلافة في: «كتاب الشعر» على أنَّه لابن أبي البغل الكاتب، وأثبت الدكتور حسين نصّار شيئًا منه في زيادات «ديوان ابن الرومي»، ونسبها ابن رشيق في «العمدة» إلى أحمد بن محمد الكاتب، ولا أعرف إن كان يقصد به أبا العباس ابن ثوابة أم أبا عبدالله؟ إذ كلاهما أحمد بن محمد الكاتب.

وإذن هي غير خالصة النسبة لابن أبي طاهر، ولو استوفى الأستاذ هلال تخريجها في مظانّها لأدرك هذا - من دون شكٌ - ولجعلَها في المنسوب إليه، هذا ومن دأب الأستاذ هلال ناجي - كما يقول هو عن نفسه - الاستقصاء فيما ينشره (الأمر الذي يقطع الطريقَ على مَن يريدُ سلوك السبيل ذاتَه)[٣٤]، هذه واحدة، فأما الثانية فهي أنّه ورد بيتان عند ابن شمس الخلافة لم يحوهما الديوان، ولكي يُتبيَّنَ موضعهما من القصيدة فسأورد الأبيات التي أوردها ابن شمس الخلافة جميعًا وروايتها عنده مختلفة عما ورد في شعره.

يقول ابن شمس الخلافة: (وقال ابنُ أبي البغل:

إذا أبــو قــاســم جــادت لنــا يــدُه   لم يُحمـد الأجودان: البحـرُ والمطرُ
فإن تــراءى لنــا يــومًــا بغُــرَّتــه   تضـاءل الأنـــوران: الشمسُ والقمـرُ
وإن مضى رأيُــه أو حـــدُّ عــزمتــه   تأخَّــر المـاضيـان: السَّيفُ والقَـدَرُ
من لم يُمت قلقًـا من خوف سطـوته   لم يَدرِ ما المُزعجان: الخوفُ والحذرُ
ينــالُ بـالظنّ مــا يعيــا العيانُ بــه   والشــاهــدان عليــه: العينُ والأثــرُ
كأنَّــه وزمــامُ الـدَّهــر فـي يَـده   يــرى عــواقبَ مـا يأتي ومـا يَــذَرُ

هذا وقد رجعَ جامع شعـره إلى «الدرّ الفريد» ففاتَه أن يخرِّج طـائفةً منه عليه، ففي هذه القصيـدة مثلاً رجع إلى ٣: ٢٣٠ وكان البيت الخامس منهـا قد ورد في الجـزء الثـالث، والسـابع في الجـزء الخـامس منـه، والثـامن في الجـزء الأول، والتاسع في الجزء الثاني.

ومرَّ على المقطّعـة: (١٥) فخرَّجها على «إرشاد الأريب»، وأخبـار أبي تمام، وهي في «الدُّر الفريد» وفي روايتها خلافات مُهمَّة.

وأثبت لابن أبي طاهر قولَه تحت رقم: (٥٢) بيتين هما:

أمــا رجـاء فأرجــا مــا أمـرتَ بــه   فكيف إن كنـتَ لم تأمــرْه يأتمــرُ
بـادر بجــودك مهمـا كنـتَ مُقتـدرًا   فليس فـي كلِّ حـــالٍ أنت مُقتــدرُ

مُخرِّجًا البيتين بقوله: «إرشاد الأريب» ١: ١٥٤.

أقول: لو رجع الأستاذ هـلال رجوعًا مُتمعِّنًا إلى «الدر الفريـد» لوجد عند ابن أيدَمر فائدةً مهمّة هي قوله:

(أمــا رجـاء فأرجى مــا أمـرتَ بــه   فكيف إن كنـتَ لم تأمــرْهُ يأتمــر
بــادر بجــودك إمّــا كنتَ مقتـدرًا   فليس فـي كلِّ وقـت أنت مُقتـــدرُ

وهذا البيتُ يـروى للبحتريّ وهو هنا تضمين). وعُدتُ إلـى طَبعة دار الكتاب العربيّ من «ديوان البحتـري»، فوجدتُ البيت الثاني مما يُنسَبُ إليـه. لذالك كان مناسبًا أن يُشار إليه.

وأثبت لابن أبي طاهر مقطعته التي أوّلها:

وتـــاه سعيـــدٌ أن أُعيـــرَ رئاســـةً وقُلِّـــد أمـــرًا كـــان دون رجـــالِـــه

تحت رقم (٩٤) وهي من خمسة أبيات، ولو كـان رجع إلى «الـدر الفريـد» مُتمهّلاً لخـرّجها عليـه، ولوجدَه يقـول: إن الأبيات للبحتـري، وتُروى لابن أبي طاهر، ورجعتُ إلى «ديوان البحتري»، فوجدتُ أربعة أبيات منها له.

هذه أمثلةٌ على سبيل الاستشهاد لا الحصر ضربتُها مما فات الأستاذ هلال من فوائد، وهو يعتمد «الدر الفريد» مصدراً من مصادره.

بقيت هنالك أشياء أظنُّ أن إيرادها لا يخلو من فائدة. فمن هذه الأشياء أن قرَّر الأستاذ هلال على الصفحة: ٢٧٩ صحة مـا ذهب إليه الصوليُّ من (أنَّه صحفيٌّ) قـائلاً: (... أراد أنّه لم يـدرس على عـالِمٍ أو شيخٍ بـالذات،... [و] هـذا صحيحٌ عرفناه عند الحديث عن مصادر ثقافته...).

أقول: وعلـى أن الأستاذ هلال يُقـرّ بأنّ صاحبَـه صحفيّ إلاّ أنّه لـم يتحرَّج أن يسردَ علينـا قائمـةً بأسمـاء مَن روى عنهم، ونحنُ نعـرف أن الروايـة لا تكون إلاّ بالمشـافهةِ كأن يقـول الشيخ: حدثنـا فلان فيحفظ عنـه تلميذُه هذا الحـديث ثمّ يرويه عنه بسنده للناس. فإذا كـان ابنُ أبي طاهر صحفيًّا فكيف تهيّأ له أن يروي؟ إنَّ ابن أبي طاهر وهو يزعُم أنه روى لا يعدو أن يكون مُدلِّسًا.

ومع هذا، أحصى الأستـاذ هلال نـاجي مَن روى عنهم ابن أبي طاهـر فقال: إنّ ممن روى عنهم محمد بن سعـد ثم قال في الحاشية: («بـلاغات النساء» ص ٥٥، وورد باسم عبدالله بن أبي سعد في «البلاغات» ص ١٨٤ فلعلَّهما شخصٌ واحدٌ).

أقـول: لا يُمكن بأيٍّ حـال من الأحـوال أن يكـونـا شخصًـا واحـدًا، إذ همـا شخصـان، فعبدالله بن أبي سعـد هو: (أبـو محمد الـوراق: عبدالله بن عمـرو بن

عبدالرحمن بن بشر الأنصاريّ، بلخيّ الأصل، سكن بغداد، وحدَّث بها... وروى عنه... ابنُ أَبي الدنيا، ومحمد بن خلف بن المرزبان... ولد سنة: ١٩٧هـ ومات سنة ٢٧٤)، فإذا عرفنا أنَّ ابن المرزبان من معاصري ابن أبي طاهر، ومن أصدقائه لم يعسر علينا أن يكون ابنُ أبي طاهر قد روى عنه كما روى عنه صديقهُ ابنُ المرزبان، ولا أعرف بعد هذا كيف توحَّد اسمُ عبدالله بمحمد، ولا أعرف كيف توحَّد اسمُ عمرو بـ(سعد).

أما محمد بن سعد فغيرُ بعيد أن يكون كاتب الواقدي صاحب «الطبقات»؛ فقد روى عنه ابنُ أبي الدنيا أيضًا، وكان لأحمد يوم توفّي محمد ستٌّ وعشرون سنة.

ومن الذين روى عنهم ابنُ أبي طاهر ممّن لم يذكرهم الأستاذ هلال: عليّ بن خيار.

وكما أجهد الأستاذ هلال نفسَه مشكورًا مُتفضّلاً في تعداد أسماء مَن روى عنهم فقد أجهد نفسه أيضًا في تعداد أسماء كتبِه، فأحصى منها أربعة وخمسين كتاباً، كان أربعةٌ منها مما لم يذكره ابنُ النديم وياقوت.

أقول: وفاتَه كتابٌ آخر في هذه القائمة لم يذكره لا ابنُ النديم، ولا ياقوت، ولا ابنُ خير، وإنّما ذكره الصفديُّ وهو كتاب: «من كان بسامرًا [ء] من الكتّاب والشعراء».

أمّا «رسائل ابن أبي طاهر» التي جمعها الأستاذ هلال من مصدرين لا ثالث لهما أعني: «ديوان المعاني»، و «جمهرة رسائل العرب»؛ فقد وجدتُني يوم كانت المصادر قريبةً من يدي قد كتبت على آخر صفحة من الكتاب: أنّه أخلَّ مجموعُه برسالتين أوردهما الجاحظ في رسائله، ولا أعرفُ الآن مقدار صحة ملاحظتي لأنه لو كانت الرسائل بين يدي لامتحنتُ ما قلتُ، ولا أشكُّ في أنَّ الأستاذ هلال سيفعلُ فإن وجدني على صوابٍ أضاف هاتين الرسالتين إلى رسائله، وإن وجدني مُخطئًا أشار إلى خطأي في استدراكهما.

وأُعيد القول: إنَّ عملي لا يعدو أن يكون أنني قرأتُ فنسختُ فنشرتُ، وإنّ ما ألاحظُه لا يُنقِص من عمل الأساتذة الذين أستدرك عليهم.

(للبحث صلة)

جامعة آدم متسليفج - بولندا: د. محمد حسين الأعرجي

الحواشي:

(١) كذا هو صدر البيت ولعلَّ صوابه: والعلمُ دهرٌ والقرائح ليلةٌ

(٢) في الأصل: للتوايب، وقد قرأها الأستاذ هلال في المستدرك: ٣٣١ للنوائب.

(٣) كذا هو عجز البيت في المخطوط، وقد قرأه الأستاذ هلال: حكينَ وشاحًا للحسان الكواعب. دون إشارة إلى ما في الأصل. ولم أهتد إلى العلاقة بين الخلخال والوشاح، ولا إلى صواب الكلمة، ولكن يغلب الظنَّ أنَّ وعاحا محرَّفةٌ عن: وحاشا، فكأنّه قال: إنَّ ألسننا حكين الخلاخل في الخرس، ثم استدرك فقال: حاشا الكواعب أن يُحاكّينَ.

(٤) كبير: غير معجمة في الأصل ورجّحتُ قراءة: (كثير) لقوله:... قليلاً تُسليه... هذا إلى أن الأستاذ هلال قرأها القراءة نفسَها، ولكنَّ أثبت صدر البيت: يبيتُ على فرش القنا مُتململاً. والذي في المخطوط: الضنى، وإلاّ فما للعاشق والرماح؟

(٥) في المستدرك: تُخَبِّرُ: وينكر الوزنُ بهذا الضبط، ولعلّه تطبيعٌ.

(٦) في المستدرك: وهتكّ... ولا شكَّ في أنّه من جنايات المطبعة، حتى ولو كانت مطبعة المجمع العلمي العراقي!

(٧)... وأظهره... غير معجمة في الأصل، مما جعل الأستاذ هلال في المستدرك: ٣٣١ يقرأها: وأطهره لطفًا... المغايب. والصواب ما أثبتُّه بدلالتي: فما أفضح، والمغايب.

(٨) في الأصل: المحايب، ووضع الناسخ تحت الحاء علامة الإهمال وليس لها من معنى، وقرأها الأستاذ هلال: المجانب، وبقراءته يكون في القصيدة إيطاء، والمخانب الأحمق المختلج الذاهب مرَّةً هنا ومرة هناك، ومن معنيه المُتكبِّر.

ولا أعرف كيف تكون خُضرةُ الريحان حُمرةً في الشَّفة، وعندي أن الخضرة الثانية بمعنى السواد، أي: أنَّ شفتها لمياء.

(١٠) لم تُعجَم الباء من بغية في الأصل، فقرأها الأستاذ هلال: نُغبة: والنغبة: الجرعة فلماذا يكون عليها قراع الكتائب؟

(١١) قرأ عجز البيت الأستاذ هلال: ولا يجدوا فينا مقامًا لغائبِ. هذا وعلى الألف من: (معًا) في المخطوط فتحتان.

(١٢) في المستدرك: وقد زعموا أني بغيرك مغزمٌ. ولا يبعد أن يكون ذالك تطبيعًا.

(١٣) عجز البيت في المستدرك: كالغيث أدّنه أكفُّ السحائب. وهو مكسور الوزن.

(١٤) في المستدرك: تمجُّ مُدامًا عُتّقت فتعتّقت. والذي في المخطوط ما أثبتُّه. والعُدمُليُّ القديم، والمُراد بالشيخ هنا: الزِّق.

(١٥) المستدرك: ولم تتمزّق في بلاء جلابب. والجلاثبُ، جمعُ جُلبة، وهي شدّة الزمان.

(١٦) المستدرك: إذا التمعت يفري...، والذي في الأصل: تفري...

(١٧) في المستدرك: تنسم عودِ....

(١٨) البيتُ جواب القسم من قوله: ولا والثنايا...

(١٩) الخصاف: سيور النَّعل.

(٢٠) الكتاب من مخطوطات الظاهرية، ولعلّه قد صدر مطبوعًا الآن بتحقيقي عن دار الجمل بألمانيا.

(٢١) مطموس لم يبق منه إلا آثار حروف، اجتهدتُ في قراءتها، وفي إثبات ما بين المعقوفتين.

(٢٢) الأصل: ولا بنلا. (٢٣) الأصل: غما.

(٢٤) الأصل: أكبت، ولم ترد في المعاجم على (أفعل)، فلعلها تصحفت مما أثبتُّ.

(٢٥) زيادة يستوجبها السياق. (٢٦) الأصل: قولا.

(٢٧) مطموسة اجتهدتُ في قراءة آثار حروفها.

(٢٨) الأصل: ... في السفر، وأحسبه تصحيفًا مما أثبتُّ، إذ لا معنى لقوله كما ورد.

(٢٩) الأصل: ابن أبي خازم، وهي لمحمود الوراق في «الكامل» ٢ : ١٧٤، و «عيون الأخبار» ٤ : ٥٢؛ و «بهجة المجالس» ٢ : ٢١٦، والأول والثاني لمحمود أيضًا في «محاضرات الأدباء» ٣: ٣٣٣ - ٣٣٤ وفي روايتهما خلافٌ يسير. وسيصدر كتابُ «تلقيح العقول» من منشورات الجمل في ألمانيا بتحقيقي إن شاء الله.

(٣٠) الأصل: ..... ثوبٌ جديد، والتصويب من المصادر.

(٣١) في «الآداب»: يا أسيرَ الطمعَ الـرّا سفِ في قيدِ الهوانِ

(٣٢) الأصل: لو تطمعتَ.............. .... وفي الأبيات إيطاء.

(٣٣) هو في «عيون الأخبار» ٣: ١٧٥ بدون عزو، وروايتُه:

وبادر بسلطان إذا كنت قادرًا زوال اقتدار أو غنّى عنك يُعقبُ

(٣٤) المستدرك على صناع الدواوين: ٣١٤.

التعريف بالمخطوطات:

«المجموع اللفيف» للأفطسي

[الأستاذ الدكتور جليل العطية من أبرز المعنيين بالتراث العربي، تحقيقًا، وبحثًا، ووصفًا، وقد عاصر عددًا من العلماء المهتمين به كالدكتور مصطفى جواد وغيره، وقد مكنته دراساته في هذا الموضوع ورحلاته التي زار خلالها أهم دور الكتب في العالم بأن يُبَرِّز في هذا الجانب في عهدنا الحاضر. وقد نشرت له جريدة «الشرق الأوسط» - ع ٧١٤٤ في ٢٦/ ٢/ ١٤١٩ - وصفًا لكتاب مخطوط هو «المجموع اللفيف» للشريف القاضي أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله الأفسطي (٤٦٢/ ٥١٨)، والكتاب بخط المؤلف، اطلع عليه الأستاذ جليل العطية في (المكتبة الوطنية) في باريس برقم (A R ٣٣٨٨) ومن وصفه: أنه يضم أخبارًا وحكايات وأشعارًا وطرائف انتقاها من مصادر ضاع أغلبها اليوم، ومما نشر عنه قوله]:

قبل أكثر من ثلاثين عامًا التقيت الدكتور مصطفى جواد في مكتب الدكتور يوسف عز الدين - الأمين العام للمجمع العلمي العراقي في بغداد، وكان مكتب الأخير مباءة لأهل العلم والأدب والظرف، فدار حديث حول نوادر المخطوطات العربية في المكتبات الأوربية، فأخذ بنا (الجواد) في مسارب وشعاب تتصل بتجربته الباريسية، فرجوته أن يزوّدني بقائمة تشتمل على أكثرها ندرة وأصالة، فضحك وسألني: أتحلم بزيارة مدينة (هوغو) و (موباسان)؟

● أجبته على طريقته: - لم لا ياسيّدي؟ أليست الأحلام مجّانية؟

بعد ذالك اللقاء الجميل بأيام سلمني ورقتين تضمان قائمة بأسماء اثنتي عشرة مخطوطة مع معلومات مكتوبة بخطه الدقيق، المعتنى به.

كان ضمن القائمة: «المجموع اللفيف» للشريف القاضي أمين الدولة محمد ابن محمد بن هبة الله الأفطسي، النسابة، بخطّه رحمه الله (الرقم AR ٣٣٨٨).

وعندما يسر الله زيارة باريس والإقامة فيها بعد ذالك اللقاء بأكثر من عشر سنوات - مسحت المخطوطات العربية الموجودة في مكتبتها الوطنية - (وهي اليوم تزيد على ثمانية آلاف) - تأكد لي صواب رأي..؟ خططي بغداد الأول وفارسها المجلّي.

أما مخطوطة «المجموع اللفيف» للأفطسي فتقع في أكثر من مئتي ورقة - مكتوبة بخطه المتقن، الدقيق، وتضم أخبارًا وحكايات، وأشعارًا وطرائف،

انتقاها من مصادر ضاع أغلبها اليوم - المخطوطة لا تحمل تاريخ النسخ، لكنها مكتوبة في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أي قبل أكثر من تسع مئة سنة، وهي مضطربة الترقيم.

والغريب أن يتجاهل المؤرخون وأصحاب كتب الطبقات والسير مؤلف الكتاب، فلم أعثر له على ترجمة في المصادر المتداولة، إلا أن المقريزي: (٨٤٥هـ - ١٤٤١م) تلافى هذا التقصير، فترجم له في موسوعته «المقفّى» دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م - ج ٧: ص ٩٦ الرقم ٥١٨١، فقال: ولد بطرابلس في سنة اثنتين وستين وأربع مئة، وأخذ النسب عن (ابن بلقطة العلوي النسابة) بطرابلس (الشام) وكتب على طريقة (ابن مقلة) وقدم القاهرة سنة إحدى وخمس مئة، ومدح الأفضل شاهنشاه الجمالي..

ونقل عن القاضي الرشيد في كتاب «جنان الجنان، ورياض الأذهان» ما نصه: من القضاة الأدباء، والشيوخ الظرفاء، شاهدته بمصر في سنة سبع عشرة وخمس مئة، فرأيت شخصًا كامل الأدوات، قد أحرز الفضل في كل الجهات، ومحله في أهل الأدب، يوازي محله في العلم والنسب.

وقال ابن عساكر: كان من أهل الأدب، وله معرفة بأنساب قريش، توجه إلى مصر، وكان قد قدم دمشق سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة، وله ديوان ومن شعره:

أأحبابنا لو سِرتُمُ سيرةَ الهوى ... لكنتم لقلبي مثلما لكم قلبي
عتبتم وما ذنبي سوى البعد عنكمُ ... وإني لأهواكم على البعد والقرب
فلا تجمعوا بين الفراق وعتبكم ... ولا تجعلوا ذنب المقادير من ذنبي

والمرجح أنه توفي سنة ٥١٨هـ.

تتجسد أهمية «المجموع اللفيف» في أنه احتفظ لنا بنوادر نقلها من مخطوطات مفقودة، أهمها ما نقله من آثار الوزير المغربي أبي القاسم الحسين ابن علي [٣٧٠ - ٤١٨هـ] ولا صلة لهذا الوزير بالمغرب، بل هو عراقي، نُسب أحد أجداده - علي بن محمد - إلى المغرب، لأنه كانت له ولاية في الجانب

الغربي ببغداد.. وقد وُصف بالعلم والذكاء والدهاء قال الشيخ حمد الجاسر في مقدمة نشرته لكتابه «أدب الخواص» [منشورات النادي الأدبي في الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م]: ولعل تمكن ابن المغربي في اللغة هو الذي حمل المعري ليكتب إليه رسالتيه المعروفتين.. وهما «الرسالة الإغريقية » و «الرسالة المنيحية».

وذكر (الشيخ الجاسر) في نشرته لكتاب «الإيناس في علم الأنساب» [منشورات النادي الأدبي في الرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م] ما نصه: لقد اتجه (ابن المغربي) إلى التأليف في سنّ مبكرة، لقد ألّف كتاب «المنخّل» وهو في الرابعة عشرة من عمره.

وخصّ الدكتور إحسان عباس (ابن المغربي) بكتاب عنوانه: «الوزير المغربي: العالم الشاعر، الناثر الثائر» دراسة في سيرته، وأوجه ما تبقى من آثاره [دار الشروق - بيروت - ١٩٨٨] وإضافة إلى هذا تحفل مخطوطة «المجموع اللفيف» بقصائد ومقطوعات شعرية قديمة غاب الكثير منها، عن الدواوين الشعرية التي صنعها المعاصرون لمن فقدت دواوينهم!

أهذا كل شيء؟!

حسنا فلنقرأ معًا أشياء مما انتقيتها من هذه المخطوطة الفريدة:

- **دعاء لقيام الليل**: (اللهم إني في أمانك وضمانك ورجائك، لا تُومنّي مكرك ولا تنسني ذكرك، انبهني لأحبّ ساعاتها إليك، حتى أقوم إلى طاعتك. أقوم إن شاء الله وقت كذا وكذا:

- آخر: (في صحة كلمة أشغلت):

أما ودعاء المحرمين عشيّةً ... إذا ما عَلَوْا بطحاء مكة أو جَمْعا
لقد تركتني ما أرى رسم منزل ... تهومته(؟) إلا سكبت به دمعا
أقامت على قلبي رقيبا من الهوىً ... وطيْفًا على طرفي وأشغلت السمعا
إذا قلت: داوَى الصبرُ صدعًا ثنى الهوى ... إلى كبدي حتى يجيد به صدعا
لعمرك ما يخفى وإن كان كاتمًا ... على صحبتي مابي إذا عَلَوُا الجَزعا

قال الـوزير أبـو القاسم (الحسين بن علي المغربي) ممّـا نقلته من خطـه: هذا شاهد على: أشغلت، وهو بخط قديم لشاعر قديم.

- إبـراهيم بن المنـذر قال: حـدثني جعفـر بن كثيـر قـال: سمعت أبا عـوانـة الأنصاري، وهو يقول: إن للعقل جَماما بالغدوات ليست له بالعشي.

- أنشد هزيم بن زيد اليربوعي ليزيد بن الطثرية - وطثرحيّ من اليمن - وقال أبو محضة الأعرابي - هذه والله من مغنج الكلام:

بنفسي من لـــومَـــرَّ بَـــرْدُ بنـــانــه   على كبـــدي كـانت شفـــاءً أنـاملــهْ
ومن هـــابني في كل شـــيء وهبتـــه   فـــلا هـــو يعطيني ولا أنـا ســـائلــهْ

- [**أسطورة تل بني شقيق**]: - في كتاب الموفق بالله إلى أهل الأمصار بخبر تل (بني شقيق) كتبه (الأصبهـاني الكاتب): الحمـد لله مقيم أعلام الحجـة، مبيّن آثار القدرة، مُحدث بـدائع الصنعة، قاهر الأمور بـالعزّ والغلبة، مالك تقلبها وتـدبيرها بالحكمة، محيي النفوس بعد إماتتها وممضي الأمور في حالتي ابتدائها واعادتها.

إن الخبر ورد علينا، وكُتُـب عُمَّالنا وصاحب بـريدنا بكُوركَسْكـر، أنّ تلاًّ يُعرف بتل بني شقيق انفرج عن سبع حفـر، فيها أبدان نـاس وجَدت غضة طريـة، كأبدان الأحياء، عليهـا أكفان بيض لينة لهـا أهداب، وروائحها كـروائح المسك، والسبعة الأبـدان على هيئة واحـدة، ومنهم شـاب شَعراني رأى رجـل من أهل الناحيـة في منامه كأنـه يقول له: قل لهذا العـامل: أنا ابن خالد بن الـوليد فليكشف عني، لينظر الناس من أمري إلى عجب، فصـار إلى العامل فأخبره فأمر بكشف وجهـه أو بدنه للنـاس، فوجـدت جبهته صَحيحـة، وكذالك أذنـاه، ومُسَّ خَدَّاهُ فإذا همـا ألين من خدود الأحيـاء، وأكثر لحمًا، ووجد أنفـه صحيحًا وكذالك منخراه وشفتـاه وذقنه وحنكه، وهو أسمر اللون - كأنه في هيئـة من قد خَطَّ شاربه، وابتدت عنفقته، وفي ذقنه سواد، ورأى الراؤون على شفته بَللاً، كأنه إنسان قد شرب ماء أو تكلم فابتلّتْ شفتـاه، ورأوا شحمة أذنيـه كما هي لم يَـذُبْ منهما قليل ولا كثيـر، وأشفار عينيـه صحيحة، وكأنمـا قد كحل بكحل أشد سوادًا من المـداد، وفي خاصرته قـريبة من

الأضلاع، فردّ عليه الكفن، وغُطِّي وجهه، وكثر الناس عليه من النواحي فأمر العامل ببناء قبة عليه، فلم يتهيأ للفعلة العمل في بنائها لكثرة الناس واتصال البكاء.

وجدت بخَط الوزير (أبي القاسم المغربي) في الحاشية عند هذا الخبر: صحيح، وذكره ابن أبي الأزهر في تاريخه، وكان في سنة ست وتسعين ومئتين.

- من أمالي ابن دريد: من هاهنا من «أمالي ابن دريد»: [ممّا لا يوجد في القطعة المطبوعة بتحقيق السيد مصطفى السنوسي - الكويت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤].

عن جعفر بن كثير قال: دخلت حمّاما بمصر يعرف بحمام التين، فبينما أنا فيه، إذ دخل رجل ما رأيت مثل جماله وجسمه لرجل، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا جميل. فقلت: جميل بثينة؟ فقال: نعم. فقلت: قد ملأت بها بلاد الله تنويهًا، وصار اسمها لك - نسبًا - وإني لأظنها حديدة العرقوب، دقيقة الظنبوب، كثيرة وسخ المرافق. فضحك وقال: يا ابن أخي لو رأيتها لوددت أنك تلقى الله زانيًا بها - مصراً غير تائب، ولو كبّك الله على منخريك في النار!

- عن ابن سلام قال: أخبرني علي بن عثّام أو من أخبره عنه قال: كان بالكوفة رجل يكنى أبا الشعثاء، عفيفا مزّاحا، وكان يدخل على سراة أهل الكوفة فمزح مع جارية لبعضهم وأخبرها أنه يهواها، وكانت شاعرة ظريفة، فقالت:

لأبي الشعثاء حُبٌّ باطن ... ليس فيه تهمة للمتّهمْ
يا فؤادي فازدجر عنه وإن ... عَبِثَ الحب به فاقعد وقُمْ
جاءني منه كلام صائب ... ورسالات المحبين الكلِمْ
صلّ إن أحببتَ أن تُعطى المُنى ... يا أبا الشعثاء لله، وصمْ
ثم ميعادك بعد الموت في ... جنة الخلد إن الله رحمْ
حيث نلقاك غلامًا ناشئًا ... ناعمًا قد كملت فيك النعمْ

- الحرمازي: قال: سمعت شبيب بن شيبة وذكروا أحسنَ ما قيل في النساء فقال قول الشاعر:

جارية أحسن من حَلْيِها ... والحلي فيه الدر والجوهرُ
وريحها أطيب من طيبِها ... والطيب فيه المسك والعنبرُ

- دخل ثابت بن عبدالله بن الزبير، على عبدالملك بن مروان فقال: ما (ثابت) من الأسماء؟ والله مـا هو بـاسم رجل ولا امرأة! فقـال: لا ذنب يا أميـر المؤمنين للرجل فيما سمّاه أبواه، ولو كان اسمي إليّ لسميت نفسي (زينب)!

- يعرّض له بزينب التي يقال لها: زينب وكحكتان!

والتعريض بأبيـه الذي كان يعشق زينب بنت عبدالرحمـن بن هشام، وخطبها فقالت: لا أُوسّخ نفسي بأبي الذبّان!!

- ابن أبي دواد: قال دخلت على المعتصم فقال لي: يا أبا عبدالله: أتظن دعبل الخزاعي أنه يجد عندي من الاحتمال ماكان يجده عند المأمون؟ فقلت: وما ذاك يأمير المؤمنين؟ قال اخبرني عمي إبراهيم بن المهدي أنه هجاني!

قلت: يا أمير المؤمنين: دعبل أقل قدرًا وأوضع خطرًا من أن يبلغ بك الغضب هذا، وإبـراهيم بن المهدي متّهم في (دعبل)! قـال: ولِمَ؟ قلت لأنه هجـاه. قال: بماذا؟ قلت في قوله:

إن كـان إبـراهيم مضطلعًـا بهـا ... فلتصلحنْ مـن بعـده لمخـارق
ولتصلحن مـن بعـد ذاك لـزُرْزُر ... ولتصلحن مـن بعـده للمـارقِ
حتى يكـون وليس ذاك بكـائنٍ ... يـرث الخـلافة فـاسق عـن فـاسقِ

فضحك وقال: صدق دعبل! فخرجت من عنده فلقيت دِعْبلاً بالباب، فأخبرته قُلْتَ: لا تبق - بعد هذا - فلحق بالسند.

ومخارق وزرزر: مغنيـان مشهوران، والـرواية المشهـورة للبيت الأخيـر تبدأ بـ(أنّى يكون).

بخط الوزير المغربي: قال: والبديعي رجل منجّم وصل إلينا في السنة التي حجّ فيها (حَسنك) ووصل إلى بغداد - من خراسان - في سنة خمس عشرة وأربع مئة.

- الوزيـر أبو القاسم (المغـربي): أنشدنا ابن دقـاقة الهاشمي الحـراني لنفسه بمصر:

قالوا المُنَى هـذيانُ النفسِ قلت لهم: لولا المُنى لم يطـب عيش المفاليس
يـارب ليـلٍ طـويلٍ بتُّ فيـه بهـا جَمٌّ الثـراء كأن المـال فـي كيسي
أُعطي وآخذُ مسروراً ولو أُخذت مني المُنَى بـتُّ في عُـدْمٍ وفـي بـوسِ

- قال الوزير المغربي: قال ثعلب مما نقل من خطه: الزُّمَيْن: شهر.. والزمن: شهران والزمان أربعة أشهر.

- للمأمون:

عـرفَتْ حـاجتي إليهـا فضَنَّتْ ورأت طـاعتي لهـا فتجنَّتْ
وإذا النفس رامـت الصبـر عنهـا ذكـرت حسـرة الفـراق فحنّت
لا تلـومن غيـر نفسك فيهـا أنـت حَنَّنْتَهـا عليـك فَجُنّت

- أبو علي البصير في عليٍّ ابنه: الفضل بن جعفر وشعره وجمع ضمن كتابَ «شعراء عباسيون». - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - ولم أجد فيه هذه الأبيات:

ارحم أبـا واحـد يـاربّ ليس لـه علْقٌ سـواه يـرجّيـه ويَـدَّخـرُ
عـوضت من بصـري لما فجعت بـه مَن لـو أطـاق فَـدَاه السمع والبصـر
عـزّيت عني ولا عُـزِّيـتُ عنك فإ نّ العيش بعـدك مُـرٌّ، طعمـه كـدرُ

عدد الأميـال والفراسخ والبـرد والمشرّفـات بين العذيـب ومكة: من رسالة إلَى الأستاذ أبي الحسن علي بن أحمـد بن أبي خـالـد كتبها إليـه أبـو الحسن علي بن الحسين الأمير - ابن أخت العصفري منقولة من خط الوزير أبي القاسم المغربي. - إعلم - إيّدك الله - أن البُرد المنصـوبة بين العُـذَيب ومكـة سبعة وخمسـون بريـداً، وسبعـة وخمسون مشـرفًا بين كل بـريد، ومشـرّف ستـة أميال، فـرسخًا من فـراسخ العـرب، وتشتمل الباديـة من نخل العُذَيب إلى الـرَّامَتَيْن بمكة على مئتين وعشـرين فرسخًا، وهو منهل من وراء (فَيْد) بثمانية عشـر ميلاً مكتوبًا على بابه: هذا المنصف فإن لم تقبل فارجع وعدّا!

- **والشاهد بين العـذيب ومكة**: مسجد سعـد، ومسجد الـربذة وهي التي نُفي إليها أبـو ذر (الغفاري) رحمه الله، ومسجد الحسين بن علي صلـوات الله عليهما وقبر العبَادي، وليس بمشهد، وله حديث يطول.

والعقاب بينهما: عقبة واقصة، وهي عقبة إبليس، عقبة الهردسة (؟) عقبة السويقَ، عقبة الذباب. عقبة المدرج.

- **حبال الرمل بينهما**: حبل زرود وهو أطولها، والمريخ. والعزيز والهبير ومُضْرط البخت أصعبها. وعَلَّكَ تقول - أيها القارئُ المتصفح - إن الذي شرحته مشهور متداول، ومعروف متدارك، وإنما يذكر الغريب الشارد، وما الأمر كما ذهب إليه وهمك، وزاغ فيه ظنك. فلو ترك الناس أغراضهم من النظم والنثر والجد والهزل اعتماداً على السابقين الأولين لماتت الخواطر، وسقطت الهمم، ولكن لكل جديد لذّة - ولكل حديث بهجة، كما أن كل قديم يُسأم... فأنت إذا تأملت شعر امرئْ القيس وجدته قد سبق إلى كل معنى نادر، وذهب بكل فضل باهر، ولا ترى اليوم اكسد من ديوان شعره بالعراق، وقد صارت الرغبة كلها في ديوان أبي فراس الحمداني والصنوبري وكشاجم والمتنبي وأشباههم من شعراء الوقت...

نقص العمر: أبو محمد عبدالوهاب بن الحسن بن جعفر الحاجب:

قلت للائمي على بذل مالي ... عنك لومي فلم تلمني بخير
كيف أَجزي صرف الليالي ببخل ... وادّخار وهنّ تنقص عمري

ظلوم تسبّني!: قال أبو القاسم المغربي - رحمه الله -.

- أبو سالم ديسم بن شاذويه - ملك أذربيجان - وأنشدني أبي من شعره:

ظلوم تسبّني ذُكِرَت بخير ... وتزعم أنني مَلِقٌ خبيث
وأن مودتي كَذِبٌ وزورٌ ... وأني للذي أهوى بثوثُ
وليس كذا ولا ردًّا عليها ... ولكن الظلوم هو النكوث
رأت شغفي بها وشديد وجدي ... فملّتني كذا كان الحديثُ

قال لي أبي وكان أبو سالم هذا قد اتفق أن حصل عند سيف الدولة (أمير حلب) - رحمه الله - في بعض الضرورات التي دعته... فلم يدخله قطُّ سيف الدولة إلى مجلسه، لأنه لم يؤثر إجلاسه معه إلى سريره، حسب ما تقتضيه

مكانته من الملك، ولم ير نصب مرتبة ولا مطرح له على حدة، فكان لا يلقاه إلا على الطريق، فإذا لقيه خاطب (سيف الدولة) - رحمه الله - أبا سالم: يا أبا سالم، وخاطبه أبو سالم: أطال الله بقاء الأمير.

تعليق من كتاب «علوم القرآن» صنعة علي بن عيسى بن داود بن الجراح: علي بن عيسى بن الجراح الوزير: حدثنا أبو جعفر أحمد بن بديل بن قريش الكوفي بسُرَّ من رأى في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومئتين. قال: حدّثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي عن أبيه يبلغ به إلى أبي ذر - رحمه الله - قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**».

- من الجزء الثاني: وقال أعرابي من بني حنيفة وهو بمرج:

مرّ الجراد على زرعي فقلت له: إلزم طريقك لا تُولَع بإفساد
فقام منهم خطيبٌ فوق سنبلةٍ إنّا على سفر لا بُدَّ من زاد..

- وقال ابن هبيرة وهو يؤدب بعض ولده: لا تكونَنَّ أول مشير، وإياك والرأي الفطير، وتجنب ارتجال الكلام، ولا تشر على مستبد، ولا على وغد، ولا على متلوّن، ولا على لحوح- وخف الله في موافقة هوى المستشير، فإن التماس موافقته لؤم، وسوء الاستماع منه جناية.

- لديك الجن [ولم ترد في ديوانه المطبوع بطبعاته المختلفة]:

وإني لأستحييك إن أنطق الهوى وأن أتعدّى خلسة اللحظات
وأن أُطلِق الأمر الذي فيه سبّة عليك ولو قطعتني حسرات
سأطوي الهوى تحت الحشا طي نازح قضى وطَراً إن لم تُبِحْ عبراتي
فأصبر للهجران حتى تملّني وادفع عنك الحق بالشبهات

باريس: جليل العطية

عقائد العرب وعاداتهم قبل الإسلام
في «غريب الحديث» لأبي عبيد

حفل كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد القاسم بن سَلاّم الهَرَوِيّ المتوفى سنة ٢٢٤ للهجرة، بألوان من المعرفة، ومنها ما يتعلق بـ (عقائد العرب وعاداتهم قبل الإسلام)، و (حضارة الإسلام) ذالك أنه عرض - من خلال تفسيره لغريب الأحاديث التي اختارها - للحياة العربية قبل الإسلام بكثير من تفاصيلها وأوضاعها العقيدية، والاجتماعية، والاقتصادية، وعرض كذالك لكثير من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية: كالملابس، والأواني، والنقود، والأوزان، والمكاييل، والأبنية، والأثاث، وغير ذالك.

وهذه المادة التاريخية الحضارية، هي في رأينا ذات أهمية علمية قيمة، ذالك أن أبا عبيد استقاها من مصادرها الأصيلة المتخصصة، مما كان له أثر في الحياة العلمية في عصره.

ويعزز قيمة هذه المادة العلمية العالية، أنها قد استُقِيَتْ محقَّقةً، وأُخِذت بتحرّز المحدّثين الأثْبَات، واللغويين الثقات، إذ كان أبو عبيد - رحمه الله - لغويًّا، فوق كونه محدّثًا، بل إمامًا في اللغة والحديث، وقد شهد له بذالك من عاصره ومن تلاه من أهل العلم[1]، كإسحق بن راهوية (ت ٢٣٧ هـ) شيخ البخاري، وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وغيرهما من أئمة الحديث واللغة.

وكان أبو عبيد يتناول الأحاديث بالنقد والتمحيص سندًا ومتنًا، فلا يقبل روايتها إلاّ ممن له ثقة تامة به، من شيوخه الذين روى عنهم الحديث والفقه واللغة، فضلاً عن معلوماته الواسعة بحياة العرب العقيدية والاجتماعية قبل ...ة الإسلام، الأمر الذي لم يدع مجالاً لتسرُّب أية معلومات غير ...ال، إلى كتابه الأصيل في موضوعه ومادته، وهو «غريب

وقد رأينا أن نتناول ما يتعلق بالموضوع الأول وهو (عقائد العرب وعاداتهم قبل الإسلام) وحده في عدد من أعداد مجلة «العرب» الغراء، مراعاة لما يناسب صفحات المجلة، ثم يتلوه ما يتعلق بحضارة الإسلام، في عدد تَالٍ له.

١ - **العقائد والعبادات**: لعل أهم ما أورده أبو عبيد من تاريخ العرب قبل الإسلام، ماكان يتعلق بعقائد القوم وعباداتهم، إذ كانت طائفة من الأحاديث التي فسّر غريبها، تتناول هذا الموضوع الهام، الذي حرص الإسلام بقيمه العالية ومفهوماته الجديدة، على تغييره تغييرًا جذريًّا، وإبدال به ما يلائم فكره ومُثله السامية التي جاء بها.

(أ) فمن ذالك اعتقادهم أن المطر مُسَبَّبٌ عن (الأنواء)، التي هي جمع (نَوْء)، ويراد به عندهم: النَّجْم يطلع أو يسقط[٣]، فكانوا يعزون نزول الغيث إليه، فيقولون: (مُطِرنا بنَوْء كذا)[٤]، وهو أحد الثلاثة التي يُنْهى عنها المسلم في الحديث، كما سنرَى، وقد تجلى بيان ذالك فيما ذكر أبو عبيد - في آثارهم الأدبية، كقول ذي الرُّمَّة:

أصابَ الأرضَ مُنْغَمَسُ الثريّا بساحَيِه وأتْبعها طلالا

وقد علق عليه أبو عبيد[٥] بقوله: (أراد أن المطر كان عند سقوط الثريّا، وهو منغمسها - وإنما خص الثريا لأن العرب تقول: ليس شيء من الأنواء أغزر من الثريا، فأبطل الإسلام جميع ذالك).

وأورد في موضع آخر الحديث المروي عن النبي ﷺ: «**ثلاث من أمر الجاهلية: الطعنُ في الأنساب، والنياحةُ، والأنواءُ**»، ثم فسّر (الأنواء) تفسيرًا مستفيضًا، مبيّنًا أنَّها ثمانية عشر نَجْمًا، وقال: (فكانت العرب في الجاهلية إذًا سقط منها نَجمٌ وطلع آخر، قالوا: لا بُدَّ من أن يكون عند ذالك مطر ورياح، فينسبون كل غيث يكون عند ذالك، إلى ذالك النجم الذي يسقط حينئذ، فيقولون: مُطِرْنَا بنوء الثريا، والدَبَران، والسِّماك. فهذه هي الأنواء، واحدها (نَوْءٌ)

وقد ذكـرت العرب الأنواء في أشعـارها فأكثرت، حتى جـاء فيها النَّهي عن النبي عليه السلام)[٦].

وهـذا يعني أن عقيـدة الجاهليين فـي تأثير النجـوم، كـانت تَتَّسم بضـرب من الأسطورية، فتعزو بعض ظواهر الطبيعة إليها، وتعدُّها مؤثرة فيها، وذالك كالمطر الذي كانوا يـرونه مسببًا عنها، على حين هو مسبّب بأسبـابه الطبيعية، التي جعلها الله مؤثرة فيه، كتصـاعد بُخار الماء من البحار والأنهار والبحيـرات، وتكاثفه في الجوْ وسقـوطه بعد ذالك غيثًا، بعد أن تسوقـه الرياح إلى بلـد مَيِّت، كما وصف القرآن[٧]، وإلى حيث يشاء الله سبحانه.

(ب) ومن العقـائد الأسطـورية التي عـرض لبيـانهـا أبو عبيـد، والتي كـانت معروفة لـدَى الجاهليين (الهَامَة) و (الصَفَـرُ)، وقد ذكر في تفسيـر (الهامة): (أن العرب كانت تقول: إن عظام الموتى تصير هـامة فتطير)، وبيّن أنه قول أبي عبيدة معمـــر بن المثنى (ت ٢١٠هــــ). وأبي عمـــرو الشيبـــاني (ت ٢١٣هــــ)، وأن الجاهليين كانـوا يُسَمُّون ذالك الطائر الذي يخرج - بـزعمهم - من هامة الميت إذا بلي، يسمّونه (الصَّدَى).

ثم فسّـر (الصَفَّـر) بأنـه (دوابّ البطن)! وروى عن أبي عبيـدة عن يـونس بن حبيب عن رؤبة أنه (حيّة تكون في البطن تُصيب المـاشية والناس)، وأنها (أعْدَى من الجرب عند العـرب)! فقال أبو عبيد بعد هذا: (فأبطل النبي عليـه السلام أنها تُعْدي)، يقصـد أنه أبطل ذالك الاعتقـاد، بالحديث المـرويّ عنه ﷺ: «لا عدوىٰ ولاَ هامة ولا صفر ولا غول»[٨]. وأوضح أن الحديث وتفسير أبي عبيدة له، دلالة على أن الهـامـة والصفـر من العقـائد التي امتـزجت بالـوهم والأسـاطيـر لـدى الجاهليين، وأن الإسلام - علـى لسان نبيه ﷺ - قد أبطله، وعمل علـى تبديل ما يتوهمـه الناس إذ ذاك فيها. ويحمل الناس (الصفـر) اليوم على الدودة الشـريطية وهي معـدية ولكن ليس ثمـة تناقض بين قـوله ﷺ: «لا عدوى»، وبين الحـديث

الآخر: «فُرَّ عن المجذوم كما تفرُّ من الأسد» فكلاهما عند أهل العلم صحيح، ولكن يجمع بينهما (بأن هذه الأمراض لا تعدي بطبعها، ولكن الله جعل مخالطة المريض للصحيح سببًا لإعدائه مرضه، وقد يتخلف ذالك عن سببه، كما في غيره من الأسباب)[٩].

(جـ) وأشار أبو عبيد إلى (الفَرْعَة) و (والعَتِيرَة) في تفسيره للحديث المروي عن النبي ﷺ: «لا فَرْعَة ولا عَتِيرة». فبيّن أنها (أوّلُ وَلَد تَلدُه الناقة)، وأنهم (كانوا يذبحون ذالك لآلهتهم في الجاهلية، فنهوا عن ذالك). وبعد أن احْتجَّ ببيت من الشعر لأوس بن حجر، فسّر العَتِيرة بأنها: (الرجبيّة، وهي ذبيحة كانت تذبح في رجب، يتقرَّب بها أهل الجاهلية، ثم جاء الإسلام، فكان على ذالك حتى نسخ بعدُ)[١٠].

وبذالك نعلم من تفسير أبي عبيد لهاتين اللفظتين، أنهما مرتبطتَان بالعقائد الوثنية الجاهلية، وقد ربط بين بعض أمثال العرب السائرة وبين عادات الجاهلية العقائدية، فأورد بيتًا للشاعر الجاهلي المعروف الحارث بن حِلِّزة اليشكري، يذكر قومًا أخذوهم بذنب غيرهم، فيقول:

عَنَنًا باطلاً وظُلمًا كما تُعتَرُ عن حجرة الرَّبيض الظِّبَاءُ

وفسّر (عَنَنًا) بمعنى: اعتراضًا، و (كما تُعْتر) أي؛ العَتِيرة في رجب وقال: (وذالك أن العرب في الجاهلية، كانوا إذا طلب أحدهم أمرًا، نذر: لئن ظفر به ليذبحنّ من غنمه في رجب كذا وكذا، وهي العتائر، فإذا ظفر به فربما ضَنّ بغنمه - وهي الربيض - فيأخذ عددها ظباءً فيذبحها في رجب مكان الغنم. فكانت تلك عتَائره، فضُرب هذا مثلاً، يقول - يقصد الحارث بن حِلّزة -: أخذتمونا بذنب غيرنا، كما أُخذَت الظباءُ مكان الغنم)[١١].

(د) وعرض أبو عبيد لتصَوُّر (أسطوري) آخر لدى الجاهليين، وذالك في ضوء الحديث المروي عن النبي ﷺ: «قَلِّدُوا الخيل ولا تُقلِّدوْها الأوتَار»، فرجح أن المراد بالأوتار هنا: أوتَارُ القِسِيِّ، وكانوا يقلّدونها إياها مخافة العين، وبيّن أنه

المروي عن مالك بن أنس، فأمرهم النبي ﷺ بقطعها، معلّمًا إياهم أن الأوتَار التي يضعونها كالقلائد للخيل، لا تردّ من أمر الله شيئًا[١٢].

(هـ) وعرض أبو عبيد لتصور (أسطوري) آخر يتعلق بالجنّ، وطبيعة العلاقة التي تربطهم بالإنس في عقيدة الجاهليين، فأورد الحديث المروي عن النبي ﷺ، في النهي عن ذبائح الجن، وفسّر ذالك بأن يشتري المرء دارًا، أو يستخرج عينًا أو نحوهما، فيذبح لها ذبيحة للطيرة، أو بعبارة أخرى: دفعًا لأذاها وشؤمها. قال: (وهذا التفسير في الحديث، ومعناه: أنهم يتطيّرُونَ إلى هذا الفعل، مخافة أنهم إن لم يذبحوا ويُطْعموا أن يصيبهم فيها شيء من الجن يؤذيهم. فأبطل النبي عليه السلام ذالك، ونَهى عنه)[١٣].

وهذا لاشك منبعثٌ من تصوّرٍ خاطيٍْ، مؤدّاه أن للجن سلطنًا على الإنس، ولهذا كان فريق من الجاهليين، إذا طَرَقُوا واديًا في الليل، تعوّذوا بالجن الذي فيه؛ ظنًّا منهم أنها تحفظهم من الشرِّ والسوء. وقد أخبر القرآن بذالك، فقال تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقًا﴾[١٤].

والمراد بذالك أنهم كانوا (يعتصمون ويستجيرون)[١٥] بهم (وكان الرجل من العرب إذا أمسى في واد قفرٍ في بعض مسايره وخاف على نفسه، قال: أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد بذالك: الجنّ وكبيرهم. فإذا سمعوا ذالك استكبروا وقالوا: سدْنَا الجنّ والإنس. فذالك (رهقهم)[١٦]

وقد روي ذالك عن الحسن ومجاهد وقتادة، وكان هذا منهم على حسب اعتقادهم أن الجن تحفظهم، فزاد الجنُّ الإنسَ إثمًا على إثمهم الذي كانوا عليه من الشرك والمعاصي، وهو المروي عن ابن عباس أيضًا. وقيل: (رهقًا)، أي: طغيانًا، وقيل: فَرَقًا وخوفًا، وقيل: شرًّا، وقيل: ذلاً وضعفًا[١٧].

ومؤدى هذه التفسيرات واحد، إذ كلها تدل على تجافي أولئك المتعوّذين عن العبودية لله وحده سبحانه، إلى العبودية والخضوع لأحد مخلوقاته، وهم الجن.

ولذالك أزرى بهم «القرآن الكـريم» - على لسان الجن - حين وصفهم بأنهم قد زادوهم بذالك التعوذ (رهقًا).

فيتبين لنا من الآيـة الكريمة والحـديث الشريف، وما ورد فيهـا من تفسير، أن القرآن والحـديث حَرّرا الفكر العربي، بل والبشـري بعامة، من أوهام الجـاهلية، والتصورات الأسطورية، ليجعلا المرء عبداً لله وحده، ويُحرِّرَاه تماماً من سلطان القوى والمخلوقات التي وراء الطبيعة، مما لا يقع تحت حسّ الإنسان أو بصره.

٢- **العـادات الاجتماعيـة:** في غـريب الحـديث تصـوير لكثيـر من العـادات الاجتماعيـة، في مجتمع ما قبل الإسـلام، وقد عرض أبـو عبيد لطـائفة من تلك العـادات التي بقيت آثار منهـا في حياة النـاس، في بعض البيئات، التي لم تتنـوّر بكفاية، بما ورد في السنـة من النهي، بحيث صارت عرفًا لديهم، يتـوارثونه جيلاً بعد جيل، مع أنه من المحـرمات التي جاء بها الشرع، وهذا كـان مُتَعَارفًا عليه في مناطق من ريف العراق، وإن بدأ في السنين الأخيرة ينحسر، نتيجة للوعي الديني والاجتماعي معًا.

وكان أبو عبيـد قد أورد ألوانًا من تلك الأعراف والعادات الاجتمـاعية، معلقًا عليها، ومبينًا حكم الشرع - على لسان نبي الأمة ﷺ - فيها..

(أ) فمن ذالك ما يتعلق بعادات (الزواج)، وما يترتَّب عليها من سلوك الأسرة، أو أحد أفرادهـا في (المهر)، وذالك هو الذي يطلق عليـه اسم (الحلوان)، الذي يُعَدُّ من الألفـاظ المشتركـة في اللغة، إذ لـه أكثر من دلالة ، تكشف عـن كل منها القرائن الدلالية، من لفظية وحالية وعقلية، شأن أي لفظ آخر في العربية، وقد بين أبو عبيـد هذه المعاني في ضـوء تفسيره للحديث المـروي عن النبي ﷺ، من أنه (نهى عن حُلوان الكاهن). ففسّـر (الحلوان) هنا بما يُعطاه الكـاهن على كهانته، ثم بيّن معنيين آخـرين لـه يشـاركـان المعنى الأول في دلالات اللفـظ، فقـال: (الحُلوان: الرشوة.. يقال منه: حَلَوْتُ، أي: رَشَوْتُ).

وبعد أن احتج ببيت شعر، قال مبينًا المعنى الثالث: (والحُلوان أيضًا: أن يأخذ الرجل من مهـر ابنته لنفسه)، ثم بيّن أن (هـذا عارٌ عند العرب)، واحتج لـه بقول امرأة تمدح زوجها: لا يأخذ الحُلوان[١٨] من بناتنا وهو ضرب من الرجز.

وبذالك وضع أبـو عبيد أيدينـا على أخلاقية اجتماعيـة عالية عنـد العرب قبل الإسـلام، وهي إبـاء الأخذ من مهـر البنت، لـدى فـريق من النـاس، وهذا يشعـر بـلاشك بما لـدى العربي من عـزة النفس، والتسامي عن صغـائر الأمور، ومنهـا: المادية، إذ كان يخشى أن يعيَّر بذالك فتتدنَّى منزلته بين قومه وغيرهم من العرب.

فلمـا جـاء الإسلام الحنيف بقيمـه السـاميـة، صار ذالك جـزءًا من الاعتقـاد والسلوك، فمهـر البنت حق شَـرَعه الشارع الحكيـم لها، وليس لأحـد أن يسلبها شيئًا منه، حتى الزوج نفسه، إلا بطيب نفس منها[١٩].

(ب) ومن العادات الاجتمـاعية المتعلقة بـالزواج ما يسمى بـزواج (الشِّغار) الذي كان معروفًا قبل الإسلام عند العرب، وقد عرّفه أبو عبيد بأن الرجل (يزوج أخته أو ابنته، على أن يزوجه الآخر أيضًا ابنتـه أو أخته، ليس بينهما مهر غير هذا، وهي المشاغـرة). ثم قال: (وكان أهل الجـاهلية يفعلـونه، يقول الـرجل للرجل: شاغِرْني، فيفعلان ذالك فنُهِي عنه)[٢٠].

ومراده بعبـارة (فنُهي عنه)، ما ورد في الحديث المـروي عن النبي ﷺ أيضًا: «لا جَلَبَ ولا جَنَبَ ولا شغارَ في الإسلام» الـذي أورده أولاً، ففسر غريبه، وهي الكلمات الثلاث: جَلَب، وجَنَبَ، وشِغار.

وهذا الضرب من الـزواج، الذي عرفته الجاهلية، ومنعه الإسـلام، لما فيه من الحيف على المرأة في التزويـج، إذ يجري ذالك بدون رضاها وبغيـر المهر الذي يجب لها على الـزوج، هذا الزواج قد عـرف حديثًا في منـاطق من ريف العراق، وهو الذي يسمونه (الصِدْق)، ثم بدأ ينحسر يـومًا بعد آخر، نتيجة للوعي والثقافة الدينية والاجتماعية.

(جـ) وأشار أبـو عبيد إلى عادة (الوشم) قبل الإسلام، وهو ضـرب من الزينة تتخـذه المـرأة إذ ذاك، فنهى عن النبي ﷺ، فـي حـديث لـه لعن فيـه (الـواشِمـة والمُستَوْشِمة).

وكانت نساء في البيئـات العربية، في العصر الحديث، ولا سيما الـريفية منها، تَشِمُ أجزاء ظـاهرة أو خفية من أجسامهـا، بقصد التزيُّن، وهذا معـروف أيضًا في الرِيف العـراقي منذ عدة عقود، غيـر أنه ترك الآن - أو كاد - نتيجـة لتطور الحياة الاجتماعيـة، وصدوف النسـاء عن هذه العـادة التي هي من مخلفات الجـاهلية، ومن العادات التي لا تلائم الوعي الاجتماعي والديني في العصر الحديث.

(د) ونبه أبو عبيد - رحمه الله - على ماكان للرِّقّ من صور قبل الإسلام، فبيّن أنـه ضـربان: (رقُّ مملكـة) و (رقّ قِنّ)، وذكـر لبيـان ذالك أن الأشعث بن قيس ادَّعى رقـاب أهل نجّران، وكـان قد استعبـدهم في الجـاهلية، فلمـا أسلموا أَبَـوْا عليه، فخاصمهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنـه في رقابهم، فقالوا: (يا أمير المؤمنيـن، إنّا إنما كُنّـا عَبيدَ مملكـة، ولم نكن عبيد قِـنٍّ). قال: فتغيّظ عليـه عمر وقال: (أردتَّ أن تغفلني)، ورواه بعضهم: (أردتَ أنْ تعنتني).

ثم روى عن الكسـائي - وهـو أحد شيـوخـه الذين أخـذ عنهم من الكـوفيين تفسيـرًا لهـذين الضـــربين من الـرق، وهـو أن (القِنّ) الـــذي مُلك هـو وأبـواه، و(المملكة) أن يكـون قد غلب عليهم أحد فيستعبـدهم، وهم في الأصل أحرار، ثم بين أبـو عبيد أن عمـر حكم فيهم بجعلهم أحرارًا بـلا عوض، لأنـه إنما كـان تملكًا وليس سباء[٢٢].

٣- العـادات الاقتصاديـة: وأشـار أبو عبيـد مـرارًا إلى ضروب من العـادات الاقتصادية التي كانت سائدة لدى العرب قبل الإسلام، والتي حرَّم طائفة منها.

(أ) فمن ذالك ما يتعلق بالبيوع، مثل (المُحاقلة) و (المُزابنة) اللتين ورد النهي عنهما في الحديث الذي عرض أبو عبيـد لتفسير غريبه، فقد أورد الحديث، وهو

مروي عن النبي ﷺ، ثم فسّـر (المحاقلة)، نقلاً عن غير واحد من أهل العلم: أن يباع الزرع في سنبلـه، وهو مُشْتَقٌّ من (الحقل)، وفسّر (المُزابنـة) ببيع التمر وهو في رؤوس النخل بالتمر، ثم علّل النهي في هذا الحديث بقوله: (وإنما جاء النهي في هذا لأنـه من الكيل، وليس يجوز شـيء من الكيل والوزن، إذا كانـا من جنس واحد، إلا مِثْلاً بمِثْل ويَدًا بيد وهذا مجهول لا يعلم أيهما أكثر)(٢٣).

وهذا النوع الممنوع من البيع المسمَّى في الاصطـلاح الإسلامي: (المحاقَلة) كان يمـارسه في أريـاف العراق الجنـوبية خـاصة، فريق من النـاس، ممن يملك المـال، فيشتري الـزرع في حقله، قبل أن ينضج ويجف، ويصبح مُهيًّا للحصـاد، وهو المسمى عندهم: (أَلَخَضَرْ). وهي عادة مضرّة بالفلاح، وقد كادت أن تزول.

وبيّن أبـو عبيد أن النبي ﷺ، رخَّصَ في ضـرب آخر يسمى: (العَـرايا)، وقـال: واحدتُها عَـرِيَّةٌ، (وهي النخلة يعريها صـاحبها رجلاً محتاجـًا) بأن (يجعل له ثمرة عامها)، ولرَبِّ النخل أن يشتري من المُعْرى ثمر تلك النخلة بتمر لحاجته إليه(٢٤).

(ب) وأشار أبو عبيد إلى ضرب آخر من البيوع الممنوعة في الإسلام، بناء على ما جاء في بعض الأحاديث، وهو بيع (المنـابذَة)، وفسّره بأنه على قول-: أن يقول الرجل للآخر: اَنبِذْ إليَّ الثوب أو غيره، أو أنبِذُهُ إليك، وقد وجب البيع بكذا وكذا.

وفسّرت (المنابذة) - على قول آخر - أن يقول الرجل: إذا نبذت الحصاة فقد وجب البيع، وبيّن أنه معنى الحديث الآخر: (أنه نهى عن بيع الحصاة)(٢٥).

(جـ) وشبيـه بهذا البيع الممنـوع في الإسلام، بيع (الملامُسَـة)، وقد ذكـر أبو عبيد أنّ فيه قـولين أيضًا، أحدهما: أن يقول الـرجل: (إذا لمستَ ثوبي أو لمستُ ثوبك فقـد وجب البيع بكذا وكـذا)، والآخر: (أن يلمس الـرجل المتَاع من وراء الثوب دون أن ينظر إليه فيقع البيع)!

وقد علل أبو عبيد النهي عن هذين النوعين من البيوع بتعليل علمي، هو أنهما غير قـائمين على قناعـة المشتري والبـائع الحقيقية، بل همـا قائمـان على انتظار

الصدفة، ولـذالك قال معلقًا عليها: (وهذه بيـوع كان أهل الجاهلية يبتـاعون بها، فنهى رسول الله ﷺ عنها؛ لأنها غررٌ كله)[٢٦].

(د) وأشار كذالك إلى نوع آخر من البيع المنهي عنه، وهو (المُخاضَرَة)، وفسّرها بأن يباع الثمر قبل أن يبدو صلاحه، وهو خَضِـرٌ بَعْدُ. قال: (ومثله حديثه الآخر ﷺ، من أنه نهى عن بيع التمر بعد أن يزهو، أي قبلَ أن يَحْمَرَّ أو يَصْفَرَّ في نخلته)[٢٧].

(هـ) وأشار إلى ظاهرة (التَّحْميم) قبل ظهـور الإسلام، وهي إمْتَاع المرأة بعد تطليقها، وقال: (وكانت العرب تسميها التحميم) يقصد (مُتْعة) المطلقة. واحتج لذالك بقول الراجز:

أنتَ الـذي وهبـتَ زيـدًا بعـدما　　　هَمَمْتَ بـالعجـوزِ أنْ تُحَمَّمـا

وأشار إلى أن (التحْميم) هو (الإمتَاع) في الإسلام، وبه نطق الكتاب المبين، فقال تعـالى: ﴿**وللمطلقـات متَاع بـالمعروف حقًّـا على المتقين**﴾[٢٨] وبيّن أنه واجب للمرأة التـي تطلق قبل الدخـول بها، ولم يُسَمَّ لهـا مهر[٢٩]، وأنه مندوب للتي دُخل بهـا، أو سُمِّي لهـا مهـر، وطُلّقتْ قبل الـدخـول بهـا، على أسـاس أن الأولى لا نصيب لها من المهر؛ لأنه لم يُسمَّ لها مهر، أما الثانية والثالثة، فقد نالت من المهر عند التَّطليق، إذ للأولى تمامُه وللثانية نصفه.

فيتبين ما سلف من كـلام، أن كتاب «غـريب الحديث» لأبي عبيـد القاسم بن سلام، قـد تضمن كثيراً من العقائد والأحـداث التاريخية، المتعلقة بحيـاة العرب قبل الإسلام، وما طـرأ عليها من تغيير في ضوء ما ورد في أقـوال الرسول الأمين محمد ﷺ، المبعوث رحمـة لهذه الأمة الكريمة، وللبشـرية كلها، مصداقـًا لقوله عزّ وجل: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[٣٠].

د. قاصد ياسر الزيدي

كلية التربية - جامعة بغداد

الحواشي:

(١) ينظر: «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي ١٩٩ - ٢٠٠، و «مقدمة ابن الصلاح» في علوم الحديث ١٣٧.

(٢) «غريب الحديث» لابن قتيبة ١/ ١٥٠، بتحقيق د. عبدالله الجبوري، بغداد.

(٣) و (٤) «لسان العرب» لابن منظور ١/ ١٧٠ بولاق.

(٥) «غريب الحديث» ٢/ ٢٠٠، ط ١، حيدر آباد الدكن - الهند، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

(٦) «غريب الحديث» ١/ ٣٢٠.

(٧) وذالك قوله تعالى: ﴿وهو الذي أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه إلى بلد ميت﴾ فاطر: ٩. و ينظر في تفصيل ذالك كتابنا: «الطبيعة في القرآن الكريم» ص ٢٥٩، وزارة الإعلام - بغداد ١٩٨٠.

(٨) «غريب الحديث» ١/ ٢٦ - ٢٧.

(٩) «تدريب الراوي» للسيوطي ص ١٩٨، ط مصر ١٣٠٧هـ، وينظر: «شرح نخبة الفكر» لابن حجر ١٥، وينظر: «علوم الحديث ومصطلحه» للدكتور صبحي الصالح ص ١١١ - ١١٢، ط ٥ - بيروت.

(١٠) «غريب الحديث» ١/ ١٩٤ - ١٩٥.

(١١) «غريب الحديث» ١/ ١٩٥ - ١٩٦.

(١٢) «غريب الحديث» ٢/ ١ - ٢.

(١٣) «غريب الحديث» ٢/ ٢٢١.

(١٤) سورة الجن: ٦.

(١٥) «مجمع البيان في تفسير القرآن» ٢٩/ ٧٩. دار الحياة بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

(١٦) «الكشاف» للزمخشري ٣/ ٢٧٥، مصطفى البابي، مصر، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

(١٧) «مجمع البيان» ٢٩/ ٨٠.

(١٨) «غريب الحديث» ١/ ٥١ - ٥٣.

(١٩) وذالك ظاهر في الآية ٤ من سورة النساء.

(٢٠) «غريب الحديث» ٣/ ١٢٨.

(٢١) «غريب الحديث» ١/ ١٦٧ - ١٦٨.

(٢٢) «غريب الحديث» ٣/ ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢٣) «غريب الحديث» ١/ ٢٣٠.

(٢٤) «غريب الحديث» ١/ ٢٣١.

(٢٥) و (٢٦) «غريب الحديث» ١/ ٢٣٤.

(٢٧) «غريب الحديث» ١/ ٢٣٣.

(٢٨) سورة البقرة: ٢٤١.

(٢٩) «غريب الحديث» ٤/ ١٦.

(٣٠) سورة الأنبياء: ١٠٧.

الشعراء الأمويون في العصر العباسي

(٢)

(العباسيون): تحدثنا في بحث سابق عن شعراء بني أمية، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، أولئك الذين عاصروا السنوات الأخيرة من دولتهم وعاشوا محنة سقوطها، وشهدوا مصارع أهلهم، وذاقوا مرارة الخوف والتشرد، وسنتحدث في هذا البحث عن شعرائهم العباسيين الذين ولدوا وعاشوا في ظل الدولة العباسية الجديدة.

١ - العتبي: وأول هاؤلاء شاعر شُهر بالعصر العباسي، بلقب (العُتْبي) نسبة لجده عتبة بن أبي سفيان، وهو محمد بن عبدالله بن عمرو بن معاوية[١]، من عامة الأمويين، وفرعهم السفياني الثاني، وقد ولد سنة ١٣٣ هـ، أي بعد سنة واحدة من قيام الثورة العباسية، على ما رجحه زميلنا الدكتور يونس السامرائي، في بحثه القيم عنه[٢]، وهو من أهل البصرة، وكان وجيهًا موسرًا مشتغلاً بالعلم والتأليف، وقد قضى معظم حياته بالبصرة لم يتصل بالعباسيين ووزرائهم، غير زيارة للمأمون أثناء إقامة قصيرة ببغداد، وهو قليل المديح متعفف عن الهجاء، يغلب على شعره الرثاء والعتاب، وقد استهلك معظم شعره في رثاء أبنائه السبعة الذين أهلكهم الطاعون.

وليس في شعره رثاء لقومه ولا ذكر لهم غير بيتين يتيمين في الفخر بالأمويين ومجدهم التالد:

فإنّي من قومٍ كرامٍ أصولهم ... لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر
خلائفُ في الإسلام، في الشرك قادة ... بهم وإليهم فخرُ كل مفاخر[٣]

٢ - أبو الأصبغ المَسْلَمِي: ونتقدم إلى زمن المأمون والمعتصم، ويلقانا شاعر أموي من بيت الخلافة، هو أبو الأصبغ محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبدالملك ابن مروان،[٤]، ذكره المرزباني بقوله: (وهو شاعر محسن مكثر)[٥]، وكان يسكن

حصن جده مسلمة بديار مضر من بلاد الشام، معتزلاً للناس فيه، لم يدرك شيئًا من أيام بني أمية ولم يشهد سقوط دولتهم،، ولم يقصد العراق ولا اتصل بأحد من خلفاء العباسيين ورجالهم، ويبدو أنه كان من وجوه الناس في بلده، وكان صديقًا ونديمًا لعثمان بن الهيثم الغنوي، والي ديار مضر من قبل المعتصم، وله أبيات يعاتبه فيها إذ لم يعده في مرضه[٦]، وكان فيما يظهر غنيًّا موسرًا، معنيًّا على عادة الأمراء من أسرته، باقتناء كرائم الجياد، والمشاركة بها في حلبات السباق، رياضةً وفتوةً، فإذا سبقت خيله وزع جوائزه على خدمها وسياسها، واستنكف أن يمدَّ يده إلى شيء منها، وله في وصف الخيل قصيدة طويلة، تفرد المسعودي بذكرها، وقدم لها بقوله: (ولم نعلم أحدًا من العرب في الجاهلية والإسلام، وصفَ خيل الحلبة العشرة، بأسمائها وصفاتها، وذكرها على مراتبها، غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبدالملك بن مروان، وكان بالجزيرة بالقرية المعروفة بحصن مسلمة)[٧].

ومن قوله في خاتمتها:

فرحنا بسبق شُهرنا به	ونيل به الفخرُ والمغنمُ
وأحرزن عن قصَبات الرهان	رغائب أثقالها تقسم
نوزّعها بين خُدّامها	ونحن لها منهم أخدمُ
وإنّا لنرتبط المعربا	ت في اللزبات فما ترزمُ
فهُنّ بأكنافِ أبياتنا	صوافنَ يصهلن أو حوّمُ
برود من القصب موشية	وأكسية الخزّ والملحمُ
ومن ورقٍ صامت بدرة	ينوء بها الأغلبُ الأعصمُ
ففُضت لنهبِ خواتيمها	وبدرتُنا الدهرَ لا تُختمُ[٨]

كان أبو الأصبغ رجلاً جريئًا ذا أنفة وكبرياء، يتعصب لقومه ويغضب للعرب، وله في ذالك قصة مع عبدالله بن طاهر بن الحسين، وهو من مشاهير قادة الدولة العباسية وأعيان ولاتها، من أسرة أعجمية، قديمة الولاء لخزاعة، متفانية في

خدمـة العباسيين والـولاء لهم، مكبرة للعرب حـريصة على الإسـلام، بعيدة عن الشعوبية، معـادية لها، وقد طرد رجلاً أعجميًـا جاءه بقصة فارسية قـديمة اسمها وامق وعذره، ووبخـه وقال لـه: (إننا قوم لا نقـرأ غير القـرآن وأحاديث الـرسول ﷺ، ولا حاجـة لنا لمثـل هذا الكتاب، لأنـه من تواليـف المجوس، وهـو مردود لدينا)[٩] ثم أصدر أمره بإلقـاء الكتاب في النهر، كما أصدر أمـرًا قبل هذا بحرق تواليف العجم وتصانيف المجوس حيثما وجدت[١٠].

وكان عبـدالله أديبًا شـاعرًا فخـورًا بنفسه وأسـرته، تيـاهًا بخـدماتهـم الجليلة للدولـة العباسيـة، وفي شعره قصيدة لاميـة، يفخر بها بـأجداده مصعب ورزيق، وبأبيه طاهر بن الحسين وقتله للأمين، وفيها يقول:

مـــدمن الإغضـــاء مـــوصـــولُ ومـــديـم العتـب مملـــولُ
وأبـي مـن لا كفـــاء لـــه من يســاوي مجـده قـــولـوا
طحـنَ المخلـــوعَ كَلْكَلُـــهُ وحـــواليـــه المقـــاويـلُ
قُطعـت عنـــه تمـــائمـــه وهـــو مـرهـــوب ومأمـــول[١١]

وقد استفـزت هذه القصيـدة شاعـرنا الأمـوي، ورأى فيها فخـرًا للعجم على العرب، إذ قتلوا ملكًا عربيًا بسيف أخيه وأمره، ولعلـه وجدها فرصة سانحة لشتم أولئك الأعاجم الذين ساعدوا العباسيين في القضاء على دولة بني أمية.

فنقضها ورد عليها بقصيدة مطلعها:

لا يـــرعك القـــالُ والقيـلُ كـل مـــا بُلّغتَ تهـــويـلُ

يقول فيه هاجيًا عبدالله، ساخرًا منه ومن أهله، محرضًا المأمون عليه:

أيهـــا النـــازي ببطنتـــه مـــا على طيّك تحصيـلُ
قـــاتـل المخلـــوع مقتـــولُ ودم القـــاتل مطلـــولُ
لا يُنجّيـــه مـــذاهبـــه نهـــرُ بـــوشنج ولا النيـل
بـأخي المخلـــوع طلت يـــدًا لم يكـف في بـــاعهـــا طـــولُ

وبنعمـــــــاه التي كُفِـــــرتْ فُعلت تلـك الأفـــــــــاعيلُ
يـا ابـن بنت النـار مـوقِـدُهـا مَـــــا لحَـــاذَيْـه ســـراويل
أي مجـــــد لك نعـــرفــه أو نسيـبَ لـك بهلَـــــول
مَـنْ حسيـنٌ مَـن أبـــوك ومَـنْ مصعـبٌ، غــــالتهـم غـــولُ
مَـنْ رزيـقٌ إذ تعـــــدده نسـبٌ فـي الخلـق مجهـــــول
تلك دعــوى لا ينـــاسبهـا لـك آبـــــــــاءٌ أراذيـلُ
مــا جـــرى فـي عـــود أثلتهم مــاءُ مجـد، فهـو مـدخـولُ
قـــدحت منـــه أســـافلـــه وأعــــاليّـــه مهـــازيـلُ[١٢]

قال أبو الفرج: (وهي قصيدة طويلة)، ورأى فيها تطرفًا لا مبرر له: (فأفرط في السبّ، وتجاوز الحـدَّ في قبح الردّ، وتوسط بين القـوم وبين بني هاشم فأربى في التوسط والتعصب)[١٣].

أمّـا الشاعـر نفسه فقـد شرح دوافع هـذا الرد بقـوله: (ولمّـا كان بلغني هـذه القصيـدة - أي قصيدة عبـدالله بن طاهـر - أتقنت المُنافيـة، وقلتُ: يفتخر علينـا رجل من العجم، قتل ملكًا من ملوك العرب، بسيف أخيه، يعني بذالك أباه طاهرًا لمّا قتل الأمين بسيف المأمون، فرددتُ عليه قصيدته)[١٤].

وهـذا يعني أنه قـال قصيدتـه عصبية للعـرب وغضبًا للخليفـة المقتول الـذي يجمعه به النسب إلى عبد مناف.

وعندمـا مرَّ عبـدالله بن طاهـر بالشام، في طـريقه إلى مصـر، واليًا عليهـا سنة ٢١١هـ، حرص على زيارة الشاعر في حصنه، فلمّا لقيه عاتبه على رده، قائلاً: (يا أخي - جعلني الله فـداك - قلتُ شعـرًا في قومي، أفخـر بهم، لم أطعن فيـه على حسبك، ولا ادّعيت فضلاً عليك، وفخـرتُ بقتل رجل، هو وإن كـان من قومك، فهم القوم الذين ثأرك عندهـم، فكان يسعك السكوت، أو إن لم تسكت لا تغرق ولا تسرف)[١٥].

وهذا، كما ترى، عتابٌ جميل، يقوله رجل دمثٌ مهذب، أدبته صحبة الملوك، وصقلته التجارب، وهو لا يعاتب رجلاً من عامة الناس، إنما هو أمير من أبناء الخلفاء السابقين، ليس ببعيد النسب عن الخليفة القائم آنذاك، وهو بعدُ شاعرٌ أنوفٌ متكبرٌ، في طبعه ميلٌ إلى الاستفزاز والتحدي، مع اتقان للهجاء وتفوق فيه، فرأى أن من حسن السياسة، تألف الشاعر وكسب ودّه، وتجنب استفزازه، ودفعه إلى معادته دفعًا.

فتلطف في عتابه، وكأنّه يعتذر إليه من قصيدته تلك، مع اشفاق الشاعر من سطوة عبدالله واحتمال معاقبته له، إلاّ أنه لم يضعف أمامه، وإنما كلمه كما يكلم الرجل أنداده وأكفاءه، وقد وصف ابن تغري بردي، لقاء الرجلين، بقوله: (مرٍّ عليه عبدالله بن طاهر في حصنه، واستنشده قصيدته، وقال له: ما حملكَ على هذا؟ قال الحصني: أنت حملتني بقولك:

وأبي من لا كفاء له   من يساوي مجده قولوا

فلمّا فخرتَ على العرب، فخرنا على العجم)[١٦].

وذكر أبو الفرج أن عبدالله عفا عنه ووهب له خراج بلده ثلاث سنين[١٧]، وقال ابن المعتز: (فأفرغ بعد ذالك الحصني شعره في مدح آل طاهر)[١٨] وهذا الذي سعى إليه عبدالله وقصده من حرصه على زيارة الشاعر، والتلطف في عتابه، ولم تذكر المصادر القديمة شيئًا مما قاله في آل طاهر، ولا أخباره وأشعاره بعد هذا، غير بيت واحد، ذكر المرزباني أنه من قصيدة له في الفخر (ذكر فيها خلفاء بني أمية ووجوههم)[١٩] وهو قوله:

أمّا صفاتي فلها شانُ   ونماني الشيخ مروان

وأن معاصره محمد بن عبدالملك بن صالح العباسي، وكان ينزل قنسرين من أرض الشام، ردَّ عليه ونقض قوله، بقصيدة مطلعها:

بانوا فبان العيشَ إذ بانوا   وأبدت المكنونَ أجفانُ

فخر فيها بنسبه الهاشمي العباسي قائلاً:

أنا ابنُ آل الله من هاشم   حيث نما خيرٌ وإحسانُ

من نبعـــة منّـــا نبي الهـــدى ... مـــؤرقـــة، والفـــرعُ فينـــانُ
بحيث خلفـي الـــريحُ محســـورةٌ ... والثقـــلان الإنـس والجـــانُ
أثمـــةٌ زهـــرٌ نجـــومُ الهـــدى ... بيضٌ على الأيـــام غـــرّانُ[٢٠]

ولعل المرزباني وهم في نسبة البيت الذي عدّه مطلعًا لقصيدة العباسي، إذ هو خليقٌ أن يكون مطلعًا لقصيدة الأموي في ندب أهله ودولتهم، وأن عيشه بان بعد بينهم، وأبدت دموعه ما أخفاه من الحزن عليهم، ذالك أقرب إلى المعقول من نسبة البيت إلى رجل عباسي، مازال ملك أهله قائمًا، وعيشه رغدًا سعيدًا في ظلهم، وليس عنده ما يدفعه إلى هذا الحزن المكتوم الذي تفضحه الدموع.

٣- أبو جعفر البشري: وقد عاصر أبا الأصبغ المسلمي الحصني، شاعر أموي آخر، من أبناء عمه، يشبهه في الاسم، ويخالفه في الكنية واللقب، وهو أبو جعفر محمد بن يزيد البشري الجزري[٢١]، من ولد بشر بن مروان بن الحكم، ذكره المرزباني بقوله: (جزري، من أهل ميّا فارقين، قدم سرَّ من رأى، وأقام بها دهرًا، واتصل بعيسى بن فروخشاه، وله في المتوكل مراث)[٢٢]. وليس له شعر في أهله فخرًا أو رثاءً، ولم يذكر المرزباني له غير مقطعتين في عتاب عيسى هذا، الذي يبدو أنه جفاه واحتجب عنه، قال في أولاهما:

أتـــرضـى لي أن أرضى ... بتقصيـــرك في بـــرّي
وقـــد أخلقتُ في ودّ ... ك ما أخلقتُ من عمـــري
لعـــل الله أن يصنـــع لـــي ... من حيث لا تـــدري
فألقـــاك بـــلا شكـــر ... وتلقـــاني بـــلا عـــذرِ[٢٣]

وقال في الثانية، يعاتبه في حاجبه:

وأرى بـــالبـــاب معتـــرضًـــا ... سفلـــةً يـــزورّ جـــانبـــه
ليس كشخـــانًـــا فأشتمـــه ... إنمـــا الكشخـــان صـــاحبـــه[٢٤]

وليس هذا عتاب رجل من عامة الناس لوزير من الوزراء، إنما هو عتاب النظراء

الأكفاء، وفيه نبرة غضب وترفع وحدّة، توشك أن تحوله إلى هجاء وتوبيخ وتقريع، وقد تنبه ابن رشيق إلى هذا، فقال معلقًا على قصيدته الأولى فيه: (فهذا هو العتاب الممضّ والتوبيخ الذي دونه الجلد بالسوط، بل بالسيف)[٢٥].

٤ - **أبو الغطاريف العثماني:** ثم يلقانا من القرن الرابع شاعران أمويان، أمّا أولهما فنكرة مغمور، مرَّ به الثعالبي مرورًا سريعًا في ترجمة موجزة مبتسرة، وذكر من شأنه أمورًا تثير الدهشة والعجب والاستغراب، فالرجل من أحفاد سيدنا عثمان (رضي الله عنه) ومن سلالة أسرة عريقة في التحضر، لم تعرف البادية ولم تعرف خشونتها وشظف عيشها، وإنما عاشت في حواضر العرب مكة والمدينة ودمشق، واشتهرت بالترف والتأنق في مأكلها وملبسها وسلوكها وأسمائها، يوم كانت البداوة غالبة على حياة العرب، وكان عهدهم بالتحضر قريبًا، ثم تعجب إذ يلقاك في عصر غلبة الحضارة من القرن الرابع الهجري من أبناء هذه الأسرة الملكية، رجل يقال له أبو الغطاريف عملاق بن غيداق العثماني، ولست تدري أتعجب من هذه الكنية الغريبة أم من هذا الاسم المنكر الذي لم نألف شبيهًا له بين أسماء الأسرة الأموية المترفة المتحضرة، أم تعجب من وصف الثعالبي له بأنه: (أعرابي جهوري متقعر في كلامه)[٢٦] ثم إنه لا يسكن في بادية من بوادي العرب أو حاضرة من حواضرهم كما تتوقع من البدو والأعراب، إنما كان يقيم في نيسابور من بلاد العجم، ولعله كان يصطنع البداوة اصطناعًا ويتكلفها تكلفًا ليستطرف العجم ذالك من أمره، وينفق سوقه عندهم. ومن عجيب أمر هذا الرجل ووجوه التناقض في شخصه وسلوكه أنه كان (يقرأ القرآن بجهارة شديدة، ويشعر ويتعاطى الفواحش)[٢٧] أموي أعرابي، كان أهله معدن الفصاحة وأمراء البيان، وهو يتقعر في كلامه وكنيته ثم يجمع بين قراءة القرآن وتعاطي الفواحش، وهو إلى ذالك (شاعر كثير الشعر)[٢٨] ولكن لم يبق من شعره هذا الكثير كما يقول الثعالبي غير بيتين يتيمين يشير فيهما إلى فقره وسوء حاله، وأنه كان يدور

في سكك نيسابور بحثًا عن حفل أو وليمة يتطفل على أهلها، كما كان يفعل طفيل العرائس مولى جده عثمان، ومن نكد الدنيا أن يضطر رجل من سلالة الملوك إلى سلوك ماكان يفعله خدمهم ومواليهم، ثم يعلن ذالك في شعره ويصرح به، ثم لا يكون ذالك بين أهله وقومه ممن تعطفهم عليه القرابة والنسب المشترك، وإنما يفعل ذالك في بلاد العجم وعلى مرأى منهم، وفي ذالك يقول:

تلبّس عملاق بن غيداق للشقا ... وللحزن والإفلاس أثواب حَارِس
يطوف بنيسابور في كل سكةٍ ... خليفة مولاه طفيل العرائس[٢٩]

٥- **أبو الفرج الأصبهاني**: وقد عاصر أبا الغطاريف، في القرن الرابع الهجري، شاعر أموي آخر، بلغ بعلمه وأدبه من الشهرة والخلود وذيوع الذكر، ما عجز عنه الكثيرون من أسلافه بملكهم وسلطانهم، ذالكم هو أبو الفرج علي بن الحسين، الأصبهاني أصلاً، البغدادي منشأ، المؤرخ الأديب، الشاعر العلامة، الراوية النسابة (كان من أعيان أدبائها (بغداد) وأفراد مصنفيها، وله شعر يجمع اتقان العلماء، وإحسان ظرفاء الشعراء)[٣٠].

وهو من أحفاد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وكان متشيعًا على مذهب الزيدية من الشيعة، يدل على ذالك كتابه في «مقاتل الطالبيين» وآراؤه في السيد الحميري ودعبل الخزاعي أثناء ترجمته لهما في أغانيه.

وسيرته وذكر تأليفه مبسوطة في «اليتيمة» و «الوفيات» و «معجم الأدباء»، ومما قاله ياقوت في صفته: (العلامة، النسابة، الأخباري، الحفظة، الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراسة، لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها، وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه، وكان، مع ذالك، شاعرًا جيدًا)[٣١].

وقال ابن خلكان: (وشعره كثير ومحاسنه شهيرة)[٣٢].

ومع إشارة القدماء إلى كثرة شعره، وشهرة محاسنه، إلاّ أن ذالك الشعر لم يكن في مجمله من المختار النادر النفيس، ولم يحرص على التجويد فيه والاشتهار

به، ولم يصرف له جلّ همه ومعظم عنايته، إنما كان أحد اهتماماته الثانوية، ولونًا من ألوان نشاطه الأدبي لا يكاد يذكر بجانب تفوقه العلمي في الحفظ والرواية والنقد والتأليف.

كان أبو الفرج أمويًّا في نسبه ومتشيعًا في مذهبه، وقد حاول أن لا يجعل لأيهما سلطانًا عليه أو تأثيرًا فيما كان يعالجه من أمور علمية في تآليفه التي جاءت آية على موضوعية الرجل وحياده ونزاهته وأمانته العلمية، وأنه لم يجعل للهوى سلطانًا على نفسه، ولم يخلط بين الموضوعية العلمية والعصبية الشخصية، لقومه أو مذهبه.

فلم يمنعه نسبه الأموي من تأريخ «مقاتل الطالبيين» وما نالهم من أذى على أيدي أهله الأمويين وعلى أيدي العباسيين بعد ذالك، ولم يجد حرجًا من ذكر كثير من الشعر الذي هُجي به الأمويون، وما ذكره الشعراء من مظالمهم ومثالبهم، في «مقاتل الطالبيين» و «الأغاني».

وبمثل هذه الروح الموضوعية وهذه الأمانة العلمية المحمودة، ذكر ابن المعتز قبل هذا، ما قاله الشعراء في هجاءِ أهله من العباسيين وثلبهم.

كما لم يمنعه تشيعه من التراجم الطوال المفصلة لعدد من الشعراء الذين أخلصوا الولاء للأمويين والعباسيين وحاججوا عن شرعية خلافتهم، وردوا على خصومهم من الشيعة ردًّا عنيفًا، وكالوا لهم ما يكرهون من الهجاء والثلب، كما لم يمنعه تشيعه الزيدي الذي يترضى عن الصحابة، من الترجمة لعدد من شعراء الفرق الأخرى المناوئة لفرقته والمخالفة لها بالرأي، حتى أنه اضطر للاعتذار عن ترجمته للسيد الحميري بما كان شرطه على نفسه من الترجمة لكل من له شعر مغنى، وما ذالك إلاّ لضيقه بما كان يذكره السيد الحميري الكيساني من ثلب لبعض الصحابة، مما يتعارض مع عقيدته الزيدية فيهم، (ولولا أن أخباره كلها تجري هذا المجرى، ولا تخرج عنه لوجب ألاّ نذكر منها شيئًا، ولكنا شرطنا أن نأتي بأخبار من نذكره من الشعراء، فلم نجد بُدًّا من ذكر أسلم ما وجدناه له، وأخلاها من سيء اختياره على قلة ذالك)[٣٣].

وإذا كان كتـاب «الأغانـي» كتابًا خـالصًا للعلـم، لا تشوبه شـائبة مـن عصبية لنسب أو لمذهب، إذ تـرجم فيه لشعـراء الأمويين وخصومهم، ولشعـراء الشيعة وخصومهم. فإن كتاب «المقاتل» كـان دون ريب تعبيرًا عن حبه للطالبيين وولاءً لمذهبه الزيدي، ومع أن هذا الحب وذالـك الولاء، قد فرض بالضرورة على أبي الفرج فتورًا في عاطفته نحو أسلافـه وإنكارًا لقسوتهم في معاملة الطالبيين، ومع أننا لا نفترض أن نجد في شعره رثاءً لهم بعـد ثلاثة قرون من ذهاب دولتهم، كما أننـا نستبعد أن يفخـر بهم بعد أن وقف معظـم شعره على مـدح الوزيـر المهلبي وتملقه والتودد له(٣٤)، وما كان أسلاف ذالك الوزير من آل المهلب إلاّ من صنائع أجداده الأمويين والموالين من أتباعهم.

وليس معقـولاً لـرجل يمـدح المهلبي ويستجـدي نوالـه، أن يفخـر بأجـداده الأمويين ويذكر ماكان لهم من عـزّ وسلطان، وإذا كان تشيعه من جهة وخوفه من العباسيين من جهة ثانية واضطراره لمديح من لا يليق به من مدحه من جهة ثالثة، قد منعـه جميعًا من ذكـر نسبه الأموي والفخـر به كمـا فعل سابقـوه من الشعراء الأمويين، علانيـة وصراحة، فإن ذالك لا يعني انسلاخ الـرجل عن جلده وتنكره لأهله، وعدم شعوره برفعة نسبه ومآثـر قومه، ولكنه لا يصرح بذاك ولا يجهر به، إنما يلمح له تلميحـًا ويومي له إيماء، إذا أحسَّ من أحد تعاليًـا عليه أو استصغارًا له ، ومن ذالك قوله معاتبًا ابن العميد:

ولستَ فـي الغـــارب من دولـــة ... ونحـــن مـــن دونـك فـــي المنســـم
وقـــد ولينـــا وعـــزلنـــا كمـــا ... أنت فلـم نصغـــــــر ولـم تعظـم
تكـــافـأت أحـــوالنـــا كلنـــا ... فَصِلٌ على الانصـافِ أو فاصـرم(٣٥)

وفي البيت الثاني إيماء واضح إلى ماكان من ملك أهله وسلطانهم.

ومن مظـاهـر شعوره بنسبـه الأمـوي أيضًا تـأليفه لكتـاب في نسب بني عبـد شمس، وإرسالـه للخلفاء الأمويين بالأنـدلس، وعلاقته السريـة بهم (وحصل له ببلاد الأنـدلس، كتب صنفها لبني أمية ملـوك الأندلس، يوم ذاك، وسيّـرها إليهم

سرًّا، وجاء الإنعام منهم سرًّا، فمن ذالك كتاب: نسب بني عبد شمس)[٣٦].

وقد ذكرنا في غير موضع من هذا البحث والذي تقدمه، أننا مدينون لأبي الفرج رحمه الله بكثير من أخبار شعراء بني أمية وأشعارهم، مما تجاهله غيره من المؤلفين، وتحامى الناس روايته وتسجيله وأثبته هو عصبية لقومه.

ولسنا ندري على اليقين أكان أبو الفرج فقيرًا مسكينًا لا يجد ما يأكله، أم أنه كان يتكلف ذالك ويتظاهر به، شرهًا وطمعًا، فقد ذكر القدماء كثرة ما ناله من عطايا المهلبي وما أرسله له الأمويون الأندلسيون من جوائزهم سرًّا، وما درّه عليه كتابه «الأغاني» من صلات وجوائز، وهو مع هذا لا يتحرج في شعره من هجاء قاض طلب منه عصًا، فلم يعطه إياها[٣٧]، أو من طلب حبر من القاضي التنوخي[٣٨]. أو من تذلل مهين للمهلبي لا يتحرج فيه من التصريح بخدمته له، ومن الإشارة إلى عُري بناته وبكائهن من شدة البرد وقسوته، ومن ذالك قوله من قصيدة فيه:

فداؤك نفسي هذا الشتاء ... علينا بسلطانه قد هجم
ولم يبقَ من نشبي درهم ... ولا من ثيابي إلاّ رمم
يؤثر فينا نسيم الهواء ... وتخرقها خافيات الوهم
وأنت العمادُ ونحن العفاةُ ... وأنت الرئيس ونحن الخدم

وقوله من قصيدة ثانية:

وهذا الشتاء عسوفٌ عليَّ ... كما قد تراه قبيح الأثر
وسكان داري ممن أعو ... لُ يلقين مَن برده كلّ شر
فهذي تحنُ وهذي تئنُ ... وأدمُعُ هاتيك تجري درر[٤٠]

وقد تقدمت الإشارة إلى ماكان يلقاه أبو وهب الأموي من برد الشتاء وقسوته، وكثرة ذكره ذاك في شعره[٤١]، وبعد قرنين من الزمن ظهر شاعر أموي آخر، جعل من برد الشتاء وقسوته أيضًا موضوعًا لشعره، ووسيلة للاستجداء والاستعطاف.

ملاحظات عامة: ولعل القارئْ الكريم قد لاحظ معي أن معظم من ذكرنا كانوا

من متوسطي الشعراء وصغارهم، عدا العتبي، وأنهم لم يصرفوا جلّ هممهم للشعر وتجويده والعناية به، وإنما كان عندهم حلية وزينة واهتمامًا ثانويًّا، كما أنهم لم يشاركوا في أمر من أمور السياسة أو في أية ثورات أو خلافات سياسية، وابتعدوا عن الدولة، وانقطعت صلتهم بالخلفاء العباسيين ومجالسهم، وخلا شعرهم من مديحهم أو رثائهم أو استعطافهم أو ذكر ما يربط بينهم من النسب المشترك، كالذي وجدناه في أشعار المخضرمين منهم، ورضي بعضهم أن يكون في خدمة بعض ولاة الدولة ورجالها الثانويين كالبشري وأبي الفرج.

كما أنهم عاشوا حياتهم كسائر الناس وعامتهم، فكان منهم الموسر الوجيه كالعتبي وأبي الأصبغ، وكان منهم من بلغ به الفقر وسوء الحال مما اضطره أن يكون حارسًا وطفيليًّا في بلاد العجم كعملاق بن غيداق.

ولاشك أن مضي زمن طويل على اندثار الدولة الأموية، وقلة مَنْ بقي من بني أمية وتفرقهم في البلاد، قد صرف الدولة العباسية عن تتبعهم ومراقبتهم والشك فيهم والخشية منهم.

كما صار ذالك بالنسبة لهم تاريخًا قديمًا وماضيًا غابرًا، ولم تعد تشغلهم كثيرًا مسألة رفعة نسبهم وأمجادهم السابقة، وقد خفف ذالك دون شك من شعورهم بالامتياز وما يصاحبه من نوازع الفخر والزهو أو الحزن والتفجع، فلم يعد الفخر بالنسب الأموي أو التفجع لما أصاب دولتهم، يظهر في شعرهم إلا نادرًا، على خلاف كثرة ما وجدناه من ذالك في شعر المخضرمين: حتى لنظن أنهم كانوا يريدون نسيان ماضيهم ذاك أو تناسيه، وغاية ما يطمحون إليه أن يعيشوا بسلام في غمار الناس، كسائرهم وعامة رجالهم.

وليست هذه نهاية الأمويين ولا خاتمة شعرهم، إذ ظهر منهم في القرن الخامس شاعر ضخم ملأ الدنيا ضجيجًا بذكر أمية، ووقف شعره على الفخر بها وذكر ملوكها ومفاخرها، هو أبو المظفر الأبيوردي، الذي سنفرد له دراسة مستقلة متممة لهذه، والله المستعان، وله الحمد والمنة.

كلية الآداب – جامعة بغداد: د. محسن غياض عجيل

الحواشي:

(١) انظر بحث الدكتور يونس السامرائي، «مجلة كلية الآداب» ١٩٨٩.

(٢) نفسه ٤٣.

(٣) نفسه ٦٠.

(٤) «معجم الشعراء» ٣٥٥ و «الأغاني» ١٢/ ١٠٤.

(٥) «معجم الشعراء» ٣٥٥.

(٦) نفسه ٩٤.

(٧) «مروج الذهب» ٤/ ٢٥٦.

(٨) نفسه ٤/ ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٩) و (١٠) (عبدالله بن طاهر الأمير الشاعر) بحث للدكتور قحطان الحديثي، «مجلة الخليج العربي» العدد السادس ٣٠ نقلاً عن «تذكرة الشعراء» لدولت شاه.

(١١) «طبقات ابن المعتز» ٢٩٩ وشعره لقحطان الحديثي.

(١٢) «طبقات ابن المعتز» ٣٠٠ و «معجم الشعراء» ٣٥٦ و «الأغاني» ١٢/ ١٠٤، و الحاذان: الفخذان، وقدحت: أصابها القادح، وهو أكال يصيب الشجر.

(١٣) «الأغاني» ١٢/ ١٠٤.

(١٤) «النجوم الزاهرة» ٢/ ١٩٦. المنافية: نسبة إلى عبد مناف، ولعل معنى اتقنت المنافية: أي أنطقتني عصبيتي للمنافية. ورجل تقن: حاضر المنطق والجواب.

(١٥) «الأغاني» ١٢/ ١٠٦.

(١٦) «النجوم الزاهرة» ٢/ ١٩٧.

(١٧) «الأغاني» ١٢/ ١٠٥.

(١٨) «طبقات ابن المعتز» ٣٠١.

(١٩) «معجم الشعراء» ٣٥٦.

(٢٠) نفسه ٣٦٤.

(٢١) نفسه ٣٩٨.

(٢٢) نفسه ٣٩٨.

(٢٣) نفسه ٣٩٨ و «العمدة» ٢/ ١٥٩.

(٢٤) نفسه ٣٩٨.

(٢٥) «العمدة» ٢/ ١٥٩.

(٢٦) «اليتيمة» ٤/ ٤١١.

(٢٧) نفسه ٤/ ٤١١.

(٢٨) نفسه ٤/ ٤١١.

(٢٩) نفسه ٤/ ٤١٢.

(٣٠) نفسه ٣/ ١١٤.

(٣١) «معجم الأدباء» ٥/ ١٤٩.

(٣٢) «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٨.

(٣٣) «الأغاني» ٧/ ٢٣٠.

(٣٤) «يتيمة الدهر» ٣/ ١١٤.

(٣٥) «معجم الأدباء» ٥/ ١٥٧.

(٣٦) «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٨.

(٣٧) «يتيمة الدهر» ٣/ ١١٨ و ١١٦.

(٣٨) نفسه ٣/ ١١٨.

(٣٩) نفسه ٣/ ١١٦.

(٤٠) «معجم الأدباء» ٥/ ١٦٨.

(٤١) «معجم الشعراء» ٤٨٤ وبحثنا السابق عن مخضرمي الشعراء الأمويين.

الشاعر أبو الفرج المخزومي (الببغاء)(*) وأدب القصة

القصة نمط أدبيّ رافق المسيرة الإنسانية على مرّ العصور، إذْ تَنْبُع الحاجة من داخل الإنسان إلى أن يسجل تجاربه على صعيد الفرد أو الجماعة، فتنشأ القصة وتتطور بتطور هذه الحاجة، منذ قصة نشأة الخليقة وحتى زمننا هذا، والقصة عريقة لدى العرب، إذ تبدأ منذ أيام الجاهلية وأخبارها، التي انعكست عبر شعْر ما قبل الإسلام[1]، على أن للقصص في حياة العربي زمن الجاهلية وظيفَة حضارية مهمة، فلقد واجه أسرار هذا الكون وعبّر عنها من خلال القصص بأسلوب تمتزج فيه الخرافة بالواقع، ولأنّ الإسلام قضى على كثير من الأساطير والخرافات، فإنّ ما بقي لنا من قصص العرب ذات الطابع الأسطوري قدرٌ يسير، تسلل إلى عصور ما بعد الإسلام، لأنه لا يتعارض مع تعاليم العقيدة الإسلامية[2] ويأتي الإسلام الحنيف فيحتفي بالقصة أسلوبًا تربويًّا شيقًا وفاعلاً، ولذالك نجد لفظ القصة أو ما يشتق منها من أفعال (يقصّ، نقصّ، اقْصُصْ... إلخ) يتكرر أكثر من ثلاثين مرة في «القرآن الكريم» وفي سورة القصص وحدها يتكرر لفظ القصة أو ما يشتق منها خمس مرات[3]، وفي العصور الإسلامية اللاحقة تزخر كتب التراث بالحكايات والقصص ذات الطابع الاجتماعي والديني والفلسفي والسياسي والذاتي... إلخ، بحيث تصعب الإحاطة بكل ذالك الفيض الزاخر من الحكايات والقصص.

وشاعرنا أبو الفرج عبدالواحد المخزومي المعروف بـ (الببَّغاء) (ت ٣٩٨هـ)[4] لم يقتصر نتاجه الأدبي على الشعر، وإن غلب عليه بل إنه كتب قصصًا ورسائل جديرة بالوقوف عندها، ولا سيما قصصه التي تعطي انطباعًا عن طبيعة الكتابة القصصية أواخر القرن الرابع الهجري، وسمات قصصه هي سمات مشتركة، تطبع أسلوب الكتابة يومذاك.

ويقف المحقق هلال ناجي عند الأقدمين والمحدثين، ممَّن ذكروا قصصه

وأشادوا بها، فيذكر منهم أبا إسحاق الصابي الذي يخاطب شاعرنا بقوله:

فحُوشِيْتَ يـاقُسَّ الطيـور فصـاحـةً　　إذا أُنْشِد المنظوم أو دُرِسَ القَصَص[٥]

كما يـورد رأي الدكتـور زكي المحاسني في أنَ الشاعـر أبا الفـرج المخزوميّ ممن جمع بين الصناعتين[٦]، ويعدّه الدكتور زكي مبارك من أركان الحياة الأدبية في زمنه[٧].

ومجموع قصصـه وعددها اثنتا عشـرة قصة، تنحو مَنْحًى متنوعًـا ممًّا يتطلب الوقوف عند كل قصة منها، وتقصِّي دوافعها ودلالاتها، ومن ثَمَّ استنباط السمات العامـة لها، ولـم يشـأ الكاتب أبـو الفرج المخزومـي أن يضع عنوانـات لقصصه، لذالك سنشيـر إلى أرقامهـا وإلى خلاصـة مكثفة لحدثهـا الأساسي، وخطـوطها الـرئيسة، وحسبمـا يقتضيـه السياق، فهـذه قصتـه الأولى ينسبها إلى سلسلـة من الـرواة، وعلى طـريقتـه في إيراد معظـم قصصه (وجـدت في كتـاب أبي الفـرج المخزومي عبـدالواحـد بن نصر عن أبي القاسم عبـدالرحمن بن العبـاس، قال: حدثني أبـو ساعدة بن أبي الوليـد بن أحمد بن أبي دواد، قال: حـدثني أبي، قال: حدثنـا إبراهيم بن ريـاح، قال: حدثنـا أبو عبدالله أحمـد بن أبي دواد قال: حـدثنا الـواثق، قـال: حدثنـا المعتصم: أن قـومًـا ركبوا البحـر...)[٨] وعلى الرغم من سلسلة الـرواة الطويلـة فإنّ قصته الأولـى مما يتسلّل إليهـا الخيال، وآثـاره عليها بيّنة، وهـو مما يضفي عليهـا طابعًـا تشويقيًّـا مؤثـرًا، لا سيما أن مضمونهـا يميل صوب تحقيق المثال الخيّر، المستند إلى الدعاء وأثره في تحقيق الأمنيات فضلاً عن النيّة الطيبة ونبل السجايا، فبطل القصة (الشخصية الرئيسة) أرخص المال من أجل الموعظـة الحسنة حين اشترى الحكمـة بمبلغ وفير من المـال (عشرة آلاف دينـار)، ولـم يكتف ببـذل المال من أجل نيل الحكمـة، بل التـزم بهـا فقادتـه إلى النجاة من الغرق في ذالك المركب، الذي حمله وجماعة معه، وأنقذه الدعاء من ذالك الشيطان الشريـر، فإذا به يتهاوى مثل كومة رماد، وقـد تعلّقت به الفتاة التي

أنقذها لحسن نواياه ونبل سجاياه، حين خلصها من مصير مظلم وأعادها إلى أهلها، وما معها من أموال سالمة، وطلبها من أهلها، فكانت زوجة صالحة. اقتسم معها بقية حياته حيث عاشا في يسر وطمأنينة، وهي نهاية تقليدية للقصة الشفهية التي تدخل في إطار القصص الشعبي الموروث عامة[٩]، إذ يستثير بطل الحكاية - وهي نواة القصة وصورتها الأولى - ما يستثيره فيرحل تاركًا مكانه ومعرّضًا ذاته لمجازفات لا حصر لها، وتظهر الأداة السحرية التي تخلصه من مأزَقه، وتعينه على مواجهة البطل الشرير، الذي هو الشيطان في قصتنا، ولأن الشاَعر الببغاء حسن المعتقد فإنه استبدل الأداة السحرية بالدعاء وحسن التصرف، اللذين محقا الشيطان، وهز ما شرّه وكيده، وهو تصرّف حسن، وتشكيل جديد للأصل الحكائي، يتناسب وروح العقيدة الإسلامية.

وشبيه بهذه القصة بعض حكايات «ألف ليلة وليلة» فلقد اختطف العفريت فتاة إنسية في الثانية عشرة من عمرها، لبهاء وجهها، وفتنة ملامحها، في الليلة الثالثة عشرة[١٠] ومثل ذالك الاختطاف يرد في الليلة الثامنة والستين بعد السبع مئة، فقد انطَوَتْ تلك الليلة على حكاية يختطف فيها ابن الملك الأزرق ملك الجان (دولة خاتون) ابنة ملك الهند[١١]، وليس لدينا دليل على أن «ألف ليلة وليلة» أو بعض نصوصها كانت مدونة زمن أبي الفرج المخزومي، وأن أبا الفرج قد اطّلع عليها، إذْ لم ينتبه لألف ليلة إلا المتأخرون، ولكن روح تلك الحكايات يمتد إلى القرن الرابع الهجري، إذ توجد مثل هذه القصة أو ما يقترب من حدثها الرئيسي مكررًا بصيغ مختلفة، وأغلب الظن أن ناسخ «ألف ليلة» قد ضمها إلى لياليه لطرافة أجوائها، وقد خرجها محقق كتاب «الببغاء» هلال ناجي من كتاب «الفرج بعد الشدة» لأبي عليّ التنوخي[١٢].

وتنحو قصته الثانية منحًى آخر، إذ يؤرّخ من خلالها لبعض أحداث عصره، أو بما يسبق زمنه بقليل، بيد أنه لا يتناول الحدث التاريخي بوصفه مؤرّخًا، بل ينحو صوب تأصيل التفاصيل والجزئيات، وبما يقرّب الخبر من الحدث القصصي،

ولا نشك في أن شيئًا ممّا ذكره قد حصل فعلاً، وتناقلته كتب التاريخ، بيد أنه ينقله إلينا وأداته في ذالك لغة سلسلة جميلة، وتحدوه قدرة على الاسترسال، هي قدرة شاعر له ديـوان شعر، تصدّر هذا الكتاب الذي وقفنـا على ثلثه الأخير، المتضمن قصص الشـاعـر البغّاء، ومن ذالـك صورة الشخصيـة الثـانـوية كمـا تـدعى في القصص الفني، والمتمثلـة بتلك الجاريـة السـوداء، التي تظهر خـادمـة ومطربـة وإنسانة وفية، إذ تحمي سيّدها، وتُعينه في محنته، فمن شأن كتب التاريخ أن تذكر الحـدث التـاريخي دون ظـلال وألـوان، فـإذا مـا تسللّت الظـلال والألـوان إلى الحدث فإنه يدخل في باب آخر هـو باب الفنّ، وفن القصة خاصة. وتشتمل هذه القصـة على قصيدتين طـويلتين، هما ممـا ورد في كتب التراث، وقـد خرجهمـا المحقق هـلال ناجي من كتـاب «الفرج بعـد الشدّة»[١٣]، ويدخل الشعـر هنا في نسيج القصة إذ يعتمـد حدث القصة الـرئيسي عليه، فلقـد استثير محمد بن يـزيد الأموي حين سمع قصيـدة عبدالله بن طـاهر التي يفخر فيهـا بأبيه، فـردّ عليها من غير أن يكـون هو مقصودًا بسـوء في القصيدة، ولكنّه استـاء من مبالغات الشـاعر بأبيـه وقومـه، ولـم يعلم بأنـه سيكون في يـوم ما تحـت رحمة عبـدالله بن طاهـر وجيشه، فلمـا حصل ما لـم يكن يتـوقعه تهيأ للمـوت وهيأ أسرتـه التي لـم يستطع الهـرب بها، وتفـاجئنـا القصـة بنهايـة أخـرى غيـر التي استعد لهـا بطل القصـة (الشخصية الرئيسـة) إذ يحلّ عليه القائد عبدالله بن طاهر ضيفًـا، ولكن يعفو عنه بل يجزل له العطاء، ويسمع قصيدته من فمه، ويـردّ عليه معاتبًا عتابًا سهلاً يسيرًا، فيستأهل حينئذ أن يـدخل في عداد الصافحين والعافين عنـد المقدرة، وهي سمة أراد أن يبرزهـا الكاتب من خلال هذه القصـة، ومثل هذه السمة يحـرص العربي عليها ويبرزها عبر سيل من قصص التراث وحكاياته.

ولا تبتعـد قصته الثـالثـة عن نهج الثانيـة، إذ أنهـا تقـوم على حدث تـاريخي معروف، هـو فتح (عَمُّوريَّـة) على يد الخليفة المعتصم، بَيْـدَ أنّ الكاتب لا يـركز عليه، بل يـورده على أنه حَـدث خارجي، يحتضن حـدث قصته الأسـاسيّ الذي

ينطـوي على مفارقـة يتَحوّل فيهـا بطل القصـة (الشخصية الـرئيسة) من خـائف مرتعب ينتظـر موته إلى أميـر، ويكون الأمير الذي كـاد يبطش به متوسّـدًا الثرى، إشارة إلى سرعة تغيّر الأحوال، وتبدّل الأمور، بما لا يخطر على بال أحد.

وأمّا القصة الرابعة فإنّها منسوبة لعصر هارون الرشيد، وربما اعتمد أبو الفرج في إيرادها على الأخبار المستقاة من أسلافه، وقد صاغها مع تفاصيل فنية، أحاط بها الشخصية الرئيسة في القصة، وهي شخصية أمير من بقايا أمراء بني أمية، وقد وصفه الكاتب بأنه شيخ رابط الجأش، بعيد الهمة، على الرغم من أنَّ من جاء إليه هـو خادم الخلفـاء (منارة)، ويحسب الأخيـر أنّ الأميـر الأموي يستهين بـه، ولا يحسب لـه ولمن أرسله حسـابًـا، ولكنّ الحقيقة غيـر ذالك، إذ أن الـرجل يعتنق فلسفـة صحيحـة عبر منطقـه السليم (إن كـان سبق في قضـاء الله تعـالى... فلـو اجتهدت الملائكة والأنبيـاء وأهل السماوات والأرض على صرف ذالك عني ما استطـاعوا، فلِمَ أتعجّل الهمَّ، وأتسلّف الفكـرة والغمَّ فيما قـد فرغ الله منـه)[١٤]. فيعجب بـه منـارة، ويخفي ذالك عنـــه، حتى إذا ورد على الخليفـة وقصّ عليـه استهانة هـذا الرجل به بوصفه رسـول الخليفة،غضب الرشيد، وتغيـرّت ملامحه ممـا ينبئ بأن الخليفة سيقتلـه لا محالـة، إلاّ أن منـارة يعرّج على منطق الـرجل، وأسلوبه في مواجهة الوشاية التي ألّمت به، فإذا بملامح الخليفة تلين وتنبسط إثر توتُّـر واحتدام، وإذا به ينصف الرجل ويعيـده إلى أهله معزّزًا مكرّمًـا على الرغم من أنه يعيش في كنف أعـدائه ومنافسيـه، ممّا يعطي عظة غـالية، مفادهـا أنّ هذا الرجـل قدّر له أن يعيش ميسـرًا، على الرغـم من غروب شمس دولتـه، وإشراق دولة أعدائه، ولكنّ الله حماه وأعاده إلى عزّه، مع أن كثيرًا ممن يسيرون في ركاب الخليفة ودولته آنذاك لا ينهلون ممّا ينهل من ترف العيش وطيبات الحياة.

ومن طريف ما يذكر أنّ القصة التـاسعة تقوم على النقيض من القصة السابقة. فإذا كان الأمير الأمـويُّ قد عاش مَنعَّمًا في غير زمن قـومه ودولتهم، فإنّ إبراهيم ابن المهدي قد كان مروّعًا خائفًا زمن خلافة ابن أخيه المأمون، ولقد ضاق ذرعًا

بمكمنه، فخرج في زيّ امـرأة، وبعد سلسلة من الأحداث الثانويـة، يجد إبراهيم نفسه وجهًـا لوجـه أمام الخليفـة ابن أخيه، فيستعين بمنطقـه ولغته وأدبـه، فيعينه منطقه ويصغي إليه المأمون (يا أمير المؤمنين: إنّ وليّ الثأر محكّم في القصاص، والعفو أقرب للتقـوى، ومن تناولته يد الاغتـرار بما مُدَّ له من أسبـاب الرجاء، لم يأمن عـادية الـدهر...)[١٥] ويسهم الشعـر في إنقاذه إذ يتسلّل إلى قلب الخليفـة المأمون وأحاسيسه، يقول إبراهيم بن المهدي:

ذنبـــــي إليـــــكَ عظيــــــمٌ وأنـــتَ أعظـمُ منــــــــــــهُ

فخــــــــــــــذْ بحقـك أوْلا فـاْصْفَــحْ بحلمـكَ عنــــــــهُ

إنْ لـم أكـنْ فــي فعـــــــــالي مـن الكـــــرامِ .. فكنــــــهُ[١٦]

ويستجيب المأمـون لمنطقه وشعـره حين يعفـو عنـه، ويثيبه ويـردّ إليـه أموالـه، وبذالك تعود مجازفتـه عليه بالخير والنجاح، وإنما قصد الكـاتب القاصّ العفوَ عند المقدرة في هـذه القصة أيضًا، بيـد أنّه ساقهـا بأسلوب مختلف عن القصة السـابقة. وينسب أبو الفرج الببغاء هذه القصة لنفسـه، إذ يستغني فيها عن سلسلة الرواة، ولقد وجدت القصة ذاتهـا في «ألف ليلة وليلة» مع اختلاف طفيف في الأحداث الثـانوية للقصة، وفي النصوص الشعرية المضمّنة، وقـد انطوت عليها الليلة الثالثة والسبعون بعد المئتين وما بعدها[١٧]، وقد خرّجها المحقق من كتاب «الفرج بعد الشدة»[١٨]. ممّا يدلّ على أن ناسخ «ألف ليلة وليلة»، قد ضمّها إلى لياليه لطرافتها.

ومن قصصه الذاتيـة قصته الأخيرة (الثانيـة عشرة). فالكاتب أبـو الفرج بطلها وهو يرويهـا بعد وفاة سيف الدولة الذي كـان له وفيًّا في حياته وبعـد مماته[١٩]، وتقـوم هـذه القصـة على حـدث تـاريخي، ينسج في داخلـه الحـدث القصصي الخاص، الذي يكشف فيه عن طبيعة الأجواء التي عـاشها الشاعر الببغاء ذاته في صباه، اللاّهِي. ويشير فيها إلى موهبته الشعرية المبكرة، وقوة تأثيرها وقصته هذه تـذكّرنـا بقصة ذاتيـة أخرى، يكـون فيهـا أبو الفـرج الراوي والبطل (الشخصيـة

الرئيسة) في آن واحد، وهي القصة السابعة، وتقوم على الرؤيا التي قد تصدق فتنبئ بالمستقبل بعد يأس أبي الفرج من حياته، واستعداده للموت إثر ذالك المرض العضال الذي مكث في جسده ثلاثة أعوام، وتأتي رؤيا صديقه مبشّرة له بالشفاء، إذ يقبل عليه ذات يوم متهلّل الوجه، وقد أخبره عمار بن ياسر رضي الله عنهما في المنام بأن أبا الفرج العليل اليائس من الحياة سيعيش، وأنّ عليه أن يحذر على ابنه المعافى، وتتحقق الرؤيا حين يبرأ أبو الفرج ويموت الشابّ الغضُّ القويّ، يحصل هذا في غضون أسبوعين اثنين فقط إشارة إلى سرعة حصول القضاء وحكمه.

وتقوم القصة السادسة على الرؤيا وصدقها أيضًا، وأبو الفرج هنا يوردها ويذكر سلسلة رواتها، وتكمن المفارقة فيها في أن الشخصيتين الرئيسيتين في القصة يريان رؤيا واحدة، المظلوم والظالم على حدّ سواء، فيتشجع المظلوم ويزدجر الظالم، ويعود إلى فطرته الخيرة ويمتنع عن قتل رجل يسعى من أجل رزقه، ويلحف في طلبه، إذ أن به حاجة لمثل هذا الإلحاف.

ويصوغ أبو الفرج قصته الثامنة بأسلوب شيّق، وهي تشبه بصورة وبأخرى بعض حكايات «ألف ليلة وليلة» إذ تجد الفتاة الفاتنة المصون نفسها تحت وطأة الحاجة القاسية تمدّ يديها وتقول محاورة الرجل الذي لامها على إظهار وجهها:

لم أبده حتى تقضّت حيلتي — فبذلتُه وهو الأعَزُّ الأكرمُ
ويعزّ ذاك عليّ إلاّ أنه — دهرٌ - يجورُ كما تراه ويظلم[٢٠]

ويمضي الكاتب في إيراد ستة أبيات لا تخفى ركّتها بيْدَ أنها مقبولة في سياق القصة الطريف، وتحظى الفتاة بفضل جمالها وحسن منطقها بأمير تعيش في كنفه، إثر سعي الراوي إلى التعريف بها، وما لحق بجمالها من حيف، ويعجبك في الفتاة اعتدادها بنفسها على الرغم من ظرفها القاسي، وما هذه الخاتمة إلا مكافأة للفتاة على صونها عِفّتَهَا ولمنطقها وموهبتها الشعرية.

ويكون الراوي في القصة الحادية عشر مختلفًا عن قصصه الأخرى، فهو هذه المرة ممّن يثق بهم أبو الفرج، توخّيًا لواقعية القصة، وإشارة إلى حصولها الفعليّ الذي يدفع القارئْ إلى التصديق بها، وما يهمنا الآن ليس حصولها الفعلي بل صدقها الفنيّ، المستمد من أسلوب صياغتها، وهي مما يدخل في إطار الطرافة وعدم التوقّع، وبما يشبه لحظة التنوير في خاتمة المسرحية، ففي الوقت الذي لا يخطر على بالنا أنّ الشيخ المسنّ في القصة بمثل هذا الدهاء والمقدرة، على التصرّف السريع الصحيح في المحنة، فإنّه يفاجئنا بخاتمة غير متوقعة لا نستبعد حصولها في عالم الواقع، إثر محاصرته من ثلاثين لصًّا يطعمهم طعامًا لذيذًا، يغيبون إثر تناوله عن الوعي، وينجو هو ومن معه بأنفسَهم.

ومما يلمحه القارئْ من سمات عامة تطبع قصصه إنها صيغت بلغة نثرية غير مسجوعة، وغير مزينة بصور البيان، إلا ما ندر منها، أنّها لغة تكاد تكون مباشرة، ويأتي الشعر على هيئة قطع صغيرة. في غضون القصص، ويهتمّ أبوالفرج المخزومي بسلسلة الرواة في معظم قصصه، بيد أنه قد ينسب القصة لنفسه، فيكون بطلها حينًا وراويها حينًا آخر، أو أنه المرويّ له، ويكون راويها ممّن يثق بهم أبو الفرج، وثَمَّة لازمة تتكرر في أكثر من قصة من قصصه هي (وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي...)[٢١]. مما يدلّ على أن هناك كتابًا كاملاً ضَمَّ قصص أبي الفرج لم يصل إلينا منه إلا هذه القصص التي وقفنا عندها في هذه السطور[٢٢]. ولقد تباينت قصصه قصرًا وطولاً، وهو في كلّ ذالك يتوخّى إيصال فكرته المرتبطة بحدثه وشخصيّاته، فقد تبلغ القصة الواحدة سبع صفحات وربما تكون بضعة سطور فقط، وبعض قصصه وثيقة يستدلّ بها على أحداث حياته، ولا سيما قصته الأخيرة التي تحدث فيها أبو الفرج عن شبابه، وتنبثق عظة يصرّح بها الكاتب إثر كل قصة من قصصه، وقد لا يصرِّح بها، فيستنتجها القارئْ، والعظة الخفية المتضمنة أبلغ وأقرب إلى روح الفن، من العظة المباشرة، بَيْدَ أننا لا ننسى السياق التاريخي لقصص أبي الفرج، وزمن منشئها وكاتبها مما يجعلنا نَرى أن هذه القصص لها شأنها، وأنها جديرة بالدراسة، لأنها نمط نثري، يعكس طبيعة العصر

وملابساته، وإذا كان جانب الموعظة يطغى عليها، فإنّ ذالك ليس غريبًا عن الأدب عامة في أجمل نماذجه، فهو يُمتع بقدر ما يعلِّم، ويُعَلِّم بقدر ما يمتع، على أنّ لا تطغى إحدى الوظيفتين على الأخرى(٢٣). ولقد أمتعنا الشاعر أبو الفرج البَبَّغاء وأضاف إلى ما نعرف عبر قصصه الشيقة. وثمة قصص شعرية لأبي الفرج وردت في ديوانه لسنا بصددها في هذه السطور المخصصة لقصصه النثرية.

بغداد: د. صبري مسلم

الحواشي:

(*) الببغاء عبدالواحد بن نصر المخزومي المتوفى سنة ٣٩٨هـ «حياته، ديوانه، رسائله، قصصه» جمع وتحقيق: هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(١) ينظر: منذر الجبوري، «أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي» دار الشؤون الثقافية العامة ط ٢، بغداد ١٩٨٦، ص ٩٣.

(٢) د. عز الدين إسماعيل «المكوّنات الأولى للثقافة العربية»، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٧٢، ص ١٢٥.

(٣) محمد فؤاد عبدالباقي، «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م ص ٥٤٦.

(٤) لقب بالببغاء للثغة فيه، وقيل بل لفصاحته، ينظر: «الببغاء»، مقدمة المحقق ص ٨.

(٥) «الببغاء»، ص ٢٠. (٦) نفسه، ص ٢٠.

(٧) نفسه ص ٢١. (٨) نفسه، ص ١٣٣.

(٩) د. نبيلة إبراهيم، «قصصنا الشعبي»، دار العودة، بيروت ١٩٧٤، ص ٥٣.

(١٠) «ألف ليلة وليلة»، تحقيق محمد قطة العدوي، مطبعة بولاق، القاهرة ١٢٥٢هـ. أعادت طبعه بالتصوير مكتب المثنى، بغداد (بدون تاريخ) المجلد الأولى ص ٣٧.

(١١) نفسه، المجلد الثاني ص ٢٨١.

(١٢) «الببغاء» ص ١٣٤. (١٣) نفسه، ص ١٤١. (١٤) نفسه، ص ١٤٦.

(١٥) نفسه ص ١٥٥. (١٦) نفسه، ص ١٥٦. (١٧) «ألف ليلة وليلة»، ص ٤٤٨.

(١٨) «الببغاء» ص ١٥٨.

(١٩) نفسه، ص ١١ - ١٢ إذ شار المحقق هلال ناجي في مقدمته إلى وفاء الشاعر لسيف الدولة.

(٢٠) نفسه، ص ١٥٤.

(٢١) نفسه، ص ١٣٣، ص ١٣٥، ص ١٤١، ص ١٤٢، ص ١٥٣.

(٢٢) نفسه، ص ١٩ حيث أشار المحقق إلى ضياع كتاب قصص أبي الفرج في مقدّمته.

(٢٣) (أوستن وارين) و (رينيه ويليك)، «نظرية الأدب»، ترجمة: محيى الدين صبحي مطبعة خالد الطرابيشي، دمشق ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ٣١.

د. علي جواد الطاهر ... وعلم التحقيق

يُعَدُّ علم التحقيق من العلوم الحديثة والذي اهتمَّ بنشر الكتاب التراثي المخطوط بصورة علمية صحيحة.

وإذا كان المرحوم عبدالسلام محمد هارون هو أوَّل باحث عربي مُحْدَث كَتَب في (تحقيق النصوص ونشرها) وتبعهُ آخرون. فإن هذا الفن لم يعدم من المسلمين الأوائل مَنْ كانت لهم إشارات مهمة عنه، وَحَوت آثارهم قواعد هامة ودقيقة استنبطوها من قواعد رواية الحديث الشريف، ثم كان دور المستشرقين في تأصيل ذالك، فكتب أوَّلهم. وهو الألماني (برگَشتراسر Bergstasser) محاضرات، جُمعت في كتاب بعد وفاته، ثم (سوفاجه Souvaget) و (بلاشير Blachere) وغيرهم.

في ضوء ذالك لم يكن الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر غريبًا عن هذا العلم المهم، بل مارسهُ وسَبَرَ أغواره، ولعل تحقيقاته ونقودَهُ على تحقيقات الآخرين دليل واضح على ما نقول.

ويبدو أنَّ حبَّه للتراث - منذ نشأته - وتخرجه في دار المعلمين العالية، (كلية التربية - اليوم) ثم رحلاته إلى القاهرة وباريس والرياض وبيروت.. وتلمذته على أساطين الباحثين من العرب والفرنسيين ثم علاقاته الواسعة بهم، وبغيرهم، أتاح له كل ذالك - الإلمام المنهجي بعلم تحقيق المخطوطات، في اطلاعه على ما كتبه قدماء العرب ومُحْدَثيهم، أو ما وَضَعَه مستشرقو الغرب، فجمع بذالك بين المنهجَيْن.. وعرف لكلٍّ حَقَّهُ وفضله وأصالته.

والطّاهِرُ - بعد أن درس ما كتبه سابقوه ومعاصروه وبعد أن قام بتحقيق عدد من الدواوين ونَقَد كثيرًا من كتب التراث - قام بإلقاء محاضرات في تحقيق النصوص على طلبة جامعة قسنطينة بالجزائر عام ١٩٧٨م، ثم على طلبةالماجستير والدكتوراه في جامعات بغداد والكوفة والمستنصرية وجامعة صنعاء وجامعة قطر، إلاَّ أنه لم يَنْشُرْهَا وظل بعضها متناثرًا فيما نشره وحققهُ.

وإذا طفقنا نبحث في تطبيقات علم التحقيق عنده، وجدنا أنْ أوّلَ كتاب حَقَّقَهُ هو «دُرَّةُ التّاج من شعر ابن الحجاج»، وهي قصائد مختارة للأسخف منْ شعر الحُسَيْن بن عبدالله المعروف بابن الحجاج الشاعر العباسي جمعها بديع الزمان الإسطرلابي (ت ٥٣٤هـ) وَوَزَّعها على ١٤٨ بابًا، أما نسخته الوحيدة فقد حصل عليها من المكتبة الوطنية بباريس وتَقَع في نحو (٢٠٠ ورقة) بخط العلاّمة اللغوي ابن الخشاب، وقد أفاد منها باطلاعة على عالمٍ من الشعر، لم يكن يعلم بوجوده على هذه الصورة.. وهذا الكتاب هو الجزء المكمل من رسالة (الدكتوراه) من باريس، بإشراف (بلاشير Blacher) والتي نالها في شباط ١٩٥٤م، ويطبع الآن في دار الجمل - كولونيا، بألمانيا.

أما الجزء الأول من رسالته الأصلية، فكان بعنوان (الشّعر العربيّ في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي)، وقد طُبِع ببغداد بجزئين عام ١٩٥٨م - ١٩٦١، وأعاد طبعه ببيروت في مجلد واحد عام ١٩٨٥.

وكتب بحثًا مطولاً عن (الخُرَيْمي) في «مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق ١٩٦٦م، (وأعاده ببغداد، سلسلة الموسوعة الصغيرة ١٩٨٦م)، حتى إذا اطمأنّ إلى عمله جمع شعره، ونَشَرَهُ ببيروت عام ١٩٧١م، في نحو مئة صفحة، ثم أردفَهُ عام ١٩٧٦م بديوان (الطغرائي).

وللطاهر - بعدُ - جهود كبيرة أخرى في التراث مثل كتابه «محمدً بن سلاّم وكتابه طبقات الشعراء»، عمّان ١٩٩٥م وكتابه «المرزوقي - شارح الحماسة - ناقدًا» بيروت، ١٩٩٥م، وكتابه «منهج البحث في المثل السائر» بغداد ١٩٨٨م، و «مصادر صناعة الكتابة» بغداد ١٩٩٥م.

ورأى الطاهر ضرورة اطلاع المحققين والدارسين على ما نشر من الدواوين أو المجاميع الشّعريَّة المحقَّقة، وجَهِدَ أنْ يذكر مشاركة العراقيين في نشر التراث الشعري العربي وتحقيقه، إذْ شاركَ في تموز ١٩٧٣م في مؤتمر المستشرقين

الذي عُقد في باريس ببحث عنوان (نشر الشعر وتحقيقه في العراق)، وقد نشر (الفهرس) الخاص بأعمال النشر والتحقيق في مجلة «المورد» مج ٢، ع ٢، ١٩٧٤م، وفيه تناول جهود العراق في نشر الشعر تحقيقًا أو طبعًا أو أفستةً (تصويرًا)، ثم شرّفني إذْ جعلني مشاركًا معه في تأليف كتاب بهذا العنوان ويشمل ما نشره في مجلة «المورد» فصاعدًا وقد رُتّب على أساس الشعراء والمصنفين، مع الأخذ بنظام (الاحالات) وقدم إلى دار الشؤون الثقافية العامة لنشره.

وإذا ما ذُكر التحقيق أُلحقَ معه (نقد التحقيق)، والطاهر ناقدٌ قبل كلّ شيء، هكذا رآه الناس، وهكذا رأى نفسه وهو في ذالك لم يكن جامد الأسلوب أو غامضه، بل مزج المقالة بالنقد وإن شئت قلت: مزج النقد بالمقالة، في استرسال هادئٍ ورقيق، لا يخرج من قضية إلا وقد أتمّ بحث جوانبها المنقودة، ثم قام الطاهر بتدريس (نقد التحقيق) لطلابه، بل إنه أوّل من قام بتدريس (نقد التحقيق) في العراق، إذ درّسه لسنتين في الثمانينات بجامعة بغداد، وتوقّفَ الدرسُ، ولم يزاوله أحد غيره، من قبل ومن بَعْدُ، وهو دَرْسٌ يراه الطاهر (مهمًّا وجديرًا بالبقاء).

ومن تلامذة الطاهر الذين زاولوا هذا النقد وأصبحوا الآن أساتذة: د. حاتم صالح الضامن ود. نعمة رحيم العزاوي ود. محمد حُسَيْن آل ياسين، وكان من ثمرات هذا الدرس أنْ قاموا بنقد الجزء الأول من ديوان «حيص بيص» الذي حققهُ الأستاذان مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر ببغداد ١٩٧٤، ونُشر النقد في مجلة «المورد» مج ٥، ع ٤، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٦م، كما قاموا بنقد كتاب «الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي» لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، بتحقيق د. محسن غياض ببغداد ١٩٧٣م، إذْ نُشر النقد في مجلة «المورد»، مج ٦، ع ٣، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

علمًا بأن دَرْسَ (التحقيق) - من قبل لم يَخْلُ من نقد للكتاب المدروس، من ذالك تدريسه للطبعة الأولى عام ١٩٥٢م، من كتاب ابن سلّام الجُمحي (ت ٢٣١هـ)

بتحقيق الشيخ محمود محمد شاكر، والذي صدر بالقاهرة، بعنوان «طبقات فحول الشعراء» لطلبة الماجستير والدكتوراه، ثم الطبعة الثانية الصادرة عام ١٩٧٤ من الكتاب نفسه لطلبة الدكتوراه، وذالك في دورة عام ١٩٧٧ - ١٩٧٨م.

وقد انتهى مع طلابه إلى فروق بين مطبوعة الشيخ محمود شاكر المخطوطتين اللتين وصلتا إليه من الكتاب، وهما مصورة نسخة جستربتي Chester Beatty ومصورة نسخة عارف حكمة بالمدينة المنورة، على أمل تدارك أخطائها في طبعة ثالثة.

على أن ذالك لم يمنع من نَقْد الكتاب تطبيقيًّا في مجلة «المورد» (٣ : ١٩٧٩م)، ثم في مقال آخر بَيّن فيه هنات التحقيق، ثم نُشر المقالان على انهما فصلان في كتابه «محمد بن سلاّم وكتابه طبقات الشعراء»، وقد احتلا الباب الثالث منه.

وأهم الملاحظات التي أخَذها عليه: تغيير عنوان الكتاب، بإضافة كلمة (فحُول) إليه وتقسيمه إلى جزئين - سِفْرَيْن - والتَزَيُّد الكبير الذي أضافهُ المحقق إلى نصّ الكتاب، وثقته بالمخطوطةَ (جستربتي)، برغم العُيوب الكثيرة فيها، وشرحه مالا حاجة إلى شرحه ثم إنه لم يَضَعَ فهرسًا خاصًّا بالمصادر التي رجع إليها، إضافة إلى أخطاء أخرى كثيرة في الضَّبْطَ والرَّسْم.

وفي دورة أخرى عرض الطاهر على طلابه «ديوان الخُرَيمي»، للنقد، فكانت فوائد جَمّة، ولا سيما قصيدة (بغداد) مازالت مدّخرة لطبعة ثانية.

ويمكن أنْ نجد في كتبه الأخرى صفحات أو فقَر تختصُّ بعلم التحقيق ونقده، سلبًا أو إيجابًا كما نلحظ ذالك في «تحقيقَات وتعليقات» و «تحقيقات عُرُضيّة» و «كتب وفوائد» و «فوات المؤلفين» و «كتب محققة وفوائد» و«ملاحظات على وفيات الأعيان» و «أنت تقرأ» و «كتب وملاحظات»، وخبرته الكبيرة بالمخطوطات وأماكن احتجانها.

أما أهم مؤلفاته فهو «فوات المحققين» الذي صَدَر ببغداد عام ١٩٩٠م، في نحو أربع مئة صفحة، وهو في الأصل، مقالاته التي كان قد نشرها في مجلات رصينة، كـ «المورد»، و «العرب»، و «الأديب»، و «المجمع العلمي الهندي» وفيه نقد نحو ثلاثين كتابًا لمحققين مشهورين، وقعوا في أخطاء كبيرة وكثيرة، لم تشفع لهم شهاداتهم أو منزلتهم من هذا النقد العلميّ، لأن التحقيق - كما يقول الطاهر: (كيانٌ خاصٌ - لا يكفي فيه أن يكون المرءُ عالمًا وأُستاذًا لينجح في مهمته)[1].

منهجه: يمكن توضيح منهج الطاهر في نقد التحقيق، بما يأتي:

١- التقديم البسيط والموجز للكتاب ومحققه.

٢- كتابة النص الذي يراد نقده بأمانة ودقة، ووضعه بين قَوْسي التنصيص، مع وضع ثلاث نقاطٍ بين قوسين كبيرين دلاَلة علَى المحذوف منه.

٣- تقسيم الملاحظات على النص إلى: ١، ٢، ٣..، وإذا كانت هناك أكثر من ملاحظة على أحد الأرقام ويُقسم ذالك إلى: أ، ب، جـ...

٤- بيان الأخطاء في اللغة والوزن والضبط والتخريج.

٥- بيان اختلاف الألفاظ والعبارات في النص المنقود، وذالك بالرجوع إلى المصادر الأخرى التي أوردت النص نفسه سواء في النثر أو الشعر.

٦- الموازنة بين أكثر من نشرةٍ (إذا كانت للكتاب أكثر من نشرةٍ واحدةٍ) مع ذكر الجزء والصفحة، وزيادة في التَخريج والتوثيق.

٧- بيان المطبوع ومكانه وسنته، إضافة إلى بيان المخطوط ورقمة المكتبة التي تحتجنهُ.

٨- بيان أهمية ضبط الكلمات وما يحتمل وقوع الخطأ فيه من الأعلام والمدن بالرجوع إلى الكُتُب المتخصصة كـ «وفيات ابن خلكان» و «الأنساب» للسمعاني، أو معجمي الأدباء والبلدان لياقوت الحموي.

٩- استخدام علامات الترقيم كالنقطة والنقطتين الرأسيتين وقوسي الاقتباس، وقد يضع الطاهر علامة استفهام بين قوسين للدلالة على كلمة غامضة.

١٠- من العبارات التي يستخدمها الطاهر هي: (ومن المناسب جدًا) و(صحة كذا: كذا) و (لِمَ لَمْ يفعل كذا)؟ أو (هذا تمحّل لا حاجة إليه)..

آراء وقضايا: ومن خلال الاطلاع على جميع ما كتبه د. طاهر في (علم التحقيق ونقده) ودراسته دراسة فاحصة استطعنا أنْ نحصر آراءهُ وملاحظاته على كُتُب التراث المخطوطة والمحققة وهي آراء - على ما أرى - ستُغني المحققين والباحثين في تحقيق المخطوطات، وتجنبهم الوقوع في الهفوات التي وقع فيها من سبقهم وتقرّب عملهم إلى الكمال.

إذ اشترط الطاهر في المحقق: الرغبة مع سلامة النيَّة والإخلاص في العمل والشعور بالمسؤولية، وإذا قُصد بذالك مَنْ رغب وصبر وبذل الوقت والمال، بقي من الناس مَنْ يرغب، ولكنه غير مخلص في عمله، إضافة إلى عدم الكذب أو التدليس على الآخرين، وأن يكون على معرفة تامة بالمؤلف كي لا يؤثر ذالك في أحكامه، مع وجوب عدم إضفاء صفات ليست في أُدباء العصور المتأخرة، والتحقيق من غلواء إعجابه بالمؤلف أحيانًا.

أماعنوان الكتاب فيجب عدم تغييره، من ذالك أنّ الشيخ محمود محمد شاكر نَشَرَ كتاب «طبقات الشعراء» لابن سلاّم وَغَيرَّهُ إلى «طبقات فحول الشعراء»، ولم يقرّ أحدٌ زيادة كلمة (فحول) في العنوان. وأكد أنه إذا أراد المحققُ أنْ يوضح دلالة العنوان للقارئْ المعاصر فليكن، بعد أن يذكر العنوان الأصلي. ومن ذالك كتاب أبي الثناء الألوسي: «شهيّ النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم» إذْ وَضَعَهُ د. محمد العيد الخطراويّ عنوانًا فرعيًا وجعل العنوان الأصلي «عارف حكمة.. حياته ومآثره» وهو تصرّف مخطوء، والعكس هو الصحيح.

ويبيّن أنه يجب أنْ تكونَ مُقدمةُ المحقق موجزةً ومختصرةً، وفيها وصفٌ

كـاملٌ للمخطوطـة، وترجمـة لصاحبهـا، وأن تُرقّم صفحـاتها بحـروف أبجديـة تختلف عن أرقـام الكتـاب الأصلي، مع تصـويـر صفحة أو أكثـر من صفحـات المخطوطة تُثبّتُ مع المطبوعة لما في ذالك من دلالة علميّة.

وبخصوص الإحالات والتخـريجات أوضح الطاهرُ أنَّ المـؤلفَ قد ينصّ على كتاب ما - لـه أو لغيره - لذالك وَجَبَ على المحقق الرجوع إليه، إنْ كـان مطبوعًا أو مخطوطًا وعدم الرجـوع إلى المختصر منـه، لأنَّ المختصر لا يُغني عن الأصل ولو كانت للمختصر هذه الأهمية لرجع إليه المؤلفُ نفسُهُ، فالدكتور إحسان عباس في تحقيقه لـ «وفيات ابن خلكان» رجـع إلى (لُباب) ابن الأثير - وهو المختصر - ولم يرجع إلى كتـاب «الأنساب» للسمعاني، وهو الأصل. وقـد ينقل المؤلفُ عن كتاب سبقـه ويتعمد التعميـة والكذب، ولا يشيـر إليه كمـا فعل القفطي في كتـابه «المحمدون من الشعراء» عندما نقل عن العماد الأصفهاني (قسم الشعراء العراق) من «الخـريدة» أو ابن العماد الحنبلـي صاحب «شـذرات الذهب» عندمـا ينقل أو يقتبس أو (يختلس) من «وفيـات الأعيـان»، فعلـى المحقق أن يكـون على اطـلاع واسع بـالمخطوطـات ومعرفـة السـابق واللاحق و (السـارق)، وبيّن أهمية شـرح الصولي لـ «ديوان أبي تمام»، لأنه أقدم الشروح، وذالك يُتيحُ لنا أحد أمرين:

الأول: معرفة الأصيل وتحديد السرقة، والثـاني: يمكننا في حالة نَشْر الشروح كلّها من الاكتفاء بـالجديد فقط عن الشرح اللاحق، وذالك عندمـا تكثر الشروح ويكثر النقل (والسرقة) ويصعب نقل الشروح كلها لسبب وآخر(٢).

وقـد يكـون للمؤلف أكثـر من كتـاب فيـه حـوادث متشـابهة فكتـاب «مظهـر التقديس» للجبرتي تتكـر فيه كثير من الأخبار في كتابه الآخـر «عجائب الآثار» - المعروف بتأريخ الجبرتي - وهذه فرصةٌ نادرةٌ لمنْ يحقق هذا الكتابَ - أو ذاك - للمقابلة والتحقيق.

وأكـد أنّه لا يجـوز للمحقق أن يذكـر في المتن اسم السـورة ورقم الآية عنـد ورود الآية القرآنية، بل يجب ذكر ذالك في الهامش، لأنَّ المتن خاصٌ بالمؤلف.

وأوضح أنّهُ على المحقق أن يتريَّث و (يتحوّط) لدى رواية خبر ما، في رجوعه إلى المصادر الأصلية، فابن النديم - على علمه - كانَ ورّاقًا أكثر منه عالمًا، أمّا ياقوت فإضافةً إلى تأخّره فأنَّهُ ينقل الأخبار... ينقَل فقط![3]

ورأى أن «البيان والتبيين» للجاحظ فقد تزامنَ تأليفهُ مع كتابه الآخر «الحيوان».

وأوضح (أنَّ التحقيق ليس عملاً سهلاً، وإنما هو استعداد ودُرْبة وعلم وذكاء ونبهاهة.. وحب للعمل)[4].

قال عباس الجراخ: وفي تحقيقه للشعر رأى الطاهر أنَّهُ إذا وَجَدَ المحققُ مَقْطوعةً تَتَّفقُ مع بعضها في الوزن والقافية والغرض والنَفَس، وَجَبَ عَدم جعلها في قصيدة واحدة، حَذَرًا من سوء التقدير وخوفًا من أنْ يجري الجمع على غير الصورة الَتي عملَها الشاعرُ، لذالك يجب أنْ تُوضع المقطوعات تحت رقم واحد، يُوزَّع إلى أ ب جـ، وقد طَبَّق هذا الرأي بوضوح في «ديوان الخريمي» فالقصيدة رقم ٩ قُسّمَت إلى ٩/ أ، ٩/ ب، وكذالك القصائد رقم ٢٣، ٣٢.. والقصيدة رقم ٤٧ قسمت إلى ثلاثة أقسام وقد سار على هذا المنهج الأستاذ عباس توفيق في جمعه وتحقيقه لـ«شعر أبي نُخَيْلة» (ت نحو ٢٤٥ هـ) إذْ أشار إلى ذالك في مُقَدمَة عمله في مجلة «المورد» - بغداد، مج ٧، العدد ٣ - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ٢٤٩.

وفي «ديوان الخُريمي» أيضًا يأتي الطاهرُ بجديد آخر وهو الخاص بالشعر المنسوب، فَفَتَحَ بذالك بابًا جعل عنوانه (الشعر المَنسوب إلى الخريمي وهو أولى به) وبيّن أنه استحدث هذا الباب الجديد لورود هذا الشعر على أنه له في مصادر أكثر عددًا وأهمية، وأنه أقربُ إلى نفسه في الجيّد من شعره الصحيح النسبة إليه، وفي الأحداث التي يشير إليها ما يمكن أنْ يقوم دليلاً آخر، فالطاهر هنا جعل هذا القسم جزءًا لا يتجزأ من شعره الأصلي، وكان المحققون قبله - وبعده - يجعلون الشعر المنسوب بابًا واحدًا، سواء أحَسّوا بأنه له قطعًا أم لا!

وفي «ديوان الخريمي» جديد ثالث، فالطاهر أجَازَ أنْ نُطلق على الشعر الذي نجمعه حديثًا لشاعر ما اسم (ديوان)، وإنْ لم تكنْ له نسخةٌ خطيةٌ مجموعةٌ سابقًا، وذالك لأن الجمع في القديم يُسَمَى (ديوانًا)، إذن فجمع الشعر قديمًا هو نفسه الجمع حديثًا، ويُعرف الفارق من الجامع وعصره، وذالك واضح في «ديوان الخريمي»، الذي لم تصلنا مخطوطة منه، بل جَمَعَهُ من المصادر القديمة.

أما الزيادات التي يضعها المحققُ بين معقوفتين، فبيّن (إن المعقوفتين لم تكونا في الأصل للزيادة المطولة الخاضعة لذوق المحقق في الاستحسان والحكم، وإنما كانتا زيادة محدودة من كلمة أو كلمتين - أو أكثر قليلاً - بما يقوّم عبارة...)[٤].

وبخصوص الحواشي والفهارس، رأى أنْ نَتَبَنَّى للحواشي لفظة (الذَّيْل) فهي كالذيل من القميص بالنسبة للمَتْنِ من الصفحة. وأما الفهارس الأعلام والمدن فمن الأفضل أنْ يطبعا على عمودين في الصفحة وبحرف صغير لتقليل الكلفة والورق، وأن تكونَ مصنوعةً بأمانة وضَبْط وإلاَّ فالأفضل تركها.

وأوضح أنه لا بُدَّ من البحث عن مواد اللغة والنحو عند غير المشهورين بهما وفي غير كتبها المقرّرة[٥].

أما الأعلام فَوَجَبَ تعريف غير المشهورين منهم، في ملحق خاص آخر الكتاب، أما المشهورون فمن العيب الكبير أنْ يُعرّف بهم.

وَشَدَّدَ على عدم إلتزام المحقق بشَرْح المفردات، لأنَّ ذالك ليْسَ من عمل المحقق لأنَّ المحققَ ليس باحثًا ولا دارسًا ولا ناقدًا، وهذا هو الأصل في التحقيق لأنَّ إمكانات المُحقق غير إمكانات الباحث، وقد طبَّق هذا الرأي في تحقيقه لـ«ديوان الطغرائي»، إذْ خلتْ هوامشُهُ في طبعتيه - من كل شرح.

ثم تأتي - بعد ذالك قائمة بالمصادر والمراجع تُوضع بعلميّة، ولها طريقتان، الطريقةُ الأولى أنْ تُرتَّب على أساس أسماء الكتب، إذا كانت الإحالةُ عليها في الهوامش، والطريقة الثانية: أنْ تُرتّب على أساس المؤلفين إذا كان الإحالة عليهم

في الهوامش، مع عدم إهمـال كلمة (كتاب)، إذْ تُدْرَج جميع المـؤلفات التي تبدأ بكلمة (كتاب) لأنها في أصل الكتاب في حرف الكاف.

وَوَقَفَ عند قضية نشر كتاب واحد أكثـر من مرة كما حدث لكتاب «الممتع». أو ٱختصاره لعبـدالكريم النَّهشلّي، الـّذي نُشر ثلاث مـرات في مصر، وفي ثـلاثة أعمال جـامعية، ورأى في ذالك توزّعًـا للجهود، ومـا يتبع ذالك من الأضطراب والفوضى وغياب المسؤولية.

وتألّم كثيـرًا للنيّـات التجـاريـة عنـد بعـض المحققين ورُبَّ تحقيق أغنى عن تحقيقـات. وكـان السابقُ خيـرًا من الـلاحق: كمـا حـدث في نقده لمـا نُشـر في «الأغاني» أو «طبقات الشعراء»..

صفاته: هذه هي أهم الآراء والقضايا التي ناقشها الطـاهر، في تجربته الطويلة في علم التحقيق وتستطيع أنْ تبيَّنَ في جهوده هذه الظواهر والنقاط التالية:

أولاً: الأناةُ والصّبرُ: وذالك واضح جدًا في عمله في (الطغرائي)، منذ أنْ جَعَلَهُ بحثًا برعـاية المرحوم البصيـر عام ١٩٤٣م ثم نشر كتابين عنـه: «لامية الطّغرائي» عام ١٩٦٢م، و «الطغرائي حياته، شعره، لاميته» عام ١٩٦٣، وحتى نشره الديوان ببغـداد عام ١٩٧٦م، استغـرق ذالك نحو ربع قـرن في تتبع مخطوطـات الديـوان التسع في المكتبات العربيـة والعالمية تصويـرًا ومراسلةً ومقابلـة واستشارة وكان يستطيع أن ينشـره على نسخـة واحـدة أو اثنتيـن كمـا يفعل بعض المحققين ممن يؤثرون السهولة والسرعـة، ولكن الطاهر لم يكن من جنسهم ولم تكن رسالته في الحيـاة مثلهم، بل آثـر أنْ يمضي بهذا الأمـر وذالك الجهـد بصبـر وروّية، ليكـون النتـاج مثمـرًا وطازجًـا وكـذالك الأمـر مع «ديـوان الخـريمي» الّذي نشـره عـام ١٩٧١م، فطبعتُهُ الثانية لم تصل لحد الآن مع وجود إضافات مهمة ولكنه أخبرني قبل رحيله بأحـد عشر يومًا أنه ينـوي إعادة نشره مع ديوان (الطغـرائي)! وكذالك الحال مع كتابه «محمـد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء» منـذ أنْ دفعه للنشر عام ١٩٦٥م عندما كان يعمل في (كلية الآداب - بجامعة الرياض) وقد نشر فصولاً منه في بيروت وبغداد ودمشق والقاهرة، وحتى نشره بالأردن عام ١٩٩٥م.

ثانيًا: الاشتراك في التحقيق: أكد الطاهر أنّ اشتـراك أكثر من محقق في كتاب واحد يجعل العمل متكاملاً، والأمر جليٌّ في إشراكه الأستاذ محمد جبار المعيبد - الدكتـور - حاليًا في تحقيق «ديوان الخـريمي» و د. يحيى الجبوري في تحقيق «ديوان الطغـرائي». و (كان قد اشتـرك معه من قبل د. رزّوق فـرج رزّوق). وفكر في نشر «طبقـات الشعراء» لابن سلاّم بـالاشتراك مع المرحـوم د. نوري القيسي بعـد عثوره على نسخـة (جستربتي) التي لـم يطّلع عليها الشيخُ شـاكر في طبعتـه الأولى للكتاب، ولم يحدث التحقيق لظهور الطبعة الثانية.

وقُلْ مثل ذالك عن كتبه الأخرى: «ديوان الجعفريّ». «ديوان الجواهريّ» حبًّا في تكامل العمل وجودته.

ثالثـاً: الهدوء في المناقشة، والعلميـة في الطرح: في مقالات الطاهـر النقدية، نلمحُ سمـة الهـدوء والبسـاطـة، مع الجـدّة والعلميـة في المنـاقشـة وطـرح الملاحظات، ونقداته وملاحظاتـه على تحَقيقات الدكتور إحسان عباس «وفيات الأعيان» لابن خلكان، عالية في الاستراك والدقة والهدوء، لأنها لم تأت من باب الإنتقاص ومـلاحقة الأخطـاء، وقُلْ مثل ذالك عن مـلاحظاته على «طبقَـات ابن سلاّم»، وأخطاء محققه الشيخ محمود محمد شاكر، في المقدمة والمتن، حتى إذا جاء ردُّ الشيخ محمـود قاسيًـا وقاسيًـا جدًّا - في كتـاب برأسـه، بعنوان «بـرنامج طبقـات فحول الشعـراء»، أصـدره في القاهـرة عـام ١٩٨٠م - لم يغيّـر الطاهـرُ أُسلوبه الهادئ، بلْ لمْ يمنعْه هجوم الشيخ محمود من أنْ يقولَ إنه (عالم علاّمة في أقل تقدير، في فَهْم الشعر وفهم الخبر وشرح الغريب، واستقصاء العلم).

بل كان على أعلى درجات حُسْن الظن والاحترام، حتى وَصَفَـهُ بأن له: (لباقةَ الأديب ومعرفة العالم، وانصراف الباحث)(٧)، وعندما حَقَّق د. عبدالفتاح محمد الحلو الجزء الأول من «ديوان الشريف الرضي» ببغداد ١٩٨٠م(٨)، ناشدَ الطاهر وزارة الثقافة والأعلام دعوة الشيخ محمود شاكـر، ومفاتحته لشرح معاني أبيات الشـريف الرضي عنـد نشر ديـوانـه ببغداد، وزاد على ذالك في مقـال له بمجلـة «الفيصل» سنة ١٩٨٥ إلى استثمار كنوزه، وإلى انتفاع الجامعات بعلومّه(٩). وكلّ ذالك برويّة وهدوء في قول الحق.

ولكنْ يحــدثْ أنْ يجـد من المحققين أو النــاشـرين مَنْ لا يخــدم الكتـابَ والتحقيقَ، أوْ كمـا يقول الطـاهر - (كأنْ يّـدعي أمـرًا وينكث لدى التنفيـذ، وكأنْ (يكسل) عنْ أنْ يلمّ بـالقـواعـد قبل الإقـدام على التطبيق، وكأن يخضع للتـاجـر والتجـارة.. ويحصل عنـد ذالك - كمـا هـو طبيعيّ - أنْ تتغيـر اللَّهجـة - حسب مقتضى الحـال - خشيـة شيـوع الكسب الحـرام وذيـوع شهـادة الـزّور وفسـاد المنطق)[١٠]، وذالك واضح في مـلاحظاته علـى نشر «الأغاني» فـي جزئه الأول الصـادر عام ١٩٧٠م وعلى نشـر الجـزء السابع عشـر منه، ومـا نُشـر تجاريًّـا من «طبقـات ابن سلاّم»، وتحقيق الصيـرفيّ لـ «ديـوان عمرو بن قميئـة»، على ماهـو واضح في الباب الأخير من «فوات المحققين».

ولقـد كـانت أحكـامه - تلـك - دقيقةً وواضحـةً أشـاد بهـا مَنْ نَقَـد تأليفهم وتحقيقاتهم، كالدكتور إحسان عباس والشيخ حمد الجاسر.

رابعًا: الطـرافة: والطرافـة جزء من شخصيـة الطاهر ونلمحهـا في ملاحظـاته ونقـداتـه، من ذالك أنَّ مُحقِّقَي «الفلك الـدائر» لابن أبي الحديـد (ت ٦٥٦ هــ) المطبوع بمصر، لم يذكر اسم العـلامة اللغوي أحمد بن يحيى الملقب: (ثعلب) في فهرس الأعلام - لا اسمًا ولا لقبًا - فعلّق على ذالك بقوله: (وعلى هذا يضيع ثعلب في أحشـاء الكتاب الضخم)[١١] وقولـه عن أحمد أميـن: (ومكانـة أحمد أمين في النشر لا غبار عليها، أما في التحقيق فعليها غبار (كثيف)[١٢].

خامسًـا: التواضع والأمـانة: في معظم مـا نشره الطـاهر نجده يتكلـم بضمير الغـائب، كأن يقـول: (قـال صـاحبُ المقـالـة)، أو (رأى الكـاتب) - أو (وَجَـدَ البـاحثُ)... ويقصد بـذالك نفسه، تـواضعًـا وتسامحًـا، وهو أسلـوبٌ عُرِفَ بـه وشُهِر، وإذا ما أخَذَ رأيًا أو معلومةً من أي شخـص كان، وإنْ كان طالبًا عنده، ذَكَرَ اسمَهُ أو كتابَهُ. أمانةً وتواضعًا، وتلك أخلاقُ العلماء.

وبعد، فَلَمْ يَنْسَ الطّاهر - وَقَـدْ بيَّنَ أخطاءَ عُلمـاء مشهورين كمحمـد زغلول سلاّم وبـدوي طبانة وأحمد الحـوفي وحسن كامل الصَّيرفي ومحمـد أبو الفضل ومحمَّد محيي الـدين عبدالحميد ومحمود حسـن أبو ناجي - أنْ يمتدح أعـلامًا

خدموا التحقيق خدمةً كبيرةً، وأدوا الأمانة، كالمرحوم مصطفى جواد، إذْ قال عنه: (عالم كبير مخلص جداً في تحقيقه، ولكن الفرص لم تواته، ولو كان في مصر لكان له شأن آخر)[١٣].

ورأى أنه أعلم من ابن الصابوني صاحب «تكملة إكمال الأكمال»، وانّ تحقيقه لذالك الكتاب أهم من الكتاب نفسه[١٤] وأدرى في تعقيباته واستدراكاته، إضافة إلى الأعلام الآخرين كعبدالسلام هارون ود. صالح الأشتر والشيخ حمد الجاسر... وغيرهم، في تعليقاته على تحقيقاتهم التي نشروها.

أخلص إلى القول: إن الطاهرَ أضافَ عدَّةَ لبنات مُهِمَّة إلى قواعد وأُصُول علم تحقيق المخطوطات تنظيراً وتطبيقاً، وسَار علىّ خُطًا مَنْ سبقه من جهابذة المحققين، وأفذاذ المستدركين، وتُؤْخذ آراؤه بالجدة والاهتمام، لما فيها من أصالةٍ ورَوِيّة وعلم. رحمه الله رحمةً واسعة.

والحمد لله رب العالمين[*]

بغداد: عباس هاني الچراخ

الحواشي:

(١) «فوات المحققين» ١٥٤ (بغداد، ١٩٩٠م).

(٢) «تحقيقات وتعليقات» ٣٧٩ - ٣٨٠ (بيروت، ١٩٩٠م).

(٣) مجلة «المورد» ٥٢ - ٥٤ (بغداد، ١: ١٩٩٣)، وأعاده في كتابه: «محمد بن سلاّم وكتابه «طبقات الشعراء»، (عمان، ١٩٩٥م).

(٤) «جيم وسين» ٢١٧ (بغداد ١٩٩٧م).

(٥) «محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء» ١٨٤.

(٦) «فوات المحققين» ٢٩٨.

(٧) مجلة «المورد» (٣ : ١٩٧٩م). وأعاده في كتابه: «محمد بن سلاّم».

(٨) «أساتذتي ومقالات أخرى» ١٨١ (بغداد، ١٩٨٧م).

(٩) مجلة «الفيصل»، ٥٥ - ٥٦ (العدد ٩٦، السنة ٨، ١٩٨٥م).

(١٠) «فوات المحققين» ٧.

(١١) «فوات المحققين» ١٤٨.

(١٢) «فوات المحققين» ٢٩٦.

(١٣) رسالة من الطاهر إلى كاتب البحث في ٢٠/ ٢/ ١٩٩٤م.

(١٤) «مقالات» ١١٦ (بغداد، ١٩٦٢م).

(*) ألقي مختصر هذا المقال في الندوة التكريمية للدكتورعلي جواد الطاهر في مدينة الحلة - بابل، في ٢/ ١١/ ١٩٩٤م، بحضوره - رحمه الله -.

الشيخ محمد الحافظ(*)

(١٣٣٥/١٤١٨)

[حين قدمت المدينة المنورة يوم الخميس ٢١/ ٣/ ١٣٩٠هـ/ ٧/ ٥/ ١٩٧٠)، أقمت فيها ذالك اليوم، وفي يوم الجمعة قمت بزيارة الأستاذ الأخ الشيخ محمد الحافظ أحمد علماء المدينة وأدبائها وقضاتها، وكان يسكن دارة جميلة مطلة على العقيق، في أطراف منازل آل الزبير المشهورة هناك وبقرب بئر عروة المشهورة التي يقول فيها السري بن عبدالرحمن الأنصاري:

كَفِّنُوني إن مت في دِرْعِ أَرْوَى ... واغسلوني من بئر عروة ماء

سخنة في الشتاء، باردة في الصـ ... ـيف، سراج في الليلة الظلماء

ويقول فيها الزبير ابن بكار عالم قريش: (كان من يخرج من مكة وغيرها إذا مر بالعقيق تزود من ماء بئر عروة وكانوا يهدونه إلى أهاليهم، ويشربونه في منازلهم، قال الزبير: ورأيت أبي يأمر به فيغلىَ، ثم يجعله في القوارير، ويهدونه إلى الرشيد وهو بالرقة)(١).

ومع أن هذه هي المرة الأولى التي أجتمع فيه بالأستاذ الحافظ إلا أنني وجدت من سجاحة خلقه، وطيب نفسه، وسماحته وكرمه، مالم أجده في كثير من إخواني الذين طالت صحبتي لهم، وكنت زرته أنا وأخي الأستاذ محمد المنصور التركي، الذي أوضح لي ضرورة الحصول على كتاب لأمير (بدر) لكي يسهل لي طريق الوصول إلى (الجار)، وقد أيد الأستاذ الحافظ هذا الرأي، ووعدني بأن يتصل بوكيل أمير المدينة لهذه الغاية، وعرض علي القيام بزيارة عالم المدينة وأديبها وشاعرها الأستاذ السيد عبيد المدني (١٣٢٤/ ١٣٩٦هـ) فقمنا معًا بتلك الزيارة بعد المغرب، فوجدنا من لطفه وسعة علمه ماكنا نتوقع، بل فوق ذالك، واجتمعت بأخيه الأستاذ الكريم السيد أمين المدني (١٣٢٨/ ١٤٠٤هـ) من مشاهير أدباء المدينة، وكتابها، ومؤلف كتاب «العرب

في أحقاب التاريخ» الذي صدر جزؤه الأول عن «التاريخ العربي وبدايته» سنة ١٣٨٥هـ، وجرت أحاديث شيِّقة حول تاريخ المدينة، وأيد السيد عبيد المدني القول بأن البريكة هي الجار قديمًا، كما أيد ذالك الأستاذ الحافظ الذي زار المكان، ولفت نظري الأستاذ السيد عبيد - رحم الله الجميع - إلى أن الجار كان معروفًا، وكان ميناء للمدينة إلى قرب منتصف القرن الخامس الهجري، كما جاء في كتاب «سفر نامة»(٢) لناصر خسرو.

وفي الساعة الثالثة من صباح السبت مررت بالأستاذ الحافظ في المحكمة، فرأى أن أرافقه للسلام على الأمير أو وكيله، ولكي نطلب كتابًا لأمير (بدر)، فكان ذالك، ووجدت من لطف وكيل الإمارة الأستاذ سعد الناصر السديري ما لا أنساه، وكتب لأمير (بدر) كتابًا أمره بأن يسهل لي مهمتي، وأن يقدم لي كل مساعدة أطلبها.

ولقد كانت إقامتي في طيبة الطيبة على قصرها ذات فائدة كبيرة حقًّا، فقد استفدت من الأستاذ الحافظ أشياء كثيرة، فكان مما سجلت من إفاداته:

١- وادي نقمَى الوارد في خبر غزوة الأحزاب أن غطفان خيمت فيه، لا يزال معروفًا، ولكن البدو يسمونه النقمي، بكسر الميم لا بفتحها كما جاء في بعض الكتب القديمة وهم يعرفونه، وهو واد يقع شمال مطار المدينة بعد أن يسير المرء في طريق خيبر، ويقطع منه ما يقارب ٢٠ كيلاً، فإنه يجزع الوادي الممتد من الشمال إلى الغرب خلف أحد، بما يقارب ٣ أميال، وهذا الوادي يصب في الغابة، وبقرب مصبه فقر عينين تدعى أحدهما عين الزبير، والأخرى عين مهلهل، وفي هذا الوادي بطرفه من جهة الغابة بستان لوكيل أمير المدينة الأستاذ سعد الناصر السديري.

٢- بئر السائب الواردة في المؤلفات المتعلقة بالمدينة تعرف الآن باسم بئر السايبية بجوار جبل شباع، قرب وادي الشقرة.

٣- خَلْص جبل أحمر كبير متصل بورقان من جهة القبلة يفصل بينهما ثنيَّتان: ثنية ركوبة، وثنية الغاير، وسيل هذا الجبل يتجه مع وادي ملحة، ووادي صَوَرَى- بفتح الصاد والواو والراء - وهذا من أكبر روافد العقيق ويصب في النقيع

وسكانه الآن بطن من قبيلة عوف من حرب يدعون التراجمة، وكان قديمًا لبني حسين الذين دخلوا في عوف.

٤- ويطلق اسم خلص أيضًا على جبل كان فيه محطة في المنصرف (المعروف الآن باسم المسيجيد) يصب في وادي الجيّ الذي يفضي إلى وادي الصفراء، وسكان خلص هذا المحاميد من بني سالم من حرب.

٥- حَوْرَة واد لا يزال معروفًا، ولكنه يسمى الآن حارة، على طريقة إبدال أهل البادية الواو ألفًا، وبجواره واد يسمى حويرة، وهما بجهة الجفر، ويمتد طريق حورة من الفريش (فرش ملل قديمًا).

وقدر لي بعد ذالك زيارة طيبة الطيبة مرتين على عجل، لم أتمكن خلالهما من أداء الواجب عليّ بزيارة الشيخ الحافظ، حتى فوجئت بخبر وفاته منذ فترة، إلا أنني لم أعلم به إلا منذ عهد قريب، حين طلبت من بعض الإخوة كتابة ترجمة لحياته، فكان ان استجاب لتحقيق رغبتي الأخ الأستاذ فايز بن موسى الحربي فكتب ما يلي]:

● هو الشيخ محمد الحافظ بن موسى حَمِيد، ولد في بلدة رابغ عام ١٣٣٥هـ، ونشأ بها في بيت والده الذي كان يجمع بين العلم والتجارة، وكان محمد هو الابن الوحيد لوالده.

● تلقى تعليمه الأول في المسجد النبوي الشريف حيث أتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنين على يد الشيخ حسن تاج، ثم درس التجويد وعلومه، والتحق بمدرسة العلوم الشرعية في القسم التحضيري ثم التحق بالمرحلة العالية حيث درس فيها أربع سنوات مختلف العلوم الشرعية والعربية، وبرع في النحو والصرف والبلاغة والأدب والتفسير وأصول الفقه وعلم الفرائض.

● حصل على شهادة مدرسة العلوم الشرعية سنة ١٣٥٤هـ بتفوق لفت نظر أساتذته واختير مدرسًا بنفس المدرسة، كما اشتغل بالتدريس في المسجد النبوي.

● في عام ١٣٧٤هـ انتقل إلى القضاء بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة، وتدرج في مناصب القضاء حتى وصل إلى درجة قاضي تمييز إلى أن أحيل على التقاعد في ١٤٠٢هـ.

● أسهم الشيخ رحمه الله تعالى في الحركة الأدبية بالمدينة المنورة حيث ساهم في تأسيس ناد أدبي كان يقام بمنزل أحمد كردي بجوار مسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما أسهم في تأسيس نادي المحاضرات الذي كان يعقد بالمدرسة الأميرية (المدرسة الناصرية)، كما كان له اسهامات في (أسرة الوادي المبارك الأدبية) التي تحولت فيما بعد إلى (نادي المدينة المنورة الأدبي).

● بالإضافة إلى تبحره في العلوم الشرعية والعربية يُعَدُّ الشيخ محمد الحافظ مرجعًا في التاريخ الإسلامي القديم والمعاصر، وله حافظة قوية، وله اهتمامات كبيرة في تاريخ المدينة المنورة ومنطقة رابغ على وجه الخصوص.

● من أبرز مشايخه:

- الشيخ تاج الدين حسن، الشيخ الطيب الأنصاري، الشيخ محمد عبدالله التنبكتي، السيد أحمد الفيض أبادي وغيرهم.

● من أشهر تلاميذه:

- الشيخ أبو بكر الجزائري، الشيخ حماد الأنصاري، الدكتور محمد العيد الخطراوي، الشيخ عمر محمد، الشيخ علي الشاعر، الشيخ محمد ثاني، الأستاذ عبدالعزيز الربيع، الأستاذ حمزة قاسم، الشاعر ماجد الحسيني (١٣٤٢/ ١٤١٨هـ)، الشاعر محمد الرميح، محمد هاشم رشيد، الفريق الطيب التونسي وغيرهم.

● توفي الشيخ محمد الحافظ - رحمه الله - يوم الجمعة الموافق ١٢/ ٤/ ١٤١٨هـ عن عمر يناهز الـ ٨٣ سنة. وقد رثاه كثير من محبيه من العلماء والأدباء والشعراء، وقد ترك من الأبناء ثلاثة هم: موسى ومصعب وسفيان. كما ترك مكتبة كبيرة تزخر بأمهات الكتب والكثير من المخطوطات، كما يقول ابنه موسى.

● كـان مثـالاً للتـواضع والخلق الكـريم، وحب الإصـلاح بين النـاس، والإخلاص في عمله، فضلاً عما كان يتميز به من غزارة علمه، وسعة اطلاعه في العلوم الشرعية والعربية والأدب والتاريخ.

● من أبرز أعماله التي اطلعت عليها ولم يـذكرها كل من كتب عنه حتى الآن فيمـا أعلم - عملـه الـرائد في تصنيف وتسجيـل سجـلات الضبط القـديمـة في المحكمة الشرعيـة الكبرى بالمدينة المنورة، وإعـداد دفتر السجل العام لتصنيف محتويات السجلات، ولايزال أثره ذالك باقيًـا ومدونًا في مقدمة كل سجل، وهو عمل جبـار لا شك أنـه استغرق الكثيـر من الـوقت والجهـد، ليغطي ذالك الكم الهائل من الوثائق والسجلات الشرعية التي تمتد من سنة ٩٦٣هـ إلى ١٣٦٨هـ. وقد زرتـه رحمه الله عدة مـرات بعدأن تقاعـد من العمل، واستقر في بستـانه في (عروة) بين المدينـة وآبار علي، وقد وجدت أنه يحفظ الكثيـر من تاريخ الحجاز عمومًا وتاريخ بلـدة رابغ بشكل خاص، ولحسن الحظ فقد قمت بتسجيل بعض أحاديثه التاريخية أثناء زيارتي الأخيرة له عام ١٤١٣هـ(٣).

الرياض: فائز بن موسى الحربي

الحواشي:

(١) «المغانم المطابة» ص ٤٣ و ٤٤.

(٢) ص ١١٠ - الطبعة الثانية (الترجمة العربية).

* ترجمته رحمه الله في كتاب «مـدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنـورة، والموقع التاريخي الرائد» تأليف: د. محمد العيد الخطراوي ص ص ٥٩٤ - ٥٩٦، و «مدرسة طيبة الثانوية في ٥٠ عامًا» تأليف وإعداد محمد صالح البليهشي ص ص ص٥٩٣ - ٥٩٤.

(٣) نشرة جريـدة «المدينة» استطلاعًا مـوسعًا في عددها ١٢٥٤٩ الصادر يـوم السبت ٢٠/ ٤/ ١٤١٩هـ، كما أفردت لـه جريـدة «المسلمون» صفحـة كاملة في عـددها ٦٥٦ الصـادر يوم الجمعـة ٢٦/ ٤/ ١٤١٨هـ، ومقال بقلم موسى محمد الحافظ، مجلـة «إقرأ» العدد (١١١٤) في ١١/ ٨/ ١٤١٨هـ (ص ٣٧). انظر ما نشـر في كل من «عكاظ»: العـدد (١١٣٢٨) الصادر يـوم الجمعة ١٩/ ٤/ ١٤١٨هـ (ص ٧) و «ملحق الأربعاء» بجريدة «المدينة» الصادر يوم الأربعاء ٢٤/ ٤/ ١٤١٨هـ ومقال الدكتور عاصم حمدان، ومقال على ثـلاث حلقات لـلأستاذ عبـدالفتاح أبـومـدين في جريـدة «البلاد» الأعـداد (١٥٠٣٩)، (١٥٠٤٦)، (١٥٠٥٨)، السنة (٦٨).

الجعفريون: فروعهم ونبذة من أخبارهم

الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب المعروف بالطيار - رضي الله عنه - أشهر من أن يعرف به، وسيرته مبسوطة في كتب السيرة والتاريخ، وكذالك أبناؤه، وخصوصًا عبدالله الجواد المشهور. وقد فصل ذريته عدد من النسابين منهم الإمام أبو محمد بن حزم في كتابه «جمهرة أنساب العرب»، وابن عِنَبة في كتابه «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب» وغيرهم.

وقد كان لعبدالله بن جعفر عشرون ابنًا وقيل أربعة وعشرون، وممن اشتهر من ذرية جعفر الطيار علي بن عبدالله بن جعفر ويعرف بالزينبي، لأن أمه هي زينب بنت علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء، وأخته الشقيقة أم كلثوم بنت عبدالله ابن جعفر، تزوجها الحجاج بن يوسف، فأمره عبدالملك بن مروان بطلاقها فطلقها. وكان علي الزينبي هذا شريفًا كريمًا من ذوي الأقدار وفيه يقول مساحق ابن عبدالرحمن:

أبا حسن إني رأيتك واصلاً لهَلْكَى قريشٍ حين غُيِّرَ حَالُها
سَعَيْتَ لهم سَعْيَ الكريم ابن جعفر أبيكَ، وهل من غاية لا تنالها؟

قال ابن عِنَبَة:[1] والعقب من علي الزينبي أحَد أرْحَاء آل أبي طالب الثلاث - واحدتها رَحًى -: بنو موسى الجون بن عبدالله المَحضَ بن المحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، و (الثانية) بنو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، و (الثالثة) بنو جعفر السيد بن إبراهيم الأعرابي بن محمد الأريس (الرئيس) بن علي الزينبي هذا. وعقبه من رجلين محمد الرئيس، وإسحاق الأشرف، وأمهما لبابة بنت عبدالله بن العباس. ومن ولد محمد الرئيس؛ إبراهيم الأعرابي كان من أجلاء بني هاشم وأمه امرأة من قريش، وفيه يقول أبو محمد عبدالله المحض بن الحسن بن علي بن أبي طالب يرثيه:

لا أرى في النـاس شخصًا واحـدًا   مثل مَيْت مـات في دار الجمـل
يشتـري المجـدَ ربيحًـا والعُـلا   وإذا مـا حُمِّل الثقلَ حمـل
مـوتُ إبـراهيم جَـدِّي هَـدَّني   وأشـاب الـرأس مني واشتعل

وكذالك اشتهر منهم معاوية بن عبدالله بن جعفر، وكان وَصِيَّ أبيه، واشتهر ابنه عبدالله بن معاوية الشـاعر الفارس، وقد تكلم فيه أناس كـابن حزم والأصبهاني - من حيث روايته للحـديث - لكن قال عنـه الذهبي: (عبدالله بن معـاوية روى عن أبيه، وعنه أخوه صـالح وجويرية بن أسماء، وكان جوادًا ممدَّحًـا وشاعرًا من أبناء الدنيـا... وكان فصيحًا مُفَـوَّهًا وشجاعًـا جريئًا) انتهى «تـاريخ الإسلام» ٥/ ٩٧، وكان قـد ظهر سنة ١٢٥هـ وفي أيام مروان بن محمد ودعـا لنفسه وبايعـه الناس وعظم أمـره واتسعت مقدرتـه وملك (الجبل) بأسـره وكان أبـو جعفر المنصـور العباسي عـامله على (ابذج) وبقي على حـاله إلى سنة تسع وعشـرين ومئة فأوقع عليه أبـو مسلم المروزي الحيل حتى أخذه وحبسـه في (هراة) ولم يزل محبـوسًا حتى تـوفي سنـة ١٨٣هـ (هكـذا والأرجح ١٣٨هـ). وقد جمـع شعره الأستـاذ عبدالحميد راضي. ومن شعره المشهور قوله:

لسنـا وإن أحسـابنـا كـرمت   يـومًـا على الأحسـاب نتكل
نبني كمـا كـانت أوائلنـا   تبني ونفعـل مثلمـا فعلـوا[٢]

وأخـوه الحسن بن معاويـة، ولي مكـة لمحمد بن عبـدالله بن الحسن الملقب بالنفس الـزكية أيـام قيامه بـالمدينـة على أبي جعفر المنصور. ومنهـم القاسم بن اسحاق العُرَيْضي - نسبـة إلى العُرَيض موضع بقـرب المدينة[٣] - بن عبدالله بن جعفر، كان أميرًا باليمن لمحمد النفس الزكية أيضًا. ومن ولده أبو هاشم داود بن القاسم، قال المسعـودي وابن حزم: بينه وبين جعفر الطيار ثلاثـة آباء ولـم يعرف في ذالك الوقت أقعـدَ نسبًا (أي أقل في عدد الآبـاء إلى الجد الأعلى) في آل أبي طالب وسائر بني هاشم وقـريش منه، إذ أدرك أيام المستعين، وكان ذا زهد وورع

ونسك وعلم، صحيح العقل، سليم الحواس، منتصب القامة، وقد دخل بلاد المغرب وأقام بها مع إدريس بن عبدالله الكامل وابنه إدريس بن إدريس ثم عاد إلى المشرق.

وكانت للجعفريين في عهد بني العباس إمارة المدينة المنورة طيلة القرن الثالث الهجري وكذالك نواحيها في خيبر والجحفة (قرب رابغ) وفي وادي القرى (العلا) ونواحيها وفي بلاد جهينة حيث تقع بلدة (المَرْوة)[٤] وفي وَدَّان (قرب مستورة) وفي ميناء الجار الذي كان ميناء المدينة في تلك الأيام (ويعرف الآن بالرايس). وقد كانت الفترة التي تولى فيها الجعفريون المدينة فترة غامضة، حتى التبس الأمر على كثير ممن قام بالتاريخ لها، فلم يوردوا أي ذكر لهم، أو اعتبروهم علويين، كما فعل أحدهم[٥]، حين جعل الصراع الذي دار بين الجعفريين من جهة والحسنيين والحسينيين من جهة أخرى صراعًا بين العلويين أنفسهم أي بين الحسنيين، والحسينيين، رغم وضوح المرجع الذي نقل منه بما لا يحتمل التأويل. وذالك ما دعا الشيخ حمد الجاسر أن يتصدى لإلقاء الضوء على تلك الفترة الغامضة في سلسلة من المقالات («المجلة العربية»: صفر - ذي الحجة ١٤١٥هـ) رغم قلة المصادر التي تبحث فيها بالتفصيل الكافي.

قال ابن حزم: (ومنهم: موسى وإسحاق ويعقوب، وسليمان وإدريس وأحمد والعباس وعبدالصمد، وحمزة وجعفر والقاسم والحسين بنو محمد بن يوسف ابن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. ثم قال: ولي منهم إسحاق وسليمان وجعفر والقاسم المدينة وكانت بينهم وبين بني الحسن بن علي حروب عظيمة ودماء) انتهى. وقال ابن عنبة: (العقب من جعفر السيد بن إبراهيم الأعرابي، وهو أبو الأمراء في ولديه أَبي علي محمد، وفيه العدد، وإبراهيم وكانا أميرين جليلين. فمن ولد أبي علي محمد بن يوسف: المحمديون بالحجاز وغيرها، وأبو عبدالله محمد بن محمد صاحب (المروة) وأبو عبدالله جعفر بن محمد بن يوسف صاحب (خيبر)، وإسحاق بن محمد بن

يوسف أمير المدينة، وهو الذي بنى سورها، ووقعت بينه وبين بني علي الفتنة العظيمة. وله بقية بوادي القرى، منهم محمد المدعو ضمرة بن الحسن بن إسحاق بن محمد بن يوسف. ومن ولد الأمير أبي علي محمد بن يوسف الأمير عبدالله بن الأمير إدريس بن الأمير إسحاق بن الأمير أحمد بن الأمير سليمان بن إسماعيل بن محمد بن يوسف. قال العمري: ولده أمراء وادي القرى إلى يومنا. ومنهم مفرح بن إسحاق بن أحمد بن سليمان بن محمد بن يوسف له عدة أولاد وبقية بالحجاز، وكذا لأخويه الحسن وعلي الأعرج أمير (خيبر)، وأخوه أحمد ابن إسحاق أمير (خيبر) أبو أمراء خيبر) انتهى. وإسحاق بن محمد هذا الذي كان أول من بنى سور المدينة كما تقدم قد تصحف في «الروض المعطار في أخبار الأقطار» للحِميْري إلى إسحاق بن محمد الجعدي[٦] بدل الجعفري ثم نقل عنه جل من جاء بعده هذا التصحيف. ونقل ياقوت في «معجم البلدان» في رسم (ودَّان) عن أبي زيد البلخي قوله: (وودان هذه من الجحفة على مرحلة وبينها وبين الأبواء - التي هي طريق الحجاج في غربيها - ستة أميال وبها كان في أيام مقامي بها رئيس الجعفريين، أعني أولاد جعفر بن أبي طالب، ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة، وعشيرة وأتباع وبينهم وبين الحسنيين حروب ودماء، حتى استولت طائفة من اليمن يعرفون ببني حرب على ضياعهم فصاروا حربًا لهم فضعفوا) انتهى.

وبسبب الحروب التي كانت بين الجعفريين والحسينيين على المدينة جلا كثير من الجعفريين إلى صعيد مصر، وهم يعرفون هناك بالشرفاء الجعافرة، ويحترفون في غالب أحوالهم بالتجارة، كما يقول ابن خلدون. ويقول محمد مرتضى الزبيدي في كتابه المخطوط «الروض المعطار في نسب السادة آل جعفر الطيار»: (أما حسن أبو جميل، ويقال ان اسمه دحْيَة فهو جد الجمايلة بالصعيد، فيهم كثرة، وأكثرهم بإسنا وقنا وشرذمة منهم بأسيوط وقد رأيت منهم جماعة كثيرة بفرشوط وأسيوط، ومنهم السيد عبدالرحيم نقيب السادة بقنا الآن) انتهى.

وفي «البيـان والإعراب» للمقريـزي ص ٣٨: (ومن أولاد الأمير الكبيـر نجم الـدين على بن الأميـر فخر الـدين إسمـاعيل... الأمير حصن الـدين ثعلب أميـر الجعافرة، ورئيس القوم الذي أنف من سلطنة المماليك الأتراك، وثار في سلطنة الملك المعز أيبك التركمـاني، وكاتب الملك الناصر يوسف بن العـزيز صاحب دمشق، وجمع عربـان مصر فخرجت إليـه الأتراك وحاربـوه فقبض عليه وسجن بالاسكندرية حتى شنقه الظاهر بيبرس) انتهى.

والظاهر أنه لا يزال في صعيد مصر كثير من الجعافرة وان تداخلت أنسابهم مع جعافرة آخرين (بني جعفر الصادق) لقـرب النسب، وتشابه الاسم، وتجاور الديار (انظر تعليـق د. عبدالمجيد عـابدين محقـق «البيان والإعراب» هـامش ص ٣٥). وللأستاذ أحمد لطفي السيد كتاب عن «قبائل العرب في مصر» جعل الجزء الأول منه تحت عنـوان «العقيلات والجعافـرة وقبائل أخـرى» وخصص الصفحات من ٦٦ - ٧٥ للحديث عن الجعافرة، وصحح ما وقع فيه صاحب «صبح الأعشى» من اعتبار الجعافرة هاؤلاء ينتمون إلى جعفر الصادق وقال ص ٧١: (والصواب رواية المقريزي من أن الشريف حصن الدولـة - كذا يقصد حصن الدين - كان عميد آل الطيار في مصر) انتهى. ومثل هذا أو قريب منـه حصل لآل جعفر بالعراق فقد جاء في «القبائل العـراقية» ليونس السامـرائي (٢/ ٤٢٣، ٤٣٢، ٤٠٠) أن آل الطيار في آلوس وبغـداد والموصل هم سادة حسنيـون، لكنه قال عن آل عبـدالجليل ما يلي: (بيكات (الحلة) من سـلالة أمراء آل الرَّشيد في حـائل، ويرتقي نسبهم إلى جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه وكبيـرهـم حَالَيًا السيد عمر مـوفق. ومنهم بالموصل آل عكاب (عقاب) العجل وكبيرهـم حاليًا الشيخ ماجد عكاب العجل) انتهى.

أما في الســودان فلا تـزال جماعـة تنتسب إلى جعفر بن أبي طـالب تعيش في بلدة يقال لها (الدويم) بالنيل الأبيض.

ثم انتقلت طـائفـة من هـؤلاء الجعافـرة إلى بـلاد المغـرب في أواسط المئـة الخامسة مع بني هلال وبني سُلَيم، ويعـرف هاؤلاء الجعافرة ببني مَعْقل، قال ابن

خلـدون: (كان دخـول بني معقل المغرب مع الهـلاليين في عدد قليل لم يبلغـوا المئتين، واعتـرضتهم بنـو سليم فأعجـزوهم، وتحيـزوا إلى الهلاليين منـذ عهـد قديم، ونـزلوا بآخـر مواطنهم مما يلي (ملويـة) ورمال (تافليـلات) انتهى. وذكر منهم الثعـالبة والشبـانـات وبني حسان. منهم الشيخ محمـد بن نـاصر الـدَّرْعِي صاحب الـرحلة المشهـورة، وقد ألف حفيـده الشيخ أحمد بن خـالد النـاصري صـاحب كتاب «الاستقصـا لأخبار دول المغـرب الأقصى» كتابًـا أسماه «طلعـة المشتري في النسب الجعفري» طبع في المغرب. وقـد فند فيه أقوال ابن خلدون في رد أنسابهم، وفي أنهم يعودون إلى مَذْحِـجَ وبني هلال، لأنهم على قوله أهل بادية وانتجاع، بينما الهاشميون ليســوا كذالك بل أهل إقامة وحضر. ومن الثعالبة الإمام أبـو زيد عبـدالرحمن الثعـالبي، مؤلف «شـرح ابن الحاجـب» وغيره (ت ٨٧٥هـ)، (انظر «تاريخ الجـزائر العام» ج ٢ ص ٢٧٢)، ومنهـم الشيخ أبو مهدي عيسى بن محمد الثعـالبي نزيل مكـة المكرمـة، وقد أخذ عنـه كثيرون بـالحجاز وبلاد المغـرب وعرَّفَ به أبو سـالم العياشي في رحلته حيث لقيه عـام ١٠٧٢هـ (السابق[٧]: ٣/ ١٦٩) ومنهم عبدالعـزيز الثعالبي أحد رواد النهضـة والكفاح في تونس والوطن العربي وللأستاذ أنور الجنـدي كاتب عنه هو «عبدالعزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية».

وقد نزل طائفة من الجعافرة في (وادي القرى) وعلى رأسهم سعد بن نعمة بن سرور، من ذريـة جعفر السيد بن إبـراهيم الأعرابي إلى (السويط) بـالشام، ثم في أوائل المئة الخامسة نزلوا إلى مصر، وإليهم نسبت قـرية الجعفرية بالغربية، ولهم أعقاب إلى الآن بـالشام، ومنهم علمـاء وقضاة بنابلس والقـدس، هذا مـا جاء في «الروض المعطار» للزبيدي. قد ترجم لمشاهيرهم السخاوي في «الضوء اللامع» وابن العماد الحنبلي فـي «الشذرات». ومنهم عبدالغني بن عبـدالواحـد بن سرور بن رافع المقدسي الإمام الحافظ المشهور صـاحب التصانيف ترجمته في «تاريخ الإسلام» للذهبي ولـد سنة ٥٤١ في (جَمَّاعيل) إحدى قرى نـابلس وتوفي بمصر

عام ٦٠٠ هـ ـ وهم على ما أورد الدباغ في كتاب «بلادنا فلسطين» يعرفون الآن بآل النقيب والحنبلي وهاشم، كان منهم إبراهيم باشا هاشم (١٨٨٦ - ١٩٥٨م) قانوني من العلماء تولى مناصب قضائية في بيروت ويافا، بعد الحرب العالمية الأولى عين رئيسًا لمحكمة الجنايات بدمشق، وترأس وزارة الأردن عدة مرات («الأعلام» للزركلي ج ١ ص ٧٣). وفي الأردن الآن عدد من البطون تنتسب إلى جعفر بن أبي طالب كالثوابتة والجعافرة (من الحباشنة) والنعيمات (انظر «تاريخ شرق الأردن وقبائلها» لفردريك بيك، ط: ١٩٣٤م: ص ٣٤٢ - ٣٤٧، ٣٥٩).

وفي «عمدة الطالب»: (وبنو الطيار بادية كثيرة حدثنا الشيخ تاج الدين أبو عبدالله محمد بن القاسم بن مُعَيَّة الحسني النسابة عن رجل منهم ورد (الحلة) أيام حكم الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى أمير طيء أنه قال: نحن بنو جعفر الطيار بادية مع آل مهنا، نحو أربعة آلاف فارس، نحفظ أنسابنا وننكح في أعراب طيء ولا ننكحهم لكن أكثرهم يجهلون أنسابهم ولا يعرفون اتصالهم، ويكتفون بأنهم من ولد جعفر الطيار يعرف بعضهم بعضًا، ويفرقون بينهم وبين من لا ينتمي إليهم) انتهى، وقال أبو محمد بن حزم: (وعقب عبدالله بن جعفر كثير بالجحفة وأعراضها).

ومن بني جعفر الطيار الطيايرة وهم منتشرون في الحجاز ونجد، منهم آل الطيار شيوخ قبيلة (ولد علي) من عنزة، ولهم شهرة في نجد وبادية الشام منذ القرن التاسع الهجري، ومن مشاهيرهم كنعان الطيار الشاعر والفارس المشهور، ومن أحفاده اللواء محمد بن سلطان الطيار، وقد أخرج عنهم - خاصة ولم يتعرض لغيرهم - مؤخرًا الأخ عبدالله بن عبَّار العنزي كتابًا سماه «موجز تاريخ أسرة الطيار وقبائل ولد علي». ومن أقربائهم آل الطيار مع قبائل عنزة في منطقة (تبوك) منهم الأستاذ فهد بن عائش الطيار، وهو موظف كبير في إدارة التعليم بمنطقة (تبوك) وأخوه الأستاذ محمد بن عائش الطيار مدير مكتب الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة، ومنهم الجعافرة في بلد الأحساء بالمنطقة الشرقية من المملكة، وهناك بالأحساء أيضًا جعافرة آخرون

ينتمون إلى جعفر الصادق، ومنهم آل الطيار بالمدينة منهم محمد صالح الطيار قائد القلعة العسكرية، والحاكم الفعلي للمدينة في حوالي سنة ١١٧٧هـ (عارف عبدالغني: «أمراء المدينة المنورة» ص ٣٨٧) قتله أحمد شاهين باشا بالسُّمِّ سنة ١١٨١هـ «تحفة المحبين» للأنصاري: ص ٣٣٨) كما كان منهم أحمد الطيار أحد وجهاء المدينة، الذي قابل مع حسن الألفي الأمير سعود بن عبدالعزيز - الأول - عام ١٢٢٠هـ واتفقا معه على فتح المدينة لاستقبال رسل سعود («أمراء المدينة»: ص ٤٠٠). وآل الطيار بالزلفي وغيرها منهم الدكتور عبدالله بن محمد الطيار وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سابقًا.. ومنهم الطَّيَّرةُ بـ (خليص) واحدهم طيَّاري. وأخيراً منهم آل الطيار في وادي فاطمة، وانتقل جلهم إلى مكة المكرمة، منهم كاتب هذه السطور.

هذا ما استطعت تلخيصه مما وقع تحت يدي من مصادر فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان من خطإ فمن نفسي واستغفر الله من كل ذنب وأرجو ممن يجد خطأ - أو لديه معلومات أكثر حول هذا الموضوع أن يلتمس لي العذر بجهلي وليتفضل بالكتاب إليَّ.

جدة: وزارة البترول والثروة المعدنية: جعفر بن أحمد الطيار

الحواشي:

(١) في كتابه «عمدة الطالب» وهو مطبوع عدة مرات - «العرب» -.

(٢) يروى هذان البيتان للمتوكل الليثي ولغيره كما في «معجم الشعراء» للمرزباني ص ٣٣٩ تحقيق الأستاذ عبدالستار فراج - «العرب» -.

(٣) هو في الجهة الشامية الشرقية من المدينة وقد بلغه العمران الآن.

(٤) المروة من أشهر القرى المعروفة في العهد النبوي وقد درست وانظر عن تحديد موقعها كتاب «بلاد ينبع».

(٥) هو الدكتور عبدالباسط بدر في كتابه «التاريخ الشامل للمدينة المنورة».

(٦) ص ٤٠١ في الكلام على طيبة.

(٧) ورحلته المسماة «ماء الموائد» قد طبعت في جزءين وأعيد طبعها مصورة مع إلحاق فهارس لها وضعها الدكتور محمد حجي وهي من أنفس رحلات الحج وأغزرها فائدة. - «العرب» -.

أسرة العتيقي وبعض مشاهيرها

اطلعنا على مؤلف «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» للشيخ العلامة محمد ابن عبدالله بن حميد النجدي رحمه الله تعالى. ولما كان هذا المؤلف من أهم المراجع التي يعتمد عليها الباحثون والمهتمون بسير علمائنا الأفاضل فإنَّ من الواجب علينا أن نشير إلى بعض الملاحظات والتي نعتقد أنها من الممكن أن تسهم في التحقيق القيم الذي قام به الأستاذ المحقق الدكتور عبدالرحمن بن سليمان بن عثيمين.

أولاً: لقد ورد في الجزء الثاني تحت رقم ٢٦٩ من الصفحة ٤١٧ اسم الشيخ سيف بن أحمد العتيقي. والحقيقة إنه سيف بن حمد العتيقي وهو العالم الذي ولد في بلدة حرمة وتوفي في المبرز بالأحساء في عام ١١٨٩هـ عند زيارة ابنيه الشيخين محمد وصالح اللذين كانا برفقة معلمهما الشيخ محمد بن فيروز، ثم انتقل ابناه مع شيخهم محمد بن فيروز إلى بلدة الزبير. وقد سكنا الزبير فترة من الزمن ودرس الشيخ محمد بن سيف العتيقي في الزبير وسئل عن مسائل عديدة فأجاب عنها بأجوبة سديدة فانتفع بعلمه خلق كثير من تدريسه وفتاويه، وألف مؤلفات منها كتابه المسمى «نظم الجواهر في النهي والأوامر» وله منظومة في الآداب الشرعية مطلعها:

أرى المجد صعبًا غير سهل التناول   أبيًّا شديدًا معجزًا للمحاول

وهي منظومة طويلة. وقد استقرت عائلته في الكويت ثم حج وزار المسجد النبوي وطابت له الإقامة فيه بعد رحيل الحجاج وتوفي في المدينة المنورة في نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

وأما ابن الشيخ سيف بن حمد العتيقي الثاني وهو الشيخ صالح بن سيف بن حمد العتيقي فقد ولد في حرمة في سدير عام ١١٦٣هـ ودرس على والده الشيخ سيف وعلى الشيخ محمد بن فيروز وقد استقرت عائلته أيضًا في الكويت وقد

كان لحفيدته منيرة بنت عبدالرحمن بن صالح العتيقي وقفًا في الحرم الشريف في مكة المكرمة في زقاق الحمام حتى عهد قريب وقد أزيل بعد توسعة الحرم المكي والوقفية في شعب بني عامر عند بئر الحمام وشهد على الوقفية أحمد بن محمد بن أحمد العامودي وصالح بن أحمد بن صالح باقبيس الحضرمي سنة ١٢٧٧هـ وقد أوقفت ناظرًا على الوقف بعد وفاتها عبدها أمان الحبشي، ومن بعد ذرية ابن أختها محمد بن عبدالله بن سيف بن حمد العتيقي والذي له مسجدًا مشهورًا بسوق الكويت في محلة المطران، والذي يعد من المساجد الأثرية في الكويت وقد تكرمت الحكومة السعودية بإعطاء بديل عن الوقف أرضًا في منطقة العزيزية في مكة المكرمة. علمًا بأن ورثيها المسؤول عن الوقف هو الدكتور صلاح بن عبداللطيف بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سيف بن حمد العتيقي وهو أمين عام بعثة الحج الكويتية لعدة سنوات وحتى هذه السنة وكذالك رئيس جمعية الأطباء الكويتية.

ثانيًا: رقم ٢٧٠ في الصفحة ٤١٨ ورد اسم سيف بن محمد بن أحمد العتيقي واسمه الحقيقي هو سيف بن محمد بن حمد العتيقي وهو ابن شقيق الشيخ سيف ابن حمد العتيقي وقد استدرك هذه الأخطاء الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله التويجري في كتابه «الإفادات عن مافي تراجم علماء نجد لابن البسام».

ثالثًا: ورد في الهامش بصفحة ٤١٧ نقلاً عن الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم العتيقي والصحيح هو الشيخ إبراهيم بن محمد بن سليمان العتيقي المتوفى سنة ١٣١٥هـ وقد تولى القضاء في المجمعة وعن مقاطعة سدير حتى وفاته، وقد بقي بعض أحفاده في المجمعة وغادر بعضها الآخر إلى الكويت للالتحاق بأبناء عمومتهم الذين سكنوها منذ فترة طويلة.

علمًا بأن آل العتيقي لم تنقطع صلتهم بالعلم والتعليم حتى وقتنا هذا فقد تخرج على أيديهم كثير من العلماء في الكويت فمنهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ عبدالله الفارس (من أهل روضة سدير) والذي أخذ علمه عن يد

الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن سيف العتيقي في الكويت وأصبح الشيخ عبدالله الفارس من علماء الكويت المشهورين.

وقد برز عدد من آل العتيقي في مجال العلم منهم الشيخ عبدالعزيز بن محمد ابن عبدالعزيز بن محمد بن سليمان العتيقي وهو أيضًا حفيد الشيخ إبراهيم بن محمد العتيقي السابق ذكره من جهة الأم.

فقد قام الشيخ عبدالعزيز بفتح مدرسة في المجمعة وقد كان من تلامذته الشيخ عثمان الصالح. ثم افتتح مدرسة أهلية في البحرين وقد كان عضواً في لجنة تسليم جدة بعد فتحها على يد المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه واستلامها من الشريف علي بن الحسين وتنفيذ اتفاقية التسليم سنة ١٣٤٤هـ، ثم عمل مساعداً للأمير فيصل بن عبدالعزيز حاكم مكة المكرمة والحجاز في ذالك الوقت ونائبًا له، كما كان عضواً في مجلس الشورى للهيئة التأسيسية لتنظيم أسس حكم الحجاز التي أسسها الملك عبدالعزيز في ذلك الوقت.

ثم عاد إلى الكويت ليتفرغ للتعليم وقد كرمته الدولة بتسمية مدرسة على اسمه (مدرسة عبدالعزيز العتيقي) بمنطقة الصليبيخات بالكويت.

ولا يزال لأسرة العتيقي في الكويت نشاط ملموس في عمل الخير وبناء المساجد وفي خارجها لا يمكن حصرها في هذه العجالة وهم يبغون في ذالك وجه الله ومرضاته، فمنهم الأستاذ عبدالله بن سليمان العتيقي أمين عام جمعية الإصلاح الاجتماعي.

وأريد أن أنوه في هذا المقام بأن آل العتيقي ترجع أصولهم إلى قبيلة جهينة فهم العتيقي من بني حميد من بني سنان من جهينة في الحجاز وحول مدينة ينبع. وقد دب خلاف بين أبناء العمومة مما جعل بعض العتيقي يلتحقون بمصاهرة ونسب مع الحوازم من بني سالم من قبيلة حرب في وادي الصفراء بالمدينة المنورة، وقد نزح من هاؤلاء والد الشيخ سيف بن حمد العتيقي إلى نجد وباقي أهله إلى الكويت بعد ذالك، ولدينا نسخة في الكويت لوثيقة موقعة من الشريف

عبدالله بن جبارة والشريف عبدالله بن عبدالمعين بتاريخ يوم ستة من شهر شعبان سنة ١٢٥٩هـ تؤكد بأن آل العتيقي من جهينة والذين هم من بني حميد من بني سنان من جهينة هم أبناء عمومة مع آل العتيقي الذين من رجال العمة من الحوازم من بني سالم من حرب.

وقد كان للعتيقي دور في تاريخ الكويت القديم والحديث فقد كان منهم عبدالله بن حمد بن عبدالمحسن العتيقي الذي كان مستشاراً وسكرتيراً خاصاً للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت عندما جاء الإمام عبدالرحمن الفيصل آل سعود مع ابنه الملك عبدالعزيز آل سعود رحمهما الله وأقاما في الكويت حتى خروج الملك عبدالعزيز متوجهًا إلى الرياض لتوحيد المملكة العربية السعودية.

ومنهم حفيد عبدالله بن حمد بن عبدالمحسن العتيقي وهو السيد عبدالرحمن ابن سالم بن عبدالله العتيقي وزير المالية والنفط سابقًا ومستشار حاكم الكويت حاليًا الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت.

ومنهم أيضًا الدكتور عماد بن محمد بن عبدالعزيز العتيقي حفيد الشيخ عبدالعزيز العتيقي الذي عمل عضواً في مجلس الشورى الذي أسسه الملك عبدالعزيز رحمه الله. والدكور عماد يعمل حاليًا أستاذًا وعميدًا لكلية الهندسة والبترول في جامعة الكويت. وغيرهم كثيرون وقد أردت في هذه الرسالة فقط توضيح مدى ارتباط آل العتيقي بالعلم والقضايا في منطقتنا في الجزيرة العربية وطننا الأم.

ملاحظة: ومن آل العتيقي راوية الحديث أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن منصور العتيقي البغدادي الجهني والذي قدم دمشق وسمع بها وروى عنه جماعة وحدث سنه سبع وثلاثين وأربع مئة وتوفى في بغداد في صفر سنة إحدى وأربعين وأربع مئة في يوم الثلاثاء الحادي عشر منه «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

هذا ما وددت بيانه.

الكويت: المهندس حمد بن عبدالله سالم العتيقي

«أنساب الأشراف» للبلاذري

(مطبوعة الأستاذ محمود فردوس العظم)

-٥-

٤٣٥- ص ٣٦١: (الضحاك بن عميرة) وهو: (الضحاك بن عمير).

٤٣٦- وفيها: (البراءة من أبي بكر وعمر) وهي: (البراءة من أبي بكر وعمر وعليّ سواء) وبهذا تتم الجملة.

٤٣٧- وفيها: (وأوصى أن يقوم على أرضه) وهي: (وأوصى أن يقوم في أرضه).

٤٣٨- وفيها (أبلج أشعر صمع شحمة أذنيه) وفي المخطوطة: (أبلج، شعره مع شحمة أذنيه).

٤٣٩- وفيها: (بملمول ممض) وهي: (بملمول مَضٌ) ولها وجه في اللغة، فالملمول المضُّ هو الملمول الحار أو المحرق، وفي هامش المخطوطة(ممض خ).

٤٤٠- ص ٣٦٢: (أمر النبي ﷺ وأبو بكر) وفي المخطوطة: (أمْرُ النبي ﷺ وأبي بكر).

٤٤١- ص ٣٦٣: (إن ملجم قال) وهي: (أن ملجمًا قال).

٤٤٢- ص ٣٦٤: (بالصالحات من الأعمال محصور) وفي المخطوطة: (بالصالحات من الأعمال محبور).

٤٤٣- ص ٣٦٥: (جريًّا إذا ما جاء) وهي: (جريئًا إذا ما جاء) وقد وضعت الهمزة فوق الألف وهي عادة الكاتب.

٤٤٤- وفيها: وفي آخر الصفحة بعد كلمة أمسك: (وقال مصقلة بن هبيرة:

قضى وطرًا منها عليٌّ فأصبحت   إمارته فينا أحاديث راكب)

وهذا البيت لم يرد في المطبوعة.

٤٤٥- ص ٣٦٧: (ماشيا والنجائب) وهي: (ماشيا وأنَّ النجائب).

٤٤٦- ص ٣٦٩: (فقال أكره) وهي: (فقال: إنِّي أكره).

٤٤٧- وفيها: (عن عبدالله بن مسلم الفهري): وهي: (عن عبدالله بن سَلْم الفهري).

٤٤٨- ص ٣٧٠: (يا أمير المؤمنين ما ذكر مكرمة) وهي: (يا أمير المؤمنين ما ذَكَرُوا مكرمة).

٤٩٩- ص ٣٧١: (إذا ما يريد الشر) وهي: (إذا ما بَرِيْدُ الشَّرِّ).

٤٥٠- وفيها: (الحسن ريحانة من الدنيا) وهي: (الحسن ريحانتي من الدنيا).

٤٥١- ص ٣٧٥: (فقال ابن عمه) وتكررت مرتين، وهي في المخطوطة: (فقال ابن عمر).

٤٥٢- ص ٣٧٧: (هذا من ملاَء منا) وهي: (هَذا عَنْ مَلإٍ منا).

٤٥٣- وفيها: (فقال رجل: هيا يا أبا ظبيان وقع المغيرة في الحسن فقال: ولم؟).

وفي المخطوطة: (فقال رجل: يا أبا ظبيان وقع المغيرة في الحسن فسبَّهُ فقال: ولم؟).

٤٥٤- ص ٣٧٨: (عن المقة عن ابن جعدبة) وهي: (عن الثقة عن ابن جعدبة).

٤٥٥- ص ٣٨٠: (على مؤنته، وهي: (على مُؤَنِه).

٤٥٦- ص ٣٨١: (ثم لزم الفرات حتى قطع الغلوية وجاز الفرات إلى دمما ثم أتى أخنونية) وفي المخطوطة: (ثم لزم الفراة حتى قطع الفلوجة، وجاز الفرات إلى دمما، ثم أتى الأحبونية).

٤٥٧- وفيها: (وما أنا محتمل) وفي المخطوطة: (وما أنا بمحتمل).

٤٥٨- ص ٣٨٢: (يعجزه ويضعضعه) وهي: (يعجزه ويضعفه).

٤٥٩- وفيها: (قطعة أجر) وهي: (قطعة آجُرَّة).

٤٦٠- ص ٤٥٩: (أن يوثقه) وهي: (أن يوثق).

٤٦١- ص ٣٨٣: (إلى الأخنونية) وهي: (إلى الأحبونية).

٤٦٢- ص ٣٨٤: (خالد بن مغمر، وخالد بن المغمر) وفي المخطوطة في الموضعين: (خالد بن معمر، وخالد بن المعمر).

٤٦٣- وفيها: (لا تغروني في ديني) وهي: (لا تغروني من ديني).

٤٦٤- ص ٣٨٥: (ويعطيه الرضى) وهي: (ويعطياه الرضى). وهو الصواب فالضمير يرجع إلى اثنين.

٤٦٥- ص ٣٨٦: (ليشهدوا ويشهد عليه) وهي: (ليشهَدَا ويُشْهِدَا عليه).

٤٦٦- ص ٣٨٨: (ورأيت إنما حقن الدماء خير من سفكها) وفي المخطوطة: (ورأيت أنَّ ما حقن الدماء خيرٌ مما سفكها).

٤٦٧- وفيها: (وان يكن ما صنعت حجة على ممن كان يتمنى) وفي المخطوطة: (وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى).

٤٦٨- وفيها: (حاتم بن أبي صغيرة) وهو:(حاتم بن أبي صعبرة).

٤٦٩- وفيها: (وأما لجود حق بي) وهي: (وإما لجود بحق لي).

٤٧٠- ص ٣٨٩: (ولما تاخذ لنفسك ثقة) وهي: (ولما تاخذ لنفسك منه ثقة).

٤٧١- وفيها: (وإني طلبت بدم عثمان قتل الله قاتليه) وهي: (وإني طلبت بدم أمير المؤمنين عثمان فقتل الله قاتليه).

٤٧٢- ص ٣٩٠: (وكان زياد يومئذ لعلي) وفي المخطوطة: (وكان زياد يومئذ عاملاً لعلي).

٤٧٣ - ص ٣٩١: (يزيد بن حمير) وهو: (يزيد بن خمير).

٤٧٤- وفيها: (ان الناس يتقولون) وهي: (إن الناس يقولون).

٤٧٥- وفيها: (بأتياس الحجاز) وفي المخطوطة: (يا أتياس الحجاز).

٤٧٦- ص ٣٩٢: (فإنك من أخي ثقة سليم) وفي المخطوطة: (فإنك من أخي ثقة مليم).

٤٧٧- وفيها: (أهل الميت) وهي: (أهَلْ ألمْتُ).

٤٧٨- ص ٣٩٣: (بيده هذا) وهي: (بيده هذه).

٤٧٩- وفيها: (وحكى لنا محمد بن صنيعة) وهي: (وحكى لنا محمدٌ صَنِيْعَهُ).

٤٨٠- وفيها: (خلا ناحية الحسين) وهي: (خلى بأخيه الحسين).

٤٨١- وفيها: (أن لا تكون أول من عاب) وهي: (أن تكون أول من عاب).

٤٨٢- ص ٣٩٤: (عن ابن عوف عن أبيه) وهي: (عن ابن عَوْن عن أبيه).

٤٨٣- وفيها: (فكتب إليه زياد: أما بعد) وهي: (فكتب إليه زياد: فقد).

٤٨٤- ص ٣٩٥: (وليس الحسن مما يرمى بالرجوان) وهي: (وليس الحسن مما يرمى به بالرجوان).

٤٨٥- وفيها: (الأشعث بن قيس وأرغبها) وفي المخطوطة: (الأشعث بن قيس امرأة الحسن وأرغبها).

٤٨٦- ص ٣٩٦: (سلام بن مسكن) وفي المخطوطة: (سلام بن مسكين).

٤٨٧- وفيها: (فهذا مصير إلى الحق) وهي: (فهذا يصير إلى الحق).

٤٨٨- وفيها: (عن عباد عن هشام) وهي: (عن عباد بن عباد عن هشام).

٤٨٩- ص ٣٩٧: (فاد فنوني عند أبي) وهي: (فاد فنوني عند أُمِّي).

٤٩٠- وفيها: (يدفن عثمان إلا في حش كوكب) وهي: (لا يدفن عثمان في حش كوكب).

٤٩١- وفيها: (إنك أسلمت أيام خيبر) وهي: (إنما أسلمت أيام خيبر).

٤٩٢- وفيها: (يا أخي لو أوصى أن يدفن) وهي: (يا أخي إنه لو أوصى أن يدفن).

٤٩٣- وفيها: (ولكنه استثنى) وهي: (ولكنه قد استثنى).

٤٩٤- ص ٣٩٨: (شرب شربة عسلة طائفية) وهي: (شرب عسلةً صافيةً).

٤٩٥- ص ٣٩٩: (ويقال سنة خمسين) وهي: (ويقال في سنة خمسين).

٤٩٦- وفيها: (سعيد بن العاص بن أمية) وهي: (سعيد بن العاص بن سعيد ابن العاص بن أمية).

٤٩٧- ص ٤٠٢: (فما زلت مذ نبيته بكلالة) وهي: (فما زلت مذ نبيته بِكَآبةٍ وليس في البيت خلل.

٤٩٨- ص ٤٠٣: (حمول لأسياق) وهي: (حمول لأشناق): وأشناق الديات كما في كتب اللغة هي ما دون الدية من أرش الجراحات، فتلك الأشناق.

٤٩٩- ص ٤٠٣: (وعبدالله أمهما أم ولد) وهي: (وعبدالله أمهما ظمياء أم ولد).

٥٠٠- ص ٤٠٤: (فبينما هو يطوف عرضت له) وهي: (فبينا هو يطوف إذْ عرضت له).

٥٠١- ص ٤٠٥: (يقول لبنيه: إياكم ومعاداة الرجال) وفي المخطوطة: (يقول لابنه: إياك ومعاداة الرجال).

٥٠٢- وفيها: (مكر حليم ومباداة جاهل) وهي: (مكر حليم أو مباداة جاهل).

٥٠٣- ص ٤٠٦: (حرِ أُمِّك من أمير) وهي: (حِرِمِّك من أمير) كذا في المخطوطة وبه يستقيم الوزن.

٥٠٤- ص ٤٠٧: (دونك أمرٌ قد دنت أشراطه) وهي: (دونك أمرًا قد بدت أشراطه).

٥٠٥- ص ٤٠٨: (يا أبا محمد ارضى من ابنك) وهي: (يا أبا محمد إني أرضى من ابنك).

٥٠٦- وفيها: (أما اني لأطلبه) وهي: (أمَا إني لا أطلبه).

٥٠٧- وفيها: (ما تهنّأنا) وهي: (مَانَتَهنَّأُ).

٥٠٨- وفيها: (يريد بناؤها) وهي: (يُريْه بناءَهَا).

(للحديثَ صلة)

حمد الجاسر

٦٣ - بَابُ الأنوَاضِ، والأبرَاصِ[١]

أمَّا - بالنُّوْن وَالْوَاو وَضَاد مُعْجَمَة: في شعْرٍ[٢].

وَأَمَّا بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَرَاء وَصَاد مُهْمَلَتَيْن: بَيْنَ هَرْشَى فَالْغَمْرِ[٣].

٦٤ - بَابُ أنخُل وآنجَلَ وآنحل[٤]

أمَّا - بِضَمّ الْخَاء الْمُعْجَمَة: ذَاتُ أَنْخُلٍ: وَادٍ يَنْحَدِرُ عَلَى ذَاتِ عِرْقِ أَعْلاَهُ مِنْ نَجْدٍ، وَأَسْفَلُهُ فِي تِهَامَةَ[٥].

---

(١) عند الحَازميّ: (بَابُ أبواص وأنوَاص وأبرَاص).

(٢) لَمْ يَذْكُر الحَازميُّ هَذَا الاسْمَ، وَفِي «المُعْجَم»: الأنوَاصُ - بِالصَّادِ المُهْمَلَةِ -: مَوْضِعٌ فِي بِلاَد هُذَيْل يُرْوَى بِالنُّوْن والبَاء قَال:

تُسْقَى بِهَا مَدَافِعُ الأنْوَاصِ

وَرَوَاه نَصرٌ بِالضَّاد المُعْجَمَة.

وَقَال الحَازِمِيُّ: أبْوَاصُ بِالبَاءِ المُوَحَّدَة: فِي بِلاَد هُذَيْل، قَال أمَيَّة بْنُ أبِي عَائذ الهُذَلِيُّ:

لِمَنْ الدِّيَارُ بِعلْي فَالأخْرَاصِ ... فَالسَّوْدَتَيْنِ فَمَجْمَعِ الأبْوَاصِ

قَال السُّكَّرِيُّ: وَيُرْوَى الأنْوَاص بِالنُّوْن، وَرَوَى الأصْمعِيُّ: الأوبَاص. انْتَهَى.

(٣) أوْرَد يَاقُوْت قَوْل نَصْر غَيْر مَنْسُوب، وَلَم يَزِدْ، والأبوَاصُ والأنْوَاصُ والأوبَاصُ والأحْرَاصُ والأخْرَاصُ ممَّا يَدُلّ عَلَى عَدم التَّيقّن من صحَّة ضَبْطِهَا لَدَى المُتَقَدِّمِين، وبَيْتُ أمَيَّة مِنْ قَصِيدَةٍ فِي «شَرْح أشْعَار الهُذَلِيِّين» وَبلاَد هُذَيْل فِي تِهَامَة حَوْل مكَّة.

أمَّا هَرْشَى: فَطَرف حَرَّة فِي الطَّرِيْق بَيْن مكَّة إلَى المَدِيْنَة، وَهَرْشَى لاَ تَزَالُ مَعْرُوْفَةً، منْهَا يَنْحَدر المُتَّجه إلَى المَدِيْنَة فِي وَادِي الأبْوَاء (الخُرَيْبَة) والغَمْرُ يُطْلَق عَلَى مَوَاضِع، وَمِن أقْرَبِهَا إلَى هَرْشَى وَادٍ مِنْ رَوَافِدَ نَخْلَة الشَّامِيَّة، يُعْرَف قَدِيمًا بِغَمْر ذِي كِنْدَة.

(٤) لَمْ أرَهُ عِنْد الحَازمي.

(٥) أوْرَد هَذَا يَاقُوتُ بِنَصِّه غَيْرَ مَنْسُوب بِدُون زِيَادَة، وَذَات عِرْق من مَوَاقِيْت الإحْرَام، وَتُعْرَفُ الآن بِاسْم (الضَّرِيْبَة) وَهِي أعْلَى نَخْلَة الشامية أعْلاَهَا فِي نَجْد، وأسْفَلَهَا فِي تِهَامَة، وَلِذَات عِرْقٍ رَوَافِد مِنْ أوْدِيَة كَثِيْرَة.

وَأَمَّا بجيم مَفْتُوحَـة: مَوْضعٌ قَرِيبٌ مِنْ مَعْدن النَّقـرَة، قَرِيبٌ مِنْ مَاوَان وَأَرِيْك، وَيُرْوَى بِالْيَاء وبكَسْر الْهَمْزَة أَيْضًا[١].

وَأَمَّا: بحَاء مُهْمَلَة مكْسُوْرَة: بَلَدٌ مِنْ دِيَار بكْر، يُذْكَرُ مَعَ سعرتَ: بَلَدٌ آخر هُنَاك[٢].

٦٥ - بَابُ أُوْد، وأَوْد، وأُوذ، وآور، وأُوْر[٣]

أَمَّا بَفَتْح الْهَمْزَة وَآخرهُ دَالٌ مُهْمَلَةٌ: خطَّةُ بَنِي أَوْد بالْكُوفَة[٤].

وَأَمَّا كَالأُولَى إلاَّ أَنَّهَا مَضْمُوْمَةُ الْهَمْزَة: مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي تَمِيْمٍ بِنَجْدٍ، ثُمَّ فِي أَرْض الْحَزْن لبَنِي يَرْبُوْع بْن حَنْظَلَةَ قَال:

وَأَعْـــرَض عَنِّيْ قَعْنَبٌ وَكَأَنَّمَـــا ... يَـرَى أَهْلَ أُوْدٍ مِنْ صُـدَاءٍ وَسَلْهَمَـا

وَفِيْه شِعْرٌ كَثِير[٥].

---

(١) نَقَل يَاقُوتُ هَـذَا مَنْسُوبًا إلى نَصْر وَلَمْ يَـزِد، والنَّقْرَةُ وَمَاوَانُ وأَرِيكُ لاَ تَزَال مَعْـرُوْفَة كُلها مَتَقَارِبَـةٌ فِي عَالِيَة نَجْد، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْر أَنْجَلَ مَقْرُوْنًا بِالْبَدِيِّ فِي قَوْل النَّمر بن تَوْلب:

فَبُـــرقَــــةُ إرْمَــــام فَجَنْبَـــا مُتَـــالِعِ ... فَـــوَادِي المِيَـــاه فَـــالْبَـــدِيُّ فَأَنْجَـلُ

أَوْرَدَه البَكْرِيُّ، وَيَبْدُو أَنَّ الاسْمَ يُطلَقُ عَلَى مَوَاضِعَ، إذْ اسْمُ الأَنْجل لاَ يَزَال يُطْلَقُ عَلَى مَنْهَل، يَقَعُ فِي جَانب نُفُود السِّرِّ الشَّرْقِي الجَنُوبِي، شَرْقَ بَلْدَةِ القُوَيْعِيَّةِ، وَهُو فِي مِنْطَقَتِهَا، وللأنجلِ هَذَا ذِكْر فِي الأَشْعَارِ العَامِيَّة، وهَذَا بَعِيْد عَن النَّقْرَة وَمَاوَان.

(٢) نَقَل هَذَا يَـاقُوتُ غَيْر مَنْسُوبٍ وَلَمْ يَزِد، والغَـرِيْبُ: انه لَمْ يَذْكُـرَ سِعْرِتَ، فِي مَحَلِّه، وَهَذَا مِنْ بِـلاَدِ الجَزِيْرَة الفُرَاتِيَّة.

(٣) عنْد الحَازِمي سوَى (أُوْر).

(٤) قَال الحَازِمِيُّ: خطَّةُ: بَنِي أَوْد من مَحَالِّ الكُوْفَة، نُسبَت إلى بَنِي أَوْد بن....

وَقَدْ ينْسَبُ إلى الخطَّة بَعْضُ الرُّوَاة، وَعنْدَ يَاقُوت: نُسبَتْ إلَى أَوْدِ بْن سَعْد العَشِيْرَة ثُمَّ بَقيَّة كَلاَم الحَازمي، وَقَبْلَهُ: أُوْدُ بوَزْن عَوْدَ: مَـوْضعِ بِالبَادِيَة، قَاله أَبُـو القَاسِمَ مَحْمُود بن عُمر، وَوَجَدْتُه فِي شِعْـر الرَّاعِي المَقْرُوءِ عَلَى ثَعْلَبَ في قَوْله:

فَـأَصْبَحْـنَ قَـــــــدْ وَرَكْـنَ أُوْدَ فَـأَصْبَحَـتْ ... فِـــرَاخُ الكَثِيْب طُلَّعَــا وَخَــرَانِقُــــهُ

(٥) أَوْرَدَهُ الحَازِمِيُّ بِنَصِّـه سوَى جُمْلَة (وفيه شعْـر كَثِيْر) وَقَال فِي «مُعْجَم البُلْدَان» أُوْد - بـالضَّـم ثُمَّ السُّكُون: مَوْضعٌ فِي دِيَار بَنِي تَمِيْم، لِبَنِي يَـرْبُوع بِنَجْدَ فِي أَرْض الحَزْن، ثُمَّ أَوْرَد البَيْت مُضِيْفًا إلَيْه شَاهدَيْنِ أَيْضًا مِنَ الشِّعْر، وَقَالَ: كَذَا رُوِيَ فِي هَذه الأَبْيَاتِ بِالضَّمِّ، وَيُقَالَ: هُو وَادٍ كَان فيه يَوْمٌ مِنْ أَيَّام العَرَب.

وَأَمَّا مِثْلُهُ وَذَالُـهُ مُعْجَمَةٌ: مَدِينَةٌ مِنْ بِلاَدِ أَرَّانَ مِنْ فُتُـوحِ سَلْمَانَ بْنِ رَبِيْعَةَ، قِيلَ: الصَّوَابُ بِوَاوٍ بَعْدَ الذَّالِ[1].

وَأَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْـزَةِ وَآخِرُهُ رَاءٌ مُهْمَلَةٌ: جَبَـلٌ حِجَازِيٌّ أَوْ نَجْدِيٌّ، جَعَلَ الشَّـاعِرُ أَوْرًا أَوَارًا لِلْشِّعْرِ[2].

وَأَمَّا بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَآخِرُهُ رَاءٌ: صُقْعٌ مِنْ أَصْقَاعِ رَامَهُرْمُزَ ذُو قُرًى وَبَسَاتِيْنَ[3].

٦٦ - بَابُ أَوَالٍ، وَأَزَالٍ، وَأَرَاكٍ[4]

أَمَّا بِالْوَاوِ وَآخِرُهُ لاَمٌ: جَزِيْرَةٌ فِي بَحْرِ فَارِسَ مِنْ عَمَلِ الْبَحْرَيْنِ.

= والبيت: (أعْرَض عَنِّي) من قَصِيْدَة لِعَمِيْرَة بن طَارق اليَرْبُـوعِيّ في خَبَرٍ طَوِيل، أَوْرَدَهُ صَاحب «النَّقَائض» - ص ٥٣ -: وَقَـال فِيْ شَـرْح البَيْت: أَهْل أُوْد بَنُـو يَرْبُـوعٍ وَصُـدَاءُ فِي بَلْحَـارِث بْن كَعْب، وَهُم إِخْـوَتُهُم وَعِدَادُهُمُ فِيْهِم، وَسَلْهَم مِنْ خَثْعَم، وَسَلْهَمُ فِي مَـذْحِجٍ أَيْضًا، وَيَوْم أُوْد: هُو يَوْم الصَّمْـد، وَيَوْمُ ذِي طُلُوحٍ، عَلَى مـا يُفْهَم مِنْ كِتَـاب «النَّقَـائض» - ٧٨١ - وَقَـدْ فَصَّلَ خَبَـرَه فِي هَـذَا الْكِتَـاب، وَيَبْـدُو مِنْ نُصُـوص المتقدمين أن أُوْدَ: وَادٍ فِي حَزْن بَنِي يَرْبُوع بِقُرْب ذِي طُلُـوحٍ، شَرْقَ الدَّهْنَاء، فَقَد ذَكَر عُمَارَةُ بن عَقِيلٍ أن ذَا طُلُـوح وَادٍ فِي أُوْدٍ يَصُبُّ فِي رَقْمَـة فَلَجٍ، وَهِي خَبْـرَاءُ من سِـدْرٍ عَلَـى بَطن فَلَجٍ، وَهِي تَأخُـذُ مَـاءَهُ أَجْمَعَ، والرَّقْمَـةُ فِي أَرْض بَنِي العَنْبَر. انْتَهَى، والـرَّقْمَةُ المَذْكُـورَة فِي أَعْلَى وَادِي الحَفَرِ (فَلَج قَـدِيْمًا) أَسْفَل ذَات العُشَرِ (أُمّ عُشَر الآن) وَيَظْهَر أَنْ وَادِي الأَجْرَدِي وَمَا اتَّصَلَ بِه مِنَ الأَوْدِيَة كَان يُفْضِي إِلَى وَادِي الحَفَرِ، قَبْل أن تَحْجِزَهُ الـرِّمَالُ المُمْتَـدَّةُ من شَرْق الدَّهْنَـاء، وأنَّه هُـوَ ذُو طُلُوحٍ، وانْظُر عَنْ هَـذَا وَعَنْ حَزْنِ بَنِي يَـرْبُوع «المُعْجَم الجُغْرَافِي» (قِسْم شَمَال المَمْلَكَة)، وَعَنْ رَقْمَة فَلَجٍ (قِسْم المِنطَقَة الشَّرْقِيَّة).

(١) أَوْرَدَهُ الحَازِمِيُّ سِوَى جُمْلَـة: (قِيْل الصَّوَاب بِوَاو بَعْد الذَّال) وَأَوْرَدَ هَذَا يَاقُـوت بِحَذْف كَلِمَة (قِيْل) وَزَاد: أُوْذُ مِن قِلاَعِ قَزْوِيْنَ مَشْهُورةٌ، وَقَال نَصْرٌ: والصَّوَاب: بِوَاو بَعْد الذَّال. انْتَهَى.

(٢) لَمْ يَذْكُرْه الحَازِمِيُّ، وَأَوْرَد يَاقُوتُ كَلاَمَ نَصرٍ مَنْسُوْبًا إِلَيْه وَلَمْ يَزِد.

(٣) لَمْ يَزِد الحَازِمِيُّ عَلَى هَذَا، وَزَاد يَاقُوت: رَامَهُرْمُز بِخُوْزِسْتَان.

(٤) عِنْد الحَازِمِيِّ بِتَقْدِيْم الأَخِير.

وأُوَالُ أيْضًا: صَنَمٌ كَانَ لبكْرٍ وتَغْلبَ ابْنَيْ وائل[1].

وَأَمَّا بالزَّاي: اسْمُ مَدِيْنَة صَنْعَاءَ، ويَجُوْز فيه كَسْرُ اللاَّمِ وضَمُّهَا[2].

وَأَمَّا بالـرَّاء المُهْمَلَة وآخرهُ كَافٌ: فَرْعُ من دُوْن ثافل، يَتَّصلُ بغَيْقَـةَ قُرْبَ مكَّة، قَالَ الأصْمَعِيُّ: أراكُ: جَبَلٌ لهُذَيلٍ، وذُو أَرَاك في الأَشْعَار[3].

---

(١) قَالَ الحَازِميُّ: أُوَالُ بَعْد الهَمْزَة واوٌ: قَرْيَةٌ بالبَحْرَيْن، قَالَ تَوْبَةُ بنُ الحُمَيِّر:

مِنَ النَّـاعِبَـات المَشْيَ نَعْبًـا كَأَنَّمَـا يُنَـاطُ بِجِـذْعٍ مِنْ أُوَالِ جَـرِيْـرُهَـا

النَّعْبُ: تَحْرِيْكُ الرَّأْسِ مِنَ النَّشَاط.

وَفي «المُعْجَم» أُوَالُ بالضَّم ويُروى بالفَتْح: جَزيرةٌ يُحيطُ بهَا البَحْر بناحيَة البَحْرَيْن، فيهَا نَخلٌ كَثيرٌ وَلَيْمُونٌ وبَسَاتِيْنُ، ثُم أوْرَد بَيْت تَوْبَة، وآخرَ لتَمِيم، وثَالثًا للسَّمْهَرِيِّ العُكْليِّ، وأضَاف: وأُوَال أيْضًا: صَنَم كَان لبَكْر ابن وَائل، وتَغْلبَ بْن وَائل انتهى.

وأوَالُ لَيْسَت قَرْيَةً، كَمَا ذَكَـر الحَازِميُّ، ولكنَّهَا جَزيْرَةٌ حَوْلَهَا جُزرٌ صَغِيـرَةٌ، وتُعْرَف الآن باسْم (البَحْرَيْن)، كَانَتْ قَديْمًا تُسَمَّى أُوَال، فَتَقَلَّص اسْمُ البَحْرَيْن عَن الإقْلِيْم الـوَاسِع، وانْحَصَرَ في هَذِه الجَزِيْرَة، وَهي ذَاتُ عُيُون ونَخْلٍ كَثِيْر.

(٢) كَذَا ذَكَر الحَازميُّ، وَذَكَر الهَمْدَانيُّ أنَّ اسْم صَنْعَاء في الجَاهليَّة أزَال.

(٣) عنْد الحَازمـيِّ: وَادي الأرَاك قُرْبَ مكَّة، يَتَّصلُ بغَيْقَة، وأوْرَد يَـاقُوْتُ قَوْل الحَازمي غَيْـرَ مَنْسُوب، وأضَاف إلَيْه قَوْلَ نَصْر مَنْسُوْبًا إلَيْه، وأضَاف شعْرًا لامْرَأة من غَطَفَان:

إذَا حَنَّتِ الشُّقْـراءُ هَـاجَتْ لِيَ الهَـوَى وَذَكَّـرنِي أَهْـلَ الأرَاك حَنِيْنُهَـا

وأضَاف: وَقِيْل هُوَ مَوْضِعٌ مِن نَمرةَ فِي مَوْضِع مِنْ عَرَفَةَ، وَقِيْل: هُوَ مِنْ مَوَاقِف عَرَفَة بَعْضُهُ من جهَة الشَّام، وبَعْضُهُ من جِهَة اليَمَن، والأرَاكُ في الأصْلِ شَجَرٌ مَعْرُوف.

وأُضِيفُ: يَبْدُو أنَّ الاسْمَ يُطلَقُ عَلَى أوْدِيَة وَشِعَاب تُنْبِتُ هَذَا النَّوْعَ مِنَ النَّبَات وَمِنْ أشْهَرِهَا: وَادِي الأرَاك، المَعْرُوف قَدِيْمًا باسْم وادي نَعْمَانَ الأرَاك، وَهُوَ وادٍ يَقَعُ جَنُوبَ عَرَفَات المَوْقِف، ويَجْتَمِع سَيْلُهُ بسَيْل وَادِي عَرَفَات، وَوَادِي عُرَنَة، وَمَا اجْتَمَع بِهِمَا، ثُمَّ يَتَّجِهُ مُغَرِّبًا حَتَّى يَفِيْض بِسَهْلٍ بِقُرب السَّاحِل، سَاحِل البَحْر جَنُوبَ جُدَّةَ.

وَقَولُ الأصْمَعِيّ عَنْ جَبَلِ هُـذَيْلٍ هُـوَ فِي كِتَـاب «بِـلاَدِ العَـرَب»، وَبِـلاَدُ هُـذَيْلٍ بِقُـرْب مكَّـة..

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم:

آل معمر من الوعلة

كتب الأخ الدكتور مسفر بن عبدالهادي بن مسفر آل معمر من نجران إلى مجلة «العرب» بأنه اطلع على ما نشر في «المجلة العربية» - عدد ٢٥٤ ربيع الأول ١٤١٩ - بما ملخصه: إن الوعلة ينقسمون إلى فرعين كبيرين، وهم: آل سليمان وآل حمد بن فاضل. والصحيح أنهم ينقسمون إلى ثلاثة فروع: آل سليمان، آل حمد بن فاضل، آل معمر، وبعد اطلاعي على المقال ذهبت للشيخ محمد بن ذيب وشرحت له الأمر وأخبرني بأنه نسيان منه، فقام بكتابة التعقيب الذي يوضح النقص لكم.

وقد كتب الأخ محمد بن ذيب المهان نائب شيخ شمل قبيلة آل فطيح في نجران بما خلاصته: أما ما حصل من قبلنا فهو نسيان قبيلة آل معمر وهي قبيلة من أبناء وعيل، قليلة العدد، حيث لم تتكاثر مثل قبيلة آل سليمان وآل حمد بن فاضل، لذا نأمل إدراجها ضمن قبائل الوعلة.

وذكر مما وقع في المقال من التطبيع (أخطاء مطبعية): آل أحمد بن حمد بن فاضل والصواب: حمد بن فاضل بدون أحمد، ومحمد بن حمدان بن زين والصواب محمد بن حمدان بن ريزة.

آل فلاح في الرس

كتب إلى «العرب» الأخ محمد بن صالح بن فلاح التميمي من الكويت بما خلاصته: لقد اطلعنا على مقال الأخ خالد بن مشاري في «العرب» - س ٣٢ ص ٢٨١ - حيث ذكر أن أسرتنا آل فلاح في الرس من الحمران من النواصر من بني عمرو من تميم. وعليه نفيدكم بأن هذا القول ليس له أساس من الصحة، والمذكور لم يتصل بنا لنفيده أن آل فلاح في الرس وصبيح والشنانة، من آل عمران من ذرية فرج الحميضي من بني العنبر بن عمرو بن تميم وأنهم انتقلوا من

الروضة في منطقة حايل إلى منطقة القصيم، في الرس، صبيح، الشنانة. هذا هو الصحيح والصواب، ونظراً لكون والدي صالح بن فلاح التميمي - رحمه الله - كبير ورئيس هذا الفخذ من هذه الأسرة، رغب الجميع نشر هذا التعقيب.

والخوض في أنساب الأسر بدون علم ودراية يحدث مشكلات وخلافات بين الناس.

عن آل فلاح من تميم: محمد بن صالح بن فلاح التميمي

حول كتاب «المختصر في سيرة سيد البشر ﷺ»

موقع (الجَنْجاثة)

ورد في الكلمة المنشورة في جريدة «الرياض» - العدد ١١٠١٣ في ٢٧/ ٤/ ١٤١٩ العمود الثالث - في الحديث عن كتاب «المختصر في سيرة سيد البشر» تحديد موقع الجنجاثة. وقد اطلعت في كتاب «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦هـ - وهو من أقدم وأجل من عني بتحديد المواضع المتصلة بالمدينة قال - ص ٦٨ الطبعة الأولى-: (وقال إسماعيل بن يعقوب التَّيْمي ليحيى بن أبي بكر بن يحيى بن حمزة:

مـاتَ مَنْ يُنْكِـر الظُّـلامـة إلا ... مَضْـرِحيٌّ يُـسدِّمُنُ الجَنْجَـاثَـهْ

لِعَلّي وجعفـرِ ذي الجَنَـاحَـ ... ـيْنِ وبنت النبي خيـرِ الثـلاثـهْ

(الجَنْجاثة): بادية من بوادي المدينة، أقصاها على سبعة عشر ميلاً، وأدناها على ستة عشر ميلاً، بالميل الصغير، بها منازل لآل حمزةَ وعبَّاد بن ثابت، بني عبدالله بن الزبير، كان أتَّخذها عبدالله بن الزبير) انتهى. وهذا تحديد واضح، فأقصاها على سبعة عشر ميلاً من المدينة، وأدناها على ستة عشر ميلاً، وكانت منازل لآل الزبير الذين سماهم، ومعلوم أن المدينة في ذالك العهد لم تبلغ العقيق كما بلغته الآن ولكن عواليها التي فيها قباء تمتد بإزاء العقيق فلعل المقصود بذالك التحديد هذه الناحية التي هي أقرب الجهات إلى موقع الجنجاثة.

آل جلعود في القرائن من الدهامشة من عنزة

كتب الأخ الأستاذ محمد بن عبدالله الجلعود من القرائن إلى مجلة «العرب» ينبه إلى أن اسم أسرته الكريمة (آل جلعود) لم يرد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» موضحًا أن هذه الأسرة من الدهامشة من عنزة، كأبناء عمومتهم في القصب المذكورين في الكتاب، ولازالت بعض الأملاك القديمة مشتركة بين الأسرتين مثل (قصر أم سدرة) و (قصر دويغر) في القصب وبرز من هذه الأسرة بعض العلماء وطلبة العلم ممن تولوا بعض الوظائف في (غسلة) من (القرائن) منذ فترة من الزمن، ويجد القارئ ترجمة لأحد مشاهيرها في موضوع آخر من المجلة.

حول سكان قرية الضلفعة قديماً

كان الأخ عبدالله بن صالح بن محمد آل حمد قدم لصاحب مجلة «العرب» تفصيلاً واسعًا عن من أنشأ بلدة (الضلفعة) في القصيم. وحيث إن ما قدمه الأخ عبدالله تعرض لكثير من الحوادث وأنساب الأسر وغيرها بصورة متداخلة، فقد رأت مجلة «العرب» أن تبعث بما كتب به إلى الشيخ محمد بن عبدالمحسن الفريح، وهو من أوثق من عني بأنساب جماعته أهل البكيرية وما يتصف به من سعة علمه، وحسن خلقه، فأفضل بكتابة ما هذا نصه: (فقد تلقيت خطابكم الكريم ذي الرقم (٢٢٣) في ٢٨/ ٥/ ١٤١٩هـ المتضمن طلبكم الإفادة عن سكان الضلفعة وأنسابهم وصلتهم بسكان البكيرية. وعليهم نفيدكم بالآتي:

١ - أبناء عثمان بن سويلم الذين قدموا إلى البكيرية ثلاثة هم علي ومحمد وسويلم وهم أول من استوطن البكيرية اشتروها من البكري عام ١١٨٥هـ كما أرخ ذلك الجد فريح - رحمه الله .

فعلي مات وليس له ذرية وقد عصبه أبناء أخيه محمد، ومحمد من ذريته الآن محافظ البكيرية سليمان بن صالح بن إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن خضير بن محمد بن عثمان بن سويلم.

ومن ذرية سـويلم الآن وكيل إمارة منطقة القصيم المساعـد، علي بن سليمان ابن محمد - صـار أميرًا في البكيريـة عشر سنين - بن علي بن محمـد بن سويلم ابن عثمان بن سويلم.

وكذلك ابن عمهم الأميـر الكريم الذي صار أميـرًا (٣٧) سنةً من - ١٣٣١هـ إلى ١٣٦٨هـ - سليمان بن سويلم بن دخيل الله - وهو أول أمير في البكيرية تأمر فيها (٣٧) سنة - بن محمد بن عثمان بن سويلم - رحمه الله -.

وقد قدموا إلى البكيرية من الضلفعة في التأريخ المذكور آنفًا.

٢- آل حمد المستفيض عنـدنا أنهم منهم وهم أُمراء الضلفعة سـابقًا وهـم من سبيع كما هـو مستفيض عندنا واسم محسن جـاءهم من قبل أخوالهم وبقـاياهم الآن في البكيرية يقال لهم المحسن والعصل.

٣- عبدالله بن صالح - صـاحب الكتاب - من مواليد الشيحيـة عام ١٣٣٣هـ وقد حج معنا على الأقدام عام ١٣٥٦هـ وهو الآن من سكان المدينة النبوية.

٤- الأُسر السبيعية التي انتقلت من الضلفعة هم:

١ - اللحيدان في البكيرية.
٢- الثنيان في رياض الخبراء.
٣- السويلم في البكيرية.
٤- الربيعان والحواس في الشيحية.

٥- العقل في البكيرية وينتمون إلى عرينة ومنهم الشيخ العلامة عبدالرحمن ابن محمد المقوشي - رحمه الله.

٥- الأُسر المذكورة آنفًا من سبيع من أفخاذ متفرقة ويدل على ذالك قول جدي فريح بن فـواز بن حمد بن فواز آل سُلَمي العنبـري رحمه الله (١١٩٨ - ١٢٧٠) - وهو من أهل العلم بالأنساب - قال عندما غادر البكيرية متجهًا إلى الخبوب:

محسن متى تنوي السفـر يالـرشودي	حيثك شفيٌّ لـي بنقل الـوصـايـا
تلفي ديـار معـربين الجـدود	اللي لفـوا بَـهْ من (سبيع) عـزايـا
واختص لي منهـم سـلايل عبـود	قيـدوم ربعـه مـا يهـاب المنـايـا

فإن قوله (عزايا) يدل على أنهم من أفخاذ متفرقة.

و (سلايل عبود) يقصد به علي اليوسف - من بني زيد - جاره في البكيرية وقد جرت له قصة مع الجحوش من بني علي الذين أغاروا عليه وهو يبحث عن الصيد، فاستعاذ منهم فلم يعيذوه فرماهم فكسر خلف أبو طيف، ولما رجع من الصيد وجده في مكانه لأن أصحابه ذهبوا وتركوه، فحمله على ظهره وجبر كسره، وأمر أخته نو رة بالنظر في حاله، وعندما جبر كسره هوى نورة فخطبها وتزوجها فأنجبت ثلاثة أبناء من الشجعان هم زيد ومزيد ومحمد:

- فمحمد أنجب خلف - خاله الشيخ سليمان بن عُبيد آل سُلمي رئيس شؤون الحرمين سابقًا - رحمه الله - وأولاده أربعة موجودون الآن في البكيرية وأخوالهم الحمد.

- وأما مزيد فليس له عقب وأم عياله بنت محمد بن سويلم أمير البكيرية.

- وأما زيد فخلّف علي وله سبعة أبناء، منهم في البكيرية خمسة وواحد في الرياض وعبدالله في المدينة النبوية.

ومن نشأتهم في البكيرية لم يأخذ الفرم الأخاوة من أهل البكيرية، وبدأ صنيتان ابن محسن الفرم البكيرية أيام الربيع ... ومحسن ابنه مولود سنة (١٣٠٣هـ) بجوار ابن عواد أمير الهلالية... ويوم عرجا سنة (١٣١٨هـ) رفض أبوه حضوره المناوشات بينهم وبين عتيبة لأن عمره آنذاك لم يتجاوز الخامسة عشرة.

ومحسن هذا له قصة مع أهل الخبراء عام (١٣٣٥هـ).

هذا ما تبين لي والحمد لله على نعمة الأمن الذي نعيشه وله الحمد على صفات كماله سبحانه وعلى نعمه الظاهرة والباطنة.

القصيم - البكيرية: محمد بن عبدالمحسن الفريح

العمر: وَمْض برق

يــــا رِفـــاق الطـــريق مـــا العمـــر إلا
وَمْـض بَـــــرْقٍ مصيـــــره للـــــزَّوال
فيـــــــه أهل النُّهَـى يـــــؤدُّوْنَ دوراً
ذا مفـــــاد، مـن نســــوة ورجـــــال
والحظيُّــــون في الحيـــاة أنـــــاس
أنجــــزوا معظـمَ الأمــــورِ الجِـــزَال
يــــــا رعـى الله كل شهـم يُـــــرَجَّى
للملمَّـــــات والحمــــول الثقــــال
فـــالتبـاري نَحْـــوَ المعـــالي فخـــارٌ
يَجْتَبِي قـــانصـــوه منـــه المعـــالي
والمســـارُ القــويمُ من خيــر مــا ينـــ
ـــجي، ويفضي إلى الطــريق المثــالي
هكـــذا تنقضي الحيـــاة فخــوضــوا
غَمْــرَهـــا فـــارعين شُمَّ الجبـــال

عبدالرحمن بن عبدالله آل عبدالكريم

*** «طب الفقراء والمساكين» لابن الجزار:**

من منشورات مؤسستين تعنيان بنشر الكتب الإسلامية، إحداهما في (طهران)، والثانية في (كوالامبور) في ماليزيا، صدر كتاب «طب الفقراء والمساكين» تأليف أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار، المتوفى سنة ٣٦٨، وهو من أشهر العلماء المعنيين بالطب، له مؤلفات متعددة، ذكر بعضها الأستاذ الزركلي في «الأعلام»، ومنها هذا الكتاب، الذي قامت بتحقيقه الدكتورة وجيهة كاظم آل طعمة، وقدم له بالفارسية والإنجليزية كل من الدكتور مهدي محقق والدكتور سيد محمد نقيب العطاس، وطبع في طهران سنة ١٣٧٥هـ. ش (١٤١٦هـ. ق = ١٩٩٦م).

جاء في التمهيد الذي قدمت به الدكتورة وجيهة هذا الكتاب ما ملخصه: إن الفكرة الشائعة عن المسلمين عدم إبداعهم في العلوم والفنون والثقافة، وأن هذا ربما كان صحيحًا في العهد المبكر للإسلام، حين كان هدفهم نشر الدعوة وتثبيت العقيدة، وبعد امتزاجهم بالأمم الأخرى أصبحوا يوجهون عنايتهم إلى فروع العلم المتعددة، بدافع ما أوجب الله عليهم من طلب العلم، وكلمة العلم شاملة للعلوم الدينية والدنيوية، أي كل علم ينفع البشر في جميع مراحل حياتهم، فكانت حصيلة جهودهم إشادة صرح حضاري زاهر، كان العامل الأول لبناء حضارة الغرب وتقدمه العلمي.

وكان ابن الجزار أحد الأطباء المسلمين الذين قاموا بمهمة نشر الثقافة العربية الإسلامية، كما يتجلى في جميع مؤلفاته التي خلفها، ومنها هذا العمل العلمي المسمى «طب الفقراء والمساكين» وهو اختصار لكتابه الواسع الانتشار «زاد المسافر وقوت الحاضر».

اتجهت هذه المحققة الفاضلة إسهامًا منها في نشر التراث الإنساني الذي خلفه علماء المسلمين بتحقيقه، إذ هو ذو أهمية خاصة لصلته بما تركه علماء الأندلس من ذالك التراث، كما أوضحت المحققة في مقدمتها، التي اتبعتها بكلمة عن

خصائص الفكر الإسلامي في شمال افريقيا في (القيروان) وغيرها من المدن، ثم ألحقت ذالك بالحديث عن حياة ابن الجزار الذي تُرْجمت كثير من كتبه إلى اللاتينية والعبرية، وسمت كثيراً من آثاره، وذكرت مواقعها، ووصفت النسخ المخطوطة التي عولت عليها في نشر هذا الكتاب، كما سردت محتوياته، مشيرة إلى أن الطب القديم الذي نقله وجدده الأطباء المسلمون مازلنا نستخدمه، إما بدواء مفرد أو بدواء مركب من أدوية مفردة، له أثره وفي العالم في السنوات الأخيرة من اتجه للتداوي بالأعشاب، مما نشأ عنه الاهتمام بالمؤلفات القديمة.

الكتاب كغيره من كتب الطب القديمة، التي نجد خلاصتها في «تذكرة داوود الانطاكي»، وفي نشره ما يسهم في خدمة التراث مع إدراك أن التراث العربي الإسلامي كله لا يزال بحاجة إلى استخلاص وتنقية واختيار، ومنها ما ورد في هذا الكتاب الذي قامت المؤسستان الإسلاميتان بنشره، بعد أن حققته هذه الأستاذة الفاضلة تحقيقًا علميًا دقيقًا، بحيث حاولت إحياءه بتفسير مفردات بمترادفاتها، مما يبرز جانبًا مهما مما بذلته من جهد، يتضح هذا من إيراد تلك المفردات المفسرة فيما يقرب من ثلاثين صفحة، ثم بذكر المصادر من عربية وافرنجية.

ولعل تسميته بـ «طب الفقراء والمساكين» لأنه حوى الأمراض المتداولة وأسبابها وأوصافها، والأدوية النافعة الزهيدة الثمن، التي يمكن للطبيب أن يعتمد عليها.

أما مقدمتا المؤسستين الناشرتين للسيدين الدكتور مهدي محقق من (طهران) والدكتور سيد محمد نقيب العطاس من (ماليزيا) فقد كتبتا باللغة الفارسية وكان الأوْلَى وهما مقدمتان لكتاب عربي أن يكتبا باللغة العربية لتتم الاستفادة منهما.

ولقد أفضل الأستاذ الدكتور السفير صباح محمد حسن زنكنة المندوب الدائم للجمهورية الإسلامية الإيرانية لدى (منظمة المؤتمر الإسلامي) في جدة بإتحاف مجلة «العرب» بنسخة من هذا الكتاب، وما أكثر ما يفضل به مما فيه اتجاه مشكور، لإيجاد الروابط العلمية وتقوية الأواصر بين طلبة العلم، بل بين جميع الإخوة في مختلف البلاد الإسلامية.

ويقع الكتاب في نحو (٢٦٠) صفحة بمقدماته بطباعة حسنة وصدر في (طهران).

الاشتراك السنوي
١٠ ريال للأفراد و٢٠٠ للهيئات والدوائر الحكومية
المراسلات باسم رئيس التحرير

العرب
مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

المنهل
الرياض: حي الورود - شارع حمد الجاسر
ص. ب ١٣٧ الرمز ١١٤١١
هاتف وفاكس ٤١٦١١٢٢
الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ج ٥، ٦ س ٣٤ - ذوا القعدة والحجة، سنة ١٤١٩هـ - أذار، نيسان (مارس، ابريل) سنة ١٩٩٩م

التصحيف في أسماء المواضع
الواردة في الأخبار والأشعار
(٢٤)

سُفِيُّ السِّبَاب: (صفي السباب)

قال ياقـوت في «معجم البلدان»: (سُفِيُّ السِّبَابِ: بمكّـة قُرْبَ الحُجُوْن، والله أعْلَمُ بالصَّوَاب). انتهى.

المعروف (صُفِي السِّبَاب) بـالصاد، وقد أورده ياقـوت في رسم اسمه، ونقل عن الزبير: (بيت أَبي موسى الأشعـري وصُفِيُّ السِّبَاب ما بين دار سعيد الحَرَشيِّ التي بناها إلى بيوت أبي القاسم بن عبدالواحَد، التي بأصلها المسجدُ الذي صُلِّيَ على أمير المؤمنين المنصور عنده، كان بـه نخل وحائط لمعاوية، فذهب ويعرف بحائط خَرْمَان). انتهى.

وقـال الأزرقي في «أخبـار مكـة» - ٢/ ٢٧٤-: (شعْب الصُّفِيِّ وهـو الشعب الذي يقال لـه صُفِيُّ السِّبَاب وهو ما بين الراحـة الجبلُ المشرفُ على دار الوادي عليـه المنارة، وبيَن نَـزَّاعـة الشَّوِى، وإنما سُمِّي الـراحـة لأن قريشًـا كـانت في الجـاهلية تخـرج من شعب الصُّفِيِّ فتبيـت فيـه في الصيف، تعظيمًـا للمسجـد الحـرام، ثم يخـرجـون فيجلسـونَ فيسـتـريحـون في الجبل، فسمي ذالك الجبل الراحة، وقال بعض المكيين: إنما سُمِّيَ صفيُّ السِّبَاب أن ناسًا في الجاهلية كانوا إذا فرغوا من مناسكهم، نزلوا المُحَصَّب لَيْلَةَ الحَصَبَةَ، فوقفت قبائل العرب، بفم الشعب شِعْب الصُّفِيِّ، فتفاخرت بآبائها وأيامها ووقايعها في الجاهلية).

ويـرى أحد المعـاصـرين أن صفيَّ السِّبَاب هي تلك الأكمـة الصخريـة التي تُشْـرِفُ على الخَرْمَـانيـة من الشَّرْقَ، وبقـربهـا مَبْيَعُ الجِمَـال، وهو الفـاصل بين المُحَصَّب والأبْطح، الأول من جهة منَى، والثاني من جهـة المسجد الحرام، كذا قال وفي النفس من هذا شيء. أما كلمـة (صفي) فأراها بكسر الصاد والفاء جمع صَفَاة، وأن المـوضع كان ذا صخـور أي صفَاً، والمقصـود هنا ضبط الاسـم، أما تحديد الموضع فقد تَغَيَّرت معـالم المواضع في مكة مما سَبَّب جهلَ أكثرها، إلاَّ أنَّ جهَةَ هذا الموضع معروفَة، فَهُـو في أعْلَى الأبْطح، وحائط خَرْمانَ يُعْرَف الآن باسْمِ (الخَرْمانية) بقرب مَحلّة (المعابدَة) داخل عمران مكة.

سَـقْفُ: (يَبَــة)

قال ياقـوت في «معجم البلدان»: (سَقْفُ بلفظ سَقْف البَيْت: مِنْ جِبَال الحِمَى، قال: إلَى سَقْف إلَى برْك الْغمَاد). انْتَهَى.

كذَا قال ياقـوت، والمعروف أن هذا عَجز بَيْت من شعر كُثَيِّر فـي رِثَاء صديقه خندف الأسديّ:

وَإنّـي قَـــــائلٌ إنْ لَـمْ أزُرْهُ ... سَقَتْ ديَـمُ السَّـوَاري والْغَـوَادي
مَحَلَّ أخـي بَني أسَـد قَنَـوْنَـا ... إلى يَبَـة إلَى بَـرْك الغمَـاد

فليسَ في قَول كُثَيِّر شَاهداً على سَقْف، وأين سَقْفٌ الّذي من جبالَ الحَمَى في عالية نجد منْ برْك الْغمَاد الّذي في تهَـامَةً (البرك) الوادي المأهول، الذي لا يزال معروفًا.

أما يَبَةُ فثنيـة معروفة ينحدر منها واد مشهـور إلى تهامة، لا تزال الثنيـة مسلوكة وينطقها العامة (يَبَا) والوادي مأهـول معروف، وقد قلت عن هذا الاسم فيما كتبته على كتاب «البلدان» للحازمي عَلَّقْت به على قول البكري: (يَبَةُ: قريةٌ مذكورة في رسم بـرْك) فقلت، مـا ملخصه: ويقـع وادي يَبَةَ وينطق الآن (يَبَـا) جنـوبَ وادي القنفذَة الذي هو وادي (قَنَوْنَا)، وفروع وادي يَبَة الشمالية تكاد تلتقي بفروع وادي (قنونا) الجنوبيـة، تنحدر من سلسلة جبال السراة، ويمتـد الوادي صوب الجنوب

الغربي حتى يصب في البحر، فيما بين (البِرْك) جنوبًا و (القُنْفذة) شمالاً وهو إليها أقرب (يقع وادي يَبَة بين خطّي الطول: ١٥َ/ ٤١ْ و ٠٠َ/ ٤٢ْ وبين خطي العرض: ٥٠َ/ ١٨ْ و ٢٥َ/ ١٩ْ تقريبًا). وبِرْك الغماد هو بلدة البرك المعروفة، وسقف يطلق على مواضع كثيرة المعروف منها في نجد وهي بعيدة عن البِرْك.

سُوْقة: (سُوْفة)

قال البكري في «معجم ما استعجم»: (سُوْقَةُ - بضمّ أولـه - على لَفْظ تَكْبِير الَّذي قَبْلَهَا: مَوْضِع قد تَقَدَّم ذكْره في رسم نَقْب وفي رسم نسَاح). انتهى

وأود في رسم نقب قال البَعيْث:

أمَقّ رَقيْق الإسْكَتَيْن كَأنَّه ... وَجَارُ ضِبَاع بين سُوْقَةَ والنَّقْب

سُوقَة: موضع هناك، وأراه أراد سُوَيْقَة، وهو مَوْضِع باليمَامة مذكور في رَسْمه) انتهى.

- وأراه أراد سُوَيْقَة وهو مَوْضِع باليمَامَة.

وقال في رسم نسَاح: (قَالَ دُرَيْد:

فَإنِي بَيْن غَوْل أن تَضلُّوا ... فَحَائل سُوْقَتَيْن إلَى نسَاح) انتهى.

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: (سُوقَة أهْوَى: بالرَّبَذَة، قَال ابنُ هَرْمَة:

قفَا سَاعَةً واسْتَنْطقَا الرَّسْمَ يَنْطق ... بسُوْقَة أهْوَى أو ببرْقَة عَوْهَق

تَمَاشَت عَلَيْه الرِّيْحُ حَتَّى كَأنَّهُ ... عَصَائبُ مَلْبُوْس منَ العَصْب مُخْلَق):

وقال ياقوت أيضاً: سُوْفَة، بضم أوله وسكون ثانيه ثم فاء لَعَلَّه من السَّافَة- وهي الأرض بينَ الرَّمْل والجَلَد، والسَّائفَةُ: الرملة الرقيقة، قَالَ أَبُو عُبَيْدَة: سُوْفَةُ موضعٌ بالمَرُّوْت، وهي صَحَارَى وَاسعَةٌ بين قُفَّيْن أو شَرَفَيْن غَليْظَيْن، وَحَائل في بَطْن المَرُّوْت، قَالَ أبُو عُبَيْدَة: ويُرْوَى سُوْقَة، وكَذَا قَال ابنُ حَبِيْب، وقَال جَرِيْر:

بَنُو الخَطَفَى والخَيْلُ أيَّام سُوْفَة ... جَلَوا عَنْكُم الظَّلْمَاءَ فَانْشَقَّ نُورُهَا

بالْقَاء يُرْوَى، وفي شعْر الرَّاعي المَقْرُوْء عَلَى ثَعْلَب:

تَهَانَفْتَ واستَبْكَاكَ رَسْمُ المَنَازل ... بِقَارة أهْوًى أوْ بِسُوْقَة حَائل) انتهى

كل هذه الأقوال الثلاثة بما في بعضهـا من الخلط بين (سُوْفَة) بالفاء - الاسم الصحيح و (سُوْقَة) بالقاف ما يُعْجِمُ الصواب ويخفيه والاسم واحد، ينطبق على موضع لا يزال معروفًا: قَارَةٌ لها أُكَمَتَان، ولهذا وصفها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» بقـوله: (بَطْن حَـائل بلدٌ مثلُ يَـد المُصَافح، يـرى فيه الراكـب من مسيرة نصف نهار، وفي أعلاه سُوْفَتَان. انتهى، وَتقع سُـوْفَةُ هذه في الشمال الشرقيِّ من بلدة (القُوَيْعِيَّة)، وأَقْرَب المناهلَ منها (الحَرْمَلِيَّة) غربها بنحو ٢٠ كيلاً، و (دَلْقَان) شرقهـا، وتَشاهد عن بُعْد لهـا رأسان بارزان، ويطلق الاسم على القـارة وعلى ما بقـربها مـن أرض، وعلىّ منهل كان بَقـربهـا، ومـوضع حَائل يُعْـرَف الآن بـاسم (حَدْبَاء قذلَة)، والمَرُّوْت معروفٌ باسمـه، صحراء واسعة شَرق حائل، تقع سُوْفَة (بقرب خَط الطول: (١٣َ/ ٤٥ْ وخط العرض: ٢١َ/ ٢٤ْ).

ويرى بعض البـاحثين أن (أَهْوَى) المنهل الذي تضـاف إليه (سُوْفَـة) وهو من مياه بني نُمَيْـر قديمًـا، هو ما يعـرف الآن باسم (دَلْقَـان) وبعض مياه هـذه القبيلة طمرتها الرمالُ رمال نفود (دَلْقَان).

أما قول ياقوت: أن سُوْقَة أَهْوَى بالرَّبَذَة فهذا ليس بصَحِيْح، فبينها وبين الرَّبَذَة مَسِيْـرة أيام لـلإبل، والصـواب: مـا نقل من أنهـا في جَهَـةَ (المَرُّوْت) الصحـراء الوَاسعـة الَتي لا تزال معروفةً جنـوب (الوَشْمِ) وشرق (العَـرْض) ويَنطبق عليها قول أبي عُبَيْدَةَ.

سَيْبَان: (شَيْبَان)

قَالَ ياقوت في «معجم البلدان»: (سَيْبَان - بفَتْح أوَّله وسكون ثانيه ثم باء موحدة، وآخره نُوْن: السَّيب مَجْرَى الْمَاء: وجَبَل من وَرَاء وَادي القُرَى يُقَال له سَيْبَان).

يبـدو أن صـاحب «المعجم» - رحمـه الله - نقـلَ هـذا عن أحـد كتَـابي نصـر أو الحازمي فقـد ورد في كتاب نصر في باب (سَيْنَـان وسَيْبَان) ونص كلامَه: (وَمَـا سِيْنُهُ مَفْتُـوْحَة وَبَعْـد اليَـاء بَاء مُـوَحَّدَة جَبَـل منْ وَرَاء وَادي القُرَى) انتهى. ولكن صـواَب الاسم (شَيْبَان) بـالشين الْمعْجَمَة كما فـيَ كتاب «بلاَد العـرب» - ٣٩٧ - ونصه: في

الكَلَامَ عَلَى وَادي القُرَى-: (وفَوْق ذَالك العَوَالـي، وهي قُرَى، وفوقها الحجرُ، وعن يَسَار ذَالك فيْمَا بَيْنَـه وبين البَحْر جَبَل يُقَال له شَيْبَان، ينبت به البَـان والحبَّة الخَضْرَاء، به النَّخيْل في مَوَاضع كَثيْرَة وفيها مَعَادن الصفر والذَّهَب والفضَّة، فَأما المَعَادن فَلكُلّ، وأمـا مَـا سوَى ذالك فَلبَلـي وسعد الله من قُضَـاعـة) انتهى، وشَيْبَـان يُطْلَق الآنَ على إحدى قلل سلسلـة جبَال تدعى (هضب الزبَّـالة) وهم فرع من قبيلة بَلي، سكـان هذه البلاد في العهد القديم، ويظهر أن اسم شَيْبَان كان يشمل هَضْب الزبالة فتقلص الاسم وانحصر في إحدى قللـه، وهو يبعد عن هجرة (أبو رَاكَة) نحو بضعـة عشر كيْلاً (يقع جبل شَيْبَان بقرب خط الطول: ٠٥َ/ ٣٧ْ وخط العرض: ٠٠َ/ ٢٧ْ).

وقد سُمِّيَ هذا الجبل في بعض النصوص الحـديثة عن التعدين (جبل الشَّزْم) وقد استـوضحت من الدكتـور علي بن إبراهيـم آل غبَّان فقال: (الشَّـزْم جبل يقع على بعد ٣٥ كيلاً إلى الغرب من مدينة العُلاَ، غير بعيد عن مسار طريق النجد الذي يـربط بين العُـلاَ والوجـه، وأقـرب الجبـال المشهورة إليـه جبل الـورد، ويمكن الوصول إليـه عبر الطريق الحديث الـذي نفذته وزارة الدفاع والطيـران للوصول إلى مـوقع (رادارات جبال الـورد) وجبل الشـزم قـريب من وادي الجزْل أيضـًا، وتفصل بينهما مسافـة ١٢ كيلاً تقريبًا، كما أنـه يبعد عن مدينة الوجـه قرابة ١٥٠ كيلاً على طريق النجد، وهو أيضًا قريب من مسار طريق الحج المصري الدَّاخلي، الذي يربط بين مدين وَوَادي القُرَى، مـرورًا بشغْب وبَدَا، حيث أنه يقع على يَسار المفرح الأبيض الذي يَرد في المصادر القديمَة باسم البَيْضَاء).

وحُرِّف الاسم إلى (الَشيْزَم) في بعض الخرائط الحَديْثَة، وكلمة الشَّزْم في لهجة سكان الجهة من أفراد بَلي تَعْني السَّوَاد الذي يتكـون علَى القدر عندما يوضع على النَّار، وأن الجبل سُمِّي بهَذا الاَسْم، لأن صخوره سَوْدَاء مثل شَزْم القدر، ولتمييزه بلونه الأَسْوَد في المنْطَقَة المُحيْطَة به، وبهذا الجبل آثار تَعْديْن قَديْم.

سَيْحَاط: (شيْحَاط)

قَالَ يَاقُوْت في «معجم البلـدان»: (سَيْحَاط: كَذَا هو بخط ابن المعلَّى الأزدي

في قول تَميم بن مُقْبل:

إنّي أُتَمِّمُ أَيْسَاري بِذي أودٍ ... مِنْ نَبْل سَيْحَاط ضَاحِي جِلْدِهِ فَزِعُ)

انتهى.

وأوده البكري باسم (شَيْحَاط) بالشِّين معجمةً - وقال: (إنه مَوْضعٌ بالطَّائف، وَذُكِرَ في رَسْم حداب بَني شَبَابة جمع حَدَب، وهي جبال من السَّرَاة، ينزلها بنو شَبَابَة من فَهْم بن مَالك من الأزْد، ولَيْسُوا من فَهْم عَدْوَان وهذه الحداب وَرَاءَ شَيْحَاط، وَشَيْحَاطُ من الطَّائف، وهذه الحدَابُ أَكْثَر أرض العَرَب عَسَلاً. روى الأَصْمَعيُّ أنَ سليمان بن عبدالملك لَمَّا حَجَّ فَأَتى الطائف، وَوَجد ريحَ النَّدْغ، كتب إلى والي الطائف: انظر لي عَسَلا من عَسَلِ النَّدْغ والسُّحَاء، أَخْضَرَ في السِّقَاء، أَبْيَضَ في الإِنَاء، من حداب بَني شَبَابَة) انتهى.

وصحح صاحب «تَاج العَروس» أن صواب الاسم بإعجام الشين وأورده بكسرها. انتهى وفي «نوادر الهَجَري»: شَيْحَاط قَال ابن مُقْبل:

مِنْ نَبْع شَيْحَاط

وهو بَلَدٌ من غَربيّ تَرْج، وَفيه حِصْنٌ لبَني مَخْزُوم) وقد أورد البَيْت كاملاً في مَوْضِع آخر كما ورد في «ديوان ابن مقبل» ونصه:

يَا بِنْتَ آل شِهَاب هَلْ عَلِمْت إذَا ... أَمْسَى المَرَاغِثُ في أَعْنَاقِها خَضَعُ

أنّي أُتَمِّمُ أيْسَارِيَ بِذي أَوَدٍ ... مِنْ فَرْع شَيْحَاطَ صَافٍ لِيْطُهُ قَرِعُ

وأرى هذا الصواب، وأن الاسم بالشين المعجمة (شيحاط).

وقال الأستاذ عاتق بن غيث البلادي في «معجم معالم الحجاز»: (شيحاط أحد روافد وادي لِيَّةَ الكبير، يأخذ سيل وادي ثمالة وعمقان ثم يدفع في لِيَّة تحت حصن مالك بن عوف الثقفي من الجنوب، وتقدم ذكر شَيْحَاط في حِدَاب بَني شَبَابة، وأهلُه اليوم ثَقيفٌ وفيه زراعة وقُرَى). انتهى

(للحديثة بقية)

حمد الجاسر

الإسهام السعودي في نشر النصوص الأدبية القديمة وتحقيقها

(مرحلة الريادة)

[البحث الممتع الوافي الذي قدمه الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضُّبيب مدير (جامعة الملك سعود) سابقًا، وعضو مجلس الشورى الآن، لـ (المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين) أثناء انعقاده في (جامعة أم القرى بمكة المكرمة) في الفترة من اليوم الثاني من شهر شعبان ١٤١٩هـ، إلى اليوم الخامس منه، وقد أتحف به (أبو عَمْرٍو)، قراء مجلته «العرب» مواصلة لما كان يتحفهم به من أبحاثه القيمة(*)].

لا يجد الباحث في تاريخ نشر التراث الأدبي القديم في العصر الذي سبق العهد السعودي رصيدًا يذكر في نشر الكتب الأدبية والنقدية القديمة من دواوين وغيرها. وذالك يَتَّسق مع ما كان سائدًا في ذالك العصر، من الاهتمام بالدراسات الدينية، عن طريق المَتون والمختصرات، التي اعتمد عليها الطلاب والمعلمون على حد سواء، وكانت عصب الدراسة في حلقات المشايخ - إلى جانب اكتفاء أدباء ذالك العصر بما يرد إليهم من مطبوعات خارجية وخاصة من مصر.

ولعل أهم ما نُشر من كتب النصوص الأدبية القديمة هو «ديوان ابن المُقَرَّب» الذي طبع بالمطبعة الأميرية بمكة المكرمة سنة ١٣٠٧هـ طبعة حجرية على نفقة الشيخ عبدالله بن سعيد باخطمة، عدد صفحاتها ١٢٠ صفحة. ولم تعرف النسخة الخطية التي اعتمد عليها في الطبع. وقد وصفت هذه الطبعة لدى كل من اطلع عليها من الدارسين[١] بكثرة الأخطاء المطبعية والإملائية، والاضطراب في الأبيات، والتداخل بين القصائد، والنقص. وقد كان عدد قصائدها ٨٣ قصيدة وعدد أبياتها ٣٨١٢ بيتًا[٢].

كما نشر حسين عبدالله باسَلامة مجموعة من أشعار الإمام الشافعي وأقواله المنثورة، في كتاب دعاه «الجوهر اللماع فيما ثبت بالسماع من حكَم الإمام الشافعي المنظومة والمنثورة»، وطبع الكتاب في مصر بمطبعة كردستَان العلمية لصاحبها فرج الله زكي الكردي سنة ١٣٢٦هـ. ويشبه هذا الكتاب أن يكون ديوانًا صغيرًا للإمام الشافعي جمعه (باسلامة) أساسًا من كتب أربعة مؤلفين كتبوا

ترجمات للإمام الشافعي في مؤلفات هم: فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في كتابه «مناقب الإمام» وتاج الدين السبكي (ت ٧٦٣هـ) في كتابه «طبقات الشافعية»، والحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢) في كتابه «توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس»، وأضاف إلى المادة التي أخذها من هذه الكتب ما التقطه من مؤلفات أُخر لابن خلكان، والماوردي والأبشيهي، وغيرهم.

بوَّب (باسلامة) الكتاب على ثلاثة أبواب. الأول جعله لنسب الشافعي، وتطرق فيه إلى ترجمة طويلة، في تسعة فصول استغرقت ٤٨ صفحة من مجموع صفحات الكتاب البالغة ١٢٠ صفحة. أما الباب الثاني فجعله للمنظوم والمنثور من كلامه، وقدم ما قاله نثرًا، ثم بوَّب قوافي الأشعار حسب الحروف الهجائية. وفي هذا الباب أورد أشعار الشافعي من المصادر الأساسية التي ذكرناها آنفًا. وأعقب ذالك بتراجم لأصحاب هذه المصادر. وجعل الباب الثالث للأشعار التي التقطها من سائر المصادر التي ترجمت للشافعي وغيره، ورتبها أيضًا على حسب حروف الهجاء. وهي ليست كثيرة.

ويلاحظ أن بعض هذه الأبيات لم تثبت نسبته للإمام الشافعي، وبعضها لعله تمثل به مثل قوله:

متى ما تَقُد بالباطل الحقَّ يأبَهُ … وإن قُدتَّ بالحق الرواسيٌ تَنْقَد
إذا ما أتيتَ الأمر من غير بابه … ضللت وإن تقصد إلى الحق تهتدي(٣)

فمن الثابت أنه ليس للشافعي، وإنما هو لقيس بن الخطيم في ديوانه(٤) وقوله:

إني مُعَزِّيك لا أنِّي على ثقة … من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزِّي بباق بعد صاحبه … ولا المُعَزَّى وإن عاشا إلى حين

فقد روى البيتان للإمام الأعمش (ت ١٤٨)(٥).

وحفل الكتاب بالأخطاء الطباعية وبعض النحوية أيضًا. وبتأليف هذا الكتاب يمكن أن يُعَد الشيخ حسين باسلامة أول من جمع أشعارًا قديمة ونشرها مطبوعة في مجموع من أبناء الجزيرة العربية في العصر الحديث.

وبعد توحيد الجزيرة على يد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - كانت العناية - أول الأمر - متجهة إلى نشر الكتب الدينية، وخاصة ما يتعلق منها بالعقيدة والفقه، وعلوم القرآن والحديث، أما كتب الأدب فلم تكن الحاجة إليها ماسة في البيئة العلمية، التي كانت تعج بالحلقات في مكة والمدينة، والرياض وغيرها من المدن الكبيرة، لكن التطور الفكري السريع المتمثل بانتشار التعليم، وبدء التعليم العالي المنهجي، وافتتاح جامعة الملك سعود، وإنشاء المجلات الثقافية، وانفتاح المجتمع على البيئات العلمية الثقافية في البلاد العربية الأخرى.. كل ذالك جعل أنظار الباحثين السعوديين تتجه نحو التراث، وتكتشف كنوزه، وتفتش عن مصادره القديمة، ومنها مصادر النصوص الأدبية في الشعر والنثر وغير ذالك.

والناظر في حركة إحياء التراث في المملكة عمومًا يلاحظ أن هذه الحركة قد مرت بمرحلتين متمايزتين هما:

المرحلة الأولى: مرحلة الريادة. التي بدأ بالإرهاصات الأولى لنشر التراث وتطورت لتستمر إلى هذا العصر في أعمال الشيخ حمد الجاسر على وجه الخصوص.

والمرحلة الثانية: هي المرحلة المنهجية. تلك المرحلة التي كانت نتاج أعمال المتخصصين من أساتذة الجامعات، وطلاب الدراسات العليا فيها. ويمكن أن يؤرَّخ لهذه المرحلة بسنة ١٣٩٠هـ حين بدأت الجامعات تمد حركة الإحياء بالثمار الناضجة في هذا المجال.

وسوف يتطرق هذا البحث لمرحلة الريادة على اعتبار أنها المرحلة السابقة تاريخيًّا كما أنها تتميز بخصائص معينة سنتحدث عنها لاحقًا.

ولعل أول كتاب نشر في هذه المرحلة المبكرة هو كتاب «عبث الوليد» لأبي العلاء المعري[٦] الذي شرح فيه أبياتًا من شعر أبي عبادة البحتري، وقد نشره السيد أسعد طرابزوني، وأهداه إلى الملك عبدالعزيز (اعترافًا بما له من الأيادي البيضاء

على العلم والأدب)، وقد علق على مادة الكتاب الأديب محمد عبدالله المدني، ووقع الفراغ من التعليق عليه في الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

نشر الكتاب على نسخة خطية - في (المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة) - لم يذكر رقمها -، انتسخ الناشر منها نسختين فرعيتين، لم تغنيا المعلق عن العودة إلى الأصل. ثم أرسل الكتاب بعد التعليق عليه إلى السيد محمود الحمصي في دمشق، لطبعه في (مطبعة الترقي) فقام بمقابلة النسخة على نسخة المجمع العلمي العربي بدمشق المصورة عن نسخة دار الكتب المصرية، ورمز للاختلافات بين النسختين بحرق (ش).

وقد قدم المصحح للكتاب مقدمة أبان منها المشاق التي كابدها في التصحيح، وتقويم ما في الكتاب من خلل. كما حظي الكتاب بمقدمتين إحداهما للأمير شكيب أرسلان، الذي استنفد مقدمته في الحديث عن شروح أبي العلاء: «اللامع العزيزي في شرح شعر المتنبي»، و «ذكرى حبيب»، و «عبث الوليد»، و«معجز أحمد». وذكر أن لديه نسخة من «شرح ديوان المتنبي» لأبي العلاء تحوي نصف الديوان، قال: (ويجب أن يكون هو «اللامع العزيزي») وذكر أنه لا يمكن أن يكون «معجز أحمد» لأن الأخير كما قال ابن خلكان على نمط «عبث الوليد». في كونه ليس شرحًا بالمعنى المتعارف، وأثنى في هذه المقدمة على ناشر الكتاب الشاب أسعد أفندي دربز نلي، الذي قام (بعمل عظيم، ونثل من أحسن كنانة عربية وجعبة أدبية نبالاً كانت مدفونة في طي النسيان.. فاستحق شكر هذه الأمة شرقًا وغربًا، وأن يُحَيِّيَهُ كل ناطق بالضاد بعدًا وقربًا)(٧).

أما مقدمة الدكتور محمد حسين بك هيكل فقد كتبها أثناء وروده المدينة المنورة تعليقًا على قسم من الكتاب أرسل إليه، وتحدث فيها عن أهمية توثيق نسبة المخطوطة إلى مؤلفيها، فإذا ما تأكد ذالك كان من الواجب نشرها وإذاعتها. كما تحدث عن النقد اللغوي لدى أبي العلاء، وانتمائه إلى زمن غير

زمننا. وتمنى أن يصنع الأدباء صنيع الأستاذ السيد أسعد طرابزوني في نشر ما يقفون عليه من مخطوطات. وضم الكتاب كلمة للناشر أبدى فيها وَلَعَهُ بتصفح كتب الأدب، وصنيعه في نسخ نسختين من الكتاب، واختياره الشيخ عبدالله المدني مصححًا للكتاب[٨].

لقد قام الشيخ المدني بقراءة الكتاب قراءة فاحصة، فشرح بعض المواد اللغوية، وفسر بعض القضايا التي أشار إليها المؤلف، وأكمل مطالع قصائد البحتري، كما بين بحر القصيدة وقافيتها، وغرضها من مدح أو هجاء أو رثاء. وشرح معاني بعض الكلمات والأماكن. ولكنه لم يكن يخرِّجُ الشواهد إلا قليلاً، ولا يضبط النص بالشكل، كما لا يعود إلى ديوان الشاعر إلا لمَامًا. أما مراجعه فكثيرًا ما يهملها. وإذا ذكرها لم يشر إلى مواضع صفحاتها.. كما خلت النسخة من همزات القطع، ومن علامات الترقيم. ومع ذالك فقد اعترض المصحح على أبي العلاء في عدة مواضع وناقشه في بعض الاستعمالات، معتمدًا على أقوال المتأخرين من النحاة.

ومما طبع في وقت مبكر «ديوان ابن مشرف»، نشره عبدالرحمن بن محمد بن قاسم في مطبعة أم القرى سنة ١٣٥٥هـ[٩] وكانت هذه النشرة - فيما يبدو - طبعة اجتهادية لم تخضع لشروط التحقيق الحديث. كما نُشِر «ديوان ابن المقرب العيوني» سنة ١٣٨٣هـ بتحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، وعناية (مكتبة التعاون بالأحساء» وقد ظهر بصورة علمية جيدة، إذ روجع الديوان على عدد من النسخ الخطية إلى جانب مطبوعة الأميرية بمكة وطبعة الهند. وضبطت فيه الألفاظ، وفسرت بعض معاني ما استغلق منها، ثم اتبع الكتاب بفهارس علمية. ومع ذالك فقد أخلت هذه النسخة بكثير من الأبيات التي استوفتها طبعة المكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٣٨١هـ، وذالك ناتج عن اعتماد المحقق على النسخ المصرية للديوان وحسب، ولم ينظر في النسخ الخطية الأخرى سواها[١٠].

وفي وقت مقارب لطبعة «ديوان ابن المقرب» المحققة هذه، نشر محمد بن أحمد العقيلي ثلاثة مختارات من أشعار أربعة من شعراء جنوب الجزيرة العربية بالعناوين الآتية:

- «ديوان الشاعر القاسم بن هُتَيْمِل» (ت ٦٩٦ هـ)، دراسة وتحليل، ط ١، سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

- - «ديوان السلطانين» سليمان والخطاب ابني السلطان الحسن الحجوري، من شعراء القرن السادس الهجري، وطبع في (مطبعة الانصاف ببيروت) سنة ١٣٨٤هـ.

- مختارات من «ديوان الجراح بن شاجر الذروي» شاعر المخلاف السليماني، طبع في مطابع الرياض سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

إن معالجة الأستاذ العقيلي لهذه المجموعات الشعرية تكاد تتشابه من حيث تقديم النصوص وطريقة اختيارها، ووصف مخطوطاتها، وإذ أخذنا ما اختاره من «ديوان ابن هُتَيْمِل» مثالاً وقد أسماه «ديوان ابن هتيمل» ثم عاد في الطبعة الثانية وأسماه «مختارات من ديوان ابن هتيمل» فإننا نجده يذكر قصة حصوله على المخطوط الأصلي الذي اعتمده للنشر وهو مخطوط خاص كان لدى الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العقيل، قاضي أبي عريش الأسبق. الذي بعث إليه بنسخة الديوان وعلى الرغم من وجود عدد من النسخ لديوان الشاعر إلا أنه لم يعول على غير هذه النسخة، ووعد بدراسة الأخريات دراسة شاملة في المستقبل[11]. وبعد دراسة الديوان تبين له أنه مع كبر حجمه وعذوبة شعره.. (فإن في الديوان الكثير جداً من المديح. والمديح الخالص) ولذالك وبسبب اشتغاله بالعمل الرسمي، وبتأليف الجزء الثاني من كتابه «الجنوب العربي» فقد قرر أن يتبع الآتي:

١ - أن يختار ما له دلالة تاريخية أو مسمًّى يتعلق بالمجتمع العام أو الخاص الذي عاش فيه الشاعر، أو المعترك السياسي أو الحربي - لعصره طبعًا - أو وجهة اجتماعية، أو فائدة أدبية.

٢- أن يحذف ما يمت إلى عصبية أو طائفية ضيقة، أو مبالغة غير مستساغة أو غلو غير محمود.

٣- أن يترك المديح الخاص الخالي مما أشار إليه أولاً.

٤- أن يقتصر على شرح الغريب بقدر الضرورة البيانية.

٥- أن يترجم للشخصيات التي مدحها الشاعر - مُتَحَرِّيًا الاختصار - لأن الإسهاب في ذالك من واجبات كتب التراجم والتاريخ.

٦- أن يقدم دراسة موجزة لحياة الشاعر تتناول نسبه والإطار الزمني، من الناحية التاريخية، والحكم والأمثال في شعره، والمواضع التي خلدها شعره، مع تحقيق البلدان التي وردت في أشعاره).

تلك هي الأسس التي أوجزها الأستاذ العَقيلي لاختياره الشعر ولدراسته للشاعر وشعره(١٢).

وفيما يخص الدراسة فقد أوفى الناشر بكل ما وعد به فكان التركيز على الناحيتين التاريخية والجغرافية، وقد أغنى صفحات الديوان بكثير من المعلومات التاريخية التي يحتاجها مطالع الديوان. كما شرح بعض الألفاظ. أما الناحية الفنية فلم تأخذ منه أكثر من صفحة واحدة فبعد أن وصف شعر ابن هُتَيمل بالطلاوة وروعة الأصالة.. وذكر أوصافًا أخرى له قال: إن ذالك تضيق عنه هذه الدراسة الموجزة.

أما الشعر فلم يلتزم فيه ترتيب الديوان المخطوط، وإنما قسمه إلى خمسة أقسام:

١- المخلافيات والتهاميات وجعلهما قسمين: أ- المديح. ب- المراثي.

٢- الرسوليات، وهو ما قيل في الملوك الرسوليين ووزرائهم ورجال دولتهم.

٣- الاماميات.

٤- الكنانيات وتشتمل على مدائح في أمراء حَلِي.

٥- الغزل.

وهكـذا نجد الـديوان حتى بعـد أن نقاه نـاشـره من المديح الكثيـر فإن معظم شعره هو في المديح، وأقل ما نشر فـي الديوان من شعر كان في الغزل المحض، إذ لم نجد منـه سوى ٨ صفحـات من مجموع صفحـات الديـوان البالغ عـددها ٢٨٤ صفحة.

وإلى جـانب حذف بعض الأبيـات والقصائد، فـإن مما يـلاحظ على الناشـر إقدامـه على تغيير بعض ألفاظ الشاعـر، وإحلال ألفاظ أخرى بـدلاً عنها بحجج مختلفة، منها كونها تعابير تُحْرِجُ في إيرادها مثل قول الشاعر:

شمـــائل وهَّـــاسيَّـة غـــانميـــة   هي الفـرع مـن روح النبـوة والأصل

فقد أبدل (بروح النبوة): (روح الإمارة).

ومنها قول الشاعر:

أمنصـــور بن قـــاسم أنت أولى الـــ   ـــملوك ببـــرد جـــدك والقضيب

غيره بقوله: (بلبس البرد منهم والقضيب).

وعلق على ذالك قـائلاً: أصل البيت (وأورده) فأصلحنـاه بما تـراه لأنه إذا كـان البرد والقضيب من شارة الملك، فالنبوة ليست ملكًا. كما أراد الشاعر[١٣].

والبيت:

درج فـــؤادك واعلم أنهـــا نيـــة (؟)   تبلى هـواك، وأثـواب الهـوى جـدد

وضع كلمة (فرح) بدل كلمة (دَرّج) لأنها كما يقول غير مناسبة[١٤].

لقد أدرجت هذه التعـديلات في الطبعة الأولى دون الإشارة إليهـا. وقد أعاد الناشـر طبع الكتاب سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م وأشـار إلى هذه التغييرات في ثنـايا هـوامشـه. على أن الطبعـة الثـانيـة لا تمتـاز عن الأولى إلا بتغييـر العنـوان إلى «مختارات من ديوان الشاعـر القاسم بن علي بن هتيمل». كما وصف عمله على غلافها بأنه (دراسة وتحليل وتحقيق) وأضاف بعض الإضافات القليلة الهامشية،

وأبان ماكان قد غَيَّرَهُ من كلمات في أبيات الديوان؛ وزود الكتاب بفهارس للرجال، وأسماء الشعوب والقبائل، والطوائف والإمارات، والأماكن والبلدان، وفهرس للمحتويات وسمى كل فهرس من هذه الفهارس استبيانًا(١٣).

لقد خالف الشيخ حمد الجاسر الناشر في منهجه عندما كتب لكتاب العقيلي «الجراح بن شاجر الذروى شاعر المخلاف السليماني»، وبين أن الباحث حين يحاول أن يصل بين حلقات التاريخ بحاجة إلى أن يجد أثر كل عصر أمامه بدون أن يُغيِّر أو يكيف بالكيفية التي ينظر أهل عصرنا الحاضر إلى أنها هي الصورة الصحيحة التي يجب أن يكون عليها الأدب في كل عصر من العصور، ثم قال: (هنالك فرق بين أن ندرس الأدب على أنه وسيلة من وسائل حياة الأمة وتقدمها، وبين أن نقدم صورًا من صور الأدب لأية أمة من الأمم في ماضيها الذي لسنا مسؤولين عن خيره ولا شره، ولكننا مطالبون بأن نبرزه واضحًا كما كان)(١٥).

ودرس حجاب بن يحيى الحازمي في كتابه «القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي» صنيع العقيلي فاستنكر منهجَه في الديوان، وإقدامَه على بتر القصائد، وقال: (إننا نعاتبه على الحذف والبتر الذي تعرضت له تلك القصيدة تطبيقًا لمنهجه الذي أشرنا إلى خلطه آنفًا، فحرم النصوص تدفقها، وحرم الشاعرية تسلسلها، وتقطع بسببها نفس الشاعر، واهتزت صورة شعره، واضطربت خيالاتها ومعانيها)(١٦).

ومع ذلك فإن مما يحسب للعقيلي في مجال نشر التراث الأدبي القديم ريادته في التعريف بشعراء كانوا مجهولين، ونشره مختارات كافية من هذه الدواوين، لدراسة شعرهم وعصورهم الأدبية. وإذا كانت هذه الدواوين لم تلق العناية المأمولة في التحقيق والمقابلة والضبط، فلعل جهوده تشجع آخرين على القيام بهذا العمل على أسس منهجية.

ومما هو جدير بالذكر أن «ديوان الجراح بن شاجر الذروي» قد حقق في

رسالة للماجستير سنة ١٤١٠هـ في كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة أم القرى، بتحقيق الطالب محمد أحمد محنبي[١٧] ولم تنشر هذه الرسالة بعد.

وتبلغ مرحلة الريادة أوجها عند الشيخ حمد الجاسر الذي شارك منذ عهد مبكر نسبيًا في جهود متعددة ومتنوعة، تناولت النصوص الأدبية القديمة، وعلى الأخص في المجالات الآتية:

١- جمع نصوص الشعر القديم لبعض الشعراء.

٢- نشر بعض الكتب الأدبية التراثية.

٣- الاستدراك على الأشعار المجموعة والمنشورة من قبل الجامعين والمحققين المحدثين.

هذا إلى جانب أن مجلة «العرب» التي أنشأها أصبحت منفذًا مهمًا لنشر المجموعات الشعرية الصغيرة العدد، من قبل الباحثين سعوديين وغيرهم. كما أصبحت مجالاً لتبادل الرأي وقضايا الشعر العربي القديم.

ولعل أهم ما أسهم به حمد الجاسر أنه كان الرائد - على مستوى العالم العربي - في جمع شعر ستة من الشعراء القدماء هم: عبدالله بن همَّام السلولي، الصمة بن عبدالله القشيري، جحدر العكلي، يزيد بن الطثرية، القحيف العقيلي، محمد بن عبدالملك الفقعسي الأسدي.

وسوف نخص عمل الجاسر في كل مجموعة من المجموعات بحديث مختصر أولاً ثم نعرج على أعماله الأخرى في هذا المجال.

١- شعر عبدالله بن همام السلولي (ت ١٠٠هـ): بدأ الجاسر نشر مجموعة شعر عبدالله بن همام السلولي في مجلة «العرب» منذ السنة الأولى[١٨] ثم أعاد نشره في كتابه «مع الشعراء»[١٩] وقد قدم لهذه المجموعة بدراسة عن قبيلة بني سلول وبلادها، ومواضعها وشعرها، ثم تحدث عن حياة الشاعر وصلته ببني أمية، وبعمال ابن الزبير، وعلاقته بثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، وآراء القدماء في شعره[٢٠].

أورد الجاسر مجموعة شعر ابن هَمَّام مرتبة على القوافي حسب الحروف الهجائية، فبلغت عنده ٣٢ مقطوعة تضم ٨٨ بيتًا. ولم يَدَّع الاستيعاب لكل ما هو موجود من شعر هذا الشاعر من كتب التراث، بل سمى مجموعته «مقتطفات» مقدمًا لها بقوله: (وهذه مقتطفات من شعر عبدالله بن همّام هي كل ما استطعت العثور عليه مما بين يدي من كتب الأدب والتاريخ، وهي على قلتها قد تضع أمام القارئ ملامح واضحة عن شاعريته)[٢١].

وضع الجاسر عناوين للمقطوعات والقصائد، كما ضبط الشعر ضبطًا يكاد يكون تامًّا. ولم يستوعب في التخريج بل اكتفى في كثير من الأحيان بمصدر واحد.

وبعد حوالي عشرين عامًا من نشرة الجاسر، نشر الدكتور نوري حمودي القيسي مجموع شعر ابن همام السلولي في «مجلة المجمع العلمي العراقي»[٢٢] وأشار فيه إلى مبادرة الجاسر، وكونها أول مبادرة لجمع شعر ابن همام ودراسة حياته، وعدها مقتطفات كما ذكر الشيخ الجاسر ثم قال: (وكان مجموع ما وقع بين يدي الأستاذ الجاسر مئة وسبعة أبيات وهو مجموع يحمد عليه في حينه، وقد توفرت لديَّ إضافات شعرية تغني حياته.. فكان عدد الأبيات التي جمعتها مئتين وأربعة وثلاثين بيتًا. ومن المؤمل أن يزداد هذا العدد بعد ظهور مجاميع شعرية، أو تحقيق مخطوطات تحتفظ بقصائد أو مقتطفات لشاعرنا)[٢٣].

وعندما اطلع الجاسر على بحث الدكتور القيسي نشره بأكمله في مجلة «العرب»[٢٤] وعقب على الدكتور القيسي بقوله: (أشار، رعاه الله، إلى أن مجموع ما وقعت عليه يدي من شعر ابن همام مئة وسبعة أبيات، والواقع أنها ثمانية وتسعون ومئة بيت، لا ينقص مما جمعه أستاذنا (يعني القيسي) سوى ستة وثمانين بيتًا. أضفت إليها في عمل أستاذنا ثمانية، ليصبح بين يدي القارئ ٢٤٢ بيتًا)[٢٥].

وقد استدرك الجاسر بعد ذالك مقطوعتين على هذه النشرة تضمان تسعة أبيات من كتابي «الفتوح» لابن أعثم، و «أنساب الأشراف» للبلاذري، ونشر

ذالك في مجلة «العرب»[٢٦]. وأخيراً نشر وليد محمد السراقبي شعر عبدالله بن همّام السلولي مفرداً في دبي سنة ١٣٩٦هـ، ولم نطلع على هذه النشرة.

٢- شعر الصمة بن عبدالله القشيري (ت ٩٤هـ): الصِّمَّة القُشيري من شعراء العصر الأموي المقلين، الذين اشتهروا بالعشق، وعدُّوا من رموز الحب العذري، وقد ذكر صاحب «الفهرست» أن المفضل بن سلمة من أهل القرن الثالث قد صنع ديواناً له. ولكننا الآن لا نعرف شيئاً عن هذا الديوان.

وقد تصدى الشيخ حمد الجاسر لجمع شعر الصمة القشيري في محاولة هي الأولى من نوعها فجمع له ٢٣٧ بيتاً توزعتها قصائد ومقطوعات ونتف بلغت ٣٤[٢٧].

قدم الجاسر كعادته لعمله بالحديث عن قبيلة الشاعر، وبين فضائلها اعتماداً على الهجري في كتاب «التعليقات والنوادر» ثم تحدث عن بلاد بني قشير، ضمن بلاد بني كعب بن عامر، التي من أشهر فروعها بنو عُقَيل بن كعب، وبنو جعدة، وبنو قشير. وحدد مواقعها حسب المسميات الحديثة، وأطال في ذكر معالم هذه البلاد من أودية ومياه وقرى وحصون، ثم تحدث عن القبيلة من الناحية الاجتماعية والثقافية، وأورد قائمة لشعراء بني قشير، معتمداً على المتبقي من كتاب الهجري الأنف الذكر. وخص الشاعر بحديث عن نسبه، وصفاته، وعشقه، ثم عاد إلى موطنه فاستقصى المواضع الواردة في شعر الصمة الذي جمعه فبلغت عنده ٤٦ موضعاً حددها وتحدث عنها بشيء من التفصيل، وأشار إلى ما لم يهتد إليه منها.

لقد اعتمد الجاسر في جمع شعر الصمة على الهجري في «التعليقات» بالدرجة الأولى ولكنه مع ذالك لم يغفل المصادر الأخرى كـ«الشعر والشعراء» و «الأغاني» و «الأشباه والنظائر» و «اللآلي»، و «معجم البلدان» و «المنازل والديار» و «خزانة الأدب».

أما أشهر قصيدة للصمة القشيري تلك التي ضمت - كما قيل - أحسن أبيات

قيلت في الجاهلية والإسلام في الغزل وهي القصيدة العينية التي منها:

حننتَ إلى ريَّا ونفسك باعدت ... مزارَك من ريَّا وشعباكما معا

فما حسنٌ أن تأتي الأمر طائعًا ... وتجزع أن داعي الصبابة أوجعا

فقد اعتمد فيها على العلامة الشيخ عبدالعزيز الميمني - رحمه الله - في كتابه «الطرائف الأدبية» الذي جمع العينية من مصادر مختلفة، ولفق بين أبياتها. وقد أضاف الجاسر إليها بيتًا واحدًا، وإن كان يشك فيه، ويراه مصنوعًا، كما فصل عنها بيتين رأى أنهما لا ارتباط لهما بالقصيدة(٢٨).

وفي سنة ١٤٠١هـ نشر الدكتور عبدالعزيز الفيصل مجموعة شعر الصمة القشيري، وأصدرها النادي الأدبي في الرياض(*).

٣- شعر جحدر العُكْلي المُحْرِزي: وجمع الشيخ حمد الجاسر مقطوعات وأبياتًا من شعر الشاعر الأموي جحدر بن معاوية العكلي المحرزي، وعدها نتفا لتوضيح منزلته للقارئ بين الشعراء يأمل أن يكون حافزًا لجمع شعره ودراسته دراسة وافية. نشرت المجموعة أولاً في مجلة «العرب» سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م(٢٩)، ثم أعاد نشرها في كتابه «مع الشعراء»(٣٠).

لقد اهتم الجاسر بالتعريف بهذا الشاعر، فذكر الاختلاف في اسمه، وتحدث عن نسبه وقبيلته والخلط في ذالك، وفي المكان الذي ينتمي إليه، وخاصة نسبة ياقوت له في «معجم البلدان» إلى أرض اليمن، ونسبته إلى جشم بن بكر. ورجح أن يكون ما ورد في معجم ياقوت تصحيف من النساخ لكلمة (اليمامة)(٣١). وتتبع أسماء الأماكن التي ذكرها جحدر في شعره فعَدَّ منها ٢١ موضعًا عرَّف بها ليدلل على أنه عاش في نجد، ثم تحدث عن عصره وحياته، مؤكدًا أن كثيرًا من الشعر المنسوب إليه قد نسب إلى غيره من الشعراء، وخاصة قصيدته النونية التي تبدأ في مجموعته بقول جحدر:

رأيت بذي المجازة ضوء نار ... تلألأ وهي نازحة المكان

وأورد منها ٢٩ بيتًا، فيهـا أبيات متداخلة مع أشعار آخـرين. واعتمد فيها على ما جاء في «الحماسة البصرية» و «الأمالي»، و «منتهى الطلب» وترك أمر التحقق من صحة المختلف فيه من أبياتها لمن عسـاه يحاول التوسع في دراسة شعر هذا الشاعر[٣٢].

واتَّبع الجاسر في نشرته هذه منهجًا سلكه في غيرهـا من المجموعـات، يتلخص في ضبط ما يحتاج من الكلمـات إلى ضبط، وهو قليل، وعدم استقصاء مصادر التخريج، وشرح بعض الألفاظ وأسماء الأماكن.

وفي الوقت الذي نشر فيه الجاسر مـا وصل إليه من شعر جحدر نشر الباحث العراقي الدكتـور نوري حمودي القيسي في بغداد مجموع شعر جحـدر في كتابه «شعراء أمـويون» الـذي صدر سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م وبلغ عدد الأبيـات عنده ١٣٥ بيتًا، يضـاف إليها أربعة أبيـات جعلها مما نسـب له ولغيره. وكمـا ترى فإن العدد الزائد على ما جمعه الشيخ حمد الجاسر لا يتعدى تسعة أبيات. مع اجتهاد الدكتور القيسي، ومحاولته استقصاء شعـر هذا الشاعر في المصادر. ويلاحظ أن الدكتـور القيسي قد أدخل في صلب شعـر الشاعر كثيـرًا من الشعر المتنـازع بينه وبين غيره من الشعراء، مع أنه أفرد لهذا الشعر قسمًا لهذا الشعر قسمًا خاصًا به.

٤- شعر القحيـف العُقَيْلي (ت ١٣٠هـ تقـريبًا): وهذا شـاعر أموي آخـر هو القَحيف بن خُمَيْـر العُقيلي عـاش فـي منطقـة العقيق المعـروفـة الآن بــ (وادي الدواسر) كان صديقـًا لشاعر آخر مشهور هو يزيد بن الطثريـة، وقد عاشا معًا في تلك المنطقة من الجزيرة العربية. صنع له محمد بن حبيب ديوانًا كان متداولاً بين علمائنـا القدمـاء وآخر من اطلع عليـه منهم الإمام الصغانـي (ت ٦٥٠ هـ) ونقل العلماء المتأخرون عنه[٣٥].

نشر الجاسر مجمـوع شعر القحيف في مجلة «العرب»[٣٦] معتمدًا على نشرة المستشـرق المسلم فـريتس كـرنكـو F. Krenkow، أو سـالم الكـرنكـوي، التي

صـدرت في مجلـة الجمعيــة الملكيـة الأسيـويـة Journal of the Royal Asitic Society في إبريل سنة ١٩١٣م. وقـد عرف الجاسر بعمل كرنكو. فـذكر أنه أورد من شعر القحيف ٣٣ مقطوعـة، ذكر بعد كل مقطوعة مصدرهـا، وترجم الشعر. فجـاءت مقـدمته فـي ٩ صفحات، ووقعت المقطـوعـات في إحـدى وعشـرين صفحة[٣٧]، وجعل سبب إعادة النشـر ما فات المحقق السـابق من مصادر، ولم تكن عرفـت في عصره، وفائدة اطـلاع المعنيين على نشرة كـرنكو (خـاصة وأن كثيرًا من الباحثين قد لا يتسنى له الاطلاع على تلك المجلة)[٣٨].

نشر الجـاسر ٢٥ مقطوعة اشتملت على ١١٣ بيتًـا وثمانية أشطار من الـرجز فيكون المجموع ١٢١ بيتًا.

أما الفـروق بين نشرة حمـد الجاسـر ونشرة كـرنكو فتتمثل في ٥ مقطـوعات تشتمل على ٣٥ بيتًـا، وذالك اعتمـادًا على إشـاراته إلـى النصوص التي نشـرهـا كرنكو ورمز لهـا الجاسر بعلامة (ك) وقد لاحظ الدكتـور شاكر الفحام في بحث لـه عن جمع شعر القحيف أن الجـاسر قـد اسقط تسعة أبيـات من الشعر جمعـه كـرنكو، وخلص إلى أنـه إذا أضفنا هـذه الأبيـات التسعة إلى مـا جمعه الأستـاذ الجاسر يخلص لنـا من شعر القحيف ١٢٧ بيتًا[٣٨]. وقد أسقط الـدكتور الفحام من شعر القحيف الـذي نشره كـرنكو والجاسـر ثلاثة أبيـات لـم ير إضـافتها إلى القحيف هي قول الشاعر:

فلـــولا السـريُّ الهــاشمي وسيفــه ... أعـاد عبيـــدالله يـومًـــا على (عُكْلِ)

فهو كما يقول، لنوح ابن الشاعر جرير بن عطية بن الخطفى.

والبيتان:

فـــان تضـربـــونا بـــالسيـاط فإننـــا ... ضـربنـاكم بـالمـرهفـات الصـوارم

وإن تحلقـــوا منـــا الـــرءوس فإننـــا ... قطعنـــا رؤوسًـــا منكم بـــالغـــلاصم

فهي في نظر الدكتور الفحام لرجل من بني حنيفة.

وبذالك يعد ما جمعه الشيخ حمد الجاسر ١١٨ بيتًا.

وبعد ما يقارب من عشر سنوات من نشرة الجاسر أعاد الباحث العراقي الأستاذ حاتم الضامن نشر شعر القحيف العقيلي في مجلة المجمع العلمي العراقي[٣٩]. وقد أشار إلى صنيع الجاسر بقوله: (وعلى الرغم من الفائدة الكبيرة التي قدمها نشر هذا الديوان، إلا أن الطبعة جاءت خالية من التخريج والدراسة، التي تعطي هذا الشاعر نصيبه، وذكر أنه أضاف إلى عمل الأستاذين كرنكو والجاسر واحدًا وعشرين بيتًا، مع محاولة دراسة شعر الشاعر وحياته من خلال تحليل الأبيات، وإبراز الجوانب المتميزة في شعره، ويبقى فضل السبق لهما)[٤٠].

وعندما اطلع الجاسر على عمل الضامن أعاد نشره في مجلة «العرب»[٤١]، ووصف نشرته بأنها أجدى وأنفع من نشرته، وذكر تميز عمل الدكتور والضامن بتخريج الشعر[٤٢].

كما نشر حمد الجاسر في العدد نفسه تعقيب الدكتور شاكر الفحام على نشرة شعر القحيف بن خُمير العقيلي بتحقيق حاتم الضامن، وهو بمثابة دراسة مفصلة لعمل المحققين الثلاثة. خلص منها إلى أن النشرات الثلاث احتوت من شعر القحيف الذي يقبله ما يأتي:

نشرة كرنكو ٩٩ بيتًا.

نشرة حمد الجاسر ١١٨ بيتًا.

نشرة حاتم الضامن ١٣٩ بيتًا.

واستدرك على الضامن بعض فوائت التخريج كما أضاف إلى الشعر المجموع بيتًا واحدًا عده من فوائت هذا الشعر.

٥- **شعر يزيد بن الطثرية (ت ١٢٦هـ)**: ومما سبق الشيخ حمد الجاسر بجمعه على مستوى الوطن العربي أيضًا، محاولته جمع شعر يزيد بن الطثرية وقد نشر مجموعته في مجلة «العرب» أولاً سنة ١٣٨٧هـ[٤٣] ثم أعاد نشرها في كتابه «مع الشعراء»[٤٤].

ويزيد كما هو معروف شاعر أموي غزل، يعد في الشعراء العذريين، ويقرن اسمه بصديقه وقريبه الصِّمَّةَ القشيري. وكان له ديوان عند الأسلاف بروايات مختلفة، فممن جمع شعره أبو عمرو الشيباني، وعلي بن عبدالله بن سنان الطوسي، ويحيى بن المنجم، وأبو الفرج الأصبهاني ولم يصل إلينا من هذه الدواوين شيء(٤٥).

قدّم الجاسر لهذا المجموع من الشعر مقدمة قصيرة، وعلى غير عادته لم يتطرق إلى ذكر الأماكن الواردة في الشعر وتحديدها. ولعله اكتفى بما ذكره منها عند تقديمه لمجموع شعر الصمة القشيري. وقد جمع الجاسر ٢٧٥ بيتًا من شعر يزيد في ٥٨ قصيدة ومقطعة وبيتًا مفردًا. غير أن من الممكن أن يسقط من هذه المجموعة ما يأتي:

١ - الرواية الأخرى للبيتين اللذين قالهما يزيد في صديقه قطري بن بوزل وقد أورد الجاسر رواية الأغاني ورواية الهجري(٤٦).

٢- أبيات العينية المنسوبة إلى الصمة القشيري وقد أورد منها ثلاثة أبيات(٤٧).

٣- الأبيات التي أولها:

فلما قضينا من منى كل حاجة ومَسَّحَ بالأركان من هو ماسح

فقد أضافها إلى يزيد بن الطثرية معتمدًا على قول ضعيف في مصدر متأخر نسبيًا هو «معاهد التنصيص» (٢/ ١٣٤) وهي من الشعر المتنازع.

أتيح لشعر يزيد بن الطثرية أن يظهر في نشرة ثانية أخرجها الباحث العراقي الأستاذ حاتم الضامن سنة ١٩٧٣م (١٣٠٣هـ) وقد نشر الدكتور نوري حمودي القيسي ملحوظات على هذه النشرة في مجلة «العرب»(٤٨) انتقد فيها جنوح الضامن إلى الجانب التاريخي في دراسته، وعدم الاستفادة من شعر الشاعر من الدلالة على حياته، وتحدث عن ظاهرة اختلاط شعره، وهي ظاهرة بارزة تكاد تشكل ثلث قصائده. كما تناول طريقة المحقق في تخريج الأبيات وترتيب هذا التخريج وغير ذالك.

ثم أتيح لشعر يزيد بن الطثرية أن يخرج في نشرة أخرى سعودية تعد الثالثة في سلسلة مجموعات هذا الشعر بتحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد وذالك سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م وليس هذا مكان الحديث عنها.

٦- **شعر محمد بن عبدالملك الفقعسي الأسدي (من رجال القرن الثاني الهجري)**: محمد بن عبدالملك الفقعسي الأسدي أحد الشعراء الفصحاء، والرواة الأعراب الذين كانوا يترددون على حضارة الخلافة في العصر العباسي، وقد عُرِف أيضًا بالتأليف ونسب إليه كتاب «مآثر بني أسد وأشعارها» وهو كتاب لم يصل إلينا وذكر صاحب «الفهرست» أن له ديوانًا يقع في مئة ورقة، ولكن ديوانه فقد كما فقد كثير من دواوين شعرائنا القدماء.

حاول الشيخ حمد الجاسر أن يكشف عن شخصية هذا الشاعر بالحديث عن قبيلته وموطنه وبيئته العلمية، وأن يجمع ما يمكن العثور عليه من شعره[٤٩]، فوصل إلينا من شعره القليل - كما يرى الجاسر، وقد كونت المجموعة التي استطاع جمعها من شعره ٦٤ بيتًا من الشعر و ١١ شطرًا من الرجز في ٩ مقطوعات، تناولت معظمها حنينه إلى بلاده وبعض المدائح. وقد اقتصر الجاسر من مصادره على «معجم البلدان» (مواد: أحد، عرفة، صارة) و «معجم ما استعجم» للبكري (مادة: حمى فيد) و «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار، و«بلاد العرب» للغدة الأصبهاني، و «الورقة» لابن الجراح و «الوافي بالوفيات» للصفدي، وفاته الرجوع إلى «أمالي القالي» في القطعة التي أوردها وأولها:[٥٠]

سقى الله حيًّا بين (صارة) و (الحمى)   (حمى فَيْد) صوب المدجنات المواطر

فقد جاء فيها بيت أخلت به المقطوعة التي أوردها الشيخ حمد، وهو بيت يأتي بين البيتين الثالث والرابع في مجموعته ونصه:

حذارًا على القلب الذي لا يضره   أحَاذَر وَشْكَ البين أم لم يحاذر[٥١]

لم يشذ الجاسر عن منهجه الذي اتخذه في جمع شعر هاؤلاء الشعراء، فقد

وضع لكل نص وإن كان بيتًا واحدًا عنوانًا، ولم يعن بضبط الألفاظ جميعها، ولم يستزد من مصادر التخريج.

٧- **نونية الكميت الأسدي**: ومن النصوص التي نشرها الشيخ حمد الجاسر لأول مرة عن أصل مخطوط نونية الكميت بن زيد الأسدي، التي نظمها للفخر ببني نزار وذكر مناقبهم وتفضيلهم على بني قحطان، وقد اشتعل بسببها أوار العصبية والبغضاء بين العدنانيين والقحطانيين، ورد عليها الشعراء اليمانيون بقصائد عدة سميت بـ (الدوامغ).

نشر الجاسر القصيدة في «العرب»[٥٢] عن مصورتين لمخطوطتين يمانيتين متقاربتي النسخ. فرغ من نسخ الأولى منهما سنة ٦٢٣هـ، والأخرى سنة ٦٢٦هـ وصورت الأولى بعثة جامعة القاهرة، والثانية صورها معهد المخطوطات العربية. والقصيدة برواية أبي رياش أحمد ابن أبي هاشم اليمامي (ت ٣٣٩هـ) وهي طويلة وما وجد منها في المخطوط ٢٨٣ بيتًا.

ضبط الجاسر القصيدة بالشكل التام، ولم يقابل الأبيات على مصادر التراث الأدبي قائلاً: (ولم أجهد نفسي بمراجعة كتب الأدب لمقابلة أبيات القصيدة، أو الاستزادة من أبيات لم ترد، لأن الدكتور داود سلوم الذي عني أشد عناية بجميع شعر الكميت ونشره، لم يترك زيادة لمستزيد.. لهذا اكتفيت بالإشارة في الهوامش إلى ما جمع من أبيات القصيدة، ورمزت لذالك بحرف (د)[٥٣] والواقع أن الدكتور داود سلوم قد أورد ٨٧ بيتًا منها جمعها من المصادر اتضح للجاسر أن ثمانين بيتًا منها تتفق مع أبيات القصيدة.

وقد أعاد الدكتور داود سلوم مع زميله الدكتور نوري حمودي القيسي نشر عمل الجاسر بإذنه في كتابهما «شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي»[٥٤].

٨- **القصيدة المفحمة لمحمد بن الحسن الكلاعي**: ونشر الجاسر بعد قصيدة الكميت من المخطوط اليمني نفسه المنسوخ سنة ٦٢٦هـ قصيدة باسم «القصيدة

المفحمة» لمحمد بن الحسن الكلاعي يرد بها على الفضل بن تاروح الرومي، وهي قصيدة في الانتصار لقحطان، وتكاد تكون في معظم أجزاءها منظومة تاريخية مبنية على قصص القدماء وأساطيرهم، حول الأقوام والأمم، مع الفخر بالقحطانيين قبل الإسلام وبعده(٥٥).

قام الجاسر بنشر القصيدة بلا تعليق، ولم يخل نشرها من بعض الأخطاء في الضبط، ولعل معظمها تطبيع كما اتبع فيها الأسلوب الإملائي الوارد في المخطوطات مثل فتا (فتى) و (بنا) بنى مما لا يتفق والإملاء السائد.

٩- أقوال ابنة الخُسِّ الإيادية: وجمع الجاسر من التراث الأدبي القديم مجموعة من أقوال ابنة الخُسِّ الإيادية تلك الشخصية الجاهلية الأسطورية التي تنسب إليها كثير من الأقوال المنظومة والمنثورة.

ففي بحث له في «العرب»(٥٦) تحدث الجاسر عن الومضات الفكرية التي اصطبغت بها أقوال هذه الشخصية، وأورد شيئًا من الأشعار المنسوبة إليها، ثم جمع قدرًا صالحًا من الأقوال النثرية التي استقاها من مصادر التراث المختلفة، وأكثرها من كتب الأمثال. ولعل ذالك أول جمع لأقوال هذه الشخصية النسائية الجاهلية في العصر الحديث.

١٠- كتاب «أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها وأيامها»: هذا كتاب يجمع بين النصوص الشعرية والنثرية لحسين بن علي بن الحسن الوزير المغربي المتوفى سنة ٤١٨هـ وهو من كتب الأمالي التي تخلط النصوص الأدبية بعدد من المعارف الأخرى في اللغة والنسب والتاريخ. وقد وصف الشيخ حمد الجاسر بأنه: (يُعَدّ - إذا صح أن مؤلفه تمكن من إكماله وفق الخطة التي رسمها في مقدمته - من أوسع الكتب التي ألفت عن الشعر العربي من حيث الاختيار والجمع، وذكر تراجم مشاهير الشعراء من أخبار القبائل وأنسابها)(٥٧).

والكتاب نسخة فريدة في (المكتبة العامة بمدينة بورصة) التركية وهو يحوي القسم الأول من الكتاب. ولم يذكر الناشر رقم المخطوط، وان استوعب وصف النسخة مفصلاً.

لقد ضبط الجاسر ما رآه محتاجًا للضبط من الكلمات، ونبه على بعض الكلمات الغامضة. وترجم بعض الأعلام ومنهم بعض المشاهير، كعمر بن عبدالعزيز (ص ٧١) ولم يخرج الأبيات والأقوال على مادرج عليه علماء التحقيق المحدثون، ولعل ذالك داخل - في نظره - في إطار الإطالة التي يقول عنها: (ولم أر الإطالة في ذالك، ولم أستوعب، إذا الكتاب مؤلف للخاصة) مع أنه علق على كلمة المؤلف بشأن اختصاص الكتاب بالمتوسط في الأدب بقوله: (ولك أن تتصور منزلة المتوسط في الأدب في ذالك العصر، وتقارن تلك المنزلة بمنزلة (المتدكتر) في عصرنا، ولن تستقيم لك المقارنة)(٥٨). قلت: وهذا أدعى أنْ يُبْذَل جُهْدٌ في إيضاح كثير من غوامض الكتاب، التي قد لا يدركها خاصة عصرنا، وإن اقتضى ذالك بعض الإطالة.(*)

١١ - **النصوص الشعرية في «التعليقات والنوادر» للهجري**: كتاب «التعليقات والنوادر» لأبي علي هارون بن زكريا الهجري، من رجال القرنين الثالث والرابع الهجريين، كتاب موسوعي، يضم الأدب والأخبار واللغة والأنساب(٥٩) غير أنه لم يصل إلينا منه سوى قطعتين إحداهما في (دار الكتب المصرية)، والأخرى في (مكتبة الجمعية الأسيوية في كلكتة بالهند) وتقع القطعتان في نحو ألف صفحة(٦٠).

وعلاقة الجاسر بهذا الكتاب علاقة قديمة، فقد بدأ الانتفاع بالقطعة المصرية منه منذ وقت مبكر. فلدى نقده لنشرة عبدالسلام هارون لكتاب عرام بن الأصبغ السلمي «أسماء جبال تهامة» سنة ١٩٥٣م نجده يرجع فيما كتبه إلى الهجري في «التعليقات». وقد نشر نقده آنذاك في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق»(٦١).

وقد عاد حمد الجاسر إلى «التعليقات والنوادر» بعد ذالك في مناسبات كثيرة، وخاصة فيما استدركه من معلومات جغرافية أو أنساب أو نصوص أدبية.

وأخيرًا قام الشيخ حمد الجاسر بترتيب معارف الكتاب وضم بعضها إلى بعض، وصنف عمله في أربعة أقسام هي:

القسم الأول: وقد خصه للحديث عن المؤلف وعصره والكتاب، وطبعته العراقية، التي تتبعها بالنقد في أكثر من ٩٠٠ موضع.

القسم الثاني: الشعر والرجز. **القسم الثالث**: اللغة والمواضع.

القسم الرابع: النسب والفهارس المفصلة للكتاب.

ويهمنا من هذا المخطوط - في هذا المجال - القسم الثاني منه الخاص بالشعر والرجز. وقد بدأ بنشر هذا القسم في مجلة «العرب». في الجزئين الثالث والرابع من السنة الخامسة والعشرين سنة ١٤١٠هـ. وبعد ذالك بسنتين أصدر ذالك القسم في مجلد خاص ضمن الأقسام الأربعة التي ذكرناها آنفًا.

مَهّد الجاسر للشعر في «التعليقات» بتقسيم الشعراء حسب القبائل التي أوردها الهجري في قوائمه، وذالك بذكر اسم كل قبيلة مقسمة إلى فروعها المختلفة، ويندرج تحت اسم كل فرع الشعراء الذين ينتمون إلى هذه القبيلة، مقسمين حسب الحروف الهجائية. ثم بدأ بإيراد اسم كل شاعر منهم مع ذكر كل ما أورده له الهجري من شعر. وحسب إحصاء الجاسر، فإن هذا القسم يحوي نحو ٤٢٥ شاعرًا كما يحوي نحو ٥٤١٥ بيتًا من الشعر.

على أن الجاسر قد أورد في هذا المجموع أسماء كل الشعراء الذين ذكرهم الهجري، ولو لم يورد لهم شعرًا. كما أضاف إلى الشعراء أسماء آخرين، استقاها من مختصرات كتاب عبدالله بن علي اللخمي الرُّشَاطي (ت ٥٤٢هـ) المسمى «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» مثل مختصر الأشبيلي والبلبيسي والفاسي لما اتضح له اعتماد الرشاطي على كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري(٦٢) وقد أضاف إلى مواد الكتاب ما جاء في

هامش مخطوطة كتاب «معجم الشعراء» للمرزباني لأن الحافظ مُغَلطاي، كاتب النسخة، كان قد اطلع على كتاب الهجري.

فصل الجاسر بين الشعر والرجز، ثم فصل داخل كل قسم بين الشعر المنسوب وغير المنسوب. ونهج في نشرته هذه الضبط الكامل للنصوص، وترجم بعض الشعراء، وعرّف ببعض الأماكن، وأورد بعض اختلافات النسخ وما يوجد في هوامش المخطوطات من زيادة.

وقد كتب الأستاذ محمد يحيى زين الدين مراجعة لهذا القسم صَحّح فيها بعض ما ورد في هذا القسم من أشعار الرجز خاصة، وأضاف بعض الأشطار ذات الصلة بها في المصادر المختلفة. كما خرّج بعض هذه الأبيات(٦٣).

١٢ - استدراكات حمد الجاسر على النصوص الشعرية القديمة المنشورة:

مما يسترعي الانتباه حقًّا لدى الدارس لجهود الشيخ حمد الجاسر في مجال نشر التراث تلك اليقظة المستمرة التي ترافقه في مسيرته العلمية، التي تجعله يتابع دائمًا ما قدم أو قرأ واستوعب، من نصوص التراث، سواء كانت هذه النصوص أدبية أم غيرها. فهي مختزنة في ذهنه وماثلة أمام عينيه، فما أن يقرأ شيئًا جديدًا يضيفه أو يرى خبرًا يفيد، حتى يسارع إلى تدوين ذالك في مجلة «العرب» أو غيرها من المنافذ التي ينشر فيها بحوثه، مسجلاً إضافته الجديدة.

وفيما يخص النصوص الشعرية تتمثل الإضافات العلمية لديه في تلك الزيادات التي يستدركها بين الحين والآخر مستقلة، أو من خلال نقداته لبعض أعمال الباحثين الآخرين. وكثيرًا ما تأتي هذه الزيادات من اطلاع الباحث على نصوص جديدة، وردت في مخطوطات لم تكتشف إلا مؤخرًا، أو فات المحققين الانتباه إلى هذه النصوص في مظانها الميسورة.

وإليك عرضًا لأهم هذه المستدركات:

أ- **استدراك على ديوان الوأواء الدمشقي**: في سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م كتب الجاسر تعليقًا على نشرة سامي الدهان لديوان «الوأواء الدمشقي». ذكر فيه أنه اطلع على نسخة مخطوطة من «ديوان الوأواء» في مكتبة الأمير مساعد بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود في الرياض. وقد قابل نشرة الدهان على هذه المخطوطة فوجد في هذه المخطوطة السعودية خمسة أبيات ليست في المطبوعة. ثم وصف هذه النسخة السعودية وصفًا موجزًا وذكر أنها نسخت سنة ١٢٦٢هـ[٦٤].

ب- **استدراك على ديوان زيد الخيل الطائي**: أصدر الدكتور نوري حمودي القيسي «ديوان زيد الخيل الطائي» سنة ١٩٦٨م فكتب الجاسر مراجعة له، تناولت نشأة الشاعر ونسبه ووالدته وأبناءه وبعض ما ورد عن حروب طيء وأيامهم. ثم استدرك على الشعر المجموع أبياتًا عددها اثنا عشر بيتًا استمدها من مخطوطة «الدامغة» للهمداني، ومن «الكامل» لابن الأثير، ومن كتاب «الإيناس» للوزير المغربي، مخطوط المتحف البريطاني[٦٥].

ج- **استدراك على شعر لبيد بن ربيعة العامري**: كان لاطلاع الشيخ حمد الجاسر على مخطوطة عمانية تضم مجموعة من الدواوين المخطوطة محفوظة في دار المخطوطات والوثائق في مسقط برقم ٣٣٢/ ١ ز، أثر في الاستدراك على بعض الدواوين المطبوعة لبعض الشعراء، ومن هاؤلاء لبيد بن ربيعة العامري الذي حقق ديوانه الدكتور إحسان عباس. فقد وجد في المخطوطة مقطوعات من شعر لبيد لم ترد في ديوانه المطبوع تقارب سبعين بيتًا. أوردها في ١٣ قطعة وأتبعها بأبيات وردت في كتاب «شرح الدامغة» للهمداني يتعلق بخير أسر الشاعر في نجران. وعدتها ستة أبيات. وذكر أنها بحاجة إلى التثبت لكونها من الأشعار التي ترد في المؤلفات اليمنية ولا توجد في المصادر التي بأيدينا[٦٦].

د- **استدراك على شعر بشر بن أبي خازم الأسدي**: وهذا استدراك على «ديوان شعر بشر بن أبي خازم الأسدي» تحقيق الدكتور عزة حسن، مستمد في الأساس

من المخطوطة العمانية، التي أشرنا إليها آنفًا. وقد درس الجاسر هذه المخطوطة من حيث اشتمالها على عدد من الدواوين، منها «ديوان بشر بن أبي خازم». وسطَّر الفروق بينها وبين طبعة الدكتور عزة حسن، ولاحظ بعض الزيادات في النسخة المطبوعة، كما نشر مالم يرد فيها من الشعر، وقد بلغ ٢٢ قصيدة ومقطوعة مع أخبارها. ومما نشره مقدمات لبعض القصائد الموجودة في الديوان. وذكر في آخر البحث أن الدكتور عزة حسن استدرك ذالك في طبعة ثانية معتمدًا على مخطوطة أخرى شبيهة بالمخطوطة العمانية، وهي مخطوطة (باش أعيان) في بغداد، ولكن أضاف بأن هنالك قصائد أخرى وردت في المخطوطة التي اطلع عليها، ولم ترد في إضافة الدكتور عزة حسن. وانتهى إلى أن المخطوطة العمانية تحوي زيادات من شعر بشر تمثل نحو ٦٧ بيتًا(٦٧).

هـ- استدراك على كتاب «مجمع الذاكرة أو شعراء عباسيون منسيون» للدكتور إبراهيم النجار: في مراجعة لكتاب الدكتور إبراهيم النجار «مجمع الذاكرة، أو شعراء عباسيون منسيون» أبدى الشيخ حمد الجاسر عدة استدراكات على النصوص معتمدًا في معظمها على كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري. تتمثل فيما يأتي:

أ- استدرك على قصيدة الأحيمر السعدي الرائية الواردة في الجزء الثالث التي أولها:

لئن طال ليلي بالعراق لربما ... أتى لِيَ ليل بالشأم قصير

فقد أضاف الجاسر إليها ٦ أبيات فاتت المؤلف، وردت في «معجم البلدان» لياقوت.

ب- بائية ابن الدمينة التي ذكر المؤلف أنها كانت (غير متماسكة ولا مطردة في اتساق): تمنى الشيخ حمد الجاسر لو أن المؤلف اطلع على القصيدة في كتاب «التعليقات والنوادر» فهي تتكون فيه من ٩١ بيتًا.

ج- شعر ناهض بن ثومة الكلابي، أورد له النجار ٩٩ بيتًا في سبع مقطوعات، مع أن الهجري صاحب «التعليقات والنوادر» أورد له ١٣٣ بيتًا دون المكرر، ولم يرد منها في كتاب الدكتور النجار سوى سبعة أبيات، ويخلص الجاسر بهذا إلى أن ما تم العثور عليه من شعر ناهض يصل إلى ٢٣٢ بيتًا. ثم أورد الأبيات الزائدة على عمل الدكتور النجار ومنها قصيدة من ١٣٣ بيتًا لم يرد منها في كتاب النجار سوى ٥ أبيات، ثم ذكر جميع ما كتبه النجار عن ناهض والأشعار التي وردت في كتابه بتعليقاته وتخريجاته. وبذالك كوّن الجاسر مجموعًا لشعر ناهض بن ثومة الكلابي الذي وصل إلينا[٦٨].

و- **استدراك على شعر عبدالله بن العجلان النهدي**: كان الدكتور نوري حمودي القيسي قد نشر بحثًا عن الشاعر عبدالله بن العجلان النهدي، ضمن ما عثر عليه من شعره في مجلة «**العرب**»[٦٩] فاستدرك عليه الجاسر ما ورد في كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري. سواء من مخطوطة الكتاب أو من كتاب «الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين» للحافظ مُغَلطاي الذي نقل عن الهجري، مما لم يرد في هذا المجموع. وهو يمثل متفرقات من الأبيات تنتمي إلى قصيدة بائية لعبدالله بن العجلان النهدي، وروايات لبعض ألفاظها. وبلغ عدد الأبيات الكاملة الواردة في التعليقات ٥ أبيات[٧٠].

ز- **استدراك على ديوان عدي بن الرقاع**: استدرك الجاسر بعض الأبيات على ديوان عدي بن الرقاع العاملي الذي حققه الدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور حاتم الضامن. وأضافا إليه بعض مالم يرد في الديوان وكان مما استدركه الجاسر ما يأتي:

٣- أبيات وردت في كتاب «مختصر جمهرة النسب» لابن الكلبي مخطوطة مكتبة راغب باشا في استانبول.

٤- أبيات في كتاب «حدائق الآداب» للأبهري تحقيق الدكتور محمد

السديس، وهذه الأبيات الأربعة يرى الجاسر ارتباطها بالأبيات الواردة في ذيل الديوان ص ٥٩ - ٦٠.

٣- أبيات أخرى في «حدائق الآداب» للأبهري. ثم ذكر أن الدكتور الضامن قد اطلع على ما تقدم، وأوضح أنه بصدد إعادة طبع الديوان وإضافة أبيات عثر عليها أخيرًا من شعر عدي أطلعه عليها فنشرها الجاسر في مجلته[٧١].

ح- استدراك على ديوان حميد بن ثور الهلالي: للدكتور رضوان محمد حسين النجار مستدرك على بعض دواوين شعراء العرب المطبوعة، نشره في «مجلة معهد المخطوطات العربية»[٧٢]. وقد جعل قسمًا منه للاستدراك على شعر حميد بن ثور الهلالي الذي نشره الشيخ عبدالعزيز الميمني سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، وكان عدد الأبيات التي فاتت هذه الطبعة عند الدكتور النجار ١٨٧ بيتًا. وقد استدرك الشيخ حمد الجاسر مجموعة من الأبيات، لم ترد في الديوان أو مجموعة النجار بلغت ١٨ بيتًا. استمدها من كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري. ولاحظ الجاسر أن اسم هذا الشاعر ورد في «التعليقات» في عدة صور مثل حميد الجمال، وحميد الجمال بن رور (تصحيف ثور) الهلالي، وحميد بن ثور الأثبجي[٧٣].

ط- استدراك على ديوان الحطيئة: نشر ديوان الحطيئة في طبعات عدة، أولاً طبعة المستشرق (جولدزيهر) في أواخر القرن التاسع عشر، كما نشر ثانية في القسطنطينية سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م) ومرة ثالثة بمصر بعناية الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي سنة ١٩٠٥م. وفي سنة ١٩٥٨م أخرج نعمان محمد أمين طه نشرة للديوان اعتمادًا على مخطوطة عاطف أفندي، ولكنه غيّر فيها وبدّل وقدّم وأخّر ورتب القصائد ترتيبًا مغايرًا لما تواضع عليه المحققون[٧٤]. ثم أعاد نشر الديوان على الطريقة الصحيحة، وهي نشر المخطوط بصورته الأصلية وذالك سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. والمخطوط الذي نشره برواية ابن السكيت (ت ٢٤٦ هـ) وشرحه.

وقد كتب الشيخ حمد الجاسر بحثًا تحدث فيه عن ديوان الحطيئة مخطوطًا ومطبوعًا. وازن فيه بين المطبوع بتحقيق نعمان أمين طه، وشعر الحطيئة في مخطوطة يمنية اطلع عليها عند الأستاذ خير الدين الزركلي وآلت أخيرًا إلى (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

في هذه الموازنة تطرق الجاسر إلى ما أخلت به المخطوطة من شعر الحطيئة وما أخلت به المطبوعة من شعره وأخباره مما هو موجود في المخطوطة اليمنية. مع دراسة مستفيضة لرواة الشعر والخبر وشراح الديوان في المخطوطة والمطبوعة. واستدرك على المطبوعة ٢٤ بيتًا، إلى جانب بعض الأخبار التي ذكرت في النسخة المخطوطة، مما يلقي بعض الأضواء على حياة هذا الشاعر[٧٤].

١٣- من اسمه عمرو من الشعراء: من اسمه عمرو من الشعراء كتاب يترجم للعَمْرِيْنَ في الشعر العربي حتى عصر مؤلفه وضعه محمد بن داود بن الجرَّاح (٢٩٦هـ) وقد نشر سابقًا بتحقيق المستشرق (بروي) سنة ١٩٢٧م في فيينا وليبزج. وقد اطلع الجاسر على مخطوطة له في مكتبة فاتح في استانبول ضمن مجموع بخط يوسف بن لؤلؤ بن عبدالله، نسخة سنة ٦١٤هـ وهي مخطوطة فريدة لا ثانية لها. وقد بدأ الجاسر في نشر هذا الكتاب منذ المجلد الرابع من مجلة «العرب»[٧٥]. ولكنه ما لبث أن توقف عن ذالك بعد أن نشر من الكتاب خمس حلقات.. وعلل ذالك فيما بعد - بأن توقفه كان بسبب علمه أن أحد المستشرقين قد نشر الكتاب[٧٦].

كتب الجاسر للكتاب مقدمة مستفيضة، تحدث فيها عن المؤلف وأسرته وحياته ومؤلفاته وشعره وطريقته في تأليف الكتاب، ومصادره ومن أخذ عنهم من جلة العلماء والرواة.

لم يزد عمل الجاسر في هذه النشرة على إثبات الأصل كما هو، ولم يعتن فيها بالضبط كما هي عادته في بعض ما نشر من نصوص. أما التخريج فلا يكاد يذكر. ولم يخل النص من التطبيع.

وقد نشر الكتاب بعد ذالك الدكتور عبدالعزيز المانع سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م معتمدًا على المخطوطة نفسها. وليس هذا موضع الحديث عنه.

وبعد فإن أعمال الشيخ حمد الجاسر في نشر النصوص الشعرية المخطوطة وجمع بعضها من المصادر المختلفة، والاستدراك على ما صنعه هو أو الآخرون، يمثل جهدًا رياديًا قد لا يعرفه الكثير من الباحثين، الذي عرفوا الجاسر مهتمًا بالجانب الجغرافي والتاريخي في التراث. مع أن هذا الجانب الأدبي يمثل ملمحًا لا يقل أهمية في مسيرة الجاسر المعرفية والتأليفية.

خاتمة: إن الناظر في هذه المرحلة التي أسميناها (مرحلة الريادة) في نشر التراث الشعري وتحقيقه يجدها تتميز بسمات خاصة عن المرحلة التي تبعتها.

١- وأول هذه السمات ذالك العشق الذي نجده يملك قلوب أولئك النفر الذين تصدوا لنشر التراث وتحقيقه. فالطرابزوني والعقيلي وحمد الجاسر، كل واحد منهم كان لديه من الحب لهذا التراث ما جعله يبذل الغالي والنفيس في سبيل إخراجه إلى الناس. معتمدًا على مجهوده الفردي في الأغلب الأعم.

٢- والثاني أن مطبوعات هذه المرحلة قد لا تستكثر من النسخ الخطية، فإذا تهيأت نسخة راقت للناشر أخرجها إلى الناس. وهذا الحكم بالطبع لا يشمل كل ما نشر، وإن كان ذالك الأغلب الأعم.

٣- أن الشروح والتعليقات تتفاوت بتفاوت الناشرين والمصححين علمًا وتجربة. كما أنها لا تمثل حائلاً يقف دون إخراج الكتاب إذا ما تهيأت سبل إخراجه.

٤- أن تخريج الأشعار على المصادر المختلفة ليس هدفًا من أهداف النشر، ولا غاية يعمد إليها الناشر. وفي حالة الشيخ حمد الجاسر نجده يرى في كثير منها إطالة لا داعي لها.

٥- الفروق بين النسخ، أو بين النسخة المخطوطة وما ورد في مصادر التراث

الأخرى لا يؤكد عليه كثيرًا. وفيما عدا بعض أعمال الشيخ حمد الجاسر فإننا لا نكاد نجد لها أثرًا.

٦- ضبط النص لا يتخذ سبيلاً واحدًا، فقد تحظى بعض النصوص بالضبط الكامل. وقد يكون الضبط جزئيًا، فيكون الشّكل لما يُشكل وحسب. وأحيانا تخلو النصوص من الضبط.

٧- الفهارس الفنية بأنواعها على أهميتها لا تكاد توجد في معظم كتب هذه المرحلة. وإذا وجدت فهي لا تتسق مع ما تواضع عليه المحققون المعاصرون من شروط.

٨- أن تخصص الباحثين واهتماماتهم الفكرية قد انعكست على النصوص التي حققوها، مخطوطة أو مجموعة فاستخدمت النصوص لإيضاح كثير من الموضوعات التي شُغِل بها المحققون كالموضوعات التاريخية، لدى الأستاذ محمد العقيلي، والجغرافية لدى الشيخ حمد الجاسر. ولذلك لم تحظ الناحية الفنية في هذه النصوص بالمعالجة المتوقعة التي تكشف الإبداع أو تعالج قضاياه.

أحمد بن محمد الضبيب

الحواشي:

(*) مجلة «العرب» س ٢، ص ٣٤٢ و ١٠٥٢ و ١١٢٢ و س ٣، ص ٨٨٢.

(١) انظر في وصف هذه الطبعة، «ديوان ابن المقرب» تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، نشر مكتبة التعاون بالاحساء سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م ص ١٢. وانظر وصفًا لها وموازنة مع الطبعة الهندية سنة ١٣١٠هـ في: عمران العمران، «ابن المقرب حياته وشعره» ط ١، الرياض، مطابع الرياض سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨، ص ٢٩. وانظر حديثًا مفصلاً عن مخطوطات الديوان ومطبوعاته الخمس في: علي بن عبدالعزيز الخضيري «علي بن المقرب العيوني، حياته وشعره» بيروت، مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص ١٠١ وما بعدها. وأحمد موسى الخطيب، «شعر علي بن المقرب العيوني»، دراسة فنية، الرياض، دار المريخ سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٨٧ وما بعدها.

(٢) تضم طبعة المكتب الإسلامي للديوان ١٣٨١هـ/ ٩٧ قصيدة عدد أبياتها ٥٣٢٩ بيتًا. أما طبعة عبدالفتاح الحلو سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م فقد ضمت ٩٨ قصيدة عدد أبياتها ٥٢٦٢ بيتًا. وقد توصل الدكتور أحمد

موسى الخطيب بتتبعه مخطوطات ديوان ابن المقرب إلى عدد يبلغ ٥٤٢١ بيتًا من شعره. انظر كتابه: «شعر علي بن المقرب العيوني، دراسة فنية» المشار إليه في الهامش السابق.

(٣) حسين عبدالله باسلامة، «الجوهر اللماع بما ثبت بالسماع من حكم الإمام الشافعي المنظومة والمنثورة، الثابتة بالأسانيد المأثورة»، القاهرة، مط كردستان العلمية سنة ١٣٢٦هـ، ص ٦٥ و ٦٦.

(٤) انظر «ديوان قيس بن الخطيم»، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، ط ١، القاهرة، مكتبة دار العروبة، ص ٧٤.

(٥) ابن خلكان، «وفيات الأعيان»، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، سنة ١٩٧٢م، ٢/ ٤٠٣.

(٦) أبو العلاء المعري، «عبث الوليد، شرح ديوان البحتري»، علق عليه محمد عبدالله المدني، نشره أسعد طرابزوني الحسيني، مطبعة مصورة، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، بلا تاريخ.

(٧) نفسه، ص ١٠. (٨) نفسه، ص ١٧.

(٩) لم نطلع على هذه الطبعة، واعتمدنا في تاريخ الطبع على عبدالفتاح الحلو، شعراء هجر، الرياض، دار العلوم، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٩٩.

(١٠) انظر بعض الفروق بين طبعات الديوان في الهامش رقم (٢) أعلاه.

(١١) «ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل، دراسة وتحليل»، ط ١، القاهرة، دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص ٥.

(١٢) نفسه، ص ٤.

(١٣) محمد بن أحمد العقيلي، «مختارات من ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل»، دراسة وتحليل وتحقيق، ط ٢، جازان، مطابع جازان، سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣٩. هامش رقم (١).

(١٤) نفسه، ص ١٤٦، الهامش رقم (٢).

(١٥) محمد بن أحمد العقيلي، «الجراح بن شاجر الذروي، شاعر المخلاف السليماني»، الطبعة الأولى، مط. الرياض سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ٢٩.

(١٦) حجاب بن يحيى الحازمي، «القاسم بن علي هتيمل الضمدي»، ط ١، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي الأدبي، مطابع الصفا سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٨٦.

(١٧) زيد الحسين، «دليل الرسائل الجامعية»، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، رقم ٤٠٢٩.

(١٨) «العرب» مج ١، سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص ٣٧، ١٥٧، ٦٤٨، ١١٥٤.

(١٩) نفسه، ص ١٧ - ٣٦.

(٢٠) حمد الجاسر، «مع الشعراء، مختارات ومطالعات»، منشورات النادي الأدبي في بريدة، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ص ١٧ - ٦٤.

(٢١)- نفسه، ص ٣٧.

(٢٢) نوري حمودي القيسي، عبدالله بن همام السلولي، حياته وما تبقى من شعره»، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٧ ج ٤ ربيع الأول سنة ١٤٠٧هـ/ كانون الأول ١٩٨٦م، ص ١٨٣ وما بعدها.

(٢٣) نفسه.

(٢٤) «العرب»، مج ٢٣، ج ٣ و ٤ (رمضان وشوال سنة ١٤٠٨هـ) ص ص ١٥٠ - ١٨٢.

(٢٥) «العرب»، المجلد نفسه، ص ١٥١.

(٢٦) «العرب» مج ٢٥/ ١٣٦.

(٢٧) «العرب»، مج ٢، ج ٢ شعبان ١٣٨٧هـ/ تشرين الثاني ١٩٦٧م، ص ص ١٢٧ - ١٧٥. وحمد الجاسر، مع «الشعراء» ص ص ٦٥ - ١١٣.

(٢٨) حمد الجاسر، «مع الشعراء»، ص ١٩٨.

(*) انظر الحديث عن الشاعر في «العرب» س ٢ ص ١٢٧.

(٢٩) حمد الجاسر، جحدر العكلي، خبره وشعره «العرب»، مج ١١، ج ١ و ٢ رجب - شعبان سنة ١٣٩٦هـ/ يوليو - أغسطس سنة ١٩٧٦م، ص ص ٧٣ - ٩٥.

(٣٠) حمد الجاسر، «مع الشعراء»، ص ص ١١٥ - ١٣٧.

(٣١) نفسه، ص ١١٧.

(٣٢) نفسه، ص ١٣٠.

(٣٣) نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٤) نوري حمودي القيسي، «شعراء أمويون»، القسم الأول، الموصل، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل، سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ص ص ١٥٩ - ١٩٢.

(٣٥) انظر، د. شاكر الفحام، (المجموع من شعر القحيف العقيلي) مجلة «مجمع اللغة العربية» بدمشق، مج ٦٢ سنة ١٩٨٧م، ص ٦١٧.

(٣٦) «العرب»، مج ١ ج ٥، ذو القعدة سنة ١٣٨٦هـ/ شباط ١٩٦٧م، ص ص ٤٠٦ - ٤١٧، و ج ٦ (آذار سنة ١٩٦٧) ص ص ٥٥١ - ٥٥٧؛ و ج ١٢ ص ١١٥٥. ثم نشره في كتابه «مع الشعراء» ص ص ١٧٣ - ١٨٧.

(٣٧) حمد الجاسر، «مع الشعراء»، ص ١٧٤.

(٣٨) شاكر الفحام، (المجموع من شعر القحيف العقيلي)، مرجع سابق، ص ٦٢٢.

(٣٩) مجلة «المجمع العلمي العراقي»، مج ٣٧، ج ٣، ص ص ٢٢٢ - ٢٥٣.

(٤٠) انظر «العرب»، مج ٢٣/ ٦٠٨ - ٦٠٩.

(٤١) «العرب»، مج ٢٣، ج ٩ و ١٠، الربيعان ١٤٠٩/ تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٨٨، ص ص ٦٠٢ - ٦١٩.

(٤٢) نفسه، ص ٦٠٢.

(٤٣) «العرب»، مج ١، ع ٩، ربيع الأول سنة ١٣٨٧هـ/ حزيران ١٩٦٧، ص ص ٧٩٦ - ٨٥٣.

(٤٤) حمد الجاسر، «مع الشعراء»، ص ص ١٣٩ - ١٧٢.

(٤٥) انظر: علي محاسنة، (نظرات في شعر يزيد بن الطثرية) مجلة «أبحاث اليرموك» (سلسلة الآداب واللغويات) مج ١١ ع ١ سنة ١٩٦٣ ص ص ١٨٧ و ١٨٨.

(٤٦) حمد الجاسر، «مع الشعراء»، ص ١٥٧.

(٤٧) نفسه، ص ٢٦٢ - ١٦٣.

(٤٨) «العرب»، مج ٨ ج ٧ و ٨ محرم وصفر سنة ١٣٩٤هـ/ فبراير - مارس ١٩٧٤م ص ص ٥٧٠ - ٥٧٥.

(٤٩) «العرب»، مج ١ ع ١١، جمادى الأولى سنة ١٣٨٧هـ/ آب ١٩٦٧م ص ص ٩٩٩ - ١٠٠٧ ثم أعادة نشره في كتابه «مع الشعراء»، ص ص ٢٢٢١ - ٢٢٩.

(٥٠) «مع الشعراء»، ص ٢٢٧.

(٥١) علي بن إسماعيل القالي، كتاب «الأمالي»، القاهرة، مط. السعادة، سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، ١/ ١٨١.

(٥٢) «العرب»، مج ١٣، ج ٩ و ١٠، الربيعان ١٣٩٩هـ/ مارس - إبريل ١٩٧٩م ص ص ٦٨٧ - ٧٧٠.

(٥٣) «العرب»، المرجع نفسه، ص ٧٠٣.

(٥٤) داود سلوم ونوري حمودي القيسي، «شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي»، بتفسير أبي رياش أحمد ابن إبراهيم القيسي، بيروت، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ص ٢٣٧ - ٣١٥.

(٥٥) «العرب»، مج ١٣/ ٢٧٨ - ٣٠٣.

(٥٦) «العرب»، مج ١، ج ٩، ربيع الأول ١٣٨٧هـ/ حزيران سنة ١٩٦٧م، ص ص ٧٩٤ - ٨٠٨.

(٥٧) الحسين بن علي المغربي، «أدب الخواص»، أعده للنشر حمد الجاسر، الرياض، منشورات النادي الأدبي بالرياض بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٩.

(٥٨) نفسه، ص ٤٦.

(٥٩) انظر عرضاً ملخصاً للكتاب في: حمد الجاسر، «التعليقات والنوادر»، القسم الأول، ط ١، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٥٩ وما بعدها.

(٦٠) انظر وصف القطعتين؛ المرجع السابق، ص ٢٢٩ وما بعدها.

(٦١) «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق، مج ٢٨، ج ٤، المحرم سنة ١٣٧٣هـ/ تشرين الأول سنة ١٩٥٣م، ص ٥٩٥.

(٦٢)- حمد الجاسر، «التعليقات والنوادر»، القسم الرابع، ص ٥١١.

(٦٣) محمد يحيى زين الدين (التعليقات والنوار، زيادة في بعض الأراجيز) «العرب» مج ٣١، ج ١ و ٢، رجب - شعبان سنة ١٤١٦هـ/ ديسمبر - يناير سنة ٩٥/ ١٩٩٦م ص ص ٨٤ - ١٠١.

(٦٤) «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق، مج ٢٦، ج ٢، سنة ١٣٧٠هـ/ نيسان ١٩٥١م، ص ص ٣١٤ - ٤١٥.

(٦٥) «العرب»، مج ٩، ج ٧ و ٨، محرم وصفر سنة ١٣٩٥هـ/ فبراير - مارس ١٩٧٥م، ص ص ٦٠٧ - ٦١٢.

(٦٦) حمد الجاسر، (من شعر لبيد بن ربيعة العامري عن مخطوطة عمانية كانت مجهولة) «العرب»، مج ٢٣، ج ٥ و ٦، ذوا القعدة والحجة سنة ١٤٠٨هـ/ يوليو - أغسطس سنة ١٩٨٨م، ص ٣٦٠ وما بعدها.

(٦٧) حمد الجاسر (شعر بشر بن أبي خازم الأسدي في مخطوطة عمانية كانت مجهولة)، «العرب»، مج ٢٣، ج ٧ و ٨، محرم وصفر سنة ١٤٠٩هـ/ ايلول - تشرين أول ١٩٨٨م، ص ص ٤٤٢ - ٤٨٠.

(٦٨) حمد الجاسر، (شعر ناهض بن ثومة الكلابي)، «العرب»، مج ٢٥، ج ١ و ٢، رجب - شعبان سنة ١٤١٠هـ/ فبراير - مارس ١٩٩٠م، ص ص ١ - ٢٤.

(٦٩) نوري حمودي القيسي، (عبدالله بن العجلان النهدي، حياته وما تبقي من شعره)، «العرب»، مج ٢٤، رجب - شعبان سنة ١٤٠٩هـ/ فبراير - مارس ١٩٨٩م، ص ١ - ٢٤.

(٧٠) حمد الجاسر، (عبدالله بن العجلان النهدي)، «العرب»، مج ٢٥، ج ٥ و ٦ ذوا القعدة والحجة سنة ١٤١٠هـ/ يونيو - يوليو سنة ١٩٩٠م، ص ٤١٢.

(٧١) «العرب»، مج ٢٥، و ٢، رجب وشعبان سنة ١٤١٠هـ/ فبراير - مارس ١٩٩٠م، ص ص ١٣٢ - ١٣٥.

(٧٢) رضوان محمد حسين النجار، (المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة)، القسم الثاني، «مجلة معهد المخطوطات العربية» بالكويت، مج ٣٠، ج ٢، ذو القعدة ٤٠٦ ربيع الآخر ١٤٠٧هـ/ يوليو - ديسمبر سنة ١٩٨٦م، ص ص ٦٨٧ - ٧٢٤.

(٧٣) حمد الجاسر، (حميد بن ثور الهلالي، نظرة في نسبه وشعره)، «العرب»، مج ٢٥، ج ٧ و ٨ محرم وصفر سنة ١٤١١هـ/ أغسطس - سبتمبر سنة ١٩٩٠م، ص ص ٥٥٥ - ٥٦١.

(٧٤) «ديوان الحطيئة»، تحقيق نعمان أمين طه، ط ٧١ القاهرة، مط. المدني، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٣.

(٧٥) حمد الجاسر، (شعر حطيئة، مطبوعًا ومخطوطًا) «العرب»، مج ٢٣، و ٦، ذوا القعدة والحجة سنة ١٤٠٨هـ/ يوليو - أغسطس سنة ١٩٨٨م، ص ص ٢٨٩ - ٣٢٦.

(٧٦) «العرب»، مج ٤، ج ٣، رمضان ١٣٨٩هـ/ ديسمبر ١٩٦٩م، ص ص ١٩٣ - ٢٠٩. ومج ٤ ج ٤ شوال سنة ١٣٨٩هـ/ يناير ١٩٧٠م، ص ص ٣٣٥ - ٣٣٨. ومج ٤ ج ٥، ذو القعدة سنة ١٣٨٩هـ/ فبراير سنة ١٩٧٠م، ص ٤٢٥ - ٤٢٦. ومج ٤ ج ٦، ذو الحجة سنة ١٣٨٩هـ مارس سنة ١٩٧٠م، ص ٦٣٦ - ٦٤٦. ومج ٤ ج ٨، صفر سنة ١٣٩٠هـ/ مايو سنة ١٩٧٠م.

(٧٧) «العرب»، مج ٢٧، ج ٣ و ٤، رمضان - شوال سنة ١٤١٢هـ/ مارس - ابريل سنة ١٩٩٢م، ص ٢٧٨.

مع المرزوقي في «مصنّفاته»[١]

قبل أن أبدأ الكلام على المصنفات أبسط ما دعاني إلى درسي هذا فأقول: كان لي معرفة بوجود مخطوط صغير في (خزانة المتحف العراقي) وسم بـ«كتاب ألفاظ الشمول والعموم» للمرزوقي، وهو مما نقل من كتب (خزانة الأب أنستاس ماري الكرملي). قلت: إن المخطوطة صغيرة، ولكنها دُعِيَتْ كتابًا. كما جرى غير واحد من المصنفين الأقدمين، فسمّوا رسائلهم الموجزة أو أبواب تصانيفهم (كتبًا). وقد عرفنا شيئًا من هذا في كتب وصلت إلينا.

وقد انتسخت لنفسي هذه المخطوطة وحملتها معي في رحلتي إلى (باريس) في أواخر سنة (١٩٤٨م)، وقد نظرت فيها، وعلّقت عليها، فرأيت بعد سنين أن أضمها إلى مجموع وسمته بـ«رسائل في اللغة»، وأنا في هذه التسمية قد عدلت عن وسمها (كتابًا)[٢]، وقد أشار إلى هذا الدكتور علي جواد الطاهر - رحمه الله - في (تمهيده)، ص ٢١ من كتابه «المرزوقي شارح الحماسة ناقدًا»، وسأعود إلى هذا عند الكلام على الكتاب.

وأعود بعد هذه الأسطر إلى «أمالي المرزوقي» فأقول: لم أكنْ أعرف عن هذا الكتاب حين نشرت «ألفاظ الشمول والعموم» سنة (١٩٦٤م)، إلا ما ورد في ترجمته من أن له كتابًا هو «أماليه»، حتى إذا نشره الأستاذ يحيى الجبوري وجدت فيه رسالتي التي حملتها معي قبل ربع قرن إلى باريس، لقد وجدتها فصلاً من هذه «الأمالي» بتمامها وكمالها، وهذا يعني أن ذهاب الدكتور علي جواد الطاهر إلى أن «ألفاظ الشمول والعموم» ناقصة الآخر مَحْضُ ظنٍّ.

لقد توفر للأستاذ يحيى الجبوري أصول «أمالي المرزوقي» المخطوطة، فشرع في عمله، فأحسن صنعته. أقول: والمرزوقي في «أماليه» هذه صاحب (أدب).

وقد يكون لي أن أقف على كلمة(أدب) لأقول: إنها من الكلم التي ذهب فيها

الأقدمون إلى فوائد كثيرة، تتجاوز الذي لنا نحن أهل هذا العصر، فهي تفيد ماهو نحو وصرف واشتقاق، وما نتوسع فيه قليلاً، فنضيف إليه اللغة، ونتجاوزه قليلاً فندرج فيه ماهو صنعة معجمية، وعلى هذا لم يكن الشعر والنثر وما يتصل بهما مما هو (بيان وبديع) وسائر مواد البلاغة، وما يكون فيها من نظرات في (النقد)، بعيداً عن الفوائد الأخرى التي بسطتها.

إن المرزوقي (أديب) وهو صاحب أدب في هذا المعنى الواسع، الذي ما أراني قد استوعبته وأنا لا أذكر القرآن والحديث، ومايكون مما هو من ملاك العلم فيهما، ولن تعدم أن تجد في هذا ما يكون من التاريخ، ألا ترى أن «الكامل» للمبرّد هو (كامل)، بما أراد له صاحبه الذي لم يبتعد عن تاريخ الخوارج وشعرائهم ورجالهم.

وأعود إلى المرزوقي وأنا أجيلُ النظر في «الأزمنة والأمكنة» فأجد فيه من الفوائد التاريخية مما أشارت (أوابد) العربية، وقد يكون لي في هذه (الأوابد)، أن أقف على فوائد أجدها في كتب (الأنواء).

لقد كان من مواد «الأمالي» هذه: باب المعتل الفاء المضمومة، وباب المعتل العين، وباب ما اعتل لامه، وباب ما اعتل فاؤه ولامه، وباب التضعيف وباب المهموز.

وأتجاوز هذا الذي قد يكون من النحو، وقد يكون من اللغة إلى شيء آخر هو من الصنعة المعجمية، مما يتصل بـ (البارحة)، ودلالتها واستعمالها.

ومن هذه الصنعة المعجمية قول القائل: كل هاؤلاء أصحابك، وكلُّ أصحابك هاؤلاء. ومن هذه: (الإمَرُّ) واستعمالها ودلالتها، وما (الأسطوانة والأقحوانة)، وبناء (مفعولاء).

وقد يكون من «أماليه»، ما يتصل بـ (لغة التنزيل) فقد وقف على قوله تعالى:

﴿حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾.

ومن هذا ماكان له في قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنّة يومئذ خير مستقرًّا وأحسن مقيلاً﴾، وقولـه تعالى: ﴿وإذا قيل لهم مـاذا أنْزل ربكم قـالوا أساطيـر الأولين﴾، وقوله تعالى: ﴿قد أنزل الله إليكـم ذكرًا رسولاً﴾، وقوله: ﴿وما يُشعِرُكُمْ أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾، وقوله تعالى: ﴿وكُلَّ إنسانٍ ألزَمنـاهُ طائِرهُ في عنقه﴾، وقوله تعالى: ﴿وإذا أرَدْنَا أن نُهْلِكَ قريةً﴾.

وقد يكون من هـذه الصنعة في «أماليه» في (مسألةٍ من الأثـر): «طول الصلاة وقصر الخطبة مَئِنَّة من فقه الرجل».

ومن هذا: حديث أمِّ زرع.

ومن هذه «الأمـالي المرزوقية» مسـائل نحوية منهـا: مسألة: سأل بعضهم عن قول القائل: (أحمل المال أوَّلَ أوّل) وإعرابه.

ومنها: قال سيبويه: ليس في الكلام فعِلٌ وصفًا إلاّ في حرف من المعتلّ.

ومسألة في إعراب: شرط فعل التعجب أن يكون في الثلاثي لا غير...

ومسألة في إعراب: خَلَق الله الزَّرافة يَدَيْها أطولَ من رِجلَيْها....

ومسألة إعراب: من أين جاز أن يقال: عامًا أوّلَ ولم يجز شهرًا أوّل.

ومسألة إعراب: في ليلةٍ من جمادى ذات أندية....

أقول: ومن هذا بيت وإعرابه:

أمِـنْ رَسْمِ دارٍ مَـــــرْبَعٌ ومَصِيـفُ لِعَيْنَيْكَ مِـنْ مـاءِ الشُّـــؤُوْنِ وكيفُ

وفي هذه «الأمالي» الطريفة شيء من (الغريب والنوادر وأمثال)، وفوائد أخرى.

أقـول: وكأنّ هـذه «الأمـالي» تـؤلف كتـابًـا برأسـه، فهل يكـون لنـا أن نَعُـدَّ (اختياراته) الشعرية كتابًا آخر؟

قد يكون هـذا، وذالك أن الذي وقف من الأوائل على هذه «الأمـالي» اللغوية قد ألحق بها (الاختيارات).

وأما (الاختيـارات) فقد قـال فيها المحقق الـدكتور يحيى: (وقد حفـظ في جملة مختاراته الشعرية أشعارًا لم تحوها الدواوين والكتب، وهي من باب النادر والنفيس، وقد حفظ كـذالك أبياتـًا من قصائد أخَلَّتْ بهـا الدواوين المصنـوعة أو المجمـوعة، وكـذالك روايات لـلأشعار انفـرد بهـا، وتفسيرات للمشكل من الأبيـات تَنَبَّه إليهـا، وانفردَ بتوجيهها، ومن الأشعار التي انفرد بها أو أضافها إلى الروايات السابقة:

١ - قصيدة محمد بن مسلمة لم تذكرها كتب الأدب والمجموعات الشعرية.

٢ - قطعة لعبدالقادر ردّ فيها على قصيدة محمد بن مسلمة.

٣- قصيدة لجميل بثينة لم يرد منها في ديوانه غير بيتين.

٤ - أبيات من قصـائد مشهورة ينفـرد بها، وليست في الـدواوين أو المجاميع الشعرية.

أقول: وقد كان مع (إضافاتـه)، تصحيحات لما اشتهر من قراءات، ومنه شيء في شعر سُحَيْمٍ عبد بني الحسحاس وغير هذا.

وأختم هـذا الموجـز فأقف على مصطلح «الأمـالي» فأقـول: قد يكـون أصل «الأمـالي» ما أمـلاه الشيخ على جماعتـه الذين أخـذوا عنه، وكأن الكلمـة جمع المصـدر (إمـلاءً) ولا أراهـا جَمْعَ (أُمْليـة)، ذالـك أني لا أجـد هـذا المفـرد في مصطلحهم القديم، وكأنّ الـذي ذهب إلى هذا حملهـا على نظائرهـا كقولك في أُمْنية وأضحيـة: أماني وأضـاحي، وإني لأميل إلى أن بعض ماكـان من «الأمالي» ليس إلا شيئًا مجمـوعًا، وكأني أرى هـذا المجموع من علم المـرزوقي في اللغة والنحـو والأدب وغيـر ذالك، ثم الاختيـارات الشعريـة الـذي وُسم بـ «أمـالي المرزوقي» مما جمعه، وضـم أجزاءه بعضها إلى بعض.

ولي بعد هذا أن أخلص إلى الكتاب الثاني وهو «المرزوقي شارح الحماسة ناقدًا» فأقول: لقد عرفت كما عرف أخي علي جواد الطاهر «شرح الحماسة» للتبريزي، وأفدتُ منه، كما أفاد غيري، حتى إذا كان للأستاذين أحمد أمين وعبدالسلام هارون نشر هذا «الشرح للحماسة» للمرزوقي سنة ١٩٥٣ أدركت فوائد جديدة.

وقد يكون من المفيد للقارئ وأنا أبسط مالديَّ من كتاب أخي الطاهر «المرزوقي شارح الحماسة ناقدًا» أن أعرض لشيء مما أثبته الأستاذ أحمد أمين. قال: (قرأت أوّل عهدي بالأدب «شرح ديوان الحماسة» هذا للتبريزي، فلم يعجبني، لأنّ التبريزي لغويّ أكثر منه أديبًا وناقدًا، فكنت أقرأ الشرح أحيانًا، وأنا متعطش جدًّا لأفهم معنى بيت فلا أجده، لأنّ الشارح انصرف إلى شيء آخر، ثم عثرت على نتف للمرزوقي فرأيتها تسدّ هذا النقص، ثم قرأت شرحه على مشكلات أبي تمام، فرأيته إمامًا عظيمًا لا يتهرب من المشاكل، ولكن يتصدّى لها، فوددت أن لو عُثِرَ على شرحه لديوان الحماسة ونُشر، لأنه يكمل نقص التبريزي، فلما عُثِرَ عليه، وجدته فوق ما أتوقّع، ووجدت له مقدمة في النقد لم أر مثلها في اللغة العربية، فكم كنا نقرأ في كتب الأقدمين عن (عمود الشعر) ولا نفهم معناها، حتى شرحها المرزوقي شرحًا دقيقًا وافيًا، وكم له من حسنات أخرى غير هذه، فإخراجه للقرّاء يسدّ ثلمةً ويكمل نقصًا.

وقد اشتركت في إخراجه مع الأستاذ المحقق عبدالسلام هارون، والحق يقال إنه كان له حظٌّ في نشره أكبر من حظيّ، فله الشكر على ما بذل من جهد في إخراج الكتاب، وفي نسبة ما ورد في الشرح إلى قائله، والتعريف بأعلام الشعراء وغيرهم، وتصحيح ما حصل فيه من خطإ الناسخ، ووضع فهارسه الفنية، فالله يجزيه عنّا وعن الأدب خير الجزاء).

أقـول: وقد أثبت الأستـاذ علي جـواد الطاهـر مشـاركـة أحمد أمين هـذه في تحقيق الكتاب، وإقراره بما كان من حظّ الأستاذ هارون فيه، وأنه أربَى كثيراً على ماكان منه، فاستحق الشكر لما قام به وأنجزه.

وإذا كان هذا هو ما أثبته أحمد أمين وإقـراره بما كان منه، وماكان من الأستاذ هارون أفـلا يكون هـذا مانعـًا ألا يذهب أخي - رحمه الله - في النيـل من أحمد أمين تلميحـًا وتصريحًا فيقـول في «تمهيـده» ص ١٨: (صدر الشرح مـن (لجنة التأليف والتـرجمـة والنشـر)، التي يـرأسهـا أحمـد أميـن، وعن مطبعتهـا عـام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م - ١٣٧٢/ ١٩٥٣ بأربعـة أجزاء كتـب على غلافهـا (نشـره أحمـد أمين [و] عبـدالسلام هـارون...) ومعـروف جيـدًا أن الفعل الحقيقي في التحقيق الجادّ المثمر الدقيق يرجع إلى عبدالسلام هارون، الذي ورد اسمه ثانيًا، ولم تأت المعـرفـة استنتـاجـًا لما يعلمـه النـاس من بعـد أحمـد أمين عن عـالم التحقيق، واستغلاله منصب الرئاسة فـي اللجنة، وإنما اقترب الاستنتاج الصحيح بمقدمـة قصيرة لأحمـد أمين قال فيهـا: (وقد اشتـركت في إخراجـه مع الأستاذ المحقق عبدالسلام محمد هارون....).

أقول: وقد مرَّ قبل أسطر كلام أحمد أمين الذي نوَّه فيه بفضل الأستاذ هارون، غير أني أقـول أيضًا: ألم يشفع هـذا الأدب لأحمد أمين فنكف أقلامنـا ونكبحها فلا ننال من أهل الفضل، ثم كيف لنا أن ننكر معرفة أحمد أمين في التحقيق، وهو المؤرّخ الـذي عرض للخبر التأريخي الإسلامـي القديم في تصانيفه الإسـلامية، وهي تؤلف موسوعة؟؛ ألم يحقق «الإمتاع والمؤانسة» مع الأستاذ هارون؟ وإني لواثق أن جهده في هذا الكتاب يعـدل جهد الأستاذ هارون إن لم يتجاوزه، ذالك أن مادة «الإمتاع والمؤانسة» أدبية تاريخية، وهي من خاصِّ ما يملكه أحمد أمين.

ثم إن الأستاذ أحمد أمين أستاذ في النقد الأدبي في (كلية الآداب) من (جامعة فؤاد الأول) القديمة، وقد يكون بين الأحياء في عصرنا من أخذوا هذه المادة في

تلك الكلية، وله في هذه المادة (كتاب)، مطبوع، ولهذا ليس لقائل أن يقول ما قاله أخي الأستاذ الطاهر - رحمه الله -: إنه بعيد عن التحقيق، وأهل العلم من المصريين وغيرهم يعرفون هذا.

وليس لنا أن نقبل كلمة (الاستغلال) بإيْحَاءاتها الحديثة، وننبز بها الأستاذ أحمد أمين - رحمه الله -.

وكان أخي الأستاذ الطاهر - رحمه الله - قد ذكر في (مقدمته) ص ٧: (صدر [أي الكتاب] بأربعة أقسام (أجزاء) مع تصدير أحمد أمين بصفحتين ونصف، وتقديم عبدالسلام محمد هارون بتسع عشرة صفحة.....).

أقول: وقد أشاد الدكتور علي جواد الطاهر - رحمه الله - بجهد الأستاذ عبدالسلام هارون في (مقدمته) و (تمهيده)، كما أشاد بما صنعه أهل الجدّ في نشر ما يتصل بالمرزوقي، وماكان منهم ولا سيما العراقيين، في نشر ما يتصل بأبي تمام من أخباره وأشعاره، وماكان للمرزوقي من نصيب غير «شرحه للحماسة»، وحق هاؤلاء جميعًا على أهل العلم الوفاء لهم ولما كان منهم.

ولي أن أعود إلى (مقدمة) الأستاذ عبدالسلام هارون وما أثبته فيها من قيمة المرزوقي، وماكان من صنعة أبي تمام الشاعر العالم في «حماسته».

لقد أثبت الأستاذ هارون قول التبريزي في أبي تمام في «شرحه» فقال: أبو تمام قصد عبدالله بن طاهر بخراسان فمدحه وأثابه، وعاد من خراسان يريد العراق، فلما دخل العراق اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة، فأنزَله وأكرمه، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق، ومَنعَ السابلة فغمَّ أبا تمّام ذالك، وأحرج صدره... على حين سَرَّ ذالك مضيفه أبا الوفاء، فأقبل على أبي تمام وقال له: وَطِّن نفسَك على هذا المقام، فإنّ هذا الثلج لا ينحسر إلا بعد زمان، وأحضره خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها، وصنّف خمسة كتب في الشعر منها: «كتاب

الحماسة»، و «الوحشيات» [ودُعيت الحماسة الصغرى] وهي قصائد طوال.

وقال التبريزي أيضًا: إن أبا تمّام ألّف حماسته في هَمَذان، وحمله عنه رجل إلى أصبهان[٣]، فأقبلَ أدباؤها عليه، ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة في معناه، فشُهِر فيهم، ثم فيمن يليهم...)[٤].

وقد أثبت الأستاذ هارون في (مقدمته) ص ٣ من كلام المرزوقي في أبي تمام، قال: (هذا الرجل [أي أبو تمام] لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتردّد في الأفواه، المجيب لكلّ داعٍ، بل اعتَسَف في دواوين الشعراء جاهليهم وإسلاميِّهم ومولَّدِهم، واختَطَف منها الأرواح دون الأشباح، واخترف الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه، لأنَّ ضروب الاختيار لم تخفَ عليه، وطرق الإحسان والاستحسان لم تَستَترْ عنه، حتى إنك تراه ينتهي إلى البيت الجيِّد فيه لفظة تشينه فيجبر نقيصته من عنده، ويبدل الكلمة بأختها في نقده، وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها).

وقال الزمخشري في أبي تمام:[٥] وهو [أي أبو تمام] وإن كان مُحْدَثًا لا يُستَشهدُ بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل على هذا بيت الحماسة فيقنعون بذالك لوثوقهم بروايته وإتقانه).

وقد بسط الأستاذ هارون في (مقدمته) موازنة بين شرحي التبريزي والمرزوقي فقال: (المرزوقي متقدّم فقد توفي سنة ٤٢١ هـ، والتبريزي متأخّر فقد توفي سنة ٥٠٢ هـ، وبين وفاتيهما إحدى وثمانون سنة، وشرح المرزوقي أكبر الشروح [لقد كان للحماسة ثلاثون شرحًا أوّلها شرح الصوليّ المتوفى سنة ٣٣٥ هـ، وآخرها شرح بهاء الدين عبدالقادر بن لقمان، وقد طبع في الهند سنة

١٢٩٩هـ] وفيه عناية باللغة والاشتقاق، وفيه نحو وتصريف دون إسراف، لكنه قد فاتـه كثير من أخبار الشعر ومنـاسباته، والكلام على أسمـاء الشعراء واشتقاق أعلامهم، وهمـا الميزتـان اللتان امتـاز بهما التبـريزي عليـه، والتبريزي فـي هذه الناحيـة قد أفاد من «شـرح أبي رياش» للحمـاسة، ويبدو أن كتـاب أبي رياش لم يقع للمرزوقي حتى يمكنه الانتفاع به، كمـا صنع التبريزي، ومن الناحية الأخرى قد أفاد من شرح أبي هلال العسكري، ومن «المبهج» لابن جنّي).

أقول: في هـذا الذي بسطـه الأستاذ عبـدالسلام هـارون من أمر المـوازنة بين شرح التِّبـريزي وشرح المرزوقي فـائدة تعلم منها أن التبريزي على تعـويله على شـرح المـرزوقي الذي سبقـه كـان لـه إضـافـات وزيادات تبعـده عن أن يكـون (سارقًا)، كما ذهب إلى هذا الأستاذ الطاهر - رحمه الله -.

وعلى هـذا كان علـى الأستاذ هـارون أن يخفّف من عبـارته فـي كلامـه على المرزوقي الـذي ورد فيه شيء نبـز به التبـريزي وهـو قولـه في (مقدمتـه)، أيضًا: (والمرزوقي ذو عبارة رصينة متخيّرة يتكلّف لهـا، الصنعة حينًا، ويعمد حينًا آخر إلى السجع الهين.

ومن عجب أن التبـريزي ينقل عبـارتـه هذه ذات الطـابع الخاص، ولا يجهـد قلمه في نسبـة العبارة إليـه في القليل النادر، بل إنـه في مقدمـة كتابه لـم يشر إلى إفادتـه منه، مع أن المـوازن بين الشرحين يـدهشه التقـارب الشديـد بين عبارات التفسير واتجاهاته، ثم لا يرتاب في أن التبريزي كان في جمهور شرحه عالة على المرزوقي)، ومن عجب أيضًا أن التبريزي ينعـى على هاؤلاء الذين يهملون نسبة أقوال أهل العلم إلى أصحابها، فيقول في تفسير الشطر الثالث من الحماسية ٨٩ [هي الحمـاسية ٨٨ عنـد المـرزوقي]: قـال المرزوقي: وذكـر بعض المتأخـرين [يعني ابن جنيّ] ولم ينصفه حيث لم يُسمِّه في كتابه.

وقد علّق الأستاذ عبدالسلام هارون: (مما هو جدير بالذكر أن المرزوقي لم يصرّح باسم ابن جنيّ، وكأنه كان يستضعفه ولا يرى مكانه، وتكاد تكون عبارة (قال بعضهم) في «شرح المرزوقي» يقصد بها ابن جنيّ فحسب، وليس يذكر هذه العبارة إلا في مقام الاعتراض في أغلب الأمر).

وقال أيضًا: (ويمتاز شرح المرزوقي بمقدمته النَّفيسة الجريئة، التي تُعَدُّ وثيقةً هامة في تاريخ النقد الأدبي، نقد الشعر ونقد النثر، ضمّنها مسائل تتعلق بموازنة النظم والنثر أيهما أشرف وأعلى قدرًا...).

وكلمة أخرى في هذين الشرحين: أن متن «الحماسة» فيهما يخالف بعضه بعضًا، في الرواية وعدد الأبيات، وفي ترتيب المقطوعات، وترتيب الأبيات، بَلْهَ عدد المقطوعات، وقد لحظتُ أن المرزوقي لم يَرْوِ الحماسية التي أوّلها:

أقول لها وقد طارت شَعاعًا من الأبطالِ ويْحكِ لن تُراعي

وترتيبها عند التبريزي الرابعة عشرة، ونتج عن ذالك أن نجد المقطوعات التي تلي المقطوعة الثالثة عشرة يزيد رقمها واحدًا عند التبريزي، على حين نجدها برقم أدنى عند المرزوقي، أي أن الحماسية برقم ١٥ عند التبريزي يقابلها رقم ١٤ عند المرزوقي... وهلّم جرًا.

أقول: مع إقراري وثقتي بأن التبريزي قد أفاد من شرح المرزوقي كثيرًا جدًّا بل عوّل عليه في «شرحه» لا أراني أتشدَّدُ فأقسو عليه كما فعل قليلاً الأستاذ، وكما تعسَّفَ الأستاذ الطاهر وظلم التبريزي فنبزه بـ(السارق) وسأتي إلى هذا.

وأتحوَّلُ إلى كتاب «المرزوقي شارح الحماسة ناقدًا» لأخي الأستاذ علي جواد الطاهر فأقول: إنه من ذخائر العلم الذي يتّسم بالدرس الجاد، الذي يشير إلى إخلاص كاتبه، غير أن لي في هذا الكتاب النفيس وقفتين:

الأولى: تتصل بوسم المرزوقي بالناقد، ولاأقول: إنه ليس ناقدًا فالنقد في

شرح المرزوقي للأبيات وتفسير الكلم واضح كل الوضوح، غير أني وجدت موادَّ الكتاب فكان فيها: خروج الخبر عن مقتضى ظاهر، وخروج الإنشاء على مقتضى ظاهره، والتشبيه، والمجاز، والاستعارة والمثل والكناية والتعريض، والمطابقة والمقابلة، والالتفات، والاعتراض، والنظم، والترابط بين الأبيات، العروض والقافية ومصطلحات الشعر، الأحكام....

أقول: إن في جملة هذه المواد نظرات نقدية، نتبيَّنُها في توجُّه المرزوقي إلى مادته، فليس جزافًا أن ينعت المرزوقي بالناقد. ولكن أقول أيضًا: إن جملة هذه المواد تندرج في علوم البلاغة في الأصل، وجُلُّها موادُّ بلاغية في علم المعاني وعلم البيان، وإن لم نعدم أن نجد فيها شيئًا نقديًا يتصل بالقافية، وغير هذا من موادَّ عَرَض لها أهل البلاغة.

فهل لنا أن نلغي هذه المواد العلمية الأصيلة، ونذهب إلى صفة في هذه المواد هي النقد، فنذهب لننعت المرزوقي ونبعده عن الحيِّز البلاغي؟

وإني لأؤكد ما كان لدى المرزوقي في شرحه هذا من النظر النقدي.

والثانية: تتصل بالمقدمة والتمهيد، وقد كان في كل منهما علم اتّصف بالجد والإخلاص، غير أن الأستاذ الطاهر حين عرض للمرزوقي اقتضاه الأمر أن يعود إلى شرح التبريزي ورأى ماكان من إفادته من شرح المرزوقي فهاله الأمر، ودفعه إلى نبز التبريزي بـ (السارق).

وهو المغتصب لعلم المرزوقي، وقد دفعه إلى حماسته في الذهاب إلى هذا النبز للتبريزي ما وجد القليل منه لدى الأستاذ هارون في (مقدمته)، ولم يفد مما ذكره هارون من أن التبريزي قد كان له شيء اختلف فيه عما كان من المرزوقي.

أقول: ومما جاء في مقدمة الأستاذ الطاهر قوله في التبريزي:(٦) (ومن عجب أيضًا أن التبريزي مع ذالك ينعى على هاؤلاء الذين ينسون نسبة أقوال أهل العلم إلى أصحابها...) وأن ما سرقه من المرزوقي في شرحه «ديوان أبي تمام» لا يقل

وضوحًا عما فعله في «شرح الحماسة».

خاتمة: أقول لمن يذهب إلى السرقة في عصرنا، وإلى نسبة هذه السرقة للأقدمين بعضهم من بعض: ألاّ يتعجَّلُوا في هذا الأمر، فقد عرفنا هذا فاشيًا لدى القدماء.

أقول: ماذا نقول مثلاً إذا وجدنا الإمام السيوطي يصنّف كتاب «الاقتراح» في أصول النحو، وهو يصرّح أن هذه المادة لم يُسْبَقْ إليها، ولكننا نجد مادة هذا الكتاب بنصّها وفصّها في كتاب الأنباري «الإغراب في جَدَل الإعراب»[٧]، ومثل هذا الكثير الكثير.

ورحم الله الأستاذ علي جواد الطاهر الذي خدم العلم خدمةً صادقة.

د. إبراهيم السامرائي

الحواشي:

(١) «شرح الحماسة» للمرزوقي (حققه أحمد أمين وعبدالسلام هارون، «أمالي المرزوقي» (تحقيق الدكتور يحيى الجبوري)، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٥م، «المرزوقي شارح الحماسة» ناقدًا للدكتور علي جواد الطاهر، الدار المتحدة للنشروالتوزيع ١٩٩٥م.

(٢) أقول هذا تعليقًا على ما كتبه الدكتور علي جواد الطاهر - رحمه الله - الذي جاء فيه: جاء الكتاب بـ ٢٤ صفحة وخمسة سطور. ولا أراها تامة أو تامة الآخر، لأن الدكتور إبراهيم السامرائي ينص على أن الذي نشره (كتاب...)، ولا تطلق كلمة الكتاب على (٢٤) صفحة، وإلا فهي رسالة، ثم إنها ليست تامة الآخر....

(٣) للأستاذ الجليل العلامة مصطفى جواد في مجلة «المجمع العلمي العراقي» ١٩٧٠ مبحث واف وسمه بـ«أصفهان مركز من مراكز الحضارة العربية» عرض فيه لأهل العلم في مختلف الفنون.

(٤) عن «المرزوقي شارح الحماسة ناقدًا» ص ٣.

(٥) «الخزانة» (ط. بولاق) ١/ ٤.

(٦) «المرزوقي شارح الحماسة ناقدًا» ص ٤.

(٧) «الإغراب في جدل الإعراب»، حققته الأستاذ سعيدالأفغاني في دمشق ١٩٥٣. ولو كان الأستاذ الأفغاني - رحمه الله - قد وقف على هذا لكان له أن يجعل كتاب «الاقتراح» أصلاً مع الأصول التي اعتمدها في التحقيق.

مِمّا أخلّت به الدواوين

(٢)

يحيى بن حكم الغزال: جمع ديوانَه الدكتور محمد رضوان الدّاية، ونشرته دارُ الفكر المعاصر في بيروت، بالاشتراك مع دار الفكر بدمشق سنة: ١٩٩٣.

ويُستدرك عليه أنَّه قال: (وقال:

يُعرَفُ عقلُ المرء في أربعٍ مشيتُهُ أوَّلُها والحَرَكْ
ودَوْرُ عينيه وألفاظُهُ بعدُ عليهنَّ يدورُ الفَلَكْ)

ثمَّ خرَّج البيتين من «بهجة المجالس».

أقول: البيتان أيضًا في «تلقيح العقول» ورواية الأول منهما:

علامةُ الأحمق في أربعٍ ....

والبيتان من ثمانية أبيات في «العقد الفريد» لابن عبد ربِّه الأندلسيّ، وهي:

يُعرَفُ عقلُ المرء في أربعٍ ... مشيَتُهُ أوّلُها والحَرَكْ
ودَوْرُ عينيه وألحاظُه ... بعدُ عليهنَّ يَدور الفلكْ
وربّما أخلفنَ إلاّ التي ... آخرُها منهُنَّ سُمِّين لكْ
هذي دليلاتٌ على عقله ... والعَقلُ في أركانه كالمَلَكْ
إنْ صحَّ [صحَّ] المرءُ من بعدِه ... ويهلكُ المرءُ إذا ما هلكْ[١]
فانظرْ إلى مخرجِ تدبيرِه ... وعقلِه، ليس إلى ما مَلَكْ
فربّما خلَّط أهلُ الحِجى ... وقد يكون النَّوْكُ في ذي النُّسُكْ
فإنْ إمامٌ سال عن فاضلٍ ... فادلُلْ على العاقلِ لا أمَّ لكْ[٢]

أبو هفّان: وقد صنع ديوانه الأستاذ هلال ناجي، وسمّاه «الصبابة من شعر أبي هفّان» في العدد الأول من المجلد التاسع من مجلة «المورد» العراقية الصادر عام

١٩٨٠، ثم استدرك على صنعه مرتّين، مرّةً في مجلة «المورد» - كما ذكر هو - وأخرى في «المُستدرك على صنّاع الدواوين».

ويُستدرَك على صنعه بأكمله ما رواه بـريّةُ بنُ أبي اليُسر الـرياضيّ في «تلقيح العقول» من قوله: (وسئل المبردُ عن الكرم فقال: الكرم السخاءُ، أما سمعتَ قول أبي هفّان حيث قال(٣):

ليس الكـريمُ سـوى عـديمِ الـدّرهَم | وصـديق كلّ فتًى أديب مُقـدم(٤)
لا تسألَـنَّ عن امـرئٍ مـا أصلُـهُ | وانظـرْ إلـى أفعـالـه ثـمَّ احكُمِ
لا تسألنْ عنـه أيصبـرُ في الـوغى | واسألْ: أيصبـرُ تحـت ثقلِ المَغـرَم؟

والبيتان الثاني والثالث في «كتاب الشعر» لابن شمس الخلافة من دون عزو.

ويستدرك عليه ما ورد في الكتاب نفسه من قوله: (وذكـر أبو هفّان قـال: كنا نسمر عند معقل [أخي] أبي دلف القاسم بن عيسى، أنا وابنُ وهيب، فرأيتُ الثريّا قد طلعتْ؛ فقلتُ [من الكامل]:

فإذا تُـذُكـرت المكـارمُ مـرَّةً | في مجلسٍ أنتمْ بـه فَتتبَّعـوا)

وأريد أن ألاحظ أنَّ البيتَ لا ينسجمُ وطلوع الثريّا، هذا إلى أنَّ المؤلف نفسَه قد روى الحادثة روايةً أخرى في قوله: (وذكـر أبو هفان، قـال: كنا نسمـر عند معقل [أخي] أبي دلف القاسم بن عيسى، أنا وابن وُهيب، فرأيتُ الثريا قد طلعتْ؛ فقلتُ:

أمـا تـرَونَ الثُّـريّـا؟ | كـأنّهـا عقـدُ رَيّـا)

فقال ابن وهيب: وينبغي القولُ: أنَّ ابنَ ظافر الأزدي في «بدائع البدائه»، وهو ينقل أحيانًا عن مصدرنا، وصحّف المحققُ اسمَ مؤلف مصدرنا على: يـزيد بن أبي اليُسـر في الكتاب جميعًا، أقول: إنَّ ابن ظـافر روى الخبـر الثاني أعني: أما ترون الثريّا، عن دعبل الخزاعي وليس عن أبي هفّان.

أبو علي البصير: صنع ديوانه الدكتور يونس أحمد السامرائي، فنشره أولَّ مرَّة

في مجلة «المورد» العراقية في العدد: ٣، ٤ من المجلد الأول، فاستدركتُ عليه أشياء فيه نشرتها في العدد ٢ من المجلد الثاني، من المجلة نفسها، وكان العدد قد صدر سنة: ١٩٧٣، ثم نشر الأستاذ هلال ناجي مُستدركًا ثانيًا في مجلة «المورد» عام: ١٩٨٦ وأنا في الغربة؛ فلم يذكرني، ولم يُشر إلى عملي، وكأنه يستدرك على صُنع الدكتور السامرائي أوّل مرَّة، ثم لم يكتفِ بهذا، وإنما أعاد بعضَ ما استدركتُه على الناس، وكأنَّه هو الذي اكتشفه[٥]. وإنَ عجبتَ فاعجب أنَّ الدكتور السامرائي نشر عمله مرَّةً ثانية في «عالم الكتب» ببيروت تحت اسم: «شعراء عباسيون» وأنَّه حين أشار في إعادة صنعه الديوان إلى تلك المقطوعات التي استدركتها، وأعاد استدراكها الأستاذ هلال نَسبَها إليَّ وإلى الأستاذ! ولعله كان يقصد بذالك: أنها استدركت فما معنى الإعادة؟[٦] ولكنَّه نسب عملي ذات مرَّة إلى الأستاذ[٧] وحدَه دون أن يذكرني.

وأعجب من هذا أن الصديق الدكتور السامرائي سكت - في بعض الأحيان - عمّا أضفتُ إلى المقطعات التي نشرها، فنسبَ الإضافة إلى المصدر الذي رجعتُ إليه، وليس إلى الذي دلَّ عليه: كأن يقول على سبيل المثال: «الظرائف واللطائف» بدلالة فلان[٨] لا أن يقول - كما فعل - «الظرائف واللطائف»، ثم يسكت.

وعلى أيَّة حال هذا حديثٌ لا أريد أن أُفيض فيه، ولكن أريدُ أن يجد لي القارئ من خلال إثارته عُذرًا في إهمالي ذكر أرقام الصفحات من مصادري هنا.

وإذن يُستدرَك على شعر أبي عليٍّ البصير قولُه الوارد في: «الوافي بالوفيات» وقد كتب بهما إلى صديقين من أولي الأمرِ محبوسين:

مَن كانَ حبسُكما أنساهُ عهدكُما ... فلستُ عهدكما ما عشتُ بالناسي
وكيف يسلوكما من لم يجدْ عوضًا ... مستَخلَفًا عنكما مِنَ سائرِ النّاس
إذا تذكّرتُ أيامي التي سَلَفتْ ... قطعتُ في إثرِها نفسي بأنفاسي
أيامَ آوي إلى طودٍ، ومنعتِه ... أركانُهُ بكما عالي الذُّرى راسي

أشكــو إلـى الله ليــلاً بتُّ أسهــرُهُ كأنَّ أنجُمَـــه شُــدَّتْ بـأمــراسِ
وقَـرحَـةً في ســواد القلبِ ليس لهـا إلاّ تجـــدُّدُ تلك الحـــالِ من آسِ

ويُستدرَك عليه أيضًـا ما ورد في «المشموم والمشروب» للسريِّ الـرّفاء، وقد كنتُ رجعتُ إليه مخطوطًا:

ألا ربَّمــا كأسٍ شــربتُ سُــلافَهــا على صـوتِ أوتـارٍ، فَصَـاحَ الترنُّمْ
لهــا منظــرٌ يخفى على العينِ رقَّــةً ويلطُفُ أن يحظى بـــه المُتَـــوسِّمْ
ســرَتْ بأقـاصـي الجسمِ حتّى كأنَّهـا يُشـاركهـا في بُعـدِ مسلكِهـا الـدَّمُ

ويُستدرَك عليه أيضًا ما ورد في المصدر نفسه من قوله:

ربَّمـــا ربَّمـــا شممـتُ ثيـــابي فحسبـتُ النسيـمَ منّي عبيـــــرا
ربَّمـــا حـــرَّك الشبـــابُ قَـــوامي فتـــوهَّمتُ في العِظَـــامِ فتـــورا[٩]

ويُستدرَك عليه أيضًا ما ورد في المصدر نفسه قولُه:

مُــورَّدةٌ طـافتْ فـأحيتْ جـوانحًـا فقَارًا جفاها الخصبُ والعيشةُ الرَّغدُ
مَــذاقتُهـــا شهـدٌ، ونكهتُهـــا نَــدٌّ وعيشتهـــا رغــدٌ، وصبغتُهــــا وَرْدُ
ومـا الخُلْـدُ في الـدُّنيـا بعُمـرٍ تُطيلُـهُ ولكنَّمـا عُمـرُ الســرورِ هـو الخُلْـدُ

والأبيات في «الدر الفريد» أيضًا.

ويُستـدرك عليه أشيـاء ممـا ذكره ابنُ أيْـدَمـر في كتابـه: «الـدر الفريـد وبيت القصيد». فقد روى له قولَه:

وإذا تنكَّـــــــــــــــرَ لـــي أخٌ تـــــاركتُـــــــهُ فـي حُسنِ مَـسٍّ
وصـــــرفـتُ عنـــــه مــــودَّتـي فـأرحتُـــــــــهُ، وأرحـتُ نفسـي

وقوله:

إذا كنتَ لا تـدري ولـم تـكُ بـالـذي تُسـائلُ مَن يـدري فكيف إذًا تـدري

جهلتَ فلم تعلم بـأنَّك جـــــاهـلٌ   فمَن لي بأن تـدري بأنَّك لا تـدري؟
إذا جئتَ فـي كلِّ الأمـــور بغُمَّــة   فكنْ هكذا أرضًا يطاها الـذي يدري
ومن أعظمِ البلــوى بأنَّك لا تـدري   وأنَّك لا تــدري بأنَّك لا تـــدري!

أقول: أورد الدكتور حاتم صالح الضامن ثلاثة الأبيات الأولى بزيادة بيت رابع في شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي من كتابه: «عشرة شعراء مقلّون»، أقول: أوردها على أنها للخليل بن أحمد الفراهيديّ نقلاً عن الأمالي الخميسية. وقوله:

أضحى أبـــو العينـــاء يبكـي على   مـــافـــاتَ من أيـامـه الخـــاليـه
أيـــامَ كـــان النـــاسُ في غفلـة   عنـــه، وكـــانت سُـــــ...[10]
حتّى امتحنّـــاهُ فـــلا شـــاعـــرٌ   يُعـــرَفُ بـــالشّعـــرِ ولا راويــه
أكثــــرَ من تفخيمـــه لفظَـــهُ   كـأنَّمـــــــــا... مـن........
أمُّ الـــذي يُعطيـــه شيئًـــا ســـوى   مـــا يطلُبُ الأجـــرَ بـــه زانيـــه

وجاء في شعره تحت رقم (٨٥) مما كنتُ استدركته قوله:

يـــا أبـــا العينـــاء لا تغْـــــ   ـــضبْ، وإنْ تغضَب فاهـــونْ

فزاد ابنُ أَيْدَمر عليه قولَه:

لا تُكلّـفْ نفسَـكَ الشـــــــ   ـــيء الـــذي لــ[ـــم تَتَبَيَّن][11]
واطْلبِ الرِّزقَ كما يطلبُهُ مَن ليس يُحسنْ

وقولَه:

إن كـان ذكــرُ أبـي العينـاء دنَّسني   فقـد نهضتُ بحقِّ الــدين والحَسَب
أظهــــرتُ من عيبــــ[ـــه]....   ومثلَه بمتـون العلمِ [والأ]د[ب][12]

وقوله:

إنَّ الـزمـان الـذي يُضحي الفتى ولـه   فضلٌ على الناسِ فيـه خيـرُ أزمـانـه

هذا وهنالك أبياتٌ ذكرها الدكتور يونس، وبإمكانه أن يخرّجها على «الدر الفريد» ومن هذه الأبيات ما روايتُه أجود من مثل قوله، وأنا أمثِّل ولا أستقصي، كما ورد في الديوان:

فعليك السلام تسليمَ من لا ... يضمنُ الدَّهرَ بعدها أن يعودا

فقد روى صاحبُ «الدرّ» أربعة أبيات من هذه القصيدة، فكان البيت الأخير بروايته:

فعليك السلام تسليمَ من لا ... يُضمرُ الدهرَ بعدها أن يعودا

و (يُضمرُ) - كما هو واضحٌ - أجودُ من (يضمن)، هذا إذا لم تكن: (يضمن) قد حُرِّفت عن: (يُضمر).

وهنالك بيتان كنتُ قد استدركتُهما على الدكتور السامرائي على أنّهما له هما قوله:

إفعلِ الخيرَ ما استطعتَ وإن كا ... نَ قليلاً فلن تحيطَ بكلِّهْ

ووجدتُهما في «الدر الفريد» منسوبين لعبدالله بن طاهر.

ووجدتُ ابنَ أيْدَمر يروي لمن سمّاه أبا عليّ الكاتب، وغير بعيد أن يكون هو البصير نفسه، أقول وجدتُه يروي له قولَه:

هـذا بـه جنَّةُ الطغيان من حُمُقٍ ... إن لم يكن مسَّه مسٌّ من الخَبَلِ
في ديرِ هِرْقَلَ خَلْقٌ منه أعقلُ في ... الأغلال مُكتبلاً وغيرَ مُكتبلِ
ومن تكن مُتعَةُ الآباء مولدَهُ ... والأمُّ تلك يكنْ في غايةِ المثَلِ
ما يعرفُ الخيرَ من شرٍّ فيتبعُهُ ... ولا يُفرِّقُ بين الشاءِ، والإبلِ

وقلتُ: غير بعيد أن يكون أبو علي الكاتب هو البصير نفسه؛ لأنني وجدتُ ابن أيْدَمر يكاد يكون في كتابه شخصيَّتين علميتين، إحداهما واثقةٌ مما تروي كأن يقول: (ونقلتُ من خط ابن شمس الخلافة، أو من خطّ ابن السكّيت، أو من

ديوان الإمام عليّ صنعة المرزباني)، وثانيتهما تنسخُ ما ورد في المصادر من دون ذكر لها فإن سمّى المصدر المنقول عنه عليَّ بن محمد الحمانيَّ: محمّدَ بن عليٍّ نقلَ عنه ما قال، وإن سمّاه أبا الحسن العلويَّ اكتفى بالكنية دون الاسم، وإن ورد صاحبُ الزنج على أنه صاحبُ البصرة كرَّر ذالك، وهكذا؛ مما يجعلني لا أستبعد أنّه نقل مقطّعة البصير عن مصدرٍ سمّاه: أبا عليّ الكاتب.

وأريد قبل أن انتهي من البصير أن أُصحِّح للأستاذ هلال ناجي في مستدركه على صُنّاع الدواوين، وللدكتور السامرائي في شعر البصير، وقد نقل السامرائيَ عن هلال ثقةً به، أريد أن أصحِّح لهما إيرادهما البيت القائل:

وأجزي القروضَ بأمثالها فخيرًا بخيرٍ، وشرًّا بشرْ

ضمن مُقطَّعة على أنّه لصاحبنا البصير، فأقول: إنَّه ليس له؛ وإنَّما هو لبكر بن عبدالعزيز العجليّ حفيد أبي دُلَف، وهو في ديوانه من قصيدة مطلعُها:

طلابُ العُلى بركوبِ الغَررْ ولا ينفعُ المُشفقين الحَذَرْ

وقد ضمَّنه البصيرُ. هذا إلى أنَّ مطلع قصيدة بكر، والبيت المعنيَّ من أمثال المولَّدين في القرن الرابع.

اللجلاج الحارثي: وقد جمع ديوانَه، ونشرهَ ببغداد الأستاذ زكي ذاكر العاني، واستدرك على جمعه الأستاذ هلال ناجي[١٣]، وكان من جملة ما استدرك قصيدته الطائيّة التي مَطلعها:

لئن كنتَ إن ساد ابنُ عمِّك ساخطًا لكُثْرٌ على ما قد رأى تتسخَّطُ

وفاته من القصيدة بيتٌ أورده أبو بكر الخوارزمي في كتابه: «الأمثال» رغم أنَّه كان من مصادر استدراكه، وهو قولُه:

وتدخُل فيما ليس يعنيك شأنُهُ فأنتَ يدٌ في كلِّ قِدرٍ ومِسَوطُ

وفاتَه أيضًا قولُه الواردُ في المصدر نفسه:

لا تيأسنَّ مضيقًا أن ترى سعَةً وربَّمَا اتَّسع الأمرُ الذي ضاقا[١٤]

وفاتَه أيضًا قولُه في المصدر نفسه قولُه. (فعاشِرِ الناسَ على ما ترى).

ثمَّ فاتَـه - وهذا عندي من العجب - أن اضطـرب في أمر الحارثيِّ فـاستدرك على العاني بقوله: (وقال عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثيّ:

يلقى السيـوفَ بـوجهـه وبنحـرِه ويُقيمُ هـامَتَـهُ مقـامَ المغفـرِ)

مُحيلاً في تخريج البيتِ على: «شرح المقصـورة الدُّريدية» لابن هشام اللخميّ بتحقيق مهدي عبيد جاسم ص: ١٥٠، رسالة ماجستير بالرونيو.

قال كُلَّ ذالك في الصفحة: ٢١٣ من كتابه: «المُستدرك على صُنّاع الدواوين» وكأنَّـه نسي ما كان قـال على الصفحة: ١٦٢ وهـو يستدرِك على ديـوان عليِّ بن محمد الحِمّاني: (قال الحماني يمدحُ:

يلقى السيـوف بـوجهـه وبنحـره ويُقيم هـامتَـه مقـامَ المغفـرِ...)

فأورَدَ في استـدراكه على الحمّـاني أربعة أبيـات، وليس بيتًا واحدًا كمـا صنع وهـو يستدرك على «دِيـوان اللجَلاج الحـارثي». وهكذا تـرى أن الأستاذ هـلال ناجي - أطال الله في عُمـره - قلمٌ برأسيْن، فرأسٌ يستدرك بيتًـا واحدًا من «شرح المقصورة الدريدية» على أَنَّه للجلاج الحارثيِّ، ورأسٌ آخر يستدركَ على «ديوان الحمّاني» البيتَ نفسَه مُضيفًا إليه ثلاثـة أبياتٍ على أنَّهما جميعًا للَحمّاني. وهنيئًا لمَن يعلَم لأيِّهما الأبيات، وكم عدتُّها؟

أقول: إنَّ ما استـدركَه على شعر الحمّاني شيءٌ غيـرُ مُستدرَك على الإطلاق؛ لأنَّ صـانعَه وهـو كاتب هـذه السطورَ - قـد ذكر الأبيـاتَ سبعةً لا أربعـة في باب الشِّعـر المنسوب إلى الحمّاني(١٥)، فما معنى الاستـدراك؟ هذه واحدةٌ، فأمّا الثـانية فهي أنَّ المُقطَّعة برمتِّها كما جاءت في «الرحلة العبدريَّة» التي حقَّقها الأستاذ أحمد بن جدّو، وطبعتها كلية الأداب الجزائرية هي من خمسة وثلاثين بيتًا، فما معنى الاستدراك؟

وسأقول: إنَّ «الرحلة العبدريّة» لا تَصلُ إليهـا كلُّ يدٍ حتّى ولو كانت يدُ الأستاذ هلال ناجي نفسها، فما بالك إذا قلـتُ لك: إنَّ المقطّعةَ نفسَها قد وردت في «نهاية

الأرب» المُباح لكلِّ الناس إلا لمن هو مثلي من الغُربـاء، وعدَّتها اثنا عشر بيتًا على التَّمام والكمـال، لا تزيدُ ولا تنقص؟ منسوبـةً إلى حسّان بن ثابت، وإنّـه نسبَها ابنُ عنبة إلى صاحب الزنج، وإذن فما معنى الاستدراك مـرَّة ثانية؟ أقول هذا مرَّة رابعةً وَخامسةً وسادسةً سائلاً تساؤل العارف الذي لا يريد أن يبوح بما يعرف[١٦].

هـذا إلى أنَّ ابن أيدمر الذي اعتمـده الأستـاذ هلال مصـدرًا أوحدَ في نسبـة الأبيـات إلى الحمّانـي قد اضطـرب في نسبتهـا، فإذ نسبَ الأبيـات الأربعة إليـه فَخُدِعَ به الأستاذ، عاد فنسب بيتين منها إلَى من أسماه: الغَسّاني.

وعجبٌ وفـوق العجب أن رجع الأستاذ هـلال ناجي إلى «الـدُّر الفريـد وبيت القصيد»: يستدرك به عليَّ ما فاتني من شعـر الحمّاني، وأنَّه لم يتنبه إلى ما يُستدرَك عليَّ حقًّا من قبيلَ ما ورد في المصدر المَذكور من قوله يصف - كما يبدو - القلم:

في كفّـه صـارمٌ لانـتْ مضـاربُـهُ ... يسـوسنـا رَغَبًا إن شـاء أو رَهبـا
السيفُ والـرُّمـحُ خُـدّامٌ لـه أبـدًا ... لا يبلغـان لـه جـدًّا ولا لعبـا
يـرضى فيُـرضيهمـا عن كلِّ مُجتـرم ... ويغضبـان على ذي النُّصح إنْ غَضبا
تجـري دمـاءُ الأعـادي بين أسطُـره ... ولا يُحَسُّ لـه صـوتٌ إذا ضـربـا
فمـا رأينـا مـدادًا قبـل ذاك دمًـا ... ولا رأينـا حُسـامًـا قبل ذا قَصَبـا

ومهما يكن من أمر فهـذا استطرادٌ ما كنتُ لأنساق إليه لـولا اشتراك الحمّاني واللجلاج الحـارثيّ فيّ قصيدة لم تصحَّ نسبتُها لأيٍّ منهمـا، ولولا أنني لاحظتُ على الأستـاذين هلال نـاجي، ونوري القيسي أنَّ الـذي يهمهما في استـدراكهما على عباد الله أن يجدا قولاً نسبَه أحدُهم إلى هذا الشاعر، لكي يُثبتاه استدراكًا، أمّا أن يتقصّيا، وأن يرجعـا إلى مصادر أخرى يستفتيانهـا فلذالك شيءٌ آخر لا ينبغي لك أن تُطالبهما به، لأنّه فوق طـاقتهما، وأرفعُ من نيتيهما، وقد سُقتُ لك نماذج، وسترى نماذج أخرى فيما سأعرضُ إليه من استدراكات.

(للحديث صلة)

بولندا: محمد حسين الأعرجي - جامعة آدم متسليفج

الحواشي:

(١) في الأصل، وهو طبعة دار الكتاب العربي: إن صح المرءُ من بعده.

(٢) في الأصل: فإن إمامٌ سأل.. وينكسر الوزنَ بإثبات الهمزة.

(٣) الثاني وحده في «الصبابة» من شعر أبي هفان: ١٩٨ عن «ثمار القلوب»: ٥٦٠؛ والثاني والثالث في مخطوطة كتاب «الآداب»: ٣٣ وبدون عزو، وروايتهما:

لا تنظرنَّ إلى امرئ ما أصلُه ....

لا تسألنَّ به أيصبرُ في الوغى ....

(٤) لا أستبعد أن تكون (مقدم) مصحَّفة من: (مُعدَم) رغم إجماع النسخ، فما للأديب وللإقدام؟

(٥) ينظر العدد المذكور من مجلة «المورد» العراقية: ٢٥١ وقارن بما ورد في «المستدرك على صناع الدواوين» لهلال ناجي ونوري حمودي القيسي: ٦٣.

(٦) ينظر «شعراء عباسيون» ٢: ٢٦٣.

(٧) ينظر «شعراء عباسيون» ٢: ٢٨، و «المورد»: ع ٢، مج ٢٥٠: ٢ و «المستدرك على صناع الدواوين»: ٦٥.

وأعني بهذه الحاشية إضافتي للديوان قول البصير:

أبا جعفرٍ إنَّ الولاية إن تكن مُنبِّلةٌ قوماً فأنت لها نُبلُ

(٨) ينظر «شعراء عباسيون» ٢: ٢٥١، ٣٠٤، ٣٠٩ - ٣١٠، ٢٩٦ وقارن «بالمورد»: ٢٥، ٢٥.

(٩) يغلب على الظن أن الشباب مُحرَّفة عن: الشراب.

(١٠) مطموس في الأصل. وكلُّ ما وضعتُ مكانه نقاطا من الأبيات فهو مطموسٌ. ولا يبعد أن تكون السين المضمومة بقايا: سُوقُه...

(١١) لم يبق في الأصل من قوله: (لم) إلاّ لامًا مفتوحة ورأس الميم. فاجتهدتُ في قراءتها.(١٢) العجز برمّته غير واضح في الأصل، وقد اجتهدتُ في قراءته.

(١٣) ينظر «المستدرك على صنّاع الدواوين»: ٢٠١ وما بعدها. واعتمدتُ في ذكر المعلومات عن الديوان على المستدرك.

(١٤) هو في الأمثال قوله: الحارثي: وربَّما اتّسع الأمرُ الذي ضاقا

وفيها لا تيأسنَّ مضيقًا أن ترى سَعَةً

وقد لفَّقتُ روايتَه فأثبتُّ البيتَ كما أثبته.

(١٥) ينظر شعرهُ في مجلة «المورد» ع: ٢، مج: ٣، ١٩٧٤ : ٢١٨.

(١٦) هناك حديث طويلٌ صدَّرتُ به «ديوان الحِمّاني» عن مُستدرك الأستاذ هلال ناجي عليه، وسيصدر هذا الحديث في الطبعة البيروتيّة من الديوان.

ملامح المرأة في «شعر الشنفرى الأزدي»

قــراءة بيانيــة

تظل المرأة معينًا لا ينضب للشعر على مرّ العصور، وقلما تخلو قصيدة من ذكر المرأة زوجة حبيبة أو أمًّا أو أختًا أو ابنة أو... وإذا كانت قصيدة الغزل في الشعر العربي ترتكز على المرأة مهادًا لها، فإن الأغراض الأخرى لا يمكن أن تنأى عن ذكر المرأة في سياقات شعرية متباينة. ومن الطبيعي أن يستعين الشاعر بالأدوات الفنية كي يرسم صورة المرأة ومن تلك الأدوات الصورة البيانية بأنماطها الثلاثة: (الصورة التشبيهية، والصورة الاستعارية والصورة الكنائية)[1]. حيث يستثمرها الشاعر كي يعزّز ملامح المرأة سواء أكانت تلك الملامح تخصّ شكل المرأة الخارجي أم بواطنها وأعماقها.

وعلى الرغم من أن طبيعة حياة الشاعر الشنفرى الأزدي المقترنة بارتياد الأهوال واقتحام الصحاري طلبًا للثأر. حيث تنأى به عن عالم المرأة وأجواء البيت الآمن فإنها وردت في شعره بحيث أعطت صورة واضحة لرؤية الشاعر إليها وفي حالات شتى تتناسب مع السياق الشعري الذي ترد فيه.

وتفصح السطور اللاحقة عن فاعلية الصورة البيانية في الكشف عن ملامح المرأة كما رآها الشاعر الشنفرى، سواء أكانت تلك الملامح نفسية تعتمل في أعماق المرأة وتعبر عن سريرتها أم حسّية تنم عن شكل المرأة الخارجي وسماتها الجمالية.

وتستأثر المرأة بمقدمة قصيدة الشنفرى التائية. ولأن الصحراء مما يكثر فيها الترحال طلبا للزرق، فإن مشهد الوداع مما يستهلّ به الشاعر قصيدته حين يقول:

ألا أمّ عَمْرو أجْمَعَتْ فَاسْتَقَلّت ... ومـا وَدّعَتْ جيرانَها إذْ تَولّت

لَقَدْ سَبَقَتْنا أمُّ عَمْرو بأمرِها ... على حين أعناقُ المَحطِ أظَلّت

بعينيّ ما أمسَتْ فبانَتْ فأصبَحَتْ ... فَقَامتْ قلوبًا فاستعلّت فولّت

فيــا نَــدَمي على أميمــةَ بعــدمــا طمعتُ فقلْهــا نعمــةُ الـدّهــر وَلّت
فيــا جــارتي وأنـت غيـرُ مُليمــة إذا ذُكـــرَتْ ولا بـــذات تَقَلُّت
لقــدْ أعجبتْني لا سقُــوطٌ قناعُهـا إذا مـــا مَشَتْ ولا بـــذات تَلَفُّت
كأنّ لهــا في الأرض نَسْيًا تقُصُّـهُ على أمّهـــا، وَإنْ تكلمْكَ تَبْلَـت
لَعَمْـرُكَ مـا إنْ أمُّ عَمــرو بــرأدَة حكيٍّ، ولا سبّــابـة قبلُ سُبّت
أميمــةُ لا يُخْــزي نثاهــا حليلهـا إذا ذكــر النســوانُ عَفّـتْ وجلّت
إذا هـــو أمسى آبَ قـــرّةَ عينــه مآبَ السّعيـــد لـمْ يَسَلْ أيـنَ ظلّت
فبتنـا كـأن البيتَ حُجّــر حــولَنـا بــريحانــة ريحتْ عشــاءً، وَطُلّت
بـريحـانـة من بطن (حلْيَـة) أمْرَعَتْ لهــا أرجٌ مـا حـولها غيـرُ مُسْنت
فـدقّتْ وجلّتْ واسبكـرّتْ وأكملت فلــو جُنّ إنســانٌ مـن الحسن جُنّت
تبـات هــدّو الليل تهـدي غبـوقها لجــارتهــا إذا الهــديّـــةُ قلّت
يحلّ بِمَنْجَـــاة من الـــذمّ بيتُهـــا إذا مـا بيـوتٌ بــالمـذمّـة حُلّت[٢]

يستهل الشاعـر نصه الشعري بصـورة كنائيـة انتظمت البيت الأول عبرت عن تكتّم (أمّ عمرو) على رحيلها. وأنها فاجأت جيرانها ومحبيها بقرارها هذا.

ويأتي البيت الثاني كي يؤكد المعنى الذي نمت بـه هذه الصورة البيانية فتنبثق من قـول الشاعر: (سبقتنـا أم عمرو بأمـرها) كنـاية عن أنهـا لم تستشر أحـدًا في قـرارها. وأن جيـرانها لـو علموا بنَإ رحيلهـا فلـربما استطـاعوا أن يثنـوها عنـه. وتعكس الكنـاية المتضمنـة في قـول الشاعـر: (على حين أعنـاق المطيّ أظلت) ملمحًا من مـلامح تلك البيئة الصحـراوية وهـو التهيؤ لحمل الأمتعـة والمغادرة الـوشيكة للمكـان وما يصـاحب ذالك من جلبة وأصـوات. فضلاً عن أنهـا تشي بازدحام المكـان بالمطي بحيث (أظلت) المكان، إفصاحًـا عن ثراء تلك المرأة. وينطوي استهلال الشـاعر لصورتيه الكنائيتين بــ (لقد) على إيحاء الشاعـر لذاته

بأن نبأ الرحيل قد تحقق لا محال ولا مجال للعدول عنه.

وبعدَ أن أقَرَّ الشاعر بأن أمر رَحيل (أم عمرو) لا مناص منه، بدأت الذكريات تتداعى إلى مخيلته، فنجده يستذكر أزمان حضورها في قوله (أمست)، و(أصبحت) كناية عن الألفة التي تضوع بها قيمة الجوار تلك القيمة الاجتماعية السامية التي صانتها تلك المرأة بما تحمل من أخلاق نبيلة. وينطوي قول الشاعر: (فتامت قلوبًا فاستعلّتْ فولت) على كناية تشي بتعلق مَنْ حول أم عمرو بها حد العشق والوله. فكأن قلوب جيرانها ومحبيها قد صارت حين شيوع نَبَإِ رحيلها عليلةً واهنة. وبذالك فإن هذا البيت قد تضمّن حالتين متضادتين الأولى: حضور أم عمرو وما تثيره من غبطة في النفوس. والأخرى غيابها وما يعقبه من حسرة ولوعة، ويكشف استهلال الشاعر بيته الشعري (بعينيّ) عن تعزيز لمشاعر الحزن التي قد تفضحها العيون وهي ترقب رحيل تلك المرأة الأثيرة إلى القلوب.

ويصرح الشاعر في البيت الرابع باسم تلك المرأة (أميمة) دون كنيتها (أم عمرو) حيث تتوحد أميمة في خيال الشنفرى بالنعمة، حين ينسج صورة استعارة تصريحية تغيب تحت ظلالها أميمة (المستعار له) لتحل النعمة (اللفظ المستعار) محلها في قوله: (نعمة الدهر ولت) إفصاحًا عن قدرة تلك المرأة على أن تهب حياة الشاعر بملامحها الحسية ونبل شمائلها ألوانًا زاهية وإحساسات مبهجة، بيد أن رحيلها المفاجيءُ قد غيّب كل تلك الإيحاءات فبدت حياته شاحبة مجدبة. وتأتي تلك الاستعارة في سياق مناجاة الشاعر لذاته المتفجّعة على رحيل تلك الإنسانة إذ يأمر ذاته (فَقُلْها) كي تتسق مع واقع حدث الرحيل. وتجلي الاستعارة المكنية التي اسبغت الحياة الإنسانية على الندم (المُستعار له) فيناجيه الشاعر ويناديه في مطلع البيت (ياندمي) رغبة الشاعر في أن يخفّف وطأة الحدث على ذاته المرهفة. وقد ساعد حرفا المد (الألف والياء) على أن يفرغ الشاعر من خلالهما آهته الحبيسة.

ويستثمر الشاعر قدرة النداء على استيعاب الآهات الكامنة في الصدر، لذالك يستهل بيته الشعري الخامس بأسلوب النداء إذ يقول مناجيًا تلك المرأة (يا جارتي) ناسجًا صورة كنائية انتظمت البيت نمت عن صفات هذه الجارة وخلالها التي تجعلها بمنجى عن اللوم والعتاب إذ تنأى مكانتها بين النساء عن مواضع الذلل والرذيلة.

ويفصح الشاعر في البيت السادس عن إعجابه بتلك المرأة قائلاً: (لقد أعجبتني). وأن ذالك الإعجاب مستند إلى سمات قد استحسنها الذوق العربي وعبر الشاعر عنها بقوله: (لا سَقوطٌ قناعُها إذا ما مشتْ) إذ كنّى الشاعر عن حيائها وحرصها على أن تخفي فتنتها وجمالها تحت ذالك القناع كي تبعد الأنظار عنها. وفي ذالك إشارة ضمنية إلى عفتها وإلى القيم النبيلة التي تحملها بين طيات روحها. وينبثق من قوله: (ولا بذات تلفت) صورة كنائية أخرى عزّزت الكناية الأولى وأضافَتْ إليها مَلْمَحًا جديدًا هو اتزانها حين سيرها وثقتها بنفسها.

ويتوغل الشنفرى في البيت السابع في ذكرياته عن أميمة إذ تتقصّى ريشته أسلوب سَيْرِ تلك المرأة وهي تختط طريقها بين الناس، إذ يروقه أن يصوغ صورة تشبيه تمثيلي يفصح عن إطراقها في السير وغضّها بصرها. فتقترن في مخيلته بالتي تبحث في الأرض عن شيء أضاعته (لها في الأرض نسيًا تقصّه) ويسبغ المشبه به (لها في الأرض نسيًا تقصّه) على المشبه (أميمة) دلالات الحركة السريعة المستمدة من لهفة الإنسان المبتلي بالفقد ورغبته في العثور على ما فقده.

ويُقسم الشنفرى في البيت الثامن على أن أم عمرو قد استكملت مواصفات المرأة ذات الشمائل الكريمة حين ينسج كناية تتجلى من خلالها تلك المرأة بمكانتها السامية بين أترابها واتزانها في الفعل والقول على حد سواء، فهي ليست تمامة (حكي) وليست بذيئة اللسان سليطته (سبابة). وليست موضع استهانة (ولا... قبل سُبّت).

ومثلما تتقصى الصورة البيانية سمات تلك المرأة بين جاراتها ورفيقاتها، فإنها تتلبث عند الوشيجة الحميمة التي تربط تلك المرأة بزوجها، حين تنسج صورة كنائية تنتظم البيت التاسع تشي بقدرة أميمة على إشاعة البهجة في روح زوجها لما تتمتع به من خلال العفة وسجايا الاتزان والسمو.

وتنتظم البيت العاشر كناية تعكس طبيعة حياة الرجل يومذاك إذْ يضطرّ إلى أن يترك داره وحليلته انصرافا لشأن من شؤون الحياة التي تفرضها طبيعة البيئة ومتطلباتها المتعددة من رزق أو صراع أو... أو... تنم هذه الكناية عن سمة الإخلاص فضلاً عما يثيره حضور أميمة (الحليلة الصالحة) من إحساسات الغبطة في ذات زوجها إثر رحلة مضنية تعقبها عودة سعيدة. ويضفي قوله: (قرة عينه) و (مآب السعيد) دلالات الحبور التي يشيعها حضور سمة الإخلاص وهي تُعَزِّز الثقة بين الزوجين. تلك الثقة التي لا يتسلّل الشك إليها حين غياب الزوج لأيّما سبب من الأسباب.

ويسهم التجسيم الاستعاري[٣] في البيت الحادي عشر في الكشف عن سمات جديدة لتلك المرأة. إذ تتجلى أميمة - على أرض الاستعارة التصريحية - ريحانة، إفصاحًا عن أن سجاياها تضوع حيث تحل، فقد تثير في النفس الأريحية والغبطة. لقد أسبغ اللفظ المستعار (ريحانة) على المستعار له (المرأة) دلالاته المقترنة بالغضارة والنعومة واللون الزاهي والعطر الزاكي فضلاً عن العنفوان والتجدد. وتضع ريشة الشنفرى على تلك الصورة البيانية لمسة فنية أخرى إذْ تتوج تلك الريحانة (المرأة) بإكليل من الطل (طلّت) تعزيزاً لملامح الجمال الأخّاذ فيها. ولأن زمن المساء تنطفئُ به جذوة النهار وتخلد الأصوات للصمت لذالك اصطفاه الشاعر (عشاء). حينئذ يصفو الذهن وتتأمل النفس الأشياء فتبدو تلك الشمائل أكثر تألقًا حيث تزيل عَن النفس همومها ومتاعبها. ويعزز تكرار اللفظين (ريحانة) و(ريحت) حضور حاسة الشَّمِّ، فضلاً عن المهاد الإيقاعي الذي يخدم السياق الشعري.

وتظل تلك المـرأة (المستعـار لـه) تنهل من الـريحـانـة (اللفظ المستعـار) إيحاءات متجددة، فنجد الشاعر الشنفـرى يستهل بها بيته الثاني عشر حيث يروق لـه أن يتأمل تلك الـريحانـة (المـرأة) فيشير إلى مهـادهـا (مـوضع حلية) الـذي ترعرعت فيـه و (أمرعت). وقد بثت الاستعارة المكنية الحياة الإنسـانية في حلية (المستعار لـه) بقرينة اللفظ المستعـار (بطن) فبدت أمـا (المستعار منه) تكـريساً للصلة الحميمة بين الأرض الخيرة وعطاء تلك المـرأة. بيد أن الشاعر لم يشأ أن يفرد أميمة عن جاراتها وإن تميزت عنهن إذ انبثقتْ من قـوله: (لها أرج ما حولها غير مسنت) كناية عبرت عن إن تلك السجـاياالتي رمز لها بـ (الأرج) المنتشر لم تكن تضوع على أرض جـرداء (مسنت) بل إنها تتـواشـج مع نظائرهـا من البيوت التي ضمت بين جنباتها نساء كتلك المرأة.

وبعـد أن يستوفي الشـاعر السجـايا السـامية لأميمـة مركـزاً على سمة العفـة والـوفاء. فإنـه يقف وقفة ضـافيـة على السمات الحسيـة لتلك المرأة وبأسلـوب شعريّ مكثف هو سمـة من سمات القصيدة العربية. ويعكس قولـه (دقت) كناية مُعبِّرة عن ملمح جمالي هـو دقة الخصر ورهافته. في مقابل قـوله: (جلت) الذي يتضمن كنايـة ثانية تشي بملمح جمالـي آخر يستسيغه الذوق العـربي آنذاك وفي قولـه: (اسبكرّت) كنـاية ثالثـة تنم عن طول شعـرها واسترسـاله وغـزارته بل إن الشـاعر يصفهـا بالكمـال من حيث جمال مـلامحها (أكملت) وبـذالك ينسجم شكلها مع جـوهرهـا. ولكي يعزز الشاعـر الملامح الخـارجية لتلك المـرأة فإنّه يشفع هاتين الكنايتين بكناية ثالثة طريفة انتظمت قوله (فلوجن إنسان من الحسن جنت) إفصـاحًا عن أن فتنتهـا تكاد تـذهب العقل وتخلب الألباب فضـلاً عن أن تلك الفتنة لا مثيل لها.

ويحذق الشاعر في اختيار كناياته الـدالة مستفيداً من عبقرية الكناية في التعبير فلقـد أطبق البلغـاء على أن الكنـاية أبلـغ من الإفصاح بـالـذكـر[٤] إذ لا يصرح الشنفرى في البيت الرابع عشـر بسمة الكرم التي شاء الشـاعر أن ينسبها إلى تلك

المرأة، بل يصوغ صورتين كنائيتين تنتظم الأولى قوله: (تبات هدوّ الليل تُهدى غَبوقها) وتشع الأخرى من قوله: (إذا الهديّة قلت). أوحت الأولى بإيثارها جارتها على نفسها ونمت الأخرى عن مواسم الجدب التي قد تعصف بالبيئة العربية فيشحّ الزاد. وتتلاحم هاتان الكنايتان كي تشيا بأنّ أم عمرو تمد يد المساعدة في أحلك الظروف وأصعبها. وقد أضفى لفظ الغبوق (وهو ما يشرب في العشيّ) دلالات ذوقية على اللوحة الشعرية تعزّز حاجة جارتها لما يسدّ الرمق في مثل تلك الظروف.

ويتلبث الشنفرى في البيت الخامس عشر عند (البيت) الذي يضم بين جنبيه أميمة، ويردّد أصداء صوتها ويحتضن خطواتها الدائبة بين ظهرانيه. وقد سرت سماتها النبيلة إلى كيان البيت كله. ويأتي الشاعر كي يصوغ نمطا معينًا من الكناية هو الكناية عن نسبة(٥) حيث لم ينسب الشاعر تلك السمات إلى أميمة مباشرة بل كنّى عن ذالك بأن ألحقها بالدار التي تسكنها تعزيزًا لسجاياها التي أشاعت القيم العربية السامية في تلك الدار. وثمة استعارة مكنية في قول الشاعر: (بيوت بالمذمة حلّت) جسّمت المذمة (المستعار له المعنوي) أرضًا (المستعار منه المحسوس) بقرينة الفعل المستعار (حلّت) وحرف الجر (الباء) إفصاحًا عن أن البيت الذي تكون سيدته موضع الذمّ ستسري سماتها إلى المكان الذي تقيم فيه. ولا يخفى التضاد بين صفتي الرشاد والضلال في هذه اللوحة الشعرية. وقد شكّلت الألفاظ المكررة (يحلّ، حلّت)، و (بمنجاة من الذم، بالمَذَمّة) (بيتها، بيوت) مهادًا إيقاعيًا يتناسب مع السياق الشعري من جانب، ومن الجانب الآخر فإنها أوحت بأن أميمة، وبوعي منها، تختار صفة الرشاد المترعة بالخير والحمد تعبيرًا عن فطرتها الطيبة.

وكما رسم الشنفرى صورة المرأة المثال (أم عمرو) فإنه رسم لوحة شعرية أخرى تقع على النقيض من تلك الصورة في قوله مخاطبًا امرأته:

إذا أصبحتُ بين جبالِ (قَوٍّ) و (بيضانِ القرى) لم تَحْذَريني

فإمّا أن تودّينا فنرعى أمانتكم، وإما أن تخوني
سأخلي للظعينة ما أرادت ولستُ بحارس لكَ كلّ حين
إذا ما جئت ما أنهاك عنهُ ولم أُنكر عليك فطلّقيني
فأنت البعلُ يومئذٍ فقومي بسوطك لا أبا لك فاضْربيني[٦]

يستهل الشاعر لوحته الشعرية بذكر موضعين هما (قو، وبيضان القرى) كنّى بهما عن بعده عن داره. وفي ذالك إشارة ضمنية إلى طبيعة حياته التي تتطلب منه الغياب المتواصل عن البيت. ويمهد الشاعر بذالك لصفات تلك المرأة مستثمراً جواب الشرط غير الجازم (إذا أصبحتُ... لم تحذريني) كناية عن أنّ حذر تلك المرأة منه مرهون بوجوده معها وغياب ذالك الحذر مع غيابه.

ويحار الشاعر إزاء تلك المرأة في البيت الثاني فيخيّرها بين أمرين احتضنها أسلوب الشرط مرة أخرى في إطار صورة كنائية عبّرت عن الرغبة في استمرار العودة بينهما بحضور الوفاء والإخلاص. ورفضه تلك المرأة بغيابها. وقد نمّ قوله (وإما أن تخوني) عن سخطه عليها.

وينتقي الشنفرى في البيت الثالث من بيئة الترحال والسفر (الظعينة) كي تكون قسيمًا استعاريا لتلك المرأة حين ينسج استعارة تصريحية تفصح عن أن الشاعر لا يتمسك بتلك المرأة أو يجبرها على أن تبقى في كنفه. وإنما يترك لها فرصة الانطلاق إلى رحاب أخرى إذا ما شاءت ذالك. وتعزز الكناية التي تضمنها قوله (ولستُ بحارس لك كل حين) رفضه لتلك المرأة وفضلاً عن أنها تؤكد غياب الشاعر الدائم عن داره لطبيعة حياته التي اختطها لنفسه فهو طالب ثأر. يضاف إلى هذا، أن ثمة إشارة ضمنية إلى غياب إحساسات الثقة التي تمنحها تلك المرأة لزوجها الغائب.

ويتفاقم إحساس الشاعر بالريبة والشك إزاء تلك المرأة فيرسم لها صورة ساخرة انتظمت البيتين الرابع والخامس إذ يصرح قائلاً: (إذا ما جئت ما أنهاك

عنه... فطلقيني) وكأن الشاعر يعبر عن انقلاب الموازين إذ تحل هي في إهاب الرجل ويحل الشنفرى في اهاب تلك الحليلة التي لم تصن بيتها وزوجها. وفي ذالك كناية عن الخنوع والاستسلام اللذين لا يتناسبان وطبيعة الشنفرى الشمّاء، ويمضي الشاعر في إكمال صورته الطريفة في البيت الخامس حيث تحذو هذه الصورة حذو الطرفة في نسيجها إذ يصوغ الشاعر تشبيها بليغًا يستهل به بيته الشعري إذ يقول: (أنت البعل) ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه حليلته (المشبه) والبعل (المشبه به) هو التسلط ومجافاة فطرة المرأة وأنوثتها ويستكمل الشنفرى صورته الساخرة إذ يأمر تلك المرأة أن تحمل سوطًا وتضربه (فاضربيني) بدل من أن يفعل هو ذالك إثر مخالفتها إياه واستهانتها بالقيم النبيلة التي يحترم الشاعر المرأة إذا ما تحلت بها.

وثمة حدث مؤلم كان له أبلغ الأثر في حياة الشاعر إذ تتفق الروايات على إنه كان غريبًا وأن فتاةً تجرأتْ عليه وصفعتْه على وجهه، جهلاً منها لنسبه، لذلك يقول مفتخرًا بنسبه ومشيرًا إلى هذا الحادث. وأداته في هذه الصورة البيانية الدالة:

ألا لَيْتَ شعري والأمانيُّ ضُلَّةٌ ... بما ضربت كفُّ الفتاة هجينَها
ولو عملتْ قُعسوسُ أيامَ والدي ... ووالدها ظلّتْ تَقاصَرُ دونَها
أبي ابْنُ خيارِ الحَجْرِ بيتًا ومنصبًا ... وأميّ ابنةُ الأحرارِ لو تعرفينَها
إذا قلتُ بعضَ القولِ بيني وبينَها ... تؤمّ بياضَ الوجه مني يمينُها[٧]

يطالعنا التشبيه البليغ في البيت الأول بقول الشاعر: (الأماني ضلة). ويضفي المشبه به (ضلة) على المشبه (الأماني) دلالات التخبط والضياع. ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه المعنويين هو غياب قدرة الشاعر على تحقيق الأماني إذ أنه وجدها قد (ضلت) عن سبيلها وارتطمت بواقعه المرير ومثلما أكّده في سياق نصه الشعري. وقد كانت صفعة تلك الفتاة للشاعر تتضمن تنبيهًا أكيدًا على أنّ أمانيه قد كانت محض سراب، إذ أن صفعتها التي أشار إليها قوله

(ضربت كـف الفتاة هَجينها) تكشف النقـاب عن الحقيقة التي جعلـت شخصية الشاعر تنمو باتجاه آخر وكما تشير المصادر التاريخية(٨).

ويشي البيت الثاني بأنفة الشاعر وكبـريائه وهو يحاول أن يداري ذالك الجرح الذي أحـدثته الفتاة في نفسه. فيصبُّ جـام غضبه عليها بأن يصف خلقهـا الذميم (قعسوس) ويبرر فعلتها بأنها تجهل نسبه ولـذالك استخدم الشاعر، وبوعي منه، أسلوب الشرط غير الجازم وبالأداة (لو). وكنى عن وقائع والده المشرفة باللفظ (أيام) وهي ممـا لا يصل إلى ذراها والدا الفتـاة. لذلك ستبدو تلك الفتـاة ضئيلة (تقاصر) حين تعـرف نسب الشاعر وهي صورة كنائية تشي بعظمـة نسب الشاعر إزاء ضآلة نسب الفتاة.

ويمضي الشاعـر في فخره بنسبه إذ يجـد الشاعـر في ذالك الفخر تعويضًـا نفسيّا عما ألمّ بـه من إهانة جسيمة لإحساسـه بذاته واعتداده بنفسـه. وتنتظم البيت الثالث صورة كنائية تشي بسمو مكانة أبيه وعلوّ منزلة أمه، مما ينفي كونه (هجينًا) (ابنَ أمة) كما ظنّت تلك الفتاة، فضـلاً عن أن الشنفرى يعطي انطباعًا مؤكـدًا بأن العربي يفخر بأمـه وأبيه على حـد سواء. وأن الانتسـاب لا يكـون للأب ولـلأعمام حسب وإنمـا يكون للأم وللأخوال أيضًا. وإنّ أي غمزٍ لأحدَ الجانبين ممّا يضير بالنسب ويشينه.

وينحصر إحساس الشاعر بالفخر في خاتمة نصه الشعري، حيث يتذكر رغبته في التقرب من تلك الفتـاة. فيعنّف نفسه على انسيـاقه مع عواطفـه فينسج صورة كنائيـة انطوى عليهـا قولـه: (إذا قُلتُ بعض القول بيني وبينها) نمّـت عن انفراده بتلك الفتاة وإفصاحـه عما يخالج روحه. بيد أن الشاعر يكـرّر صدى الصفعة في خاتمـة لوحتـه حيث يكشف الشطر الثـاني من البيت أنّ الصفعة كـانت اختصاراً لنظرة الفتـاة إليه وازدرائها لـه.. كما أنها كـانت بمثابـة طعنة سدّدتهـا إلى روحه جهلاً منها بنسبه الرفيع الذي كنّي عنه بــ(بياض الوجه).

ويوجه الشـاعر في سياق شعري آخـر حديثه إلى المرأة كـاشفا عن رؤيته إزاء الحليلة التي يصطفيها لنفسه إذ يقول:

لا تحسبيني مثلَ مَنْ هــو قــاعــدٌ على عُثّــة أو واثــقٌ بكســــاد
إذا انْفلَتَتْ منـي جــوادٌ كــريمـــةٌ وثبتُ فلم أخطَـىءُ عنـان جــوادي[٩]

يكني الشـاعـر عن المـرأة التي يـرفضهـا ولايقبلهـا حليلة لـه بــ (العثـة) مـرة وبـ(الكساد) مرة أخرى. وتشي لفظة (العثة) بأكثر من دلالة فهي قد تعني أن الشاعر لا يرضى بأَن تكون حليلته عجـوزًا واهنة بل شابة مترعة بالعنفـوان. وربما قصد أنه لا يرتضيها بذيئة أو حمقاء بل متـزنة العقل والمنطق. وربما انتقى هذه اللفظة (عثة) كي يكشف عن الملامح الخارجية والنفسية للمرأة المرفوضة. ولا يتمسك الشاعر بـ (الكاسدة) من النساء كناية عن أنه ينتقى أفضل النساء وأعلاهن مكانة.

ويبرهن الشـاعر لتلك المـرأة التي يوجـه الحديث إليها فـي البيت الآخر على ذالك متخذا من الاستعارة التصريحية وسيلة فنية إذ تحل المرأة المثال (المستعار لـه) في إهاب جـواد كريمـة (اللفظ المستعـار) إفصاحًـا عن أصالتهـا ورشاقتهـا وعنفوانها وهو مـا يطمح الشاعر إليه في المرأة المنتقاة حليلـة له. وتشع من قوله (لم أخطئْ عنـان جـوادي) كنايـة تشي بطـابع شخصيته التـي تفرض على المـرأة اطاعته واحترامه. لقد استوحى الشاعر هذه الصورة من البيئة العربية إذ عقد الصلة بين المرأة والفرس. وليس غـريبًا على الشنفرى أن يستعير من الجواد الكـريمة ما يعبر به عن المرأة المصطفاة، فكثيرًا ما يقرن الشاعر الجاهلي بين المرأة والفرس، ووجه الشبه بينهما في الأغلب هو الرشاقة وطول الشعر والشباب[١١].

وترد المرأة وطبيعة صلة الشنفرى بها في سياق فخر الشاعر بنفسه حيث يقول في موضع آخر:

ولا جُبَّإٍ أكهـى مُــرِبٍّ بعُــرسِـــهِ يطـالعُهــا في شأنِــه كيفَ يفعل[١٢]

يـرفض الشاعـر أن يقترن بصفـات تجافيهـا البيئـة العربيـة وواقع صحرائهـا القاحلـة، ومنها إنـه لا يرضى بأن يلـزم داره هربًـا من مضمار الصـراع والحرب

ومقارعـة الفرسان مكنيًا عن ذالك بألفـاظ تشكل قوام صورة كنـائية وهي (جبأ) و(أكهَى) و (مربّ بعرســه) إذ أن حياته وهو الفارس الهمام يحتـاج جرأة وتحفزًا وترحالاً دائمًـا، مع تحدّ متواصل لأعدائه. ويكني عن استعداده بشخصــه وبرأيه دون رأي زوجه بقـوله: (لا... يطـالعها في شأنـه كيف يفعل (أو هـو يذكـر هذه الصورة البيـانية في موضع الـرفض والسخرية إشـارة إلى أن ثمة من يفعل ذالك ولكن الشنفرى يرفضه إنسجامًا مع مكونات شخصيته.

ويروق لخيال الشـاعر أن يستحضر صورة أخرى من وحي البيئة العـربية. بيد أنها مما ترفضها القيم الأصيلة إذ يورد الشنفرى صورة كنائية للرجل الذي يتخلّق بأخلاق النساء في قوله:

ولا خـــالـفٍ داريـــةٍ متغـــزل   يـروحُ ويغــدو داهنًـا يتغــزّل[١٣]

فهو يكنّي عن اعتداده بنفسه وسموّ أخلاقه حيث ينأى عن التهافت على عشق النساء والتغزل بهن في الغدو والـرواح. وهو ينكر هذا على من يفعل ذالك. وفي قولـه: (داهنا يتكحل) كناية أخـرى تشي بسخط الشاعر على المتشبهين بـالنساء من الرجال في استخدام الكحل والدهن للزينة. إذ إنّ الفارس (الشنفرى) يرى أن تلك الأفعـال تقلل من شأن الـرجل، لـذالك نجـده يستهل بيتـه الشعري بقـولـه صراحـة عن هذا النمط من الرجال بأنـه فاسد (خالف) يحلـو له أن يقبع في داره (دارية) على أن يقتحم سوح الوغى.

ويتخـذ الشاعـر من المرأة لائمـة لا يرضيهـا نهجه في الحيـاة وانصرافـه إلى الوغى ومقارعة الفرسان فيجيبها قائلاً:

دعيني وقــولي بَعْــدُ مــا شئت إنني   سَيُغْــدَى بنعشي مَـرَّةً فـأُغيَّب[١٤]

يشع فعل الأمر (دعيني) كناية تشي ببرم الشاعر بتلك المرأة التي أكثرتْ اللوم فهي كمـا يراهـا تسعى إلى أن تجرَّه بـاتجاه الحيـاة المستقرة المستكينـة، التي لا

تتناسب مع طبيعة شخصيته من جانب، ومع طبيعـة الصحراء العربية التي تفرض مثل هذه الحياة من الجانب الآخر. وفي قوله: (وقولي بعد ما شئت) كناية أخرى عن صفة اعتـداد الشاعـر برأيـه. بحيث لا يكترث بلـوم اللائمـة وحديثهـا الذي أطالت فيه، واختصره بقوله (ماشئت). ويأتي الشطر الثاني من البيت كي يكشف النقاب عن نهج الشاعـر وما اختطه لنفسه من أسلوب في الحياة وفي إطـار كناية عبرت عن صفة الشجـاعة واستهانته بالموت مادام لا يحـدث إلا مرة واحدة في حيـاة المـرء. وقـد أسبغت الأفعـال (دعيني) و (قـولـي) (شئت)، و (يُغـدي)، و(أُغَيَّبُ) على اللوحـة البيانيـة حركة تتنـاسب وشدة رفض الشـاعر لمنطق تلك اللائمة وتمسكه بالصراع وأجوائه المتسرعة بالعنفوان.

وربما لعبت المرأة دورًا مناقضًا لتلك اللائمة إذ تحرض الشنفرى على القتال والثأر في قول الشاعر مخاطبًا إياها:

كأنْ قَـدْ فـلا يغـــرُرْكِ منّي تمكّثي　　　سلكتُ طريقًا بينَ (يربغَ) فـ (السردِ)[١٥]

حيث يكني عن تمهلـه في إدراك ثأره وتفكيره فـي الوسـائل التي توصلـه إلى عدوه فيقتصّ منـه، بقوله (يغـررْكِ مني تمكثي). وهو يثبت لها ذالك عبـر الشطر الثاني من البيت.

ويحلو للشاعر أن يوصل إلى مسامع المرأة (سعاد) إحدى وقائعه إذ يقول:

ألا هل أتـى عنّـا سعـــادُ ودونَهـــا　　　مهـامـهُ بيـدٍ تَعْتَلي بـالصّعـالِكِ[١٦]

مما ينم عن أن انتصاره لا يتم مالم يكن مـوضع حديث النساء وإعجابهن وقد كنى عن ذالك بحديثه مع سعاد التي اتخذ منها محاورة له ومصغية لحديثه.

ويكشف أسلوب التحضيض وأسلوب الاستفهام اللّـذان استهل بهما صورته الكنائية عن رغبة الشـاعر في جذب الاهتمام والتشويق لسماع مـا سيقوله لسعاد ورفيقاتها من أخباره.

وتستأثر والـدة الشاعر بأكثـر من لوحة شعريـة فهاهي الصورة البيـانية تعكس آهات تلك الأم المفجوعة بفقد ولدها (أخ الشاعر) وفي ذالك يقول:

لَيْسَ لِـــــوالِـــــدَةٍ هَمُّهـــــا ولا قيلُهـــــا لابْنِهـــــا: دَعْ دَعِ
تطـــــوفُ وتحـــــذرُ أحـــــوالَـــــهُ وغيـــــرُكَ أملكُ بـــــالمصـــــرعِ[١٧]

ينسج الشاعر صورة كنـائية تنم عن حرص الوالدة على ولـدها من خلال أكثر من عبارة (قيلها لا بنهـا دع دع)، (تطوف)، (تحذر أحواله) فهي تنهـاه عمّا يورده الهلاك وتبالغ في تحذيره، بيد أن هـذا لا يحول دون حدث مصرعه وقد كنّي عن هذا بقوله: (وغيرُكِ أملك بالمصرع).

وثمة مـوقف آخر يقفه الشنفرى شبيـه بهذا الموقف حين يُقْتَلُ والـده فيستثير هذا الحـدث جزع والـدته حيث تخـرج ساعيـة إلى ديار قـومها بني فهم تـولول وتنوح. فيقول الشنفرى في ذالك:

تُـــولـــولُ أن عـــلاهـــا دهـــرُهـــا بـــريب المكـــاره بـــالأرْوَعِ
وكلُّ امـــرئٍ عـــاش فـــي غبطـــة يصيـــرُ إلى الحـــدث الأشنـــعِ
فـأقسمتُ أبـــرحُ ذا غـــارةٍ تغـــرّرُ بـــالنّفس في المكْـــرَعِ[١٨]

يطالعنا الفعـل المضارع (تولول) بما فيـه من إيحاء صوتي يشي بـالنوح وهو يفضي إلى الاستعارة التشخيصية التي تؤنس الدهر (المستعار له) فيتجلى منتصراً يكيل لها من المكاره ماهو الأشدّ وقعًا (الأروع). ويكني الشاعر في البيت الثاني بقولـه (وكل امرئٍ عاش في غبطـة) عن الحياة الهـانئة التي عاشتهـا أمه في كنف أبيه. بيد أن الشاعـر يشفع هذه الكنائية بكناية أخرى تشي بمـا آلت والدته إليه في خاتمة مطافها إذ تستحيل بهجتها شؤمًا إثر ذالك الحادث المروع. ولأن الشاعر يؤمن بأن الحياة الرغيدة لابدّ أن يعقبهـا الحزن إذن لابد له من أن يسير على وفق النهج الذي اختطه لنفسه، وهو أن يقارع الخصوم ويحضر الوغى طلبًا لثأر والده وهو المعنى الذي أوحت به الكناية المتضمنة في بيته الأخير.

وربما يعكس الشاعر رؤيته إزاء النوح والبكاء حين يصوغ صورة استعارة تصريحية تحل من خلالها الحمامة (المستعار له) في إهاب النائحة (اللفظ المستعار) إذ يقول:

ونائحةٍ أوحيتُ في الصبحِ سمعَها — فريعَ فؤادي واشمأزّ وأنكرا[١٩]

ويكشف قوله (أوحيت) و (ريع) (واشمأزّ) و (وأنكرا) عن تطيّر الشاعر من صوت النواح الذي هو قرين الموت ودلالاته الكنائية في حين يعج قلبه بالعنفوان والحياة. ويطبع اللفظان (نائحة) و (سمعها) هذه الصورة البيانية بطابع سمعي بيّن.

ويخلق عالم الشنفرى المشحون بأجواء الترحال والصراع لوحات بيانية تشي بتلك الإلفة التي خلقتها طبيعة حياته المريرة الخالية من البهجة والمسرة. فنجده يألف وحش الصحراء.. وحين تتلبث ريشته لتسبغ الظلال الفنية على لوحة الظباء (الأراوي) فإنها تقترن في مخيلته بالعذارى الحسان إذ يقول:

تـرودُ الأراوي الصُّحمُ دوني كأنّها — عذارى عليهنّ الملاءُ المُذَيّلُ

وَيَرْكُدْنَ بالآصال حولي كأنّني — من العُصْم أدفى ينتحي الكَيْح أعقلُ[٢٠]

ينسج الشاعر في البيت الأول صورة تشبيه مر سل عاقدا من خلال أداة التشبيه (كأنّ) الصلة بين الأراوي (المشبه) والعذارى (المشبه به) ووجه الشبه الذي يجمع بين طرفي التشبيه هو الجمال والرشاقة كما أضفى اقتران لون الظباء السود المائلة إلى الصفرة (الصّحم) بالملاء المذيل سمة لونية طبعتْ الصورة التشبيهية بطابع بصري. ويشكل تكرار حرفي الراء والواو في لفظَيْ (ترود) و (الأراوي). وتكرار حرف النون ثلاث مرات في لفظَيْ (دوني) و (كأنها). وتكرار حرفي الميم واللام في (الملاء) و (المذيل) تصعيداً نغميّا يخدم السياق الشعري ويسبغ إيقاعية محببة على التشبيه.

وتتقصى الصورة البيانية الوشيجة الحميمة التي تربُط الشاعر بتلك الأراوي (المشبه) فنجد الشاعر في البيت الثاني يكشف عن طبيعة تلك الصلة إذ يقول: (كأنني من العصم) حيث يصوغ الشاعر صورة تشبيهية مرسلة أخرى وبأداة التشبيه ذاتها (كأن). يحل الشاعر (المشبه) تحت ظلالها في إهاب وعل (أعصم) (المشبه به) تعزيزًا لأجواء المودة التي تربطه بتلك الظباء وهو يرى فيها أنيسًا لوحدته في ليل الصحراء المخيف حيث تألفه الظباء وتغتبط لحضوره بينها. وتسبغ الألفاظ (الأعصم)، و (أدفى)، و (أعقل) على المشبه (الشاعر) دلالات القوة والرشاقة. وقد تنبه القدامى إلى طرافة العلاقات الخفية في مثل هذه التشبيهات، فالقزويني يذكر الاستطراف ويقول عنه: (والاستطراف.. أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن)(٢١).

وبعد، فقد أحاطت الصورة البيانية بسمات المرأة كما رآها الشاعر الشنفرى. فثمة الأم والجارة والحليلة والثكلى والنائحة و.... وهناك المرأة المثال التي تلتزم بقيم البيئة العربية وتقاليدها السامية. كما أن هناك المرأة المتمردة على تلك المثل الخيِّرة. ولقد كشف شعر الشنفرى عن اهتمام بيّن بجمال خلق المرأة وعذوبة سريرتها أكثر من جمال شكل المرأة وتناسب ملامح وجهها وجسدها التي قد يقف عندهما وقفة مركزة عارضة. وربما كانت المرأة أداة فنية يحاورها الشاعر أو يمهد بحديثه عنها لموضوعه. وربما شكلت المرأة قسيمًا تشبيهيًا أو استعاريًا لصورته البيانية الدالة.

غلبت الكناية على تشبيهات الشنفرى واستعاراته وكثيرًا ما استثمر الشاعر الكناية عن صفة، وقلّما استخدم الكناية عن نسبة. وتتنوع أنماط التشبيه في نصوصه الشعرية التي تقصّت ملامح المرأة فهناك التشبيه المرسل والبليغ والتمثيلي. وتأتي الاستعارة في المرتبة الأخيرة حيث تطغى الاستعارة التصريحية على المكنية. ويتسلسل تأثير الحواس الخمس إلى نسيج الصورة البيانية فتطبع إحدى الحواس صورته الكنائية أو التشبيهية أو الاستعارية بطابعها.

ويسبغ تكرار بعض الألفاظ وأصوات حروفها في بناء الصورة البيانية تصعيداً نغميًا يخدم السياق الشعري.

بغداد: د. وجدان عبدالإله الصايغ

الحواشي:

(١) ينظر: د. حنفي شرف «التصوير البياني»، مكتبة الشباب، ط ٢، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٩. وينظر كذلك: د.وجدان عبدالإله الصايغ «الصورة البيانية في شعر عمر أبي ريشة»، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٧ ص ٣١.

(٢) «شعر الشنفرى الأزدي»، لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي، تحقيق: د. علي ناصر غالب، مطبوعات مجلة «العرب»، الرياض ١٩٩٨م، ص ٩٥ - ٩٦.

(٣) ينظر: سيد قطب، «التصوير الفني في القرآن»، دار المعارف، القاهرة (دون تاريخ)، ص ٦٣، كما ينظر: د.وجدان عبدالإله الصايغ» «الصورة الاستعارية في شعر الأخطل الصغير» رسالة دكتوراه مكتوبة على الألة الطابعة، قسم اللغة العربية/ كلية الأداب/ جامعة الموصل ١٩٩٥ فصل التجسيم الاستعاري، ص٦١ وما بعدها.

(٤) القزويني «الإيضاح في علوم البلاغة» تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، ط ٥، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٥) ينظر: السكّاكي، «مفتاح العلوم»، تحقيق: أكرم عثمان، دار الرسالة بغداد ١٩٨١، ص ٦٣٨.

(٦) «شعر الشنفرى»، ص ١٠٨.

(٧) نفسه، ص ٥٥.

(٨) ينظر: نفسه، ص ٥٤ وما بعدها.

(٩) نفسه، ص ١١٣.

(١٠) الفيروز آبادي، «القاموس المحيط» دار الفكر، بيروت (دون تاريخ)، مادة (ع ث ث).

(١١) د. عبدالإله الصايغ، «الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام»، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢، ص ٢٣٠.

(١٢) «شعر الشنفرى» ص ٧١.

(١٣) نفسه، ص ٧١.

(١٤) نفسه، ص ١١٠.

(١٥) نفسه، ص ٦٢.

(١٦) نفسه، ١١٧.

(١٧) نفسه، ص ١١٠.

(١٨) نفسه، ص ١١٦.

(١٩) نفسه، ص ٦٣.

(٢٠) نفسه، ص ٨٩ - ٩٠.

(٢١) القزويني، «التلخيص في علوم البلاغة» تحقيق: عبدالرحمن البرقوقي ط ٢، المكتبة التجارية، ط ٢، القاهرة ١٩٣٢، ص ٢٦٥.

مخطوطة كتاب «المثالب» المنسوب لابن الكلبي

(دراسة للكاتب والكتاب)

مقدمة في كتب المثالب والمناقب: هذا كتاب سمعت باسمه مضافًا للعرب قبل عشرين عامًا، أو أكثر من ذلك قليلاً، وكنت شديد الضيق به وبمؤلفه، شديد الكره لهما، والعجب منهما، وكان مما يحيرني حقًّا من أمر هذا الكتاب، هو كيف ولماذا يؤلف رجل كلبي من العرب كتابًا في مثالب قومه؟ ما مصلحته في هذا؟ وما دافعه إليه؟ ثم يكتب هذا في بلد عربي في ذروة مجد العرب وسلطانها، وليس في وقت ضعفها وتكالب الأمم عليها، ثم لا يجد من يحرق هذا الكتاب ويعاقب صاحبه، إنما ينقل ويستنسخ جيلاً بعد جيل، وتحتفظ به المكتبات، ويشير إليه المفهرسون. وهبْ أن هذا الرجل كان ساقط المرءوة، حقير النفس، لم يجد حرجًا من شتم قومه وثلبهم، فكيف يُفَسَّرُ إذن أنه لم يكن بدعًا في هذا، وإنما كثر من شاركه فيه من العرب مثل الهيثم بن عدي الطائي، وعوانة بن الحكم الكلبي، وأحمد بن محمد العدوي القرشي، وأبي عمر العمري القرشي، وأبي الفرج الأصبهاني الأموي القرشي، هاؤلاء جميعًا من العرب ولكل منهم، كتاب أو أكثر في المثالب[1]، ومثلها أو أكثر في المناقب؛ مناقب العرب عامة أو مناقب قبيلة من قبائلهم أو علم من أعلامهم[2].

فلو تركنا العرب جانبًا، لوجدنا مثلهم ممن ألف في مثالب العرب، من الموالي والأعاجم كأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي الحصين الأصبهاني وعلان الشعوبي. فإذا صرفنا ذالك منهم إلى كراهية العرب والشعوبية، وهو مما لا يمكن استبعاده عن بعضهم، فكيف تفسر كثرة ما ألفه هاؤلاء الأعاجم في مناقب العرب ومآثرها، كيف تفسر أن يكون لأحمد بن محمد العدوي القرشي كتاب في المثالب وآخر في الرد على الشعوبية. وأن يكون لأبي عبيدة المولى كتاب في المثالب وآخر في مآثر العرب، وكتاب في مثالب باهلة وآخر في مناقبها، وأن يكون لعلاّن الشعوبي كتاب في مثالب العرب، وكتابان في فضائل كنانة وفضائل ربيعة.

أيكـون هاؤلاء العلمـاء قد بلغـوا من التجـرد العلمي والموضـوعية العلميـة والحياد في البحث والتأليف إلى مثل هذه المثاليـة العلمية الرفيعة في التجرد عن نوازع التعصب القبلي والقومي.

كل هذه الأسئلة المحيرة، دفعتني دفعًا إلى استعارة مخطوطة هذا الكتاب من مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب.

ورغم ضيقي بـالكتاب وكـراهتي له، وإحسـاسي أنه يمثل استفـزازًا لتعصبي الطبيعي للعرب، كما يتعصب كل إنسـان سويّ لقومه وأهلـه عادة، فطرة الله التي فطر النـاس عليها. وعصبيـة الرجل لقومـه - أي قوم - مـا يحمد لـه ومن كمال المروءة فيه. وبروح عدائية مستفزة بدأت قراءة الكتاب، وشيئًا فشيئًا هدأ الغضب وخفَّ الاستفـزاز وسكنت الكراهيـة، وإذا بالكتـاب أهون أمـرًا، وأقل شرًا ممـا توهمت، وأن عنوانـه لم يكن دقيقًا تمامًا في الدلالة على مـا فيه، وفوجئت أن لا جديـد في معظم ما ذكره الكتاب، وأنني قـرأت كثيرًا من مادتـه في كتب التاريخ القديم وكتب الأدب عامة، وأنه من المعارف العامة الشائعة المتداولة.

والحق أن التأليف في المثـالب عامـة، ومثالب هـذه القبيلة أو تلك، أمـرٌ كثر التأليف فيه، طوال العصر العباسي، وهو عندهم مرافق للتأليف في مناقب العرب عـامة والقبـائل والأفـراد، وقـد رأيت كيف أن الـرجل يؤلف في المـوضـوعين كليهما، فيضع كتابًـا في مثالب العرب، وآخر في مناقبها، وكتـابًا في مثالب تميم وآخر في مناقبها.

إذن فالمسألة ليست مصروفة عندهم إلى التعصب للعرب أو التعصب عليها، إنما هي موضوعات صالحة للكتابة، وقـد توفرت مادتها عندهم من شعر العرب وأخبارها، ثم أننـي وجدت ذالك خاصة عند الأخبـاريين وعلماء النسب، أولئك العلماء الـذين وقفوا جهـودهـم على البحث في أنساب العـرب وأخبار قبـائلها، وسيـر المشهـورين من أعـلامهـا، وهي أمـور تتصل بـدراسة الشعـر وشـرحـه،

ولهجات القبائل، وعلم الجرح والتعديل في دراسة الرجال، فتجمع عندهم من ذالك مادة صالحة كثيرة في مناقب الأفراد ومثالبهم، وكلما استفاضت شهرة قوم وعلت مكانتهم، كثرت أخبارهم وذاع ما شهروا به مما يُحمدون به ويُذمُّون عليه، يستوي في ذالك الأفراد والقبائل والأمم، ومن هنا جاء هذا الاهتمام الاستثنائي بقريش، وكثرة ما ذُكر من مناقبها ومثالبها، التي هي في الحقيقة مناقب ومثالب المشهورين من رجالها.

ولا ننكر أن العرب جنس من البشر وأمة من أُممهم، لها حسناتها وسيئاتها، التي هي مجموع حسنات المنتمين لها وسيئاتهم، وليس ذالك وقفًا على العرب خاصة، إنما هو أمر عام في جميع الأمم والشعوب والأفراد، ولا نعلم أمة على وجه الأرض مبرأة من العيوب، وأنها حسنات كلها، إنما ذالك من صفات الملائكة، كما لا نعلم أمة خُلوًا من المحامد والحسنات.

إذن فللعرب مفاخر ومناقب ومآثر، يجدها من يبحث عنها مسجلة مدونة في أخبارها وآثارها وأدبها، ولها مثالب كغيرها من الأمم، يجدها من يبحث عنها أيضًا في أخبارها وأدبها.

فالذين كتبوا في مناقب العرب، لم تدفعهم إلى هذا عصبيتهم لها، وبعضهم قوم من الأعجام، والذين كتبوا في مثالبها، لم تدفعهم عصبيتهم عليها، وبعضهم من أبنائها. إنما هم قوم بحثوا وألفوا في الأنساب والسير والتاريخ فتجمع لهم من هذا وذاك مادة صالحة في المناقب والمثالب، فجعلوا من ذالك كتبًا مستقلة وضربًا من التأليف لم ينكره عليهم منكر، ولم يجدوا في أنفسهم منه حرجًا، وهم، بعدُ، لم يخترعوا مقياسًا للمناقب والمثالب لا علم للناس به، إنما ساروا في ذالك على ما سارت عليه العرب في مثاليتها الخلقية، وفيما حمدته من أخلاقها وعدته من مناقبها، وما كرهته من أخلاقها وعدته من المثالب، مع اختلاف المعايير الأخلاقية في المحمود والمذموم بين البادية والحاضرة، وبين

عصر وعصر، ومن ذالك مثلاً أن الصناعات والحرف مذمومة في البادية، مُستنكفٌ من مزاولتها، وهي ليست كذالك في الحواضر، ومن ذالك أن الزنا والربا وشرب الخمر ولعب الميسر، من المذموم المحرم في الإسلام، ولم يكن كذالك في الجاهلية، إنما كان الرجل يفخر بذالك ويباهي، ويراه دليلاً على الوجاهة والفتوة.

ثم ما يكون شعر المديح والفخر والرثاء عند العرب غير سجل لمناقب الأفراد والقبائل، وما يكون شعر الهجاء غير مسجل لمثالب الأفراد والقبائل، وما تكون نقائض جرير والفرزدق غير مناقب تميم ومثالبها، وما تكون نقائض جرير والأخطل غير مناقب تميم وتغلب ومثالبهما، وما يكون شعر حسّان في الردّ على المشركين ومديح الرسول ﷺ وأصحابه، غير مناقب قريش ومثالبها. ثم ما يكون شعر المفاخرات العدنانية القحطانية، غير سجل مناقب العرب ومثالبها، لا يغادر الشاعر منها شيئًا ولايتحرج من ذكر ما يقبح ذكره، ومن ذالك قصيدة الكميت المشهورة في مناقب العدنانيين ومثالب القحطانيين، وقصيدتا أبي نواس ودعبل في مناقب القحطانيين وذم العدنانيين.

وإذن ما الذي فعله المؤلفون في المناقب والمثالب غير اعتمادهم على ذالك الشعر وما يؤزاره من الأخبار، وكل ذالك مشهور معروف متداول، لم يأتوا بشيء من عندهم، ولا أذاعوا ما خفي على الناس أمره، واستترت حقيقته، ثم إنهم لم يقتصروا في ذالك على العرب وحدهم، إنما تجاوزوا ذاك إلى ما توافرت مادته العلمية عندهم، مع شغف خاص بالمتناقضات من الأمور، وعلى هذا كتب الجاحظ في مناقب الترك وفضل السودان على البيضان، وهاشم وعبد شمس، ومفاخرة الجواري والغلمان، وذم النبيذ ومدحه، ومناظرة الكلب والديك في المحمود من أمرهما والمذموم... إلخ.

مؤلف الكتاب: وبعد هذه المقدمة وقبل استعراض الكتاب والتعريف به، لابد من الوقوف على سيرة مؤلف الكتاب وآثاره:

هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي[٣]، قال ياقوت في صفته (النسّابة، العلامة، كان عالمًا بالنسب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها)[٤].

وكان أبوه مثله عالمًا مفسرًا أخباريًا نسّابًا، وقد أخذ عن أبيه معظم مروياته وعن محمد بن سعد كاتب الواقدي وعن الهيثم بن عدي.

ثم ذكر مجموعة من مؤلفاته في الأنساب والأخبار والمناقب والمثالب[٥].

وأشهرها من المطبوع المتداول كتاب «الأصنام» الذي حققه أحمد زكي باشا، وأثنى على علم صاحبه ودقته وشدّة تحريه وتورعه في النقل، وقال فيه: (وإنما نعتقد أنه من جهابذة العلماء الذين تفتخر بهم الحضارة العربية، في تقييد كثير من الشوارد والأوابد، وفي تدوين طائفة كبيرة من المعلومات التاريخية والجغرافية، وأنا لا أدري كيف أجمع أهل الحديث على تجريح هشام مع أنه كثير الاحتياط في نقل الأخبار، يدل على ذالك مبدؤه الذي كان يعبر عنه بقوله (الإسناد في الخبر مثل العَلَم في الثوب)[٦] وكتاب «أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارهما»، وقد نشره أيضًا العلامة الأستاذ أحمد زكي باشا. (وذالك عام ١٩٤٦). ونشره قبله المستشرق دلافيدا بليدن عام ١٩٢٨ مع كتاب «أسماء خيل العرب» لابن الأعرابي. ونشره بعده د. نوري القيسي ود. حاتم الضامن ببغداد عام ١٩٨٥ ثم ببيروت عام ١٩٨٧).

وأول من ألّف في الأنساب محمد بن السائب والد المؤلف، وأكمل ابنه عمله وأتمه في كتاب «النسب الكبير» المعروف بـ «جمهرة النسب»[٧] والذي نشره الأستاذ عبدالستار فراج في الكويت سنة ١٩٨٣، ثم نشره تامًّا الدكتور ناجي حسن ببيروت عام ١٩٨٦). واختصره ياقوت الحموي بكتابه «المقتضب من كتاب جمهرة النسب». وقد حققه ونشره وقدم له زميلنا الدكتور ناجي حسن، مشيرًا في مقدمته إلى مخطوطات «جمهرة النسب» وأماكن وجودها[٧]. ويبدو

أنـــــه لم يطلـع على نشرة المرحوم عبدالستار فراج للكتاب. كما نشر الدكتور محمد حميد الله للمؤلف كتابه الفريد «أسواق العرب»[٨].

وقد أبـدى عدد من العلماء القـدماء إعجابهم بـالمؤلف وكتبه، كـابن خلكان الذي وصف كتاب النسب بقولـه: (لـم يُصنف في بابه مثله)[٩] وياقوت الحموي الذي قـال: (لله درّه، ما تنـازع العلماء في شيء من أمور العـرب، إلا وكان قـوله أقوى حجة، وهو مع ذالك مظلوم، وبالقوارص مكلوم)[١٠].

وقـد هاجمـه علماء الحـديث بشـدة، وأنكروا حمل الحـديث عنه، واتهمـوه بـالكذب والتلفيق، كـالإمام أحمـد بن حنبل الذي قـال فيه: (كـان صاحب سيـر ونسب، مـا ظننت أن أحـدًا يُحـدّث عنـه)[١١] وقـال الـدارقطني والـذهبي وابن العماد: إنه متروك الحديث[١٢]، مع اعترافهم أنه كان حافظًا أخباريًا علاّمة. وقال السمعاني إنه (يروي الغرائب والعجائب والأخبار التي لا أصول لها)[١٣].

كما اتهمه أبو الفرج صراحة بالكذب والتدليس غير مرة، وقال إن الأخبار التي ذكرها عن دريد بن الصمّة (موضوعة كلها، والتوليد بَيِّنٌ فيها وفي أشعاره)[١٤] ثم قال: (وهذا من أكاذيب ابن الكلبي)[١٥] وذكره ثالثة بقوله: (ولعل هذا من أكاذيب ابن الكلبي)[١٦] ومع هذا فإن كتاب «الأغاني» طافح بكثرة نقوله عنه.

وقد ذكره الجاحظ بين علماء النســب، ونقل عنه كثيرًا في «الحيوان» و «البيان والتبيين»، إلا أنه شكـك في صحة مرويـاته عن قـريش وصدر الـدولة العبـاسية ودعوتهـا، مقابلة بمـا سمعه من إبراهيم بـن السندي مولى العبـاسيين عن أعيان البيت العباسي ووجـوهه (من وجهاء العبـاسيين وأعيانهم عبـدالملك بن صالح والعبـاس بن محمـد واسحق بن عيسـى... إلخ، وهـاؤلاء كـانـوا أعلم بقـريش وبالـدولة وبـرجال الـدعوة ومن المعـروفين بروايـة الأخبار، وكان إبـراهيم بن السندي يحـدثني من هاؤلاء بشيء هـو خلاف ما في كتب الهيثـم بن عدي وابن الكلبي، وإذا سمعته علمت أنه ليس من المُؤلّف المزور)[١٧].

وقال في موضع آخر: (ولقد تتبع أبو عبيدة النحوي وأبو الحسن المدائني وهشام بن الكلبي والهيثم بن عدي، أخباراً قد اختلفت، وأحاديث قد تقطعت، فلم يدركوا إلا قليلاً من كثير، وممزوجًا من خالص، وعلى كل حال فإنا إذا صرنا إلى بقية ما رواه العباس بن محمد وعبدالملك بن صالح.. عرفنا بتلك البقية كثرة ما فات، وبذلك الصحيح، أين موضع الفساد، مما صنعه الهيثم بن عدي وتكلفه هشام بن الكلبي)[١٨].

ولعل القارئ الكريم قد لاحظ أن تكذيب الرجل وعدم الثقة فيه، لم يقتصر على مروياته من الحديث الشريف، وهو يعلم أن موقف علماء الحديث المتشدد له ما يبرره تمامًا، وهو ليس مقصوراً على ابن الكلبي وحده وإنما هو موقف عام من جميع رواة الأخبار والسير، ولكن ذالك شمل أيضًا مرويات الرجل في الشعر والأخبار التاريخية.

وقد عزا الأستاذ (بروكلمان) هذا الموقف المتشدد منه إلى المنهج الجديد الذي اتبعه الرجل في جمع مادته وكتابتها، وقال: (وكان أعظم الفضل في حفظ هذه الأخبار والآثار، يعود إلى الكلبيين محمد بن السائب وابنه أبي المنذر هشام ابن محمد وعنهما أخذ المتأخرون... واقتفى هشام بن محمد خطوات أبيه، وسار على أثره، وحاول أن يتم ما جمعه، بالبحث والتنقيب في الآثار التي كانت لا تزال باقية بكنائس الحيرة، ليستكمل بذالك، تاريخ اللخميين ومشاهدهم، وصنف ما وصل إليه من ذالك، وكان هذا المنهج غير المألوف في البحث، سببًا في إثارة التهم وتوجيه المطاعن إليه من قبل المعاصرين، وعلى الرغم من أنه لم يفقد حماة متحمسين للدفاع عنه، فقد وصمه آخرون بأسوإ التهم، من مجافاة النقد الصحيح والخبر الوثيق، بل وصموه كذلك بالكذب، ولكن البحث الحديث قد أكد كثيراً من أقواله التي وجه إليها معاصروه التشكك المريب والنقد اللاذع)[١٩].

والحق أننا لا نستطيع تكذيب الرجل في كل ما رواه، لا سيما تلك المرويات

الموثقة شعراً والأخرى التي استفاض ذكرها في جميع كتب التاريخ والأدب، ولم يتفرد هو بروايتها، مثل حديثه عن زنا امرئ القيس وربا العباس بن عبدالمطلب واختلاف الناس في والد زياد بن أبيه، وما كان يمارسه بعض مشاهير الصحابة من حرف وصناعات، ومقابلة هند أم معاوية في جماعة من النسوة رسول الله ﷺ وعشرات غيرها من أخبار وقصص معروفة متداولة.

ولانستطيع تعديله تعديلاً مطلقًا في كثير من مروياته عن الجاهلية الأولى، وما نسبه إلى كثير من المغمورين الذين لا نعرف شيئًا من أخبارهم وسيرهم.

وصحيح أنه يسند كل خبر يورده إلى الرواة الذين سمع عنهم، ولكن الصحيح أيضًا أن بعض أولئك الرواة لم يكونوا فوق مستوى الشبهات، وأنهم متهمون مثله في أماناتهم وموصومون بالكذب والتلفيق.

وقد توفي أبو المنذر سنة ٢٠٤هـ وترك وراءه مئة وخمسين مصنفًا، ضاع معظمها بين سمع الأرض وبصرها.

كتاب «المثالب» لابن الكلبي: كذا ذُكر عنوان الكتاب مفردًا بلفظة (المثالب) غير مضاف إلى العرب، في أعلى الورقة الأولى من مخطوطة الكتاب[٢٠]، وكذلك ذكره من ترجم لصاحبه من القدماء كابن النديم وابن خلكان وياقوت الحموي[٢١]، وكذالك ذكر ابن النديم كتب أبي عبيدة وعلاّن والهيثم بن عدي وأحمد بن محمد العدوي القرشي، في المثالب مفردة غير مضافة إلى العرب أو غيرهم[٢٢]. بينما ذكر غيرها مضافة إلى من أُلفت فيه، مثل مثالب ربيعة للهيثم ومثالب ثقيف لأبي الحصين، ومثالب باهلة لأبي عبيدة ومثالب أبي نواس لابن عمّار الثقفي[٢٣].

ومعنى ذالك أن أحدًا من أولئك المؤلفين لم يسم كتابه مثالب العرب صراحة ولم ينسبه إليها، ولم يشر أحدٌ إلى كتابنا هذا مضافًا إلى العرب غير (بروكلمان)[٢٤] قصدًا أو سهوًا وهو مخالف للعنوان الذي أراده المؤلف لكتابه،

إذ هو لم يقصد فيه العرب عامة، وإنما ذكر مثالب المذكورين فيه خاصة دون سواهم. وهم أفراد من العرب وليسوا جميعهم.

والحق أن إبراز المناقب والمآثر هو الطابع الغالب على مؤلفاته، وعنواناتها تدلّ دلالة صريحة على ذالك، وهي أحلاف العرب، والمنافرات، وبيوتات قريش، وفضائل قيس عيلان، وبيوتات ربيعة، وشرف قصي بن كلاب وولده في الجاهلية والإسلام، وألقاب قريش، وربيعة، وقيس عيلان، واليمن، وملوك كندة، وبيوتات اليمن، والمعرقات من النساء من قريش، والمعمرون، وأديان العرب وأحكامها، ووصاياها، وأزواج النبي ﷺ، والوفود، ومن فخر بأخواله من قريش(٢٥).

ويقع كتاب «المثالب» (نسخة كلية الآداب) في ٦٨ ورقة مطبوعة على الآلة الكاتبة، وهي منقولة عن نسخة الآثار التي تقع في ١٣٢ صفحة، ناقص الآخر، غير تام، مضطرب المقدمة، وقد سقطت مجموعة أوراق من منتصفه، (بعد ص٩٤ و ص ١١١).

وقد كتب بخط حديث، نسخ قسمه الأول السيد حسين جميل، ونسخ قسمه الثاني السيد إبراهيم الدروبي البغدادي، في ٢٠ شباط سنة ١٩٥٠، نقلاً عن نسخة محفوظة في مكتبة الآثار ببغداد، رقمها (١٣٠)، ولا يوجد تاريخ نسخ ولا إشارة إلى ناسخ مخطوطة الآثار الأولى. وقد كتبت هذه المعلومات على ظهر آخر ورقة من مخطوطة كلية الآداب.

وذكر الأستاذ (بروكلمان) وجود نسخة من هذا الكتاب مع نسخة من كتاب «المثالب» للهيثم بن عدي عند الأستاذ (كرنكو) وأن هذه النسخة منقولة عن مجموعة أحمد زكي باشا، وهي ترجع إلى النجف(٢٦). ورجح أنها منقولة عن كتاب «الموفقيات» للزبير بن بكار. وقد أنكر الزميل الدكتور سامي العاني قول (بروكلمان) هذا، وقال إنه لم يجد ما يؤيده عند مقابلته مخطوطة المثالب بالموفقيات(٢٧). وصحيح أنه لا يوجد شيء من المثالب فيما طبعه الدكتور العاني

من الموفقيات، والتي تمثل القسم السادس عشر إلى التاسع عشر من أصل تسعة عشر قسمًا، ولعل (بروكلمان) قد اطّلع على ما نظنه مفقودًا من مخطوطات الأقسام الخمسة عشر الباقية من الكتاب، ورأى فيها ما يؤيد قوله ذاك.

ولا نعلم من روى هذا الكتاب عن مؤلفه، ولم نجد له ذكرًا في ثناياه، وقد بدأ بمقدمة مضطربة وكلام غير مفهوم عن أنساب العرب، على هذا النحو: (قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي: العرب وأنسابها، الحارث بن حلزة اليشكري ابن ا لعذري من بني الحرث بن لأي من قضاعة، قبله البكري والأخزر التغلبي وعبد ربه الجهني... بن يرعب التيمي ومحمد بن السائب الكلبي قال: أنبنا أبو حـ... قال حدثنا هشام عن أبيه عن أبي الصالح قال: كان في قريش أربعة يتحاكمون إليهم ويقبل قولهم... إلخ)[٢٨].

ثم يأتي بعد هذا الكلام المضطرب حديث عن علماء النسب القرشيين، وقصة نسب بني سامة بن لؤي[*]. ثم يبدأ الباب الأول من الكتاب من الورقة ٨ وعنوانه باب التجارات، ولا نجد علاقة واضحة بين الحديث عن الأنساب وما يتلوه من التجارات.

وقد حاول المؤلف أن يسير في كتابه على منهج من التقسيم والترتيب لمواده، فجعله أبوابًا، أولها باب التجارات ثم قسمه أقسامًا على أنواعها، وذكر مع كل نوع أسماء من يتعاطاه من الناس، وقد اقتصر فيه على رجال قريش خاصة ومشاهير الصحابة الأجلاء، ومن أمثلة ذالك قوله: (من كان يبيع البزّ: أبو بكر وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبدالرحمن بن عوف. ومن كان عطارًا: أبو طالب وأبو عبيدة بن الجراح وهشام بن المغيرة، وعبدالله بن جدعان، ومن كان يختلف في التجارات عمر بن الخطاب في تجارات بني عدي وأبو أمية المخزومي.. إلخ)[٢٩].

ثم يستمر الحديث على هذا النحو في ذكر أصحاب الصناعات من قريش من النبالين والخصافين والقيون الذين يعملون السيوف، والمعلمين والخياطين والجزازين والحجامين والدباغين والمرابين والمغنين. حتى الورقة ١٩ .

ومع أن الرجل لم يشر إطلاقًا بكلمة مثلبة أو مثالب إلى هذه المهن، إلا أن ذكرها في كتابه هذا يدعو إلى العجب والاستغراب، ولم نسمع أحدًا من العرب عدَّ التجارة والتعليم مهنًا مستهجنة، وقد كان الرسول الأعظم ﷺ يختلف في تجارة السيدة خديجة رضي الله عنها.

وكل ما ذكره من المهن والصناعات مما يحمده أهل الحواضر ولا يجدون بأسًا في مزاولته، وقد كانت قريش من أهل الحواضر، ولم تكن بادية تستنكف هذه المهن وتترفع عنها، والغريب حقًّا أنه لم يذكر الزراعة والحياكة بين المهن المذمومة، مع ورود ذالك في شعر العرب وآثارها، والأغرب من هذا كله أن يطبق الرجل المتحضر هذا مقاييس البدو الأخلاقية على أهل الحاضرة في ما هو حسن وما هو قبيح من الأعمال.

ثم ينتقل من التجارات والصناعات إلى أمر بعيد عنها كل البعد، فيتحدث عمّن سرق وقُطعت يده في الجاهلية والإسلام، ثم يتلو ذلك باب البغائين والمخنثين ومن يضرب الدّف. ثم يتحدث عن الأدعياء من قريش وغيرها من العرب والزناة من قريش في الجاهلية ومن أشراف العرب مثل امرئ القيس وعامر بن الطفيل(٣٠)، ثم ذكر من شرب الخمرة من قريش.

وهو في مسألة الزنا وشرب الخمرة إنما يطبق مقياسًا إسلاميًا عدّها من الرذائل المحرمة، ولم تكن معدودة كذالك في الجاهلية، وإنما يحاكم الناس بمقاييس عصرهم وأعرافه، وليس بمقاييس العصر الذي جاء بعدهم ولم يدركوه. ثم يستطرد من ذالك إلى ما حرمه الإسلام من نكاح الجاهلية، وإلى قصص مقحمة من المشهور المعروف كقصة مسافر بن عمرو مع النجاشي والسحرة، ومبايعة هند أم معاوية ونسوة معها لرسول الله ﷺ وينتقل من هذا إلى ذوات الرايات وأمهاتهن ومَنْ ولدن، وقد كُنّ جميعًا من الجواري والإماء المملوكات من العبيد والسبي من أمم أجنبية، ليس فيهن واحدة من العرب،

وأسماؤهن معروفة في كتب التاريخ والأخبار ويتلو ذالك أسماء المولودين من سفاح، وأسماء أولاد الزنا الذين شرفوا من العرب ويذكر فيهم النعمان بن المنذر والحطيئة وعامر بن الطفيل والفرزدق وروح بن زنباع[٣١].

ثم يبدأ باب الأمهات (الورقة ٤٩) السوداوات والجواري، يتلوه أبناء الحبشيات من قريش ومن الأمويين والعباسيين والعلويين وسائر العرب، وأبناء النصرانيات الروميات والسنديات والنبطيات واليهوديات.

وغريب أن يعد هذا من المثالب ثم يصم العباسيين به، في أيامهم وسلطانهم.

ثم باب الحمقى من قريش والعرب وقصصهم ونوادرهم في هذا، ومن وفد منهم على الخلفاء، وحديث عن زواج المتعة ونهي عمر عنه، وعودة ثانية إلى المنجبين من قريش ومن العرب والحمقاوات من النساء.

وأعتقد أن كتاب ابن الكلبي ينتهي بعد هذا الحديث عند الورقة ٧٢.

إذ يبدأ من الورقة ٧٣ وما بعدها حديث معاد مكرور لما سبق ذكره من معلومات، مثل أسماء أشراف المعلمين وفقهائهم، ومن كان قينًا من قريش وأسد وتميم وسليم وخزاعة، ثم باب أدعياء الجاهلية ومن ولد على فراش أبيه.

وهذا كله مما تقدم الحديث فيه، ثم يتلوه باب من دفع الإسلام ثم أقرَّ به، وباب أبناء الودائع الأشراف، أي من كانت أمة وديعة عند رجل فحملت منه، ثم باب الشدّادين من الأشراف وهم الزناة، حتى الورقة ١١٠، وكلُّ ما ذُكر بين الورقتين ٧٣ - ٨٣ من كلام الهيثم بن عدي، وأعتقد أنه منقول عن كتابه في المثالب، وأن الناسخ أراد كتابة نسخة واحدة ملفقة من كتابي الرجلين، وهو ما يفسر التكرار في الموضوعات، والاقتصار على اسم الهيثم وعدم ذكر اسم هشام الكلبي في هذه الأوراق، ويبدو أن النقل كان عن نسخة متأخرة الرواية، فنحن نعلم أن هشام بن محمد الكلبي توفي سنة ٢٠٤هـ على ما رجحه ابن خلكان،

وتوفي الهيثم بن عدي سنة ٢٠٧هـ. ثم نجد الراوية المجهول لهذا الكتاب، يشير في الورقة ٧٥ منه إلى تاريخ قراءته لكتاب الهيثم بعد تسعين سنة من وفاته، قال: (قـرأتُ علـى أبي الحسن علي بن أحمـد بـن الخليل الأنصـاري الكـاتـب يـوم الأربعاء لليلة خلت من شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائتين...).

ثم يبدأ النـاسخ عودته إلى كتاب هشـام مرة أخرى من الورقـة ٨٤ وينقل عنه طائفة من شعر حسان وقصصًا عن محاكمة عمر للمغيرة بن شعبة ومخاصمة أبي بكرة لأخيه زياد بن أبيه، وأخبارًا عـن جنازة المغيرة، يتلوه ذكرٌ لبعض المنجبات من النسـاء، وكل ذالك استطراد لا عـلاقة لـه بمـوضوع الكتـاب، ثم يتلوه ذكـرٌ للضعفـاء من قريش، وقصـة لابن أبي عتيق مع الشيبي سـادن الكعبـة المشرفـة، وقصة معاويـة بن مروان وريّان بن أُنيف الكلبي والد زوجتـه، وفي آخر ورقة من الكتاب، وهي الورقة ١٣٢ كلام ناقص مبتور يتلوه بياض، وهو: (وقال الضحاك ابن زمل: استخلف عبدالملك أخاه معاوية على دمشق فخرج منتزهًا...).

وهكذا ينتهي الكتاب ناقصًا ساقط الأول والآخـر، كما بدأ مضطرب المقدمة غامضها.

ملاحظـات على الكتاب: وبعد هـذا التعريـف الوافي بمـوضوعـات الكتاب وأبوابه وعنواناته، لعل القارئُ الكريم يشاركني الرأي في الملاحظات الآتية:

١ - إن الرجل تحدث عن بعض العـرب لا عن جميعهم وخصّ قريشًا بمعظم حديثه لشهرة رجالها واستفاضة أخبارهم ودقائق سيرهم.

٢ - لم يذكر كلمة مثلبة و لا مثالب في كل الكتـاب عدا عنوانه، ولـم يذكر رأيًا شخصيًا لـه ولـم يناقـش شيئًا ممـا ذكره مؤيـدًا أو معارضًـا، وكل ما فـي الكتاب منقـول عن الـرواة، وأكثـر من نقل عنهم أبـوه عن أبي صـالـح عن ابن عبـاس، وكـذالك روى عن أبي عبـدالـرحمن المـديني عن محمـد بن إسحق، وعن أبي

السائب المخزومي عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعن خالد بن سعيد وعوانة بن الحكم والهيثم بن عدي.

أما روايات الهيثم بن عدي فقد جاء معظمها عن معروف بن خَرَّبوذ[٣٢].

٣- لم يكن الرجل مؤلفًا بالمعنى المعروف، وإنما كان جمّاعًا للأخبار من أفواه الرواة، ومسؤوليته في هذا مسؤولية الراوي لكلام غيره.

٤- لم يقل إن هذا الذي ذكره من المثالب يمثل وجهة نظره الشخصية، وإنما عكس آراء الناس في هذا بمقاييسهم المختلفة بدوية وحضرية ودينية. فحاسب الحضر بمقاييس البدو وحاسب الجاهليين بمقاييس الإسلام، كما خلط بين الأعمال والأخلاق.

٥- اعتمد على الشعر كثيرًا في الاستشهاد على ما يقول، لا سيما شعر الهجاء، وهو شعر لا يتخذ دليلاً على خلق المهجو، ويحتمل الكثير من الكذب والتهويل والمبالغة، وإن كان يدلّ دون شك على الأخلاق المذمومة التي تؤذي من تنسب إليه بمعايير عصره وأعرافه.

وكان الشعر غزيرًا في كتابه هذا، كما هو في كتابيه عن الأصنام وأنساب الخيل، وكان أكثر استشهادًا بشعر حسّان ويتلوه شعر عثمان بن الحويرث وعتيبة الأسدي ويعلى بن المنبّه وعبدالرحمن بن حنبل وذي الرمة وجرير وأبي طالب وأمية بن خلف والأخطل وجارية بن بدر والأقيشر وأبي قطيفة الأموي والأعشى.

٦- إن كثيرًا مما ذكره لا دليل عليه من الشعر، وليس من مأثور الأخبار ومشهورها، وهو يتصل بأناس مغمورين من الجاهليين، ولا يمكن التأكد من صدقه أو كذبه، على تساوي ذالك فيه، لقلة قيمته وعدم جدواه.

٧- يبدو أنه نقل بعض موضوعات هذا الكتاب، من كتبه الأخرى المؤلفة فيها، وهي المنافرات، والمعرقات من نساء قريش، وأمهات الخلفاء، ومناكح

أزواج العرب، وأديان العرب وحكام العرب، وصنائع قريش، وأخبار زياد بن أبيه، وكتاب السمر.

٨- في الكتاب كما ذكرنا سابقًا كثير من المفاخرات والقصص التي ذُكرت استطرادًا وترويحًا، وهي كلها من المشهور الذي ذكرته كتب الأدب الأخرى، وليست له علاقة واضحة بموضوع الكتاب، وإنما أُقحمت عليه إقحامًا.

٩- إن هذا الكتاب، عدا ما فيه من شعر، ربما كان بعضه غير منشور حتى الآن، أو أن فيه ما قد يُستدرك على المنشور من شعر هذا الشاعر أو ذاك.

أقول: إن الكتاب قليل القيمة، ضئيل الفائدة، عنوانه أكبر من محتواه، وهو لا يقدم جديدًا للباحثين، إذ أن معظم ما فيه منثور مفرّق في كتب التاريخ والأدب العامة وفي سير المشاهير وكتب الأنساب والألقاب. ومما يُغني عنه تمامًا في موضوعه من الكتب المنشورة[٣٣]، كتاب «المُردفات من قريش» للمدائني «ومن نُسب إلى أمه من الشعراء» لمحمد بن حبيب و «تحفة الأبيه فيمن نُسب إلى غير أبيه»، لمجد الدين الفيروز آبادي.

وكان محمد بن حبيب أبرز تلامذة ابن الكلبي، وأكثرهم أخذًا عنه واعتمادًا عليه، ولا نغالي، أن نقول: إن معظم مادة كتابي «المحبّر» و «المُنَمَّق» وأخبارهما، منقولة عن كتب ابن الكلبي. فقد نقل عنه في «المحبّر» فيما يزيد على العشرين موضعًا[٣٤]. وأشار محقق «المنمّق» في مقدمته إلى كتب ابن الكلبي التي نقل عنها ابن حبيب[٣٥]، في موضوعات مختلفة من الكتاب[٣٦]. ولم يشر محقق «المنمّق» إلى كتابنا هذا، بين مصادر ابن حبيب، لأنه لم يره ولم يطلع عليه.

وقد أغار ابن حبيب على كتاب «المثالب» هذا، ونقل منه اثني عشر موضوعًا في كتابيه السالفين، نقلاً حرفيًا أو بتصرف، وهو يشير إلى ابن الكلبي مرة، ويغفله أخرى، وهذه الموضوعات هي:

	عنوان الموضوع في المثالب ورقم الصفحة	النقل عنه في المنمّق ورقم الصفحة	النقل عنه في المحبّر ورقم الصفحة
١	حكم المفاخرات	٤٨٣	-
١١ - ١٢	من قطعت يده في سرق	٥٣٠ نقلاً حرفيًا	٣٢٨
١٧	المحدودون من قريش	٤٩٥	-
١٩	حديث مسافر بن عمرو وهند	٤٦١	-
٣٠	أبناء الحبشيات من قريش	٥٠٣ نقلاً حرفيًا	٣٠٦
٣٢	أبناء النصرانيات	٥٠٨	٣٠٥
٣٢	أبناء السنديات	٥٠٥ نقلاً حرفيًا	-
٣٣	أبناء النبطيات	٥٠٥	-
٣٣	أبناء اليهوديات	٥٠٦	-
٣٤ - ٣٧	الحمقى من قريش	٤٨٩	٣٧٩
٣٨	أسماء أشراف المعلمين وفقائهم	-	٤٧٥ نقلاً حرفيًا
٥٧	زنادقة قريش	٤٨٧	١٦١

١٠- وأظن أن هذه النسخـة ليست كتابًا واحدًا، وإنمـا هي مجموع ملفق من أربعة كتب، ثـلاثة منها لابن الكلبي والـرابع للهيثم بن عدي، وأن النـاسخ اختار شيئًا من كل كتاب، ثم ضم بعضها إلى بعض على النحو الآتي:

أ- الأوراق (١ - ٧) في الحـديث عن الأنسـاب منقـولـة عن أحـد كتب ابن الكلبي في الأنساب.

ب- الأوراق (٨ - ١٨) في الحديث عن تجارات قريش وصنـاعاتها، منقولة عن كتاب «صنائع قريش»(٣٧) لابن الكلبي.

ج- الأوراق (١٩ - ٧٢) والتي تبـدأ بمن سـرق وقُطعت يـده في الجـاهليـة

والإسلام، منقولة عن كتاب «المثالب» لابن الكلبي، وهو معظم الكتاب.

د- الأوراق (٧٣ - ٨٣) والتي تبدأ بأسماء أشراف المعلمين وفقهائهم، منقولة عن كتاب «المثالب» للهيثم بن عدي.

هـ- الأوراق (٨٤ - ١٣٢) نهاية الكتاب، والتي تغلب عليها القصص والمفاخرات، ربما كانت عودة لكتاب «المثالب» لابن الكلبي، أو منقولة من كتاب آخر من كتبه الكثيرة في المفاخرات والمنافرات.

١١- كما أظن أيضًا أن الراوية المجهول الذي روى هذا الكتاب عن ابن الكلبي، والذي لم تذكر غير كنيته مبتورة في الورقة الأولى، على هذا النحو: (قال أنبأنا أبو حـ.... قال: حدثنا هشام عن أبيه).

فلم نعرف من اسم ابنه غير حرفه الأول، وهو الحاء (ح)، أقول ربما كان هذا الراوية المجهول، هو نفسه أبو الحسن علي بن الصباح بن الفرات الكاتب، الذي روى كتاب «الأصنام» عن ابن الكلبي وقرأه عليه سنة ٢٠١هـ كما هو مذكور في الورقة الخامسة من الكتاب المذكور، الذي نشره المرحوم أحمد زكي باشا، وليس معقولاً بالطبع أن يكون هو الذي قرأ على أبي الحسن علي بن أحمد بن الخليل الأنصاري سنة ست وتسعين ومئتين، كما ورد في ص ٧٥ من مخطوطة الكتاب. لطول الفترة الزمنية بينهما، وهي خمس وتسعون سنة، ولعله أحد الرواة المتأخرين للكتاب. كما يمتنع أن يكون أبا الحسن محمد بن العباس الحنبلي راوية كتاب «المنمّق»، عن أبيه عن أبي سعيد السكري عن ابن حبيب، لأنه ولد سنة ٣٠١هـ[٣٨]، أي بعد قراءة الكتاب على الأنصاري بخمس سنوات، والله أعلم.

كلية الآداب، بغداد: د. محسن غياض عجيل

الحواشي:

(١) «الفهرست» ١٠٨، ١١٢، ١٢٤ و «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٨.

(٢) «الفهرست» ٥٩، ١١٨.

(٣) «معجم الأدباء» ٧/ ٢٥٠، «وفيات الأعيان» ٦/ ٨٢ و «الفهرست» ١٠٨.

(٤) «معجم الأدباء» ٧/ ٢٥٠.　　(٥) نفسه ٧/ ٢٥١.

(٦) «مقدمة الأصنام» ١٥.

(٧) [العرب: «النسب الكبير» و «جمهرة النسب» كتابان اثنان متغايران، والخلط بينهما مما وقع من مفهرسي الكتب، ولايتسع المجال للتفصيل.

(٧) مقدمة «المقتضب» وانظر بروكلمان ٣/ ٣١ - ٣٢.

(٨) بروكلمان، «تاريخ الأدب العربي» ٣/ ٣٢.

(٩) «وفيات الأعيان» ٦/ ٨٢. (١٠) «معجم البلدان» ٢/ ١٥٨.

(١١) و (١٢) و (١٣) مقدمة «الأصنام» ٢/ ١٤.

(١٤) مقدمة «الأصنام» ١٥ و «الأغاني» ١٠/ ٤٠.

(١٥) «الأغاني» ١٠/ ٤٠. (١٦) مقدمة «الأصنام» ١٥.

(١٧) «البيان والتبيين» ١/ ٣٣٥. (١٨) نفسه ٣/ ٣٦٦.

(١٩) «تاريخ الأدب العربي»، بروكلمان ٣/ ٣٠ - ٣١.

(٢٠) في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب نسختان برقم ١٢٤ و ٢٠٥.

(٢١) «الفهرست» ١٠٨ و «معجم الأدباء» ٧/ ٢٥١ و «وفيات الأعيان» ٦/ ٨٤ وعجيب حقًا أن يقول المرحوم العلامة أحمد زكي باشا في «الأصنام» ٦٩ (انفرد ابن النديم بذكره).

(٢٢) «الفهرست» ٥٩، ١١٢، ١١٨، ١٢٤. (٢٣) «الفهرست» ١١٢، ١٥٢، ١١٨، ١٦٦.

(٢٤) «تاريخ الأدب العربي» ٣/ ٣٢. (٢٥) «الفهرست» ١٠٨ - ١٠٩.

(٢٢٦) «تاريخ الأدب العربي» ٣/ ٣٢، ٣٤ ولم يشر المرحوم أحمد زكي إلى وجود هذه النسخة عنده أو إلى عثوره عليها، وإنما ذكر أنه لم يعثر بعد طول تعب وتنقيب في خزائن كتب تركيا ومصر وأوروبا إلا على «مختصر جمهرة النسب» و «الأصنام» و «أنساب الخيل»: «الأصنام» ٢٣. ولعله عثر عليها، بعد نشره لهذا الكتاب سنة ١٩١٤ ونقلها كرنكو عنه.

(٢٧) «الأخبار الموفقيات» ٢١. (٢٨) الورقة الأولى.

(*) نقل الأستاذ المرحوم عبدالستار فراج في حواشيه على «جمهرة النسب» لابن الكلبي نصوصًا عن كتابه «المثالب» (مخطوطة دار الكتب)، انظر حواشي «الجمهرة» ١/ ٤٢٨ - ٤٣٤.

(٢٩) الورقة ١٠. (٣٠) الورقة ٢٩. (٣١) الورقة ٥٥.

(٣٢) معروف بن خرَّبُوذ: بفتح الخاء وتشديد الراء المفتوحة، وضم الباء الموحدة، مولى من أهل مكة، وثقة أكثر أصحاب الحديث (انظر «تهذيب التهذيب» ١/ ٢٣٠ - ٢٣١).

(٣٣) نشرها المرحوم العلامة عبدالسلام هارون في «نوادر المخطوطات»، مصر ١٩٧٢.

(٣٤) انظر على سبيل المثال، «المحبَّر»: ١ - ٥، ١٢، ٤٠، ١٣١، ١٦٠، ٢١٩، ٢٥٦، ٢٩٦، ٣٢٨، ٣٨٢، ٣٩٢، ٣٩٣.

(٣٥) «المنمّق»، مقدمة المحقق ١٠.

(٣٦) انظر «المنمّق» ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٤٤، ٤٤٩، ٤٥٣.

(٣٧) «معجم الأدباء» ٧/ ٢٥١. (٣٨) «المنمق»، مقدمة المحقق ١٣.

حول أصل مخطوطة هذا الكتاب: أستاذنا محسن غياض عجيل أشار في بحثه الممتع عن كتاب «المثالب» إلى عدد من النسخ، وكنت ممن رغب الاطلاع عليه منذ زمن فصورت لي منه بواسطة أستاذنا الدكتور علي جواد الطاهر نسختان، إحداهما قديمة مصورة عن النسخة الأصلية والأخرى حديثة منقولة عنها، وكنت قد عرفت شيئًا عن أصل الكتاب، وأن الشيخ محمد بهجة الأثري - رحمه الله - عنده نسخة بخطه، وفي أحد هوامش المخطوطة الأصلية - التي سأتحدث عنها فيما بعد - تعليق له حول أم أحد أجداد النبي ﷺ، فلما زرت بغداد سنة ١٣٦٨ وقابلته رغبت منه الاطلاع على نسخته، فانتهرني بشدة كيف رغب الاطلاع على كتاب - ثم تناوله وتناول مؤلفه بالوقيعة، ولكنني أرجعت ثورته تلك إلى عدم تمكني من معرفة شيء عما تحويه مكتبته، كما بدا لي من الدكتورين مصطفى جواد، وحسين علي محفوظ - والله يتولى الجميع بعفوه -.

أما المخطوطة الأصلية فقد كانت من كتب الشيخ محمد بن طاهر السماوي (١٢٩٣/ ١٣٧٠) وهو ممن عرف بالعلم والأدب في العراق، ثم انتقلت إلى الشاعر معروف الرصافي، فلما زار الكاتب المشهور أمين الريحاني أهداه تلك النسخة، وحين أتى شيخ العروبة أحمد زكي باشا لبنان عرَّج على (الفريكة) قرية الريحاني، وبين الرجلين تعارف، فقدم له تلك المخطوطة وكتب في طرتها كلمة إهداء قال فيها (تذكارًا لزيارته الفريكة) وبعد وفاة الأستاذ أحمد زكي باشا عُبث بمكتبته، ونقل بعضها إلى (دار الكتب المصرية) ومنها تلك المخطوطة. وأذكر أن مما اشتريته من الكتب - المجلد الأول من كتاب «فوائد الارتحال ونتائج السفر، في تراجم رجال القرن الحادي عشر». اشتريته من كتبي يدعى حسين حجاج، كان يعرض كتبه في مدخل مسجد بقرب (دار الكتب) بأربعة جنيهات، ولها إذ ذاك وزنها، وكان من الكتب التي استنسخها شيخ العروبة، مختاراً له أجود الورق، بخط النسخ الواضح بأكبر مقاس، ذي هوامش واسعة، تتسع لما يريد كتابته فيها، والأصل في (مكتبة علي أميري) في اسطنبول، وقد صور نسخة منه مع ما صور من نفائس التراث التي أحضرها للقاهرة. ومخطوطة (دار الكتب) من «المثالب» قد اختفت كتابة كثير من العبارات في أغلب الصفحات، ويتخللها خلل في الترتيب ونقص، بحيث من الصعب قراءتها قراءة قوية.

وقد أخبرني الأستاذ موسى الموسوي، وهو من المهتمين بشؤون المخطوطات أن كتاب «المثالب» لابن الكلبي قد طبع في (إيران) عن أصول من مكتبات طهران وغيرها.

جِيمِيَّة أبي وَجزَة السَّعْدِيّ

[العرب: انظر عن أبي وجزة س ٣٠، ص ٤٤٨، ٦٢١، ٧٦٩]

أبـو وَجْزَة يـزيـد بن أبي عبيد (أو بن عبيـد)، من بني سُلَيم، نشأ في بني سعـد فغلب عليه نسبهم. سكن المدينة، وتوفي بها سنة ١٣٠هـ.

وهو شاعر، محدِّث، مُقرئٌ، من التابعين.

وكنت قد نشرت له، قبل عشرين سنـة، قصيدة نادرة من كتاب «منتهى الطلب من أشعار العرب» لابن ميمون البغدادي المتوفّى بعـد سنة ٥٨٩هـ، وفرغت من جمع شعره عام ١٩٧٨، وأشرت إلى ذالك في المجلد الثامن - العدد الثالث من مجلة «المورد» الصادرة سنة ١٩٧٩.

وزار بغـداد أحد النـاشرين، ودفعت إليـه شعر أبي وجـزة لطبعه في بيـروت، فأعلمني في رسالة أنه نقل مطبعته إلى الكويت، ثمّ انقطعت أخباره.

ووقفت على هذه الجيمية التي انفرد بروايتها أبو العباس ثعلب، المتوفى سنة ٢٩١هـ، في «أماليـه» المخطوطـة (الصفحـات ٢١٣ - ٢٢١) وهي في واحـد وستين بيتًا، وليس منها في المطبوع باسم «مجالس ثعلب» غير بيت واحد.

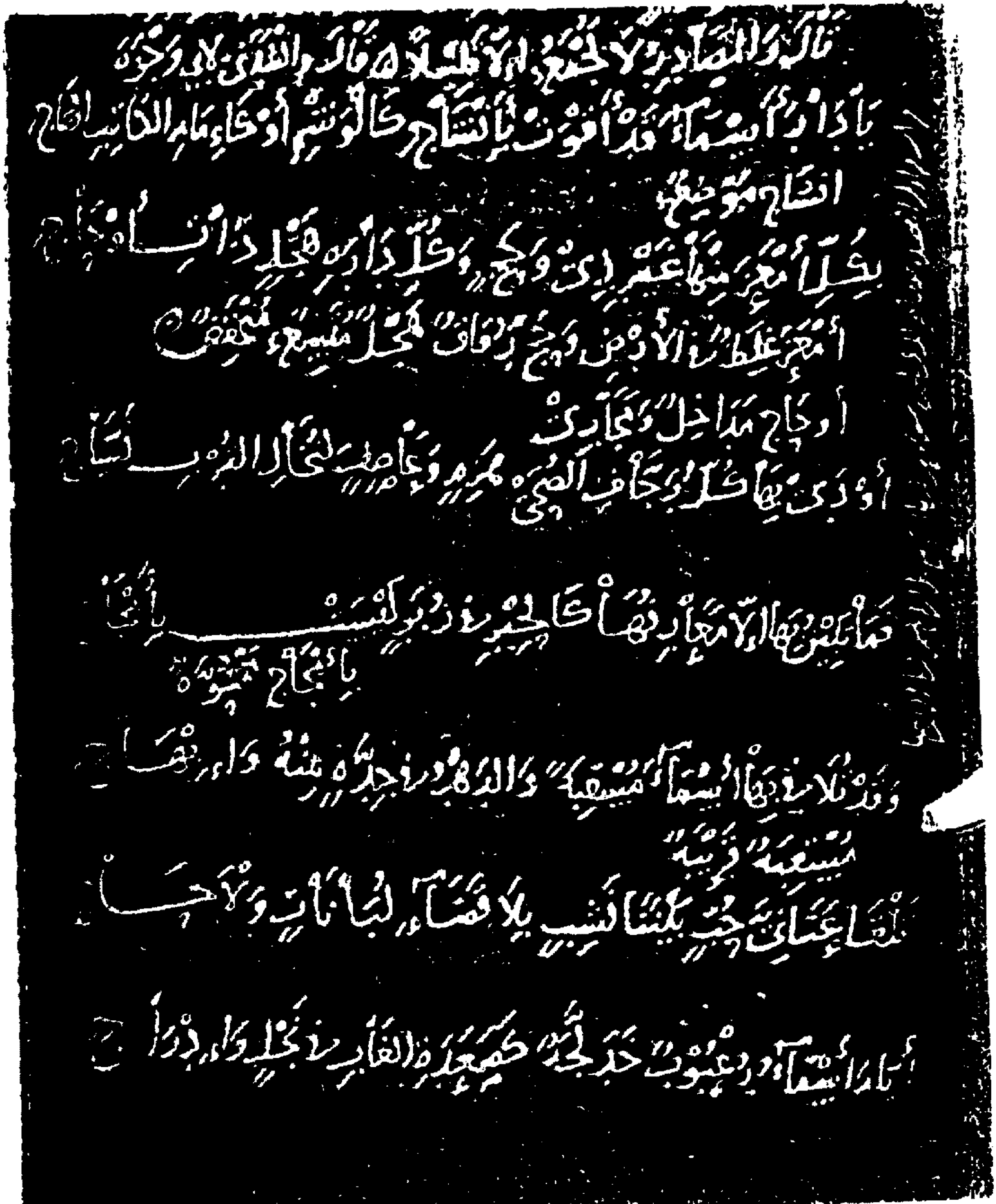
وكنتُ، ومازلتُ، ضَنينًا بهذه القصيـدة، ولم تخرج مني إلاّ إلى شيخنا الجليل محمود محمد شاكر، رحمة الله عليه، فقـد خاطبني بالهاتف طالبًا مني القصيدة، فأعلمته بأنني دفعت شعـره إلى الطبع، فوعد بعدم نشـر شعره، وكان صادقًـا كما عهدناه. وطلبها مني أخي الحبيب المحقّق الثَّبْت الـدكتور عادل جمال سليمان، حفظـه الله تعـالى، ليعتمـد عليهـا في تقـويم الجيميـة التي جـاءت في كتـاب «المنتخب في محـاسن أشعار العـرب» وقـد أهدى إليَّ نسخـة من هذا الكتـاب النفيس، شاكرًا له فضله.

ونشر أحد الباحثين من دمشق شعر أبي وجزة عام ١٩٩٠، وسلخ القصيدة الحائية التي تقع في تسعة وثلاثين بيتًا المنشـورة بتحقيقي في مجلة «المورد» عام ١٩٧٩ من غير إشارة إلى ناشـرها، وجاء جمعه لشعر أبي وجزة نـاقصًا ومتعجّلاً، مما دفع أخي الكريم الدكتور عبدالمجيد الإسداوي للاستدراك عليه في مجلة «العرب» الغرّاء.

واليوم أنشر جيمية أبي وجزة كما جاءت في «أمالي ثعلب» المخطوط، ودفعت شعره ثانية إلى الطبع، بعد أن فقدت الأمل في نشره، وأنا في حلٍّ من الاتفاق الذي مضى عليه أكثر من أربع عشرة سنة.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لو لا أنْ هدانا الله.

اللّهمّ اغفرْ لنا، وارحمنا، ويسّرْ لنا كلَّ عسير، وجنِّبْنا الخطأ والزَّلل، في القول والعمل، إنّك أنت السَّميع المجيب.



قالَ: وأنشدني لأبي وَجْزَةَ:

١ - يـا دارَ أسماءَ قَـدْ أقْوتْ بأنشـاجِ ... كـالوَشْـمِ أو كإمامِ الكـاتبِ الهـاجِي

أنْشاج: موضعٌ.

٢ - بكُلِّ أمْعَـزَ منهـا غَيْـرِ ذي وَحَجٍ ... وكُـلُّ دارة هَجْلٍ ذات أوْحـاجِ

أمْعَز: غَلِظٌ في الأرض. وَحَجٌ: رِقاقٌ: هَجْلٌ: مُتَّسِعٌ مُنْخَفِضٌ.

أوحاج: مداخل ومَجَار.

٣ - أوْدَى بها كلُّ رجَّاف الضُّحَى هَزِمٍ ... وعـاصف لنُخـال التُّـرْب نَسَّـاجِ

٤ - فمـا تَبِيـنُ بهـا إلاَّ مَعَارِفُهـا ... كـالحِبْـرِ في زُبُـرٍ لَيْسَتْ بأمْجـاجِ

بأمْجاج: مُمْحُوَّة.

٥ - وقَـدْ تُـلاقي بهـا أسمـاءَ مُسْقِبَـةً ... والـدَّهْـرُ في جِـدَّةٍ منـه وإبهـاجِ

مُسْقِبَةٌ: قريبةٌ.

٦ - تَلْقَى عَنَـانِيَّ حُبٌّ بيننـا نَشِب ... بـلا قَضَـاء لُبـانـات ولا حَـاجِ

٧ - أيـامَ أسْمـاءُ رُعْبُـوبٌ خَـدَلَّجَـةٌ ... كَصُعْـدة الغَـابِ في نَجْلٍ وإدْراجِ

٨ - من السِّمان الخماصِ الغيدِ مالئة ... للعَيْنِ في طُـرَّةٍ كـالشَّمْسِ مِبْهـاجِ

في طُرَّة: في حُسْن.

٩ - إذ الشَّبـابُ بها والحُسْنُ في نَهَـرٍ ... من المَعيشـة حُلْـو الطَّعْمِ ثَجَّـاجِ

١٠ - تَقَاوَدَتْ عَمَمًا حتى إذا رَضِيتْ ... طـالَتْ عَلَيْهِنَّ طُـولاً غَيْـرَ مَجْمـاجِ

تَقَاوَدَتْ: اتصلت. عَمَمًا: طُولاً. مَجْماج: مُضْطَرِب.

١١ - تُغْمي المَداريَ في جَوْنٍ غدائرُهُ ... وَحْف النَّبـات لـدُهْـنِ البـان مَجَّـاجِ

تُغْمي: تُغَيِّبُ.

١٢ - والعَيْنُ والجيدُ من ظَبْي أعارَهُما ... أسمـاءَ رِئْمِ ألـوفِ الظِّلِّ مِحْـواجِ

مِحْواج: أي أحْوِجَ إليه.

١٣- تَفْتَرُّ عـن أُقْحُوان صُبْحَ سـارِيَة ... أَضحى بـــرابيـــة فَيْحـاءَ مِئْــراجِ

تَفْتَرُّ وتَنْكَلُّ: تَبْسِمُ. فَيْحاء: واسعة. مئراج: طَيِّبة الرِّيح، من الأَرَج.

١٤- كأنَّ ريقَتَها بعدَ الكَرَى اغْتَبَقَتْ ... مـاءَ العنـاقيـد ممـزوجًـا بـأَثْـلاجِ

١٥- أَسْماءُ ذالكَ مـا أسماءُ جـانبُها ... عن الـــدَّنيِّ بإغْـــلاق وإشْـــراجِ

ما أسماء: تَعَجُّبٌ. وإشراج: أيْ مُمْتَنِعَةٌ.

١٦- تَنْفي اللِّئامَ على مافي اللِّئام كما ... يَنْفي الـزَّيـوفَ عـزيـزٌ عـاقـدُ التّـاجِ

أيْ: لا يَقْبَلُها.

١٧- سَقْيًا لأسماء واخْضَرَّتْ مراتعُها ... وَيْلُ امِّهـا غُنْمَ ذي وَفْـر ومُحْتـاجِ

١٨- عَلَى نَوًى من نـواها لا تُـلائمُنَا ... والنَّـوْءُ يُخْلفُ منهـا بَعْـدَ إثْـلاجِ

١٩- يا صاحبَيَّ انْظُرا هلْ تُؤْنسان لنا ... بينَ العَقيق وأَوْطـــاس منَ احْـداجِ

٢٠- غَدَوْنَ من حَجَب الجَوْنَيْن أو حُقُب ... على عَنَـاجيجَ أَمْثـال كـالابْـراجِ

٢١- أسماءُ بانَتْ ولَمْ تُنجزْ مَواعدَها ... ولمْ تُنلْكَ مَـواعيـداً منَ اعْنـاجِ

٢٢- فَسَلِّ أَسْبابَ شَوْق مـنْ مَوَدَّتها ... ببـاقل النّـابِ كـالقُـرْقُـول وَسَّـاجِ

بباقل: أوّل ما طَلَعَ نابُهُ. وَسَّاج: يَسِجُ في سَيْره.

٢٣- جَهْمِ المَقَذِّ أسيل الخَطْم مُتَّسق ... مُحْتَجِـــــــب: جانبَاهُ غير مِدْراجِ

جَهْم المقذ: واسعُ موضع الزَّوْر. مُحْتَجِبٌ عظيمُ الجَنْبَيْن.

مِدْراجٌ: ضعيفُ السَّيْر.

٢٤- لاعٍ يكادُ خَفيـضُ النَّقْر يُفْـرِطُهُ ... مُسْتَـربع لسُـرَى المَـوْمـاة هيَّـاجِ

لاع: شَهْمٌ. النَّقْرُ: الزَّجْرُ. يُفْرِطُهُ: يُجاوِزُ به الحَدَّ. هَيَّاج: سَيَّار.

٢٥- يُرْضيكَ عَفْوًا فـإنْ رَفَّعْتَ هزَّتَهُ ... رَفَّعْتَ مـن رَبَـذ التَّبْغيل همـلاجِ

عَفْوًا: من غير زَجْر. هزَّتُهُ: سَيْرٌ سريعٌ. من ربذ: خفيف.

هملاجٌ: إسراعُ البغل.

٢٦- على مَرَادِيَ سَمْحات أنفنَ بـهِ وجُـؤجُـؤِ مـائرِ الضَّبْعَيْن مَـوَّاجِ

مَرادي: قوائم. أنفنَ: ارتَفَعْنَ.

٢٧- مُقَارب حينَ يَحزَوزي على جَدَد رَسْل بمُنْعَلجـات الـرَّمْلِ غـوَّاجِ

مُقاربٌ: سريعُ الخَطْو. جَدَدٌ: طَريقٌ. رَسْلٌ: سَهْلٌ.

٢٨- يُـولي الشَّليلَ وما مَسَّتْ وَلِيَّتُـهُ مُـوَثَّقـا ذا كَـراديسٍ وأثْبـاجِ

الشّليلُ: الحلْسُ. وليّتُهُ: التي على عجزه.

كراديس: أعْضاء. وأثْبَاج: الوَسَط.

٢٩- كأنّما الرَّحْلُ منهُ فـوقَ مُبْتَقِلِ مُكَـدَّحٍ عَلَجَـانَ اللَّيْلِ مَعَّـاجِ

مَعَّاجٌ: سريعٌ. مُبْتَقِلٌ: حمارُ وَحْشٍ. مُكَدَّح: يرعى البَقْلَ من النشاط.

٣٠- يُصَدِّعُ العُونَ أنْدابُ العُلُوجِ به قَضَّى الـرَّبيعَ بتَعْـداءِ وتَشْحَـاجِ

العُونُ: جمعُ عانَة. والأنْدابُ: الآثارُ. والعُلُوجُ: الحميرُ.

وقَضَّاهُ: أفناهُ وأنْفَدَهُ. بتعداء: مِن العَدْوِ. وتَشْحاج: يعني صِياحَهُ.

يُقالُ: شَحَجَ الحمارُ: إذا صاحَ.

٣١- شَـدَّتْ مُنـازَلَةُ الأقْـران مِـرَّتَـهُ وحَـوْزُ مـا حـازَ مِن فَـذٍّ وأزْواجِ

ما حازَ: ما جَمَعَ. من فَذٍّ: مِن واحد. وأزْواج: جماعة.

٣٢- فـاقُـورَّ لا حقَـةً قُبًّـا أيـاطِلُـهُ خـاظي الخَصَائلِ نَهْـدٍ غَيْرِ مَجْمـاجِ

فاقْوَرَّ: ضَمَرَ. أياطِلُهُ: خواصِرُهُ. خاظي: مُكْتَنِزٌ.

الخَصائلُ: اللَّحْمُ. نَهْد: عالي سمين. مَجْماج: رِخْوُ اليدين.

٣٣- ظَلَّ بِـدَوٍّ من الـرَّنْقَـاء يَلْفَحُـهُ نَفْحُ السَّمُـومِ وإلْفَيْـهِ بـألْفـاجِ

بَدوٌ: فلاة، وهي أرضٌ واسعةٌ. الرَّنْقاء: موضع.

وإلْفَيْهِ: أتَانَيْهِ. بألْفاج: مَوْضعٌ.

٣٤- يَعْصِينَ ٱلْمَى قَضِيفًا من تَنَاصُبِها   في يــومِ نَجْمٍ مِن الجَــوْزاءِ وَهَّــاجِ

يَعْصِينَ: يجتمعن. ٱلْمَى: ظلٌّ. تُناصبُها: تُقابلُها.

في يوم نَجْمٍ: في يوم حرٍّ. وَهّاج: لَهُ وَهْجٌ.

٣٥- حَتّى إذا حَلَّ شَـرْقِيٌّ عَسَاكِـرُهُ   مـافي قـوادمِ سُقْطَيْـه منَ افْـراجِ

شرقيّ: اللّيل. عساكِرُهُ: مَشَارِبُهُ. سُقْطَيْه: جانبَيْه. من افراج: جَمْعُ فُرْجَة.

٣٦- وقَـدْ تَـذكَّـرَ عِـدّاً من أباطنه   مُسْتَــوْرِدًا ذا عَــلاجِيمٍ ودُرَّاجِ

أباطِنُهُ: مَوْضِعٌ. علاجِيم: ضفادِعٌ. ودُرَّاج: هَوَام.

٣٧- منَ الأبـاطنِ أسْـراهُ ذَوِيْ هَـزِمٍ   مُجَلْجِلٍ قَــرِدِ الأسْنَــاءِ نَشَّــاجِ

من الأباطن: مَوْضِعٌ. هَزِمٌ: سَحَابٌ. مُجَلْجِلٌ: صَوْتٌ.

قَرِدٌ: جَعْدٌ. الأسْناء: الأعالي. نَشَّاجٌ: مَصَوِّتٌ.

٣٨- فاحْتازَ بَيْضاءَ مِثْلَ السَّحْلِ ما نعَةً   مِنْـهُ صِبـاحهـا قَـدِ اعْتَلَّـتْ بإرْتـاجِ

بيضاء: أتان. السَّحْلُ: ثَوْبٌ أبْيَضُ.

٣٩- قَدْ شَفَّهـا خُلُقٌ منهُ وقَـدْ قَفَلَتْ   على مِـلاحٍ كَلَـوْنِ المشْقِ أمْشَـاجِ

شَفَّها: جَهَدها. قَفَلَتْ: انطَوَتْ. مِلاح: ماءُ الفَحْل.

أمْشاج: اختلاطُ البياضِ بالحُمْرَة. ويُرْوَى: قد شَفَّهُ خُلُقٌ منها.

٤٠- كأنّ صَـوْتًا حَدَاهـا والقَرِيـنَ بِه   تَــرْجِيعُ مُغْتَــرِبٍ نَشْــوانَ لَجْــلاجِ

القَرِينُ: الأتانُ المُقارنَةُ له. نَشْوانُ: سكرانُ. لَجْلاجٌ: لا يبينُ كلامُهُ.

٤١- نَقْبُ الأشاهِبِ فالأخبارُ مَجْمَعُها   واللَّيْلُ ســاقِطَــةٌ أرْواقُــهُ داجِ

الأشَاهِبُ: مَوْضَعٌ.

٤٢- حَتَّى إذا ما إبالاتٌ جَـرَتْ بُرُحًا   وقَـدْ رَبَعْنَ الشَّـوَى مِن مـاطِرٍ مـاجِ

رَبَعْنَ: وَقَفْنَ. الشَّوَى: القوائمُ. ماطِرٌ: السَّرِيعُ.

٤٣- صَلاَّهُما هَزِجٌ هَزٌّ خَصَائِلُهُ   سِيمَا الجَوادِ عليه الخَائِفِ النَّاجِ

صَلاَّهما: تبعَهُما. سِيمَا: علامة. النَّاجُ: السَّرِيعُ.

٤٤- كأنَّهُ وهما لا يَثْنِيانِ لَهُ   أعْطافَ مُنْكَفِتَيْ هَيْجٍ وإمْجاجِ

كأنَّهُ: يعني الحمارَ. وهما: الأتانين. مُنْكَفِتَيْ: سريع. إمجاج: شدَّةُ العَدْوِ.

٤٥- يامُومُ صَحْماءُ مُحْمَرٌ مُخَدَّمُها   كأنَّما عُطِّفَتْ خَزًّا بِدِيباجِ

صَحْماء: قَطاةٌ. مُخَدَّمُها: ساقُها.

٤٦- باتَتْ بمنزلة هَوْلٍ على حَذَرٍ   حَتَّى الصَّباحِ وما هَمَّتْ بإدْلاجِ

٤٧- ثُمّ اغْتَدَتْ وغَدَا نَزٌّ مُلازِمُها   إصعادُهُ كَهُواهُ راهِبٌ راجِ

ثمّ اغْتَدَت القطاةُ، وغَدَا فرخٌ خفيف. كهواه: كنُزوله. راج: في السُّرْعَة.

٤٨- يَرْجُو مراتعَهُ من عاذِبٍ أنِقٍ   آثارَ مُرْتَجِزٍ حَيْرانَ لَجْلاجِ

من عاذب: سَحابٌ. أنِقٌ: حَسَنٌ. حيرانَ: مُقيمٌ. لَجْلاجٌ: يذهبُ ويجيىءُ.

٤٩- وخائفٌ لَحمًا شاكًا براثنُهُ   كأنَّهُ قاطِمٌ وَقْفَيْنِ من عاجِ

لَحمًا: صَقرًا. شاكًا: حاد مخاليبُهُ. براثنُهُ: مخاليبُهُ. قاطمٌ: عاضٌّ.

وَقْفَيْن: سوارَيْن. من عاج: لانطواء منقاره.

٥٠- مازِلْنَ يَنْسُبْنَ وَهْنًا كلَّ صادقةٍ   باتَتْ تُباشِرُ عُرْمًا غَيْرَ أزْواجِ

٥١- حتّى سَلَكْنَ الشَّوَى منهنّ في مَسَكٍ   من نَسْلِ جَوّابةِ الآفاقِ مِهْداجِ

سَلَكْنَ: أدْخَلْنَ. الشَّوَى: القوائم. جَوّابَةٌ: سَحَابَةٌ. مِهْدَاجٌ: سَريعٌ.

٥٢- تَنْحازُ منهُنَّ فيه أُمَّةٌ خُلُقَتْ   حُذًّا مُذَبَّحَةٌ منها بأوْداجِ

تنحازُ: تَتَنَحَّى. منهنّ: من القطا. أُمَّةٌ خُلُقَتْ: يعني الضَّفادِعَ.

حُذًّا: لا أذنابَ لها، في حُلُوقها أطواقٌ.

٥٣- يَخْرِمْنَهُ في قَنًا جُوفٍ على أفَدٍ   شَتَّى جَميعٌ نِهاجٌ غَيْرُ أفْلاجِ

قَنا جُوف: يعني حلوقَهُنَّ. على أفَد: على عَجَل.

شَتَّى: هُنَّ فِرَقٌ، وهُنّ مُجتَمعاتٌ. أفْلاج: غيرُ مُتَفَرِّقين.

٥٤- وهُنَّ بالعَيْن من ذي صارِخٍ لُجُب هَـوْل ونَـوَّاحَـةٍ بـالـمـوتِ مِرْجـاجِ

وهُنّ: الحمير. لُجب: سهام. ونَوَّاحة: قَوْسٌ.

٥٥- شَدَّتْ مَطَـا عَرَبِـيٌّ غَيْر ذي أوَدٍ مُقـارب كَنَسَـا اليَعْفُـور حِمْـلاجِ

شَدَّ مَطَا: ظَهْرٌ. أوَدٌ: عَقْدٌ. كَنَسَاً: عِرْقٌ. اليَعْفورُ: ظَبْيٌ. حِمْلاجٌ: مُلْتَفٌّ.

٥٦- حتّى إذا ما قَضَيْنَ النَّحْبَ وانصَرَفَتْ أبْصـارُهُنَّ على طَخْيَـاءَ كـالسَّـاجِ

قَضَيْنَ: الحَميرُ. طَخْياءُ: ظُلْمَةٌ.

النَّحْبُ: الحاجَةُ من الماء. السَّاجُ: الطَّيْلَسان.

٥٧- شاكَتْ رُغَامَى قذُوف الطَّرْف خائفة هَـوْل الجَنَـان نَـزور غَيْـرِ مِخْـداجِ

شاكَتْ: ثَبَتَتْ بالسّهامِ. رُغامى: زِيادةُ الكَبِد. الجَنانُ: المُستتر.

غير مِخْدَاجٍ: لا ينمى لها وَلَدٌ.

٥٨- حَـرَّى مُوَقَّعَـة هـاجَ البَنانُ بهـا على خَضَـمٍ يُسقَّى المـاءَ عَجَّـاجِ

حَرَّى: عَطْشَى. مُوَقَّعَةٌ: بها آثارٌ.

هاجَ البَنانُ بها: عَضَّ الحميرُ على أصابعِ الرّامي. على خضَمّ: يعني نَهَر.

٥٩- فاغْتالَها الأجَلُ الآتي وأسْلَمَها نـاوِي الحيـاة عَلَيْهـا غَيْـرُ مُنْعـاجِ

يعني: قتَلَها. مُنْعاجٌ: مُنْعَطِفٌ.

٦٠- مُقَلِّصٌ زَبِـدُ الأوْصـال شَيَّعَـهُ يَعْبُـوبُ حـائل جُـوْل شـرْكُ أعْـلاجِ

مُقَلِّصٌ: يعني الحمارَ. زَبِدٌ: عاري الأوصال، قفولٌ وضامرٌ.

يَعْبوب: عَدْوٌ سريعٌ. أعْلاج: جمعُ عِلْجٍ، يعني الحَميرَ.

٦١- كأنَّـهُ وشَيَـاطيـنُ المـراح بِـه قَــدْحٌ بكَفَّيْ مُلَقَّى الفَــوْز فَــلاّجِ

المِراحُ: النّشَاطُ. وقِدْحٌ: سَهْمٌ. الفَوْزُ: القامرُ. فلاّج: عالٍ ظاهرٌ.

أ. د. حاتم صالح الضّامن

كلية الآداب - جامعة بغداد

نظراتٌ نقديةٌ في كتاب:
«شرح مقصورة ابن دُريد» لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)

حَظيتْ مقصورةُ ابن دُريد الأزْديّ (٣٢١هـ)، التي منها:

إمَّا تَرَيْ رأسي حاكى لونُهُ   طرَّة صُبْحٍ تَحت أذيال الدّجى

باهتمامِ النُقّاد والبلاغيين في القديم والحديث، وتعقّبوها بالشَّرْح والإعراب والتَّخميس، حتى بلغتْ شروحها - فقط - ثمانية وعشرين شرحًا، بين كبيرٍ وصغيرٍ، لم يُطبع منها إلا القليلُ.

ولعلَّ من تلك الشروح المهمَّة للمقْصُورةِ، شرح ابن خالويه، الحُسَيْن بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، وقد حقّقهُ الأُستاذ محمود جَاسم محمد الدرويش، مصدر ضمن كتاب: «ابن خالويه وجهوده في اللُّغَة» معَ تحقيق كتابه: «شرح مقصورة ابن دُريد»، وصدر ببيروت ١٩٨٦م، وأعيدَ طبعه ببغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م.

وهذا الكتاب - في الأصل - رسالة (ماجستير) من جامعة بغداد، وقد نُشر وقد نال الدّرويش الدكتوراه، ورجعنا هنا إلى طبعة بغداد.

قرأتُ الكتاب قراءةَ مستفيد مُستمتع، وكانت - أثناء ذالك - تستوقفني ملاحظات تخصُّ الكتاب والتحقيقَ معًا، فرأيْتُ أنْ أجمعها وأوردها على هَيْأة فِقَرٍ مُبَوَّبة لتتدع في هذا المقال النَّقْدي، تحية لابن خالويه، ولجهود محققه الكريم.

أولاً: الدراسة: ١- أورد في التمهيد ص ٩: أنّ وفاة (ابن النديم) هي: ٣٨٠هـ. قلت: والراجح أنها ٣٨٥هـ، وقال بذالك علماءٌ أفاضل.

وفي ص ١٠ لم تردْ سنةُ وفاة (العامليّ). قلت: هي ١٣٧١هـ.

٢- عند حديث المحقق عن مذهب ابن خالويه (ص ٢٠) أكد أنّه شافعيّ المذهب أخذًا بآراء مَنْ تَرجموا له، وحينما جاء إلى العاملي ونقل رأيه المخالف إلى ما ذَهَبَ إليه وَقَرَّرهُ، اتَّهمه بالتعصب، وَزَعَمَ أنَّ رأيهُ في تَشيُّعه (يدل على

بطلانه وفَسَاد ما ذهب إليه)!

قلتُ: إنَّ الموضوعية في البحث أمر مطلوب وواجب، خصوصًا إذا ما استند الباحثُ إلى أُصول وقواعد تَتَّفقُ مع الحقيقة، ولم يكن له رأي مسبَّق يريد أنْ يُطبقه قَسْرًا على ما يريد، لأنَّ اتهام المحقق للعلامة العامليّ قضية لا يقرّها البحثُ الجاد. فلو رَجَعَ إلى كتاب ابن خالويه الآخر: «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم» (ص ١٢٠) ولو قرأ ما كتبه المستشرقُ كرنكو (سالم الكرنكوي) في نهاية الكتاب نفسه (ص ٢٤٦)، لتبيَّن له صحة ما ذَهَبَ إليه العامليّ، بل إنّ الدّرويش لو دَرَسَ بتأَنٍّ. «شرح ابن خالويه على المقصورة» وهو الكتاب الذي يحقّقه (في الصفحات: ٣٢٨، ٤٤٤، ٤٥٩، ٤٧٤، ٤٩٢، ٤٩٤) لأدرك أنه لم يكن شافعيًّا، وكيف يكون كذالك، وهو يعلِّقُ على رأي للإمام الشّافعي (ص ٤٢١) بقوله: (ولا يصحّ ذالك عندي)؟!

٣- بخصوص كتاب «البديع في القراءات السبع» (ص ٣٦)، والذي قال الدرويشُ: إنه لم يقفْ عليه. أقولُ: هو كتاب في القراءات الثمان، وقد حققه جايد زيدان مخلف، ونال به الدكتوراه من جامعة بغداد ١٩٨٦ - ١٤٠٦هـ.

أما شروح مقصورة ابن دريد، فقد ذكر المحققُ: شرح الجواليقي (ت ٥٤٠هـ).

قلتُ: وقد حققه د. حاتم الضامن. ود. عبدالمنعم أحمد صالح، ونُشر في مجلة «المورد» - مج ١٦ - العدد ٣ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

وذكر: شرح المهلَّبيّ (ت ٥٦٠ هـ).

قلتُ: وقد حققه الدرويش نفسه، ونَشَرَهُ مُنَجَّمًا في مجلة «المورد» ١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ.

لقد كنا نأمل أنْ تدون هذه المعلومات المهمة في أصل الكتاب خصوصًا أنه طبع بعد سنوات من نيل محققه لـ (الماجستير).

٤- ورد في (ص ٢٦): (أثر الكتاب في اللاحقين عليه)، قال فيه: (... إنَّ العلماء قد استفادوا من شرح المقصورة لابن خالويه، ولكني لم أجد منهم من ذكر شرح المقصورة إلاَّ السيوطيّ... ونقل الجواليقيّ..).قلت: ذكر المحبيّ (ت ١١١١هـ) في كتابه «جنى الجنتين» (ص ١٢٠): (وفي شرح الدّريديَّة لابن خالويه: الأسودان: العسل والحَرَّة).

وهذا النَّصُّ واردٌ في (ص ١٢٠) من «شرح المقصورة»، في شرح البيت (٥٣).

ثانيًا: تخريجُ النّصوص: اهتم المحققُ بتخريج نصوصِ الكتاب: الشعرية والنثرية، وقد رأينا أنْ نُسهمَ معه في تخريج نصوص أخرى وردت في الكتاب، مع بعض التعليقات النقدية الضرورية.

١- (ص ٢٦١) بيتان من الرجز.

قلتُ: البيت الثاني لأبي العتَاهية في: شعره ٥٧٩، «شرح نهج البلاغة» (١٩/ ٢٨٧) والغريب أنَّ هذه الأشطار وردت ثانية (ص ٥٥٤)، ولم يشرِ المحققُ إلى ورودها أوَّل مرَّة.

٢- الأبيات الأربعة (ص ٢٦٦) في «الحور العين» (٢٧٦)، عدا الثاني.

٣- ص (٢٦٨): وقال ضُبَيْعة القيسيّ.. وأورد قصيدةً له.

قلت: أ- الأبيات في: «حلية الفرسان» (١٨٠).

ب- صواب اسمه: ضُبَيْعة العبسيّ، فهو من بني مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عَبْس. يُنْظر: «تاج العروس»: (غرر) و «أسماء خيل العرب» للغندجانيّ.

٤- (ص ٢٤٩): ورد كلام للحسن بن وَهْب.

قلتُ: النّصُّ في: «البديع» لابن المعتز ٢٤٥، «التذكرة الفخريَّة» للإربليّ ٣٣٠، «التذكرة الحمدونية» للحمدوني ١٤٩ (مجلة «المورد» مج ٥، العدد ٥، ١٩٧٧م).

٥- (ص ٢٠٢) البيت في: «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٣٠ لبشر بن قُطْبة الأسديّ.

٦- (ص ٥٣٧) ورد بيتان نسبهما المؤلف لابن دُريد.

قال عباسُ الجراخ: هما في «ديوانه» (٥٢) (ط. تونس)، ولديك الجن في «ديوانه» (١٨١) ولابن المعتز في شعره (٣/ ٣٣٣) (ط. بغداد).

على أنّ الدروش أهمل ما علّقه ناسخ مخطوطة النَّجف التي رمز لها بـ (ن)، من أنَّ البيتين لأبي نواس، نقلاً عن كتاب «الشراب» لابن المعتز.

إن هذه الإشارة المهمة كانت تستوجب رجوع المحقق إلى كتاب: «فُصُول التماثيل في تباشير السرور»[1] الذي نُشر نشرة غير علمية في مصر ١٩٢٥م، والبيتان واردان فيه.

ونُشر نشرة رديئة ببغداد ١٩٨٩م، والبيتان فيه ص ٥٠، وفي السنة نفسها صَدَرَ عَنْ (مجمع اللُّغَة العربية بدمشق) في نشرةٍ علمية دقيقة، والبيتان فيه (ص ٨٦ - ٨٧).

٧- الأبيات الثلاثة اللاّمية (ص ٥٣٨)، غير المعزوة، يُضاف إلى تخريجها: «التذكرة الفخرية» ٣١٥، «التشبيهات» لابن أبي عَوْن ١٧٤، «نهاية الأرب» ٤/ ١١٦.

٨- ص ٥٤٠، وَرَدَ البيتُ الآتي:

يحملْنَ أوعيةَ المدام كأنما ... يحملنها بأكارع النّغران

قلت: هو في «حياة الحيوان» (٢/ ٣٦٣) «مختصر كنايات الأدباء» للجرجاني (٩٦)، «اللسان» (نغر) بلا عزو، وينظر: «ديوان السّريّ الرّفاء» (٢/ ٨٣٠) (ط. بغداد ١٩٨١م).

٩- (ص ٥٤٨ - ٥٤٩)، وَرَد بيتان للنظام.

قلت: هما له في: «شرح مقامات الحريري» (٤/ ٢٣٩)، علمًا بأنَّ د. عدنان عُبَيْد العليّ حَقّق شعره ونَشَرَهُ بالبصرة عام ١٩٩٠م، ولأبي نواس في «ديوانه» ٩٢.

١٠- ص ٥٥٠ وَرَدَ بيتان لابن مُقبل.

قلت: البيتان نُسبا للمُسَيّب بن علس في: «التـذكرة الفَخْرية» (٣٣١ - ٣٣٢)، «فصـول التمـاثيل» (ط. دمشق) ١٢٣، ومجمـوع شعره في مجلـة «المـورد» ١ : ١٩٩٢م. ويُنْظر «المعاني الكبير» (١/ ٤٤٧).

١١- (ص ٥٥٠) نفسها، جاء بيتان لخداش بن زهير.

قلت: ولم يخرجهُ المحققُ على ديوانـه الذي حقّقه ونشره د. يحيى الجبوري بدمشق ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

ثالثًا: المصـادر والمراجع: أ- اعتمد الدرويشُ على بَعْـضِ النَّشَرات لعدد من المصادر التي رَجَعَ إليهـا، على الرَّغم من صدور نشرات علميـة لها، على النحو الآتي:

١- اعتمد على نشـرة المرحـوم د. نوري القيسي لكتـاب «الخيل» للأصمعي (ت ٢١٦هـ)، بـرغم صدور طبعة جديـدة بتحقيق الأستاذ هلال نـاجي في مجلة «المورد» - مج ١٢ - العدد ٤، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٢- رجع في تخريج «شعر وضّاح اليمـن»: إلى نشرة د. رضا حبيب السويسي، على الـرغم من صدور جمع وتحقيق جـديد للـدكتور حنـا جميل حداد، نُشـر في مجلة «المورد» - ١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ.

٣- اعتمد على نسخة خطِّية مُصـورة من معجم «العين»، على الرغـم من صدور نشـرة علمية للكتـاب بتحقيق المـرحوم الـدكتـور مهـدي المخزومي ود. إبـراهيم السامرائي، أصدرتها وزارة الإعلام، وطبعت ببغداد وبعض العواصم العربية.

٤- رجع إلى طبعة القاهرة - مط الاستقامـة لكتاب «الفهرست» لابن النديم، مع وجود نشـرة طهران، (١٩٧١م) بتحقيق محمد رضـا تجدد المـازندراني، ثم نشرة د. مصطفى الشويمي ١٩٨٥م.

٥- رجع إلى «شعر الخوارج» للدكتور إحسان عباس، مع أنه أصدر طبعةً جديدة باسم «ديوان شعر الخوارج».

٦- رجع إلى «ديوان ذي الرمة» - نشرة (كارليل هنري هيس)، ١٩١٩م، على الرغم من صدور تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح، عن مجمع دمشق بثلاثة أجزاء.

٧- رجع إلى طبعة اليسوعيين الكاثوليكية ١٨٩٤م من «نوادر أبي زيد»، برغم صدور تحقيق د. محمد عبدالقادر أحمد ببيروت ١٩٨١م.

٨- رجع إلى طبعة ١٢٩٩هـ من كتاب «خزانة الأدب» مع أنّ المرحوم عبدالسلام محمد هارون نشر الكتاب نشرةً علميةً.

٩- كتاب «الاقتضاب» للبطليوسي، اعتمد على طبعة بيروت ١٩٠١م، على الرغم من صدور طبعة بتحقيق المرحوم مصطفى السَّقا ود. حامد عبدالمجيد بالقاهرة، ثم صَدَرَت ببغداد ٨١ - ١٩٨٢م، بثلاثة أجزاء.

١٠- رجع إلى طبعة مختار الدين أحمد لكتاب «الحماسة البصرية»، والمفضَّل الرجوع إلى طبعة د. عادل سليمان جمال.

١١- رجع إلى «أشعار أبي الشيص» - ١٩٦٧م، بتحقيق د. عبدالله الجبوريّ، على الرغم من أنَّ المحققَ نفسَهُ أصْدَرَ الطبعة الثانية من الديوان بعنوان: «ديوان أبي الشيص وأخباره» بيروت، ١٩٨٤م.

١٢- اعتمد على طبعة النجف ١٩٧٢ من «التذكرة السعدية»، مع صدور الطبعة الثانية المنقحة في ليبيا - ١٩٨١م.

ب- أوهام وفوات في ذكر الكتب:

١- المسلسل: ... التيمي، الصوابُ: التميميّ.

٢- «الامتاع والمؤانسة»:... أحمد الأمين، الصوابُ: أحمد أمين.

٣- «شعر الخليل»:... ضياء الدين الجبوري، الصواب: ... الحيدري[٢]

٤- «المثلث في اللّغة»: تحذف عبارة: جامعة بغداد.

٥- «الجواهر المضيئة»، الصوابُ: «الجواهر المضيَّة».

٦- «القلادة السمطية»: الصوابُ: «مُخْتصر شَرْح القلادة السِّمطية» وحقه أنْ يُوضَع في حَرْف الميم، وقد تكرر هـذا الوهم في جميع الصفحات التي ورد فيها اسم هذا الكتاب.

٧- «دراسات في الأدب العـربي» لـ (غرو نبـاوم) قلت: يضاف بعده تـرجمة د.إحسان عباس وزميلاه.

٨- «العبر فيمن غبر» للذهبي، الصوابُ: «العِبر في خبر مَنْ غبر».

٩- «الوحشيات» (الحماسة الصغرى)، الميمني...

قلت: الصوابُ: لأبي تمام (ت ٢٣١هـ)، بتحقيق الميمني!

«يتيمة الـدهر»... تحقيق محيي عبدالحميـد، الصوابُ الـدقيقُ: محمد محيي الدين عبدالحميد.

- أخَلَّت القائمة بـ «شعر يـزيد بن مفرِّغ الحميري»، تحقيق د. داود سلوم، إذْ رَجَعَ إليـه الـدّرويش ص ٤٢١، وانْ المفضّـلُ الـرجـوعَ إلى ديـوانـه بتحقيق د.عبدالقدّوس أبو صالح، بيروت ١٩٧٥ و ١٩٨٢م.

إنَّ معرفـةَ المصادر والمـراجع أمرٌ مُهِـمٌّ جداًّ يدلّ علـى علمية وخبـرة وطول دربة، لا تتأتَّى للجميع.

رابعًا: فواتُ الكتاب: فاتَ المحققُ الكريمُ - إضافةً إلـى ما ذكرنا - عددًا من الأمورِ العلميَّة المهمَّة، منها:

١- «شَرْح مقصورة ابن دريد» عُني بنشرِه عبدالله الصّاوي بالقاهرة، ١٩٥١م.

وكتاب «شرح المقصورة» لعبيد الوصيف محمد، من علماء الأزهر، القاهرة، ١٩٣٩م.

وهذان الكتابان - أيضًا - مما أخلَّ به الثَّبت الذي وَضَعَهُ لشرّاح المقصورة، ص٩٩ - ١٠٢.

٢- الكتاب على ضخامته ليست فيه فهارس مهمة وضرورية تكون مفاتيح لمباحث الكتاب، وهي: الأعلام - الأشعار - اللُّغَة - المواضع - الأمثال.

٣- الأخطاء المطبعية لم يخلُ الكتابُ منها على الرغم من تَصحيح المحقق لبعضها، منها: ص ١٨٦: أبو الشيض، و ص ٢٢٤: أخبثوا، و ص ١٧٤: بارسل النبيِ... وسمل أغنيهم، قلت: الصواب - على التوالي-: أبو الشيص، أُخبتوا، فأرسل النبيّ.. وسمل أعْيَنَهم. مع شطب السَّطر الثامن: ص ٣٥٩ لأنه زائد، ووضع عبارة (شرح) في أعلى العنوان ص ١٥٥.

وبعد: فقد كانت هذه ملاحظات نَقديَّة وفوائد على تحقيق كتاب: «شرح مَقْصورة ابن دريد» لابنِ خالويه، أردنا - منْ خلالهَا - مشاركة د. الدرويش في خدمته للكتاب واحتفائه به، وعسى أنْ يكون لها مكان في الطبعة الجديدة منه، خدمةً لتراثنا العربيّ الكبير.

عبَّاس هاني الچراخ

العراق - بابل - الحلة - ص. ب ١٨١

الحواشي:

(١) نشرنا عامي ١٩٩٢ و ١٩٩٥م ملاحظات على طبعة بغداد من الكتاب، ثم أضفنا الكثير من الملاحظات وأوْدَعناها كتابنا: «في نقد التحقيق»، ولدينا ملاحظات على طبعة مجمع دمشق أرسلناها إلى «مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق.

(٢) نشر المرحومُ ضياء الدين الحيدري «شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي» بمشاركة الأستاذ حاتم صالح الضامن ببغداد ١٩٧٣م. ثم عاد الضامن فأسقط اسم المرحوم الحيدري عند نشره هذا العمل في: «شعراء مقلون» ١٩٨٧م، و «عشرة شعراء مقلّون» الموصل ١٩٩٠م، ولم يبيّنْ للقارئ سببَ انفراده بالعمل.

أنساب الأسر الحضرمية في كتاب:

«السفينة المجموعة في نسبة بعض القاطنين في وادي حضرموت المبارك ومساكنهم»

تأليف السيد أحمد بن الحبيب بن حسن العطاس

(١٢٥٧/١٣٣٤هـ)

(١)

تمهيد : كان رئيس تحرير هذه المجلة قد رغب من الأخ عبدالله صالح حداد اختيار رسالة أو كتاب مختصر في التعريف بسكان حضرموت، القطر الحبيب من بلادنا، فأفضل وصور هذه الرسالة التي ترى مجلة «العرب» في نشرها تقوية للروابط والصلات بيننا وبين إخواننا في تلك البلاد، وقد قدم الأستاذ عبدالله ترجمة موجزة لمؤلفها، كما أوضح ضبط نطق أسماء المواضع الواردة في الرسالة، اعتماداً على نطقها لدى أهل المنطقة، وكما وردت في المعاجم والكتب التاريخية، وها هو نص ما كتب به:

ترجمة المؤلف: هو أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس العلوي، ولد بـ (حريضة) بوادي دوعن في (حضرموت) في رمضان سنة ١٢٥٧، عاش منذ طفولته ضريراً، عوضه الله بنور البصيرة، فنشأ ولديه قدرة استيعابية وإدراكاً طيباً وفهماً واسعاً، وحفظاً جيداً لكل ما يسمع، أشار إلى ذالك كل من ترجمه، ودرس في أول أمره في كُتاب بلدته على يد المعلم فرج بن عمر سبّاح، ثم درج على أخذ علوم القرآن والفقه على يد شيوخ بلدته، وسعى إلى تثقيف نفسه، بالاعتكاف على القراءة، وقام برحلات إلى الحجاز ومصر وبقاع كثيرة داخل اليمن، ومنها رحلته الهامة بوادي دوعن، والتي حاول فيها أنه يحل الخلافات الناشئة مع بعض قبائل الوادي والحكومة القعيطية القائمة آنذاك، وقد كتب هذه الرحلات الثلاث، تلميذاه علوي بن طاهر الحداد ومحمد عوض بافضل في كتب مخطوطة، نشرت فيما بعد مع ترجمته لنجله علي بن أحمد. وقد أعطى المترجم جل اهتمامه لجمع أكبر عدد من المخطوطات عن تاريخ حضرموت واليمن، ومختلف العلوم والآداب، قل نظيرها في المنطقة، وقد أشار إلى هذه المكتبة وإلى ما تحتويه من مخطوطات نادرة، أكثر من أرخ لحضرموت، ولا زالت إلى اليوم يشار إليها بالبنان، ويندر أن لا يزورها الباحثون العرب والأجانب وذوو الاهتمام من اليمنيين.

وإضافة إلى كلامه المنشور الذي جمعه بعض تلامذته ورحلاته الثلاث، ألف هذه الرسالة التي نحن بصددها والمعروفة بـ «رسالة العطاس في الأنساب». وقد كتب بعض المؤرخين نقداً لبعض ما ورد فيها من أنساب لساكنيها، - انظر كتاب «الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها» لتلميذه علوي بن طاهر الحداد.

توفي - رحمه الله - في ٦ رجب سنة ١٣٣٤ (٨ مايو ١٩١٦م)، وقد ترجمه أكثر من مؤرخ، ومما ألف في ترجمته: «عقود الألماس بمناقب أحمد بن حسن العطاس» جمعه تلميذه علوي بن طاهر الحداد في جزءين طبع سنة ١٩٤٩م، و«ترجمة شيخ الإسلام أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس» بقلم ابنه علي، نشرته (دار الضياء) في القاهرة سنة ١٩٥٩م مع رحلاته إلى مكة ومصر ووادي دوعن في (حضرموت) و «ذخرة الأكياس في مناقب أحمد بن حسن العطاس» تأليف محمد عوض بالحنان، ذكره صاحب «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن» عبدالله محمد الحبشي، «تاريخ الشعراء الحضرميين» تأليف عبدالله بن محمد السقاف، مطبعة (العلوم) في مصر الجزء الرابع ص ١٠١ إلى ١١٠، «لوامع النور، نخبة من أعلام حضرموت» تأليف أبو بكر العدني المشهور، نشرته مكتبة (دار المهاجر) صنعاء، الجزء الأول ص ٢٢٠ إلى ٢٣٨.

ضبط أسماء القرى والوديان: الواردة في الرسالة مع نطقها الصحيح لدى أهل المنطقة، وكما ورد في المعاجم والكتب التاريخية وحسب صفحات المخطوطة:

١ - بَالْحَاف، المَجْدَحَة، عَيْن با مَعْبَد، جَرْوَان.

٢- عينَات، القَرْيَة، بيت جُبير، العُرْفَة، اللُّسك، تَاربة، تَرِيْس، الغُرفَة، ذي أصْبَح، خَلَع راشد، مُوْشَح، خُمُور، حَرِيْضَه، نَفْحُون، خَنْفَر، عَنَق، بُوْر.

٣- عَمْد، المَشْهَد، سَدْبَة، الهَجْرِين، خَيْدون، صيف، العَرْسَمة، حُوْفَة، الدُوْفَة، الجَحي، الجبيْل، بَضَة، القرين، الرّشيْد، الخُرَيْبَة، وادي حمَمْ، كنينة.

٤- الصُوْمَعَة، الرَيِّضَة، الحَزِم، دَمُّون، الجِذْفرة، مِشْطَة، حَبَّان، رَخية، الجَبُوْب.

٥- حَبْرَة، مَرْيَمة، بَرَاوَة، مَنْوَب.

٦- إلكَسَر، لَحْرُمْ، فَضَحْ، لَخمَاس، شَرَّاح، بَحْرَان، القُفل، شَرْيُوف، الظاهِرةَ، السَّفُولة، عنيْبدة، رَبيْعَة، الفُوْهَة، خربَة القَمَازِيْن.

٧- سرِيْـوَاة، حُمَّة، البَطِيح، تَبْرَعَة، المَيْـزَعَة، النعيْر، رِيْدَةْ الصيْعَـر، المَنيْظَرَة، قَبْضيْن.

٨- ريدة الدِّين، يغلْ.

٩، ١١- القَطنْ، حُـوْرَة، جبل الكُـوْز، حويْـرة، العَـرَش، كَلْبُوت، المـذيْنِب، العَجَلْ، لِبْنة، حُرُوَبه، لُجرَات.

١٢- السِّيْطَان، السُّوْط، جَرْدَان، دُهُرْ.

١٣، ١٤- سَنَا، سَيْحُوت، المشْقَاص، سَاه.

١٥- عَنْدَل، بَرُوْم، الحَفيْرَه، مَدْوَرَة، تَوْلبة.

١٧، ٢٣- مَـدَوُدة، النَّقْعَة، السَّفيْـل، الجُوِيْب، الجُـول، الحُـوْطَـة، الرُوْضَـة، الجُوف السُّوْم.

٣٠، ٣١- عِمقيْن، أنْف خُطُم، المُحتَرِقَة، صِيْف، مَخْرَمِيَّة، حبُوْضَة، العجرْ.

وصف مخطـوطة الـرسالـة(*): مـؤلفها تـوفي في عشـر الأربعين من القـرن الماضي، فهو قريب من عصرنا، وهذه الرسـالة لـم يرد في آخرها تاريخ لنسخها، إلا أنه ليس من المستبعد أن تكون بخط مؤلفهـا، إذ في آخر صفحة منها: (بانامل الفقير إلى ربـه) ثم ختم يبدو أنه بـاسمه تاريخه ١٣٢٤ وقـد تكون الأولى ليست بخطه. وهاهو نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيـد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذه فوائد جمعناها، ومن خطوط الثقاة نقلناها، ولمن استهداها منا أهديناها، وأثبتناها كما وجدنا، وأضفنا إليها من الفوائد ما أضفناها، وهي مختصرة في نسبة بعض القاطنين في وادي حضرموت المبارك، ومساكنهم، والله المأمول وإليه الاستناد، وعليه الاعتماد وإليه المرجع والمعاد.

فصل: إعلم أن وادي حضرموت مخلاف من مخاليف اليمن، وهو شرقي (عدن) وهو ممتد من مرسا بَالْحَاف والمُجْدَحَة وعَيْن بَامَعْبَد إلى سيحوت، وعرضه من البحر إلى جَرْدَان وجبال مأرب، وهو مشتمل على مدن وقرى، وحصون ومزارع ونخيل، وذُبُور وبه آثار قديمة بنيت، وكتابات في بعض الأماكن بالكتابة القديمة منقوشة في الحجارة، [٢] وتلك الكتابة توجد في أماكن كثيرة، وقطَّانُهُ آل بيت النبي ﷺ وهم (آل باعلوي) الحسنيون الشرفاء السنيون، ونسبهم معروف عند الخاص والعام، وينتسبون إلى السيد الشريف العارف بالله، والمهاجر إلى الله من العراق والبصرة، إلى مكة والمدينة واليمن، أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العُرَيْضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي، وأم الحسين فاطمة الزهراء ابنة سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبدالله ﷺ. حتى استقر هو وأولاده بوادي حضرموت بتريم وعينَات والقَرْيَة وبيت جُبير والعُرْفَة وما والاها. واللِّسك وتَاربة وبُور وسيؤن وتَرِيْس والغُرفَة وذي أصْبَح وخلع راشد ومُوْشَح ونواحَيه وشبَام وخُمُوْر وَحريضَة ونواحيها، ونَفْحُون وخَنْفَر وعَنَق [٣] وعَمْد والمَشْهَد وسَدْبَة والهَجْرَين وقيْدون وصيْف، والوادي ليسر[1] من دوعن العَرْسَمة وصبيخ وحوفة والدوفَة والجَحي وفي الأيمن، الجبيْل وبلاد الماء وقارة المحظار والقرين والرّشيْد والخُرَيْبة والرباط وغير ذالك من المنازل التي اشتمل عليها الوادي، وما والاه مثل وادي حَمَمْ والشِّحْر والمُكَلاَّ وكنينة وحجر وغيل باوزير، وغيل ابن يمين وغير ذالك من المنازل رضي الله عنهم.

أما (تَرِيم) فهي المدينة الجامعة لهم ومنها تفرقت قبل السادة إلى الوادي

المذكور وغيره من الآفاق، كالحـرمين الشريفين، واليمن والهند وجاوة ومصر، وتفصيل أنسابهم وتعيين محلاتهم فهي مذكورة في الكتب المؤلفة في تراجمهم كـ «المشرع» و «الغـرر والقـرطاس» و «الجـوهـر» و «العقد النبـوي» و «فيض الأسرار» وغير ذالك من كتب المناقب.

فصل: أما آل العيدروس فهم في (تَرِيم) وثبي [٤] والصُّومَعَة والرَّيِّضة وتاربة وتريم وبُوْر والحَزِم والشحر وغير ذالك.

وأما آل شهاب ففي تريم ودَمُّون.

وأما آل عطاس ففي حَرِيْضَة والمَشْهَد وعَمْد وعَنقَ والجدْفرة ونَفْحُون وسدبة والصِيْف ومُوْشَح واللِّسك والهَجْرين وصبيخ والخُرِيْبـة وبَضَةَ والشحر والمكلا وحجَر وغير ذالك.

وأما آل الشيخ أبو بكر بن سالم فهم في عيْنَات ومشْطَة وتاربة وسيؤن والغريب وخُمُور وعَمْد وقارة المحطار والجبيل وحَبَّان ورخْيَة وبيحان وغير ذالك.

وأمال آل الحبشي ففي خلع راشد وسيؤن وتاربة وخَنْفر والرّشيد وغير ذالك.

وأما آل طه بن عمر وآل علي بن عبدالله آل السقاف فهم في سيؤن.

وأمال آل الكاف ففي تريم والهَجْرين وعَمْد والجبُوب.

وأما آل البار ففي القرين والخُرِيبة وتريم.

وأما آل الصافي [٥] ففي الرباط.

وأما آل الجفري ففي تريس وجَبْرَة ودوعن وغير ذالك.

وآل بيتي بكنينة.

وأما آل الحداد فهم في حاوي تريم وقيدون والقرين.

وآل سميط بتريم وشبام وتاربة.

ومن أراد الاستقصـاء عليه بـالكتب المؤلفـة في ذالك والشجرة التي جمعهـا

السيد الشريف العالم المحقق المدقق المتقن عبدالرحمن بن محمد المشهور فإنه جمع فيها قبائلهم وبلدانهم فجزاه الله خيراً.

أما السادة آل المشهور الحسن فهم ذرية الشريف يوسف بن عابد في سيؤن ومَرْيمَة. وآل الجيلاني آل بَرَاوَة وميفعة.

وآل محمد نور بالهَجْرين.

وآل شعيب بالهجرين فالجميع ينتسبون إلى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وأما السادة آل بلخي بدوعن ومَنْوَب وآل علوي بن ناصر بدوعن إلى موسى ابن جعفر الصادق.

فصل: وأما الأعراب القاطنون في الوادي [٦] فهم نهد ومرة وكندة وهمدان وحمير ونوح والعوامر وآل باحربي وبنو تميم والمناهيل والمهرة.

فصل: أما نهد فمسكنهم الكَسَر وماوالاه من المنازل فهم في لَحْروم وفَضَح والخَمَاس وشَرَّاح وبَحْرَان والقُفل والقارة وشَرْيُوف والظاهرة وقعوظة ومَنْوب والسفُولة وعنيبدْة وربيعة والفُوْهَة وخِربْة القَمَازِين ويقال لَهم روضان وهم آل عامر بن فضلَة.

وقبائل روضان آل ثابت وآل عجاج وآل مقيزح وآل منيف وآل عبدالله وآل بدر فهاؤلاء روضان.

وأما المقاريم والظلفان فهم الشراشرة وآل عبري وآل حويل وآل كوير وآل جذنان وآل مخلاه وآل شرمان.

وأما بنو يزيد فهم بنو شبيب والحمضان والرماة والقَمَازين فهاؤلاء بنو نهد.

فصل: وأما بنو مرة فهم الجعدة ومسكنهم وادي عَمْد [٧] ومجزعته فهم في نَفْحُون والسيلة ونواحيها والجدْفَرة وسرِيْوَاة وحُمَّة عنق والبَطِيح والنعِير وعَمْد ونواحيه وتَبُرَعة.

والمَيْزَعة فهم آل هلابي وآل غانم والمراضيح وآل شملان وآل لجذم والروامصة آل الشيبة وآل عامر بن علي وآل سليمان بن علي، وآل حمد بن علي، والصقره هاؤلاء قبائل مرة.

فصل: وأما كندة فمسكنهم الآن ريدة وهم قبائل كثيرة ويجتمعون في آل محمد بالليث وآل علي بالليث. وغيرهم من قبائل كندة مفرقين في الوادي.

ومن كندة أيضًا بنو تجيب بهينن وابن مرتع وآل محفوظ وآل عفيف وآل الفخر بالمنيظرة وآل سعيد الجميع بالهَجْرين.

والصدف بريدة الدوم، وآل مهدي بقَبْضين ومنهم المشايخ آل الشيخ علي باراس بدوعن وحجر والجبال وآل باسودان بدوعن، وآل بابقي بدوعن والشحر واليمن [٨] وقبلان آل باسودان. وآل بابقي في مدجح.

ومن كندة أيضًا ابن دغار بحجر ودار في آل مخاشن بالقارة وباجمال وباكثير وباحفين وابن حميد بتريس ونواحيها، وباقيس بزاهر ودوعن وباكرمان بالخربة، وباسبيت منخوب وبابحير وبصعر بدوعن وبايومين والياس بريدة الدين.

فصل: وأما همدان فهم آل كثير ومساكنهم بين شبام وسيؤن ومريمة في القارة ويغل وباطن السرير وسيؤن ومريمة وماوالاها من البقع، وبعض منهم في الجبال في ند آل كثير ويقال لهم الشنافرة وهم آل جعفر بن الضويمر وآل جعفر بن طالب وآل عامر بن سالم بن يماني، وآل طالب بن مرعي بن يماني فهاؤلاء قبائل همدان.

وأما بيت الدولة أولاد السلطان بدر بن عبدالله أبو طويرق فقيل إن نسبهم في همدان [٩] وقيل غير ذالك، وذكر الياس المكي أنهم في بني ظنة ونحن نورد نسبهم الذي حرره السيد الشريف أحمد بن عبدالرحمن العيدروس فقال في نسبة السلطان بدر المذكور نقلاً عن سيدي زين العابدين بن عبدالله بن شيخ العيدروس فيما نقله عن تاريخ حنبل وغيره من أهل الفضل وأهل حضرموت فقال: بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن كثير بن ظنة بن حرام بن عامر المكنا حرام بن عمر بن سبا

الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، قلت: وقال عمر بن علي بارسول في رسالته غير ذالك فليحرر ثم قال: إنما سردت هذه النسبة لأن الأصح من أنه من بطون بني ظنة وأول من انتظمت له الولاية في جهة حضرموت أعني السلطان بدر [١٠] بن عبدالله لما تحققوا على نسبته سبعة من ساداتنا آل أبي علوي [......].

فأقام الله السلطان بدر المذكور في تلك السنة وأيده ونصره وطرق جميع جهة حضرموت واستولاها من ظفار إلى عين بامعبد نحو ثلاثة أشهر وعشرة أيام حتى بلغت ولايته أربعين سنة، وكان يقول: ثلاث خصال افتخر بهم على الملوك: (لا يوجد في ملكي سارق ولا محتاج ولا زاني) انتهى، وبعض من قبائل آل كثير في النجد من الجبال فهاؤلاء قبائل همدان.

فصل: وأما حمْيَر فهي قبائل كثيرة وهم يافع وينتسبون في حمير الكبرى ومسكنهم شبام والَقطن والشحر والمكلا والهجرين وحورة، ومنهم الجمعدار عوض بن عمر القعيطي وهو المتولي في هذه الأماكن وإليه يرجع أمرها [١١] وجميع الأماكن هذه تحت حكمه ومن حمير سيبان وهم عكبرى وبنو حسن وسومحي وحامدي وأهل كور الخامعة والمراشدة والقشم والحالكة وآل باخشوين ومساكن سيبان جبل الكُور، ودوعن الوادي الأيمن وليسر وحويْرة ونواحيها ووادي العَرَش ووادي حمم وكَلْبُوت والمذينب ووادي المحمَدين والحجاري وما حواليها والنقعة والزعفرانة والعجل.

وأما نوح فهو اسم جامع لسيبان الجميع ويطلق على بني محمد وآل باصبارة وآل بارشيد ومسكنهم حجر ووادي المحمدين ولبْنَة بارشيد وماوالاها من الجبال ومنهم أيضًا باعراقي وباجبير دوعن وبايَحيى حجر وبايحيى حروبه ودعن وآل المعلم محمد وبابطين لجرات وآل علي بن سالم حريضة ودار من آل ربَّاع وبن حترش الفوهة وبن عدوان القرن [١٢] وباعشرة وبلعين وباحميش وباحكيم القرن ويقال ان باحكيم هلالي وسيأتي شيء من ذالك.

ومن حمير أيضًا المشاجرة وقبائل السلطان والدين إلاَّ من داخلهم من القبل المفرقة.

وأما قبائل السوط آل بلعبيد فهم آل بالجهيم وباهيصمي وهو الراس وباسباع وباكرش وباحيان وباعبدالله دوعن وجردان وبن حيدرة وكربي ومسيعى وباوهال وباتينمه وسيأتي شيء من ذالك.

فصل: وأما العوامر فمسكنهم تاربة وما حواليها والنجد من الجبال والرملة ما بين حضرموت وعمان وقبائلهم الحطاطبة والكسابيب وآل خمير وآل عبدالباقي ومعرفة بيوتهم فصلها صاحب «سبائك الذهب».

وأما آل باجري يقال أنهم من قبائل غسان ومسكنهم عرض بُوْر.

فصل: وأما بنو تميم والمناهيل فمسكنهم ما بين تريم ونواحيها [١٣] وقبر نبي الله هود إلى سَنَا وما حواليها.

وأما المهرة اليمن فهم في سَيْحُوت والغيضة والمشْقَاص وينتسبون بنو تميم والمناهيل في بني ظنة والمهرة إلى قضاعة وسيأتي شيء من ذالك.

وأما قبل مدحج فهم الحموم ومسكنهم جبال الشحر وساه والغيل إلى حضرموت.

(للبحث صلة)

الحواشي:

(*) ورد في الرسالة كتب ومؤلفون هي: «المشروع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي» لمحمد بن أبي بكر الشلي (ت ١٠٩٣)، «غرر البهاء الضوي في مناقب السادة بني بصري وجرير وعلوي» لمحمد ابن علي خرد (ت ٩١٠)، «القرطاس بمناقب الحبيب عمر العطاس» لعلي بن حسن العطاس (ت ١١٧٢) مخطوط، «الجوهر الشاف في فضائل ومناقب السادة الأشراف من آل أبي علوي وغيره من الأولياء العرّاف» مخطوط في مجلدين لعبدالرحمن بن محمد الخطيب (ت ٨٥٥)، «العقد النبوي في مناقب أهل البيت المصطفوي» في تراجم الأعيان من أهل حضرموت (مخطوط) لشيخ بن عبدالله بن شيخ العيذروس (ت ٩٩٠)، «فيض الأسرار» لعبدالله باسودان (ت ١٢٦٦).

(١) أي (الأيسر).

- ٦ -

٥٠٩- ص ٤٠٩: (فلا أدري أين هما) وهي: (فما أدري أين هما).

٥١٠- ص ٤١٠: (أُنسٌ غَرائز) وهي: (أُنسٌ غَرائرُ) - بالراء ولعل ما هنا تطبيع.

٥١١- ص ٤١١: (عبدالله بن حسن بن علي) وهو: (عبدالله بن حسن بن حسن بن علي).

٥١٢- ص ٤١٢: (فكلم المنصور في رده، واستبطأ المنصور زيادا) وفي المخطوطة: (فكلم المنصور في ردِّه فَرَدَّهُ، واستبطأ المنصور زيادًا).

٥١٣- وفيها: (من بعد ما ظهرا) وهي: (من بعد أن ظهرا).

٥١٤- ص ٤١٣: (عبدالعزيز بن عبدالمطلب) وهو: (عبدالعزيز بن المطلب).

٥١٥- وفيها: (قدم إلى البصرة) وهي: (قدم البصرة).

٥١٦- ص ٤١٤: (ونشرب هذا الماء حتى) وهي: (ونشرب هذا الماء الباردَ حتى).

٥١٧- وفيها: (واصطفاء أمواله) وهي: (واصطفاء ماله).

٥١٨- وفيها: (ودعا المنصور بعقبة بن سلم) وفي المخطوطة: (ودعا المنصور بعقبة بن أسلم).

٥١٩- وفيها: (عبدالله ومن أخذه معه) وفي المخطوطة: (عبدالله ومن أَخَذَ معه).

٥٢٠- ص ٤١٥: (فلم يزل عبدالله محبوسا) وفي المخطوطة: (فلم يزل عبدالله بن حسن محبوسًا).

٥٢١- ص ٤١٧: (فأقبل حتى بيت عاتكة) في المخطوطة: (فأقبل حتى أتى بيت عاتكة).

٥٢٢- وفيها: (فحبس على بابه) وهي: (فجلس على بابه).

٥٢٣- ص ٤١٨: (فراح سلجم ينادي) وهي: (فكان سلجم ينادي).

٥٢٤- ص ٤١٩: (حتى أكتب وأهل بيتي) وهي: (حتى أكتب إلى موالي هناك وأهل بيتي).

٥٢٥- ص ٤٢٠: (وكتب المنصور) وفي الأصل: (قالوا: وكتب المنصور).

٥٢٦- وفيها: (فإن تبت ورجعت قبل أن أقدر) وهي: (فإن تبت ورجعت من قبل أن أقدر).

٥٢٧- ص ٤٢١: (وأوفى بالعهد) وهي: (وأولى بالوفاء بالعهد).

٥٢٨- ص ٤٢٣: (انو يا أمير المؤمنين العفو، قال) وهي: (انو يا أمير المؤمنين العفو تَظْفَرْ، قال).

٥٢٩- ص ٤٢٥: (عبدالله بن المسور بن مخرمة) وهي: (عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن المسور بن مخرمة).

٥٣٠- وفيها: (لا طاقة بمن ترى) وهي: (لا طاقة لك بمن ترى).

٥٣١- وفيها: (ويقول: إني محرج مظلوم) وهي: (ويقول: ويحكم إني محرج مظلوم).

٥٣٢- وفيها: (مرة في خروجي ومرة). وهي: (مرة في خروجي وبعده).

٥٣٣- ص ٤٢٦: (وقتل بيده اثني عشر رجلاً) وفي المخطوطة: (وقتل بيده اثنا عشر رجلاً).

٥٣٤- وفيها: (بشنة شَطُوبَة) وهي: (بشُقَّة شَطَوِيَّة). وفي كتب اللغة: الثوب الشطويُّ هو ثوب منسوب إلى شطا، اسمَ قريةً بمصر، وإذن فلا حاجة للحاشية، المتعلقة بـ (شطب).

٥٣٥- وفيها: (فأصابت منكبيه فأثخنته) وهي: (فأصابت منكبه فأثخنه).

٥٣٦- وفيها: (الألوية المنصورية) وهي: (الألوية المنصوبة) وفي الهامش - (المنصورية خ) -.

٥٣٧- ص ٤٢٧: (تنكته أطراف مزو حداد) وهي: (تنكته أطراف مَرْوٍ حداد). والمَرْوُ: حجر أبيض صلب أطرافه حادَّةٌ معروف بالبادية، وعلى هذا فما في الحاشية خطأ.

٥٣٨- ص ٤٢٨: (أرسل محمد بكذا) وهي: (أرسل محمد إلي بكذا).
٥٣٩- وفيها: (صبيحة تسع عشر ليلة) وهي: (صبيحة تسع عشرة ليلة).
٥٤٠- وفيها: (أتاه كتاب المنصور بالعَرج) وفي المخطوطة: (أتاه كتاب المنصور بخروج إبراهيم بن عبدالله بن حسن بالبصرة، وأمره بالقدوم عليه. ويقال: بل أتاه كتاب المنصور بالْعَرْج).
٥٤١- ص ٤٢٩: (محمد بن عبدالله فأمنا) وهي: (محمد بن عبدالله فأُوْمنّا).
٥٤٢- وفيها: (وجه من الحق لا جب) وهي: (وجه من الحق لا حب).
واللاحب الواضح وليس (لا جب) كما فسر المحقق.
٥٤٣- وفيها: (هذا من الشر لعبة) وهي: (هذا من الشر نُغْبَة) وفي الهامش (لعْيَة).
وفيها: (تناصي المنايا) وهي: (تناضي المنايا).
٥٤٤- وفيها: (وما تقضنني ماضيات التجارب) وهي: (وما نفعتني ماضيات التجارب).
٥٤٥- ص ٤٣٠: (ذكر أمر محمد وإبراهيم) وهي: (ذكر له أمر محمد وإبراهيم).
٥٤٦- ص ٤٣١: (له حد لله جد) وهي: (له حَدٌّ وجَدٌّ).
٥٤٧- ص ٤٣٢: (بغداد يرتاد له) وهي: (بغداد وهو يرتاد له).
٥٤٨- وفيها: (تأخذكم من لقائهم وجل) وهي: (يأخذكم من لقائهم وجل).
٥٤٩- ص ٤٣٣: (فما لسقت لامراه كتفا) وهي: (فما كشفت لا مراة كَنَفًا).
٥٥٠- وفيها: (وقال السدي بن شاهك) وهي: (وقال السِّنْدي بن شاهك).
٥٥١- وفيها: (وأتته ريشانة قيمة جواريه) وهي: (وأتته ريسانة قيمة جواريه) وعلى السين علامة الإهمال.
٥٥٢- ص ٤٣٤: (خراش) وهي في المخطوطة (خداش) في الموضعين.
٥٥٣- ص ٤٣٥: (مصعب بن عبدالله وغيره) وهي: (مصعب بن عبدالله وغيرهما) وهو الصواب، لأن الضمير يرجع إلى راويين.
٥٥٤- وفيها: (فاخرجوا إلى ابن أبي الربيع) وهي: (فخرجوا إلى ابن أبي الربيع).
٥٥٥- ص ٤٣٦: (وتفرق السود .... وقبض على كل رجل أسود) وهي: (وتفرق السود .... وقبض كل رجل على أسود).

٥٥٦- ص ٤٣٧: (المغيرة بن الفرع) وهي: (المغيرة بن الفزع).

٥٥٧- ص ٤٣٨: (إلى غيلة بن مرة) وهي: (إلى نُمَيلة بن مرة).

٥٥٨- وفيها: (ابن عبد شمس بن سعد) وهي: (ابن عَبْشَمْس بن سعد) وهذا هو المعروف باسمه.

٥٥٩- وفيها: (تكرر المغيرة بن الفرع) وهو (المغيرة بن الفزع) بالزاي كما تقدم.

٥٦٠- ص ٤٣٩: (وأراد قثم بن العباس ... أن يخرج في اليمامة) وهي: (وأراد قثم بن العباس ... أن يخرج عن اليمامة).

٥٦١- ص ٤٤٠: (يمضي على هيئته) وهي: (يمضي على سُنَنِه).

٥٦٢- ص ٤٤١: (عقبة بن سلم) وهي: (عقبة بن مسلم).

٥٦٣- ص ٤٤٣: تكرر اسم المغيرة بن الفرع وفي المخطوطة: (ابن الفزع) بالزاي كما تقدم.

٥٦٤- ص ٤٤٤: (ثم امتدّ فخرج) وهي: (ثم أمنه فخرج).

٥٦٥- وفيها: (عامر بن إسماعيل المسلمي) وهي: (عامر بن إسماعيل السلمي). وفي الهامش (المُسْلِي خ) -.

٥٦٦- ص ٤٤٥: (على الكلاء بالمشط) وهي: (على الْكَلاَّء بالشَّط).

٥٦٧- وفيها: (جاء إبراهيم ملكا) وهي: (جاء إبراهيم لِيُزِيلَ ملكا).

٥٦٨- وفيها: (وأتي المنصور بالقيمية) وهي: (وأُتِي المَنصور بالتَّيمية).

٥٦٩- ص ٤٤٦: (غدا أريحيا عاشقًا للمكارم) وهي: (غدا أريحيا في الرجال الأكارم).

٥٧٠- وفيها: (مثل ابن ناظم) وهي: (مثل ابن فاطم).

٥٧١- ص ٤٤٨: (والبدن إن كبت لتنحير) وهي: (والبدن إذْ كُبِّتْ لِتَنْحِيْرِ) وبعده سقط بيت نصه في المخطوطة:

لقد أتاك العِدَى عنِّي بفاحشة ... منهم فَرَوْهَا بإسراف وتكثير

٥٧٢- ص ٤٤٩: (عند السدى بن شاهك) وهي: (عند السِّنديّ بن شاهَك) وتقدم.

٥٧٣- ص ٤٥١: (والله مـا احـدك ولا أعتد بك) وهي: (والله مـا أُعُـدُّك ولا أعتدُّ بك).

٥٧٤- ص ٤٥٢: (ومـرة لـم يحفل بفضل أبـي بكـر) وهي: (ومُـرَّة لـم تحفل بفضل أبي بكر). ومرة هنا ليس كما علق المحقق ابليس بل قبيلة.

٥٧٥- ص ٤٥٣: (كـان الحسن اكبر من الحسين) وهي: (كـان الحسن أسَنَّ من الحسين).

٥٧٦- وفيها: (أبي الحوراء السعداء السعدي) وهي: (أبي الحوراء السعدي).

٥٧٧- وفيها: (لقد قمت وما أعقل) وهي: (لقد قمت إليه وماأعقل).

٥٧٨- ص ٤٥٥: (وهذا أبو موسى جعفر) وهي: (وهذا أبو موسى بن جعفر).

٥٧٩- ص ٤٥٦: (الا أن تضاهوا وتنقضوا ماكان، فإنا) وهي: (إلا أن تضاموا فتنتقصوا، فأما نحن فإنا).

٥٨٠- ص ٤٥٧: (وهو ابن ام ذيبان) وهي: (وهو ابن أمِّ دينار).

وفي الهامش (ذيبان خ).

٥٨١- وفيهـا: (محمد بن بشـر الهمـداني) وهي: (محمـد بن نَشْرٍ الهمـداني وفوق الكلمة(صح).

٥٨٢- ص ٤٥٨: (وتطلعهم إليه وقد لقوا) وهي: (وتطلعهم إليه، وأنْ قد لقوا).

٥٨٣- ص ٤٥٩: (وكان رجال من أهل العراق، واشحان أهل الحجاز) وهي: (وكـان رجـال مـن أهل العـراق، وأشـراف أهل الحجـاز). كمـا أثبت الشيخ المحمودي، في مطبوعته وليس خطأ، وتفسير المحقق بعيد عن المقصود.

٥٨٤- وفيها: (واكمن عنه الثرى) وهي: (وأكمن عنه كُمُوْن الثرى).

٥٨٥- وفيها: (فإني متى أنكرك ومتى تكدنـي أكدك) وفي المخطوطة: (فإني متى أنكرْكَ تُنْكِرْني، ومتى تكدْني أكدْك).

(للَبحث صلة)

حمد الجاسر

الشيخ العلامة محمد الحافظ بن حَمِيْد

[نشرت «العرب» س ٣٤، ص ٢٥٥ ترجمة للشيخ الحافظ - رحمه الله - بقلم الأستاذ فايز الحربي، وبعدها تلقت شاكرة ومقدرة من تلميذه الحسين بن حيدر الهاشمي، ترجمة فيها إضافات مفيدة، وها هي]:

اسمه: هو محمد الحافظ بن موسى بن حميد، وحميد كما ضبطناه من فيه بفتح الحاء المهملة وكسر الميم بعدها ياء ساكنة، والحافظ لقب لَقَّبه به مشايخَه لكونه حافظًا لمتون كثيرة وعلوم عديدة.

ولد في رابغ عام ١٣٣٥ هجرية.

تلقى العلم أول ما تلقاه في رابغ حيث كانت تمر برابغ قوافل الحجاج والمعتمرين والتجار براً وبحراً، فلربما كان في القوافل عالم بل إمام، فقد كان أبوه يضيف العلماء وينهل من ينابيع علمهم، حتى ظهرت على الابن علامات النجابة وإمارات الاستجابة، فانتقل به أبوه إلى المدينة، والحقه بمدرسة العلوم الشرعية، فتخرج من القسم الابتدائي بتفوق عام ١٣٥٤هـ - فعين مدرسًا فيها في العام ذاته، وإنه لكذالك إذ حل عليه عام ١٣٧٤هـ فعين قاضيًا بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة حتى أحيل إلى التقاعد في عام ١٤٠٢هـ.

وكان يأخذ العلم عن المشايخ حتى في غير المدرسة، وذالك إما في المسجد النبوي وإما في دار أحد المشايخ، أو من خلال المجالس العلمية.

فمن مشايخه في مدرسة العلوم الشرعية والمسجد النبوي:

١ - العلامة أمين الطرابلسي الأزمرلي، وكان علامة في الحساب والفرائض، بل إمام في هذا كله، وقد أجاز له اجازة رواية أيضًا.

٢ - العلامة محمد الطيب الأنصاري.

٣ - العلامة حسين أحمد المدني، وقد أجاز له اجازة رواية ودراية.

٤ - العلامة أحمد الفيض أبادي.

٥ - العلامة محمد عبدالله المدني التمبكتي.

٦- الشيخ رشيد بن أحمد الصديقي.

٨- العلامة المحجوب المالكي، وقد أجاز له اجازة رواية أيضًا.

١٠- العلامة الثعالبي وقد أجاز لها إجازة رواية مراسلة.

١١- الملك محمد إدريس بن محمد المهدي السنوسي ملك ليبيا، أجاز له اجازة رواية، ولم يدرس عليه.

١٢- الإمام محمد الطاهر بن عاشور القرشي، وقد أجاز له كذالك رواية مصنفاته.

١٣- العلامة محمد الطيب بن محمد الطاهر بن عاشور، وقد أجاز له اجازة رواية، وقد زار المدينة فأقعده على كرسيه في المسجد فكان يلقي الدروس مدة إقامته بالمدينة، وأعظم ذالك منه.

١٤- العلامة زكريا الكاندهلوي. ١٥- العلامة الطيب الديوبندي.

١٦- وأجاز له العلامة عمر حمدان المحرسي شفاهًا وهو صغير. وأجاز له كثير غير هاؤلاء، ودرس على كثير غير هاؤلاء كالشيخ عمر بَرِّي المدني وغيره.

وكان للشيخ تلاميذ كثير أكثرهم قد نبغ وانتهى فمن هاؤلاء:

١- الأديب الكبير عبدالعزيز الربيع وكان من أخص تلاميذه به.

٢- الأستاذ الوزير علي بن حسن الشاعر.

٣- الأستاذ الأديب محمد هاشم رشيد.

٤- الشيخ حماد بن محمد الأنصاري. ٥- الشيخ محمد ثاني بن علي.

٦- الأديب الكبير عبدالفتاح أبو مدين، وكان من أبر تلاميذه به.

٧- الدكتور عبدالله بن بكر أبو زيد. ٨- الشيخ أبو بكر بن جابر الجزائري.

٩- الدكتور محمد العيد الخطراوي. ١٠- ماجد الحسيني.

١١- الأستاذ الجليل الشيخ حمزة بن محمد قاسم.

١٢- الدكتور أسامة عبدالرحمن. ١٣- الدكتور عمر بن محمد فلاتة.

١٤- كـاتب هذه الأسطـر حسين بن حيـدر الهـاشمي، فقـد كنت آخر تلميـذ درس وتخرج من عنده وأجاز له اجازة دراية ورواية.

كان الشيخ قاضيًا وفقيهًا وفرضيًا لغويًا مؤرخًا راوية حافظة عالمًا بالشعر قديمه وحديثه فصيحه ونبطيّه، عالمًا بأسماء المـواضع لاسيما معالم المدينة، وعنه أيضا أخذت أنساب القبائل المعاصرة. إلا أنساب الأشراف فلم يكن فيها بذاك.

كان مشهوراً بالدهاء والفطنة والذكاء، فما رأيت أدهى ولا أذكى منه ولا أحفظ.

كان لـه أثر في نهضـة الحركـة التعليمية في المـدينة وتنشيطهـا، وكان يشجع طلاب العلم على طلبه، وكان يُحَبِّبُ لتلاميذه قراءة المجلات والصحف لاسيما المجلة الأدبية مجلة الحديقة.

استدراك: ولما زار طه حسين المدينة المنورة وزار المآثر والمعالم كان الذي يرافقه هـو الشيخ محمد الحافظ، قال شيخنا: لقد وقف طـه حسين على قبر عمر وقفة طـويلة معبراً عن اشتياقـه لرؤية تلك المشاهـد والمعالم فقال مثلاً فـرنسيًا، فقال له الشيخ: إن في العربية ما يغني عن هذا المثل الذي سبق العرب إلى معناه!

فـاستوضح منـه طه حسين. فقـال الشيخ: ذالك أن امرأة كـانت تطوف حـول البيت وتنشد:

تَحملتُ مَـا لـو قـد تحمل بعضـه جبـال (حنين) أو شكتْ تتصـدعُ
ففـاضتْ دمـوعُ العين ثم رددتهـا إلى نـاظـر فـالعيـن في القلب تـدمع

فَسُرَّ طه حسين لسماع ذالك.

● تـوفي الشيخ في يـوم الجمعـة ١٢/ ٤/ ١٤١٨هـ هـذا مـا تيسـر ويمكن الرجوع لترجمته في كتاب «مدرسة العلوم الشرعية» لمحمد العيد الخطراوي.

حسين بن حيدر

- ١٥ -

٦٧- بَابُ أينَ، وأيَر، وإيَر[١]

أمَّا بفَتْحِ الْهَمْزَة بَعْدَهَا يَاءٌ ثُمَّ نُونٌ: قَرْيَةٌ قُرْبَ إضَم وَبِلاَدِ جُهَيْنَةَ، بَيْنَ مكَّةَ والْمَدِيْنَة، وَإِلَى الْمَدِيْنَة أقْرَبُ، وَهُنَاك عُيُونٌ.

وَقِيْلَ: أيْنُ مَدِيْنَةٌ فِي أقْصَى الْمَغْرِب.

وَقِيل بَدَلَهُ يَيْنٌ وأنَّهُ مَوْضِعٌ قَرِيْبٌ مِنَ الحِيْرَةِ[٢].

---

(١) لَيْسَ فِي كِتَاب الحَازِمِيِّ.

(٢) قَال يَاقُوتُ فِي المُعْجَمِ: أيْنُ وَهُوَ يَيْنُ، وَقَد خُتِمَ بِهِ هَذَا الكِتَابُ، وَفِي كِتَابِ نَصْرٍ، ثُم أوْرَد كَلاَمَهُ كُلَّهُ وَلَمْ يَزِد.

وَأوْرَد يَاقُوتُ فِي المُعْجَمِ: قَال الزَّمَخْشَرِيُّ: يَيْنُ: عَيْنٌ بِوَاد يُقَال لَهُ حَوْرَتَان، وَهُوَ اليَوْمَ لِبَنِي يَزِيْدَ المُوسَوِيِّ من بَنِي الحَسَن، وَقَال غَيْرُهُ: يَيْنُ اسْمُ وَاد بَيْنَ ضَاحِك وَضُوَيْحِك، وَهُمَا جَبَلان أسْفَلَ الفُرَيْش، ثُم ذَكَرَ مُرُورَ الرَّسُول صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم فِي طَرِيْقه إلَى بَدْر بِمَخَيْط ثُم البَتْرَاء، وَصَفَق ذَاتَ اليَسَار فَخَرَجَ عَلَى يَيْنَ، ثُم عَلَى صُخَيْرَات اليَمَام، وَنَقَل عَنْ نَصْرٍ: يَيْنُ نَاحِيَةٌ مِنْ أعْرَاض المَدِيْنَة عَلَى بَرِيْد مِنْهَا وَهِي مَنَازِلُ أسْلَم من خُزَاعَةَ، وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ هَرْمَةَ:

أدَارَ سُلَيْمَى بَيْنَ يَيْنَ فَمَثْعَرِ ... أبِيْنِي فَمَا اسْتُخْبِرْتِ إلاَّ لِتُخْبِرِي

وأضَاف: يَيْنُ: اسْمُ بِئْر بِوَادِي عَبَاثِر أيْضًا.

وَأضَاف السَّمْهُوْدِيُّ فِي «وَفَاء الوَفَاء»: بَعْد ذِكْر ضَاحِك وَضُوَيْحِك جَبَلان بِأسْفَل الفُرْش قَال: وَسَيْلُهُمَا يَصُبُّ فِي حَوْرَتَيْن، وَأثَرُ العَيْن والقَرْيَة اليَوْم مَوْجُودٌ هُنَاك، وكَان بِهَا فَوَاكِه كَثِيْرةٌ، حَتَّى نَقَل الهَجَرِيُّ: أنَّ يَيْنَ بَلَدُ فَاكِهَة المَدِيْنَة، وكَانَت تُعْرَفُ مِن قَرِيْب بِقَرْيَة بَنِي زَيْد، فَوَقَع بَيْنَهُم وَبَيْن بَنِي يَزِيْدَ حُرُوبٌ، فَجَلَى بَنُو زَيْد عَنْهَا إلَى الصَّفْرَاء وَبَنُو يَزِيْدَ إلَى الفُرْع فَخَرِبَتْ، وَكَانَتْ مَنَازِل بَنِي أسْلَمَ قَدِيْمًا، وأضَاف السَّمْهُوْدِيُّ: وَمَحَجَّة يَيْنَ طَرِيْق الفِقْرَة الَّتِي فِي شَامِي الجَمَّاوَات، لأن يَيْنَ عَلَى يَمِيْن مَدْفَع مَرَيَيْن، وَبَيْنَ مَلَل، وَمَرَيَيْن طَرِيْقٌ، أي يُسْلَكُ هُنَاكَ، وَبَرِيْدُ مَرَيَيْن بِطَرَف عَبُّود إلَى آخر مَاذَكَر.

وَيُفْهَم مِنْ أقْوَال المتقدمين: أن يَيْنَ هَذَا بِقُرْب جَبَل عَبُّود فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الفُرَيْش. وَجَبَلُ عَبُّود مَعْرُوفٌ، يُشَاهِدُهُ المُتَّجِهُ مِنَ المَدِيْنَة فِي طَرِيْق مكَّةَ، قَبْل أنْ يَصِلَ إلَى الفُرَيْش عَلَى يَمِيْنِه (يَقَعُ هَذَا الجَبَلُ بِقُرْبِ خطِّ الطُّوْل: ١٧/ ٣٩ وَخطُّ العَرْضِ ١٨/ ٢٤).

وَأَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ والْيَاءِ وَآخِرُهُ رَاءٌ: نَاحِيَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ يَخْرُجُونَ إِلَيْهَا لِلنُّزْهَةِ(١).

وَأَمَّا بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ بَعْدَهَا (؟) ثُمَّ رَاءٌ مُهْمَلَةٌ: جَبَلٌ نَجْدِيٌّ(٢).

وَإِيرُ بَنِي الْحَجَّاجِ مِنْ مِيَاهِ بَنِي نُمَيْرٍ(٣).

٦٨- بَابُ الأَيْسَنِ، وَالأَيْسَرِ، والأَنْسُرِ، والأَشْتَرِ، والأَشْيَرِ(٤)

أَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَسِينٌ مُهْمَلَةٌ ثُمَّ نُونٌ: مَوْضِعٌ أَحْسَبُهُ مِنْ دِيَارِ الْيَمَامَةِ(٥).

وَأَمَّا كَالأَوَّلِ إِلاَّ أَنَّ سِينَهُ مَفْتُوحَةٌ وَآخِرُهُ رَاءٌ: فِي شِعْرِ ذِي الرُّمَّةِ(٦).

---

(١) لَمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى كَلاَمِ نَصْرٍ غَيْرَ مَنْسُوبٍ، وَلاَ أَسْتَبْعِدُ أَنْ هَذَا تَصْحِيفُ أَيْنَ (يَيْنَ) المُتَقَدِّمُ.

(٢) كذا ورد في مخطوطة كتاب نَصْر، وأراهُ هو الذي قالَ فيه ياقوتُ فِي «المُعْجَم»: إِيْرُ: مَوْضِعٌ بالبَادِيَةِ كَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ، وَقِيلَ: إِيرُ جَبَلٌ بِأَرْضِ غَطَفَانَ، وَأَوْرَدَ مِنْ شعرِ زُهَيْر:

فَإِنَّ لَكُمْ مَآقِطَ غَاشِيَاتٍ ... كَيَوْمِ أَضرَّ بِالرُّؤَسَاءِ إِيرُ

وَأَوْرَدَ شَاهِدًا من شعر الشَّمَّاخ. وفي «مُعْجَمِ مَا اسْتَعْجَم»: إِيرُ: بِكَسْرِ أَوَّلِه وَرَاءٌ مُهْمَلَةٌ على بِنَاءِ فِعْل، مثل عِيرٍ. قال يعقوبُ: إِيرُ: جَبَلُ بَنِي الصَّارِدِ بَنِ مُرَّةَ، وأنشدَ لِمُزَرِّدِ بن ضرار:

فَإِيَّهُ بِكَنْدِيرٍ فَآشْتَاى من عَتَائِد ... رَآكَ بِإِيرٍ حِمَارُ ابْنِ وَاقِعِ

قال: وَعَتَائِد: هضابٌ أَسْفَلَ مِنْ إِيرٍ لِبَنِي مُرَّةَ.

(٣) لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا يَاقُوت، وَبِلاَدُ بَنِي نُمَيْرٍ هَاؤُلاَءِ مُجَاوِرَةٌ لِبِلاَدٍ بَاهِلَةَ فِي نَوَاحِي عِرْضِ القُوَيْعِيَّةِ. ولكنه في بَابِ الهَمْزَةِ مع الباء قال: الأُبُرُ: بِضَمَّتَيْنِ: من مِيَاهِ بَنِي نُمَيْرٍ، وَيُعْرَفُ بِأُبُرِ بَنِي الحَجَّاجِ.

(٤) في كِتَابِ الحَازِمِي: (بَابُ أَشْتَرَ وأَشْيَرَ).

(٥) عِنْدَ يَاقُوت: اسْمٌ لِبَطْنِ وَادٍ بِاليَمَامَةِ، لِبَنِي عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، والأَيْسَنُ: هَذَا الوَادِي لاَ يَزَالُ مَعْرُوفًا، تَجَاوَزَهُ عُمْرَانُ مَدِينَةِ الرِّيَاضِ من النَّاحِيَةِ الغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ، وَفُرُوعُهُ مِنْ مُرْتَفَعَاتٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدِّرْعِيَّةِ، وَيَتَّجِهُ نَحْوَ الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ حَتَّى يَصُبَّ فِي وَادِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ شَمَلَهُ العُمْرَانُ.

(٦) أَضَافَ يَاقُوت:

بِحَيْثُ نَاصَى الأَجْرَعَيْنِ الأَيْسَرُ

وَهَذَا مِنْ أُرْجُوزَةٍ طَوِيلَةٍ فِي الدِّيوَانِ يَصِفُ فِيهَا الرُّسُومَ الدَّاثِرَةَ مِنْ مَنَازِلِ مَيٍّ وَبَعْدَهُ:

فَهَجْنَ وَقْرًا وَاقِرًا لَا يُجْبَرُ

وَجَاءَ فِي الشَّرْحِ: نَاصَى: وَاصَلَ. والأَجْرَعَانِ: رَمْلَتَانِ. والأَيْسَرُ: مَوْضِعٌ والوَقْرُ: الصَّدْعُ فِي العَظْمِ. وَلَعَلَّ المَوْضِعَ فِي الدَّهْنَاءِ.

وَبِالنُّوْنِ لجَمْعِ نَسْرٍ، رَضِمَاتٌ صِغَارٌ فِي وَضَحٍ حِمَى ضَرِيَّة، وَهُوَ فِي الأَشْعَارِ بِالنِّسَارِ، وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيْت: الأَنْسُرُ: بِرَاقٌ بِيْضٌ بَيْنَ مَذْعَا والْجَثْجَاثَة مِنَ الْحِمَى، وَلَيْس بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ خِلاَفٌ[١].

وَأَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْـزَةِ ثُمَّ شِيْنٍ مَنْقُوْطَـةٍ سَاكِنَةٍ وَتَـاءٍ عَلَيْهَا نُقْطَتَانِ وَآخِـرُهُ رَاءٌ: بَلَدٌ قَرِيْبٌ مِنْ هَمَذَانَ[٢].

وَأَمَّا مِثْلُهُ إِلاَّ أَنَّ شِيْنَـهُ مَكْسُوْرَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا ثِنْتَـانِ: حِصْنٌ عَظِيْمٌ بِالْمَغْرِبِ كَانَ مِنْه شَيْخُنَا الْحَافِظ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الله بن عَلِيٍّ الأَشِيْرِيُّ الأَنْصَارِيُّ[٣].

---

(١) أَوْرَد يَاقُوْتُ كَلاَمَ نَصْرٍ بِنَصِّه، وَقَبْلَـه: الأَنْسُرُ - بِضَمِّ السِّيْن -: مَاءٌ لِطَيِّءٍ دُوْنَ الرَّمْلِ قُـرْبَ الجَبَلَيْنِ، وَبَعْد كَلاَمِ نَصْرٍ: والرَّضَمَات جَمْعُ رَضَمَة: وَهِيَ صُخُور يُرْضَمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَفِي كَلاَمِ الهَجَرِيِّ عَلَى حِمَى ضَرِيَّةَ بَعْدَ أَنْ ذَكَر جَبَلَ نَضَادٍ فِي شَرْقِي النِّيْرِ، وَأَنَّ سُيُـولَهُ فِي وَادٍ يُقَال لَهُ ذُو بِحَارٍ قَالَ: ثُم الجِبَالُ الَّتِي تَلِي نَضَاد مِنْ جَـانِبِه الأَنْسُرُ، وَهِيَ أَبَارِقُ ثَـلاَثَةٌ، بِأَسْفَلِ الوَضَحِ، يُقَالُ لأَحَـدِهِمَا النَّسْرُ الأَسْوَد، ولِـلآخرِ النَّسْرُ الأَبْيَضُ، ولِلثَّالِث النُّسَيْـرُ، وَهُوَ أَصْغَـرُهَا، وَهَذِه الأَجْبُلُ هِي النِّسَـارُ والأَنْسُرُ، وَهِيَ فِي حُقُـوقِ غَنِيٍّ، وَقَد ذَكَرتْها الشُّعَرَاءُ. انْتَهَى

والأَنْسُرُ: لاَ تَـزَالُ مَعْرُوْفَة، ولكِن يَنْطِقُهَـا بَعْض العَامَّة بِـالصَّاد - الأَنْصُرُ -، وَهِـي أَبَارِقُ تَقَع فِي سَهْلٍ مِنَ الأَرْض تَبْـرُزُ لَهَا رُؤُوْس كَـرُؤُوس الجِبَال الصِّغَـار، ثَلاَثَـة تَقَع شَمَـال بَلْدَة البِجَـادِيَّة وَتُـرَى مِنْهَا بِـالْعَيْنِ المُجَرَّدَة، وَلَيْسَت بَعِيْدَة عَنْ جَبَلِ نَضَاد، وَلَهَا ذِكْرٌ كَثِيْـرٌ فِي الشِّعْر القَدِيْم والحَدِيْث، وهي فِي مِنْطَقَة إِمَارَة الدَّوَادِمِي (وَتَقَع الأَنْسُرُ بِقُرْبِ خَطِّ الطُّوْل: ٣٢/ ٤٣ وَخَطِّ العَرْض: ٢٥/ ٢٤).

وَمَذْعَـا: مَنْهَلٌ قَدِيْمٌ أُخْتُلِف فِي ضَبْط الاسْم بَيْن الزَّاي والذَّال (مَـذْعَا) وَلَيْس مَعْرُوْفًا هَـذَا المَنْهَل، وَيَرَى الاسْتَاذ سَعْدُ بْنُ جُنَيْدِل: أنْ أَوْصَـافَهُ تَنْطَبِق عَلَى مَنْهَل القَاعِيَّةِ الَّذِي أَصْبَح الآن مَكَانًـا مَأْهُوْلاً فِي الجَنُوب الغَرْبِي مِنَ الأَنْسُرِ غَرْبَ قَرْيَة البِجَادِية.

(٢) عِنْد الحَازِمِي: أَشْتَر: بَلَدٌ قَرِيْبٌ مِن نَهَاوَنْد، خَرَج مِنه جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ العِلم وَحَدَّد يَاقُوْت المَسَافَةَ بَيْنَه وَبَيْنَ نَهَاوَنْد بِعَشَرَة فَرَاسِخ، وَأَطَال يَاقُوْت الكَلاَمَ عَنْهُ، وَذَكَر بَعْضَ المَنْسُوْبِيْنَ إِلَيْه.

(٣) عِنْد الحَازِمِي: أَشِيْرُ: حِصْنٌ عَظِيْمٌ بِالمَغْرِب، كَان مِنه عَبْدُ الله بْنُ عَلِيٍّ أَبُو مُحَمَّد الأَنْصَارِيُّ الأَشِيْرِيُّ، وَفِي «المُعْجَم» أَشِيْرُ: مَـدِيْنَةٌ فِي جِبَـال البَرْبَرِ فِي طَـرَف افْرِيْقِيَّـةَ الغَرْبِيِّ مُقَـابِلُ بَجَايَة فِي البَـرِّ، وَذَكَرَ طَـرَفًا مِن تَارِيْخِها، وَقَال: وَمِن أَشِيْرِ هَذِه الشَّيْخ الفَاضِل أَبُو مُحَمَّد عَبْدالله بن مُحَمَّد الأَشِيْرِيُّ إِمَامُ أَهْلِ الحَدِيْث =

٦٩- بَابُ أَيْجَ، وَأُنْجَ، وَأَمَجٍ[1]

أَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ: بَلَدٌ بِفَارِسَ مِنْ كُوْرَةِ دَارَ أَبْجُرْد، منه أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بن مُحَمَّدٍ الأَيْجِيُّ النَّحْوِيُّ، أَكْثَرَ عَنِ ابْنِ دُرَيْد[2].

وَأَمَّا بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَنُونٍ سَاكِنَةٍ: نَاحِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الزَّوْزَانِ بَيْنَ الْمَوْصِلِ وَإِرْمِينِيَّةَ[3].

وَأَمَّا أَمَجُ مَفْتُوحُ الْهَمْزَةِ بَعْدَهَا مِيمٌ مَفْتُوحَةٌ: بَلَدٌ مِنْهَا حُمَيْدٌ الَّذِي أَمَجٌ دَارُهُ، دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قِيلَ مِنْ أَعْرَاضِ الْمَدِينَةِ[4].

= والفقه، والأدب بحلب خاصة، والشام عامة، ثم ذكر استدعاء الوزير ابن هُبَيْرة له، وقد تقدم الخبر في تَرْجَمَة نصر، وذكر أنه مات في بقاع بعلبك في سنة ٥٦١هـ.

(١) عند الحازمي (باب أَيْجَ وَعَنْجَ وأمج وآبج).

(٢) هو تعريف الحازمي، وقد ذكر ياقوت: أَيْجَ ولم يضبط الاسم، وقال: بلدة كثيرة البساتين والخيرات في أقصى بلاد فارس كانت في جزيرة كَيْش، وكانت فواكهها الجيدة تجلب منها إلى كيش، وهي من كُوَر دار ابجرد، وأهل فارس يسمونها إيك ثم ذكر الأيجيَّ النحويَّ الراوي عن ابن دريد.

(٣) عند الحازمي ناحية من أعمال الزَّوْزان.

(٤) عند الحازمي، وزاد ياقوت وهو القائل:

شَرِبْتُ الْمُدَامَ فَلَمْ أُقْلِعِ ... وَعُوتِبْتُ فِيهَا فَلَمْ أَسْمَعِ
حُمَيْدٌ الَّذِي أَمَجٌ دَارُهُ ... أَخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعِ
عَلاهُ المَشِيبُ عَلَى حُبِّهَا ... وَكَانَ كَرِيمًا فَلَمْ يَنْزِعِ

وأضاف ياقوت: شعرًا اتبعه بقول ابن الكلبي: أَمَجُ وَغُرَانُ: واديان يأخذان من حَرَّة بني سُلَيْم ويفرغان في البحر، ثم أورد قصة في شعر غُنّي به، وورد ذكر أمج في كثير من الكتب. ووادي أمج هذا قرنه ابن الكلبي بغُران لايزال معروفًا، ولكن بغير هذا الاسم فهو بعد انحداره من حرة بني سليم يسمى سايَة، فإذا انحدر سُمّي المَرْواني، ثم يسمى بعد ذلك الخُوار - بالخاء المعجمة - ويتصل بخُلَيص، وأسفله قريب من البحر يسمى ثُوَل، وفي الوادي قرى ومزارع وسكان، وهو في الطريق بين مكة والمدينة بقرب مكة.

(وهو بقرب خط الطول: ٣٠/ ٣٩ وخط العرض: ١٥/ ٢٢).

جــدة الخضــراء

وافى ربيعُك بـــــالبشيـــــرِ فتنسمي عَبَـقَ العبيـــــــرِ
وافــــاك يحلِمُ بــــاللقــــا ءَ ويستحـثُ خُطى المَسيـــرِ
فــــاستقبلي ركبَ الـــــربيعِ بمهـــرجـــانِ للـــزهـــورِ
وتقـــدّمي في حُلَّـــةِ الـــ أعــراسِ فـــاتنــة الحضـــورِ
يـــا جـــدة الخضـــراء يـــا ألـق الصبـــاح على الثغُـــورِ
يـــا دُرةَ البحـــــرِ الحفيِّ بهـــا يتيـــهُ على البحـــورِ
عَشِقَ الضفـــافَ يبثُهـــا الـــ نجـــوى على مـــرِّ العصـــورِ
ويُطـــارحُ الـــرملَ الهـــوى ويميلُ شـــوقًـــا للصخـــورِ
مـــا أن تتيـــــهَ إزاءَهُ زهـــواً كـــربـــاتِ الخُـــدورِ
وتميـلَ عن آهـــاتِـــه الـــ ـــحرَّى بإيقـــاعٍ مثيـــرِ
إلا وأمهـــــرَ حسنَهـــــا مـــا شـــاء من غـــالي المُهـــورِ
يـــا (جـــدة) أسْـــرَى الجمـــا لُ لهـــا بأعطـــافِ البُـــدورِ
يعتـــامُ أجملَ مـــا تجـــودُ بـــه الليـــالي في الشهـــورِ
ألـقَ السَنـــــا الفضـــي من بـــدرٍ أطلَّ مـن السُتـــورِ
والليـلَ يستبقُ الصبـــــاحَ كـأنـــه شـــلالُ نـــورِ
متـــدفقـــاً صُعُـــداً على (نـــافـــورة) الضـــوءِ البهيـــرِ

لله حسنُكِ (جـــــــدة) والبـــدرُ يسفـــرُ للظهـــورِ

خَضِـل كـأيـــام الصبـــا في العمـــرِ منقطعُ النظيـــرِ

تيهـي دلالاً واستثيـــري خبءَ المشـــاعـِـر في السطـــورِ

الشعـــرُ صخـــرةُ قـــادحٍ والحسنُ يقـــدحُهَـا فَتُـــوري

شتّـــانَ مـــا بيـنَ الجمـــالِ صنيعـــةِ الله القـــديـــرِ

ونتـــاجِ فنَّـــانٍ يصـــوّرُ مـــا تـــرى عيـنُ الخبيـــرِ

من نـــورِ هـــاتيك العيـــو نِ تشع بـــالسحـــرِ المثيـــرِ

يَهْتكـنَ أســـرارَ القُلـــو ب فتصطلي تحتَ الصـــدورِ

أينَ (المبـــاخـــرُ) عـــامـــراتٍ بـــالنفيس مـن البُخـــورِ

مـن ذالـك الأرجِ النـــديّ يَفُـــوحُ مـن عَبَقِ الـــزهـــورِ

إنـي أسيـــرُكِ (جـــدة) غلبَ الجَمـــالُ على شعـــوري

وأهـــاجَ حسنُكِ خـــاطـــري فتعهَّـــدي حَـــالَ الأسيـــرِ

ألقـى إليـكِ بـــروحـــهِ وأتـــاكِ مجهـــولَ المصيـــرِ

هيهـــاتَ عنكِ إلـى ســـواك وليـس غيـــرك مـن سميـــرِ

إلاّ بـــ (بغـــدادٍ) ولستُ إزاءَهـــا بـــالمستَخيـــرِ(١)

جدة: الدكتور زاهـد محمد زهدي

الحواشي:

(١) يشير الشاعر هنا إلى حبه لمدينة بغداد التي استمرت غربته عنها عشر سنوات وما تزال مستمرة، وقد بلغت الآن ثلاث عشرة سنة.

(آل مبارك) في الأحساء من بني تميم

[انظر «العرب» س ٨، ص ٦٦٧]

نشرت «العرب» س ٣٣، ص ٧٠٦ وما بعدها - مقالاً للأخ محمد الفهد التميمي من (حايل) تحدث فيه عن هذه الأسرة الكريمة آل مبارك في الأحساء بأنهم وآل ماضي من تميم من بني عدي من بني العنبر من بني عمرو، من تميم ومنهم في قفار.

وورد في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام - ج ٢، ص ١٧٢ - كلام يتعلق بنسب هذه الأسرة. وأثناء مطالعتي لما كتب الشيخ عبدالله البسام أكرمني بالزيارة أخي الأستاذ أحمد بن علي آل مبارك فرغبت منه إبداء رأيه في الموضوع، فأفضل بكتابة هذه الكلمة:

(أنا أحمد بن علي المبارك أكتب ما عندي عن أصل أسرة آل الشيخ مبارك، ومن لديه معلومات أكثر فأرجو منه أن يضيفها إلى ما أكتبه من ذاكرتي.

إن الذي سمعناه من أسلافنا أن منازلهم الأولى كانت في (قفار) الواقعة في شمال نجد وعلى مقربة من (حائل).. ولكن حدث بين بني تميم - وهم أهل تلك الجهة - حروب بسبب توالي القحط ونضوب الآبار، وكان اتجاه الفخذ الذي ينتمي إليه آل مبارك (واسمهم آل قاسم ثم آل حمد) إلى (روضة سدير) التي كان شيوخها في تلك الحقبة - ولا يزالون - (آل ماضي)، وآل قاسم من أقرب تميم إلى (آل ماضي) ولكن - أيضًا - حدث في (روضة سدير) شيء من التزاحم على الآبار وتوالى عليهم القحط سنوات، فهاجر عدد كبير من سكان (روضة سدير) إلى شرق نجد؛ البعض اتجه إلى العراق والبعض اتجه إلى (الأحساء) والبعض جاوز البحر إلى (فارس).

وكان نصيب (آل قاسم)، ثم (آل حمد)، أن نزحوا إلى الأحساء.

و (قاسم) المذكور له ولدان: محمد وعلي، وقد رُزق محمد ولدًاأسماه (مباركًا) وكذالك رُزق علي أولادًا أحدهم سمَّاه (مباركًا). ومبارك الأخير الذي ينتسب إلى (علي) مات والده وهو دون البلوغ ولكن جده (قاسمًا) كان حيًّا، فاعتنى به ووجهه - بعد أن حفظ القرآن الكريم - إلى دراسة الفقه والحديث على علماء الأحساء، وكانوا على مذهب الإمام مالك بن أنس - إمام دار الهجرة- منهم الشيخ محمد بن كثير والشيخ أبو بكر بن غنام وغيرهما. ونبغ في العلم. ورُزق الشيخ مبارك - هذا - أولادًا سبعة، وهكذا تكونت أسرة (آل مبارك) التي تنتمي إلى (بني عمرو، من تميم) ومن أراد مزيدًا من هذا فليرجع إلى ما كتبه الشيخ حمد الجاسر وغيره من الباحثين.

قال ذالك وأملاه الفقير إلى مولاه أحمد بن علي آل الشيخ مبارك، في ٢١ شعبان سنة ١٤١٩هـ).

التبييض والتسويد في منى

من العادات الشائعة وقت الحج إلى عهد قريب في أيام التشريق في منى قيام أناس يسيرون بين منازل الحجاج، وينادون بأرفع أصواتهم: (بَيَّض الله وجه فلان) ويذكر بعض محاسن الرجل، أو: (سَوَّد الله وجه فلان) ويذكر بعض المساوئْ.

ومن الأمثال الشائعة عن هذا قولهم: (بَيْضَاهُمْ ما تُلادي سوداهم) وأصل المثل أن أحد شيوخ قبيلة الشيابين سمع مناديًا إذ ذاك يقول: (سَوَّد الله وجه فلان) وسَمَّى الشيخ المذكور، ثم أعقبه آخر يقول: (بَيَّض الله وجه فلان) وذكر بعض محاسنه، يعني الشيخ نفسه، فقال بلهجته البدوية: (يَالأَد ماتْلادي بَاضَاهُمْ سوداهم؟) وفصيح هذه الجملة: (يا أولاد ألا تقابلُ بيضاؤُهُمْ سودَاءَهم؟) وهذه العادة متوارثة منذ القدم، فقد روى الزبير بن بَكار في كتاب «جمهرة نسب قريش» - ص ٨٢٢ - طبعة مجلة «العرب» ما نصه: (وكان آل عبدالله بن عبدالله

ابن عمـر بن الخطـاب - إذا خاصمهـم أحد من بنـي عمهم في ولاية الصـدقـة ينزعون بعبدالعزيز ويقولون: نبايض بعبدالعزيز غَدًا بِمِنَى).

وفسر الزبير كلمة (نبايض) بقوله (نفاخر به) في أيامه البِيض وأخباره البيض.

وكذا كثير من العادات العربية التي لا تزال باقية إلى عهد قريب.

حول الشيخ الحافظ

ورد في الترجمـة التي كتبها الأستـاذ فايـز بن موسى الحربـي عن الشيخ محمد الحافظ في «العرب» ٣٤ ص ٢٥٥: (من أبرز أعماله التي اطلعت عليها ولم يذكرها كل من كتب عنــه حتى الآن - فيمــا أعلم - عملــه الـرائد فـي تصنيف وتسجيل سجلات الضبط القـديمة في المحكمة الشرعيـة الكبرى بالمدينـة المنورة، وإعداد دفتر السجل العام لتصنيف محتويات السجلات، ولا يزال أثره باقيًا ومدونًا).

وقـد لاحظ الأستاذ فـايـز بسبب تشابـه اسم الشيخ محمـد الحافظ بـالشيخ علي حـافظ وقـوع خطأ فيمـا أورد، فنسب للأول مـاهـو من عمل الأخيـر أي أن تصنيف السجلات وإعداد دفتـر السجل العام في محكمة بالمدينة المنـورة قام به الشيخ علي حافظ، الذي عمل في المحكمة قبل الشيخ محمد، فتولى ذالك العمل، والشيخ علي حافظ هو الصحفي المشهور الذي أسس هو وأخوه عثمان جريدة «المدينة المنورة».

الغَنَّام من آل حماد من تميم

لقـد ورد في صفحـة ٦٧٦ في كتــاب «جمهـرة أنســاب الأسـر»: الغنـام في المستَجـدةّ بمنطقـة حائل من الحمـران.. وفي صفحـة ٦٧٧ ورد: (آل غنـام في الأحساءَ...) إلخ وأود التوضيح لأنه بهـذا الشكل يظن القارئ أنهما لا يمتَّان إلى بعضهما بصلة. هذا من نـاحية، ومن ناحية أخرى نود تـوضيح خطأ آخر وقع فيه الشاعر الكبيـر ابن صقيه في كتابه «بنـو تميم في بلاد الجبلين» ثم نُقِل الخطأ إلى «الجمهرة». وهو ذكر أنّ آل غنام الذين في المستجدّة من الحمران.

والإشكال الذي وقع هو أن أهل المستَجدَّة أغلبهم من الحمران أو كلهم من الحمران إذا استثنينا آل غنام، ولو سأل سائلٌ عن أهل المستجدة لأُجيب أن أهلها (الحمران) لأنهم الأكثر، وهم أهلها وهذا شيء معروف يؤدي إلى الاعتقاد أن من ليس من المنطقة وليس عنده معرفة بالأنساب يظن أن كل سكان المستجدة من الحمران بما فيهم آل غنام كما وقع من (ابن صقيه) وقد قيل: أهل مكة أدرى بشعابها.

وآل غنام من آل حماد من آل منذر من بني العنبر من عمرو، من تميم كانوا جميعًا في (قفار) ومحلة آل غنام في قفار تسمى (آل حماد) يسكنونها هم وبقية آل حماد، وبلدة (قفار)، محلات وكل محلة تسمى باسم أهلها. ولقد جاء في كتاب «نبذة تاريخية عن نجد» لضاري بن فهيد الرشيد - ص ٧٦ - أنها محلات وكل قبيلة تنسب إليهم محلتهم.

وآل غنام من أكبر وأقدم أسر بني تميم، وأكثرهم هلك في الوباء المشهور في (قفار) ومنهم من انتقل إلى بعض الأقطار المجاورة ومنهم من عاد إلى (القارة) الموطن الأول لآل حماد، ثم إلى الأحساء وأكثرهم انتقل إلى (شعيب الحفَن) بمنطقة حايل، وهم أول من أحياه ثم انتقل أغلبهم إلى (ضرغط)، وبعد ذَالك عاد بعضهم إلى (الحفن) ثم (المستجدة) و (الروضة) ومنهم من انتقل إلى (رياض الخبراء) أقسامهم.

١ - آل مبارك في الأحساء، وهم ذرية مبارك بن علي بن محمد بن قاسم بن حمد بن سلطان آل غنام.

٢ - آل (أبو بكر) في الأحساء منهم الشيخ المؤرخ حسين بن غنام.

٣ - الناصر في (ضرغط) ومنهم الدخيل الله في حائل وهم ذرية ناصر بن راشد بن سالم بن رشود آل غنام.

٤ - الشلاش في (المستجدة) في منطقة حائل، وهم ذرية شلاش بن رميزان ابن ضيف الله بن عبدالله بن عقيل بن ثنيان آل غنام.

٥- المنصور في (الروضة) بمنطقة حائل.

٦- الغنام في (المستجدة).

٧- الغنام في (رياض الخبراء) بمنطقة القصيم.

٨- العلي في (قفار) وآخرهم عبدالله العلي الغنام جد عبدالعزيز الخوير لأمه (انقرضوا).

٩- الدلاك في (قفار) وآخرهم (قوت الدلاك) جدة علي الحمود السبهان (انقرضوا).

١٠- البزيع كانوا في (قفار) و (الشعب) و (ضرغط) وحائل منهم مؤسس حي البزيعي في مدينة حائل بعدما أنشأ مزرعتين ثم باعهما وانتقل إلى (قفار) وجميع البزيع انقرضوا ولم يبق إلا رجل واحد اسمه محمد بن غنام البزيع وابنه.

١١- القبيل في (ضرغط) وهم ذرية محمد بن قبيل.

١٢- الحامد كانوا في (الروضة) ثم (ضرغط) وهما رشيد وعلي الحامد رشيد خلف محمد وحامد والذرية لهما، أما علي فخلف بنات وقد انقطع عقبه.

١٣- الحبِّيب في (الروضة) بمنطقة حائل.

١٤- العيسى في (الرّس) بالقصيم.

دخيل بن فهد الناصر

الجبعان من الشطر

ورد في «العرب» س ٣٤ ص ١٣٤ في الكلام على فخذ الجبعان: (وهم من ذوي عطية العطاونة) خطأ من كاتب الرسالة، والصواب: ذوي عطية وذوي منير وهما أخوان أبناء سمران بن عابد بن عوض بن عثمان بن عوض بن مبارك الأجيبع الشاطري، وكذالك ذوي عصيم هم من الجبعان من الشطر.

* «عمدة الصفوة في حل القهوة» للجزيري

يلاحظ أولاً أن اسم (القهوة) كان يطلق لغة على الخمر، لأنها تُقْهي شاربَها عن الطعام، أي تذهب شهوته، ثم بعد ذالك أُطلق على ما يشرب الآن منَ الثمر المسمى بـ (البن) ثمرًا أو قشرًا مطبوخًا، وقد تكلم عنه بعض الأطباء في مؤلفاتهم، فقال داوود الأنطاكي في «التذكرة»[1]: بُنٌّ: ثمر شجر باليمن، يغرس حبه في آذار (مارس) وينمو ويقطف في آب (سبتمبر)، ويطول نحو ثلاثة أذرع على ساق في غلظ الإبهام، ويُزْهر أبيضَ، يخلف حبًّا كالبُنْدق، ربما تفرطح كالباقلاَّء، وإذا قُشر انقسم نصفين، وأجوده الرزين الأصفر، وأرداُه الأسود، وهو حار في الأولى، يابس في الثانية، وقد شاع برده ويبسه، وليس كذالك، لأنه مرٌّ، وكل مرٍّ حارٌّ، ويمكن أن القشر حار، ونفس البن إما معتدل أو بارد في الأولى، والذي يعضد بردهُ عفوصته، وبالجملة فقد جُرِّب لتجفيف الرطوبات والسعال البلغمي، والنزلات، وفتح السدد وإدرار البول، وقد شاع الآن اسمه بـ (القهوة)، إذا حمص وطبخ بالغا وهو يسكن غليان الدم - إلى آخر ما ذكر -.

وعندما شاع انتشار شرب البن في مكة في القرن التاسع الهجري قوبل بنكير شديد من العلماء، حتى قام بعض الأمراء بهدم الأمكنة التي كان الناس يجتمعون فيها لشراب القهوة، وبتكسير أواني الشرب، وبإتلاف حبوب البن، وبمعاقبة من يتعاطى شرب القهوة، فكان هذا الأمر مما شغل الناس في ذاك العهد، شُغْلاً حمل كثيرًا من العلماء إلى التأليف فيه، ومن أمْتَع تلك المؤلفات كتاب صاحبنا الجزيري هذا، ألفه سنة ٩٦٦ وتقع المخطوطة التي اطلعت عليها في نحو ١٧٠ صفحة صغيرة، وقد كتبت في ١٦ رمضان سنة ١٠٧٩، والكتاب ملخص من مؤلف لأحمد بن عبدالغفار المالكي - نزيل طيبة - مع زيادات عليه، يقع في سبعة أبواب، الأول: في معنى القهوة وصفتها، ومن أي بلدة كانت انتشارها، الثاني: في سياق المحضر الذي كتب في شأنها، بمكة، وشرح المرسوم الوارد جوابًا، وذكر فتاوى العلماء بالحلّ والحرمة. الثالث: في إبطال دعوى الإنكار لها، وأنها من الشراب الطهور. الرابع: في إبطال القول بحرمتها. الخامس:

موجب الحرمة لا في ذاتها، بل من تعاطيهـا بالأوصاف الخارجة عنها. السادس: في نكت متفرقـة، وفوائدَ تتعلق بها. السـابع: في بعض ما رُوي من النظم لبعض أعيان العلمـاء في حلِّها، وفي هـذا الباب قصيـدة من نظم المؤلف لعل فـي إيراد مطلعها ما يغنيَ عن الكلام عن منزلته في هذا الفن.

أَضَـوْءَ أُنْس بـدَا يَهْـدي لـذيْ كَـرَم   أَمْ نَارُ قَهْـوَةَ قشْر في دُجَـا الظُّلَم؟[٢]

في ٤٣ بيتًـا أوردها في كتَـاب «الـدرر الفرائد المنظمـةَ» وذكـر هذا الكتَـاب، وأشـار في ذكر حـوادث سنة ٩٦٨ - إلى طـرف مما جـرى من الحوادث حـول القهوة في القاهرة.

ومن هذا الكتـاب نسخة في (مكتبة البلـدية) في الإسكنـدرية مخطوطـة سنة ٩٧٨هـ رقمها: (ن ١١٢٨ ب).

وكتاب الشيخ عبدالقادر[٣] «عمدة الصفوة» قام (المجمع الثقـافي) في مدينة (أبو ظبي) بنشره، بتحقيق الصديق الأسـتاذ عبدالله بن محمد الحبشي، ونشر عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م) في طباعة حسنة في (١٨١) من الصفحات.

ويعـد الكتاب من المـؤلفات الظـريفة التـي يستمتع بما جـاء فيها من تـرويح فكري ذهني أثناء تناول القهوة، وأذكر أن بعض أدبـائنا قد نقل نماذج منه في أحد مؤلفـاته حـديثًا، كما أذكـر أن مما كـان يستظرفه النـاس عند اجتمـاعهم لشرب القهوة في القرن المـاضي، وكان ذالك يستغرق أكثر أوقـاتهم، وخاصة منهم من يمتهن الفلاحـة في الفترات التي تتخلل أعمالهم، فكـان مما يستظرفون سمـاعه رسالة تعرف باسم «تحفة القهوة» كنت أحفظ شيئًا منها لكثرة نقلي لها كتابة حين يطلب مني ذالك، ولا أعرف من وضعها ولا شيئًا عنها الآن.

وقد أضـاف المحقق الفاضل على الكتـاب حواشي مفيدة فـي بعض التراجم وتخريج بعض النصوص وإيضاح أسماء وكلمات بحاجة إلى إيضاح.

الحواشي:

(١) ج ٢ ص ٨٦ طبعة الحلبي سنة ١٣٧١.

(٢) كان المستعمل للشرب قشـر البن لا الحَب، يحمص قليلاً ثم يدق ويغلى على النار، إلى عهـدنا، ولا يزال يستعمل في جنوب الجزيرة وهو ألطف شربًا، وأحب عند كثير ممن جرب شرب القهوة حبًا وقشرًا.

(٣) تـوسعت في تـرجمته في مقـدمـة تحقيق كتـاب «الدرر الفـرائد المنظمـة في أخبـار الحاج وطـريق مكـة المعظمة» من ص ٩ وما بعدها ورجحت أنه توفي في عشر الثمانين بعد التسع مئة.

العنوان
حي الورود - شارع علي بن أبي طالب - هاتف ٤٦٢١٦٢٣
ص. ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٧، ٨ س ٣٤ - محرم وصفر، سنة ١٤٢٠هـ - أيار، حزيران (مايو، يونيه) سنة ١٩٩٩م

التصحيف في أسماء المواضع
الواردة في الأخبار والأشعار

(٢٥)

الشَّرَاة: (السَّرَاة)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (الشَّرَاة: صُقْع بِالشَّام بين دِمَشْق ومدينة الرَّسُوْل ﷺ، ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بِالحُمَيْمَة التي كان يسكنها ولد عليّ بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب في أيَّام بني مروان، وفي حديث سَوَاد ابن قَارب: بينما أَنَا نَائِم على جَبَل من جبال الشَّرَاة، كذا ذكره أبو القاسم الدمشقي وقال: كذا نَقَلْته من خط أبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات الشَّرَاة، بِالشِّيْن المُعْجَمَة، وكان صَحِيْح من الخط مُحْكَم الضبط).

كلام ياقوت مُصِيْب في تعريف الشَّرَاة - بالشِّيْن - ولكن الخَطَأ وقع فيما نَقَل من حديث سَوَاد بن قَارِب: (بينما أنا نَائِم على جبل من جبال الشَّرَاة، كذا ذكره أبو القاسم الدمشقي وقال: كذا نقلته من خط أبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات الشراة، بالشين المعجمة، وكان صحيح الخط محكم الضبط).

وقد نَبَّهْتُ على هذا الوَهْم الذي وقع فِيه ابن عَسَاكِر في «تاريخ دمشق» حيث نسب سَوَاد إلى الشَّرَاة بالشِّيْن والصواب نسبته إلى السَّرَاة بالسِّيْن وكان مما قُلْت: (وسَوَاد أزدي دَوْسِي وكلمة (السدوسِي) تَصْحِيْف الدوْسِي، وهو من أهل السراة بالسين المهملة، قال ابن حجر في «الإصابة»: سواد بن قارب الدوسي أو

السدوسي، ثم كرر الدوسي وقال فيما أورد في ترجمته: دخل رجل من دوس يقال له سواد بن قارب على النبي ﷺ ثم ذكر الخبر الذي أورده ابن منظور عن ابن عساكر. وبين يدي الآن مَخْطُوْطَة كتاب «المبعث والمغازي» للحافظ قوام السُّنَّة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفَضْل التيمي (٥٤٨/ ٥٣٥هـ) وقد أورد ذكر سَوَاد في كتابه (الورقة الـ ٣٢ ب) وذكر قصته وقال عنه: (هو رجل من أهل اليمن له فيهم شَرَف ومَوْضع) انتهى، وبنو دَوْس الذين منهم سَوَاد من زَهْرَان من الأَزْد لا يزالون معروفين في بلادهم السَّرَاة، وهم من أشهر القبائل.

كما وَهِم الحافظ ابن حجر حيث ظَنَّه سَدُوسِيًّا ولكنه لم يَجْزِم بَلْ سَمَّاه الدَّوْسي أولًا.

شَــرُوْمُ: (سَــرُوْم)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (شَرُوْم: قرية كَبِيْرَة عامرة باليمن فيها عُيُوْن وكُرُوْم وأهلها هَمْدان وهم لُصُوْص يقطعون الطَّرِيْق، بَيْنَهَا وبَيْنَ الهُجَيْرَة خمسة وعشرون ميلًا، قال الحارث بن عمرو الجِزْلي:

فَأَل سَعِيْد جَمْرَة غَالِبِيَّة   وَسَفْحَيْ شَرُوْم بَيْنَ تِلْك الرَّجَائِم).

صواب الاسم (سَرُوْم) وقد تكرر هذا كثيرًا في «صِفَة جَزِيْرَة العَرَب» ويُطْلَق الاسم على مواضع متقاربة منها: سَرُوْم العُقْدَة وسَرُوْم العَيْن وسَرُوْم الفَيْض، وتسمى سَرُوْم الطَّرْفَاء، وهذه كانت من بلاد جَنْب، وهُنَاك سَرُومُ في الجَوْف سُكَّانهَا نِهْم، وبنو عَبْد، وسَرُوْم الفَيْض هي القَرِيْبَة من الهُجَيْرَة كما يُفْهَم من كَلَام صَاحِب «صِفَة جَزِيْرة العَرَب» - ص ٣٣٩ - وسَرُوْم السَّرح سكانها من بني جماعة من خَوْلَان. وليس بين أهل تلك المواضع التي تُسَمَّى سَرُوْم من هم من هَمْدَان ولكن من خَوْلَان ومن مَذْحِج. أما سُكَّانها الآن فَهُم من بقايا مذحج من قَحْطَان، والجِزْلي هذا لا أَعْرفه، ولكنني أَمِيْل إلى أن النسبة ليست صَحِيْحَة، وقد يكون وَرَدَ هذا الاسم في أحد مُؤَلَّفات الهَمْداني.

شَـغفُ: (سَـقْف)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (شَعْف - بالفتح، والسكون، وأصله بالتحريك: وهو تَلٌّ بِالسِّيِّ قُرْب وَجْرَة، وهو أحد الشَّعْفَيْن المذكورين قبله، وهما رَابِيَتَان يُقَال لَهُمَا شَعْفَيْن).

وأورد الهمدَاني في «صفة جزيرة العرب» - ص ٣١١-: ما نصه:

لَمَّا بَدَا شَعْفٌ بأَعْلَى السِّيِّ   وَحضَنٌ مِثْلُ قَرا الزِّنْجِيِّ

وقد عَلَّقْت على قول الهمداني: لعله (سَقْف) فهو جُبِيْل في السِّيِّ المعروف الآن باسم (رُكْبَة) ثم رأيت أحد المعاصرين وهو الأستاذ عاتق بن غيث البلادي، قال عن هذا: سِقْف بكسر السِّيْن المهملة وسكون القَاف، وآخره فاء: ضُلَيْع حائز في سهلِ رُكْبَة يسار الطريق من الطائف إلى نجد. انتهى وقد يكون الأخ عاتق سمع النُّطْق الذي ذكر، والَّذِي سمعته هو بفتح السين، واسم سَقْف يَنْطَبِق على تَلٍّ - أو رابية - كالجَبَل غير المرتفع بالسِّيِّ، والسِّيُّ هو الجانب الجنوبي مما يعرف الآن باسم (رُكْبَة) وَوَجْرَةُ أَعْلَى رُكْبَة.

وقد أورد ياقوت في «المعجم» في رسم (شَعْفَيْن): هما شَعْفَان المذكور قبل هذا وأورد المثل فيهما، وشِعْرًا لِرَجُل من بني إنْسَان من جُشَم من هَوَازِن يقول فيه:

سَرَت مِنْ جَنُوب العَزْف لَيْلًا فَأَصْبَحَتْ   بِشَعْفَيْنِ مَاهَذَا بِإِدْلَاج أَعْبُد

وعَلَّق على هذا قائلًا: شَعْفَيْن: أكمتَانِ بِالسِّيِّ بينهما وبين العَزْف مسيرة أَرْبَعَة أَيَّام. انتهى

إن كان المراد بِسَقْف ما أوضحت فيما تقدم فقد يكون بجواره أَكَمَة فَقُرِنَا معًا باسم سَقْفَيْن، فَهُمَا القريبان من العَرْف - بالراء المهملة لا بالزاي - ولكن المسافة بين سَقْف هذا وبين العَرْف لا تعدو أميالًا يسيرة فضلًا عن أن تبلغ مسيرة ليال، فَالْعَرْفُ لا يزال معروفًا في أَعْلَى (رُكْبَة)، ولم يذكر ياقوت العَرْف هذا، وإنما ذَكَر العُرْف - بضم العين - موضعًا آخر، وكذا البكري في «معجم ما استعجم» وما أكثر ما فاتهما من الأسماء هم وغيرهما من اللغويين.

والعـرْفُ أكيماتٌ مـرتفعـات تُعَـدُّ من أبرز المعـالم في أعلى (رُكْبَـة).. (ويقع بقرب خط الطول: ٥١َ/ ٤٠ْ وخط العرض: ٠٢َ/ ٢٢ْ).

وسَقْف: أُكَيْمَة أصغر منهما تقع في الجَنُوب الشرقي منهما على أميال.

صَـــفَر: (صَـــفَر)

قال ياقـوت في «معجم البلدان»: (صَغَر - بالتحريـك علم مرتجل لجبل قرب عبـود) وقال في الكـلام على عَبُّـود: (قـال الزمخشـري: عَبُّـود وصَغَر جبـلان بين المَدِيْنَة والسيَالَة ينظر أحدهما إلى آخر وطريق المدينة تَجِيء بينهما) انتهى.

وقال فـي رسْم (صَفَر): (صَفَـر - بفتح أوله وثـانيه: يقـال: صَفِر الوطْـبُ يَصْفَر صفرًا أي خَلا، فهـو صَفِرٌ: جبلٌ بِنَجْد في دِيَار بني أَسَد، وصَفَـر أيضًا: جبلٌ أحمرٌ من جبالِ مَلَـل، قرب المدينـة، هكذا رواه أبـو الفتح نصر، وقـال الأديبي: صَفَرٌ - بالتحريك بلفظ اسم الشهر - جبل بِفَرْشِ مَلَـلٍ كان منزلُ أبي عُبَيْدَةَ بن عبدالله بن زَمْعَة بن الأَسْـود بن المطلب بن أسـد بن عبدالعزَّى جَـدٌّ ولد عبـدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالـب عنده وبه صخـرات تعرف بصخرات أَبِي عُبَيْدة، قال محمد بن بَشِيْر الخَارِجي يَرْثِيْه:

إِذَا مَـا ابْنُ زَادِ الركْبِ لَمْ يُمْسِ نـازِلًا قَفَـا صَفَـرٍ لـم يَقْـرَبِ الفَــرْشَ زائرُ

ولهذا البيت إخوة نـذكرها مع قصة في باب الفرش من هـذا الكتاب إن شاء الله تعالى، وقال ابن هرمة:

ظَعَــنَ الخَلِيــطُ بلُبِّــكَ المُتَقَسَّــمِ ورَمَــوْكَ عَنْ قَــوْسِ الْخَبَــالِ بِأَسْهُمِ
سَلَكُــوْا علَى صَفَــرٍ كأَنَّ حُمُــولَهُمْ بِـالرَّضْمَتَيْنِ ذُرَى سَفِينٍ عُـوَّمِ) انتهى

وهذا الجَبَل الواقع بقرب جبل عَبُّودٍ لا يزال معروفًا، وفي «وفاء الوفاء»: (صفَر - بلفظ الشهـر الذي يلـي محرم -: جبل أحمـر بفـرش مَلَلٍ، يقابـلُ عَبُّوْدًا، الطـريقُ بينهمـا، وبه بنـاءٌ كان للحسن بن زيـد، وَبِقَفَـاه رَدْهَةٌ يقـال لها رَدْهَـة العَجُوْزَيْنِ،

والعَجُوزَيْن: هضبـاتٌ هناك كـان يسكنها أبـو عبيدة بن عبـدالله) إلى آخر مـاذكر.
وجبل صَفَـرٍ لا يزال معـروفًا، ولكنـه يُنطق بإبـدال الصاد سينًـا (سفر) وكـذا تنطق العامة. وهو جبل أحمـر غرب الفَرْشِ. يدعه طريقُ المدينـة إلى مكة يمينًا، ويبعد عن الطريق مسافة يسيرة (ويقع بقرب خط الطول: ٢١ً / ٣٩ْ وخط العرض: ٢٣ً / ٢٤ْ) وقد كتب اسمه في إحدى الخرائط (الأسفع).

وجَبَل عَبُّوْدٍ يحفُّ به الطـريق إلى مكة يدعه عن يمينـه، والمسافة بين الجبلين وبين المدينة تقارب أربعين كيلًا.

ضَـابِن: (الضـائن)

قال البكـري في «معجم ما استعجم»: (ضَابِن - بكسـر الباء بعدهـا نون، على وَزْن فَاعِـل، قال الحَرْبـيُّ في باب المثنَّى: الضَّمْـرُ والضَّابِن: جبـلَان، وإذا جُمِعَا قِيْل: ضَمْرَان، وهما في شِقِّ بني تَمِيْم).

صواب الاسم (الضَّائِن) بالياء المثناة التحتية وقد تنطق همزة، قال عنه ياقوت: الضَّائن من جبال بني سَلُوْلٍ، جبلان: جبل يقال لـه الضائِن وآخر يقال له الضُّمْر، فيقال لهما الضُّمْرَان، وأَطال الكلام عنه في رسم (ضُمْر) - بضم أوله وسكون ثانيه وآخـره راء، ونقل عن الأصمعي: الضُّمْرُ والضـائِن علمـانِ كانَـا لبني سَلُولٍ يقـال لهما الضمـران. إلى آخر ما ذكـر. وأصل هذا في كتاب «بـلاد العرب» - ص١٢٨ ونصـه-: (ثم إِقْبَـالَ الـرَّمْلِ قَصْدَ الضُّمْـر والضَّـائن، فَلَهُمْ مَـاءٌ يُسَمَّى قُنَيْعًـا لبني قُرَيْطٍ، ولهم السَّعْـدِيَّةُ ماءَةٌ، ولبني رَبِيْعَة بن عبـدالله مَاءَةٌ يُقَال لَهَا الـذِّئْبَة. والضُّمْرُ والضَّائِن عَلَمـان، وفي أَحَدِهِما الْخِضْرَمَـةُ وفي الآخر مَخْضُورا، وكانـا فيما مضى لبني سَلُوْلٍ (وهما) في قِبْلَة مَعْدِنِ الأَحْسَنِ). انتهى

وقـال في مـوضع آخـر - ص ١٥١ -: (وأنشـد حِتْـرِشُ في الضُّمْـرَيْنِ، وهمـا الضُّمْرُ والضَّائِنُ قال:

لَقَـدْ كَـانَ بـالضُّمْـرَيْن والنِّيْـرِ مَعْقِلٌ   وفـي نَمَلَـى والأَخْــــــرَجَيْـنِ مَنِيـعُ

وقال نَاهِضُ بْن ثُوْمَةَ:

تَقَمَّمَ الــرَّمْــل فَــالضُّمْــرَيْنِ وَإِبِلُــهُ وبــالـرَّقَــاشَيْنِ من إِسْبَــالِــهِ شَمَلُ

قــال العامــري: الضُّمْر والضَّـائِن كانـا فيما مَضى لِسَلُـوْل، وهما جبـلان لبني كلاب، وهما قِبْلَة مَعْدِن الأَحْسَن) انتهى.

وقال الأستاذ سعـد بن جنيدل في (قسم عالية نجـد) من «المعجم الجغرافي»: (الضِّيْنِيَّة أولـه ضاد معجمة مكسورة ثم يـاء مثناة ساكنة ثم نـون موحدة بعدهـا ياء ثانيـة مشددة مفتـوحة ثم هاء: جبل أسـود كبير، يقع جَنُـوبَ العَلَم، وجنوب قَـرْيَةِ (الخَاصِـرة) وبقربه في الشرق منـه جبلٌ أسود يدعا (أُمّ حُقُـوْفٍ) ويحفُّ بهما من الجنوب نفودُ الصَّخَّةِ، وهذان الجبلان كانا قديمًا يُسَمَّيَان الضُّمْرَ والضائِنَ، لأن ما ذكره المؤرخون في تحديد الضمر والضائن ينطبق عليهما.

وورد مع ذكر الضُّمْـرَيْنِ ذكرُ السَّعْدِيَّـةِ وهي قريبـة منهما تدعى في هـذا العهد سَعْدة. وورد في الشواهد ذكر النِّيرِ والأَخْـرَجَيْن وَنَمَلَى، وهذه الجبال بعضها قريبٌ من بعض، وكـذالك ذُكِـر معهمـا الرَّمْل، ويقصـد بـه النُّفُـود القريب منهـا، نفـود الصخَّة). انتهى ويبدو أن النابغة الجعديّ يعني هذا الجبل حين قال:

إلى نِعَـجٍ مِنْ ضَــائِنِ الــرَّمْلِ أَعْفُــرَا

وفي اللغة: يقال رملة ضائنة وهي البيضاء العريضة.

وهذه المـواضع التي ذكر الأستاذ سعد من عـالية نجد الجنوبيـة (تقع فيما بين خطي الطـول: ٤٠َ/ ٤٣ْ و ٤٥َ/ ٤٣ْ وبيـن خطي العــرض: ١٠َ/ ٢٣ْ و ١٥َ/ ٢٣ْ) وآبـار الصخَّة تقع (بقـرب خط الطول: ٤٢َ/ ٤٣ْ وخط العـرض: ١٢َ/ ٢٣ْ) ونفود الصخَّة يقع على مقربة من الآبار شمالها بمسافة قصيرة.

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

إسهام المملكة في نشر التراث وتحقيقه

(١)

تمهيد: يمثل التراث جذور الأمة الثقافية التي تصوغ هويتها، وتستمد منها قوتها ونماءها وعناصر وجودها في الحياة. وإحياء التراث لا يزدهر إلا في بيئة علمية واعية، تعرف أهميته وتدرك مبلغ الحاجة إليه من جهة، وتستطيع الانتفاع به ونشر ما يفيد منه بين الناس من جهة أخرى.

ولقد ارتبط العلم بالدولة السعودية منذ عام ١١٥٧هـ، عندما تم الاتفاق التاريخي الذي عقد بين أمير الدرعية محمد بن سعود وبين الشيخ محمد بن عبدالوهاب رائد الإصلاح الديني في الجزيرة العربية، وكان هذا الاتفاق أساسًا لالتزام الدولة الجديدة بالعلم، إذ إن نشر العقيدة الصحيحة لا يتم إلا عن طريق بيئَة تشجع على العلم وترعاه. ولما كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تقوم على أصول ومبادئ تخالف السائد في البيئات الإسلامية في ذالك العصر، فقد أصبحت بيئة هذه الدعوة بيئة دعوية توعوية تقوم على شرح مبادئها للناس، وتتصدى للدفاع والحجاج عن الأفكار التي تقوم عليها الدولة الجديدة.

ولهذا فإن اتصال هذه الدعوة بمنابع العلم ومصادر المعرفة، وتصديرها لفكرها ما كان له أن يتم إلا عن طريق العمل الدائب لتحويل تلك البيئة عمّا كانت عليه من ركود إلى بيئة علمية متحركة نابضة بالحياة.

ولم يكن التعليم وإشاعة العلم في مثل هده البيئة ترفًا أو محاولة لتحقيق مستوى أعلى من الرفاه للناس بقدر ما كان ضرورة يقتضيها موقف هذه الدولة التي جوبهت دعوتها بالمعارضة من فئات كثيرة داخل الجزيرة وخارجها، والتي بدأت معركتها سلميًا - أول الأمر - عن طريق الإقناع وإرسال الرسائل، وتفنيد الأقاويل بالردود، ثم ما لبثت أن اتخذت الوسائل العسكرية سبيلًا لتحقيق أهدافها، كي تعم دعوتها أرجاء الجزيرة العربية، وتنتقل من مرحلة الدعوة المسالمة إلى مرحلة الفرض والاحتواء السياسي.

والناظر في التاريخ لتلك الفترة المبكرة من حياة الدولة السعودية ينتابه شعور مؤداه أن الجميع في حاضرة الدولة كانوا مجندين للعلم ومقبلين عليه، فقد كانت دروس الشيخ محمد بن عبدالوهاب التوعوية العامة، وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة، أشبه بالدروس الإلزامية التي يحضرها الجميع من أجل تصحيح مفاهيم العقيدة، ولا يتخلف عنها أحد إلا بعذر. ومن المعروف أن هذه الدروس، سواء كانت تلقى من قبل إمام الدعوة أم من قبل أبنائه وتلاميذه، كانت تلقى في المساجد في الدرعية وغيرها بعد الصلوات، حتى (عرف التوحيد الصغير والكبير) على حد تعبير ابن بشر[1].

والناظر في أهم كتابات الشيخ ومؤلفاته يجدها تنحو هذا المنحى التوعوي السهل الذي يقصد به إيقاظ العامة، وشرح مبادئ العقيدة الصحيحة.

ولقد كانت هذه إحدى المستويات العلمية التي تناولتها حلقات العلم في الدرعية، وهناك مستويات أرفع منها يقصدها طلاب العلم للتعمق في المسائل العقدية والفقهية، حتى كثرت الهجرات إلى الدرعية وازداد سكانها من طلبة العلم، الذين يشير ابن بشر إلى أنهم عاشوا (في أضيق عيش وأشد حاجة، وابتلوا ابتلاء شديدًا، فكانوا في الليل يأخذون الأجرة ويحترفون، وفي النهار يجلسون عند الشيخ في دروس الحديث والمذاكرة)[2].

وفي عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (ت ١٢١٨هـ) نجد الإمام يكتب - على ما يرويه ابن بشر - إلى (أهل النواحي بالحض على تعلم القراءة وتعليم العلم وتعلمه، ويجعل لهم راتبًا في الديوان، ومن كان ضعيفًا يأتي إلى الدرعية ويقوم بجميع نوائبه)[3].

وكان الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد (ت ١٢٢٩هـ) عالمًا أخذ العلم مع والده عبدالعزيز على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان لا يترك الدروس والمباحثة حتى في مغازيه فكان يستصحب معه جملة من العلماء، وأثناء الغزو كان الناس يجتمعون عنده للدرس بين العشائين كل يوم إلا قليلًا[4].

وفي عهده اتسعت حلقات العلم، فلم تعد قاصرة على المسجد بل رتب دروسًا ثلاثة؛ أحدها عام يعقد في السوق الرئيسة للبلد عند الصباح، وقد وصف ذالك ابن بشر وصفًا مستفيضًا باهرًا إذ حضره بنفسه، وكانت القراءة فيه مرة في «تفسير ابن جرير الطبري»، ومرة في «تفسير ابن كثير»[٥]. أما الثاني فيبدأ بعد صلاة الظهر في قصره في موضع معد لذلك يشبه المدرجات، ويقرأ فيه «تفسير ابن كثير» و «رياض الصالحين». وأما الدرس الثالث فيكون بعد صلاة المغرب في مكان آخر هو سطح مجلس الظهر، وفيه يقرأ «صحيح الإمام البخاري»[٦].

ويسير الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز آخر أئمة الدولة الأولى مسيرة أبيه سعود في مجالس العلم[٧].

كما كان يجتمع المسلمون عند الإمام تركي بن عبدالله (ت ١٢٤٩هـ) للدرس، وتقرأ في مجلسه كتب التفسير والسير، وكتب الحديث، كما يقرأ أحيانًا كتاب «السياسة الشرعية» لشيخ الإسلام ابن تيمية[٨].

ويحضر ابن بشر مجلسًا للدرس يقيمه الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٦٢هـ أثناء غزوه لحزام بن حثلين يتصدى للتدريس فيه الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، كما يحضر ابن بشر درسًا للإمام نفسه عند غزوه أهل القصيم في مخيمه، فيكون وصوله إليه بعد العصر أثناء اجتماع المسلمين في الصيوان الكبير للدرس، ويذكر أن الذي ألقى الدرس هو الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ويعجب المؤرخ كثيرًا إذ يقول: (فتعجبت من فصاحته وتحقيقه وتدقيقه، كأن بين يديه كتاب التفسير كالقرطبي وابن جرير أو أبي حيان وابن كثير)[٩].

ونخلص من هذا إلى أن تقليدًا قد تأسس لدى أئمة آل سعود، مؤداه أن تكون دروس العلم والاستماع إلى العلماء من مقتضيات الحياة العامة، التي لا يتأخرون عنها في حضر أو سفر أو سلم أو حرب.

ولقد كان من أهم ملامح ازدهار العلم فـي الدولتين السعوديتين الأولى والثانية كثرة العلماء وكانوا في الأغلب على صنفين:

الأول: علماء مـوسوعيون كـانوا على صلة بمنـابع الثقافـة العربية التـراثية، فلم يقتصر تحصيلهم على علـوم العقيدة والفقه، وإنما كـانت لهـم جهود في تحصيل علوم الحديث والتفسير وعلوم العربية وبعض المنطق، وكانت لبعضهم مشاركات أدبية، وغـالبًا مـا يكون هـاؤلاء نتاج تأهيل تعدى البيئـة النجديـة، أو بيئة الجـزيرة العـربية. فتتلمـذ بعضهم على علمـاء الحجاز أو الأحسـاء أو العراق أو الشـام أو مصر.

ومن هاؤلاء العلمـاء الموسـوعيين الشيخ محمد بن عبدالـوهاب، فقـد امتدت رحـلاتـه العلمية إلى الحجـاز والأحسـاء والعـراق. مما زاد في حصيلتـه العلميـة المتصلة بـالتراث، وإذا كان لم يبـد في تأليف الشيخ الكثير من مصـادره العلمية، بسبب انشغاله بـالتأليف للعامة، أو عدم اكتـراثه بذكر المصـادر إلا نادرًا، فإننا لا نعدم الإشارات إلى فكر يعتمد على الكتب الأصول في التراث الإسلامي أكثر من اعتماده على كتب المتأخـرين، ولعل ذالك يظهر أكثر في رسائلـه التي يبعثها إلى علماء عصره والتي يشـرح فيها موقفه. ففي رسالة منـه إلى الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف عـالم الأحسـاء، يتحـدث الشيخ عن ذم تقليد العلمـاء، واتخاذهـم أربابًـا من دون الله، ويطلب منه أن ينظر في كلام أهل العلم مثل الحـافظ الذهبي، وابن كثيـر، وابن رجب، ثم يقول: (وان لـم تتبع هـاؤلاء، فانظـر كلام الأئمـة قبلهـم كـالحـافظ البيهقي في كتـاب «المـدخل»، والحـافظ ابن عبـدالبـر، والخطـابي، وأمثالهـم قبلهـم، كالشافعي وابن جرير وابن قتيبة وأبي عبيد. فهاؤلاء إليهـم المرجع في كـلام الله وكلام رسـولـه وكلام السلف. وإيـاك وتفـاسير المحـرفين للكلـم عن مواضعه، وشـروحهـم فإنها القاطعة عن الله وعن دينه، تأمل مـا في كتاب الاعتصام للبخاري، وما قال أهل العلم في شرحه)[١٠].

إن هذا النص يدل على أن الشيخ لم يكن محدود النظرة - وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة - في مصادر معينة، بل كان يستمد معارفه من منابع تراثية عريقة على الرغم من ندرة تلك المصادر، وقلة تداولها بين الناس في ذالك العصر.

ومن العلماء الموسوعيين الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وابنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن. فقد كانت إقامتهما في مصر مدة طويلة من الأسباب التي جعلتهما يتصلان بالمصادر الكثيرة. مما أغنى اهتماماتهما العلمية.

والصنف الآخر صنف لم يغادر البيئة المحلية واقتصر في تأهيله على تحصيل علوم العقيدة والفقه. وهاؤلاء هم أكثر العلماء الذين كانوا يعيشون في فترة الدولتين السعوديتين الأولى والثانية.

ولسنا بسبيل بسط الحديث عن هاؤلاء العلماء أو أولئك، لكننا نرى أن من مستلزمات هذه البيئة النشطة علميًّا أن يزدهر فيها تداول الكتب، وخاصة كتب التراث، ولسنا نزعم أننا في هذه العجالة سنوفي الموضوع حقه بشأن تداول الكتب في فترة الدولتين الأولى والثانية، ولكن حسبنا أن نشير إلى أن أعمال الوراقة والنسخ كانت رائجة في ذالك العصر، وكثيرًا ما نجد في تراجم العلماء ما يتميزون به من حسن الخط، وما حصلوه بخطوطهم من الكتب القيمة، ففي السنة التي انتقل فيبها الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية توفي العالم الشيخ محمد ابن ربيعة العوسجي قاضي بلدة ثادق وقال عنه ابن بشر: (كان فقيهًا وحصل كتبًا كثيرة بخطه)[١١].

ويشير ابن حميد في «السحب الوابلة» في ترجمة حميدان بن تركي الخالدي من علماء عنيزة إلى أنه (حصل كتبًا نفيسة أكثرها شراء من تركة شيخه (عبدالله بن عضيب) ومن تركة أخيه منصور بن تركي، فقد كان حسن الخط، كتب كتبًا جليلة مع ما اشتراه)[١٢].

وفي عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد يشير (بوركهات) إلى أن (السلفيين بالذات كانوا يبحثون بصفة خاصة عن كتب التاريخ) ويقول: (وقد سمعت هذه الملاحظة ذاتها تتكرر في المدينة، وخلال إقامتي في دمشق التي تعد أثرى أسواق الكتب في الشرق وأرخصها لأن الأوروبيين لا يترددون عليها إلا قليلًا، سمعت أن بعض رجال من أهل بغداد بعثهم سعود زعيم السلفيين، قد اشتروا كثيرًا من كتب التاريخ. وعندما أغار عبدالوهاب أبو نقطة على موانئ اليمن حمل منها عددًا كبيرًا من الكتب وأرسلها إلى الدرعية)(١٣)، ويشير في موضع آخر إلى كتب حملها السعوديون من المدينة(١٤).

لقد كان البحث عن الكتب خارج نطاق الجزيرة العربية من الأهداف الأساسية التي جعلها الحكم السعودي والعلماء السعوديون في ذالك الوقت نصب أعينهم. فما أن تلوح الفرصة للاتصال ببيئة تزدهر فيها صناعة الكتاب حتى يقتنصها العلماء والحكام للحصول على المصادر العلمية من الكتب التي كانت مخطوطة في الغالب. وكما أشار (بوركهارت) يشير الجبرتي إلى أن مبعوثي الإمام عبدالله ابن سعود إلى محمد علي باشا (وهما عبدالله بن محمد بن بنيان وعبدالعزيز بن حمد سبط الشيخ محمد بن عبدالوهاب) قد دخلا الجامع الأزهر (وسألا عن مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وعن الكتب الفقهية المصنفة في مذهبه... واشتريا نسخًا من كتب التفسير والحديث مثل «الخازن» و«الكشاف» والبغوي والكتب الستة المجمع على صحتها وغير ذالك)(١٥).

ويذكر ابن بشر أن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن عبدالوهاب عندما عاد من مصر ١٢٦٤هـ أحضر معه كتبًا كثيرة(١٦)، ولاشك أن والده الشيخ عبدالرحمن بن حسن الذي سبقه في القدوم من مصر سنة ١٢٤١هـ قد أحضر معه كتبًا مشابهة.

ولقد كان للتداول النشط للكتاب أثر كبير في تكوين مجموعات الكتب التي

نست بشكل ملحوظ لدى بعض العلماء مما أدى إلى ظهور خزائن للكتب هيأها العلماء لأنفسهم ولطلابهم.

ففي أخبار رحلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى المدينة المنورة واجتماعه بشيخه العالم الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف (ت ١١٨٩هـ) من أهل المجمعة قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: (كنت عنده يومًا فقال لي: أتريد أن أريك سلاحًا أعددته للمجمعة؟ قلت نعم. فأدخلني منزلًا عنده فيه كتب كثيرة. فقال: هذا الذي أعددناه لها)[١٧].

وكان للدرعية مكتبة عامة يرتادها طلاب العلم[١٨]، كما نجد عددًا ملحوظًا من المكتبات الخاصة في نجد التي احتفظ بها العلماء لأنفسهم أو أوقفوها على طلاب العلم. مثل مكتبة آل عبدالجبار التي تضخمت وتوارثها علماؤهم[١٩]، ومكتبة الشيخ صالح بن عبدالله البسام (ت ١٣٠٧هـ)، ومكتبة صالح بن حمد البسام[٢٠]، ثم خلف هاؤلاء علماء كونوا مكتبات ذاع صيتها حتى عهد الملك عبدالعزيز مثل مكتبة الشيخ حمد الفارس (ت ١٣٤٥هـ) ومكتبة الشيخ سليمان المزيني (ت ١٣٦٣هـ)[٢١].

عهد الملك عبدالعزيز:

يعد عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود استمرارًا طبيعيًا للنهج الذي سارت عليه الدولة السعودية منذ نشأتها في تشجيع العلم، ومؤازرة طلابه وعقد مجالسه، وإنشاء مدارسه، والاحتفاظ بمصادره. وتأليف الكتب التي تشرح الدعوة السلفية وترد على أعدائها وتداول الكتب الأصول التي تعتمدها الدعوة السلفية.

ولقد جاء عهد الملك عبدالعزيز في بداية عصر اتساع المعلومات، وسهولة انتشارها عن طريق الطباعة التي كانت سائدة في مراكز الهند ومصر والشام، فكان أن انتفع الملك المؤسس بهذه الوسائل الحديثة في نشر كتب العقيدة السلفية، وإحياء مذهب الإمام أحمد بن حنبل، والإفادة من مصادر التراث الأخرى في التفسير والحديث، وما تمس إليه حاجة طلاب العلم.

أ- نشر الكتب قبل توحيد المملكة:

تميَّز عهد الملك عبدالعزيز بفترتين إحداهما: تلك التي سبقت دخوله مكة المكرمة سنة ١٣٤٣هـ والثانية: بعد دخوله مكة وتوحيده المملكة.

وفي الفترة الأولى اعتمد الملك المؤسس على مطابع خارج البلاد من أجل نشر كتب التراث بين مواطنيه، على الرغم من تواضع واردات الدولة في ذالك العهد المبكر.

وكانت الهند في مقدمة البلدان التي تولت طبع كتب التراث للملك عبدالعزيز والواقع أنها كانت في مقدمة البلدان التي اتصلت بالدعوة السلفية منذ عهد مبكر، وقد توثقت هذه الصلات بالرحلة إليها من قبل بعض علماء السلفية، كالعلامة الشيخ سعد بن عتيق الذي سافر إلى الهند في نهاية القرن الثالث عشر الهجري سنة ١٢٩٩هـ واجتمع بعلمائها، وقرأ على بعضهم، واستقر بها تسع سنين، وكذالك الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ الذي سافر إلى الهند سنة ١٣٠٩هـ.

وليس من السهل معرفة الزمن الذي بدأ في نشر الكتب السلفية والمذهب الحنبلي في الهند، ولكن من المرجح أن يكون ذالك قد تم في بداية القرن الرابع عشر الهجري، إذ إن أقدم كتاب اطلعنا عليه من مطبوعات الهند باهتمام أحد أبناء الجزيرة العربية هو كتاب «دليل الطالب» في الفقه الحنبلي للشيخ مرعي بن يوسف المقدسي وقد طبع سنة ١٣٠٧هـ باهتمام إبراهيم المنديل البصري مسكنًا والنجدي أصلًا ومذهبًا في (المطبعة الحيدرية) في بمبي، وقد طبع كتاب «التوحيد» للشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١٣٠٨هـ وبعده بعام طبع كتاب «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (بطبعة ديرسات) في بومبي. ثم طبع بعد ذلك بعامين كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للعلامة الشيخ

عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ بـ (المطبع الأنصاري) في بلدة دهلي سنة ١٣١١هـ، كما طبع في السنة نفسها كتاب «مدارج السالكين لابن القيم»، ويليه كتاب «الإيمان» لابن تيمية في المطبعة نفسها. وفي سنة ١٣١٣هـ طبعت هذه المطبعة كتاب «إحكام الأحكام شرح أحاديث سيد الأنام» للشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، وعلى غلاف الكتاب أعلنت المطبعة عن كتاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن القيم وكتاب «الرد على المنطقيين» لابن تيمية، و «مجموعة التوحيد النجدية»، و «مجموعة الحديث»، وكان الإعلان بالأوردية مما يدل على انتشار هذه الكتب بين الهنود أنفسهم.

وقد تتابع النشر من خلال مطابع الهند في ثلاثة مراكز، تمثلها في الغالب:

١- مدينة بمبي وهي أكثر المدن نشرًا للمطبوعات السلفية، إذ نشطت فيها أربع مطابع هي:

أ- المطبعة المصطفوية. ب- مطبعة ديرسات.

ج- مطبعة كلزار حسني. د- المطبعة الحيدرية.

٢- مدينة دهلي حيث يوجد المطبع الأنصاري والمطبع المجتبائي.

٣- مدينة امر تسر حيث مطبع «القرآن والسنة».

صدرت عن هذه المطابع معظم مؤلفات الدعوة السلفية، وخاصة ما يتعلق منها بالردود التي سطرها علماء الدعوة من أمثال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، والشيخ سليمان بن سحمان، كما طبع الملك عبدالعزيز بعض مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، و «تاريخ ابن غنام» وغير ذالك.

أما في مصر فقد كان بعض الموسرين من أبناء الجزيرة من محبي عقيدة السلف والمنتمين إلى مذهب الحنبلي يقومون بطبع كتب المذهب. وأقدم ما اطلعنا عليه كتاب «المآرب بشرح دليل الطالب» للشيخ عبدالقادر بن عمر الشيباني وهو شرح لـ «دليل الطالب» في الفقه الحنبلي للشيخ مرعي بن يوسف

المقــدسي الكرمي، وقد صدر في مجلدين طبعا في مصر سنة ١٢٨٨هـ، وكانت هذه الطبعة على ذمة الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم من أهالي الكويت.

وفي مطلع القرن الـرابع عشر بزغ نجم تاجـر من أضخم تجار الجزيرة العـربية وأكثرهم تأثيـرًا في هذا المجال هو مقبل بن عبـدالرحمن الذكير، الـذي كان مقيمًا في البحرين فتجـرد لنشر بعض كتب الفقه الحنبلي الضخمة، ولعل أهمهـا كتاب «كشـاف القناع عن متن الإقنـاع» للشيخ منصور بن إدريس البهـوتي الحنبلي (ت ١٠٥١هـ) الـذي طبع في (المطبعة الشرفيـة) سنة ١٣١٩هـ وقد وزع مجـانًا على طلبـة العلم. كما نشـر «فتـاوى شيخ الإسـلام ابن تيمية» (ت ٧٢٨هـ) فيمـا بين عامي ١٣٢٦ و ١٣٢٩هـ، وكتابي «إعـلام الموقعين» و «حـادي الأرواح إلى بلاد الأفـراح» لابن القيم. كما نشـر رسالـة للشيخ سليمان بن سحمـان بعنوان «تأييـد مذهب السلف وكشف شبهـات من حاد وانحراف ودعى باليمـاني شرف» وذالك سنة ١٣٢٢هـ وهـو رد شعري أعقبه بيان عن عقيدة الشيخ محمد بن عبـدالوهاب وما يراه أتباعه.

وتبرز في أواخر هـذه الفترة التي سبقت دخول الملك عبدالعزيز مكـة المكرمة دار كان لها أثر كبير في نشر تـراث الدعوة السلفية وكتب الفقه الحنبلي ، تلك هي (دار مجلة المنار) لمنشئها السيد محمد رشيد رضا.

كان السيـد محمد رشيـد رضا - وهـو تلميذ للشيخ محمـد عبده - سلفيًـا قبل أن يتصل بالملك عبدالعـزيز، فمنذ بدايـة العقد الثاني من القرن الـرابع عشر الهجري - عندما أنشأ مجلة «المنار» - كانت الأفكار الإصلاحية تظهر بشكل واضح في مجلته، كما أنه سبق أن نشر كتبًا في الفقه الحنبلي منـذ أوائل العشرينيات الهجرية، فقد نشر كتاب «المقنع» للشيخ موفـق الدين بن قدامة (ت ٦٢٠هـ) على نسخـة وصفت بأنها جميلة الخط، كتبت سنـة ١٢٢٧هـ على نفقـة أحد المحسنين. وقد بين السيـد رشيد

رضا بأن علاقته بالفكرة السلفية لم تأت بسبب اتصاله بالملك عبدالعزيز، وإنما سبقت ذالك بمدة طويلة، وأنه أول ما عرف الصورة الحقيقية لعقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنه وأتباعه قوم مصلحون كان ذالك بعد قدومه إلى مصر، وأول رجل سمع منذ ذالك هو محمد مسعود بك المصري الكاتب المشهور، ثم اطلع على ما كتبه مؤرخ عصر ظهورهم الشيخ عبدالرحمن الجبرتي الأزهري، وما كتبه محمود فهمي المهندس المصري في تاريخ «البحر الزاخر» وما كتبه صاحب «الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى» ثم ما كتبه الشيخ عبدالباسط الفاخوري مفتي بيروت في كتابه «تاريخ الإسلام»، وقد عجب كيف تجرأ على مدح أتباع الدعوة السلفية في عهد السلطان عبدالحميد، ثم رأى شيخه الشيخ محمد عبده في مصر يثني على كتابي الشيخ محمد بن عبدالوهاب: كتاب «التوحيد»، وكتاب «كشف الشبهات» ووجد رأيه موافقًا لرأي محمد بك مسعود[٢٢].

ومن المعروف أن السيد محمد رشيد رضا قد حج سنة ١٣٤٤هـ، وفي ذالك الوقت قابل الملك عبدالعزيز، وأفاد من رحلته تلك بالإطلاع على مخطوطة في (مكتبة الحرم الملكي) لـ «تفسير ابن كثير» كانت مكتوبة في عصر المؤلف ومقابلة على أصله، وقد اعتمدها لطبع التفسير فيما بعده[٢٣].

طبعت (مطبعة المنار) أمهات الكتب في مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وأعادت طبع كثير من كتب الدعوة السلفية، وكانت مطبوعات الملك عبدالعزيز أهم ما طبع من تلك المؤلفات وخاصة ما أمر بطباعته قبل بلوغه مكة. فقد بدئ في عام ١٣٤١هـ بطبع كتاب «المغني» لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة (ت ٦٢٠هـ) شرح مختصر أبي القاسم عمر بن الحسين الخرقي (ت ٣٣٤هـ) في الفقه الحنبلي. وهو كتاب موسوعي كبير في فقه المذاهب جميعًا. كما نشر كتاب «الشرح الكبير» لشمس الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن محمد بن أحمد ابن قدامة (ت ٦٨٢هـ) شرح به «متن المقنع» لموفق الدين عبدالله بن قدامة

صاحب «المغني». ومما نشرته هذه المطبعة للملك عبدالعزيز «تفسير ابن كثير»، و «تفسير البغوي»، ورسائل وفتاوي لابن تيمية، مثل «التوسل والوسيلة»، و«إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان» له وطبعت من مؤلفات ابن القيم «مدارج السالكين» في ٣ أجزاء، و «شرح عقيدة السفاريني»، و «الآداب الشرعية» لابن مفلح المقدسي سنة ١٣٤٨هـ ومن تراث علماء الدعوة نشرت «إرشاد الطالب إلى أهم المطالب» للشيخ سليمان بن سحمان، و «الهدية السنية» له، و «الرسائل والمسائل النجدية» ومجموعة متون.

وسنتحدث عن بعض هذه المطبوعات مفصلًا عند الحديث عن مجالات النشر والتحقيق.

ب- نشر الكتب بعد توحيد المملكة:

بعد بلوغ الملك عبدالعزيز مكة سنة ١٣٤٣هـ امتلكت الدولة أول مطبعة لها ممثلة في (مطبعة أم القرى) التي خلفت (المطبعة الأميرية العثمانية)، وقد أجريت على هذه المطبعة إصلاحات كثيرة، ولحقها تطوير كبير كي تقابل الطلب المتزايد على نشر الكتب السلفية بالدرجة الأولى، واحتياجات العلماء من أبناء البلاد من جهة ثانية.

ولعلَّ أول ما نشرته هذه المطبعة في هذا العهد هو «مجموعة التوحيد» التي انتهى طبعها في نهاية شوال سنة ١٣٤٣هـ، أي بعد أقل من ستة أشهر من دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة، وقد صدرها يوسف ياسين بمقدمة أشار فيها إلى حرص الملك عبدالعزيز على توعية الناس، من منطلق الحاجة إلى هذا الكتاب الذي رأى أن ينشر ليقرأه الخاص والعام[٢٤].

ثم تولت هذه المطبعة نشر مجموعة من أهم المجموعات السلفية، تضم رسائل ومسائل لعلماء نجد من عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الوقت

الذي جمعت فيه، تلك هي مجموعة «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» التي جمعها الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، كما نشرت «كتاب الزهد» للإمام أحمد بن حنبل.

وغير الكتب الدينية نشرت المطبعة كتبًا أخرى، مثل «تاريخ أحمد بن محمد ابن لعبون» سنة ١٣٥٧هـ، إلى جانب تلبيتها احتياجات الدولة من المطبوعات وطباعة بعض مؤلفات المعاصرين التي لا تعنينا في هذا البحث.

وشارك (مطبعة أم القرى) مطابع أخرى في مكة، كـ (المطبعة الماجدية) التي أصدرت سنة ١٣٥٢هـ، «تاريخ مكة» للأزرقي بتحقيق رشدي الصالح ملحس. و(المطبعة السلفية) التي كان من مشاريعها أول تأسيسها (١٣٤٧هـ) نشر عشر رسائل من تراث السلف الصالح بعنوان «مجموعة الرسائل السلفية»، كما أخرجت كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» لعثمان بن بشر وكتاب «السنة» للإمام أحمد بن حنبل سنة ١٣٤٩هـ. و (المطبعة العربية) التي نشرت «حاشية الأجرومية» لعبدالرحمن بن محمد بن قاسم.

غير أن النشر خارج المملكة لم ينقطع، فقد استمرت مصادر الهند ومصر والشام في إمداد البلاد بالكتب المطبوعة على حساب الدولة والناشرين الأفراد.

ومع ذالك فإن الملك عبدالعزيز لم يكن يقتصر تشجيع نشر التراث عنده على ماكان يطبعه على حسابه من هذه الكتب، وإنما كان يشتري أعدادًا كبيرة من المطبوعات التي تخدم أهداف الدعوة السلفية، أو تفيد طلاب العلم في مجال الفقه الحنبلي، مما أدى إلى رواج كثير من هذه الكتب، وازدياد حركة نشرها. وقد أشارت إلى ذالك افتتاحية أحد أعداد «أم القرى» الصادرة سنة ١٣٤٧هـ بعنوان (الدين يقضي على الأمية، مئة ألف نسخة ونيف من الكتب يطبعها جلالة الملك) ومما قاله الكاتب فيها: (ولا نغالي إذا قلنا: إنه قلما يصل بريد إلى العُقَير

مرفأ نجد في الخليج... أو جدة مرفأ الحجاز في بحر القلزم لا يحمل بين مشحوناته طرودًا من الكتب المطبوعة الواردة باسم ديوان جلالة الملك الخاص لتوزيعها مجانًا، ابتغاء مرضاة الله وحبًا بنشر الثقافة)[٢٥].

وبدأت «أم القرى» في افتتاحية العدد ٢١٩ (٢٧ رمضان سنة ١٣٤٧هـ) بإيراد قوائم لما طبع على حساب الملك المؤسس. وقال الكاتب: (أراد الملك عبدالعزيز أن ينشر الدعوة إلى الدين الخالص في سائر الأمصار، فاستشار العلماء في خير الكتب التي ينبغي نشرها بين الناس ليعمل جهده في توفيرها، فذكرت له الكتب التي تبين حقيقة التوحيد، ومنها ما هو مطبوع، ومنها مالم يطبع، فاشترى من المطبوع مئات الكتب والألوف، ومالم يطبع منها أمر بطبعه وتوزيعه)[٢٦].

وكان عبدالملك عبدالعزيز - رحمه الله - متابعًا لحركة نشر الكتب التراثية، كما كان على علم بمخطوطات بعض الكتب التي يتوق إلى نشرها، وأماكن وجودها. ففي حديث أجراه معه الشيخ عبدالعزيز الرشيد صاحب مجلة «الكويت» سنة ١٣٤٨هـ تمنى الشيخ عبدالعزيز على الملك أن ينشر «تفسير ابن تيمية»، فرد عليه الملك بأنه كان راغبًا كل الرغبة في طبع هذا التفسير، ولكنه لا يعلم أين يوجد، فرد عليه الشيخ عبدالعزيز بأن الشيخ محمد حسين نصيف أخبره أنه يوجد في (عكا) من مدن الشام. فقال الملك: (لا يبعد أن يوجد هناك أو في مكاتب الشام وغيرها، لكنه إذا ما وجد لا يوجد إلا مخرومًا). ثم يكشف الملك عن مشروع في غاية الأهمية وهو أن من المحتمل أن توجد الكتب التي يرغب نشرها في مكتبات أوروبا، إذا لم توجد في مكتبات الشرق، ولذالك فإنَّ (في العزم إرسال شخص من أهل العلم والمعرفة إلى أوروبا ليبحث عمَّا يهم، وسنصحبه بتوصيات تسهل عليه مهمته، كلما وجد شيئًا مما نريد أخذه، ولو بالفتوغراف ثم بعثه إلينا)[٢٧].

وهذا يعني أن مشروع الملك عبدالعزيز كان طموحًا بحيث يشمل البحث عن المخطوطات خارج البلاد العربية وفي أوروبا على وجه الخصوص، وإحضار هذه المخطوطات، أو إحضار صور منها، ثم طبعها وتوزيعها على الناس، وهو تفكير سبق كثيرًا المحاولات العربية الرسمية المعاصرة لجلب المخطوطات بالتصوير من خارج البلاد العربية.

وكان عهد الملك عبدالعزيز إرهاصًا بظهور نهضة طباعية في المملكة، ازدهرت فيما بعد لتغطي مدن المملكة الرئيسة، وتآزرت الجهود فيها على نشر التراث وتحقيقه ضمن مسارات مختلفة، وتبع ذالك إنشاء مؤسسات تابعة للدولة تعنى بالتراث فلم يعد الديوان الملكي كما كان في عهد الملك المؤسس هو الذي يتولى الطباعة والتوزيع، وإنما أسندت المهمة إلى رئاسة القضاء ثم إلى الرئاسة العامة للافتاء والشؤون الدينية (التي تغيَّر اسمها فيما بعد إلى الرئاسة العامة للافتاء والدعوة والإرشاد)، وأنشئ سنة ١٣٧٦هـ ما سُمي بالمستودع العام للكتب والمطبوعات، التابع لهذه الرئاسة، وأصبحت هذه الرئاسة توزع كتب الدعوة السلفية والكتب الدينية الأخرى التي تطبع على حساب المملكة، أو التي تطبعها أو تقتنيها حسب ما تراه، وذالك استمرار لما كان يقوم به الديوان الملكي أيام الملك عبدالعزيز - رحمه الله -.

ويدخل ضمن المسار الحكومي ما قامت به مؤسسات الدولة الأخرى مثل الوزارات التي كانت تهتم بالطباعة أو الاقتناء مثل (وزارة المعارف) و (وزارة الإعلام) ولكن أهم مسار حكومي يمكن أن يكون ذا أثر كبير في إحياء التراث في المملكة. وتشجيع تحقيقه ونشره هو قطاع الجامعات، التي كان إنشاؤها فتحًا جديدًا لنشر التراث في المملكة، وخطوة مهمة لتوطين التحقيق العلمي وازدهاره.

(للبحث صلة)

د. أحمد بن محمد الضبيب

الحواشي:

(١) ابن بشـر، عثمان، «عنـوان المجد في تـاريخ نجد»، تحقيق، عبـدالرحمن بن عبـداللطيف آل الشيخ، ط ٤، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ - ١/ ١٨٢.

(٢) نفسه، ٤٣. (٣) نفسه، ١/ ٢٧٦. (٤) نفسه، ١/ ٣٤٣ و ٣٤٥.

(٥) نفسه، ١/ ٣٤٨. (٦) نفسه، ١/ ٣٥٠. (٧) نفسه، ١/ ٤٢٢.

(٨) نفسه، ٢/ ١١٢ - ١١٣. (٩) نفسه، ٢/ ٢٣٥ و ٢٥٦.

(١٠) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، ط ١، مط. أم القرى سنة ١٣٥٢هـ ١/ ٢٣.

(١١) ابن بشر، «عنوان المجد»، ١/ ٤٧.

(١٢) ابن حميد، محمـد بن عبدالله، «السحب الوابلـة على ضرائح الحنـابلة»، تحقيق عبدالـرحمن بن سليمان العثيمين، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١/ ٢٨١ - ٢٨٣.

(١٣) بوركهارت، جون ليس، «رحلات في جزيرة العرب» ترجمة عبدالعزيز صالح الهلابي، وعبدالرحمن عبدالله الشيخ، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٣هـ، ص ١٩٦.

(١٤) نفسه، ص ٣٥٨.

(١٥) غالب، محمد أديب، «من أخبـار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي»، ط ١، الريـاض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٣٩٥هـ، ص ١٧٥.

(١٦) ابن بشر، «عنوان المجد»، ٢/ ٤٣.

(١٧) نفسه، ١/ ٣٥.

(١٨) ابن بسام، عبـدالله بن عبدالرحمـن، «علماء نجد خـلال ستة قرون»، ط ١، مكـة المكرمة، مطبعـة النهضة الحديثة، بلا تاريخ، ١/ ٢٩٣.

(١٩) نفسه، ١/ ٢٥٥. (٢٠) نفسه، ٢/ ٣٥٨ و ٣٤٥. (٢١) نفسه، ١/ ٢٣٥ و ٣٠٨.

(٢٢) مجلة «المنار» مج ٢٨ ج ١، ص ٣، ووازن بمقدمـة محمد رشيد رضا لكتاب «صيانـة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»، القاهرة، مط. المنار سنة ١٣٥١هـ، ص ٢٨.

(٢٣) ابن كثير، «فضـائل القرآن»، ذيل الجـزء التاسع من «تفسيـر ابن كثير» والبغوي، القـاهرة، مط. المنـار، سنة ١٣٤٧هـ، ص ٩٥.

(٢٤) «مجموعة التوحيد»، مكة المكرمة، مط. أم القرى سنة ١٣٤٣هـ المقدمة.

(٢٥) «أم القرى»، العدد ٢١٤، ٢١ شعبان سنة ١٣٤٧هـ، ص ١.

(٢٦) «أم القرى»، العدد ٢١٩، ٢٧ رمضان سنة ١٣٤٧هـ ص ١.

(٢٧) مجلة «الكويت» مج ٢، ج ١٠، سنة ١٣٤٨هـ، ص ٣٨١.

مِمّا أخلّت به الدواوين

(٣)

ابن بسام: صُنِع ديوانه مـرّتين، صنعه في المرّة الأولى الدكتور مـزهر السوداني، ونشرَه في «المورد» العدد الثاني من المجلّـد الخامس عشر الصادر عام: ١٩٨٦، واستدرك على هذا العمل الأستـاذ هلال ناجي، ثمَّ صنعه مرّةً ثانيـة الدكتور يونس أحمد السامرّائي، ونشرَه في الجزء الثاني من كتابه: «شعراء عبّاسيون».

ويلاحظ علـى نشرة السامـرّائي باديْ ذي بـدءٍ أنَّها لم تنتفع بمستـدرَك الأستاذ هلال، ولعلَّ عمل الـدكتور السامـرائي قد سبق المستدرك ففـوَّت عليه إضافـة ما صحَّ أنه لابن بسّام من شِعرٍ.

أقول هـذا لأنني لاحظتُ أن استدراك الأستـاذين هلال نـاجي، ونوري القيسي في كتـابهما: «المستـدرك على صُنّـاع الدواوين» فيـه الكثيـر من العجلة، وعـدم التثبت، فمن آيات ذالك – وأنـا أُمثِّل ولا أستقصي – أن ورَّطاني وهما يستـدركان عليَّ ما فـاتني من شِعر الحمّانـي بنسبة شِعرٍ ليس لـه. فقد وجدتُهمـا ينسبان إلى الحمّاني نِسبةً مطمئنة قوله:

ألم أكُ يـومَ الـرَّوعِ أوّل طـاعِنٍ   وإن كنتُ وسطَ الحيِّ كنتُ لهم مُزنا[1]

ثمَّ أحـالَا المُستـدرَك على: «الـدر الفـريـد» ٢: ٢٣٢. وإذ رجعتُ إلى «الـدرّ» وجدتُه يقول: (عليّ بن محمد صاحب البصرة) فلم يكن بوسعي أن أحذف البيت – وأنـا أُصحِّـح تجارب الطبع – وأضع الفهـارس، فـاضطـررتُ إلى التصحيح في الحاشية. أمّا الورطات الأخرى التي أرادا أن يـورّطاني بها – دونما قصدٍ منهما – فقد نجوتُ منهـا لأنني كنتُ على علمٍ بأن ما يرويان ليس للحمّـاني. وقد فصَّلتُ ذالك في مقدِّمة الديوان؛ إذ أوقفتُها على مناقشة المستدرك على ديوان الحِمّاني.

أعود إلـى رأس أمري فأقـول: ما زلتُ أطمحُ أن يُـرزق «ديوان ابن بسّـام» طبعة أخـرى يُفيد فيهـا الدكتـور يونس من مستـدرك الأستاذ هـلال عليه، على أن يُنقِّـر

بنفســـــه في صحّة النسبة. فقد وجدتُ الأستاذ هلالًا وهو يستدرك على الدكتور السودانيّ صنعته «ديوان عليّ بن محمد بن بسام» يقول على الصفحة: ١٣ إنَّ مما فاتَه قول ابن بسّام:

يُحِبُّ المـديحَ أبـو ثـابتٍ [كـذا] ويفـــرَق من صِلِـــة المــــادحِ
كبكـــرٍ تُحِبُّ لـــذيـــذَ النكـــاحِ وتفـــرَق مـن صـــوْلـــةِ النــــاكحِ

والأدباء والمتأدِّبون جميعًا يعـرفون أنّهما لإبراهيم بن هرمة، وقـد وردا في ديوانه بطبعتيه النجفيّة والدمشقية، وأن روايتهما:... أبو خالدٍ لا أبو ثابت...

ووجدتُه يقول على الصفحة: ١٢ (قال ابنُ بسّام وتُروى لعبدالصمد بن المُعذَّل:

تجــــاوز نِسبـــــةَ المــــولـى وأصبح يــــدَّعـي العــــرَبـــا...)

أقول: هـذه الأبيات قد رواهـا أبو الفرج الأصبهـاني في «الأغاني» بقولـه: (كان لعليِّ بن الخليل الكـوفي صـديق من الدهـاقين يعـاشِرهُ ويبـرّه، فغـاب عنه مـدَّة طويلةً، وعاد إلى الكوفة، وقد أصاب مـالًا ورِفعةً، وقويت حالُه؛ فادّعى أنَّه من بني تميم، فجاءه عليٌّ بن الخليل فلم يأذن له، ولقِيَه فلم يُسلِّم عليه، فقال عليّ...:

يـــــروح بنسبـــــةِ المــــولـى ويُصبِحُ يـــدّعي العـــرَبـــا...)

هذا وعدتها ستـة عشر بيتًا في «الأغاني»، أي: بزيادة أربعـة أبيات عمّا ورد في المستدرك نقلًا عن مخطوطة «المناقب والمثالب».

ونسب إلى ابن بسّام على الصفحة: ١٦ البيتين القائلين:

لأشكـرنَّـك معـروفًـا هممـتَ بـه إنَّ اهتمـامَـك بـالمعـروف معـروفُ
ولا أذمّك إن لـم يُمضِــه قـــدرٌ فـالشيء بـالقـدر المحتـوم مصـروفُ

أقـول: البيتـان لابن حـازم البـاهليّ في «ديـوانـه»: ٧٣، وشطـرٌ منهمـا لـه في «الأمثال» للخوارزمي، والبيتان له في «المنتحل»، و «مجمـوعة المعاني»، و«نهاية الأرب»، ولـلاستزادة في أمـر نسبتهما تُنظـر حاشيـة الدكتـور البقاعي في صفحـة الديوان المذكورة.

آتي بعد هذا إلى مـا وجدتُه من شِعرٍ منسوبٍ لابن بسّام لم أجـده لا في ديوانِه صنعة السـامرّائي ولا في «المستدرك على صُنّـاع الدواوين». وإذ أقـول: لم أجده فيهما فإنَّ هـذا يعني أنها غيـر موجودة فـي نشرة الدكتـور السودانيّ، لأن الـدكتور السـامرّائي أفـاد ممـا ذكر الـدكتـور السـوداني ماليس في مجمـوعـه فأدرج عمل السـوداني فيـه، إذًا آتي إلى ما نُسِب لابـن بسام فأقـول: لستُ أزعُم لنفسي - ومـا ينبغي لي - أنَّ كل مـا أُورِدُ من شِعرٍ هـو لابن بسّام تحقيقًـا، وإنما أزعم لهـا أنني وجدتُ هذا الشِّعرَ منسوبًا إليه في «الـدرّ الفريد وبيت القصيد»، وما أقوله عن ابن بسّام أقوله عن كلِّ ما أستدرك.

أورد الدكتور يونس لابن بسّام قوله:

مــــا للنســــاء وللكتـــا ... بــةِ، والعمـــالـــةِ والخطــابــه
هـــذا لنـــا، ولهـنَّ منّــا (م) ... أن يبتـنَ علـى جَنــــابـــه

وأقول: تمام الأبيات كما هي في المصدر المذكور:

قُـل للمُقــدَّم فـي الــريـا ... ســةِ والسيــاســة والكتــابــه
مــــاذا رأيتَ إذ اصطَنعـــ ... ــتَ العُـرفَ عنـد بني ثـوابـه؟
لا سيَّمــا هـــذي المُخنَّـــ ... ــثةُ التي تُـدعـى: لُبـابَـه
مــا للنســـاء ....

وقال البسّامي:

مُحبَّبٌ فـي قلـوبِ النـاسِ كُلِّهمُ ... فكـلُّ قلبٍ إليـهِ مـائلٌ كِلِفُ

وقال البسّاميُّ:

مـن سـرَّهُ العيـدُ الجديـــ ... ــدُ فقـد عـدمتُ بـه السـرورا
كـــان الســـرورُ يتـمُّ لـي ... لــو كـان أحبـابي حُضـورا

وقال البسّاميُّ:

وإن كنتَ تبغي البِـرَّ فـاقطعْ زيـارتي ... ففي النـاسِ إخـوانٌ جفـاؤهم بِـرُّ

وقال البسّامي:

وَدَّعتُهمْ من حيثُ لم يعلموا ... ورُحتُ والقلبُ بهم مُغرَمُ

واستحسنوا ظُلمي فمن أجلِهِمْ ... أحبَّ قلبي كلَّ من يظلِمُ

وقال البسّامي:

قد قلتُ لمّا أن قضى نحبَهُ ... لا ردَّكَ الرحمانُ من هالكِ

يا مَلكَ الموتِ تسلَّمتَهُ ... منّا فسلّمهُ إلى مالكِ

وأنشد ابنُ بسّام:

أسمعني المكروهَ ثمَّ اشتفى ... ثمَّ انثنى بالعُذرِ الفاضحِ

يقول: سُكرٌ ومِزاحٌ جرى ... والصِّدقُ للسكرانِ والمازحِ

وقال ابنُ بسّام في عليٍّ بن الجهم يهجوه:

أُمُّ عليٍّ لِمْ ولدتيه ... مُضمَّخاً بالكِبرِ والتيه؟

ليتَكِ إذ جئتِ به هكذا ... أكلتِهِ لمّا خَرَيْتِيه

وقال ابنُ بسّام:

أنتِ الذي طوَّقتني نِعمًا ... ورددتَ منّي الروحَ للجسدِ

وروى الدكتور السامرائي قولَه من مُقطَّعة تحت رقم: (١٥١):

ولا خير في اللفظِ الكريهِ استماعُهُ ... ولا في قبيحِ اللحنِ، والقصدُ بيِّنُ

أقول: روايته في «الدر» هي:

ولا خير في لفظٍ كريهٍ سماعُهُ ... ولا في قبيحِ اللحنِ، واللحنُ أشينُ

وقال البسّاميُّ:

سألتُ بالفراقِ صَبًّا وما يُنـ ... ـبِئُها بالفراقِ مثلُ خبيرِ

هو بينَ الحشا صدوعٌ، وفي الأعـ ... ـينِ ماءٌ، وجمرةٌ في الصدورِ

وأورد الدكتور يونس تحت رقم (١٠) ثلاثة أبيات مطلعها:

لســـــاني بـــالثنـــاء عليـك رطبُ وبـــالمكــــروه إن أحببـتَ عضب

أقول روى ابـنُ أيْدَمِـر الأبياتَ ستَّـةً لا ثلاثةً وذكـر مناسبتهـا فقال: (كـان ابنُ الفيّاض يُكـاتب البسّاميَّ الشاعـر، فنقصه في بعض مكـاتباتِه من الـدعاء؛ فكتب البساميُّ إليه:

لســـــاني بـــالثنـــاء عليـك رطبُ وبـــالمكــــروه إن أحببـتَ عضبُ

وأنت مُخيَّـــرٌ فـــاخْتَـــرْ فـإنيّ لِمــــا أحببـتَ من أمـــرٍ مُحِـبُّ

فكم مـن مـــرَّةٍ قـــد ضـــاق رزقي فـأنكِـــــرُ نيَّتـي، والـــرَّبُّ ربُّ

نقصتَني الــــدّعـــــاءَ، وذاك شيءٌ علـى مثلي مـن الأحــــرار صعـبُ

وكنتُ أقــولُ إن أقصـــرتَ فيمـــا[٢] أؤمِّلُـــهُ: عَـــذرتُ، وذاك كِــذبُ

فإنْ عـــاودَتني فـأقمتُ يـــومًـــا فمـــــا لـكَ إن أسـأتَ إليَّ ذنـبُ

وأريد أن ألاحظ أن قـوله: (ابن الفياض) ربّمـا كان مُصحَّفًـا عن: أبي الفيّاض سوار بن أبي شراعة.

وقال عليُّ بنُ محمَد البسامي:

فـوِّض إلى الـرحمـــان، واصبـرْ لِمـا تأتـي بـــه أحكــــامُــــه واقنعِ

هذا ما وجـدتُه في «الدر الفريـد»، وهنالك فيه وفي سواه من شعـرِه الذي ضمَّه ديوانُه ما يحسنُ أن يُخرَّج عليه؛ ولكن لـم أشأ لنفسي أن أنوبَ عن الأستاذ الفاضلِ الدكتـور السامرّائي؛ فهـو أعرف بابن بسّـامٍ منّي، وأقدر على تلافي مـا يقعُ فيه كلُّ من انتصب لعملٍ مشكور مثل عملِه.

بقي لـديَّ شيءٌ لا أرى أن أسكتَ عنه يتعلَّقُ بكـلام الله تعالى هـو أن الدكتـور الفاضل قـد قال مُعلّقًـا على قول ابن بسّام في الإمـام عليّ بن أبي طالـب ومكـانته من رسول الله ﷺ:

صيَّـــره هـــارونَ في قـــومِـــه لعــــاجلِ الــــدُّنيـــا وللـــدين

أقول: قال الدكتور يونس السامرّائي مُعلّقًا: (يُريدُ قولَه تعالى: أنت منّي بمنزِلة هارون من موسى). ثم بلغ من اليقين بصحّة قولِه أن علّق على قول ابن بسّام:

فارجع إلى الأعراف حتّى ترى ... ما فعل القومُ بهارونِ

فقال: (لم نجد في سورة الأعراف عن هارون سوى قولِه تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلِح ولا تتبع سبيل المُفسدين﴾).

أقول: لو كان قوله ﷺ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» من كلام الله لكانت مذاهِبُ أهل السُّنَّة برُمَّتها باطلةً، وهذا مالم يقل به أحدٌ من المسلمين، ولا يقول به عاقلٌ. إنّما القول من حديث رسول الله. وأتذكَّر أنني قرأتُ في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد - يوم كنتُ في العراق وأنا لا أملك الكتاب الآن لأحقق ما أتذكر - قوله بعد أن ساق الحديث: (إنْ صحَّ حديثُ المنزلةِ فعليٌّ أفضلُ الصحابة). والحديث مرويٌّ في «جامع السيوطي» من طريقين: سعدٍ، وجابر نقلًا عن «صحيح مُسلم» والترمذي. وقال ناصر الدين الألباني وهو يُخرِّجه: (صحيح).

وضّاح اليمن: وقد صنع ديوانَه الدكتور رضا الحبيب السويسي في كتابِه: «وضاح اليمن، الشاعر وقصَّتُه...» ونشرته كليّة التربية في جامعة طرابلس بليبيا سنة: ١٩٧٤.

وقلتُ: إنَّ الدكتور رضا قد صنع ديوانَه تجوّزًا، وإلّا فإن الدكتور رضا اعتمد في صنعتِه مصدرًا واحدًا هو كتاب «الأغاني» قائلًا عنه: (مُستَخرجٌ جميعه من كتاب «الأغاني» ٦: ٢٠٩ وما بعدها حيث لا يوجَد منه ما يُذكر في غير هذا المرجع [كذا]...)[٣].

أقولُ: وردت ثلاثةُ أبياتٍ من قولِه:

حتّام نكتم حزنَنا حتّاما ... وعلامَ نستبقي الدموعَ علاما

في «وفيات الأعيان». وورد بيتان من قولِه:

ترجَّل وضّاحٌ وأسبلَ بعدما ... تكهَّل حينًا في الكهول وما احتلم

فيه أيضًا. وكان يحسُن أن تُخرَّج تلك الأبيات عليه.

وروى له أبو تمام في «الحماسة» قوله:

لا قُوَّتي قوَّةُ الراعي قلائصَهُ ... يأوي إليه فيأوي الكلبُ والرُّبَعُ

ولا العسيفُ الذي يشتدُّ عُقبته ... حتّى يبيتَ وباقي نعلِهِ قِطَعُ

لا يحملُ العبدُ فينا فوق طاقتِهِ ... ونحنُ نحملُ ما لا تحمِلُ القَلَعُ

منّا الأناةُ وبعضُ القوم يحسبُنا ... أنّا بِطاءٌ وفي إبطائنا سَرَعُ

وأورد الدكتور السويسي لوضّاح ثمانية أبيات تحت رقم (١٩)، وكان يحسُن به أن يرجع إلى «حماسة أبي تمام» فقد روى بيتين مما ورد في شعرِه بصورة مختلفة، وأضاف إلى الأبيات بيتين جديدين. وسأُثبتُ المقطَّعة كما رواها أبو تمام:

من مُبلِغُ الحجّاج عنّي رسالةً ... فإن شئتَ فاقطعني كما قُطِعَ السَّلا

وإن شئتَ أقبلنا بموسى رميضةٍ ... جميعًا فقطّعنا بها عُقَدَ العُرى

وإن قلتَ: لا، إلّا التفرّق والنوى ... فبُعدًا، أدامَ الله تفرِقةَ النَّوى

فإني أرى في عينكِ الجذعَ مُعرِضًا ... وتعجبُ أن أبصرتَ في عيني القذى

هذا وقد ورد البيتُ الأخير في «الدر الفريد» له أيضًا.

أما المقطّعة رقم (٨) فقد ورد منها بيتان في «التذكرة السعديَّة».

وسأنقلُ ما وجدتُ في «الدر الفريد» من شِعرٍ منسوبٍ إليه فأقول: إنّ ابنَ أيْدَمِر عرَّف به فقال: (حاشية: هو وضاح اليمن بن إسماعيل بن عبد كلال بن داوود بن أبي أحمد اليماني).

ويلفت النظر في أسماء آبائه أن من سمّاهُ ابنُ أيْدَمِر داوود هو: داذُ عند أبي الفرج الأصبهانيّ.

وقال وضاح اليمن:

وقائلةٍ والليلُ قد صبغَ الرُّبى ... بصبغٍ تغشّى كلَّ حَزنٍ وفَدفَدِ

أرى بـارقًـا يبدو من الجوسقِ الـذي ... بـه حلَّ ميـراثُ النبـيِّ مُحمَّـدِ

أضـاءت لـه الآفـاقُ حتّى كأنَّمـا ... رأينـا بنصفِ الليلِ نـور ضحى الغـدِ

فظلَّ عَـذارى الحيِّ ينظمن حـولَـهُ ... ظفَـاريَّـةَ الجَـزعِ الـذي لم يُسـرَّدِ

فقلتُ: هـو البَـدرُ الـذي تعـرفينَـه ... فإلا يكن فـالنـور من وجـهِ أحمـدِ

أقـول: وهم ابنُ أيْـدَمِـر في نسبـة هـذه الأبيـات إلى وضّـاح اليمن؛ إذ هي في «العمدة» للـوضّاح لأبي بُـديل الوضّـاح بن محمد التميمي الفقيـه، وقد تصَحَّفت كنيـة الشاعـر ولقبـه فيه، وكـذالك هي إلا البيت الـرابع منهـا له «في الجُمـان في تشبيهـات القـرآن»، وأحمـد المذكـور في البيت الأخيـر هـو الخليفـة المستعين. والجـوسق: هـو جـوسق سامـراء، وميـراثُ النبي محمـد ﷺ دليل قـاطعٌ على أنّ الأبيـات ليست لـوضّـاح اليمن، إذ لم تكن وراثـة النبيّ قضيّـة مُلتهِبـة على ألسُن الشعـراء في العصـر الأمـويّ، وإنّما التهبت بهـا الألسنُ أيـام بني العبـاس. هـذا والوضاح التميمي من شعراء الشيعة الـذين ترجم لهم ابن شهر اشوب في: «معالـم العلمـاء» فعدَّه من المُتكلِّفين، والمُتكلِّفـون عنده أوطأ درجـات السُّلـم في التشيّع لأهل البيت.

وقال وضّاح اليمن بن إسماعيل:

إنَّ طـرفي مُمـازِحٌ ولسـاني ... وضميـري عن الفُسـوقِ عفيفُ

هذا ما عثرتُ عليه عرضًا دونما استقصاء مما أخلَّ به شِعرُ وضّاح اليمن، فليس من وكدي أن أُعيـد صناعةَ ديـوانه، وإنَّما أردتُ أن أُنَبِّـه إلى ما اعتور الـديوان من خللٍ في صناعته.

أبو دلف العِجلي: وصنَع ديوانـه الدكتـور يونس أحمـد السامـرّائي، ونشرَه في الجزء الثاني من كتابه: «شعراء عبّاسيون».

وقبل أن أستـدرك على الديـوان أقـول: إنَّه سبق أن جميـع شيئًا من «شِعـر أبي دُلَف» المُستعِربُ الهنديُّ محمّد بن يوسف السورتي، فجعَلَه لِحقًا بديوان حفيده:

بكر بن عبدالعـزيز العِجلي، وكان ذالك سنة ١٣٣٢ - ١٩١٤. وقد ذكـرَ الدكتور يونس أنَّ لبكـرٍ ديوانًا منشـورًا ناقلًا تلك المعلومـة عن (كارل بروكلمـان) ولكنّه - كما يغلبُ على ظنّي - لم يرَ الديوان.

وتـرتَّب على عدم رؤيتـه الديـوان أن نسبَ شيئًا من شعـر الحفيد أعني بكـرًا إلى جدِّه أبي دُلف مُتابعًا في ذالك بعض المصادر التي لم يتنبَّه أصحابُها إلى أن الحفيد والجدّ مُتَّحِدان في الكُنية؛ فكنية القاسم بن عيسى أبو دُلف، وكنية بكرٍ كذالك.

وأريـد أن أفصِّل رأيي فأقـول: روى ابن طيفـور المتـوفـى سنـة: ٢٨٠هـ، والمسعـودي المتوفى سنـة ٣٤٦هـ والحصـري القيرواني المتـوفى سنة ٤٥٣هـ بعضَ مـا في ديـوان بكر مـن شعرٍ على أنَّـه لجـدِّه أبي دُلف العِجليّ، ممـا جعل الدكتور يونس أحمد السامَـرائي يتابعهم - وهو يصنع «ديوان أبي دُلف» - فيُدرِجُ شيئًا من شعرِ بكرٍ في ديوان جدِّه. فقد نسب إليه قولَه مُتابِعًا ابن طيفور:

قطعت عـن لقـــائك الأشغـــالُ　　وهمـــومٌ على الفـــؤاد ثقـــالُ
في بـــلادٍ يـــذلُّ فيهـــا عـــزيـــزُ الـــ　　ـــقومِ حتـى ينـــالَـــه الأنـــذالُ
حيث لا رافعٌ لسيـفٍ عن الضـــــ　　ـــيم، ولا للكمـــاةِ فيـــه مجـــال(٤)
ومُقـــامُ الكـــريم في بلـــد الهـــو　　نِ إذا أمكـن الـــرحيـلُ محـــالُ

وهذا الـذلُّ الذي يتحدَّث عنه أبـو دلفٍ الجدُّ لا ينسجِم ووقائع حياتِـه. ولابدَّ أن يكون ابنُ طيفـور أو من روى عنه قد أدرك أن حـديث أبي دُلفٍ عن ضيم لحِقَه، ولم يستطع دفعَه - وهـو الأمير، الشجاعُ، الفـاتكُ العزيز - حـديثٌ لا يُسيغه العقلُ، ولا يكادُ، فـاضطرَّ أن يُمهِّـد لهذا الضيمِ بقـولِه: (.. كـان أبو دُلف أيـام المأمـون مُقيمًا ببغداد، وكانت معه جاريةٌ أفادها من بغداد، فاشتاقَ إلى الكرَج فخاطبها في الخروج معه إلى الكرج فأبتْ عليه، فقالت: بغدادُ وطني، فلمّا عزم على الرَّحيل تمثَّل...).

ولا أعرفُ - لـدى الحقّ - وجهَ الضيم الذي لقيـه أبو دلفٍ في إباء جـاريته أن تخرج معـه إلى الكرَج، هذا إذا صحَّتْ الحادثـةُ أصلًا، بحيثُ يستذكُر معـه سيفَه

والفرسان الكماة، وبحيثُ يتصوَّر أن بغداد برمَّتِها صارت بلد ذلٍّ لا يُقيم فيه عزيز، حتّى لكأن الخليفة المأمون نفسَه بهيبتِه، وقوّادِه، وجُندِه، وشُرَطِه يحمي هذه الجارية المملوكة لأبي دُلفٍ من أن يُرغمها سيِّدُها على الخروج معه إلى بلده.

ولعلَّ الذي صنع هذه الرواية قد أدرك أنَّه لا ظلَّ لهذه الجارية في المُقطَّعة، فأضاف إليها قولَه:

وسلامٌ عليكِ يا ظبيةَ الكرخِ أقمتُم وحانَ مِنّا ارتحالُ[٥]

ولايبعدُ أن تكون مثل هذه الأفكار - أعني أنَّ الأبيات من غير جنسِ القصّة - قد راودت الحصريَّ القيروانيَّ - وهو يروي المقطَّعة - فلم يرَ هو أو من نقل القصَّة إليه في إباء الجارية أن تخرج معه إلى الكرج وجهَ ضيمٍ يستحقُّ هذه الغضبة العِجليَّة، فرأى أن يُمهِّد للأبيات بقصّةٍ أخرى، فقال: (وكان يعشق جارية ببغداد، فإذا شخص إلى الحضرة زارها فركب في بعض قَدَماتِهِ إليها، فلمّا صار بالجسر مشى على طرف طيلسان بعض المارّين، فمزَّقه، فأخذ بعنانه، وقال: يا أبا دُلفٍ ليست هذه كرجَك، هذه مدينة السلام، الذئبُ والشاةُ في مرتع واحدٍ، فثنى عِنانَه مُتوجِّهًا إلى الكرَج، وكتب إلى الجارية:

قطعتْ عن لقائك الأشغالُ وهمومٌ على الفؤاد ثقالُ...)[٦]

ولا تختلف هذه القصة في تهافتها عن الأولى؛ إذ كلُّ ما حدث هو أن الحصريَّ أراد أن يُسوِّغ رواية المطلع على الصورة التي رواه بها، فكان عليه أن يُفسِّر انقطاع أبي دُلفٍ عن لقاء معشوقَته، حتى وإن كان تعلُّله بالأشغال والهموم لا يشبه الحادثة التي وقعت فبلغت من نفسه ما جعله يثني عنانه إلى الكرج دون أن يستأذن الخليفة المأمون ودون أن لا يُشعِره به، وكأن أبا دلف - وهو عاملُ الجبل له - رجلٌ من عامة الناس لا يرى حرجًا في أن يُسافِر متى شاء، ولايرى بأسًا أن يزور معشوقَته في بيتها غير خائفٍ ولا وجِلٍ من عيون المأمون التي كان منها (الطفلُ والمرأةُ، والمحتالُ.. وابنُ السبيل)[٧].

وهبْ أن أبا دُلـف سَمِع من هذا الرجـل ما سمعَ، أفترى أن ردَّ فعلَـه ينسجمُ مع مـا قُرِّر من أن من صفـاته) (الاعتـراف بالخطأ، والـرجوع عنـه،... ودماثـة الخُلق، وسجاحـة الطبع والفتوّة)[٨]؟ ثم مـا لهذا الرَجُلِ المُفـردِ الذي ديس علـى طرف طيلسانِه فأساء الأدبَ ولذكر السيوف، والكُماة، وسوح الوغى؟!

وأطلتُ الوقـوف عند ابن طيفور؟ لأنه من مُعـاصري بكرٍ على الرغم من تبـاعد موطنيهما[٩]. أمّا ما رواه المسعـوديُّ فليس بأقلَّ تهافتًا مما عـرضتُ إليه، هذا إلى أن ما هو لأبي دلـف العجلي عندَه هو عند ابن وكيع التنيسي - وقـد روى شيئًا منه - لإسحاق بن خلف[١٠]، وعند ابن عدلان الموصليّ لإسحاق بن خالد[١١].

أمّا الخالديـان فقد تابعا ابن طيفور في نسبة بيتٍ من لاميتـه التي تحدَّثتُ عنها إلى جدِّه أبي دُلف[١٢]، ويغلب على ظني أنهمـا لم يـريا ديـوان بكـرٍ، ولم يعرفـا بكرًا، وحسبي من ذالك أنهما اتَّهما أبا تمـام بالسرقةِ من صاحبنا[١٣]، على الرغم من أن بكرًا لم يكن، يـومَ مات أبـو تمام قد وُلِـد، هذا إذا كان أبـوه عبدالعـزيز بن دلف قد عرف أمَّه[١٤].

من خلال كلِّ هذا الحديث أريد أن أقول: إنَّ المُقطَّعتين اللتين أثبتهما الدكتور الســامرّائي تحت رقمي: (٤٧)، و (٦٣) على أنهمـا لأبي دلف ليستـا لأبي دُلفٍ، وإنّما هما لحفيدِه بكر. وهما موجودتان في نسخة ديوانِه الخطّية الموجودة بجامع الفاتح بتركيا، وفي طبعته الهندية. وعدّة المقطعة (٦٣) تسعة أبياتٍ وليس ثمانية.

ومهما يكن من أمرٍ فأرجـو ألا يُفهم من حديثي أنّني ألوم الدكتـور يونس أو أنسبه إلى التقصير؛ حاشَ لله، فكل ما فعلَ الرّجلُ أن تـابع المصادرَ على ما قالت. ويُفسِح له من العُذر فيما قال أن لم يطّلِع على ديوان بكر النادرِ نُدرة الكبريت الأحمر.

آتي الآن إلى ما وجـدتُه في: «الدر الفريـد» مما يُستدرَك على الديـوان فأقول:

قال أبو دلـف:

نعِـزُّ فنُعطـي الحقَّ من غيـرِ ذلَّـةٍ ونأبى فـلا نُعطي مقـادتَنـا قَسـرا

وأورد الدكتور السامرّائي تحت رقم: (١٥) بيتين، وروى ابنُ أيْدَمِر له بيتًا ثالثًا قبلهما هو قوله:

نفسي فداءُ معاشِرٍ نالوا الغِنى ... بقواضبٍ مشحوذةٍ ورماحِ

قال أبو دُلف، وروى له بيتين هما الخامسُ والسادس، وإذ روى الأبيات تامَّةً عدا الخامس سمّاه أبا دلف القاسم بن عليّ:

خليليَّ لا واللهِ ما مِن كريهةٍ ... تدومُ على الأيامِ إلّا تجلَّتِ
فإنْ نزلتْ يومًا فلا تَجزَعنْ لها ... ولا تُكثرِ الشكوى إذا النَّعلُ زلَّتِ
فكم من كريمٍ قد بَرَتْهُ بنابِها ... فصابَرها حتّى مضتْ واضمحلْتِ
وكم غَمرةٍ جاءتْ بأمواجِ غمرةٍ ... تجرَّعتُها بالصبرِ حتّى تجلَّت
وما النَّفسُ إلّا حيث يجعلُها الفتى ... فإن طمِعتْ تاقتْ وإلّا تسلَّتِ
وكانت على الأيّام نفسي عزيزةً ... فلمّا رأت صبري على الذُّلِ ذلَّتِ
وقلتُ لها: يا نفسُ موتي كريمةً ... فقد كانتِ الدُّنيا لنا وتَولَّتِ

وقال أبو دُلف:

صافحتُه بالسَّيفِ دون سلامِهِ ... إنّي كذاك إذا غضبتُ سلامي

وقال أبو دلف:

فلا تحسبَنْ ما نالنا من مُصيبةٍ ... دعا جَزَعًا منّا إلى قولِنا الشِّعرا

وقال أبو دلف في صفة الجيش:

كالسَّيْلِ جنحَ الليلِ أو كالبحرِ ذي الأ(م) ... مواجِ، أو كالليل ذي الإظلامِ

وقال القاسم بن عديّ [كذا] العِجليّ:

وحرامٌ على العبيدِ إذا ما ... ملكوا ما تخيَّرتْهُ الموالي

وقال أبو دلف العجليّ في الشيبِ:

في كُلِّ يـومٍ أرى بيضـاءَ قـد طلعتْ كأنَّهـا نبتـتْ في بـاطنِ البصـرِ
لئنْ قصصتك بالمقـراضِ عن بصري لَمَـا قصصتُكِ عن همّي وعن فِكـري
لهفي على الحالكاتِ السُّودِ قد طلعتْ بيضًـا فـدلَّتْ بـوادِيهـا على الكِبَـرِ
إذا تـزيَّـدَ فيهنَّ البيـاضُ معًـا أدنى تـزيُّـدُهُـا نقصًـا من العُمُـرِ

وقال أبو دلف (وقد كتب بهذين البيتين على باب داره).

هنيئًـا لمن إن غـابَ عنـه أنيسُـهُ رأى مَعهَـدًا منـهُ على النأيِ أو رسمـا
يُـردِّدُ فيـه طـرفَـه ثـمَّ ينثني إلى كبِـدٍ حَـرّى مُحـالِفَـةٍ سُقمـا

هذا بعضُ ما لديَّ مما أخلتْ به الدواوين.

بولندا: محمد حسين الأعرجي - جامعة آدم متسكيفج

الحواشي:

(١) ينظر «المستدرك على صناع الدواوين» ١٦٢.

(٢) كذا هي، ولعلها محرفة من: قصرَّت..

(٣) «وضاح اليمن»: ١١٧.

(٤) في بغداد: ١٣٤ حيث لا رافعًا.. ... للكمـاةِ بـه مجـالُ

(٥) هذا البيت غير موجودٍ في «ديوان بكر» مما يدلُّ دلالةً قاطعةً على النحل، وعلى اختلاق القصَّة برمَّتها.

(٦) «زهرة الآداب»: ١٠٩. (٧) بغداد: ٣٥. (٨) «شعراء عباسيون» ٢ : ٢٨.

(٩) كان ابن ابن طيفور من أهالي بغداد، على حين أن بكرًا من الجبل. ينظر عن ابن ابن طيفور «الفهرست»: ٦٤.

(١٠) ينظر «المنصف»: ٣٧٦.

(١١) ينظر «التبيان في شرح الديوان» المنسوب للعكبري ٢: ١٩١.

(١٢) «الأشباه والنظائر» ٢: ٤٨.

(١٣) في «الأشباه والنظائر» ٢: ٦٥ - ٩٦ قصيدة بكر: طلاب العلا... منسوبة إلى أعرابيٍّ من ربيعة، وقال الخالديان عن مطلعها: (قوله: طلاب العلا بركوب الغَرر، أخذه أبو تمام فقال:

رَكوبٌ لأثباج المتالف عالِمٌ بأنَّ المعـالي دونهنَّ المهـالك)

(١٤) هذا الحديث برّمته مأخوذٌ من مقدّمة تحقيقي «ديوان بكر» الذي سيصدر هذا العام في بيروت إن شاء الله.

مع «المقولات العشر»[1]

هـذا كتيّب لطيف فـي أقل من تسعين صفحـة، ومـادتـه «المقـولات العشـر» المشهـورة التي كـان صاحبهـا (أرسطـو) عُـرف بهـا فـاشتهرت، وقـد أقبل عليهـا الدارسون المسلمون فشـرحوها وأفادوا منها، وهذه الإفادة بعض مـا أفاده الدارسون في العربيـة (لمنطق أرسطو) الذي تعلقوا بـه تعلّق إعجاب، فكان لـه أثر في شيء من علوم العربية.

وقد عرض لهذا الأثر حشد من أهل العلم مستشرقون وغيرهم.

وقـد يكون لي أن أبـدأ الكـلام فأقـول: لست من أهل هـذه الصنعة الفلسفيـة في شيء، ولكن أقـرأ فيهـا لأكـون على صلة بـاستجـابـة العـربية لمصطلحهـا القـديم والحـديث، لقد أقبلـت على هذه الـرسـالة أو قل هـذا الكتيّب اللطيف، وأشهـد أن لصفحات ممدوح حقي (بين يدي الكتاب)[2] مكان مفيد، فقد عـرّف بـ «المقولات العشر» وماكان فيها من علم(أرسطـو) ومَنْ خلفه من الفلاسفة الغربيين والمسلمين، ثم ماكان من عمل البليدي الأندلسي الحسني في «المقـولات»، وماكان على رسالته من إضافات لمن خلفه في القرن الثاني عشر الهجري وبعد ذالك بقليل.

وقد رأيـت قبل أن أدخل مادة الكتـاب أن أعرض لصفحـات الدكتـور ممدوح حقي فأقول:

١ - جاء في الصفحة (٧): (منذ انتصب الإنسان على قدميه....).

أقول: بـدأ الدكتور ممدوح كـلامه فجعل الظرف (منـذ) أول الكلام، وليس في هذا ضيـر، وذالك لأن إثبات الظرف هنـا مقصود لمكـانته فيما بسطـه المؤلف من كـلامه بعـد ذالك، غير أني أقـول: إن الأصل في هـذا الظرف (منـذ) ومثله (مُـذ) وظروف أخـرى نحو: قبل وبعد، أن يضـاف إلى المفرد أو إلى الجملـة، فإن كانت هـذه جملة بُـدِئَتْ بفعل كـان لها أن تُسْبـقَ بـ (أن). غيـر أن العـربية على ألسنـة المعربين تذهب إلى الإيجـاز تخفيفًا فيباشر الظرف الفعل، وهكذا كـان وجرى به

الاستعمال، ولو أنك قُلت: (منذ أن انتصب الإنسان) لرجعت في قولك هذا إلى الأصل، ومثل هذا الكلام على (مذ).

إن (مذ) هذه الساكنة لعلها كانت (مُذٌّ) بتشديد الذال، فلما فُكّ الإدغام أبدل الأول من الصوت المدغم بـ (النون) فكان لنا (منذُ) وإبدال النون في باب الإدغام كثير.

وليس (قبل) و (بعدُ) يجريان على (منذ) و (مذ) وذالك لأن لزوم (أن) قبل الفعل بعدهما واجب إلا في ضرورة فتقول: قبل أن يقوم، وبعد أن يقوم....

٢- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: ومنذ سجّل الإنسان لغته بالحروف، درجت به الحضارة على دولابها تجمع نتائج التجربة...

ثم قال الدكتور ممدوح حقي: (... وتستنتج فائدة جديدة تضيفها إلى نتائج سواها من التجاريب..).

أقول: (التجاريب) في قول الأستاذ ممدوح جمع (تجربة) كما يشير السياق، وتقدّم (تجربة) في كلامه، وليس هذا حقًّا، وذالك لأن (التجاريب) جمع المصدر (تجريب)، فأما (التجربة) المثبتة في الكلام فجمعها (تجارب)، وللكاتب أن يتذكر «تجارب الأمم» لمسكويه وهو معروف.

٣- وجاء في الصفحة (٨): (وكما استطاع الإنسان تجريد العدد من المعدود أمكنه كذالك تجريد المعنى من الحرف، والفكرة من الكلمة، فتخيل وتوهَّم وتفلسف..).

أقول: لصاحب هذه الصنعة أن يتفلسف فيذهب إلى هذا، غير أن أهل اللغة يتحرجون في هذا التجريد، فلم يتصوروا شيئًا من هذا يؤذن بتجريد المعنى من الحرف، ولا الفكرة من الكلمة، إن الحرف والمعنى، وهو شيء من البناء متصل بالدلالة بحيث لا يتصور المعرب للكلمة أن هناك فصلًا ولنضرب على ذالك مثلًا

فنقف على الفعل (رغم) الذي ينصرف المعرب إلى دلالته السائرة المعروفة ولا يذهب إلى أصله، وهو (الرغام). وكأن الفعل قد قطع من عروقه، فليس من صلة رحم بالأصل، وهو (الرغام) الذي يعني (التراب).

٤- وجاء فيها أيضًا: (... حتى استطاع الاستعلاء على المادة بالمعنى، والتحويم فوق شاطئ التجريد المغمض وحَفافي الفكرة الصائبة..).

أقول: لم أهتد إلى (حفافي) في عبارة الأستاذ ممدوح، ولم أصل إلى الفكرة، وكأنيّ أراه قد التقط الكلمة من العامي الدارج الذي يعطي الكلمة معنًى، فتلوكها الألسن فتُظَنّ عربية فصيحة. وعلى هذا التخيّل أظنه قد حمّلها معنى هو طَرَف أو نهاية.

والذي نعرفه أن (الحِفافَين): ناحيتا الرأس والإناء وغيرهما، والواحد (حِفاف) بالكسر والجمع (أحفّةٌ).

٥- وجاء فيها أيضًا: (كلّما انبثق علم جديد أضافه [أي الإنسان] إلى أضمامة العلوم الأخرى).

أقول: هي (إضمامة) بكسر الهمزة مثل (إضبارة) وليس لنا (أفعالة) بفتح الهمزة.

٦- وجاء فيها أيضًا: (ومنذ يومذاك، والفلاسفة على إطلاقهم، والعلماء على اختلاف مشاربهم يضمّون أفراد النوع المتنافرة في قانون واحد).

أقول: (يوم) و (حين) وظروف أخرى نحو: آن وأوان وساعة تُضاف إلى الظرف (إذ) فيكون لنا: يومئذٍ، وحينئذٍ، وعندئذٍ، وغيرها، وأما تنوين (إذ) في هذه المركبات فهو عوض عن جملة هي بحكم المضاف إليه، حذفت اختصارًا هربًا من التكرار، لأنها إما أن تكون قد ذُكِرت وإما أن قد عُرفت قبل الظرف من السياق.

وقد ذهب المعاصرون إلى إضافة بعض هذه الظروف نحو (يوم) إلى اسم

الإشارة (ذاك) كما ورد في عبارة الأستاذ ممدوح حقي، وهذا المولد الجديد مما لم تعرفه العربية لأن الإشارة إلى هنا أغنى عنها الظرف (إذ).

وقد أراد الأستاذ ممدوح بقوله: (على إطلاقهم)، معنى (إنهم جميعًا أو جميعهم أو كلُّهم)، وليس هذا إلا من اللغة الدارجة التي استحدثت هذا الجديد البعيد عن معنى (الإطلاق).

إن (الإطلاق) يقابل (التَّقييد)، و (المطلق)، يقابل (المقيد) وكلاهما من المصطلح الفني الفلسفي، وهو شيء يحسنه الأستاذ ممدوح حقي.

٧- وجاء فيها أيضًا: (... والرجوع إلى قواعدها العامة بيُسر وبساطة).

أقول: (البساطة) في هذه العبارة، وفي استعمال المعربين تعني السهولة أواليُسر. وكأن (البسيط) هو السهل وغير الصعب. إن هذا عربية معاصرة.

٨- وجاء في الصفحة (٩): (.. يُصرّ [أرسطو] على أن الطبيعة بجُمّاعها تتّجه اتجاهًا نضاليًا).

أقول: وقول الأستاذ ممدوح: (بُجمّاعها) من جوامع الكلم الفصيح، وأن إحياءها وجعلها في مقروء ما يقرؤه الدارسون، مفيد.

٩- وجاء في الصفحة (١٠): (... واستبدل بعضهم الإضافة والانفعال بالعَرَض والنسبة..).

أقول: والذي هو معروف في فصيح العربية في استعمال الفعل (استبدَلَ) أن الباء تدخل على المتروك (المُبدَل به، قال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هو أَدْنى بِالَّذِي هُو خَيْرٌ﴾.

وعلى ذالك فالصواب: (واستبدل بعضهم بالإضافة والانفعال العَرَض والنسبة).

أقول: و (الإضافة) في الاستعمال القديم، ولا سيما لدى أهل اللغة تعني النسبة، فقد كانوا يقولون: إن الشيء بالإضافة إلى معدنه، يعرف هذا بما عُرف به ذاك.

١٠- وجاء في هذه الصفحة أيضًا: (ومهما يكـن من أمر، فقد كان لهذه المقولات أهمية خاصة لديهم [أي المناطقة المسلمين] وبخاصة منها: الجوهر والعَرَض..).

أقول: قوله: (بخاصّة) من الكلم الجديد الذي لا نعرفه في أساليب أهل اللَّسَن ويقابلـه: أيضًا (بعامّة)، وكـان له أن يقول: (وأخصّ منها)، أو استعمـال المصدر: (وخصوصًا).

١١- وجاء في الصفحة (١١): (.. فيـا طالما أدى من خَدَمـات كبيرة جدًّا في تطور العقل الفلسفي..).

أقول: إن قـوله: (يـاطالمـا) استعمال يقـوم على توهم هـذا المركب بعيـدًا عن حقيقته، ولذالك سبق بأداة النداء (يا) للتنويـه باسميه (طالما) التي لم يبق فيها إلّا دلالة (الطول).

لقد زيد الفعل (طالَ) بـــ (ما) الزائدة فركبت معها، وكـان من هذا التركيب أن دخلت على الجملة الفعلية التي تقوم مقام الفاعل لـ (طال).

زعم النحـاة أن (مـا) هـذه زائدة، وقـولهـم: زائدة مُعْـوزٌ، ذالك أنهـا تغيّـر من استعمال ما تدخل عليه من فعل نحو: (طالَ) و (قلّ)، وغيرهما، و (إنّ) التي تأتي بعد أن تباشرها (ما) جملة فعلية نحو قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾.

و (يا) قبل (طالما)، مثل (يا)،قبل (ليت) أتي بها بعيدة عن النداء مصروفة إلى معنى التنويه والتنبيه.

١٢- وجـاء في الصفحـة (١٢) قـوله: (كـالحـاضـر المتـوضع بين المـاضي والحاضر..).

أقول: قولـه: (المتوضّع) شيء ليس لنا من العربيـة، ولكن السيد ممدوح حقي من أهل الفلسفة، وهو كغيره من أهل الاختصاصـات العلمية أهل جرأة في العربية يولّدون منها ما شاءُوا مما تقبله العربيـة ولا تقبله، وهم يظنون إن إشاعة ما يولّدون

من جديد يؤذن بقبوله.

١٣- وجاء فيها أيضًا: (وكلمة (مقولة) اشتقّت من مصدر القول حتمًا، وهي ترجمة لكلمة (كاتيجوريا) Katigoria اليونانية) ولا يعرف بالضبط أوّل من وضع هذا الاصطلاح في العربية).

أقول: هي من مصدر القول، ولا حاجة لقول السيد ممدوح: (حتمًا). ثم إن الكلمة اليونانية ذهبت إلى كثير من لغات العالم فصارت (Category) في الإنكليزية، و (Catégorie) في الفرنسية وشيئًا يقرب من هذا في لغات أخرى.

والكلمة في هذه اللغات قد بقي لها المعنى الفلسفي الاصطلاحي، غير أن أهل هذه اللغات قد توسّعوا فيها فجردوها من معناها التاريخي وصارت تؤدي معنى صنف أو رتبة أو نحو ذالك. وقد استعملها الفلاسفة المسلمون معرّبة بلفظ (قاطيغوريا).

وهي في الأصل القديم تعني (العلاقة)، ولكن المسلمين وضعوا (المقولة) مقابلًا لها، وهي غير (البديهية) Axiome، و (الموضوعية) Postvlat.

وكأنّ أبا البقاء من المسلمين في هذه الصنعة قد لمح الأصل بـ (Katigoria) الإغريقية فأحسن في فهمها فجعل كتابه (الكليات).

أقول: وسأعرض لهذا الكلم الاصطلاحي الذي جاء على المصدر الصناعي ومنه: البديهية والكلية وكلم آخر كثير مثل هذه.

١٤- وجاء فيها أيضًا: (.. غير أن العقبة المُرّة التي تآكدَتْنا ونحن ننقله للطبع والنشر، هو في هذه الحواشي المتعاظلة..).

أقول: (العقبة المرّة) مثل قول القائلين: (التجربة المرّة)، إن الوصف بـ(المرارة)، للعقبة والتجربة من المألوف في العربية المعاصرة التي تأثرت بما هو جارٍ في اللغات الغربية.

ثم إن هذه (العقبة المُرّة) قال فيها الأستاذ ممدوح حقي: (التي تآكدَتْنا). لم أعرف هذا الفعل (تآكَدَ) في وصف شيء صعب عسير هو (العَقَبة).

إن الكاتب صاغ الفعلِ من القول المشهور (عَقَبة كَؤود). إن هذه (العقبة الكؤود) هي المرتَقَى الصعب، والكَأداء: هي الشدّة والخوف والهول، وقالوا: تَكَأّدَنا ضيق المضجع.

إن الفعل هو (كَأَدَ)، وليس (أَكَدَ) الذي أثبته الكاتب في بناء (تفاعَلَ) فقال: (تآكدَتنا)، فكأنه قلب الفعل الصحيح. وهو (كَأَدَ)، فصار لديه (أكَدَ).

إن المعاصرين يجرؤون على العربية فيغيّرون ويتوسّعون جهلًا منهم بالأصول، واستخفافًا منهم بحق اللغة، وكأنهم يشعرون أن ذالك جائز مُباح، ولو أنهم عرفوا حرص غير العرب على هذه المسائل لأدركوا أنهم ظلموا أنفسهم.

١٥- وجاء في الصفحة (١٣): (.. فإنه يشير إلى ماكان يتمتع به البُلَيديّ من احترام الخاصة والكافة وتقدير كبار رجال عصره وعلمائهم).

أقول: إن (الخاصّة) هم خاصة الناس، وهم الوجوه والعلماء وأرباب الحكم والسطوة و (الخاصّة) تقابل (العامة) وهم عامة الناس يندرج فيهم أرباب الحرف والأعمال والتجار والزراع وسائر من يعمل. ولم أجد (الخاصة) تقابل (الكافة) على معنى أن (الكافة) تعني (العامة).

إن (الكافة) استعملت منصوبة لإفادة الحال في خمس آيات منها: ﴿يا أَيُّها الذين آمنُوا ادْخُلُوا في السِّلْمِ كَافة﴾ ١٠٨ سورة البقرة، ﴿ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا كَافَّة للنَّاسِ بَشِيرًا ونَذِيرًا﴾ ٢٨ سورة سبأ.

وهي كذالك في كلام العرب، غير أن المعربين ألحقوها بما يفيد التوكيد اللفظي، وحملوها معنى (عامّة) فقالوا مثلًا: (إن الناس كافتُهم)، كما قالوا: (إن الناس عامتهم؟

وآتي إلى (التقدير) مصدر المضاعف (قدَّرَ)، وهو في أصل معناه بيان القدر والعدد والكمية ونحو ذالك، ولكن المصدر والفعل انصرفا في العربية المعاصرة إلى الاحترام والإجلال.

وكأن هذا جاء من (القَدر) مصدر الثلاثي الذي دل على الإجلال في قوله تعالى: ﴿ومَا قَدرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ٩١ سورة الأنعام.

وقد مرَّ في هذا الكتيب جملة من المصطلح وردت في بنية المصدر الصناعي كالبديهية، والذاتية، والعَرَضية، والكلية، والكمية، والكيفية، وغيرها، وقد رأيت أن أبسط في هذا الموجز شيئًا عن المصدر الصناعي الذي أفاد منه أهل العلم في مادة المصطلح الفني.

أقول: لم يولّد هاؤلاء المجتهدون هذه البنية اللغوية، بل إنها كانت في العربية منذ أن كانت، ولكنهم لمحوا فيها طاقة مفيدة سخروها إلى ما أرادوا، ثم جاء المعاصرون وورثوا كثرتها مما كان منها وما أضافه أهل المصطلح، فابتدعوا اسم (المصدر الصناعي) لهذه المصطلحات التي تنتهي بياء مشدّدة كياء النسب متلُوةَ بتاء معقودة فاندرجت هذه (المصادر الصناعية) في باب (المؤنثات اللفظية).

وكأني أذهب إلى ماجدَّ لدينا من المصادر الصناعية مما حُمل علينا من أصوله الغربية فيكون لي تتمة لما أنا فيه.

عمَّان: الدكتور إبراهيم السامرائي

الحواشي:

(١) «المقولات العشر» لمحمد الحسني البليدي، صححه وقدّم له الدكتور ممدوح حقي (الناشر دار النجاح في بيروت ١٩٧٤م). في أول الكتاب، وفي الصفحة الخامسة (إهداء) الدكتور ممدوح حقي لهذا الكتاب إلى الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور (أمين عام مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٤ بمناسبة بلوغه الحادية والسبعين من العمر).

(٢) «المقولات العشر» ص ٧ - ١٤.

أضواء حول:

(ابن زُرَيق البغدادي .. بين الحقيقة والخيال)

نشر الصديق الدكتور محسن غياض بحثًا بعنوان (ابن زريق البغدادي بين الحقيقة والخيال)، في مجلة «العرب» - الزاهرة -س ٣٣، ص ٧٣٥ - ٧٤٩، فأَحْبَبْتُ أنْ أُعقِّبَ عليه بما يأتي، فأقولُ: البحث علميّ وجاد في كثير من جوانبه، ولكن خفاء جوانب من تراثنا المخطوط على الباحث جعل أداتَهُ تَقْصر عن كشف الحقيقة كاملة، وجعله يخطئ، إذْ خلط بين شخصين هما: أبو الحسن ابن زُريق البغدادي، وأبو محمد ابن زُريق الكوفي، وظنّهما شخصًا واحدًا.

وأشار كاتبُ البحث إلى رأي أستاذه د. علي الزبيدي في كتابه: «في الأدب العباسي»، الذي قال: (إنَّ ابْنَ زريق على شُهرته وشهرة قصيدته لايستطيع أحد أنْ يجزم بصحة وجودهِ)، ودعم الزبيدي رأيه بما ذهب إليه الشاعر العراقي نعمان ماهر الكنعاني، الذي صَرَّحَ في كتابه: «شعراء الواحدة» بما نصهُ: (ابن زُريق البغدادي ومحمد بن زريق البغدادي شاعر عنقائي الوجود، لامع الاسم، وهيهات أن يأتي باحث بترجمة لحياة هذا الشاعر، تقطع دابر الشك في وجوده). وعلل رأيه بالآتي:

١- انَّ المؤرخين اغفلوا ذكر هذا الشاعر، ولم يشيروا إليه مطلقًا.

٢- إذا كان ابنُ زُرَيْق قد ذهب إلى الأندلس طالبًا رفد ملكها، فأين المدح الذي أَعَدَّهُ ثمنًا لما طَلَبَ من مال؟، والقصيدة خالية من المدح.

٣- لم يُنْسَبْ إلى ابن زُرَيْق بيت واحد من الشعر سوى: العينيَّة.

وانتهى إلى القول بإنكار وجود شاعر يُسَمى: (ابن زُريق البغدادي)، وحَظِيَ رأي الكنعاني برضا وإعجاب الزبيدي ضِلَّةً.

محسن غياض خالف الزبيدي والكنعاني في إنكار وجود ابن زُريق، ثم أوْغَلَ في جولة توثيقية عن الشاعر وقصيدته العينية عبر المصادر الأدبية، فانتهى إلى الحقائق الآتية:

١ - إنَّ أقـدم مَنْ أورد شطرًا مهمًّـا من عينية ابن زُرَيْق هـو جعفر بن أحمـد بن السَـرَّاج (ت ٥٠٠ هـــ)، في: «مصــارع العشـاق»، ولـم يَقُلْ أن ابن زُرَيْق هــو البغدادي الـذي قَصَدَ الأنـدلس ومـدح أميرها، لكنـه ذكر أَنَّ أبيـاتًا مـن القصيدة العينية وُجِـدَتْ في رُقْعةٍ عند رأس بغدادي، وهـو ميت. وهو في خبر هذه الـرحلة الأنـدلسيـة نَقَلَ عن مجهـول، مِمَّا أضعف روايتـه، ثم إنَّ السـرَّاج لم يَقُلْ إنَّ هـذا البغداديّ كان شاعـرًا، أو أنشد للأمير الأندلسي شعرًا، وإنما قـال إنه (تَقَرَّب إليه بنسبِهِ). وهذا يعني أن هـذا البغدادي - الـذي أُجيزَ بَعْـدَ موتـهِ - لم يكن شاعـرًا أصلًا، فـلا علاقة لابن زُرَيْق بهـذه الرحلة غيـر كون البغدادي كـان قَدْ اسْتَصْحَبَ القصيدة معـهُ في غُربتـه، فمات، فـوجدتْ عنـد رأسه، فـالدكتور محسـن غياض فَحَصَ الروايةَ من الداخل وأسقَطَها بالدليل المنطقي، وهذا كلامٌ سليم اسْتنتاجًا.

٢- وَوُفِّقَ د. محسن إذْ كشـف عن اسم ابن زُرِيق الحقيقـي نقــلًا عن كتــاب «المستفـاد من ذيل تاريخ بغـداد»[١]، إذْ أَثْبَتَ مـا نَصَّهُ: (علي بن زُرَيْق الكـاتب البغـدادي، صاحب القصيـدة المشهـورة التي رواها عنـه أبـو الهيجاء محمـد بن عمران بن شاهين. ثم أَوْرَدَ لابن زُرِيق ثلاثة أبيات لـم يذكرها أحد غيره، وهي[٢]:

ومـا سُـرَّ قلبي مُـذْ شَطتْ بك النـوىٰ ... أنيـسٌ ولا كـأسٌ ولا مُتَصَـرَّفُ

ومــا ذقت طعم المــاء إلَّا وَجَـدْتــهُ ... كـانْ ليس بـالماء الـذي كنتُ أعـرفُ

ولم أشهـــد اللـــذات إلَّا تكلُّفًـــا ... وأيّ ســـرورٍ يقتضيـــهِ التكلّفُ

وهي أبيات تأتلفُ مع القصيدة العينية في أسلوبها وغرضها.

٣- وكـان مُـوَفّقًـا حين أشـار إلى مـا ذكـره السُبكيّ في «طبقــات الشـافعيـة الكبرى»[٣] من رواية كاملـة لهذه العينية، وبسندٍ صحيح مُتّصل بالشـاعر، وبنسبةٍ واضحة لشاعرها أبي الحسن علي بن زُرِيق الكاتب البغدادي.

وانتهى من هذا كلّه إلى الكشف عن شخصية ابن زُرَيْق وتـوثيق وجوده، وتبديد الشكـوك التي أثارهـا حولـه الزبيـدي والكنعاني، كمـا أسقط حكايـة ذهابـه إلى

الأنـدلس وموتـه فيها، مِمَّـا وهم فيهـا جُملةُ بـاحثين منهم: محسن جمال الـدين وأحمد الهاشمي والأثـري وبروكلمان وجرجي زيدان وعمر فروخ وشـاكر البتلوني، وغيرهم.

ومع أني أُوافق البـاحث الفاضل على النتيجـة التي انتهى إليها، لكنني أُخـالفهُ في بعض مـا ورد في ثنايـا بحثِهِ ومطـاويه مـن خلط بين شاعـرين: أبو محمـد بن زريق الكوفي وأبـو الحسن علي بن زُريق البغدادي، إذْ ظنهما شخصًـا واحدًا[٤]، ثم تأرجَحَ في ختام بحثه، إذْ قـال: (وربما كان هو نفسه أبـا محمد بن زُريق الذي ذكره الثعالبي، ووهم في كنيته أو لعله أخوه أو أحد أفراد أسرته)[٥].

وسأُثبتُ خطأ ذالك بعـد فحص علمي دقيق لمـا أورده الثعـالبي من شعـر ابن زُريق الكوفي، ثم اكشف السر الذي من أجله نَدَر شعر أبي الحسن علي بن زُرَيْق البغـدادي، ولـم يُجْمَع في ديـوان، ثم أُضيفُ أشعارًا نـادرة من شعـر أبي الحسن، مما لم يقف عليها كاتب البحث تنفي أنْ يكون من شعراء الواحدة.

أضواء على شخصية علي بن زُريق الكاتب البغدادي مما فات كاتب البحث:

إنّ بقاء كثير من كتب التراجم مخطوطة يجعل البـاحثين يضربون في متاهات كلما وقفوا عنـد عَلَم لم يُترجم لـه، فيما هو مطبـوع من تراثنا، ثم تـدفعهم قلّة الصبـر وعدم العلم بالمظان المخطوطة إلى إطلاق أحكام عشوائية يدحضها تراثنا المخطوط.

فالأسـانيد التي استنـد إليها الكنعـاني في نفيه وجـود ابن زُريق وثناء الـزبيدي عليه بقولـه: (هذه الملاحظة البـارعة من الأستاذ الكنعاني تـدلّ على سعة الاطلاع وعمق التفكيـر، وتظهـر كيف أدرك البـاحثـون بعض مشـاكل الصنعـة في الشعـر العباسي، وكيف اختلطت الأساطير والحكايات المصنـوعة بالحقائق التاريخية).

وهذا كلهُ مردودٌ بالآتي:

١ – الكنعاني زعم أنّ المؤرخين اغفلوا ذكر هـذا الشاعر، ولم يشيروا إليه مطلقًا، وهو وَهْم فالصفدي في مخطوطة «الوافي بالوفيات»[٦] نَصَّ على ما يلي:

أ- اسمه: علي بن زُرَيْق الكاتب البغدادي.

ب- له قصيدة يمدَحَ بها العميد أبا نَصْر[٧].

جـ- وله القصيدة العينية، وأورد منها أربعين بيتًا.

د- ذكر ما قاله ابنُ حزم بشأن هذه القصيدة.

هـ- قال: إنه مَرَّ في ترجمة: أحمد بن جعفر الدبيثي قصيدة على وزنها ورويّها رآها أحسن منها.

و- أورد قصيدة لأبي الحسن علي بن زُرَيْق في رثاء ديك عدّتُها أربعون بيتًا.

هذا مُلَخَّص ما ذكره الصفدي عن شاعرنا.

وفي مخطوطة عنوانها «تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان في ذكر ما سلف من أهل الزمان» لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشافعي، الشهير بابن أبي عُـذَيْبَة[٨]، ترجمة أخرى لأبي الحسن علي بن زُريق الكاتب البغدادي، حدّدتْ الزمن الذي عاش فيه الشاعر، وإنه توفي في خلافة القادر بالله[٩].

ومن الحقائق التي جاءت في هذه الترجمة ما يلي:

١- ذكر اسمه وكنيته ولقبه ومهنته بالنص التالي: أبو الحسن علي بن زُريق الكاتب البغدادي.

٢- أنّ له مدحة في الوزير أبا نَصْر.

٣- أنه صاحب القصيدة العينية التي أوّلها: لا تعذليه..، وأورد منها ٣٩ بيتًا.

٤- أنّ له قصيدة بديعة في رثاء ديك أوردها[١٠].

يقول هلال ناجي: إنَّ ورود ترجمة جيدة لأبي الحسن علي بن زُريق البغدادي في مخطوطين يُبْطِل مقولة الكنعاني من أن المؤرخين أغفلوا ذكره ولم يشيروا إليه مطلقًا - على حدّ تعبيره.

كما أنّ هاتين الترجمتين تضيفان قصيدة طويلة له في رثاء ديك، تدلُّ على شاعرية أصيلة ومقدرة فائقة على التصوير وعاطفة وهّاجة.

فإذا أضفنا إليها النتفة التي أوردها الشمشاطي منسوبة للزُرَيْقي ونصّها[11]:

تَسَمَّع للمنازل ما تقولُ | لأمرٍ ما تكلمتِ الطلولُ
وكيف يجيب سائله مَحَلٌ | بسلمانين من سلمى محيلُ
ومثل المستهام أخي التصابي | شجت أطلالها الدرس المثولُ

ثم أضفنا لما تقدّم النُّتَفَةَ التي أوردها له صاحب «المستفاد من تأريخ بغداد» وقد أثبتناها فيما تَقَدّم، يصبح كلام الكنعاني والزبيدي، ومَنْ لفّ لفهم مردودًا بالدليل العلمي.

أما قول الكنعاني: أين المدح الذي قاله في الأمير الأندلسي ولم يرد منه في العينية شيء؟. فقد فَصَّلَ القول فيه محسن غياض، وأحسن في فحص الخبر من الداخل وَتَقَصّيه عبر القرون في المصادر التي أوردته، ثم أسقطه علميًا[12].

ليس ما تقدم هو كلّ ما وصلنا - عدا العينية - من شعر علي بن زُرَيْق البغدادي، بل هناك أرجوزة في الأخلاق ما زالت مخطوطتها ثاوية في مكتبة الدولة في برلين برقم ٣: ٥٩ ترجمها المستشرق Diels في[13]:

Literator des Gliederzuckens II, Abb., Bet I. Akad. 1908, 79 - 84

كما أنَّ هذه الأرجوزة شَطّرها شاكر أباظة - وُطبع تشطيره في القاهرة سنة ١٣١٣هـ.

ولقد حظيت عينية ابن زُريق هي الأخرى باهتمام الشُرّاح والمخمسين والمعارضين، فمن شروح العينية:

١- شرح علي بن عبدالله العلوي (ت ١١٩٩هـ)[14].

٢- شرح ولي الدين يكن (ت ١٩٢١م)، وقد طُبع في القاهرة سنة ١٣١١هـ.

كما حظيت بالتخميس؛ فقد خَمَّسها علي بن ناصر الباعوني (ت ٨١٦هـ)[١٥]، كما خَمَّسها طه أفندي أبو بكر[١٦].

وعارضها شاعر مجيد، هو: أحمد بن جعفر بن أحمد ابن الدبيثي الواسطي (ت ٦٢١هـ) بالقصيدة التالية[١٧]:

يروم صبرًا وفرط الوجد يَمْنَعُهُ ... سلوَّهُ، ودواعي الشَّوْق تردعُهُ
إذا استبانَ طريق الرشد واضحةً ... عَنَّ الغرامُ فَيَثْنيهِ ويرجعُهُ
مُحَلَّأٌ ذادَهُ عن عَذْب موردِهِ مشحونةٌ ... جورُ الزمان وظامٍ عَزَّ مَشْرعهُ
بالجوى والشوق أضْلُعَهُ ... ومُفْعَم القلب بالأحزان مُتْرَعُهُ
يُصْبِيْهِ أنْ هتفت ورقاءُ ضاحيةً ... في كلّ يومٍ لها لحنٌ تُرَجِّعُهُ
تَسنّمتْ من غصون البان منظرة ... تحطُّهُ الريحُ أحيانًا وترفعُهُ
خضباء ضافية السربال ناعمة ... جنابها دمث الأكناف ممرعُهُ
لا إلفها نازح تنهلّ أدمعها ... عليه وجدًا كما تنهلّ أدمعُهُ
عاثتْ يدُ البَيْن في قلبي تُقَسّمهُ ... على الهوىٰ وعلى الذكرىٰ توزعهُ
كأنما آلت الأيام جاهدة ... لما تبدد شملي لا تجمعهُ
رَوَّعْت يادهر قلبي بالبعاد وكم ... قد بات قلبي ولا شيء يروْعهُ
وانت يا بَيْنُ، قلبي كم تذوّقُهُ ... مرَّ الأسىٰ وفؤادي كم تجرعهُ
وكم حرام لقلبي ليس يبلغهُ ... تصدّه عنه أسباب وَتَمْنَعهُ
مَنْ لي بمَنْ قلبه قلبي فأسمعه ... بثّي، فيبسط من عذري ويوسعهُ
قَلَّ الوفاءُ فما أشكو إلى أحدٍ ... إلّا أكبَّ على قَلْبي يُقَطّعهُ
يا خالي القَلْب قلبي حَشْوُهُ حُرَقٌ ... وهاجعَ الليل ليلي لستُ أهجعهُ
إنْ خنتَ عهدي فإني لم أخُنْهُ وإنْ ... ضَيّعتَ ودّي فإني لا أُضيّعهُ

هــــذا مقــام ذليل عـــزَّ نــاصـــره ... يشكـــو إليك فهل شكـــواه تنفعـــهُ؟
يلـومـه في الهـــوىٰ قـوم ومـا علمـوا ... أنَّ المـــلامـــة تُغـــريـــهُ وتـــولعـــهُ
مَن لا يكـــابـــد فيـــه مـــا أُكـــابـــدُهُ ... منـــه، ويـوجعني مـــا ليْسَ يـوجعـــهُ
تَمُـــرُّ أقـــوالهم صفحًـــا على أُذني ... مَــرَّ الـريـــاح بسلمىٰ لا تُـــزعـزعـــهُ
مَنْ مُنْقذي من يَدَيْ من ليس يرحمني ... يقتـــادني للهـــوى المـــردي فأتبعـــهُ
آتيـه بـــالصّـدق من قـولي فيـــدفعـه ... ظنًّــا ويكـــذبه الـــواشي فَيَسْمَعـــهُ
لـــو خَفَّـفَ الثقل عن قلبي وعلّلـــهُ ... بـــالـــوعـــد كنت أُمنّيـــه وأُطمعـــهُ
لكنّـــه صَـــرَّحَ الهجـــرانَ فـــالتهبَتْ ... نـــار التأسُّـــف بـــالأحشـــاء تَشْفعـــهُ
أقـــول أسلـــو فتأتيني بـــدائعـــهُ ... تَتْـــرَىٰ بكل شفيـــع لستُ أدفعـــهُ
وليلـــة زارنـــي فيهـــا علـــى عجلٍ ... والشـــوق يخفـرهُ والخـــوف يفـزعـــهُ
وبـــات مستنطقًـــا أوتـــاد مـزهـــره الــ ... ـــفِصَاح يتبعهـــا طـــردًا وتتبعـــهُ
إذا لـوت كَفُّهـــا الملـوىٰ سمعتَ لهـــا ... وقْعًـــا يلـــذُّ على الأسمـــاع مـــوقعـــهُ
فبتُّ أنظـــرهُ بـــدرًا، وأَرْشفـــهُ ... خمـــرًا، وأقطفـــهُ وردًا، وأسمعـــهُ
وقـــام والـــوجـــد يبطيـــه، ويعجلُـــهُ ... ضـوءُ الصبـــاح، وأنفـــاسي تُـــوَدّعُـــهُ

قال الصفدي: أظنه عارض بهذه القصيدة عينية ابن زُريق المشهورة، التي أوّلها:

لا تعـــذليـــه فـــإنّ العَـــذْلَ يـــولعـــهُ ... قـــد قُلْتِ حقًّـــا، ولكن ليس أسمعـــهُ

وجيّد هذه أكثر من جيّد تلك(١٨).

أمـا الوهـم الذي وقع في «يتيمـة الـدهـر» حين نَسَبَ أربعة أبيـات من العينيـة للـوأواء الـدمشقي (ت ٣٩٠هــ)، فَمَرَدّه: أن للـوأواء أبيـاتًـا على الـروي والـوزن والغـرض ذاته أوردهـا صاحب «اليتيمـة» بجوار أبيـات ابن زُريق، فظنّها النـاسخ منها، لإتحاد الوزن والقافية، والغرض، فأثبتّها للوأواء. وأبيات الوأواء هي(١٩):

بـــالله ربكمـــا عـــوجـــا علىٰ سكني ... وعـــاتبـــاه لعـــل العتب يعطفـــهُ

وَعَرِّضا بي وقولًا في كلامكما: ما بالُ عبدك بالهجران تُتْلِفُهُ؟
فإنَّ تَبَسَّمَ، قولًا عن ملاطفةٍ: ما ضَرَّ لو بوصالٍ منك تُسْعِفُهُ
وانْ بدا لكما من سيّدي غَضَبٌ فَغَالطاه، وقولًا: ليس نعرفُهُ!

ودليلنا على ذالك أنَّ أبيات ابن زُريق لم تنسب للوأواء الدمشقي في كل مخطوطات ديوانه. وأنّ صاحب «فوات الوفيات» في ترجمة (الوأواء)[٢٠] أَوْرَدَ مقطّعة الوأواء وحدها، ولم يخلطْها بأبيات ابن زُريق، مما يؤكّد وقوع أَحَد نُسّاخ «اليتيمة» في هذا الوهم، وعدم انتباه محققها إليه.

وسؤال يجول في الخاطر: لماذا لم يبق من شعر أبي الحسن علي بن زُريق البغدادي غير هذه القصائد الثلاث: العينية ومرثاة ديك وأرجوزة الأخلاق والنتفتين اللتين نقلناهما عن ابن النجار والشمشاطي؟

والجواب: إنَّ صاحبنا غادر العراق إلى مكة المكرمة، وجاور بها، وانصرف إلى علوم القرآن وانقطع - فيما يبدو - عن نظم الشعر، أخذًا بقول الشافعي[٢١]:

فلولا الشعر بالعلماء يُزْري لكُنْتُ اليوم أشعر من لبيد

وان انصرافه إلى علوم القرآن الكريم بمكة المشرفة جعل عالمًا جليلًا هو أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني القرطبي يقرأ عليه كما نَصَّ على ذالك ابن بشكوال في: «الصلة»، إذْ قال: (مكي بن أبي طالب واسمه حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ، يكنىٰ أبا محمد وأصله من القيروان سكن قرطبة، سمع بمكة من.... أبي الحسن بن زريق البغدادي)[٢٢]. فَمَرَدّ قلة شعره انقطاعه إلى علوم القرآن الكريم.

ومَنْ يتتبّع سيرة مكي بن أبي طالب يره قد حَجَّ حجة الفريضة عن نفسه سنة ٣٧٦هـ[٢٣]، وإنه عاد إلى القيروان سنة ٣٨٣هـ وأقام بها يُقرئ إلى سنة ٣٨٧هـ، ثم خرج إلى مكة فأقام بها إلى آخر سنة ٣٩٠هـ وَحَجَّ أربع حجج متوالية نوافل، ثم عاد من مكة فَوَصَلَ معه سنة ٣٩١هـ، ثم ذهب إلى القيروان فالأندلس، وتولى هناك الإقراء والخطابة حتى مات.

فقراءته إذن على أبي الحسن علي بن زُريق البغدادي كانت بين عامي ٣٨٧ - ٣٩٠هـ. وهذا يوافق خلافة القادر التي ذكر ابن أبي عُذيبة انّ ابن زُرَيْق توفي فيها.

لكن ثمة أمر يثير الحيرة، هو ما ورد في مخطوطة «الوافي»، من أنَّ لشاعرنا قصيدة مدح بها العميد أبا نَصْر وزير طغرلبك. فمتى كان ذالك؟

فطغرلبك هو أوّل سلاطين السلاجقة العظام، تولّى السلطنة سنة ٤٢٩هـ، وكان مَقَرُّهُ في أصبهان.

وكان أبو نصر محمد بن منصور الكندري عميد الملك حاجبًا له أول الأمر، حتى بلغ مرتبة الوزارة، فيما بعد، وكان أقرب الناس إلى السلطان السلجوقي، وناب عنه في مهام كثيرة، والكندري المذكور ولد سنة ٤١٠هـ، والقادر توفي سنة ٤٢٢هـ، فليس معقولًا أنّ ابن زُرَيْق قد مَدَحَهُ وهو غلام مجهول، ومن هنا يثور شك كثيف في صحة ما أورده ابن أبي عُذيبة من خبر وفاة ابن زُريق أيام القادر، لأنه أورد خبرين متناقضين لا يمكن التوفيق بينهما: وفاته أيام القادر ومدحه العميد الكندري، ووفاته أيام القادر انفرد بها ولم يذكرها الصفدي في «الوافي».

والسؤال: إننا إذا أسقطنا خبر وفاته أيام القادر، فمتى إذن مدح الكندري عميد الملك؟

انّ الباخرزي صاحب «دمية القصر» وكان صديقًا لعميد الملك - يذكر واقعتين لهما تأريخ مُحَدّد تكشفان وتشفّان عن الزمن الذي نَبَهَ فيه الكندري وبلغ ما بلغ من وزارة أول سلطان سلجوقي.

عن الواقعة الأولى قال: جمعني وإيّاهُ مجلس الإمام الموفق سنة أربع وثلاثين وأربع مئة.. والرجل في الفنوق (؟) فعاشرتُ منه شابًا... إلخ، وأثنى عليه[٢٤].

والواقعة الثانية قال عنها الباخرزي: (إني أنفذتُ إليه في زمام الأمل من خراسان، وهو بمدينة السلام، فوافيتُ الدار العضدية، وقد عُقد فيها مجلس مزرور على ملوك العرب والعجم والديالم والأكراد، يبرمون أسباب زفاف السيدة العباسية

إلى السلطان ركن الدين، وعميد الملك مستنـدًا يذاكر أولئك الملوك، ويجاذبهم أهداب المحـادثة كعـادته التي كـانت في التفكُّهِ بثمار الأدب، والتفنـن في لغات الترك والعجم والعرب[٢٥]...

وثبت تـاريخيًّـا أنّ خطبـة السلطـان السلجـوقـي لابنـة الخليفـة كـانت سنـة ٤٥٣هــ، وأنه عَقَـد للسلطـان طغرلبك علـى ابنة الخليفـة القـائم بأمر الله سنـة ٤٥٤هـ بظاهر تبريز، وكتب الخليفة الـوكالة في العقد باسم عميد الملك. ثم في سنة ٤٥٥هــ، تَوَجَّه طغـرلبك من أرمينية إلى بغـداد.... ووصل عميد الملك إلى الخليفـة وطـالب [بـالسيـدة العبـاسية] فقيل لـه: خطّك مـوجـود بـالشـرط، وانّ المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتمـاع، وانه إنّ كانت مشاهدة فتكون في دار الخلافة. فحينئذٍ نقلت السيدة العباسية إلى دار المملكة في صفر، فجلست على سرير ملبس بـالذهب، ودَخَلَ السلطان إليها، وَقَبَّلَ الأرضَ وخـدمها، ولـم تكشف الخمـار عن وجههـا، ولا قـامتْ هي له، وحمـل شيئًا كثيـرًا من الجـواهـر، وبقي كذالك يحضـر كل يوم وينصرف، وخلع على عميـد الملك وعلى جميع الأمراء. ثم سـار طغـرلبك من بغداد فـي ربيع الأول إلى الريّ، واستصحـب معه أرسـلان خاتـون ابنة أخيه زوجـة الخليفة، لأنها شكتْ إطراح الخليفـة لها، فأخذهـا معه، فمـرض وتوفي أوائل رمضـان. ووصل إليه وزيـره الكندريّ في يـومين فَدَفَنَـهُ[٢٦]. وبتأثير نظام الملك وزير السلطـان (آلب أرسلان) قُبض على عميد الملك ونُفي إلى مرو الروذ وقُتل سنة ٤٥٦هـ.

وكما ذكـرنا فقـد كان الكنـدري شاعرًا بليغًـا مترسـلًا ممدَّحًـا، مدحـه كثيرون، منهم: الباخرزيّ وَصرَّدر وابن زُريق. ولـم أظفـر بمدحة ابن زُريق على كثرة تنقيري، وأظنه قالها بعد سنة ٤٣٤هـ أيام سطوة أبي نصر العميد الكندري.

أما مرثاتـه لديك، فهي - كما قُلنا - من جيد الشعر، وتفصـح عن قدرة الشاعر

على إبداع الصور، كما تَبضّ عن عاطفة صادقة وهاجة، وأنا أثبتها في الآتي معتمدًا على ثلاث مخطوطات: مخطوطة «الوافي بالوفيات»، ومخطوطة «تأريخ دول الأعيان». ومخطوطة «الوديك في فضل الديك» للسيوطي.

قال أبو الحسن علي بن زُريق الكاتب البغدادي يرثي ديكًا:

١- خَطْبٌ طُـرقتُ بـه أَمَـرَّ طـروقِ	فَظٌّ الحلـــول عليَّ غيــــر شفيقِ
٢- فكأنَّمَا نُـوبُ الـزمـان محيطـة	بي راصـــــدات لي بكلّ طـــــريقِ
٣- هل مُستجار من فضاضـة جورها	أم هل أسيـــر صـــروفهـــا بطليقِ
٤- حتى متى تنحي عليَّ خطـوبها	وَتُغِصّني فجعـــاتهـــا بـــالـــريقِ
٥- ذَهَبْت بكـل مـــوافقٍ ومـــرافقٍ	ومنـــاسبٍ ومصـــاحبٍ وصـــديقِ
٦- وطـــريفـــةٍ وتليـــدةٍ وحبيـــرةٍ	صِيْنَتْ وركن للـــزمـــان وثيـقِ
٧- حتى بـديكٍ كنتُ آلف قـربــهُ	حلـو الشمـــائل في الـديـوك رشيقِ
٨- ألقىٰ عليـه الـدهـر منه كَلْكـلًا	يفني الـــورىٰ ويشتّ كـل فـــريقِ
٩- ورمـاه منـــه بحـدّ سهـم صـائبٍ	لـــذخـــائر المستظهـــرين علـــوقِ
١٠- حـزني عليـه دائمًـا مـا غـرَّدَتْ	ورق الحمـــام ضُحَىً بـــذروة نيقِ
١١- أربيب منـزلنـا وَنَشْـوَ حجـورنـا	وَغَـــذِيَّ أيـــدينـــا نـــداء مشـــوقِ
١٢- لهفي عليك أبـا النـذير لـو أنَّـهُ	دَفَعَ المنـــايـــا عنك لهف متـــوقِ
١٣- وعلى شمائلك اللواتي ما نمت	حتىٰ ذَوَتْ من بعـــد حسن سمـــوقِ
١٤- لمـا نفعت وصرتَ عِلْق مَضِنَّةٍ	ونشأتَ نَشْءَ المقبل المـــومـــوقِ
١٥- وتكاملتْ جُمل الكـلام بأسرها	..............................(١٧)
١٦- وحبــاك مَنْ حيَّــاك كلّ مـــودّةٍ	لك مـن خليلٍ صـــادقٍ وصـــديقِ
١٧- وغـدوتَ ملتحفًا بمـرط حبـرت	فيـــه بـــديع الـــوشي كـفّ أنيقِ

١٨- كـالجلنـارة أو صفـاء عقيقـةٍ | أو لمعِ نـــارٍ أو وميض بـــروقِ
١٩- أو قهـوةٍ تختـــال في بلـورةٍ | بتـأنـق التـــــرذيـق والتصفيـقِ
٢٠- وكأنمـا الجـاديُّ جـاد بصيغـةٍ | لك أو طلعـت مضمخًـا بخلـوقِ
٢١- ولبستَ كالطـاووس ريشًا لامعًا | متـــلألئًـــا ذا رونـقٍ وبـــريقِ
٢٢- من حمـرة مع صفـرة في زرقـةٍ | تخفـىٰ بحليتهـــا على التحقيـقِ
٢٣- عرض يجلّ عن القيـاس وجوهر | لطفتْ معـــانيـــهِ علىٰ التـــدقيقِ
٢٤- وكأنَّ ســالفتيــهِ تبـر سـائل | وعلىٰ المفـــارق منك تــاج عقيق
٢٥- وكأنّ مجرىٰ الصـوت منك إذا جَفَتْ | وَنَبَتْ عـن الأسمـــاع بـحّ حُلــوقِ
٢٦- نـــايٌ رقيقٌ نــاعـم قـرّت بـه | نغم تـــؤلفـــه مـن المـــوسيقي
٢٧- تزقـو وتصفق بالجنـاح كمُنْتشٍ | وصلت يـــداه النقـــر بـــالتصفيقِ
٢٨- وتميسُ مُمْتَطيًـا لسبـع دجـائج | مثل المهــــارىٰ أحـــدقَـتْ بفَنيقِ
٢٩- فَتُميُّــرنـــا منْهُنَّ بيضًـــا دائمًـــا | رزقًـــا هنيئًـــا ليس بـــالممحـــوقِ
٣٠- فيهـا بــدائع صَنْعَـةٍ ولطـــائفٍ | أُلِّفْنَ بـــــالتهـــذيـب والتـــوفيقِ
٣١- فبيـاضُهـــا ورق، وتبِرٌ مُحّهـــا | في جـــوفِ عـــاجٍ بُطِّنَتْ بـــدبيقِ
٣٢- خلطان مـائيّان مـا اخْتلطا علىٰ | سَيْـلٍ، ومختلـط المـــــزاج رقيـقِ
٣٣- يغـدو عليــه من طهـــاه بِعُجَّـةٍ | ويـــروحُ بـــالمشـــويّ والمصلـــوقِ
٣٤- نعم لعمــرك لـو تــدوم هنيئـة | هل دام رزق لامـــــرئٍ مــــرزوق؟
٣٥- ابكي إذا عـايَنْـتُ ربعك مقفـرًا | بتحنُّـــــنٍ وَتَفَجّـــــع وشهيـــقِ
٣٦- ويزيـدني جزعًا لفقـدك صادحٌ | فـي منـــــــزلٍ دانٍ إلـيَّ لصيـقِ
٣٧- فتأسّفي أبـــدًا عليـك مـــواصل | بســـواد ليـلٍ والتمــــاع بــــروقِ
٣٨- وإذا أفاق ذوو المصـائب سلوةً | وتـأسيًّـــا أمسيتُ غيـــر مفيـق
٣٩- صبرًا لفقـدك لا قلًى، لكنْ كما | صبـــر الأسيـــر لشـــدّةٍ ولضيْقِ

٤٠- لا تَبْعُـــدَن وإنْ نَأتْ بك نيَّـــةٌ في منـــزل نـــائي المـــزار سحيقِ

٤١- وَسَقىٰ عظامك صَوْب مُزْنٍ هاطلٍ غَـــدَقٍ رعـــود في ثـــراك بـــروقِ

ذاك ما ظفرنا به من شعر أبي الحسن علي بن زُريق البغدادي الكاتب، مما لم يقف عليه الصديق الباحث.

لكن المأخذ الرئيس على البحث أنَّ مُحسنًا خلط بين رجلين مختلفين اسمًا وكنية ولقبًا وترجمةً.

لقد ظنَّ الثعالبي في ترجمته لمن سمّاه (أبو محمد ابن زُريق الكوفي الكاتب) أنه يُترجم لصاحبنا (علي بن زُريق)، صاحب العينية، حتى قال ما نصّه: (فإذا ضُمَّتْ هذه المقطوعة إلى المقطوعات الخمس التي ذكرها الثعالبي، كان لدينا من شعر الرجل ما يُدْحِض القول بعدم وجود شعر له، غير العينية)[٢٨].

وفاتَهُ أَنَّ كنية علي بن زُريق هي: أبو الحسن، والكوفي كنيتُهُ: أبو محمد، وانَّ صاحب العينية بغدادي، وأبو محمد كوفيّ، وأن صاحب العينية معروف الاسم، والكوفيّ معروف بكنيتِهِ فقط.

ثم إنّ المقطعات الخمس التي أوردها الثعالبي في «اليتيمة» منسوبة لأبي محمد بنُ زُريق الكوفي تختلف في أسلوبها وَنَفَسِها الشعري عن أسلوب صاحب العينية، وهي لايمكن أنْ تكون لأبي الحسن للأسباب التاريخية التالية:

١- من المقطّعات الخمس التي نَسَبَها الثعالبي لأبي محمد بن زُريق الكوفي، مقطّعة يُعَرّض فيها بالصولي، هذا نَصُّها:

داري بـــلا خيش ولكنّني عقـــدتُ من خيشتي طـــاقين

دارٌ إذا مـــا اشتـــدّ حَـــرٌّ بهـــا أنشـــدتُ للصـــولي بيتيـن

وقد أوردهما الصفدي منسوبين لابن زُريق الكوفي[٢٩].

قائل هذا الشعر معاصر لأبي بكر الصولي المتوفىٰ سنة ٣٣٥هـ فهو يُعَرّض به،

وبرودة شعر الصولي أمر نُبز به من قبل آخرين أيضًا، قال الصاحب بن عباد: (ولا عجب فهذا الصولي كان كثير الرواية حسن الأدب، إلَّا أنه ساقط الشعر)[٣٠].

ومن القدامى من ذكر كتاب «الأوراق» للصولي، وقال: إلَّا أنه كَسَفَهُ بشعره البارد.

وحين يكون قائل هذا الشعر معاصرًا للصولي المتوفى سنة ٣٣٥هـ، لا يمكن قطعًا أنْ يمدح أبا نَصْر العميد الكندري الذي تولّى الوزارة عام ٤٢٩هـ - على رواية صاحب «زُبدة النصرة» - للفارق الزمني الكبير بينهما.

٢- ثم إن الاطلاع على تراجم صاحبنا يؤكد تَدَيُّنَهُ وَتَرفّعَهُ عن مجالس الشراب، بل وملازمتهُ الإقراء في مكة المكرمة، كما جاء في «صلة» ابن بشكوال، فكيف يكون مَنْ هذه سيرته هو القائل في قينة كانت تسقيهم الشراب:

أبا سعيد أصغِ لي ... ياسيدي ونديمي

حصلتُ عند صديق ... حرّ ظريف كريمِ

أسقى على شدوِ دبْسـ ... ـيّةٍ فتنفي همومي

فكنتُ حين تُغَنّي ... لدىٰ جنان النعيمِ

وانْ نظرتُ إليها ... ففي العذاب الأليمِ

.... إلخ. مثل هذا الشعر لا يقوله مَنْ يقوم بإقراء الطلبة والعلماء بمكة.

٣- ثم إنّ فحص نَصّ ثالث من هذه النصوص الخمسة من الداخل ينفيه عن صاحبنا. قال الثعالبي: (أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان لأبي محمد بن زُريق، يخاطب به أبا عبدالله الكوفيّ، لما قلّد مكان أبي جعفر بن شيرزاد، وحصل في الدار التي كان أبو جعفر يناظر الناس فيها، وعلى دسته، وفي مثل حاله، وقد كان حَضَرَهُ قبل ذالك فَحُجِبَ:

انّا رأينا حجابًا منك قد عرضا ... فلا يكن ذلّنا فيه لك الغَرَضَا

أسمعْ لنصحي، ولا تغضَبْ عليَّ فما ... أبغي بقولي لا مالًا ولا عَرَضَا

الشكر يبقىٰ، ويفنىٰ ما سواه، وكم سواك قد نال ملكًا فانْقضىٰ وَمَضىٰ
في هذه الدار، في هذا الرواق علىٰ هذا السرير رأينا المُلْك، فانقرضا

قال: فاعتذر إليه الكوفي، وقال له: حَسْبُنا. وقضى إليه حوائجَهُ.

قال هلال بن ناجي: فأما أبو جعفر بن شيرزاد فقد كان ناظرًا في أمور الوزارة، أيام الخليفة المستكفي بالله أبو القاسم عبيدالله بن المكتفي بالله بن المعتضد بالله، الذي ولي الخلافة سنة ٣٣٣هـ(٣١).

وقد ورد ذكر أبي جعفر بن شيرزاد في أخبار سنة ٣١٦هـ، عند القبض على الوزير علي بن عيسى، وأنه في وزارة محمد بن القاسم سنة ٣٢١هـ قُبِضَ على ابن شيرزاد وأخذ خطهُ بعشرين ألف دينار، ثم ظهر في أخبار سنة ٣٢٦هـ حين سَفَرَ في الصُلْح بين ابن رائق والبريدي، وأخذ خط الراضي بالرضا عنهما.

وفي سنة ٣٢٧هـ أنفذ ابن رائق جعفر بن شيرزاد إلى (بجكم) يلتمس الصُلْح، وبعد مَقْتَل (بجكم) سنة ٣٢٩هـ، دخل البريدي بغداد وَمَعَهُ أبو جَعْفَر بن شيرزاد.

أما أبو عبدالله الكوفي، واسمه أحمد بن علي فقد استكتبه ابن رائق سنة ٣٢٥هـ، وفي سنة ٣٢٨هـ انحدر أبو عبدالله الكوفي إلى واسط واستقَرتْ له كتابة (بجكم).

قال الهمذاني: (وهذه الأبيات قالها أبو محمد بن زُرَيْق، وقد أتى إلى باب الكوفي، وقد استكتبه (بجكم)، وعزل ابن شيرزاد، وأنزل الكوفي دار ابن طومار بخان أبي زيادة، وكانت من قَبْل ديوانًا لابن شيرزاد، فجاء ابن زُريق فحجبَ عن الكوفي، فقال لحاجبه، حين أنشده الأبيات: ويلك! أما كان له أسوة بمن دَخَل، ولكنك أردتَ أنْ يمزق عرضي، ويواجهني به، ورفق بابن زريق، ولم يزل به حتى جلس ورضي)(٣٢).

وفي سنة ٣٢٩هـ لعب أبو عبدالله الكوفي بتوجيه من (بجكم) دورًا في اختيار

المتقي لله للخلافة، وهو إبراهيم بن المقتدر بالله.

انَّ إمارة (بجكم) دامتْ سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام[٣٣]، وكتابة أبي جعفر ابن شيرزاد له تسعة عشر شهرًا وثلاثة عشر يومًا[٣٤]، وكتابة أبي عبدالله الكوفي له خمسة أشهر و ١٨ يومًا[٣٥]، وقد استقرت الكتابة لأبي عبدالله الكوفي سنة ٣٢٨هـ، وقُتل (بجكم) سنة ٣٢٩هـ، واستقر الكوفي - بعد ذالك - ومات سنة ٣٣٤هـ[٣٦] بحلب.

وهذا كلّه ينتهي بنا إلى أن هذه الأبيات قالها أبو محمدّ بن زُريق الكوفي سنة ٣٢٩هـ، مما يعني استحالة أنْ تكون هذه المقطّعة لصاحبنا أبي الحسن علي بن زُريق البغدادي الذي عاش قَرنًا بعد هذا التأريخ، فالدليل التأريخي ينفيها.

٤- ثم يبقى بعد هذا بيتان، هما:

سافرتُ أبغي لبغداد وساكنها ... مِثْلًا فحاولت شيئًا دونه اليأسُ

هيهات بغداد الدنيا بأجمعها ... عندي، وسكان بغداد هم الناسُ

قَدَّم الثعالبي لهذين البيتين بالآتي: (أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان، قال: أنشدني أبو سليمان المنطقي ببغداد، قال: أنشدني ابنُ زريق لنفسه).

ومعنى هذا أن أبا سليمان المنطقي[٣٧] - المتوفى في حدود عام ٣٧٢هـ - سمع هذين البيتين من أبي محمد بن زُريق الكوفي قبل سنة ٣٧٢هـ، مما ينفي بالدليل التأريخي أن يكون لصاحبنا أبي الحسن الذي عاش ستة عقود بعد هذا التأريخ أو أكثر.

وممّا يُعَزّز ما ذهبنا إليه أنَّ الثعالبي أورد هذين البيتين في مخطوطة له عنوانها «أحاسن المحاسن» وَنَسَبَهَا لأبي محمد الكاتب الكوفي[٣٨].

٥- أما المقطعة الخامسة وهي في ترك عيادة مريض والاعتذار عن ذالك، فلا تحمل طابعًا معينًا ليمكن ترجيح نسبتها لأحدهما.

● **خلاصةُ البحث:**

١ - لقد أَثْبَتُّ بالأدلـة التأريخية وجود شاعر اسمـه (أبو الحسن علي بن زُريق البغدادي الكاتب)، عاش في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

٢- اسقطتُ مقالة الزاعمين أنه من شعراء الواحدة، بإيراد أشعار ثابتة النسبة إليه.

٣- أوضحتُ السبب الـديني الذي انصـرف من أجلـه هذا الشـاعر إلى علـوم القرآن المجيد، فَقَلّ شعره.

٤ - أسْقَطْتُ وَهْمَ القائلين بـذهابه ممتاحًـا إلى الأندلس، ثم ما أصـابه من غَمٍّ وموته في دار الغربة بالأندلس، فـلا أحد من مُصَنّفي كتب التراجم الأندلسية ذَكَرَهُ في الطارئين عليها، والفضل في جلاء هذه النقطة عائد لأخي محسن غياض.

٥- أزلْتُ الالتباس الذي وقع فيه أخي محسن غياض حيث خلط بين شاعرين هما: أبـو الحسن علي بن زُريق البغدادي، وأبـو محمد بن زُريق الكوفي، بـالأدلة التاريخية المثبتة أن بينهما فارقًا زمنيًا يزيد على نصف قَرْن.

٦- فَحَصْتُ النصوص الشعرية التي نَسَبَهَا الثعالي في «يتيمتِهِ» لأبي محمد بن زُريق الكوفي، وأثبتُّ بـالأدلة العلمية استحـالة صدورهـا عن أبي الحسن علي بن زُريق البغدادي موضوعًا وسندًا.

ولعلّي - بعد هذا - قد أسهمتُ في كشف صفحة وضيئة من تأريخ شاعر مجيد غَبَنَهُ بَعْضُ الدارسين حتى أنكروا وجوده والحمدُ لله أولًا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا.

بغداد - العامرية: هلال ناجي

الحواشي:

(١) «ذيل تأريخ بغـداد» لابن النجار البغـدادي (ت ٦٤٣هـ)، و «المستفـاد» انْتَقَاهُ أحمـد بن أيبك الدميـاطي (ت٧٤٩ هـ).

(٢) «المستفاد من ذيل تأريخ بغداد» ص ٣٣٦.

(٣) ٣٠٨ - ٣١١.

(٤) «بحوث عربية مهداة» إلى د. محمود السمرة ص ٢٨٠، و: مجلة «العرب»، ص ٣٣، ص ٧٣٥.

(٥) «بحوث عربية مهداة» ص ٢٨٨، مجلة «العرب» س ٣٣، ص ٧٤٨.

(٦) مخطوطة «الوافي بالوفيات» لخليل بن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، ومصوّرة المكتبة المركزية ببغداد.

(٧) العميد الوزير أبو نصر: هو محمد بن منصور بن محمد، عميد الملك الكندري، كان وزيرًا لطغرلبك، منذ تولى السلطنة سنة ٤٢٩هـ. وكان جوادًا، شاعرًا، مترسلًا، مُمَدَّحًا، مدحه أبو الحسن الباخرزي وصَرَّدر، وكان صاحبًا لإمام الحرمين: الجويني، وبعد وفاة طغرلبك سنة ٤٥٥هـ تآمر عليه نظام الملك فأُبْعِد أيام (ألب أرسلان) وقُتل بنيسابور سنة ٤٥٦هـ، انْظُرْ: زامباور ص ٣٣٨، و «وفيات الأعيان» ٥/ ١٣٨ - ١٤٤، و «زبدة التواريخ» لصدر الدين علي بن ناصر الحسيني ص ٦٧ - ٧٠، و «تاريخ دولة آل سلجوق» للفتح بن علي البنداري ٣٠ - ٣٢، و «راحة الصدور» للراوندي ص ١٥٩ - ١٨٧، و «الكامل في التاريخ» ١٠/ ٣١ - ٣٤، و «دمية القصر» ٢/ ١٣٨ - ١٤٧. ولم أظفر بمدحة ابن زريق لأبي نصر العميد الكندري رغم تنقيري.

(٨) مؤرخ عاش بين عامي ٨١٩ - ٨٥٦هـ)، ترجم له السخاوي في «الضوء اللامع» ٢/ ١٦٢ - ١٦٣، ومخطوطة: «تأريخ دول الأعيان» في دار صدام للمخطوطات في بغداد ج ٣، ص ٤٠٧.

(٩) القادر بالله أبو العباس أحمد بن العباس بن المقتدر، ولي الخلافة بعد خلع الطائع سنة ٣٨١هـ، وتوفي سنة ٤٢٢هـ. انْظر «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص ٤١١ - ٤١٧.

(١٠) وَرَدَتْ هذه القصيدة منسوبة إلى أبي الحسن علي بن زُرَيْق البغدادي الكاتب في ثلاثة مصادر مخطوطة: «الوافي بالوفيات»، و «تاريخ دول الأعيان» ومخطوطة «الوديك في فضل الديك» للسيوطي. وَسَنُوْرِد نَصها فيما بعد.

(١١) «الأنوار ومحاسن الأشعار» ٢/ ٦٣ - ٦٤.

(١٢) «بحوث عربية مهداة» ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(١٣) «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان ٢/ ٦٧.

(١٤) «شرح العلوي» مخطوط في برلين برقم ٧٦٠٧ رقم ٣.

(١٥) «من تخميس الباعوني» مخطوطة برلينية برقم ٧٦٠٧ رقم ٣.

(١٦) «من تخميس طه أبو بكر» مخطوطة في القاهرة برقم: ثان ٣٢٥٣.

(١٧) أحمد بن جعفر بن الدبيثي، أبو العباس، من أعيان أهل واسط، له معرفة بالأدب نظمًا ونثرًا، وهو ابن عم أبي عبدالله محمد بن سعيد الدبيثي المؤرخ المعروف، توفي في واسط سنة ٦٢١هـ. له ترجمة في «الوافي بالوفيات» ٦/ ٢٨٣، وفي «فوات الوفيات» ١/ ٦٢ - ٦٣، وقصيدته هذه في «الوافي» ٦/ ٢٨٣ - ٢٨٥، وفي «الفوات» ١/ ٦٣ - ٦٤.

(١٨) «الوافي بالوفيات» ٦/ ٢٨٥.
(١٩) «يتيمة الدهر» ١/ ٢٩٣.

(٢٠) «فوات الوفيات» ٣/ ٢٤٢.

(٢١) البيت للشافعي في ديوانه ص ١٢٢، بتحقيق مجاهد مصطفى بهجت.

(٢٢) «الصلة» ص ٦٣٢.
(٢٣) «طبقات القراء» ٢/ ٣٠٩.

(٢٤) «دمية القصر وعصرة أهل العصر» لأبي الحسن الباخرزي ٢/ ١٣٨. والإمام الموفق هذا، هو ضياء الدين الموفق أبو المعالي عبدالملك بن أبي محمد عبدالله بن يوسف الجويني النيسابوري إمام الحرمين وأشهر علماء الشافعية في زمنه (٤١٩ - ٤٧٨هـ). انظر ترجمته في «وفيات الأعيان» ٣/ ١٦٧ - ١٧٠، ومراجعهُ ثَمّة.

(٢٥) «دمية القصر» ٢/ ١٤٢.

(٢٦) «كامل ابن الأثير» ١٠/ ٢٠ - ٢٦ والسلطان السلجوقي هذا، هو ركن الدين طغرلبك محمد بن ميكائيل ابن سلجوق.

(٢٧) سقط عجز البيت في مخطوطة رامبور، ورواية «الوافي» و «تأريخ دول الأعيان» مداخلة، إذْ سقط منهما صدر البيت السادس عشر، وحلّ محلّه صدر البيت الخامس عشر، فاختلّ المعنى.

(٢٨) «بحوث عربية مهداة» ص ٢٨٣.

(٢٩) «الوافي بالوفيات» ٥/ ١٩١.

(٣٠) «الكشف عن مساوئ شعر المتنبي» للصاحب بن عباد في ذيل كتاب «الابانة عن سرقات المتنبي» لمحمد بن أحمد العميدي ص ٢٣٠.

(٣١) انظر: «تكملة تأريخ الطبري» لمحمد بن عبدالملك الهمداني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الصفحات: ٢٥٦ و ٢٨١ و ٣١٤ و ٣١٧ و ٣٢٧.

(٣٢) «تكملة الهمذاني» ص ٤٢٦.
(٣٣) «التكملة» ص ٣٢٧.

(٣٤) «تكملة الهمذاني» ص ٣٢٢.
(٣٥) «التكملة» ص ٣٢٧.

(٣٦) «التكملة» ص ٣٥٣.

(٣٧) من أشهر علماء بغداد في المنطق والحكمة والفلسفة، واسمه محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، وهو من شيوخ أبي حيّان التوحيدي، صَنَّفَ «صوان الحكمة». كان عضد الدولة فناخسرو يكرمه ويفخمهُ، وله رسائل إليه في فنون مختلفة. انظر ترجمته في «تأريخ الحكماء» للقفطي ٢٨٢ - ٢٨٣، و «الفهرست» ٣٢٢، و «نزهة الأرواح» ٢/ ٩١ - ٩٦.

(٣٨) مُصَوَّرة في خزانتي، الورقة ٦٠.

طه حسين وذاتية المنهج

يغلب الاستعـراض على طـريقـة د. طـه حسين في معظـم مـا كتب، وتتضح الذاتيـة، والذوق الفـردي في كثير، أو أكثر مـا قدمـه تاريخًا، ونقـدًا، وديانـة برغم دعـوته إلى درس الأدب درسًـا مـوضوعيًّـا، ذالك لأن المنهج العلمي عسيـر على رجل كفيف يستعين بغيره، لذالك اقتصر معظم مـا كتبه على النقد الذوقي، فكتب كثيـرًا من موضـوعاتـه في بناء قصصي، وطـوّع معظم مضامينـه وموضـوعاتـه إلى أسلوب الحكاية التي تناسب اضطراره إلى (الإملاء).

واتفق معظم كتّاب مصر ونقادهـا على أنه يمزج التحقيق العلمي بالفن، ولكن الجانب العلمي يضعف أمـام طغيان الفن، والـذوق عنده، مما يـؤكد انطبـاعيته، واستحـواذ (الذاتيـة) لـديه معتمـدًا في كثير ممـا يكتب على التبسيط والتـوضيح المسـرفين، اللـذين يقـودانـه إلى الاستطـراد التعليمي، والتكـرار، فيصـوغ الفكـرة الواحدة بكثير من الألفاظ، وبسبب هذا تعرض د. طه حسين إلى بعض من النقد، أو النقد الساخر كقول الزيات: (كتـابات طه حسين كالخَرُّوب أغلبه خشب، وأقله سكر، فيكتب خمس صفحـات بما يمكن أن يكون بخمسـة أسطر) لهذا كـان لابد لـه من الإسـراف، والتهويل، أو أنهمـا كـانـا نتيجة لاستطـراده (القسـري) بسبب الإملاء، وفقـر المضامين، فقد اكتفى في معظم مـا استنتجه بمقدمـات بسيطة، أو استقراء نـاقص بنى عليه نتـائج كبيرة معتمـدًا في مراجعـه على معلومـات مختارة منتقاة استقى كثيـرًا منها من كتاب واحد كـ «الأغاني» – مثلًا – أو الاكتفاء بـرواية واحدة.

يقـول عنه العقـاد: إنه صحيح الأصـول في النقـد، ولكنه لا يـوفق بين أصولـه، وطبيعته فـي كثير من المـوضوعات، فحيـن يقرر المبـدأ فهو على صـواب، ولكنه

حين يطبق المبدأ ينحـرف عنه فيوصـي - مثلًا - بمبدإ الشك (مـذهب ديكارت) ولكن حين تقرؤه تجـد كثيرًا من التـوكيد واليقين قلما تـراها في عبـارات الشاكين، وهما مبنيـان على مقدمـات لا تصلح لنتائجهـا فقد حكم في «حـديث الأربعاء» على القرن الثاني للهجرة حكمًا مطلقًا فوسمه بأنه قرن فساد ومجون.

وقد كـان الرجل يكثـر من النقل من مـراجعه الغربيـة، ولكنه لا يتثبت مـن هذا النقل - ولعل عـذره كف بصره - فينقل أحيانًـا الأسماء العـربية بفـرنسيتها دون أن يتنبه، وقد نشـرت له جريدة «السيـاسة» محاضرة كـان قد ألقاها جـاء فيها: (ولكن شجرت بين الفريقين اليمانيين والقيسيين معركة مرجرات (مرج راهط) وقد حسب أن مرجرات كلمة فارسية، وأشارت إلى هذه الواقعة مجلة «الجامعة الإسلامية» في حلب (١٣ أغسطس ١٩٣٤)، وعقب إسمـاعيل مظهر في مجلـة «العصور» (م ١ ص ٦٥١): (اتضح لي وأنا أقـرأ الملخص المقتضب أن المحاضرة برمتهـا منقولة نقلًا سقيمًا عن أحد المستشرقين الذين لم يدرسوا الموضوع درسًا أمينًا).

ويصـوره تلميـذه عزيـز أحمـد فهمي بقـولـه: (كما يتمتع أستـاذي بحسنـات الفرنسيين، فإنه أيضًا مصاب بعيبهم، فيه منهم الاندفاع، فهو إذا خاصم إنسانًا لم يعرف الهـوادة في خصامـه، فإذا ملك خصمه حطمـه تحطيمًا، كمـا أنه إذا أحب إنسانًا لم يعرف الهوادة في حبـه، فإنه إذا ملك رفعه إلى أعلى عليين بلا تحفظ أو حذر).

ومن مبالغاته ما كتبه عن ديكارت إذ قالـه: (إنه يعرف من الأسرار عنه ما لو قاله لَدُكَّتْ لـه أسوار (السوربـون)، أو قوله عن صـاحبه عبدالخـالق ثروت: (ليس بين المصريين في العصـر الحديث من نشر أعلام مصـر المستقاة في قطاع الأرض إلّا ثروت).

وحين دخل (حزب الوفـد) وكان العقاد أبرز كتابـه سعى لاسترضائه، فأعلن في حفل كبيـر أن العقاد هـو أمير الشعـراء بعد شوقـي، وكان قـد أهدى إمـارة الشعر للـزهاوي، ثم عـاد بعد ذالك فسحبهـا منـه حين أعطاهـا للعقاد، ثم سحبهـا من العقاد، وأهـداها لمطـران، وهو في هـذا يقول للعقـاد في مقدمـة ديوانـه: (سيدي الأستاذ الكبير أنت أقمت للكروان ديوانًـا فخمًا في الشعر العربي فهل تأذن لي أن أتخذ له عُشًّا متواضعًا في النثر الحديث).

وقـال عن مكـرم عبيد: (كنت أسمعـه يخطب فكـان يخيل إليّ أني أقـرأ ذالك الفصل البديع من كتاب الخطابة لأرسطـو عن الشباب) وقال في هذا الحفل: (إذا خطب الأستاذ مكـرم فلا ينبغي لغيره أن يخطب معه). ولكنـه حين سئل عن كتاب «النثر الفني» للـدكتور زكي مبـارك - وكان خصمًـا له - قـال عنه: (إنـه كتاب من الكتب ألفه كاتب من الكتاب) فرد عليه د. زكي مبارك قائلًا: (إنه محروم من حاسة العدل فما أعرف أنه استطاع أن يقهـر أهواءه وهو يعامل الناس). وحين احْتُفِلَ في قصر الزعفـران بمهرجان شوقي - وكـان من خصومه - ألقى محاضـرة عن الشاعر الأخطل لا عن شوقي بحجة أن الجامعة لا تـؤرخ الأحياء، وهو نفسه الذي ارتضى أن يدرس أسلوب أحمد أمين في كلية الآداب وهو حي.

ولعل في كف بصره ما يسوغ إسرافه ومبـالغته، وتطرفه، فتلك واحدة من سمات الكفيف، الـذي يجد في مثل هـذا السلـوك أمنًا نفسيًـا يفتقـر إليه من فقـد اليقين الرؤيوي.

لقد اعتمـد د. طه حسين كثيـرًا على مهارته الأدبيـة، والأسلوبيـة في إقتحام أي مجال لا يحسنه معـرفة ودراية، اعتمادًا على جـرس أسلوبه وموسيقـاه الأخاذة في (إنشائه) ففي الأخير ينتـزع الإعجاب، ويثير الذهول، ويبعث الدهشـة بوصف هذا

تعويضًا عن قلة المحصول المعرفي في موضوعاته، وهذا ما فرضته العاهة، وحكمه الفقدان، لذا عمد في معظم ما كتب إلى القصة والحكاية، والرواية، لأنها تناسب قدرته على السرد، والاستطراد ما اضطره إليه كف بصره، والقصة - كما يقولون - تمثل فطرية الإنسان، وبساطة أدواته، وفقر خزينه المعرفي فمنذ كان الإنسان ملأ الدنيا أحاديث وأساطير.

وهاهو د. طه حسين يقدم نفسه - وهو يتخذ من هذا الشكل الأدبي طريقة لموضوعاته - إذ يقول في مقدمة قصته «المعذبون في الأرض» وهو يستعلي على المناهج وعلى القراء أيضًا: (لا أضع قصة تخضع لأصول الفن، ولو كنت أضع قصة لما التزمت إخضاعها لهذه الأصول، لأنني لا أؤمن بها، ولا أذعن لها، ولا أعترف بأن للنقاد مهما يكونوا أن يرسموا لي القواعد، والقوانين مهما تكن، ولاأقبل من القارئ مهما ترتفع منزلته أن يدخل بيني وبين ما أحب أن أسوق من الحديث، وإنما هو الخاطر يخطر لي فأمليه ثم أذيعه، فمن شاء أن يقرأه فليقرأه، ومن ضاق بقراءته فلينصرف عنه).

وقد علق عبدالحميد السحار على هذا بقوله: (إن طه حسين يشبه السقَّاء فهو يحمل أبطال قصصه على ظهره كالقِربة ويقف منهم كناظر المدرسة لا يسمح لهم بالكلام إلا بإذنه).

ولعل كتابه «بين بين» واحد من عديد الأمثلة على فنه وأسلوبه وحياته، وإذا أريد لهذا الفن من تحديد، أو وصف لأهم سماته، وخصائصه، فإنها تتلخص في التكرار والمبالغة، والسخرية، والابتداع (تجنب المألوف) والحرص على الشكل الإيقاعي، وهي من خصائص أدب المكفوفين.

كلية الآداب (جامعة آل البيت): د. عدنان عبيد العلي

التحقيق ونقد التحقيق
عند الدكتور الطاهر

عرفت استاذي الدكتور علي جواد الطاهر، رحمه الله تعالى، عام ١٩٥٧، ودرست على يديه الأدب السلجوقي، والنقد الأدبي، في الدراسة الجامعية الأولية.

وكنا نتوجس خيفة من درسه، ونحسب لـه ألف حساب، لأنه كان حريصًا بل صارمًا، والمجتهد المجتهد من حصل على السبعين.

وفي عام ١٩٧١ تقدَّمْنَا لنيل شهادة (الماجستير)، وكان الدكتور الطاهر أحد أعضاء لجنة المقابلة، وبعد أن انتظمنا في الدراسة درسنا عليه مادة منهج البحث، وناقشنا، بطلب منه، كتابه في منهج البحث، وكان يتقبل ملاحظاتنا برحابة صدر بل أشار إلى ذالك في مقدمة الكتاب عندما أعاد طبعه.

وفي عام ١٩٧٥ في السنة التحضيرية للدكتوراه، كان من حسن حظنا أن الدكتور الطاهر هو أستاذ مادة تحقيق النصوص، وجعل اسم المادة في دورتنا (نقد التحقيق).

وقد أفدنا أيما إفادة من هذا الدرس، وأشار إلى ضرورة نقد كتاب محقق، وكان نصيبي مع الزميلين، الدكتور نعمة العزاوي والدكتور محمد حسين آل ياسين «ديوان حيص بيص» ثم «الفتح الوهبي» لابن جني، وقد ارتاح لعملنا وأثنى عليه، وطلب نشره. وفضلًا عن ذالك فقد طلب منا أيضًا أن نقرأ ملاحظاته على «وفيات الأعيان» وننقدها ففعلنا، وكان مسرورًا بها.

هكذا كان الدكتور الطاهر، يطلب نقد كتبه، ويفيد من هذا النقد، ثم يشكر ناقديه برحابة صدر.

وكان في محاضراته في الدكتوراه يشيد دائمًا بتحقيقات الشيخ محمود محمد شاكر، فهي عنده مثل أعلى يجب أن يُحتذى به.

وقبل وفاته بشهرين أسرّ إليَّ بشـيء لا يُغتفر بحق العلم والعلماء، وهو أن أحد تلامذته ذهب إلى القاهرة وزار الشيخ محمـود محمد شاكر ونقل إليه بأن الدكتور الطاهر يشتمه في محاضراته وينتقص منه.

وما كان الـرجل يتصف بهذه الصفات، فما سمعناه يـومًا يشتم أحدًا أو ينتقص منه طـوال ربع قرن، بـل كان، والله، كثير الثنـاء على الشيخ محمـود محمد شـاكر، شديد الإعجاب بتحقيقاته.

وما كنت أريد ذكر هذا، ولكن أستاذي - رحمه الله - طلب أن أكشف عن هذه الحقيقة للتـاريخ، ولدحض افتراء هذا الأثم عليـه، وبعد هذه المقدمـة التي أراها لازمـة لإلقاء الضـوء على صلتي بأستاذي الـدكتـور الطاهـر، ونهجه في تـدريس التحقيق ونقد التحقيـق، انتقل إلى جهوده في التحقيق ونقـد التحقيق: - كان أوّل تحقيق صـدر له هـو «لاميـة العجم» للطغـرائي مع تحليل ومنـاقشة عـام ١٩٦٢ ببغداد، وألحقهـا عام ١٩٦٣ بكتابه «الطغـرائي حياته، شعره، لاميتـه»، ثم «ديوان الخريمي» (بالمشاركة)، بيروت عام ١٩٧١، ثـم «ديوان الجواهري» (بالمشاركة)، صـدر في سبعـة أجـزاء ببغـداد ١٩٧٣ - ١٩٨٠، ثم «ديـوان الطغـرائي» (بـالمشـاركـة)، بغـداد ١٩٧٦. ثم أعيـد طبعـه بـالكـويت ١٩٨٣، ثم «ديـوان الجعفري» (بالمشاركة)، بغداد ١٩٨٦.

وقد حرص الـدكتور الطاهر كل الحرص على الاعتمـاد على المخطوطة أولًا ثم الاستئناس بالمصادر ثانيًا.

وكان من ديدنه الإشارة إلى الخلافات بين النسخ وترجيح ما يراه صوابًا.

وكان الأستاذ قـد اطلع على مناهج التحقيق عند المستشرقين فـأفاد منها، ومن تجاربه، فكـانت تحقيقاته تمتاز بقلة الحواشي، والاهتمـام بسلامة النص، وجمع أكبـر عـدد ممكن من النسخ المخطـوطـة، وأحسن مثـال على ذالك «ديـوان الطغرائي»، فقد كانت النسخ المعتمـدة في التحقيق تسع نسخ فضلًا عن مطبوعة الجوائب القديمة للديوان.

ومن ضرورات التحقيق في رأيه الوصف التام لكل مخطوطة، وإلحاق صور منها في مقدمة الكتاب المحقق؛ ثم الفهارس اللازمة وقد أشار إلى ذالك في حديثه عن عمل المحقق إذ يجب أن يكون مبتدئًا عمله إذا يقدمه إلى المطبعة بمقدمة، يعرّف فيها بالكتاب مخطوطًا ومطبوعًا إذا كان قد طبع من قبل ، فيصفه ويصف نسخه مؤيدًا الوصف بصور ورقات منه،... حتى إذا تم طبع صميم الكتاب عمل له الفهارس اللازمة من كل نوع ممكن.

والتحقيق في صميمه وفي أعلى درجاته مجد من أمجاد التأليف العربي، في أوج تراثه، فيما كان يكتبه المؤلف بخطه ويعيد قراءته، أو ما كان يمليه على طلبته ويعارضه الطلبة على نسخة يرتضيها، ويجيز روايتها عنه.

هذا هو رأي الدكتور الطاهر في التحقيق، ولكنه انتقل إلى (نقد التحقيق) وأولاه عناية خاصة، وقد أوضح ذالك في قوله بعد كلامه السالف عن التحقيق: (ولكن الأمر لم يكن دائمًا كذالك، ولا يمكن أن يبقى وقد راج الكتاب وصار مطلوبًا، وصارت كتابته مهنة، فكانت الوراقة، وكان النساخ، ثم الغش والتدليس والعبث... غير ما لحق المخطوط العربي من ضياع وتلف وتجارة وانتشار في أرجاء العالم، مما ضاعف مهمة الأجيال اللاحقة وزاد في صعوبة العملية الحديثة واستحال مسوغًا لأن تصير العملية علمًا، وأن يصير العلم مادة للدرس، والتدريس والتأليف.. ثم مسوغًا للملاحظة والنقد والتعليق. فمن الممكن، والممكن جدًّا، أن يقع المحقق الحديث - من كان - في خطإ أو سهو، لسبب وآخر.. وليس صحيحًا أن يبقى الخطأ في مكانه، ويمر السهو على الآخرين. ومن هنا، كان واجبٌ جديد يلقى على القارئ والعارف في تصحيح الخطأ عندما يوجد، والتنبيه على السهو عندما يحصل، وواجب كذالك على المحقق نفسه أن يصغي إلى القول ويستمع، ويستجيب، ويشكر، لأن العملية، كما رأينا، معقدة لابد من تضافر الجهود فيها، وملاحظة (الفائت) واجب، وليس مفاخرة أو مباهاة.

ومن يقع على (الفوات) ولا يدلّ عليه يرتكب جرمًا مضاعفًا، ومثله المحقق الذي تريه الخطأ فلا يستجيب ولا يشكر..

أجل، لقد صار التحقيق علمًا... وصار مع التحقيق (نقد التحقيق). (مقدمة «فوات المحققين» ٥ - ٦).

وسار الدكتور الطاهر على النهج الذي اختطه فتناول بالنقد كتبًا (محققة) أصبحت ساقطة من الناحية العلمية بعد نشر نقده، وكتبًا محققة تحقيقًا علميًا أثنى عليها ونبّه على هفوات فيها راجيًا الإفادة منها عند إعادة الطبع.

ومن هذه الكتب: - «المحمدون من الشعراء»: للقفطي، طبعة بيروت، «المحمدون من الشعراء»: طبعة حيدر آباد، «المثل السائر»: لابن الأثير ، طبعة دار نهضة مصر بتحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، مع مقابلتها بطبعة الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد، وجاء نقده في نحو ٩٠ صفحة فيها العجب العجاب!!، «وفيات الأعيان»: لابن خلكان، الدكتور إحسان عباس، ثمانية أجزاء. وجاء نقده في نحو ١٢٠ صفحة، «بانت سعاد وشروحها»: وتناول فيه شرح أبي البركات الأنباري، وشرح عبداللطيف البغدادي، وشرح ابن هشام الأنصاري، «الحيوان»: للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، سبعة أجزاء، «الأنوار ومحاسن الأشعار»: للشمشاطي، طبعة بغداد، وطبعة الكويت، «الصناعتين»: لأبي هلال العسكري، طبعة البجاوي وأبي الفضل، «الهوامل والشوامل»: لأبي حيان التوحيدي ومسكويه، نشرة أحمد أمين والسيد أحمد صقر، «الأمثال والحكم»: للماوردي، تحقيق الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد، «الممتع في صنعة الشعر»: لعبدالكريم النهشلي، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، ومقابلته بطبعة المنجي الكعبي بتونس، «المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية»: لأبي البقاء هبة الله الحلي، تحقيق الدكتور صالح موسى، والدكتور محمد عبدالقادر، «الاستدراك في الردّ على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية

من المعانـي الطائية»: لابن الأثيـر، تحقيق حفني محمد شـرف، «تحريـر التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيـان إعجاز القرآن»: لابن أبي الأصبع المصري، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف، «الشفـاء في بديع الاكتفاء»: لشمس الدين النواجي، تحقيق الدكتـور محمد حسن أبو ناجي، «قـوانين الدواوين»: لابن مماتي الـوزير الأيـوبي، تحقيق عزيـز سوريـال، «ديـوان الستالي العمـاني»: تحقيق عز الـدين التنـوخي، «نصرة الثائر على المثل السائر»: لصلاح الدين الصفدي، تحقيق محمد علي سلطـاني، «عارف حكمة حياته ومآثره»: «شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحِكَم»): لأبي الثنـاء الآلوسي، تحقيق الـدكتور محمد العيـد الخطراوي، «مظهر التقـديس بذهاب دولـة الفرنسيس»: للشيخ عبدالـرحمن الجبرتي، تحقيق حسن محمد جوهر وعمر الدسـوقي، «ديوان عمرو بن قميئة»: تحقيق حسن كامل الصيـــــرفي، «الأغاني»: لأبي الفرج الأصبهاني، ج ١، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، «طبقات الشعراء»: لمحمد بن سلام، تحقيق مصطفى عبدالجواد عمران، «الوساطة بين المتنبي وخصومه»: للقاضي الجرجاني، تحقيق أبي الفضل والبجاوي، «طبقـات الشعراء»: لمحمـد بن سـلام، إعداد اللجنـة الجامعيـة لنشر التــراث العـــربي، «الأغاني»: لأبي الفرج الأصبهاني، ج ١٧، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

هـذا ما وقفت عليـه من نقـد التحقيق عند الـدكتـور الطاهـر، وفيـه ما فيـه من الكشف عن فضائح قسم من هذه الكتب (المحققـة بزعمهم)، وفي كتابه النفيس «فـوات المحققين» فـوائد كثيرة تـدل على علم غـزيـر، وإحـاطـة تامـة بمنـاهج التحقيق، وحـرص لا مثيل لـه على تراث الأمـة، وكـان مبتغاه مـن هذا النقـد: (أن تتضاءل درجة العبث بـالتراث، ولا يبقى في الساحة غيـر العلماء الحريصين على الحقيقة النافذين إلى جوهر الحضارة.

بغداد: د. حاتم صالح الضامن

قراءة في كتاب «فرائد الخرائد في الأمثال»

[انظر «العرب» س ٣٣، ص ٢٨٦ و ٣٥١]

صدر عن (النادي الأدبي في الدمام) كتاب «فرائد الخرائد في الأمثال» لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخويّي (ت ٥٤٩هـ)، تحقيق الدكتور عبدالرزاق حسين، الذي سبق له أن حقق كتبًا في هذا الفن، منها: «الأمثال والحكم» للرازي، و «المنتخب في النوادر والأشعار» لابن منظور، و «الشعور بالعور» للصفدي وغيرها.

وهناك ملاحظات عنّت لي وأنا أقرأ هذا الكتاب، قراءة إمعان وتتبع لكلّ ما جاء فيه من نصوص وحواشٍ، راجيًا أنْ يكون لها ما يفيد في طبعات الكتاب القادمة.

يبدأ الكتابُ بمقدمة للمحقق تقع في ثمان صفحات ونصف، تحدث فيها عن مؤلف الكتاب ومنهجه، وعقد موازنة بين «فرائد الخرائد» و «مجمع الأمثال»، وبيَّن مواضع اختلافهما، كما أشار إلى نسخ الكتاب المخطوطة، فذكر أربع نسخ هي نسخة (دار الكتب) ونسخة (ليدن)، ونسخة (باريس) ونسخة (كوبريلي) وبيَّن أسباب اعتماده على نسختي (باريس) و (كوبريلي).

ولنا على هذه المقدمة الملاحظات الآتية:

١ - وصف المحققُ في (ص ٥) كتاب «فرائد الخرائد» بقوله: (وهو بهذا تَفَرَّدَ طريقةً وأسلوبًا ومادة، وتميز من كتب الأمثال الأخرى).

أقول: هذا وهم من المحقق، فليس في الكتاب ما يُميزه، ولم يكن متفردًا بشيء مما ذكره، فطريقة عرض الأمثال على حروف المعجم سبقه إليها الميداني والزمخشري، أما الأسلوب فلا يرقى إلى أساليب كتب الأمثال الأخرى، أما مادة الكتاب فيمكن القول أن كتب الأمثال التي سبقته والتي جاءت بعده كانت أكثر منه دقة وشمولية، وأكثر إحاطة بالحوادث والأخبار، نذكر منها على سبيل المثال: كتاب

«الأمثال» لأبي عبيد القاسم بن سلّام (ت ٢٢٤هـ)، و «فصل المقال» لأبي عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ)، و «مجمع الأمثال» للميداني (ت ٥١٨هـ)، و «تمثال الأمثال» للعبدري الشيبي (ت ٨٣٧هـ)، و «زهر الأكم في الأمثال والحكم» لأبي علي الحسن اليوسي (ت ١١٠٢هـ).

٢- وجاء في الصفحة أيضًا: (فإن «فرائد الخرائد» إذا ما أضفنا إليه الحكم والأشعار السائرة والمواعظ يصبح أوسع هذه الكتب على الإطلاق).

أقول: إنّ إطلاق الأحكام جِزافًا لا يتماشى مع روح العمل العلمي الدقيق، وقد أطلق المحققُ الكلامَ على عواهنِهِ، فكلّ كتب الأمثال زاخرة بالمواعظ والنصوص الشعرية، وكثرة الأشعار في «فرائد الخرائد» لا تؤهلَهُ لأن يكون أوسع هذه الكتب، والغريب أن يقول المحقق مثل هذا الكلام، وقد اعتمد على مصادر مَثَلِيَّة أوسع في هذا الكتاب.

٣- لم يعتمد المحققُ على كل نسخ الكتاب المخطوطة، فقد ذكر أربع نسخ فقط، في حين هناك نسخة أخرى مخطوطة في مكتبة «المتحف العراقي» برقم ٥٦٤، أشار لها أستاذنا الدكتور حاتم صالح الضامن في تحقيقه لكتاب «الزاهر» (١/ ٣٩). زِدْ على ذالك أنه لم يُقدِّم لنا وصفًا لهذه النسخ، ولم يقنعنا بأسباب اعتماده على نُسختَيْ: (كوبر يلي) و (باريس) وهو من الأمور المخلّة في عمل التحقيق، وكان بوسع المحقق الإشارة إلى ذالك.

وهناك ملاحظات أخرى حول المنهج الذي اتبع في التحقيق منها:

أ- عدم التقيّد بمنهج واحد في تخريج الأمثال، فمرّة يعتمد على مصدرين، ومرة يعتمد على أكثر من ذالك، ومرّات كثيرة يعتمد على مصدر واحد، من ذالك:

١- جاء في ص ٣١ ذكر المثل: (إنّ الحماة أَوْلَعَتْ بالكَنّة)، وقد اعتمد المحقق في تخريجهِ على «مجمع الأمثال» فقط، في حين ورد المثل في كتاب «الأمثال» ٣٥٤، و «فصل المقال» ٤٨٤، و «المستقصى» ١/ ٤٠٣.

ب- جاء في ص ٣٩ ذكر المثل (إنْ أعيا فِزْدُهُ نوطًا)، وقد اعتمد المحقق في تخريجه على كتاب «الأمثال» فقط، في حين ورد المثل في «فصل المقال» ٤٣٣ و «مجمع الأمثال» ١/ ٣٨، و «المستقصى» ١/ ٣٧٠.

جـ- جاء في ص ٤٣ ذكر المثل (إذا لم تغب فاحلب)، وقد اعتمد المحقق في تخريجهِ على كتاب «الأمثال» و «فصل المقال»، في حين ورد المثل في «مجمع الأمثال» ١/ ٥٣٤، و «المستقصى» ١/ ٣٧٥، و «زهر الأكم»١/ ٧٦. وقد تكرر ذالك في صفحات كثيرة لا مجال ذكرها.

٢- يبدو أَنَّ المحققَ لم يلتزم في ترتيب المصادر التي يذكرها في تخريج الأمثال بحسب ترتيبها الزمني، وقد تكرر ذالك في جميع صفحات الكتاب، فقد كان يذكر تسلسلها بطريقة تخل بعمل التحقيق العلمي الدقيق، إذْ جاء ترتيبها عنده كالآتي: «مجمع الأمثال»، «الجمهرة»، «الفاخر»، «المستقصى»، «فصل المقال»، كتاب «الأمثال»، في حين كان ينبغي تسلسلها على هذا الشكل: «أمثال العرب» للمفضل الضبي، «كتاب الأمثال» لأبي عبيد القاسم بن سلّام، «الفاخر» للمفضل بن سلمة «الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة» لحمزة الأصبهانيّ، «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري، «فصل المقال» لأبي عبيد البكري، «مجمع الأمثال» للميداني، «المستقصى» للزمخشري.

٣- أهمل المحققُ الرجوعَ إلى بعض طبعات المصادر، واكتفى بطبعة واحدة منها، من ذالك: الاكتفاء بطبعة دار صادر لكتاب «الإصابة في معرفة الصحابة»(١) وأهمل طبعة مصر ١٩٧١ بتحقيق البجاوي، كما اعتمد طبعة بيروت لكتاب «أمالي القالي» وأهمل طبعة دار الكتب المصرية، واعتمد طبعة بيروت لكتاب «تاريخ الطبري»، وأهمل طبعة دار المعارف بتحقيق أبي الفضل إبراهيم، واعتمد طبعة الهند لكتاب «جمهرة الأمثال» للعسكري وأهمل طبعة مصر بتحقيق أبي الفضل وقطامش مع أنها جيدة جدًّا، واعتمد طبعة البابي الحلبي لكتاب

«الحيوان» للجاحظ ١٩٤٥ وأهمل طبعة بيروت ١٩٦٩، واعتمد طبعة عبدالتواب لكتاب «أمثال الضبّي» وأهمل طبعة بيروت بتحقيق الدكتور إحسان عباس، واعتمد طبعة محيي الدين عبدالحميد لكتاب «مجمع الأمثال» ١٩٥٩م، وأهمل طبعة أبي الفضل ١٩٨٧ مع أنها جيدة.

٤- اضطراب تسلسل الكتب في قائمة المصادر، من ذالك: ورد تسلسل كتاب «الإصابة في معرفة الصحابة» بعد كتاب «الأصمعيات» وكان ينبغي أن يُذكر قبلهُ، كما ذكر «تاريخ بغداد» و «تاريخ ابن خلدون» و «تاريخ الطبري» بعد «تهذيب التهذيب»، في حين كان ينبغي ذكرها قبل «تتمة اليتيمة» ويكون تسلسلها كما يأتي: «تاريخ ابن خلدون»، «تاريخ بغداد»، «تاريخ الطبري»، وذكر «حماسة أبي تمام» بعد «حماسة البحتري» في حين كان ينبغي ذكرها قبل البحتري، وذكر «خاص الخاص» بعد «خزانة الأدب» وحقّهُ أنْ يذكرَ قبل (خبر قس بن ساعدة الأيادي)، وذكر كتابي ابن قتيبة «المعارف» و «المعاني الكبير» بعد «المعمرون والوصايا» وحقهما أن يذكرا قبل «معجم الأدباء».

٥- لم يشر المحققُ إلى اختلاف روايات بعض الأمثال، وهو أمر مهم في التحقيق، لأنه يُبيِّن طبيعة لهجات قبائل العرب، ويكشف عن دلالات جديدة لبعض الألفاظ، ومعنى هذا أنه يزوّد الباحثين بروايات جديدة يمكنهم عن طريقها الكشف عن ظواهر لغوية ونحوية، وقد تكرر هذا الأمر في صفحات كثيرة من الكتاب، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أ- جاء في (ص ٤٧) ذكر المثل: (إذا طلبَ الباطلَ أبدِعَ بكَ).

أقول ويُروَىٰ: (إذا طلبَ الباطلَ أنجح بك) كما جاء في كتاب «الأمثال» ١٦٦ و «فصل المقال» ٣٨، و «زهر الأكم» ١/ ٧٣.

ب- جاء في (ص ٨٧) ذكر المثل: (به لا بظَبْيٍ أعفر)، في حين ورد في كتاب «الأمثال» ٧٨، و «فصل المقال» ١٠٠، و «زهر الأكم» ١/ ٢٠٦ بلفظ: (به لابظبي).

جـ- جاء في (ص ١٤٧) ذكر المثل: (جاء بالترّة والترهات)، في حين ورد في «فصل المقال» ١٠٩، و «مجمع الأمثال» ١/ ١٦٨ و «المسقصى» ٢/ ٣٧، بلفظ (جاء بالتُّرَّهة).

د- جاء في (ص ١٩٢) ذكر المثل: (خُذ ما طَفَّ لك واستطف»، في حين ورد في «الأمثال» ٢٣٧، و «جمهرة الأمثال» ١/ ٤٢١، و «فصل المقال» ٣٤٣، و«المستقصى» ٢/ ٧٢ بلفظ (خذ ما طفّ لك وما استطفّ لك).

هـ- جاء في (ص ٢٤٢) ذكر المثل: (رُبَّ أكلة منعت أكلات)، في حين ورد في «الأمثال» ٢٢٨، «الفاخر» ١٧٤، «جمهرة الأمثال» ١/ ٤٩١، «فصل المقال» ٣٢٩ «مجمع الأمثال» ١/ ٤١. «المستقصى» ٢/ ٩٣، بلفظ (رب أكلة تمنع أكلات).

و- جاء في (ص ٣٠٩) ذكر المثل: (صُمِّي ابنة الجبل يُقل تقُل).

أقول: ويروى بلفظ (صمّي ابنة الجبل) كما جاء في «الأمثال» ٣٤٨، و «فصل المقال» ٤٧٤ و«المستقصى» ٢/ ١٤٢.

ز- جاء في (ص ٣٥٥) ذكر المثل: (على أهلها براقشُ تَجْنِي).

أقول: ويروىٰ (على أهلها دَلَّتْ براقش) أو (تجني براقش)، كما في «أمثال الضبّي» ١٥١ و«الأمثال» ٣٣٣، و «فصل المقال» ٤٥٩، و «مجمع الأمثال» ٢/ ٣٣٧، و«المستقصى» ٢/ ١٦٥.

ح- أشار المحقق (ص ٤٧) إلى المثل (إذا نزا بك الشر فاقعد به) وأسند إلى البكري رواية المثل بلفظ (إذا نزل).

أقول: هذا وَهْمٌ من المُحَقِّقِ، فَقَد أَشَارَ البَكْريُّ إلى نُسْخَة مَخطوطةٍ من كتاب «أمثال» أبي عبيد القاسم بن سلّام، جاء بها المثل بلفظ (إذا نزل)، وقد صحح هذه الرواية على لفظ (إذا نزا) فالبكريّ لم يَرْوِ المثل بهذه الرواية.

٦- أغفل المحققُ نسبة كثيرٍ من النصوص الشعرية، وهو من الأمور الرئيسة في منهج التحقيق، إذ يُبَيِّن صحة نسبة النصوص إلى أصحابها أو إلى سواهم، ويكشف عن أبيات أخلّت بها الدواوين المحققة، وقد تكرر هذا الأمر في مواضع

كثيرة، لو ذكرناها كلها لطال بنا المقام، غير أننا نكتفي بإيراد طائفة منها:

أ- جاء في ص ٩٧ ذكر البيت:

بُغَاثُ الطيرِ أكثرها فراخًا ... وأمُّ الصقرِ مقلاتٌ نزورُ

وَقَدْ نَسَبَهُ المحققُ إلى كُثَيّر عَزَّة.

أقول: هذا البيت للعباس بن مرداس في: ديوانه ٩٥.

ب- جاء في ص ٢٢١ ذكر البيت دون نسبة:

دخولك في باب الهوى إنْ أردتَّهُ ... يسيرٌ ولكنّ الخروجَ عسيرُ

أقول: ورد هذا البيت في «زهر الأكم» ٢/ ٨٣ وقد نَسَبَهُ الحسن اليوسي إلى ابن الخطيب.

جـ- جاء في ص ٢٤٨ ذكر البيت دون نسبة:

أريدُ حياته ويُريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مرادِ

أقول: هذا البيت لعمرو بن معدي كرب في: ديوانه ٦٥، بلفظ: أُريد حباءه.

د- جاء في ص ٢٤٩ ذكر البيت الآتي دون نسبة:

لا خيرَ في طمعٍ يهدي إلى طبعٍ ... وغُفّةٍ من قوام العيش تكفيني

أقول: هذا البيت لثابت قطنة في مجموع شعره ٦٥،

هـ- جاء في ص ٢٥٢ ذكر البيت الآتي دون نسبة:

هوّن عليك فإنّ الأمورَ ... بكفّ الإلهِ مقاديرُها

أقول: هذا البيت للأعور الشني كما جاء في «كتاب سيبويه» ١/ ٣٢ و «شرح أبيات المغني» ٢٣١، وبعده:

فليس بِآتِيكَ منهِيُّها ... ولا قاصرٌ عنك مأمورها

فمنه إذا شاء تيسيرها ... ومنه إذا شاء تعسيرها

و- جاء في ص ٢٩٩ ذكر ثلاثة أبيات دون نسبة، أولها:

وصاح غراب فوق أعواد بانة بأخبار أحبابي فقسّمني الفكر

أقول: هذه الأبيات الثلاثة لسلمة الجعدي كما جاء في «زهر الأكم» ٣/ ٢١٠.

ز- جاء في ص ٤٢٦ ذكر البيت الآتي دون نسبة:

وليس لعيشنا هذا مهاه وليست دارنا الدنيا بدارِ

أقول: هذا البيت لعمران بن حطان كما جاء في كتاب «الأمثال» ١٠٩، و«فصل المقال» ١٥٩.

ح- وجاء في ص ٤٢٦ أيضًا ذكر البيت الآتي دون نسبة:

كفي حَزَنًا أنْ لا مَهاةَ لعيشنا ولا عمل يَرْضَى به الله صالح

أقول: هذا البيت لابن دريد كما جاء في «زهر الأكم» ٢/ ١٨٢.

ط- جاء في ص ٤٤٠ ذكر البيت الآتي دون نسبة:

وكم من طالب يسعى لعيشٍ وفيه هلاكُهُ لو كان يدري

أقول: قائل هذا البيت ابنُ هرمة كما جاء في كتاب «الأمثال» ٢٢٨، و «فصل المقال» ٣٢٩.

ي- جاء في ص ٤٧٥ ذكر البيت الآن دون نسبة:

لا تَحْمَدَنَّ امرءًا حتّى تجربُهُ ولا تَذمَّنَّهُ من غيرِ تجريبِ

أقول: هذا البيت لأبي الأسود الكناني كما في «حماسة البحتري» ٢٣٣، وبعده:

وإنَّ مدحك مَنْ لم تَبْلُهُ خَرَقٌ وإنَّ ذمَّك بعد المدح تكذيب

ك- جاء في ص ٥٠٧ ذكر البيت الآتي دون نِسْبة:

ما للرجال مع القضاء محالةٌ ذهب القضاء بحيلة الأقوام

أقول: نُسب هذا البيت لبعض بني أسد كما في «اللآلي» ٩٠٨.

ل- جاء في ص ٥٣٧ ذكر الرجز الآتي دون نسبة:

نفس عصام سَوَّدَتْ عصاما وعلمته الكرّ والإقداما

أقول: هذا الرجز للنابغة الذبياني في: ديوانه ١٠٦، وعصام المذكور في الرجز هو عصام بن شهير حاجب النعمان بن المنذر، الذي يقول فيه النابغة (ديوانه ٢٣١):

فإني لا أُلَام على دخول ... ولكنْ ما وراءك يا عصامُ

م- جاء في ص ٥٨٣ ذكر البيت الآتي دون نسبة:

إني لأُكثر مما سمتني عجبًا ... يدٌ تشجُّ وأخرى منك تأسوني

أقول: هذا البيت لصالح بن عبدالقدوس كما في «حماسة البحتري» ٥٩، وبعده:

تغتابني عند أقوام وتمدحني ... في آخرين وكل عنك يأتيني

هذانِ أمرانِ شتَّى بون بينهما ... فاكفف لسانك عن ذمي وتزييني

ليس الصديق بمن يخشى غوائله ... ولا العدوّ على حال بِمأمون

ن- جاء في ص ٤٥٩ ذكر أربعة أبيات دون نسبة، أولها:

فيا عجبًا لمن رَبَّيْتُ طفلًا ... ألقمه بأطراف البنانِ

وقد تأرجحت نسبتها عند المحقق بين معن بن أوس ومالك بن فهم الدوسي.

أقول: وقد نسبها محققا «زهر الأكم» ٣/ ١٨٠ إلى حُريقيص الأسدي.

٧- ترك المحقق كثيرًا من النصوص الشعرية دون تخريج، وهو أمر يخل بالتحقيق، وقد تكرر ذالك في مواضع كثيرة، نذكر منها:

أ- جاء في ص ٤٦٧ ذكر بيتين للمتلمس، هما:

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي ... جَعَلْتُ لهم فوق العرانين ميسما

وما كنت إلا مثل قاطع كفه ... بكف له أخرى فأصبح أجذما

وقد أحال المحققُ في تخريجهما إلى «نهاية الأرب».

أقول: غريب أنْ يُحيلَ المحققُ إلى «نهاية الأرب» والبيتان من قصيدة للمتلمس في: ديوانه ص ٢١، وبعدهما:

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا   ومـــا عُلّم الإنســـانُ إلّا ليعلمـــا

أحـــارثَ إنّـــا لـو تُســاط دمــاؤنـــا   تـــزايلنَ حتى مـــا يمسّ دم دمـــا

ب- جاء في ص ٤٧٨ ذكر بيت النابغة الآتي دون تخريج:

نُبِّئْتُ أنّ أبـــا قـــابـــوس أوعـــدني   ولا قـــــرار على زَأْرٍ من الأســــدِ

أقول: انظر: «ديوان النابغة الذبياني» ٢٥.

جـ- جاء في ص ٥٠٤ ذكر بيت امرئ القيس الآتي دون تخريج:

فهـــــــو لا تَنمي رميَّتُـــــــــه   مـــــالـــه مـــا عُـــدّ من نفـــره

أقول: انظر «ديوان امرئ القَيْس» ٤١٣ وفيه: (ماله لا عُدّ).

د- جاء في ص ٥١٦ ذكر بيت عمرو بن كلثوم دون تخريج:

من عـــال منا بعـــدهـا فـــلا اجتَبْـر   ولا سقى المـــاء ولا رعـى الشجـــرْ

أقــول: تـرجم المحقق لعمـــرو بن كلثـــوم، ولم يُخـــرِّج البيت، ورد البيت في «الأغاني» ١١/ ٥٦، وفي «اللسان» (جبر)، وبعده:

بنـــو لُجَيْمٍ وجعـــاسيس مُضـــرْ   الجـــانب الـــدَّو يـدهـــدون العكـــرْ

هـ- جاء في ص ٥٦٨ ذكر بيتين لكثير عزة دون تخريج، أولهما:

يكلفهـا الخنـــزيـر شتمي ومـــا بهـا   هــــواني ولكنْ للمليـك استـــذلتِ

أقــول: هذان البيتـان لكثير عـــزة من قصيـدة تقع في ثلاثـة وأربعين بيتًا، انظـر ديوانه ٩٩ - ١٠٠.

و- جاء في ص ٥٨٧ ذكر عَجْز بيت لطرفة بن العبد، دون تخريج.

أقول: انظر «ديوان طرفة» ١٧٢، وتمام البيت:

أبـــا منـــذر أفنيت فـــاستَبْقِ بعضنـــا   حنـانَيْك بعضُ الشَرّ أَهْـوَنُ من بَعْضِ

ز- جاء في ص ٣٣٤ ذكر البيت الآتي دون تخريج:

طلـب الأبلقَ العقـــــوق فلمـــا   لـم يجـــده أراد بيـض الأنـــــوق

أقول: ورد هذا البيت دون نسبة في «الحيوان» ٣/ ٥٢٢، و «الكامل» ٢/ ٢٧١، و «حياة الحيوان» ١/ ٥١.

٨- لم يُشر المحققُ إلى أبياتٍ أَوْرَدَهَا المؤلف مختلةَ الوَزْنِ، وكان ينبغي له أن يفعل ذالك، من ذالك:

أ- جاء في ص ٢٦٢ ذكر البيت الآتي:

عليك بإِغْبَابِ الزيارة إنها ... إذا كَثُرَتْ كانت إلى الهجر مسلكا

أقول: هذا البيت من الطويل وصحة إنشاده:

عليك بإِقْلال الزيارة إنها ... تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا

وبعده:

فإني رأيت القطر يُسأَمُ دائمًا ... ويُطلب بالأيدي إذا هو أمسكا

ب- جاء في ص ٤٢٢ ذكر البيت الآتي:

كمثل الحمار للقرن طالبًا ... فَآبَتْ بلا أذن وليس له قرنُ

أقول: هذا البيت من الطويل وصواب إنشاده:

كمثل حمارٍ كان لِلْقَرْن طالبًا ... فآبَ بلا أُذْنٍ وليس له قرن

وبعده:

مثل النعامة كانتْ وهي سائمة ... أذنان حتى زهاها الحَيْنُ والجبنُ

جاءتْ لتشريَ قَرْنًا أو تعوّضه ... والدهر فيه رباح البين والغبن

فقيل أذناك ظلمًا ثُمَّتَ اصْطلمت ... إلى الصِّماخ فلا قرن ولا أذن

٩- من مكملات التحقيق العلمي، التعريف ببعض الحوادث والأخبار التي قد تُعين القارئَ على فهم الأمثال، وبيان موردها ومضربها، لأن إغفال هذا الأمر معناه حَجْبُ الفائدة المتوخّاة من ذكر هذه الحوادث، وقد أهملَ المحققُ ذكر كثيرٍ من هذه الحوادث، انْظُر مثلًا الصفحات: ٢٩ في حوادث المثل (انّ الموصَّيْنَ بنو سهوان)، ٣٠ في أخبار المثل: (إنّ المعافى غيرُ مخدوع)، ٤٤ في حوادث المثل

(إنّ العصا تقرع لذي الحلم) ٤٦ في أخبار المثل (آكل لحمي ولا أدعه لآكل) ٥٨ في أخبار المثل (إنّ غدًا لناظره قريب)، ١٠٠ في حوادث المثل: (أبخل من مادر) ١١٠ في حوادث المثل: (تجوع الحرّةُ ولا تأكل بثدييها)، ١١٢ في أخبار المثل: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)،١١٦ في حوادث المثل (ترى الفتيان كالنخل)، وصفحات أخرى كثيرة، لا مجال لذكرها خشية الإطالة.

١٠- ومن مكملات التحقيق العلمي أيضًا، شرح الألفاظ التي يصعب فهمها على القراء، وقد شَرَح المحققُ بعض الألفاظ، لكنه أهمل شرح ألفاظ أخرى، أمثال: نزا ص ٤٧، حزّ ص ٥٠، نزور ص ٥٥ الفطنة ص ٨٧، سلجما ص ١١١، أحشك ص ١٦٥، وألفاظ أخرى كثيرة ذكرنا بعضها على سبيل الاستشهاد لا الحصر.

١١- ورد في الصحيفة ٢٢٧: (صخر بن معاويةالسلمي)، والصحيح: صخر ابن عمرو السلمي. انظر حياته ومجموع شعره، في مجلة «العرب»، س ٣٣، ج ١-٢، ص ٨٥ - ٩٩، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م دراسة وتحقيق الأستاذ عباس هاني الجراخ، والذي تَفَضّل - مشكورًا - فوَضَعَ «خرائد الفرائد» بين يديَّ، وتلك من عوارفِهِ وكمالاتِهِ.

١٢- أرى أن المحقق واهم، وهو يحِيلُ إلى مصادر في تخريج بعض النصوص الشعرية، في حين أن أصحابها لهم دواوين مطبوعة، أو أنه يشير إلى الديوان وإلى مصادر أخرى في تخريج الشعر، فهل هناك من ضرورة لهذه الإحالة؟ انْظر مثلًا الصفحات: ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٥٢٣، ٥٢٤ وغيرها.

١٣- جاء في هامش ص ٤٦٤ (سبق أَنْ وَرَدَ البيت الثاني في هذا الكتاب)، ولم يذكر الصفحة التي ورد فيها، وكان عليه ذكرها ليسهل على القارئ أمر الرجوع إليها.

وبعد، فهذا ما تمكنّا من تسجيله من ملاحظات حول الكتاب، وقد أغفلنا عددًا آخر منها. بعد أَنْ تكفّل بتسجيلها السيد عبدالله بن سليم الرشيد في مجلة «العرب» الغراء، ج ٥ - ٦ سنة ١٤١٨هـ، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

د. أسعد محمد علي النجار

كلية المعلمين - جامعة بابل - العراق

الحالات التي تقل فيها موارد بيت المال

المقدمة: بيت المال، مؤسسة مالية عربية إسلامية، نشأت منذ وقت مبكر من قيام الدولة العربية الإسلامية، وكان الهدف من إنشاء بيت المال حفظ الأموال التي أخذت تنهال على حاضرة الدولة، نتيجة لنشاط حركة التحرير والفتوح. وقد أصبحت مهمة بيت المال حفظ هذه الأموال ريثما يحين وقت توزيعها على مستحقيها من المسلمين. ومن هنا يتضح أن أموالًا تصب في بيت المال، وأموالًا تخرج منه في أوجه النفقات المتعددة[١].

وكان يشرف على إدارة بيت المال موظف خاص يُعَدُّ من كبار موظفي الدولة، ويساعده في مهامه هذه عدد من الموظفين الذين يديرون مجمل شؤون بيت المال، وينظمون أعماله، ويتولون أوجه صرف الأموال المنفقة منه. وعادة يثبت كل ذالك في سِجلات منظمة[٢].

وترد إلى بيت المال كتب الحُمُول (أي الأموال التي تحمل) من جميع النواحي قبل إخراجها إلى دواوينها لتثبت فيه. وكذالك سائر الكتب النافذة إلى صاحب بيت المال من جميع الدواوين، التي يطلب فيها أصحاب الدواوين مقادير المبالغ التي يرون صرفها على أوجه النفقات. ولا تُعَدُّ هذه الأمور نافذةً مالم تحصل موافقة صاحب بيت المال عليها. وتكون أبواب (الدخل والخرج) عرضة لتفقد الوزير لها، ذالك أن ديوان بيت المال (إذا استوفيت أعماله كان مال الاستخراج بالحضرة والحمول من النواحي مضبوطًا به)[٣].

وكان مقر بيت المال الرئيس في عاصمة الخلافة عادة، وله فروع في أقاليم الدولة. وتقتصر مهام هذه الفروع على إيداع الأموال المتبقية في الإقليم بعد الإنفاق على مصالح الإقليم ثم إرسالها إلى بيت المال في حاضرة الخلافة[٤].

وجود فائض في بيت المال: والحق إنَّ موارد بيت المال في عصر الراشدين، والعصر الأموي، والشطر الأول من العصر العباسي، كانت كثيرة وتسد جميع

نفقات الدولة وتفيض، إذ تشير النصوص إلى أن الأموال أخذت تنهال على عاصمة الخلافة منذ عهد الخليفة الراشد الثاني فهاله كثرة الأموال التي أخذت تصب في بيت المال، فقال مخاطبًا المسلمين: (أيها الناس إنه قد جاء مال كثير، فإن شئتم أن نكيل لكم كلنا، وإن شئتم أن نعد لكم عددنا، وإن شئتم أن نَزِن لكم، وَزَنَّا لكم)[٥]. وأكد أبو يوسف[٦] والماوردي[٧] أن هذه الأموال الكثيرة التي تدفقت إلى حاضرة الخلافة كانت من الأسباب الرئيسة التي أسهمت في الإقدام على المبادرة المالية الجريئة التي تم بموجبها إنشاء بيت المال في الدولة العربية الإسلامية. وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أعظم من ذالك. فقال: (والله لئن بقيتُ ليأتين الراعيَ بجبل صنعاء حَظُّهُ من هذا المال وهو في مكانه قبل أن يحمرَّ وجهه)[٨].

ويبدو أن الخليفة الفاروق رضي الله عنه قد تراءت أمامه آفاق المستقبل الزاهر لاقتصاد الدولة الذي ستعم مردوداته الإيجابية على جميع المواطنين، حتى لو كانوا في أقصى أقاليم الدولة البعيدة. لذالك قال: (أما والله لئن بقيتُ لأرامل أهل العراق لأَدَعَهُنَّ لا يفتقرن إلى أمير بعدي)[٩]. ولا ريب، فإن هذا القول يشير إلى كثرة موارد بيت المال، وإلى وجود أموال فائضة فيه. وفي الوقت نفسه يؤكد ثقة الخليفة العالية بأن موارد بيت المال ستكون كثيرة جدًا، وأنَّ نفعها سيعم الجميع بدون استثناء، وبذالك سيحقق هذا النهج مأثرة عظيمة بتأكيده على أن الأموال التي تصب في بيت المال سيكون لكل المسلمين بها نصيب[١٠].

وذكر أن موارد بيت المال عن سواد العراق فقط في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغت مئة وعشرين مليون درهم[١١]. وجباه عبيدالله بن زياد مئة وخمسة وثلاثين مليون درهم، وكانت جباية سواد العراق في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز مئة وعشرين مليون درهم[١٢]. وقال الجهشياري: إن موارد بيت المال الكلية في عهد الخليفة هارون الرشيد (٥١٤,٨٠٧,٠٠٠ درهم)[١٣]. وذكر علي ابن عيسى الجراح أن موارد بيت المال سنة ٣٠٦هـ كانت (١٤,٨٢٩,٨٤٠ دينار)،

وأن مصروفات بيت المال بلغت في السنة نفسها (١٦,١٤٨,٣١٢ دينارًا)[١٤].

وهنا نلاحظ وجود عجز مالي في موارد بيت المال بلغ حوالي مليوني دينار.

وعن طريق التوسط في الإنفاق، والتزام سبيل الاعتدال في الصرف إبَّان خلافة أبي العباس السفاح، والمنصور، والمهدي، والرشيد وغيرهم، نشأ فائض في الثروة ناتج عن زيادة الأموال الواردة على بيت المال على ما يخرج منه. ففي هذا الشأن ذكر ابن الزبير: أن الخليفة أبا العباس السفاح ترك حين توفي خمسة ملايين دينار ومئتي مليون درهم عدا الأشياء العينية[١٥]. وخلف المنصور في بيت المال تسع مئة ألف دينار وخمسين مليون درهم[١٦]. وقال ابن الزبير[١٧]: إن المنصور خلف ست مئة مليون درهم، وأربعة عشر مليون دينار، ومات الخليفة المهدي وفي بيت المال سبعة وعشرون مليون درهم[١٨]. وخلف الخليفةالرشيد في بيت المال تسع مئة مليون درهم ونيف[١٩]، وتخلف المعتصم ثمانية ملايين دينار، وثمانية ملايين درهم[٢٠]، وتوفي الخليفة الواثق بالله وفي بيت المال من العين[٢١] خمسة ملايين دينار، ومن الورق[٢٢] خمسة عشر مليون درهم[٢٣]. وقتل الخليفة المتوكل على الله (ت ٢٤٧هـ) وفي بيت المال أربعة ملايين دينار وسبعة ملايين درهم[٢٤]. وقدرها (ابن الزبير) بمليون دينار وخمسين مليون درهم[٢٥]. وخلف الخليفة المعتضد بالله في بيت المال عشرة ملايين دينار[٢٦]. وترك الخليفة المكتفي بالله في بيت المال حين وفاته ستة عشر مليون دينار وثلاثين مليون درهم[٢٧]. وقال الطبري: إنه خلف خمسة عشر مليون دينار[٢٨]. إلا أننا نلاحظ حصول عجز مالي في موارد بيت المال ومصروفاته منذ الربع الأول من القرن الرابع الهجري، وبخاصة في عهد الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ) الذي كان جملة ما حصل في بيت المال في عهده (٨٩,٨٣٠,٠٠٠ دينارًا)[٢٩]، ومع ذالك قتل الخليفة ولم يكن في بيت المال شيء يستحق الذكر[٣٠].

وبجانب ذالك توجد حالات تقل فيها موارد بيت المال، نذكر منها:

أ- الدوافع السياسية: كان للدوافع السياسية أثـر كبير في قلة موارد بيت المال، وقد باتت مؤثرات هذا الدافع منذ وقـت مبكر من قيام الدولة. ففي هذا الصدد ذكر أبو يـوسف أنه لاعتبـارات سياسيـة اكتفى الرسـول ﷺ بأخذ العشـر من مستثمري الأراضي الزراعية القريبة من مكة، على الـرغم من أن المسلمين دخلوها عنوة. غير أن النبي ﷺ رأى أن لا يغنم أموال قـريش وممتلكاتهم(٣١). وكان الرسـول ﷺ قد ظهر على غيـر دار من مشركي العرب، مثل البحـرين واليمامة وغيرهـا وترك أرضهم في أيديهم يدفعـون عنها العشر(٣٢). وكان الخليفة عمـر بن الخطاب رضي الله عنه أضعف (ضعف) على بني تغلب الصـدقة عـوضًا عن الخـراج والجزيـة(٣٣). ففي الحـالة الأولى التي اتخـذهـا الرسـول ﷺ تكـون مـوارد بيت المال قـد انخفضت أربعين في المئة عما يجب أن تكون. وأدى الإجراء الذي اتخذه الخليفة عمر رضي الله عنه في الحالة الثانية إلى انخفاض موارد بيت المال إلى ثلاثين في المئة.

واستهـدفت سياسـة الخليفـة المهدي (١٥٨ - ١٦٩هـ) التخفيف عن كـاهل المواطنين وعدم ارهـاقهم بالضرائب. ذالك أنه أجاز لـوالي فارس أن يسقط الخراج على من يدفعه، كما وضع عنهم خراج الشجر. وكانوا يلزمون له خراجًا ثقيلًا(٣٤).

وذكر الطبري أن الخليفـة الرشيد وضَع عن أهل السواد العشر الذي كـان يؤخذ منهم بعـد النصف(٣٥) سنـة ١٧٢هـ (٧٨٨م)، وأن الخليفـة المـأمـون حط ربع مقادير الخراج عن أهل الريِّ حين بلغها منصرفًا من خراسان(٣٦). وذكر الطبري أن المأمـون أمـر بمقـاسمة أهل السـواد على الخُمْسَيْن بـدل النصف سنـة ٢٠٤هـ (٨١٩م)(٣٧). وبدوافع سياسيـة، مع وجود مبررات اقتصادية، كـان المسؤولون في الدولة يرفعون الخراج، كله أو جزءًا منه، عن دافعيه، فقد أشار ابن العمراني إلى أن الخليفة المعتضد بالله أمر برفع الخراج ثلاث سنوات عن صاحب مزرعة، لما علم أن بعض الجند قد تناولوا بعض ما في المزرعة وأخذوه(٣٨).

ب- في حالة انتقال ملكية رقعة الأرض: ثمة حالات أخرى تقل فيها موارد بيت

المال، تأتـي من حصول بيع، أو شراء، أو تأجيـر أو إعارة الأرض الـزراعية. نـذكر منها: إذا أسلم رجل من بني تغلب فعندئذ يدفع عن إنتاج أرضـه عشر إنتاجها بعد أن كان ملزمًـا بدفع العشر المضاعف قبل إسلامـه. وبذالك تنخفض نصف موارد هذا النـوع من الأراضي. ومن المؤكـد أن لبني تغلب أراضي زراعية واسعـة كانت تعامل على هذا الأساس. قال يحيى بـن آدم: إذا اشترى الذِّمِّيُّ - عدا نصارى بني تغلب - أرضًـا عشريـة فليس عليـه فيها عشـر ولا خـراج. وحجته في ذالك أنهـا تصبح بمنزلة الإبل والغنم السـائبة يشتريها الـذمي فليس عليه فيها شيء[39]. فإذا حصلت مثل هـذه الحال تقـل موارد بيت المـال لأن إيـراد هذه الأراضي ينعـدم. وتقل موارد بيت المال في حـالة إسلام الذميين[40] عدا نصارى بني تغلب الذين لهم مع المسلمين عقـد صلح، ولم يشيـروا فيـه إلـى مـا يـوضع على أرضهم. فإن أرضهم تصبح أرضًا عشـرية[41]. فبعد أن كـان هاؤلاء يـرفدون بيت المـال بمبالغ كبيـرة عن أرضهم ورؤوسهم، تـرفع عنهم تلك المبـالغ فيكتفى بأخـذ عشر إنتـاج أرضهم فقط.

وتقل موارد بيت المال في حالات المزارعة، فإذا أقدم رجل ذمي على زرع أرض رجل مسلم من أرض العشـر. فإذا كـانت المـزارعـة بـالنصف، أو الثلث، فعلى المسلم في حصته العشر، أو نصف العشر، حسـب طريقة السقي، إن بلغت حصته النصاب، والنصـاب خمسة أوسق[42] فأكثر. وليس علـى الذمي شيء[43]. والذي يعنينـا في هذا الأمـر أن حصة الـذمي من إنتـاج هذه الأرض قـد تحول بين حصـة المسلم وبين النصاب الـذي يجب فيه العشر، وإذا تم هـذا الأمر - ومن المحتمل أن يتم - فإن بيت المال سوف يُحْرَمُ من مورد هذه الأرض.

وتتكرر حـالة قلة موارد بيت المـال إذا أعطى رجل مسلم أرضه بالمـزارعة إلى رجل مسلم آخر على النصف أو الثلث، أو الربع، ففي هذه الحال يصبح العشر عليهما معًا لأنهمـا شـريكـان في إنتـاج هـذه الأرض الـذي يـوزع عليهمـا حسب النسبـة المتفق عليها[44]. والتـوزيع الـذي يحصل على إنتـاج هـذه الأرض قد يحـول دون حصـول

النصاب في حصة كل منهما. فلو فرضنا جدلًا أن هذه الأرض أنتجت تسعة أوسق. فتوزيع هذه التسعة أوسق عليهما حسب النسب المتفق عليها سوف يؤدي إلى عدم حصول النصاب عند كل منهما. أي سيحصل كل منهما أقل من خمسة أوسق[٤٥].

أما في حالة تأجير الأرض العشرية البيضاء التي يمتلكها رجل مسلم، من قبل رجل ذمي بمبلغ معيَّن من المال. فحينئذ ينعدم مورد بيت المال من مورد هذه الأرض، إذ ليس على أي منهما شيء مما أنتجته هذه الأرض، ذالك أن هذا المعاهد (الذمي) غير ملزم بدفع العشر، وليس على رب الأرض أن يزكي زرعًا لا يملكه، والأرض لذاتها لا تُزكّى[٤٦] وتنعدم موارد بيت المال في حالة إعارة صاحب الأرض العشرية أرضه إلى ذِمّيٍّ، فإن إنتاجها سيكون للذمي كله، وليس على الذمي أن يزكي زرعه، وليس على صاحب الأرض أن يزكي زرعًا لا يملكه[٤٧] وكذالك الحال فيما إذا أعار صاحب الأرض العشرية أرضه إلى أكثر من مسلم واحد، فإن إنتاجها سوف يتوزع بين هاؤلاء، وقد لا تبلغ حصة كل منهم النصاب المقرر، فحينئذ لا يصيب بيت المال من إنتاج هذه الأرض شيء[٤٨].

في حالات أهل الصلح: يقصد بأهل الصلح: الذين صالحهم المسلمون على أن يبقوا على دينهم السابق ويضرب عليهم مبلغ معين من المال يؤدونه عن أرضهم ورؤوسهم، وهو خراج يعامل معاملة الجزية. فإذا اعتنقوا الإسلام سقط عنهم هذا المبلغ. وأصبحت أرضهم أرض عشرية[٤٩]. يفيدنا يحيى بن آدم في هذه المسألة حيث قال: كل أرض لأهل الكتاب من العرب أو العجم الذين تقبل منهم الجزية، إذا عقدوا الصلح مع المسلمين، فإذا لا يوجد في عقد الصلح فصل بين مقدار جزية الرأس، وخراج الأرض، بل أطلق عليهما إجمالًا (خراج) فمن أسلم منهم سقطت الجزية عن رأسه وتكون أرضه عشرية. وإن مقدار ما يوضع على الرأس، وما يوضع على الأرض، فإن أسلم سقطت الجزية عن رأسه، وبقي الخراج على أرضه[٥٠]. وإن شاء تركها فيتولى الإمام التصرف بها[٥١].

ويرى أبو عبيد: أن أرض الصلح لأهلها الـذين صولحوا عليها، فهي ملك لهم. فإن أسلمـوا فأرضهم أرض عشر وكـانوا كسـائر المسلمين، ممن أسلموا فلهم مـا للمسلمين(٥٢) وقـال قـدامة بن جعفـر: إن أهل الحجـاز يـرون: إذا أسلم رجل من أهل الصلح أخذ من إنتـاج أرضه العشر. ويسوق لنـا قدامة مثالّا ويقـول: لو أسلم أهل قبرص جميعهم، فإن أرضهـم أرضٌ عشرية، لأنهـا لـم تؤخذ منهـم، وإنما بقيت ملكهم(٥٣). والذي يعنينـا في هذا الأمر أن موارد بيت المـا ل تقل أربعين في المئة في هذه الحال.

وثمـة حالـة أخـرى تـؤدي إلى انخفاض مـوارد بيت المـال إنْ حصلت أن النهج الاقتصادي الإسـلامي أكد أن مـا صولح عليـه أهل الصلح يبقى على ما هـو، لا يزاد عليهم شيء(٥٤). ولكن إن عجزوا عن دفع المقدار المحدد عليهم يخفق عنهم(٥٥).

(للبحث صلة)

كلية الآداب - جامعة بغداد: الدكتور حمدان عبدالمجيد الكبيسي

الحواشي:

(١) أبـو يوسف، «الخـراج» ص ٢٤ و ٤٥ - ٤٦ و ١١٠ - ١١١ (دار المعرفـة للطباعـة والنشر) بيـروت ١٩٧٩ الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٩٩ و ٢١٣ (دار الكتب العلمية) بيروت ١٩٧٨.

(٢) قدامـة، «الخراج»، ص ٣٦. أبو عبيد، «الأمـوال» ص ٢٤٠ وما بعدها (دار الكتب العلميـة) بيروت ١٩٨٦ الماوردي، «الأحكام السلطانية» ص ٢٠٢ - ٢٠٣، الصـابي، «الوزراء» ص ١٥٨ (مطبعة الآباء اليسوعيين) بيروت ١٩٠٤.

(٣) قدامة، «الخراج» ص ٣٦ (دار الحرية) بغداد ١٩٨١.

(٤) الطبـري، «تاريخ الـرسل»، جــ ٦، ص ٥٢٢ - ٥٢٣ (مطابع دار المعـارف) القـاهرة ١٩٦٦، الجهشيـاري محمد بن عبدوس «الوزراء» ص ٤٩ (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) القاهرة ١٩٣٨.

(٥) أبو يوسف، «الخراج» ص ٤٥.

(٦) «الخراج» ص ٤٥.

(٧) «الأحكام السلطانية» ص ١٩٩.

(٨) أبو يوسف، «الخراج» ص ٤٦.

(٩) أبو يوسـف، «الخراج» ص ٣٧. ابن آدم، «الخراج» ص ٧٦ - ٧٧، ابن رجب الحنبلي «الاستخراج» ص ٦٢.

(١٠) ابن آدم يحيى القرشي «الخراج» ص ٥ و ٧٦ (دار المعرفة للطباعة والنشر) بيروت ١٩٧٩.

(١١) اليعقوبي، «تاريخ اليعقوبي»، ج ٢، ص ٢٢١ (مطبعة الغري) النجف ١٣٥٨ الماوردي، «الأحكام السلطانية» ص ١٧٥.

(١٢) الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٧٥ - (ينظر ابن خرداذبة، «المسالك» ص ١٤ - ١٥ (مطبعة بريل) ليندن ١٨٩١م، وابن رستة أحمد بن عمر «الأعلاق النفيسة» ص ١٠٥ (مطبعة بريل)، ابن حوقل محمد بن علي «صورة الأرض» ص ٢١١ (منشورات دار مكتبة الحياة) بيروت ١٩٧٩.

(١٣) الجهشياري، «الوزراء» ص ٢٨١ - ٢٨٨.

(١٤) قدامة، «الخراج» ص ١٦٧ - ١٦٨، الصابي، «رسوم دار الخلافة»، ص ٢١ - ٢٢ (مطبعة العاني) بغداد ١٩٦٤.

(١٥) ابن الزبير «الذخائر والتحف»، ص ٢١٣.

(١٦) ابن شاكر الكتبي، «فوات الوفيات» جـ ١، ص ٤٨٧ (مطبعة السعادة) القاهرة ١٩٥١م.

(١٧) «الذخائر والتحف»، ص ٢١٣. (ينظر: الثعالبي، «لطائف المعارف» ص ١١٨ (دار إحياء الكتب العربية) مصر ١٩٦٠م، المسعودي، «مروج الذهب»، جـ ٣، ص ٣٧٦ (مطبعة دار الرجاء) مصر.

(١٨) ابن الزبير، أحمد بن علي الغساني «الذخائر والتحف»، ص ٢١٣ (مطبعة الكويت) الكويت ١٩٥٩م.

(١٩) ق. م. مسكويه، «تجارب الأمم»، جـ ١، ص ٢٣٨ (مطبعة شركة التمدن) مصر ١٩١٥.

(٢٠) ابن الزبير، «الذخائر والتحف» ص ٢١٣، القلقشندي، «مآثر الأنافة» جـ ٣، ص ٣٦٥ (مطبعة حكومة الكويت) الكويت ١٩٦٤.

(٢١) العين: ما يضرب نقدًا من الدنانير الذهبية. (ينظر ابن منظور، «لسان العرب» (دار صادر) بيروت (مادة عين). إبراهيم مصطفى وآخرون، «المعجم الوسيط» جـ ٢، ص ٦٤٧.

(٢٢) الورق: الدراهم الفضية. (ينظر: ابن مماتي، «قوانين الدواوين» ص ٣١٠ الكبيسي، «عصر الخليفة المقتدر بالله» ص ١٦٠) (مطبعة النعمان) النجف ١٩٧٤.

(٢٣) ابن الزبير، «الذخائر والتحف» ص ٢١٨.

(٢٤) المسعودي، «مروج الذهب» جـ ٤، ص ١٤٨ (مطبعة دار الرجاء).

(٢٥) ابن الزبير، «الذخائر والتحف» ص ٢١٨.

(٢٦) ن. م. الصابي، «الوزراء» ص ٣١٧.

(٢٧) ابن الزبير، «الذخائر والتحف» ص ١٢٠. مسكويه، «تجارب الأمم» جـ ١، ص ٢٣٨.

(٢٨) الطبري، «تاريخ الرسل والملوك» جـ ١٠، ص ١٣٩. «غريب الصلة» ص ٢٢. ابن الجوزي عبدالرحمن ابن علي، «المنتظم» جـ ٦، ص ٦٧ (مطبعة دائرة المعارف العثمانية) - الدكن ١٣٥٧هـ.

(٢٩) مسكويه، «تجارب الأمم» جـ ١، ص ٢٤١. «غريب الصلة» ص ١٨٤، ابن الجوزي، «المنتظم»، جـ ٦، ص ٢٤٣.

(٣٠) مسكويه، «تجارب الأمم»، جـ ١، ص ٢٣٦.

(٣١) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٥٨، ٦٨. قدامة، «الخراج»، ص ٩٧. ابن رجب الحنبلي، «الاستخراج»، ص ٣٠.

(٣٢) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٥٨ - ٥٩ و ٦٨.

(٣٣) أبو يوسف «الخراج» ص ٦٧.

(٣٤) الجهشياري، «الوزراء» ص ١٥١.

(٣٥) الطبري، «تاريخ الرسل» جـ ٨، ص ٢٣٦.

(٣٦) الجهشياري، «الوزراء» ص ٢٧٩. (ينظر: الطبري، «تاريخ الرسل»، جـ ٨، ص ٥٦٨).

(٣٧) الطبري، «تاريخ الرسل»، جـ ٨، ص ٥٧٦، ابن الأثير، «الكامل» جـ ٥، ص ١٦٩ (دار الكتاب العربي) ببيروت ابن الطقطقي، «الفخري في الآداب السلطانية» ص ١٦٢ (دار بيروت للطباعة والنشر) بيروت ١٩٩٦م.

(٣٨) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد، «الإنباء في تاريخ الخلفاء (ليدن، ١٩٧٢)، ص ١٤٢ (مطبعة بريل) ليدن ١٩٧٢.

(٣٩) ابن آدم، «الخراج» ص ٣٠، أبو عبيد، «الأموال»، ص ١٦٥.

(٤٠) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٨٦.

(٤١) ابن آدم، «الخراج»، ص ٣٠ قدامة، «الخراج»، ص ٢٢٠.

(٤٢) الأوسق: مكيال يساوي ستين صاعًا بصاع النبي ﷺ والصاع خمسة أرطال وثلث. (ينظر: أبو يوسف، «الخراج»، ص ٥٣. ابن آدم، «الخراج»، ص ١٣٩).

(٤٣) ابن آدم، «الخراج»، ص ٣٠، ١٧٠، (ينظر: أبو يوسف، «الخراج»، ص ٨٨ - ٨٩).

(٤٤) ابن آدم «الخراج»، ص ١٧١، (ينظر: أبو يوسف «الخراج»، ص ٨٨ - ٨٩).

(٤٥) عن الموسق ومقراءه ينظر: ابن آدم، «الخراج»، ص ٢٤ و ١١٣ و ١١٥ و ١٣٥ و ١٣٩.

(٤٦) ابن آدم، «الخراج»، ص ٣٠ و ١٧٠ و ١٧١. أبو عبيد، «الأموال» ص ١٠٠.

(٤٧) ابن آدم، «الخراج»، ص ٣٠، و ١٧٠.

(٤٨) ابن آدم، «الخراج»، ص ١٧١.

(٤٩) ابن آدم، «الخراج»، ص ٢١ و ٣٠، قدامه، «الخراج»، ص ٢١١. الماوردي «الأحكام السلطانية»، ص ٣٨). أبو يعلى، «الأحكام السلطانية»، ص ١٣٣ (مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٣٥٧). ابن رجب الحنبلي: عبدالرحمن «الاستخراج»، ص ١١ (دار المعرفة للطباعة والنشر) بيروت ١٩٧٩م.

(٥٠) ابن آدم، «الخراج»، ص ٢٧.

(٥١) ن. م، ص ٢٢.

(٥٢) أبو عبيد، «الأموال»، ص ١٧١.

(٥٣) قدامة، «الخراج»، ص ٢١٠.

(٥٤) ابن آدم، «الخراج»، ص ٢١. أبو عبيد، «الأموال»، ص ٦٠، قدامة، «الخراج»، ص ٢٤٩.

(٥٥) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٦٣، ٦٩، ابن آدم «الخراج»، ص ٢١ و ٢٣. أبو عبيد، «الأموال»، ص ١٥٧. ابن زنجويه حميد، «الأموال»، جـ ١، ص ١٨٧ (مطبعة يساط) بيروت ١٩٨٦.

عبدالله بن سبرة الحَرَشيّ: أخباره وشعره

[انظر «العرب» س ٢٤، ص ١١٤]

عبدالله بن سبرة الحَرَشي[١] القَيْسي[٢]، والحَرَشيّ (بفتح الحاء المهملة والراء في آخرها الشين المعجمة منسوب إلى جده (الحَرِيْش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن قيس عيلان)[٣]. وليس كما نسبته بعض المصادر إلى (حرش) (موضع باليمن)[٤]، أو كما أخطأت المصادر الأخرى إذْ وَسَمَتْهُ بـ(الجُرَشيّ)[٥]، وقالوا: إنَّ (جُرَش) (موضع باليمن)، وهذا تصحيف ظاهر.

وقد أحصى العسقلاني في «الإصابة» ممنْ هم باسم (عبدالله بن سبرة) فكانوا

١ - عبدالله بن سبرة الجهني.

٢ - عبدالله بن سبرة الهمداني.

٣ - عبدالله بن سبرة القرشي.

٤ - عبدالله بن سبرة الجُرَشيّ. والأوّلان راويتا حديث[٦]، والثالث قال عنه ابن حِبّان: (له صحبة)[٧]، أما شاعرنا فقد ذكره في موضعين آخرين من كتابه. وقال عنه: (له صحبة وشهد الفتوح في بدء الإسلام)[٨].

والحَرَشيّ، شاعر، فارس، إسلامي، هو أحد الفتّاك في الإسلام، شهدالجسر في فتوح العراق، وقد ذكره المرزباني في ترجمته قائلًا: (لم يعرف عن حاله شيء)[٩]. ولم تذكر الأخبار شيئًا عن ولادته أو وفاته أو أهله أو عقبه إلّا أن بيتًا من أشعاره يخاطب به يزيد بن معاوية[١٠] يدلك أنه أدرك عهده. وتروي المصادر أنّ للشاعر سيفًا سماه (المُزْعِف)، وله فيه بيت شعر[١١].

إنّ ما وصل إلينا من أخباره قليل جدًّا، وأقدمها مؤرَّخ في السنة الخامسة عشرة للهجرة، إذ بارز أطربونَ الروم في إحدى الحروب بين العرب والروم في موقعة (خلطاس)، وأن جميع أخباره حدثتْ في الشام، مما يدل على أن الشاعر عاش حياته في تلك البقاع.

أمّا شعره وبالرغم من قلّته، فهو يمثّل نموذجًا للفتوة والفروسية والصلابة من جهة، والغيرة على القيم والمبادئ الإسلامية من جهة أخرى.

فالشاعر في شعره، مصوّر بارع في استلهام الحدث، وسوقه مشهدًا متحركًا مليئًا بالصور المعبّرة عن الأحداث بصورة حسّيّة، أقرب إلى التمثيل من خلال طرحه لمعاناته بعيدًا عن الإحساس بالرهبة أو الخوف. وفي عينيته الرائعة، التي يرثي فيها يده بعد أن قطع أصابعًا منها أطربونُ الروم تاركًا أصل كفّهِ المشاهد المؤثرة، والصور الناطقة، ومما يجدر ذكره أنّ رثاء الأعضاء قد كثر في تلك الفترة إلى حد كبير بسبب الحروب التي لم تهدأ، على نحو ما فَعَلَ أخو بني كاهل حين قُطِعَتْ رجله، ومثله عياض بن قيس القشيري الذي يعرف بـ (ناشد رجله) وعِلْبَاءُ العِجْلي الذي خرجت أمعاؤه في حربه مع فارس وعلقمة بن الأرت الذي ذكر ما طاح من أعضائه في حربه مع الروم(١٢).

ولقد تمكنت منْ جَمْع شعره من المصادر المختلفة، خدمة لتراثِنا الخالد. مقدمًا جهدي المتواضع للأخ الأستاذ عباس هاني الچراخ، تحية تقدير وامتنان.

أخبارُهُ: ١ -(١٣) كانت امرأة من قيس في بعض مدائن الشام، فعرض لها فتًى من المتعرّبة، فجعل يخطبها في العلانية، ويراودها في السّر، فمرّ الناس يأخذون أعطياتهم، فأرسلتْ المرأة جاريتها إلى الخان، فقالت: انظري هل ترين في الخان أحدًا من قيس. فقالت الجارية: أهاهنا رجل من قيس؟ فقال لها عبدالله بن سبرة: ما حاجتك؟ قالت: مولاتي امرأة من قيس وهي تريدك، فسار معها إليها، فأخبرته خبر الفتى. فقال لها: أنا أكفيكه إن شاء الله، فأعلميه أنّك قد جعلت أمرك إليّ. ففعلت، ودخل الفتى معه إلى البيت، فضربه عبدالله بسيفه فقتله، وقال للجارية: احفري معي، فحفرت. فلما فرغت من الحفر، وَثَبَ على الجارية فقتلها وطرحها مع الفتى في الحفرة ودفنها، فصاحت المرأةُ، فقال: اسكتي، فإن لم تسكتي هلكنا جميعًا، وخرج فمضى إلى أصحابه وأخذ نفقاتهم، وبعث بها إلى المرأة وقال: اشتري بهذا خادمًا لم تعلم مافي بيتك، وكانت الدنانير سبعين دينارًا. ويقال في حديث آخر أن هذه المرأة كانت من بني سُليم وكانت تذكر بالجمال. وكان عامل القرية التي هي فيها قد سامها نفسها وألحّ عليها. فلم تأمنه

فَبَعَثَتْ إلى عبدالله بن سبرة وهو بدابق، فقال لها: أجيبيه واستزيريه. ففعلت وكمن عبدالله في بيتها حتى فعل به ما فعل، وقال قصيدته التي مطلعها:

أتتني عشـــاءً مـــا ألام مجيئهـــا   مقنعـــة عنهـا أخـــو النُّصح شـــاسع

٢ـ(١٤) اجتمع الناس بدابق يتجهزون لغزو الروم، فجلس ابن سبرة إلى بزاز عراقي يبتاع منه ثيابًا، فذكر البزّاز أبا بكر وعمر وعثمان، فنال منهم، فزجره ابن سبرة، وقال: أقبل على أمرك ودع مالا يعنيك. فلم ينته عن قوله. فتناول عبدالله من الصياقلة سيفًا فقتله به وركب فرسه، فلحق بأهله وقال قصيدته التي مطلعها:

لقـد خـــزي العِلجَ اللئيمـــةُ أُمّـــه   وعـــاين منّي وقـع صلب المصـــادق

٣ـ(١٥) كان رجل عطار يقال له فيروز بجسر منبج، فبلغ عبدالله بن سبرة، أنّه غمز امرأة من قيس، فصاحت: ياعبدالله بن سبرة: وكان عبدالله إذ ذاك بأرمينية، فلما بلغه الحديث وما قالته المرأة. قال: لبيك!! وأقبل حتى وافى جسر منبج، فقتل العطار، ورجع إلى أرمينية، فأُخِذ بالعطار غيرُ واحد، حتى علموا أن عبدالله قتله، فحبس عبدالله بأرمينية، فقال قصيدته التي مطلعها:

إنّ المنـــايـــا لفيـــروز لمعـــرضـــة   يغتـــالـه البحـــر أو يغتـــالـه الأســـد

٤ ـ(١٦) كان رجل من الروم، يقال له سعد الطلائع، يأتي صاحب الصوائف (وهم الغزاة أيام الصيف). فيقول له: ابعث معي جندًا أدلهم على عورات الروم، فيتوغل بهم، وقد جعل لهم كمينًا من الروم فيُقْتَلون. فقال ذات يوم لصاحب الصائفة: ابعث معي رجلًا من أصحابك فإني قد عرفت غرّة لهم، فانتدب عبدالله ابن سبرة، ومضى مع الرجل حتى إذا انتهيا إلى غيضة. قال لعبدالله: ادخل، فقال له عبدالله: أنا الدليل أم أنت؟ فأبى، وعرف عبدالله ما أراد فقتله، فخرج عليه بطريق من بطارقتهم، فاختلف هو وعبدالله بضربتين، فضربه عبدالله فقتله وضربه الرومي فقطع أصبعيه ثم رجع.

شـــعره: ١ – قال عبدالله بن سبرة الحَرَشيّ:   (الطويل)

١- إذا شالت الجوزاءُ والنجمُ طالعُ فكلُّ مخاضاتِ الفرات معابرُ
٢- وإنّي إذا ضَنَّ الأميرُ بإذنِهِ على الإذْنِ من نفسي إذا شئتُ قادرُ

المفردات: شالت: ارتفعت؛ النجم: يريد به الثريا؛ طالع: وقت الغداة؛ مخاضات: جمع مخاضة: ما جاز الناس فيه مشاة أو ركبانا، ضنّ: يبخل.

التخريج: «الحماسة» (عسيلان) ١/ ٢٥٩؛ «الحماسة» بتفسير ابن فارس ١٥٣ - ١٥٤؛ «الحماسة» بشرح المرزوقي ٢/ ٤٨٣؛ «الحماسة» بشرح الفسوي الورقة ٤٤أ؛ «الحماسة» بشرح التبريزي ٢/ ١٩ - ٢٠؛ «الحماسة» برواية الجواليقي ١٤١، «الحماسة البصرية» ١/ ٧ وفيها (ويروى كذالك للأغر بن عبدالله اليشكري)؛ «المؤتلف والمختلف» ٤٨ (البيت الثاني) (للأغر بن عبيدالله بن الحرث)؛ «التذكرة السعدية» ١٠٢؛ «الأغاني» ٢/ ١٠١ (البيت الثاني) (للأغر بن حماد اليشكري)؛ «اللسان» مادة (أذن) (البيت الثاني) (للأغر بن عبدالله بن الحرث).

٢- وقال ابن سبرة الحَرَشيّ: (البسيط)

١- إنَّ المنايا لفيروز لَمُعْرِضَةٌ يغتالُهُ البحرُ أو يغتالُهُ الأَسَدُ
٢- أو عقربٌ أو شجًى في الحلق معترضٌ أو حيّةٌ في أعالي متنها زُبَدُ
٣- أو جَرْمَقِيّانِ باتا يَرْطُنَانِ له أدنى ديارهم الحصنانِ أو بلدُ
٤- أو مضمَرُ الغيظِ لم يعلم بإِحْنَتِهِ مما تُجَمْجِمُ في حيزومه أحدُ

المفردات: زُبد: جمع زُبْدة (بسكون الباء): الغبرة؛ الجرامقة: قوم كانوا يسكنون الموصل؛ الحصنان تثنية حصن، موضع والنسب إليه حِصْنيّ، الإِحْنة: الحقد؛ تجمجم: يقال (جمجم) إذا لم يُبيِّنْ، واستعير في ذالك، فقيل (جمجم عن الأمر) إذا لم يُقْدِم عليه؛ الحيزوم: الصدر.

التخريج: «المحبّر» ٢٢٤ - ٢٢٥؛ «المعرّب» ٢٤٧ (الأبيات ١، ٢، ٤)؛ «معجم ما استعجم» ٢/ ٤٥٢ (البيت الثالث).

٣- وقال: (الكامل).

١- شتّانَ عندي مَنْ أُصيبَ ببلدةٍ يهوي إليّ ومَنْ أُصيب مجاوري
٢- إنّ المصابَ إذا أُصيبَ ببلدةٍ يهوي إليَّ كجار بيتي الحاضر
٣- قالت هوازنُ والخطوبُ كثيرةٌ: ما ذنب قومك في القتيل الزائر؟
٤- فكفيتَ قومك عقله ووَدَيْتَهُ وسَنَنْتَ ذالك سنّةً في عامر

المفردات: ودي: وَدْيًا ودِيَةً، القاتل أو أحد ذوي القتيل.

التخريج: «الزهرة» ٢/ ٦٥٤ - ٦٥٥.

٤- وقال عبدالله بن سبرة الحَرَشيّ: (الطويل)

١- أتتني عشاءً ما ألام مجيئها ... مُقَنَّعَةَ عنها أخو النصح شاسعُ
٢- لأدفع عنها ضِئْبَلًا مُضْمَئِلَّةً ... وفي الله وابن العمِّ للضيم رافع
٣- فلما أمَتُّ الخوف منها تبادرت ... أسى ضلّة منها هناك المدامع
٤- بكاء على مملوكةٍ هلكتْ لها ... وما قُتِلتْ إلا لتخفَى الودائع
٥- فقلتُ لها: لا تجزعي إنَّ سِرَّنا ... متى مَا يَجُزْنا، لا محالةَ، شائع
٦- أرحتُكِ من خوف، وذو العرش مخلفٌ ... وفي الصبر أجرٌ حين تعرو الفجائع
٧- وهذي لكم سبعون أوسًا مكانها ... وفيها إخالُ خادمٌ لك نافع
٨- فبعدًا له مَيْتًا ولا بُعْدَ للتي ... به قرنتْ في القبر ما حُمَّ واقع

المفردات: الضئبل: الداهية؛ المُضْمَئِلّة: الداهية.

التخريج: «المحبّر» ٢٢٣ - ٢٢٤.

٥- وقال: (البسيط).

١- قد سادَ وهو فتى حتى إذا بلغَتْ ... أَشُدَّهُ، وعلا في الأمر واجتمعا

التخريج: («تهذيب اللغة» ١/ ٤٠١ و ١١/ ٢٢٦؛ و «اللسان» مادة (جمع) ومادة (شدد). بلا عزو.

٦- وقال: (البسيط).

١- علوتُ بالمُزْعِفِ المأثورِ هامتهُ ... فما استجابَ لداعيه وقد سمعا

المفردات: المزعف: اسم سيف للشاعر، وسيف مزعف: لا يُطني.

التخريج: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٥؛ «العباب الزاخر واللباب الفاخر» (حرف الفاء) ٢٤٢؛ «اللسان» مادة (زعف).

٧- وقال: (السريع).

إلا نَئِيم البُوْم والضُّوعَا!

المفردات: النئيم: الصوت الضعيف، وهو أهون من الزئير، الضوع: طائر من طيور الليل.

التخريج: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٠٨.

٨- وقال عبدالله بن سبرة الحَرَشيّ: (البسيط).

١- ويلُ امِّ جارٍ غداة الروع فارقني أَهْونْ عليَّ به إذا بانَ فانقطعا

٢- يُمنى يديَّ غدتْ منّي مفارقةً لم أستطيعْ يوم (فلطاس) لها تبعا

٣- وما ضننتُ عليها أنْ أُصاحِبَها لقد حرصتُ على أن نستريح معا

٤- وقائل غابَ عن شأني وقائلةٍ: هلّا اجتنبتَ عدو الله إذْ صُرِعا

٥- وكيف أركبه يسعىٰ بمُنْصُلِهِ نحوي وأعجز عنه بعدما وقعا

٦- ماكان ذالك يوم الرَّوع من خلقي ولو تقارب منّي الموت فاكتنعا

٧- ويْلُ أمِّهِ فارسًا أجلتْ عشيرته حاميٰ وقد ضيّعوا الأحساب فارتجعا

٨- يمشي إلى مستَميتٍ مثله بطلٍ حتىٰ إذا أمكنا سيفيهما امتصعا

٩- كلٌّ يَنُوْءُ بِماضي الحدّ ذي شطبٍ جلا الصياقِلُ عن دُرِّيّه الطبعا

١٠- حاسيته الموتَ حتى اشتفّ آخِرهُ فما استكانَ لما لاقى ولا جزعا

١١- كأنّ لِمّتَهُ هُدّابُ مُخْملة أحمُّ أزرقُ لم يَشْمط وقد صلعا

١٢- فإنّ يكن أطربون الروم قطّعها فقد تركتُ بها أوصاله قِطعا

١٣- وإنْ يكنْ أطربون الروم قطّعها فإنّ فيها بحمد الله منتفعا

١٤- بنانَتيْن وجُذمُورًا أُقيم بها صدرَ القناةِ إذا ما آنسوا فَزَعا

المفردات: فلطاس: موضع ببلاد الروم، والصواب (خِلْطاس) (بكسر أوله واسكان ثانيه)؛ مِنْصُل: السيف؛ اكتنع: دنا؛ امتصع: بَعُدَ؛ الشطب: طرائق السيف في المتن؛ الصياقل: جمع صيقل، مَنْ صناعته صقل السيوف؛ دُرِّيّه: تلألؤه و إشراقه؛ الطبعا: الوسخ الشديد من الصدإ؛ حاسيته: ساقيته؛ الهداب: الخيوط التي تبقى في طرفي الثوب من عرضيه، المخملة: نسيج له خمل: أي وبره أحمّ أزرق: نعت للرومي؛ لم يشمط: أي لم يختلط سواد شعره بشيب كثير؛ أطربون: البطريق، كلمة رومية تعني (المقدم في الحرب)، وقال ابن سيده: (هو الرئيس من الروم)؛ الجذمور: الأصل (أصل الأصبع)، ويقال أخذت الشيء بجذاميره، أي بأصوله.

التخريج: «عيون الأخبار» ١/ ١٩٢؛ «الوحشيات» ٢٥ - ٢٦؛ «أمالي القالي» ١/ ٧٣ - ٧٤؛ «الإصابة» ٥/ ٦٠ (الأبيات ١، ٢، ٤، ٧، ٨، ١٠، ١٣)؛ «الضائع من معجم الشعراء» ٩٢ - ٩٣ (الأبيات ٢، ٧، ٨، ١٢)؛ ««المعرّب» ٢٦ (البيتان ١٢، ١٣)؛ «تهذيب اللغة» ١١/ ٢٤٧ (البيت ١٤)؛ «الخصائص» ٣/ ٢١٦ (البيت ١٣)؛ «معجم ما استعجم» ٢/ ٧٠٨ (البيت الثاني)؛ «عمدة الحافظ» ٧٤٩ (البيت الأول)؛ «التنبيه على أوهام أبي علي» ٣٢ - ٣٣ (الأبيات ١، ١١، ١٢، ١٣، ١٤)؛ «اللسان» المواد (درر) (جذمر) (شغف) (أطربن)؛ «تاريخ الطبري» ٣/ ٦١٢ (الأبيات ١٢، ١٣، ١٤) لضريس القيسي؛ «الكامل» (ابن الأثير) ٢/ ٣٤٩ (البيتان ١٣، ١٤) لضريس القيسيّ.

اختلاف الروايات: في «عيون الأخبار» ١/ ١٩٢:

البيت (١): (غداة الجسر) بدلًا من (غداة الروع)؛ و (أعزز) بدلًا من (أهْونْ). البيت (٢): (خلطاس) بدلًا من (فلطاس).

البيت (٤): (ألّا) بدلًا من (هلّا).

البيت (٥): (أتركه) بدلًا من (اركبه)، و(يمشي) بدلًا من (يسعى) و (أجبن) بدلًا من (أعجز).

البيت (٧): (ولّت كتيبته) بدلًا من (أجلت عشيرته).

البيت (٨): (مكنّا) بدلًا من (أمكنا).

البيت (٩): (دُرِّيّة) بدلًا من (ذريّة).

البيت (١٠): (حاشيته) بدلًا من (حاسيته) و (ماجزعا) بدلًا من (ولا جزعا).

البيت (١١): (أحمر) بدلًا من (أحمّ). البيت (١٤): (بنانتان وجذمور) بالرفع بدلًا من النصب.

في «الوحشيات» ٢٥ - ٢٦: البيت (١): (غداة الجسر) بدلًا من (غداة الروع) و (أعزز) بدلًا من (أهْونْ) و(فانصدعا) بدلًا من (فانقطعا).

البيت (٢): (خِلطاس) بدلًا من (فلطاس).

البيت (٥): (فكيف أتركه يمشي بمنصله) بدلًا من (وكيف أركبه يسعى بمنصله) و (وأجبن) بدلًا من (وأعجز).

البيت (٦): (وان تقارب) بدلًا من (ولو تقارب).

البيت (٧): (ولت كتيبته) بدلًا من (أُجلت عشيرته).

البيت (٨): (إذا ما على) بدلًا من (إذا ما أمكنا).

البيت (٩): (دريّة) بدلًا من (ذريّة).

البيت (١٠): (أستفّ) بدلًا من (أشتفّ).

البيت (١١) (حُمَّته) بدلًا من (لمّته).

البيت (١٢): (بنانتان وجذمورٌ) بالرفع بدلًا من النصب.

في «الإصابة» ٥/ ٧٠: البيت (٧): (أخلف) بدلًا من (أجلت).

البيت (٨): (مستجيب) بدلًا من (مستميت) و (أنقطعا) بدلًا من (امتصعا).

البيت (١٠): (فأشتفه الموت) بدلًا من (حاسيته الموت).

البيت (١٣): (بحرم الله) بدلًا من (بحمد الله).

في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٤٧: البيت (١٤): بنانتان وجذمورٌ أقيم   به صدر القناة إذا ما صارخ فَزِعا

في «التنبيه» ٣٢ - ٣٣: البيت (١١): (لم يُمْشَط) بدلًا من (لم يَشْمط) و (أزرق أحمر) بدلًا من (أحم أزرق)، في: «الضائع من معجم الشعراء» ٩٢ - ٩٣: البيت (٨): (مثله حنق) بدلًا من (مثله بطل) و (قطعا) بدلًا من (امتصعا).

في «اللسان»: البيت (٦): روى عجزه: (عَضْب جَلا القَيْنُ عن دريّه الطبعا) يقول ويروى دريّه يعني فرنده.

البيت (١٠): (ضرعًا) بدلًا من (جزعا).

البيت (١٤): (بنانتان وجذمورٌ) بالرفع بدلًا من النصب.

في «الكامل» ٢/ ٣٤٩: البيت (١٣) (أفسدها) بدلًا من (قطّعها).

البيتان (١٢، ١٣) وردت لفظة (أرطبون) بدلًا من (أطربون).

في «تاريخ الطبري» ٣/ ٦١٢: البيت (١٣) (أفسدها) بدلًا من (قطعها).

البيت (١٢ و ١٣) وردت لفظة (أرطبون) بدلًا من (أطربون).

البيت (١٤) (بنانتان وجذمورٌ) بالرفع بدلًا من النصب و (به) بدلًا من (بها).

٩- وقال عبدالله بن سبرة الحَرَشيّ:   (الطويل).

١- لقـد خَـزِيَ العِلْجُ اللَّئِيمـةُ أمُّـهُ   وعـايَنَ منّي وقـعَ صَلْبِ المصـادقِ

٢- أتينـاهُ لا نبغِـي المِـرآءَ فهـاجنَـا   عليـه ولم يحـذرْ مَخُـوفَ البـوائقِ

٣- تنـاولَ عثمـانَ بن عفـانَ ظـالمًـا   ونـالَ أبـا بكـرٍ وليس بصـادقِ

٤- ونـالَ أبـا حفصٍ ويـالكَ خُطّـةً   أجـدّتْ بـلايـا المجحفـاتِ البـوائقِ

٥- فقلتُ له: مهلًا لكَ الويلُ لا تحنْ   فلمْ يثنِ منـه المهلُ حـوبَـاءَ مـائقِ

٦- وأعلـو بـذي أثـر طـريـر ذبـابِـه   على حَنَـقٍ منّي شـؤون المفـارقِ

٧- فغادَرْتُـه في السـوق يكبو بـوجهه   لـدىٰ حلبـة الإسـلامِ من مـرج دابقِ

المفردات: العلج: الرجل الشديد الغليظ؛ البوائق: المصائب؛ المائق: الأحمق؛ الحنق: الغضب؛ مرج دابق: موضع في سورية الشمالية بين منبج وأنطاكية على نهر قويق.

التخريج: «المحبر» ٢٢٦.

١٠ - وقال: (الطويل).

١ - وكم عاجمٍ عودي أضَّرَ بنابِهِ ... مذاقي ففي نابَيْهِ فَرْضُ فلولِ

المفردات: عاجم: (عجم عوده): جرّب أمره وخبر حاله؛ الفلول: ما تساقط من الشيء وتناثر كبرادة الحديد وشرر النار.

التخريج: «العين» مادة (عجم).

١١ - وقال: (الطويل).

١ - وإنْ يبغ ذا وُدّي أخِي أَسْع مُخْلِصًا ... ويأبى فلا يعيا عليَّ حَوِيلي

المفردات: الحويل: جودة النظر والقدرة على التصرف وهي الحيلة.

التخريج: «الخصائص» ٣/ ٢٨.

١٢ - وقال: (البسيط).

١ - إنْ أُقْلِبِ الطعنَ فالطاعون يرصدني ... كيفَ البقاءُ علىٰ طَعْنٍ وطاعونِ؟

التخريج: «الإصابة» ٥/ ٦٠.

١٣ - وقالَ يخاطبُ يزيدَ بن معاوية: (الطويل)

١ - تجاوَزْ بِحلمٍ منك عنّي بهذِهِ ... لك الخيرُ وانظرْ بعد كيفَ تكونُ

التخريج: «الإصابة» ٥/ ٦٠.

المنسوبُ لهُ:

١ - وكنّا فوارس يوم الهريـ ... ـر إذْ مالَ سرجُكَ فاستقدما

٢ - عطفنا وراءَكَ أفراسَنا ... وقد أسلم الشفتانِ الفما

تفرّد البكريُّ في «سمط اللآلي» ص (١٢٦) فَنَسَبَ البيتين لعبدالله بن سبرة، بينما تنسبهما المصادر مع أربعة أبيات أخرى للربيع بن زياد العبسي كما في:

«الحماسة» (عسيلان) ١/ ٢٦٠ و «النقائض» ١/ ١٠٤، و «الحماسة» بشرح المرزوقي ٢/ ٤٨٥ - ٤٨٧، و «أمثال الضبّي» ١٠٤ - ١٠٥ وغيرها، وأشار الميمنيُّ في تعليقه: إنّ هذا غلط منه (البكري) سببه أنها في «الحماسة» ٢/ ٢٣ من أبيات للربيع بن زياد العبسي يتقدمها بيتان لعبدالله بنِ سبرة، فوقع بَصَرَه على هذا دون ذالك. انتهى. وبذالك يمكن الجزم بأَنَّ هذين البيتين للربيع العبسي لا لعبدالله بن سبرة، والربيع بن زياد العبسي، شاعر جاهلي، شهد أحداث يوم داحس والغبراء.

سعد الحداد

الحلّة - كلية التربية - جامعة بابل - العراق

الحواشي:

(١) «الأمالي» ١/ ٧٣ و«سمط اللآلي» و «المعارف» ٤٣ و «المحبّر» ٢١٣ و «شرح الحماسة» للتبريزي ١/ ١٨٥، و «شرح الحماسة» للمرصفي ١/ ٥٥ و «الحماسة البصرية» ١/ ٧ و «المعرّب» ٧٤ و «الاشتقاق» ١٣١ وغيرها.

(٢) «سمط اللآلي» ١٩٢.

(٣) «الأنساب» للسمعاني ٤/ ١٢١.

(٤) يُنظر: «المعرَّب» (ط ٢) تعليق أحمد محمد شاكر ص ٧٤ حاشية ٥.

(٥) «العين» ٦/ ٣٥، و «الإصابة» ٥/ ٩٢، و «تفسير ابن فارس» ١٥٣ و «شرح الحماسة» للمرزوقي ٢/ ٤٨٣، و«الضائع من معجم الشعراء» للمرزباني ٩٢.

(٦) «الإصابة» ٤/ ٧٥، و «أسد الغابة» ٢٥٥.

(٧) «الإصابة» ٤/ ٧٥.

(٨) «الإصابة» ٥/ ٦٠ و ٥/ ٩٢.

(٩) نقلًا عن «الإصابة» ٥/ ٩٢.

(١٠) «الإصابة» ٥/ ٦٠.

(١١) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٥ مادة (زعف).

(١٢) «دراسات في النص الشعري» عبادة بدوي ٦١.

(١٣) «المحبّر» ٢٢٣.

(١٤) المصدر السابق ٢٢٥.

(١٥) المصدر السابق ٢٢٤ - ٢٢٥ و «الإصابة» ٥/ ٩٢، «المعرّب» ٢٤٦ - ٢٤٧ مع بعض الاختلاف.

(١٦) «الحماسة» بشرح المرزوقي ٢/ ٤٨٣، «الحماسة» بشرح التبريزي ١/ ١٨٥ - ١٨٦، «سمط اللآلي» ١٩٢ - ١٩٣ مع بعض الاختلاف.

«التّعليقاتُ والنّوادر»

إضاءات وإضافات في نشر الشعر وتحقيقه

في س ٣٢، ص ٢٣٥ من مجلة «العرب» نشرنا ملاحظات نقدية على كتاب «التعليقـــــــات والنوادر» لأبي عليّ الهَجَريّ، الذي نَشَرَهُ الشيخُ المِفْضالُ حمد الجاسر نشرةً علميةً دقيقةً، في أربعةِ أجزاءٍ ضخمةٍ.

ولقد كانت جلّ ملاحظاتنا على الشعر الذي أورده الهجريّ، مع التنبيه إلى نشره وتحقيقه، واسم المحقق، ومكان النشر وسنَته، وهي معلومات فهرسية (ببليوجرافية) مهمة لم أكن لأذكرها لولا أنني رأيتُ الشيخ حمد الجاسر يذكر محققي قسم من الشعراء في هوامش كتاب «التعليقات والنوادر»، ورجع إلى تلك الدواوين المحققة على أصول مخطوطة أو المصنوعة حديثًا.

ولقد كانت المعلومات (الببليوجرافية) هذا، مدار اهتمامنا منذ زَمَنٍ طويلٍ، إذْ استدركنا على عددٍ من المحققين والمؤلفين في أشياء فاتتهم، ولعل الاهتمام بها أمر مطلوب، وضروريّ كي لا يتكرر نَشْر عَمَل ما أكثرَ مِنْ مَرَّة.. وقد حَدَثَ هذا للأسفِ الشديد.

ثم كان أنْ شرّفني المرحوم الدكتور علي جواد الطاهر - عطر الله جَدَثَهُ - بمشاركته في تأليف كتابٍ بعنوان «نَشْر الشعر وتحقيقه في العراق»، وهو كتاب يبيّن جهود العراقيين في نشر الشعر وتحقيقه ونقده وعرضه والاستدراك على أعمالهم أو أعمال الآخرين.

لذالك كان ما نشرتُهُ في «العرب» هو إضافة وتتمة متواضعة لحواشي الكتاب، ثم بدا لي أنْ أنظر إلى ما أوردته، فتَبَيَّنَ أني قَدْ أخطأتُ في إيراد اسمي شاعرين، ثم تجَمَّعت لدي أسماء شُعراء لهم أعمال محققة أخرى، لذالك رأيْتُ أنْ أذكر كُلَّ ذالك مفصلًا ليكون تتمة لعملي السابق. وهو على النحو الآتي:

- ص ٢٣٦ من المجلة: الفِقْرة ١٦ - القطاميّ.

قلت: يُصَحَّح إلى: المثقّب العبديّ، ويُضافُ إليه: وهناك طبعة أُخرى من

«ديـوان المثقّب العبـديّ» بتحقيق حسن كامـل الصَّيرفيّ، بـالقـاهـرة، وللدكتـور إبراهيم السـامرائي مـلاحظات عليها في كتـابه: «مع المصـادر في اللغة والأدب» ١/ ٤٧ - ٦٢(بغداد ١٩٧٩ - ١٩٨٠)، ط ٢ (عمّان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

- الفِقْرة ١٧ - مُزاحم الْعُقيليّ.

قلت: تحذف هذه الفقرة كاملة، لأن ما أورده الشيخُ حمد الجاسر صحيح، ولا إضافة عليه، فالمقصود هو (القُحَيْف العقيلي).

- يضاف إلى ما قلناه ص ٢٣٥ من المجلة بخصوص بكر بن النطاح، نشر شعره د. حاتم صـالح الضامن في كتـابه: «شُعراء مُقلّـون» (بيروت، ١٩٨٧م) ص ٢٠٩ - ٢٧٦، ثم في كتابه: «عشرة شعراء مُقلّون» (الموصل ١٩٩٠م) ص ٢٤٣ - ٢٨٢، ثم استدرك على عمله «العرب» س ٢٧، ص ٢٠٩.

أما الزيادات والإضافات على ما نشرناه، فهي على السياق الآتي:

- ١/ ٤٣٠ - مُضَـرس بن ربعيّ. قلتُ: نَشَـرَ شعـرَهُ د. نُـوري حمـودي القيسي في مجلة «المجمع العلمي العراقي» مج ٣٧ - ج ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص٥٣ - ٩٠.

- ١/ ٤٣١ - نَهْشل بن حَرِّيٍّ - قلتُ: نَشَرَ شعره د. حـاتم صالح الضامن أوّلًا ببغـداد ١٩٧٥م، ثم أعاده في كتـابه: «شعـراء مُقلّون» ص ٧٩ - ١٣٨، و «عشـرة شعراء مقلّون» ص ١٠٧ - ١٣٩. وقد ورد عجز البيت هكذا: .... بفقعسِ.

- ٢/ ٥١٢ - إبراهيم بن هـرمة. ذُكر أنَّ محمـد جبار المعَيْبد قد نشـر شعره في النجف ١٩٦٩م، قلتُ: وقد استدرك عليه الأُستاذ هـلال ناجي في مجلة «الكتاب» - العـدد ١، السنة ٧، ١٩٧٣م، وأعـاد ذالك في كتـابه: «هـوامش تـراثية» (بغـداد ١٩٧٣م) ص ٨٨ - ٩٦.

- ٢/ ٦٣٢ - المخبل السعــدي - قلتُ: ولمْ أرَ البيتين فـي: «عشـرة شعــراء مُقلُّون».

- ٢/ ٧١٠ - عبدالله بن العجلان: قلتُ: يُضافُ إليـه: قام د. نوري القيسي بنشر شعره في مجلة «العرب»، ج ١ - ٢، س ٢٤، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ١ - ٢٤.

- ٢/ ٧٢٥ - عُبيد بن أَيُّوب العنبريّ يُضافُ إليه: أعاد د. نوري القيسيّ نَشْرَ شعره في كتابه: «شعراء أُمويون» (الموصل ١٩٧٦م) ١/ ١٩٥ - ٢٣٨.

- ٢/ ٧٢٦ - الراعي النميري. يُضاف إليه: نَشَرَ شعره وحققه د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي (ط المجمع العلمي العراقي ١٩٨٠م)، وفي مقدمته العلمية وهوامشه ما يزيد علمية على طبعة (فايبرت).

- ٢/ ٧٧١ - العُجَيْر السلولي - يضاف إليه: نشر شعره محمد نايف الدُّليميّ في مجلة «المورد» - بغداد، مج ٨، العدد ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٢٠٧ - ٢٤٢.

- ٢/ ٩٧٢ - أبو وَجْزة السَّعديّ - قلت: نشر شعره د. عبدالمجيد الإسداوي في كتابه: «مع الفقهاء الشعراء أخبارهم وأشعارهم»- مصر ١٩٩٣م، ص ٥٩ - ١٣٩، ثم في مجلة «العرب» ج ١٠ - ١٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ثم في كتابه: «بنو وجزة السلميون صفحات من حياتهم وأشعارهم». مط أبو هلال بالمنيا ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، وجمع شعره كذالك: د. عياد بن عيد الثبيتي ود. حاتم صالح الضامن - مخطوط.

- ٢/ ٩٧٢ - أبو شجرة الأسلمي (؟) الأزرقيّ. قُلتُ: جَمَعَ شعره د. الحسين حدّاد كنيهل في رسالته للدكتوراه «شعر بني سليم في الجاهلية وجمع مالم يجمع من شعر شعرائها» جامعة بغداد، ١٩٨٩م، ص ١٦٩ - ١٧٢.

- ٢/ ٧٥٠ - «شرح ديوان المتنبي» للعكبريّ. قلتُ: وهو خطأ، والصحيح: ابن عَدْلان الموصليّ (ت ٦٦٦هـ)، وقد نبّه على هذا الوهم المرحوم د. مصطفى جواد في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق مج ٢٢ - ١٩٤٧م، ص ٣٧ - ٤٧ و ١١٠ - ١٢٠. ثم أُعيد نشره - بعد وفاته - في كتابه: «في التراث العربي» (بغداد ١٩٧٩م) ٢/ ٢٣٩ - ٢٦٠.

وبعد: فهذا بعضُ ما أردتُّ تِبيانه، والحمدُ لله ربّ العالمين،

بابل - الحلة: عباس هاني الچراخ

أنساب الأسر الحضرمية في كتاب:

«السفينة المجموعة في نسبة بعض القاطنين في وادي حضرموت المبارك ومساكنهم»

تأليف السيد أحمد بن الحبيب بن حسن العطاس

(١٢٥٧/١٣٣٤هـ)

(٢)

فصل: وغالب آل حضرموت عرب أصليون لأنهم لم يخالطوا غيرهم من العجم، وهم معروفون في بعضهم البعض متميزون في البيوت وغيرها وهم أهل سنة وجماعة، ومنقادون لأهل البيت والصلحاء من غيرهم وقد كان فيما مضى من الأزمنة فيها شيء من الانحراف في العقائد، وأما بعدما استقر فيها أهل البيت زالت منها البدع فأهل حضرموت بحمد الله تعالى أشرافهم ومشايخهم وعوامهم وجميع من في ذالك الإقليم سنيون أشعريون[1] شافعيون محبون لأهل البيت [١٤] والعلماء والصلحاء والأولياء، يغلب عليهم التواضع والتقلل من الدنيا، والرضى بالأقل منها في المطعم والملبس والمسكن للغني والفقير.

وغالب أهل الجهة كانوا يستعملون السلاح حتى أمرهم سيدنا الفقيه محمد بن علي باعلوي بترك السلاح وكسر السيف، واتبعوه إلَّا البادية والقليل من الجهلة.

فصل: وغالب المشايخ في جهة حضرموت كانوا قبائل حاملين للسلاح وتركوه زهدًا في الشر وأسبابه مثل آل أبي جمال وآل باعباد وآل إسحاق وغيرهم من المشايخ.

وأما المشايخ آل العمودي المنتسبين إلى الشيخ سعيد بعضهم ترك السلاح وبعضهم يحمله، وهم بيت علم وصلاح وولاية وعفة وديانة، وللشيخ سعيد المذكور زاوية معمورة ومطبخ مقصود ولهم ولاية على دوعن.

وأما آل أبي جمال فهم بيت علم وصلاح ومنهم الشيخ معروف باجمال المقبور ببضة والشيخ محمد بن عمر [١٥] مؤلف «مقال الناصحين».

وأما المشايخ آل باجابر بعَنْدَل وبَـرُوم والهَجْرين والحَفِيْرة وآل باكريت الساحل وآل باحرمي تريم، وآل ابن سلم القرية ينتسبون إلى عقيل بن أبي طالب.

وأما آل بـابقي فهم أهل همة وذكاء وفتـوة وذكر بعض المؤرخين أنهم كـانوا في مَذْوَدة مدينة مـا بين لازم والسور كانت معمورة وتفرقوا أهلها لما استـولاها بنو نهد وآل بابقي من جملتهـا انتقلوا إلى تـولبة ثم إلى فرطم ثم إلى الخـريبة وغيـرها من المسـاكن ومنهم الشيخ الصـالح الفقيــه أحمـد بـابقي أخـذ عن الشيخ عبـدالله الذماري العمودي وقبره بالخريبة.

وأمـا المشايخ آل بـاسهل بحريضـة بيت صـلاح وولاية وذكـاء وفطنة وإتقـان في جميع الأشياء ومنهم الشيخ علـي بن سلمة صاحب حـريضة المقبور بهـا كان عـالما [١٦] وفاضل، وتولى القضاء في بلد حريضة وكان في زمن السلطان بدر أبو طويرق.

وأما المشايخ آل إسحاق هينن فهم أهل مقام وبيت صلاح وعلم، منهم الشيخ شيبـان بن أحمد أخـذ عن الشيخ أبي بكر بـن سالم، وفي الجهـة مذكـورة، وعلى ذريتهم آثار الصلاح ولهم احترام عند أهل الجهة.

وأمـا المشـايخ آل بـاهـرمــز فهم بيت صــلاح وعلم وولايــة ومنهم الشيخ عبدالـرحمن بن عمر الأخضر المقبور بهينن شيخ الفقيــه عمر بامخرمـة، وكثير في الجهة من المشايخ الـذين ملكوا على قدم العبادة والزهادة [١٧] والـرضى باليسر من الدنيا واتباع السيرة النبوية المحمدية.

وأما المشايخ آل باحميد مـدودة قال بعض السلف: نسبهم إلى حميد الطويل الصحابي.

وأمـا آل باكثيـر فهم بيت علـم وفطنـة وذكاء إلا أنهـا تغلب عليهم الحـدة حتى بلغني أن بعض السلف قـال: لا تعلموا آل فـلان من آل بـاكثير علم الفقـه ومنهم الشيخ الفاضل العالم المحقق علي بن عمر بن قاضي له تآليف في الفقه وغيرها.

وأما آل باسـودان فهم بيت صلاح ومروءة وفتوة وعلم واهتمـام بما يصلحهم في

معـاشهم ومعادهم ومنهـم الشيخ الفاضل العـالم الـولي العـارف بالله عبـدالله بن أحمد باسـودان ساكن الخريبة لـه محبة وانطواء في أهل البيت خاصـة والمؤمنين عـامة حبـه الخاص والعـام وانتفع به [١٨] الخـواص والعوام ولـه تآليف عديـدة ومفيدة سارت بفضلـه الركبان وشهرته تغني عن تـرجمته وامتزج مع أهل البيت في المذهب والمشرب حتى اشتهر عنه ومنه ذالك.

وأما المشايخ آل باوزير فهم بيت صلاح وذكاء وكرم وفتوة وعلم وولاية وهم في أماكن عديـدة من الساحل وحضرموت مشهورون، ولهم حضـرات ومطابخ ومحبة في الخير وأهله ولهم انطواء ومحبة في أهل البيت.

ومنهم الشيخ العارف بالله محمد بن سالـم مولى عرف، والشيخ عمر بن محمد مـولى الغيل والشيخ سعيد بن محمـد والشيخ أبـو بكر بن محمـد مولى صـاحب حورة والشيخ العـارف بالله عبدالـرحيم بن عمر صاحب الغيل والشيخ عبـدالرحيم ابن سعيـد بن الشيخ عبدالـرحيم بن عمـر صاحب «الطـرايق في علم الحقـايق» والشيخ علي بن سالم بن جنيد صاحب النَّقْعَة.

وآل سعيـد بن عبـدالله [١٩] بن أحمـد أهـل السَّفِيل وادي العين وغيـرهم من المشايخ في تلك الجهة وغيرها.

والشيخ المشهـور بمـولـى عـرف هـو الشيخ محمـد بن الشيخ ســالم مـولى الجويب بن الشيخ عبـدالله مولى المحطـة صاحب الشحر بـن الشيخ يعقوب بن يوسف صاحب المكلا المشهور بها.

وأما المشايخ آل بافضل فهم بيت صلاح وعلم وتـواضع وزهد في الدنيا ومحبة خالصة لأهل البيت فمنهم الشيخ سالم بافضل التريمي الذي غاب عن الجهة في طلب العلم ورجع بعـد أربعين سنة ورتب أحزاب القـرآن في الجوامع والمسـاجد تـرجم له في «الجـوهر» ومنهم الشيخ إسمـاعيل الحضـرمي المقبور بمـدينة زبيـد والشيخ محمـد بن أحمد صـاحب عدن صـاحب «نور الأبصـار ومختصر الأنوار»

ومؤلف «العدة والسلاح [٢٠] في النكاح» والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج صاحب الشحر مؤلف «المختصر الكبير» الذي شرحه الشيخ ابن حجر وغيرهم من الصلحاء في تلك القبيلة الصالحة ينتسبون إلى سعد العشيرة وغير من ذكروا تقدمت أنسابهم مفرقة.

فصل: وجد بخط الشيخ محمد بن عبدالرحيم بن قاضي قال وجدته بخط الفقيه عبدالله بن علي بن عبدالعليم بانافع نسب آل بانافع إلى بني أمية، روى ذالك عن الشيخ العلامة القطب الشهير عبيد بن عبدالملك صاحب شحر نافع نفع الله به أنه وجد عن بعض أهل الصلاح نسب آل باجابر إلى عقيل بن أبي طالب ونسب آل الزيلعي إلى عقيل أيضًا وعن بعض الصالحين من الخطباء الذين بحضرموت أنه قال: نسبنا يالخطباء يعود إلى الأنصار ومسكنهم من حضرموت تريم، [٢١]وعن بعض أهل العلم والصلاح أن القشاشي أنصاري.

وعن بعض التعاليق نسب آل محمد بن عمر يعود إلى مالك وأطلق ولم يبين هل هو إمام المذهب أم غيره وهم أهل الجُول والحُوْطة والرُّوْضَة وحواليها.

ونسب آل عبدالواحد يعود إلى رباح، ورباح شب ونشأ في حجر لؤي بن غالب فنسبوه إليه.

نسب قبائل اليمن: وهم ثلاث قبائل حمير ومذحج وهمدان.

فمن حِمْيَرِ غالب القبائل فمنهم يافع والغموش وآل ذييب وسعد ونعمان وقبائل السوط وسيبان وغيرهم من قبائل اليمن.

وأما مذحج فأصل مسكنهم الشام وهمدان مسكنهم الجوف خلف صنعاء وما حواليه، وقيل إن نسب العوالق إلى معن بن زايدة، وقيل إن نسب بني أرض إلى سلمة [٢٢] بن الأكوع وآل سهل حريضة قيل إليه الصحابي رضي الله عنه.

وآل تميم من قبائل حضرموت يزعمون أن نسبهم إلى تميم الداري رضي الله عنه، وآل جابر من قبائل حضرموت يعود نسبهم إلى جابر بن عبدالله كذا قيل.

وبنو سعد من قبائل حضرموت قيل إنهم من بني سعد قبيلة حليمة السعدية رضي الله عنها، وأهل السهل أعني أهل الرمل يحدهم حورة إلى الكسر قيل أنهم منسوبون إلى الحميد بن منصور رجل من العرب مشهور من رؤسائهم وهم أعني المنسوبين إلى الحميد بن منصور المسمون النسيين هذا ما وجدته معلقًا بخط من ذكر في أول هذه النسبة.

ووجدت أيضًا معلقًا أن آل باعباد من موالي بني أمية تم ذالك والله أعلم.

كذا [٢٣] وجدته بخط من ذكر في أول هذه النسبة انتهى من خط المعلم سعيد ابن أحمد باكثير نقله من خط سالم بن محمد باحميد.

قيل إن قبر الحميد بن منصور المذكور برداع، ومن كلامه قال الحميد بن منصور: كثير الرجاله بطاله، بغيت ثلمين في السُّوم ضيعت نصف الفحالة.

الفحالة اسم جربه يعملها، والثلم اسم الحلى في الأرض انتهى.

فصل: وهذه الفائدة نقلناها من خزانة كنينة للشيخ عبدالله باعفيف العمودي فوجدت فيها من نسبة العرب آل العمودي بكريين.

آل باعباد بني أمية، باعامر من الأنصار، الحدي بكري قرشي، آل باعنتر بدوعن من ذرية عمر بن الخطاب، باسندوه شريف، باعشن أنصاري، آل باصبارة من صبابير حضرموت من بني حرام، بني حسن يقال إنهم أشراف من ذرية الحسن.

وقبائل مذحج [٢٤] الذين بجهة حضرموت باصبير باصبيح باسودان بابقي بلعين باكواسه باجبع باعراقي.

وقبائل بني محمد آل علي بن سالم وابن حترش وآل يحيى حجر وليسر وآل المعلم عمد، وآل رباع وباجبير دوعن وباعشرة وباعجاج وابن عدوان الصم.

وقبائل كندة آل دغار، وآل محفوظ الصيعر والياس في الدين وبابحير وبايومين وباقيس وآل مخاشن وبني سهل وآل السور وباكرمان وباسبيت.

وقبائل همدان آل كثير وآل الوبر وباكثير.

وقبائل بني هلال باعويدين وباحكيم دوعن وبني حكيم وبامقعين وآل ماضي إلى آخر ما ذكره.

فائدة: الحمد لله ومن خط الفقيه العلامة المحقق المدقق البارع في العلوم والأخذ من أهل مكة والروم عبدالله بن أبي بكر باشعيب، قال: بامخرمه حميري من سعد العشيرة وباكثير تريس [٢٥] كندي وباحرمي حزامي وبامحسون مذحج وآل أبي الحب قرشيون وانقرضوا وباجابر عندل ومنهم باكريت عقيليون وآل عبد المانع بالجول قرشيون أمويون ومنهم آل عبدالواحد سلاطين الظاهر وابن سدة وباواحدة حراث بحضرموت أمويون من ذرية يزيد بن معاوية وخطباء تريم وباشعيب المسفلة أنصاريون وبازغيفان صيعري وباحنان المسفلة وبامصباح كنديون ابن حميد تريس كندي بن مقداد الأسود آل باغشير بالغين المعجمة في هينن قرشيون من بني عدي، والمهرة من قضاعة والكرب من خولان وخولان من قضاعة انتهى منقول من خط الشيخ رضوان بن أحمد بارضوان بافضل ناقلًا عن خط الشيخ الفاضل المعلم عبدالرحمن باوزير ناقلًا عن خط السيد الفاضل محمد باحسن رحمه الله [٢٦] قال: نقلت من خط الفقيه أحمد بن عبدالله باقشير رحمه الله تعالى وهذه رسالة نوردها بكمالها لتكميل الفائدة لأنها اشتملت على بعض ما تقدم بكثير كما ستراه نقلناها من تريس أفادنيها الشيخ الفاضل العالم المؤرخ سالم بن محمد بن حميد وهي هذه: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله وصحبه أهل الوفا وسلم تسليمًا كثيرًا هذا ما نقله وأرقمه هنا من شجرة الأنساب للشيخ أبي الحسن أحمد بن إبراهيم الأشعري رحمه الله تعالى من كتاب القاضي الفقيه جمال الدين محمد بن سعد أبي شكيل ومن غير ذالك، قال أبو الحسن أحمد بن إبراهيم: العرب أصلان عدنان وقحطان فعدنان من ولد فالغ وهو أخو قحطان وهما أبناء عامر بن شالخ

ابن أرفخشد بن سام بن نوح [٢٧] النبي ﷺ وعلى نبينا إلى أن قال: فولد عدنان أولادًا والنسب منهم في معد وعك فولد معد أولاد والمشهور منهم نزار فولد نزار أربعة وهم ربيعة ومضر وأنمار وإياد وأطال في تفصيلهم وبيان فروعهم إلى أن قال: نسب أهل اليمن وهم من ولد قحطان ابن عامر وإنما سموا أهل اليمن لأنهم نزلوا عن يمين الشمس وفي «البخاري» سميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة وسميت الشام لأنها عن يسار الكعبة قال: فولد قحطان عدة من الولد والنسب والمشهور في ولد يعرب بن قحطان وولد يعرب يشجب وولد يشجب سبأ الأكبر وهو عبد شمس وسمي سبأ لأنه من سبأ السبايا من بلاد العدو وأولد سبأ أولادًا والعدد منهم في حِمْيَر ومنهم عمران الكاهن ثم ولي بعده [٢٨] عمرو بن عامر صاحب السد بمأرب وهو الذي حدث عليه وباعه بحيلة صنعها وله حكاية ذكرت في كتاب «الجوهر» وخرج ومات في الطريق وكان الملك عليهم وخرج من اليمن عمرو بن عامر المذكور. انتهى.

ثم إن كهلان أبو الملوك من الأزد بفتح الهمزة وسكون الزاي، والأسد لغة في الأزد ووقع الملك من قبائل قحطان في خمس قبائل حمير وغسان ولخم وهمدان وكندة وقال في كتاب «التعريف بالأنساب»: الملك في أهل اليمن من قبائل قحطان في سبعة أصناف حمير والأزد وهمدان وبجيلة وكندة وطي ولخم ثم قال الأزد وهمدان وخثعم شعر:

إن قيل من في لبلاد مالك ... وقايد الخيل والرجال

[٢٩] قل كندة السادة الأكابر ... كم من متوج بلاجدال

أي كندة واسمه ثور بالمثلثة ابن عُبير - بضم العين المهملة بن الحارث بن مرة ابن أدد بضم الهمزة ودالين مهملتين بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن النبي هود صلى الله على نبينا وعليه وسلم، وكانت كندة ملوك حضرموت، وهي بلاد كبيرة عامرة وبينها وبين الشحر أربعة أيام.

وتطلق حضرموت على بلـدان كثيرة ساحلها العين وبروم والشحـر ونواحيها إلى تـريم إلى قبـر نبي الله هـود وإلى مـا وراء ذالك بـلاد المهـرة وقـال: وجميع كنـدة أصلان معـاوية الأكرمين فبطون الأكـرمين فهم بنو عمرو بن الحارث بنجـران وبنو وهب هاؤلاء ينتمـون [٣٠] إلى معاويـة الأكرمين ومن بطـون كندة شريـح القاضي الكوفي التـابعي إلى أن قال: إن ساكن دمون بني الحـارث إلى أن قال: وذي أَصْبَح وسيئون مـدينتان عظيمتـان لبني معاويـة الأكرمين، وأطـال في رؤساء كنـدة إلى أن قال: وأما بنو يـزيد بن معاوية بن كندة فهو أخـو الحارث ومن كندة. ثم قال: وبني لقيط وبنو سليم وبنـو حارثة وبنو حـرام وبنو محمد آل حـريضة فهاؤلاء بنو يـزيد ابن معاويـة بن كندة ومنهم السكـون والسكاسك بالمخـلاف والمخارج وبعمْقِين وبنو دمـار بمدودة وآل ابن نعيم بحورة بقـارة آل مخاشن ومن السكـون كندة [٣١] باسفـل حضرموت والكسـر وحريضـة ومنهم آل محفوظ وآل شحبل ومـن كندة آل الأشعث بن قيس الصحـابي رضي الله عنه الـذي احتكم هو وعنـدان يقال إنـه من العنادية إلى النبي ﷺ في أرض ذي هي بير تحـت أنف خطم وهي المحترقة قريب من شبـام في بحيرة المـذكور في بـاب صفـة القضاء من «المهـذب» في قولـه: أن رجـلًا من حضـرمـوت ورجلًا من كنـدة تحـاكمـا إلى النبي ﷺ والحق من كنـدة، بادجـانة وآل عسيلان وآل مخاشن ومـن بطون كندة الصدف بفتح الصـاد المهملة وكسر الدال وبعـدها فاء. ثم قال بعـد كلام طويل: جبال حضـرموت ممتدة [٣٢] من الشمال إلى الجنوب ولها مدن خاملة الأسمـاء وأشهر مدنها في الساحل لسعا، ثـم قال: قـاعدة حضرمـوت مدينة تـريم وهي في شمالي لسعا وهي مشهـورة بكثرة التمر، ثم قال: وأرض مهـرة وجبالها اثنان ممتدان من الغـرب إلى الشرق وليس فيها مدن بـل سكنها قوم مـن مهرة كالـوحوش يتكلمـون بلغة عـاد وإليهم تنسب الإبل المهريـة وليس فيها نخيل ولا زرع وإنما أمـوالهم الإبل والغنم وقال ابن لهيعـة: قبر النبي هـود عليـه السلام في بـلاد مهـرة وبـلادهم هي ما بين الشحـر وعمـان وهي

مسكن قـــــوم عاد وفي الشرق الشمالي من أرض مهرة ظفار وهي الآن قاعدة بلاد الشحر. ثم قال وبعد كلام: إلى ريـدة الصيعر وإليها تنسب الإبل [٣٣] الصيعرية، والصيعر قبيلة من الصـدف من كندة وأطال ثم قال: أشراف كنـدة وعدهم ثم قال: وتوفي يـوسف بن عبد الأعلى الصدفي المصـري سنة ٢٦٤ أربع وستين ومئتين لأن من سكن الكسـر حضرمـوت صِيْف والهَجْريـن قريتـان متقابلتـان ثم قال: وريـدة مُحْرَمِيـة للأحروم آل مـروان وآل أبي سهل وبيوت بنجـران والصدف الديني بـريدة الـدوم من ولده ومن الصـدف ذهبـان (؟) بن الحضرمي بمكـة المشـرفة ومن ولـد الصدف آل قـاسم وهـم آل عمرو وآل إبراهيم وآل أبـرهة وآل أبي جعفر بـالهجرين وبنو عمهم آل سعيـد بالمنيْظَـرة وقبيلة في مهرة آل بـاثبتان ومن كنـدة آل بن حميد وقال الشيخ عبـدالله بن أبي بكر باشعيـب [٣٤]، أن آل بن حميد تريس مقـداديون وعدد جماعـة من العرب كذالك من كندة وجمـاعة قرشيون إلى أن قـال: وأما شبام فهي مدينـة عظيمة، وهي قصبة السـرير ومن سكان حضـرموت آل الجرو بـالجول وهي قريـة عظيمة بالسرير، وممـا نقل من كتاب السيد أحمد بـن علوي خرد أن آل الجـرو ولاة الجـول أهل نخيل وأهل عبيـد منهم آل ابـن ذبيح وآل ابن طبن إلى أن قال بعد كلام: ثار الحرب بينهم وبين آل الـوبر وآل باصهي فخذين فخذ في تريس وفخذ في...... وآل الوبـر حليف آل باصهي إلى أن قال: فأخذ آل الـوبر آل الجرو بالخداع والحيلـة ثم ذكر غدرهم بهم قتلوهـم غدرًا في أنف خطم فانهزمـوا هزيمة عظيمة وآل الوبر غدروا بآل الجرو وما بقي منهم [٣٥] إلَّا عشرة والله أعلم.

ثم قال لله در القائل شعرًا:

ألم تـر أهـل الـوبـر خين عهـودهم ... ينـــاقضهـــا قـــول وفعل ببــــاطل

أبـــادوا لآل الجـــرو حيـن ممـــاتهم ... بخـــدع وحـــازوا رأس كل مقـــاتل

ولكن قضى الـرحمن معهم مسـاعـد ... علينـــا فعـــوقبنا عقـــوبـــة عـــاجل

فلم يبق من ذي قاتلوا غير عشرة وتركوا (؟) ركوب الصافنات الصواهل
فأي بلاد لم تروع ملوكها وأي كبير لم يقد بالسلاسل

إلى آخرها وأطال، إلى أن قال: ومن ولد الصدف آل أبي كثير بتريس وآل أجذع وآل أرقم بحبوظة والله أعلم.

ونقلت من نبذة الإمام محمد بن سعيد أبي شكيل الأنصاري الحضرمي نقلها من خط الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج قال: فيها وجدت من سكان حضرموت من أولاد الصدف وهم آل أبي جمال وآل باصهي وآل بابقي والصيعر وبني حارثة وآل أبي حفين وآل أبي كثير وآل الجرو [٣٦] والعفار وآل أبي حلوان وآل الجرو أخوين لأب وأم، وآل باخطيب بور، وآل أبي غانم ببور، ومن ولد الصدف مشيريح لهم مسجد معظم بالعجز، وهم بيت علم كآل أبي جمال ومن كندة آل أبي عكابة قال: والكسر قرى كثيرة فيها قرية يقال لها هينن فيها بطنان من تجيب وهم بنو سهل وبنو بدا، وقال قبل ذالك: تخرج الأودية من بلاد مذحج إلى حضرموت حتى تصل إلى رخْية ودَهْر، وفي رخية درب يقال له درب بني نعيم بن تجيب، وآل عقبة من كندة، وأما آل أبي ذيب أصلهم من الأزد من سكان البصرة وخرجوا واستوطنوا شبام.

قال: جملة هذا المنقول من خط الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد مؤذن باجمال [٣٧] الأصبحي، وهو نقله من تأليف عوض بن أحمد الجرو - رحمه الله تعالى آمين - انتهى ونستغفر الله مما قلناه ونقلناه ورقمناه، ولا حول ولا قوة إلّا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير خلق الله وآله وصحبه ومن والاه وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الحواشي:

(١) الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - على مذهب أهل السنة والجماعة، ولكن كثيرًا من المنتسبين إلى مذهبه انحرفوا عنه فيما يتعلق بصفات الباري جل وعلا، فصار منهم من يؤولها، ولا يتسع المجال للتفصيل.

العبايدة: نسبهم وفروعهم وديارهم

(١)

تمهيد: العبايـدة من أعرق قبائل العرب وأجلّهـا قدرًا لها تاريخ مجيـد، وماضٍ عريق، سـادوا شبه جـزيرة سيناء، وامتـدت سيادتهم إلى بـلاد غَزَّةَ والكـرك والعقبة ونواحيهـا، وشمل نفوذهم منطقة الشرقيـة، فأتخذوها ديارًا لهم، ومـواطن لبطونهم، وكـان لهم اتصـال وثيق بحكام مصـر على مـرّ القـرون، وظلـوا لزمنٍ طـويلٍ جـدًّا أصحـاب أدراك دروب سيناء إلى بـلاد الشـام والحجـاز، ومنها درب الحج، وكـان دركهم فيه يمتـد من مصر إلى العقبـة كما سيطروا على الـدروب المؤديـة إلى (دير سانت كاترين) في جنوبي سيناء، ولا زالـوا إلى يومنا هذا من أجلّ قبائل العرب في الديـار المصرية، وقـد تحضّرت بعض بطونهـم وبلغت شأنًا عظيمًا في حكـومات مصر، منذ عهد بعيد ولا زالوا على هذا إلى يومنا هذا.

نسب العبايدة: كان العبـايدة يعرفـون بالعايـد وقد ذكرهم البعض بـاسم العائد والعائذ والعايذ وعـايذة وعايذ الله وقد استقر الاسم على العـايد ثم العبايدة، حيث أصبح العايـد اسمًا لحـاضرتهم في مصر وفلسطين، والعبـايدة اسمًـا لباديتهم في مصر وغيرها، إلى زمـاننا هذا، والعايد فرع من قبيلة غطفـان إحدى قبائل جذام من العرب القحطانية، وهم بنو غطفـان بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام[١]، ذكرهم ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في ذكره فـروع غطفان من جـذام فقال: فمن غطفـان نضلة وبنو الأحنف وبنو الضبيب وبن هدالة وبنو نفاثة وبنو ضليع وبنو عائذة وبنو شبرة وبنو عبدالله وبنو الخضراء وبنو سليم وبنو بجالة وبنو غنم وبنو فاكه[٢].

وذكرهم المقريزي (ت ٨٤٥هـ) فقال: غطفان: منهم عايذة[٣] وهم العايذ قال: العـايذ بيـاء آخر الحـروف وذال معجمة، ينسبـون إلى عـايذ الله وقيل ينسبـون إلى عايذة إحـدى بطون جذام[٤] وقد اتفق علماء النسب أن العايـد فرع جذامي أصيل قال الحمـداني (ت ٧٠٠هـ) في ذكر العـائد: هم كثير من العرب قـال: والمشهور

منهم بمصر عـائد جذام[٥] وقال ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) في «مسالك الأبصار»: وأما العائذ فكثير في العـرب، والمشهور منها بمصر عائذ جذام[٦]. وقال ابن خلـدون (ت ٨٠٨هـ) في ذكـر جـذام: بقيتهم اليـوم في مـواطنهم الأولى في شعبين من شعوبهم، يعـرف أحدهما بنـو عائد وهم ما بين بلبيس من أعمـال مصر إلى عقبـة أيلة إلى الكـرك من ناحيـة فلسطين، وتعـرف الثانيـة بنو عقبـة[٧] وقال: وبنواحي مصر من جهـة القبلة إلى عقبة أيلة أحياء من جـذام جمهورهـم العائد[٨]. وقال القلقشندي (ت ٨٢١ هـ): العائد وهم بطن من جذام[٩].

وقال في ذكـر فروع جذام: العـائد ذكرهم الحمـداني ولم يرفع نسبهم[١٠]. وقال أيضًا: بنـو عائد أيضًـا: بطن من جذام من القحطـانية ذكـرهم الحمداني ولم يـرفع نسبهم[١١]. قـال الأحيوي: وبـذا فإن ابن قتيبـة والحمداني وابن فضل الله العمـري وابن خلدون والقلقشنـدي والمقريزي أجمعـوا أن العايـد (العائد: العائذ: العـايذ: عايذة) فرع من جذام زاد ابن قتيبة والمقريزي أنهم من بطون غطفان من جذام.

دخول العايد إلى سيناء: دخلت قبيلة العايد إلى سيناء فالديار المصرية الأخرى منذ عهد مبكر جدًّا، فقد كانت سيناء والشرقية من مواطن جذام منذ دخول مصر في حظيرة الإسلام، لـذا فإنه لا ريب إنه كانـت للعايد رحلاتهم إلى سينـاء عبر القرون، يضربـون أطنابهم في ديـار قومهم جذام فـي سيناء والشرقيـة، ويجولـون في جنوبي الأردن وفلسطين، وشمالي الحجـاز، إلى أن أخذوا بـالاستيطان في سيناء والشـرقية، وجنوبي فلسطين، وفي ذكـرهم قال علي باشا مبـارك: كان ورودهم الديار المصـرية في أول القرن السابع للهجرة[١٢] وقال الدكتـور عبدالمجيد عابـدين في حديثه عن العرب في العصـر الأيوبي فيما نقله عـن الدكتور عباس مصطفى عمّـار: وفي أواخر هذه المـرحلة هـاجر إلى بلبيس ومـا حولهـا جماعـات من العائذ، ويقـال إنها من جذام، ولكن تأثيرهـم في سكان المنطقة كان محدودًا إذ كـانوا يؤلفون طبقـة منعزلة عن سائر السكـان وكان عرب العـائذ حرّاسًا لتأميـن الطريق بين القاهـرة ومكة إلى أيلة وهي العقبة الحالية[١٣] قال الأحيوي: انتهت الـدولة الأيوبية سنـة ٦٤٧هـ ثم

تلتها الـدولة المملـوكية بتسلطن الملك المعـز عز الـدين أيبك سنة ٦٤٨هـ وكان العايد عند بدء الدولة المملوكية من قبائل الديار المصرية يؤكد ذالك أن المهمندار الحمداني النسّابة (٦٠٢ - ٧٠٠هـ) قد ذكر وجودهم في الديار المصـرية.وهو لم يذكـر قدومهم في عهده مما يعني قـدومهم قبل ذالك أي في نهاية القـرن السادس للهجرة في فترة العهد الأخير للدولة الأيوبية والله تعالى أعلم.

من أخبار العيـايدة: قلنا إن العيـايدة سادوا شبـه جزيرة سينـاء، وشمل نفوذهم الشرقية وجنـوبي فلسطين، ومن ذالك ما ذكره مصطفى مراد الدبـاغ في حديثه عن بني عائذ قـال: لما نزل الظاهـر بيبرس غزّة سنة ٦٦١هـ خلع على أمرائهم الخلع وضمنهم البلاد وألـزمهم بتقديم الزكاة المفـروضة سنويًـا عليهم في حينها، وطلب منهم القيام بخـدمة البريد وإحضـار الخيل اللازمة كمـا طلب مثل ذالك مع جرم وثعلبة[١٤] وكـان العايـد قـد سيطروا على طـرق سينـاء في العهد المملـوكي ومن أخبارهم سنـة ٧٠٣هـ ما أورده أبـو بكر الدواداري، نورده بحـرفه على ركاكـة نصه قال: وفيها كان خروج الوالد - سقى الله تربته - للكشف على عربان بالشرقية وهم ثعلبة وجـذام والعايد وندب صحبتـه من ديوان الاستيفا القاضي المـرحوم مخلص الدين أبو شاكـر بن العسال وأعرضت العربان بصوّة العبـاسة بالأسما والجلي (؟) وسبب ذالك أن لهاؤلاء العـربان أمرًا لهـم أخباز من جهة السلطنـة المعظمة وهم عدّة ألف وسبع مئة فـارس مستخبزة ومن تحت أسمائهم قوم يأكلـون من غير هذه العدّة يسمون المحـرّمة، وهاؤلاء العربـان عليهم إقامة خمس عشرة منـزلة، بمنازل الرمل بالطريق الشامية، أولها من جهة مصـر منزلة السعيدية وآخرها من جهة الشام كان في ذالك الوقت منـزلة رفح وإنما في هذا الوقت عند الـروك الناصري تضوروا العربـان من اتساع الدرك فحمل عنهم السلطنـة منزلتين وهما رفح والزعقـة وصار آخر ادراكهم منـزلة تعـرف بالخرّوبـة، ويقيمون في هذه الخمس عشـرة منزلـة مئة وخمسين فـرسًا، في كل منـزلة عشـرة ارؤس بـرسم البريـد المنصور، هـذا يختص بقبيلتي جذام وثعلبة، وعليهم خفر ساير هـذه الطرقات، إلى عند دار الضيافة التي

تحت القلعة، مع جبل المقطّم مقرّر عليهم خفر ذالك من تقادم السنين، في أول وقت وعلى قبيلةالعايد خفر الطريق البدرية وهي الطريق الفوقانية بالبرية، عرضها ثمانية أيام تسلكها التجار المشوّرين عن الحقوق السلطانية الموجبة بقطيا، وهذه الطريق كانت المسلك إلى الديار المصرية من الشام، أيّام كانت الفرنج ملاك الساحل، ثمّ لما فتح الله تعالى البلاد على يد السلطان المرحوم صلاح الدين الملك الناصر بن أيّوب أول ملوك بني أيّوب ارتجعت الطريق هذه المستقرة، ودُثرت هذه الطريق البدرية قال: وكان الوالد رحمه الله اجتهد في حفظ هذه الطريق، ومنع السالك منها، وألزم هاؤلاء العايد بحفظ أدراكهم فيها فإن السالك في هذه الطريق لا يقدر يعبر إليها إلّا بدليل من هاؤلاء القبيلة العايد فإنّها طريق مشقّة، ومفاوز وهي في التيه، ولا لها درب سالك وإنما في النهار يسيرون على رؤوس الروابي والآكام يعرفوها هاؤلاء العرب المذكورون، وفي الليل يسيرون على النجوم، ويوردون ماء، ويصدرون عن آخر، لا يكادون يبيتون إلّا على ماء، ولكلّ ماء اسم، يعرف به، ما يزيد عن أربعين ماء في طول هذه المسافة وعرضها. قال: فهذا درك عرب العايد إلى عقبة الحجّاج الكبيرة[١٥]. وذكر أحدهم في ذكر سنة ٧٠٩هـ فقال: من عرب العايد شخصًا يسمّى بهادر العايدي وجماعته[١٦]، وذكر آخر فقال: شخص بدوي من العايد يسمى ركاب بن ريس[١٧]، وقال في ذكر فرار بيبرس الملقب بالمظفّر من مصر سنة ٧٠٩هـ:.. وأما مولانا السلطان خلّد الله ملكه وجعل الأرض بأسرها ملكه، فإنه طلب الوالد ورسم له أن يتوجه في خدمة الأمير شمس الدين قراسنقر، وأن يجعل من العربان عيونًا وارصادًا على بيبرس في الطريق البدرية، ويكونوا يردّوا على الأمير قراسنقر خبره منزلة بمنزلة، وماء بماء، فامتثل الوالد المراسم الشريفة، وتوجهنا صحبة قراسنقر في الدرب الشامي، وأخبار بيبرس ترد علينا من عرب العايد منزلة بمنزلة، حتى إذا كنا برفح انقطع عنّا خبره، وذكر أنهم ارسلوا ثلاث فرق للبحث عنه، قال: وسيّر الوالد مع كلّ فرقة عربًا ادلاء من العايد، ودخلنا البرية صلاة الصبح[١٨]، ثم ذكر أنهم قبضوا على بيبرس.

وفي سنة ٧٥١هـ كان أمير العائد هو الأمير عيسى بن حسن[١٩]، وفي سنة ٧٥٢هـ خرجوا عن الطاعة قال ابن تغري بردي:... وخرجت عربان العائد وثعلبة وعرب الشام وعرب الصعيد عن الطاعة واشتدّ فسادهم لاختلاف كلمة مدبّري المملكة[٢٠] وفي سنة ٧٥٣هـ فرّ الأمير منجك من القاهرة، قال ابن تغري بردي:.. فنودي عليه في القاهرة وهدد من أخفاه، وأخرج عيسى بن حسن الهجّان في جماعة من عرب العائذ على النُّجب، لأخذ الطرقات عليه وكتب إلى العربان ونوّاب الشام، وولاة الأعمال، على أجنحة الطيور بتحصيله، فلم يقدروا عليه..[٢١] وقال ابن إياس في ذكر مقتل السلطان المملوكي الأشرف شعبان في ذي القعدة سنة ٧٧٨هـ:.. فلما قطعوا طريق العقبة وإذا بمقدّم الهجانة محمد بن عيسى شيخ العايد قد أتاهم وصحبته اثنا عشر هجينًا فنزل السلطان ومن معه من الأمراء على ظهور الخيول، وركبوا الهجن، وساروا قاصدين القاهرة[٢٢]. وأضاف يقول:.. وأما ماكان من أمرالسلطان الأشرف شعبان، فإنه لما هرب من العقبة تحت الليل، أتاه مقدّم الهجانة محمد بن عيسى، شيخ العايد، فقال له: آخذك وأتوجه بك إلى نحو البلاد الشامية، فيتسامع بك العسكر فيلتفّوا عليك، وكذالك العربان، فتقوى شوكتك، وتلتف عليك النواب، وترجع إلى مصر، وتحارب الأمراء الذين كانوا سببًا لهذه الفتنة، وتأخذ مملكتك بالسيف، فوافقه السلطان على ذالك، فتعرض إليه الأمير أرغون شاه، ومنعه من ذالك، فأتى إلى القاهرة[٢٣]، ثم كان ماكان من أمر مقتله، وقد ذكر ابن خلدون هذه الحادثة، وذكر أن محمد بن عيسى هو صاحب الدرك[٢٤]، وقال ابن إياس في ذكر أخبار ربيع الأول سنة ٧٨٨هـ في سلطنة الظاهر برقوق: وفيه خلع على محمد بن عيسى شيخ عرب العايد بالشرقية، وقرر في مشيخة العايد شريكًا لأخيه مهنا[٢٥]. وفي سنة ٧٩٠هـ أصبح محمد بن عيسى كاشفًا للشرقية، قال ابن حجر العسقلاني: وفي ذي الحجة استقر محمد ابن عيسى أمير عرب العائد في كشف الشرقية عوضًا عن قطلوبغا التركماني[٢٦]، وذكر ابن حجر أن شيخ العايد سنة ٧٩٦هـ كان موسى بن محمد بن عيسى

العائدي وذكر أن السلطان الظاهر برقوق أمر بقتله في تلك السنة قال: .. وكذالك وسط موسى بن محمد بن عيسى بن موسى العائذي وعمّه مهنا بن عيسى وجماعة من نفره كانوا في القبضة.[٢٧] وذكر ابن تغرى بردي أن شيوخهم تلقوا يشبك في قطيا سنة ٨٠٧هـ قال: (.. ومرّ يشبك بمن معه من الأمراء والممالك إلى قطيا فتلقاه مشايخ عربان العائذ بالتقادم وسار إلى العريش)[٢٨]. وقال ابن إياس في ذكر ذالك: (مرّ يشبك ومن معه إلى قطيا فتلقاه مشايخ عربان العايد ومشايخ ثعلبة وهلبا سويد وبنو بياضة ووقفوا في خدمته بكرة يوم السبت تاسعه - يعني صفر سنة ٨٠٧هـ - وبات بها ليلة الأحد وأصبح فنهب أصحابه بيوتها وأسواقها ثم رحلوا بعد الظهر)[٢٩] وقال في ذكر فرار شيخ ونوروز من القاهرة في رمضان سنة ٨١٣هـ: (ثم إن أمير العرب شعبان بن محمد بن عيسى العايدي أخذ شيخ ونوروز وتوجه بهما إلى السويس ثم سار من هناك إلى الكرك وقد قتل من عسكره جماعة وجرح منهم آخرون)[٣٠] يعني عسكر شيخ وقال ابن تغردى بردي في تفصيل ذالك بعد أن مهّد الأمير بكتم جلّق والي القاهرة أحوال مصر قال: (وقدم عليه الخبر في ليلة الأربعاء حادي عشر من شهر رمضان المذكور بأن شيخًا نزل أطفيح وأن شعبان بن محمد بن عيسى العائذي توجه بهم إلى نحو الطور) قال: (ثمّ قدم الخبر بوصولهم إلى السويس وأنهم أخذوا علفًا كان هناك للتجّار وزادًا وجمالًا وسار بهم شعبان بن عيسى في درب الحاج إلى نخل فأخذوا عدّة جمال للعربان وأن شعبان المذكور أمدّهم بالشعير والزاد)[٣١]، ثم ساروا واستقروا بالكرك وفي محرّم سنة ٨١٩هـ امتدت حروب العايد مع أعدائهم إلى بلاد فلسطين قال ابن حجر: (وفيه كانت الفتن بين عرب الرحوم وعرب العائد بأرض القدس والرملة وغزّة)[٣٢] قلت: أظن صواب الرحوم: الجروم أي بني جرم ذالك أن العداء بين العايد وبني جرم ببلاد غزّة وغيرها كان مستحكمًا آنذاك وفي سنة ٨٢٤هـ أصبح شيخهم أميرًا لعرب الشرقية قال ابن حجر: (وفي رابع ربيع الآخر قتل راشد بن بقر أمير العرب بالشرقية واستقر عوضه شعبان بن عيسى)[٣٣] وفي

سنة ٨٤٩هـ اشتدت الحروب بين العايد وجرم قال ابن إياس في حوادث محرّم سنة ٨٤٩هـ: (وفيه جاءت الأخبار بقتلة طوخ الأبوبكري نائب غزّة المؤيدي قتل في فتنة وقعت بين العربان من بني خزام والعايد فاقتتلوا وقتل طوخ حين وثبوا على بعضهم فخرج إليهم وهو بعسكر غزة فقاتلهم فقالوا له لا تدخل بيننا فما انتهى ولا زال يحاربهم حتى قتل اشرّ قتلة وجرح طوغان نائب القدس في تلك الفتنة وكانت فتنة شنيعة جدًّا واستظهرت فيها العربان على النواب ورجع نائب القدس وهو مهزوم على القدس فتشوش السلطان لهذا الخبر)[٣٤] قلت: خزام تصحيف لجرم وكان طوخ نائب غزة ودخل هذه الحرب إلى جانب العائد ضد بني جرم فحذّره أبو طير الشاوري أمير جرم من ذالك وطالبه بالحياد فأبى فكان أن انتصر بنو جرم واستبدوا ببلاد غزّة والرملة ونهبوا المسافرين وقطعوا الطرقات وانعدمت سلطة الدولة ونوابها[٣٥] وقال ابن إياس في ذكر حوادث محرم سنة ٩٠٩هـ: (وفيه قبض شيخ العرب نجم على شخص من العرب العصاة من مشايخ بني حرام يقال له علاي الدين بن قرطام فلما قبض عليه قطع رأسه وأرسلها إلى القاهرة وقد قبض عليه من جبل الطور وحزّ رأسه هناك وبعث بها إلى القاهرة فطيف بها وعُلّقت على باب زويلة ثم نقلت إلى خانقة سرياقوس فعلّقت بها أيامًا وقد عُدّ قتل ابن قرطام من النوادر فإنه كان في تحصيله فرصة)[٣٦] قلت: ونجم هو شيخ العايد وقال ابن إياس في أخبار ذي الحجة سنة ٩١١هـ: (وفيه جاءت الأخبار من الشرقية بأن وقع هناك معركة مهولة بين شيخ العرب بيبرس بن بقر وبين نجم شيخ العايد فقتل في هذه المعركة جماعة كثيرة من العربان واستمر الحرب ثائرًا بين الفريقين ودخل اقطوه الكاشف إلى القاهرة وهو مشحوت من العرب)[٣٧] وذكر أن السلطان قانصوة الغوري خلع على نجم العايدي قال في ذكر أخبار رمضان سنة ٩١٢هـ في أول أيامه: (واخلع في ذالك اليوم على شيخ العرب نجم شيخ العايد باستمراره على عادته)[٣٨] وقال في ذكر أخبار ذي الحجة سنة ٩٢٢هـ: (وفي يوم الأربعاء سابعه حضر إلى الأبواب الشريفة جماعة من

طوائف العربان من غـزالة ومحارب ومن عربان هوّارة والعايـد وكان السلطان ألزم مشايخ العربان بأن يأتوا إلى الأبواب الشريفة وصحبتهم جماعة من فرسان العرب ممن هو أشجعهم حتى يتوجهوا صحبـة التجريدة مع العسكر)[٣٩] وفي صفر سنة ٩٢٦هـ ثم سجن نجم العـايدي قال ابـن إياس في هزيمـة جند السلطان لعـربان السوالم: (... ثم دخل بعـده شيخ العرب نجم شيخ العايـد وهو في الحديـد وقد نسبوا إليه إنه كـان متواطئًا مع عربان السوالـم وهـو من أغراضهم فقبض عليه ملك الأمراء ووضعه في الحديد حتـى يكون من أمره ما يكون)[٤٠] وقال في أخبار صفر سنـة ٩٢٦هـ: (وفي يـوم الجمعة ثـالث عشرة أخلع ملك الأمـراء على أخي نجم واستقـرّ به شيخ العـايـد عوضًـا عن أخيـه نجم وقـد بلغه أن أحـوال الشـرقية قـد اضطربت إلى الغـايـة وثارت بهـا العربان بكثـرة الفساد فلما أخلع عليـه خرج من يومه إلى الشرقية بسبب هذا الفساد) قـال: (وقيل أن إياس كاشف الشرقية محاصر مع العـرب في بلبيس وقد أرسل يطلب نجـدة بسرعـة وأشيع أن عربـان نجم شيخ العايد لما مُسك صاروا يُعرّون الناس فـي رأس المطرية وعند تربة العادل)[٤٢] ولم يُفرج عن الشيخ نجم إلا في ذي الحجة من نفس السنة قال ابن إياس: (وفيه أفرج ملك الأمـراء عن شيخ العرب نجـم شيخ العايـد وأخلع عليـه وأعاده إلى مشيخـة العايد كما كان أولًا)[٤٣] وفي جمادى الأولى سنة ٩٢٨هـ قتل أحد مشايخهم قال ابن إيـاس في ذكر مقتـل شيخ العرب الأميـر أحمـد بن قاسم بـن بقر: (وقتل معـه شخص آخـر من مشايخ عـربان العـايد) قـال: (ثم إن جاني بك الكـاشف أرسل رأس الأميـر أحمـــد بن قـاسم ورأس شيخ العـايـــد فـرسم ملك الأمـــراء بـدفن الرؤوس)[٤٣] وجاء في مخطوط عربي بدير سانت كاترين يحمل رقم ٦٨٨ بتاريخ سنة ٩٣٣هـ ١٥٢٦م ذكر أحد شيوخهم وهـو شيخ العرب موسى بن الأمير محمد المســور شيخ عربـان العابـد المصريين والســاميين وقد عُقـدت في عهده شـورة عظيمة بين مشـايخ البدو والـرهبان[٤٤] قلت: العابـد تصحيف للعايـد والساميين تصحيف للشاميين وقـد كان فريق من العايـد تمتد دياره إلى الكرك وغـزّة من بلاد

الشام وفي سنة ٩٥٨هـ كان أميرهم هو الأمير رمضان بن سيف أمير عربان العائد بالشرقية[٤٥] وفي سنة ٩٦٨هـ كان لهم إفساد بدرب الحاج قال الجزيري: (طمعت عربان العائد فيمن انقطع وانفرد من الحجاج فنهبوا من الجمال والأسباب بالثغرة ما قدروا عليه)[٤٦] قلت: الثغرة موضع في درب الحاج غربي بلاد التيه وفي سنة ٩٦٩هـ توفي أميرهم الأمير محمد بن قاسم أمير العايد بالشرقية[٤٧] وفي سنة ٩٧١هـ حدثت فتنة بينهم قال الجزيري: (لم تحضر ملاقاة نخل وعجرود على العادة لحصول فتنة بين مشايخ عربان العايد بالريف قتل بينهم بعض أنفار وكانوا إذ ذاك ثلاثة مشايخ في ولاية واحدة وهم عبدالكريم بن سليمان بن رمضان وعمر بن دحيّة ومحمد فحضر بعجرود عبدالكريم بن سليمان فقط ومعه بعض متسبّبة بزاد قليل)[٤٨] ومن شيوخهم منصور بن صيام العائدي الذي ورد له ذكر في سنة ١٠٥٣هـ و ١٠٥٨هـ[٤٩] وجاء ذكر ولده في مخطوط يوناني بدير سانت كاترين برقم ٢٢٥٨، ص ٣٢٤ سنة ١٠٨١هـ - ١٦٧٠م وفيه: (شيخ العرب صقر منصور صيام العابدي شيخ عربان العابد)[٥١] قلت: العابدي تصحيف العايدي والعابد تصحيف العايد وجاء في وثيقة أخرى برقم ٢٠٠ بتاريخ ١٠ جمادى الأولى سنة ١٠٨٣هـ في نص اتفاقية بين شيوخ العربان وممثلي الدير ما نصّه: (... صارت هذه الشورة الوثيقة في البرقوقية في المنزل العامر منزل الجناب الكريم العالي شيخ العرب صقر ابن المرحوم شيخ العرب منصور بن صيام شيخ عربان العايد دام عزّه..)[٥١] وفي نفس الوثيقة ورد ذكر شيخ سابق للعايد وهو: (شيخ العرب حسن بن الحاج علي العابدي)[٥٢] قلت: العابدي تصحيف العايدي ومن حوادث رمضان سنة ١٢٠٢هـ سلب العيايدة لقافلة كبيرة للحجاج والتجار قال الجبرتي: (وفي رابع عشرينه نهب العرب قافلة التجار والحجّاج الواصلة من السويس، وفيها شيء كثير جدًّا من أموال التجار والحجاج، ونُهب فيها للتجار خاصة ستة آلاف جمل ما بين قماش وبهار وبن وأقمشة وبضائع وذالك خلاف أمتعة الحجاج وسلبوهم حتى ملابس أبدانهم وأسروا النساء وأخذوا ما عليهن ثم باعوهن لأصحابهن عرايا لكثير من الناس

وغالب التجار الضرر الزائد ومنهم من كان جميع ماله بهذه القافلة فذهب جميعه ورجع عريانا وتُرك مرميًا)[٥٣] وقال الجبرتي في حوادث شوال سنة ١٢٠٢هـ: (وفيه حضر طائفة العربان الذين نهبوا القافلة إلى مصر وهم من العيايدة وقابلوا إسماعيل بك وصالحوه على مال وكذالك الباشا واتفقوا على شيل ذخيرة أمير الحاج وخلع عليهم)[٥٤].

وفي ذكر حوادث رجب سنة ١٢١٣هـ قال الجبرتي: (وفي ليلة الاثنين غايته حضر ساري عسكر من ناحية بلبيس إلى مصر ليلًا وأحضر معه عدّة عربان وعبدالرحمن أباظة أخو سليمان أباظة شيخ العيايدة وخلافه رهائن)[٥٥]، وقال في ذكر حوادث شعبان سنة ١٢١٣هـ: (وفيه ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب العيايدة نواحي الخانكة وقتلوا منهم طائفة ونهبوهم ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنساوية وأسلحتهم جملة فأخذوا ذالك مع ما أخذوه وأحضروا معهم بعض رجال ونساء حبسوهم في القلعة)[٥٦].

وقال في ذكر حوادث محرم سنة ١٢١٤هـ أن الفرنسيين كتبوا منشورًا جاء فيه: (وقد بلغنا أن الألفي توجه إلى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلي والعيايدة الفجرة المفسدين يسعون في الأرض بالفساد وينهبون أموال المسلمين إن ربك لبالمرصاد...)[٥٧] وقال في ذكر حوادث محرّم سنة ١٢١٩هـ: (وفي يوم الأربعاء جميع الباشا ومحمد علي العسكر واتفقوا على الخروج والمحاربة وأخرجوا المدافع والشركفلكات إلى خارج باب النصر وشرعوا في عمل متاريس وفي آخر النهار ترفع المصرلية والعرب وتفرقوا في إقليم الشرقية والقليوبية وهم يسعون في الفساد ويهلكون الحصاد فما وجدوه مدروسًا من البيادر أخذوه أو قائمًا على ساقه رعوه أو غير مدروس أحرقوه أو كان من المتاع نهبوه أو من المواشي ذبحوه وأكلوه وذهب منهم طائفة إلى بلبيس فحاصروا بها كاشف الشرقية يومين ونقبوا عليه الحيطان حتى غلبوه وقتلوا من معه من العسكر وأخذوه أسيرًا ومعه اثنان من كبار العسكر ثم نهبوا البلد وقتلوا من أهلها نحو المئتين وحضر أبو طويلة شيخ العائذ عند الأمراء ولامهم وكلمهم على هذا النهب وقال

لهم: هذه المزروعات غالبها للعرب والذي زرعه الفلاح في بلاد الشرق شركة مع العرب وأن هبود العرب المصاحبين لكم ليس لهم رأسمال في ذالك فكفوهم وأمنعوهم ويأتيكم كفايتكم، وأما النهب فإنه يذهب هدرًا فلما سمع كبار العرب المصاحبين لهم من الهنادى وغيرهم قوله: هبود العرب اغتاظوا منه وكادوا يقتلونه ووقع بين العرب منافسة واختلاف وكذالك حصروا كاشف القليوبية فدخل بمن معه جامع قليوب وتترس به وحارب ثلاث ليالٍ وأصيب كثير من المحاربين له ثم تركوه ففرّ بمن معه إلى البحر ونزل في قارب وحضر إلى مصر وأخذوا حملته ومتاعه وجبخانته وطلبوا مشايخ النواحي مثل شيخ الزوامل والعائد وقليوب وألزموهم بالكلف..)[٥٨] وقال في حوادث جمادى الأولى سنة ١٢٢٠هـ في ذكر طائفة الدلاة الخارجة على الدولة قال: (أخذ الدلاة من عرب العائد خمس مئة جمل وذهبوا على طريق رأس الوادي)[٥٩] وذالك بنواحي الخانكة وقال في ذكر حوادث جمادى الأخرة سنة ١٢٢٠هـ: (وفي رابعه رجع عابد بيك ومن بصحبته من المصرلية من جهة الشرق وقد وصلوا خلف الدلاة إلى حدّ العائد وذهب الدلاة إلى جهة الشام بما معهم..)[٦٠] وذكر في ذكر مراسلات الألفي للعربان واستنفارهم ضد محمد علي باشا في ربيع الأول سنة ١٢٢١هـ: (... وكذالك إلى مشايخ العربان مثل الحويطات والعائد وشيخ الجزيرة وباقي المشاهير فاحضر ابن شديد وابن شعير الأوراق التي أتتهم من الألفي إلى الباشا وفيها: ونعلمكم أن محمد علي باشا ربّما ارتحل إلى ناحية السويس فلا تحملوا أثقاله وإن فعلتم ذالك فلا نقبل لكم عذرًا)[٦١] وفي شهر جمادى الأخرة حدث نزاع بين العيايدة والحويطات قال الجبرتي في ذكر حوادث جمادى الأخرة سنة ١٢٢١هـ: (وفي هذه الأيام تخاصم عرب الحويطات والعيايدة وتجمع الفريقان حول المدينة وتحاربوا مع بعضهم مرارًا وانقطعت السبل بسبب ذالك وانتصر الباشا للحويطات وخرج بسببهم إلى العادلية ثم رجع ثم إنهم اجتمعوا عند السيد عمر النقيب وأصلح بينهم)[٦٢] قال الأحيوي: ومن هذا كله يتضح لنا أن قبيلة العايد (العيايدة) كانت لهم مشاركات هامة وخطيرة في التاريخ المصري وأحداث

الشرقية وسيناء وجنوبي فلسطين ويتبين لنا أن نفوذهم وسيطرتهم شملت الشرقية وضواحي القاهرة وشبه جزيرة سيناء وجنوبي فلسطين إلى بلاد الكرك ومنطقة العقبة وهي ذات الديار التي برزت فيها أحداثهم تحت مسمى قبيلة العيايدة وإنما أوردنا كل هذه الأخبار لنكشف عن الوهم الكبير الذي وقع فيه بل ولازال يدافع عنه من فرّق بين العايد والعيايدة.

(للبحث صلة)

العقبة: راشد بن حمدان الأحيوي

الحواشي:

(١) «نسب معدّ واليمن الكبير». الكلبي. تحقيق محمود فردوس العظم. دار اليقظة العربية. دمشق بسوريا. ج١، ص ٢٠٢ «جمهرة أنساب العرب». ابن حزم. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. دار المعارف. القاهرة مصر، ط ٣/ ١٣٩١هـ ١٩٧١م، ص ٤٢١، «البيان والاعراب» عما بأرض مصر من الأعراب». المقريزي. تحقيق د. عبدالمجيد عابدين. عالم الكتب. القاهرة. مصر ط ١/ ١٩٦١م، ص ١٦ و ١٨ و ٢٠ و ٢١.

(٢) «المعارف» ابن قتيبة. تحقيق د. ثروت عكاشة. دار المعارف. القاهرة. مصر ط ٢/ ١٩٦٩م، ص ١٠٢.

(٣) «البيان والاعراب» ص ١٤.

(٤) المصدر السابق ص ١٩.

(٥) «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب». القلقشندي. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني ببيروت لبنان ط ٢/ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ١٤٣.

(٦) «التعريف بالمصطلح الشريف». ابن فضل الله العمري. تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط ١/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م حاشية ص ١٠٨.

(٧) «تاريخ ابن خلدون». ابن خلدون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط ١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، مجلد ٢، ص ٢٩٧.

(٨) المصدر السابق، مجلد ٦، ص ٧.

(٩) «صبح الأعشى في صناعة الانشا». القلقشندي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج ١، ص ٣٣٣.

(١٠) «نهاية الأرب» ص ٣٣٣.

(١١) «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان». القلقشندي. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني، بيروت. لبنان. ط ٢/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٦٤.

(١٢) «الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة». علي باشا مبارك. بولاق. مصر ط ١/ ١٤٠٥هـ، ج ٢٤، ص ٢.

(١٣) «البيان والاعراب» ص ١١٨.

(١٤) «بلاد فلسطين». مصطفى مراد الدباغ. مطبوعات رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل. فلسطين ط ١/ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج ١، قسم ٢، ص ٤٥٥ وانظر «القبائل العربية وسلائلها في بلاد فلسطين». مصطفى مراد الدباغ. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ١٣٠.

(١٥) «كنز الدرر وجامع الغرر» ج ٩ وهو «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر». أبو بكر الدواداري. تحقيق هانس روبرت رويمر. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. مصر ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م، ص١١٤ - ١١٥.

(١٦) المصدر السابق ص ١٧٨.

(١٧) المصدر السابق ص ١٨١.

(١٨) المصدر السابق ص ١٩٨.

(١٩) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة». ابن تغرى بردي. قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط ١/ ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ج ١٠، ص ١٧٦.

(٢٠) المصدر السابق ج ١٠، ص ١٨٣.

(٢١) المصدر السابق ج ١٠، ص ٢١٠.

(٢٢) «بدائع الزهور في وقائع الدهور». محمد بن إياس. تحقيق محمد مصطفى. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر ط ٢/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج ١، قسم ٢، ص ١٧٨.

(٢٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٩.

(٢٤) «تاريخ ابن خلدون» مجلد ٥، ص ٥٥١.

(٢٥) «بدائع الزهور» ج١، قسم ٢ ص ٣٧٠.

(٢٦) «إنباء الغُمر بأبناء العمر». ابن حجر العسقلاني. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط ٢/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٢٩١.

(٢٧) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٩.

(٢٨) «النجوم الزاهرة» ج ١٢، ص ٢٣٧.

(٢٩) «بدائع الزهور» ج ١، قسم ٢، ص ٧٠٠.

(٣٠) المصدر السابق ج ١، قسم ٢، ص ٨٠٨.

(٣١) «النجوم الزاهرة» ج ١٣، ص ٧٤.

(٣٢) «إنباء الغمر» ج ٧، ص ٢٠٨.

(٣٣) المصدر السابق، ج ٧، ص ٤١٧.

(٣٤) «بدائع الزهور» ج ٢، ص ٢٤٧.

(٣٥) «الموسوعة الفلسطينية». مجموعة باحثين. القسم الثاني (الدراسات الخاصة). بيروت. لبنان ط ١. ١٩٩٠م، مجلد ٢، ص ٥٧٧.

(٣٦) «بدائع الزهور» ج ٤، ص ٥٥.

(٣٧) المصدر السابق ج ٤، ص ٩٣.

(٣٨) المصدر السابق ج ٤، ص ١٠٣.

(٣٩) المصدر السابق ج ٥، ص ١٣٢ - ١٣٣ قلت: وغزالة تصحيف عزّالة بالعين المهملة.

(٤٠) المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٢٦.

(٤١) المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٢٧.

(٤٢) المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٧٠.

(٤٣) المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٤٧.

(٤٤) «مجلة كلية الأداب» جامعة الاسكندرية (مطبعة جامعة الاسكندرية - مصر ١٩٦٥م) مجلد ١٨ لعام ١٩٨٦٤م، ص ٥٢ - ٥٣.

(٤٥) و (٤٦) و (٤٧) و (٤٨) «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة». عبدالقادر بن محمد الجزيري. أعده للنشر حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر. الرياض. السعودية ط١/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٩٠٢ و ١٠٠٥ و ١٠٤٧ و ١١٦١ على التوالي.

(٤٩) «تاريخ سيناء». نعوم شقير. مطبعة المعارف. مصر ١٩١٦م، ص ٥١٥ - ٥١٦ و ١٤٥.

(٥٠) و (٥١) و (٥٢) «مجلة كلية الأداب» - جامعة الاسكندرية - مجلد ١٨، ص ٥٢ و ١٥١ و ١٤٥ على التوالي.

(٥٣) و (٥٤) و (٥٥) و (٥٦) و (٥٧) و(٥٨) «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار». الجبرتي. دار الجيل. بيروت، لبنان ج ٢، ص ٥٥ و ص ٥٦ و ٢٤٠ و ٢٤٦ و ٢٦٢ و ٦٥١ و ٦٥٢ على التوالي.

(٥٩) و (٦٠) و (٦١) و (٦٢) المصدر السابق ج ٣، ص ٨٧ و ٨٨ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٣٤ على التوالي.

- ٤ -

الشيخ علي بن محمد الجلعود

نسبه ومولده: هو الشيخ علي بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن علي ابن دخيل بن مانع بن جلعـود بن علي، وعلي من دهمش، ودَهْمَشُ من عنز[١] بن وائل، ووائل بن ربيعـة، وربيعة مـن معد بن عـدنـان، وأمه لطيفـة بنت صـالح بن إبراهيم السبيهين.

ولـد في بلدة غِسْلَـةَ (ذات غِسل) في نـاحية (الـوشم) من منطقـة نجد، وكـان ذالك في يوم عيد الفطر المبارك من عام ١٣١٩هـ.

نشأته: نشأ وترعـرع (رحمه الله) في بيت علم وورع وتقوى وغنى، فقد كـان أبوه من أعيان البلدة الأغنيـاء المتعلمين تعليمًا ذاتيًا، حيث كان يملـك مكتبة في بيته، عـامـرة بـالكثير من الكتـب والمخطوطـات، وجميعهـا تبحث في الـدين واللغـة والأدب، وكانت أمـه من المتعلمات النوادر في ذالـك الوقت، وقد تـربى في هذه البيئة المحبة لفعل الخيـر، الداعية إليه، حيث وقف والداه أوقافًـا كثيرة على طالب العلم، وعلى سـراج المسجد وقِـرْبَتِـه ومَشْقاتـه[٢]، وعلى الجياع وعلـى الصوام، وعلى سائر وجوه الخير، فأثرت هذه البيئة تأثيرًا قويًا في بناء شخصيته واتجاهاته، ويظهر ذالك جليًّا في وصيته.

طلبه للعلم: أدخله والـده كتَّاب القـرية فتعلم القـراءة والكتابـة، وحفظ القرآن الكـريم كامـلًا، وتلقى دروسًـا في الحـديث والتفسير، ثم صـار يتـردد على بعض العلماء في مـدينة (شقـراء) المجاورة لقريتـه، فأخذ مـزيدًا من العلـوم في القرآن والحديث والفرائض والفقـه، كما استفاد من المكتبة التي تركهـا والده - رحمه الله - فقرأ ما فيها من كتب ومخطوطات، وكـان والده قد وقفها على طلبة العلم وفق ما ورد في وصيته.

ولم يكتف بذالك، بل لقد رحل إلى (الرياض) لينهل المزيد من العلوم، فجلس إلى علمائها يأخذ عنهم ما جهله ويناقشهم فيما علمه، حتى نال من العلم ما يؤهله لخدمة مجتمعه، فقفل راجعًا إلى بلدته ليفيد غيره مما استفاد وليعلم الآخرين مما تعلم، وفيما يلي بعض أسماء المشايخ الذين جلس إليهم في شقراء والرياض:

- الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل شيخ.
- الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ.
- الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن.
- الشيخ محمد بن عثمان الشاوي.
- الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن فارس.
- الشيخ عبدالرحمن بن علي العودان.
- الشيخ عبدالرحمن البواردي.
- الشيخ محمد بن سعد البواردي.
- الشيخ إبراهيم بن سعد البواردي.

تكليفه بالإمامة والتعليم: حين عاد إلى قريته كانت قد توافرت فيه الصفات التي تؤهله لإمامة الناس وتعليمهم، فقد جمع إلى العلم الأمانة والذكاء، والتواضع والورع، والحلم والزهد والحكمة، وهذه جعلت أهل بلدته يجمعون على تزكيته وترشيحه ليكون إمامًا لهم في الصلاة، وحَكَمًا بينهم عند المنازعات، ومعلمًا لأولادهم وشبابهم، وكتبوا ذالك في خطابهم الموجه إلى قاضي شقراء، الشيخ محمد بن عثمان الشاوي المؤرخ في ثاني رجب سنة ١٣٥٣هـ ومما جاء فيه: (تعذر إمام مسجدنا عبدالرحمن بن عبدالله العُبَيْدِي من الماقف[٣] ولا قَوَيْنا نُلَزِّم عليه من قبل الشيوخ[٤]، سبب هو رجال قريب الطرف ما معه مال ومتعطل،

والمـاقف مالـه ربع يكفي وعـذرناه، ونبّيْنـا[٦] علي بن محمـد بن عُبَيِّد يصيـر في الإمامة، ولا شأن منه حال جزاه الله خير، كلـه من شان جماعته وإلا ما هنا مصلحة وهـو رجّـال إن شـاء الله فيـه بـركـة وورع ودين وكـاتب ولا لـه أشغـال تلهيـه عن الجماعة، وكأنه تعذر إلا بأمر يجيه[٣] من جنابكم أدب، كذالك خطكم الذي فيه إلزامه ودنا تعرضه على الإمام الله يعزه بطاعته).

وجـاء إلزام الشيخ لـه كمـا يلي: (مـاعرفتم كـان معلـومًـا ومن خصوص إمـام مسجـدكم إذا كان أنـه متعـذر وإن الأخ علي بن محمد بن عبيـد فيـه كفاءة، فأنـا ملزمه بـالمسجد والكَتْب[٦] للجماعة ومـاجرت عادة أئمتكم بالقيـام به، وأوصيته بتقوى الله والتثبت في الأمور خصوصًا عند كتب[٦] الشهادات أو السنادات بحيث إنه يعلم أننا ما نعتمد إلا كتب[٦] الناس المعروفين المشهورين بـالعدالة هو وغيره وهو إن شاء الله فيه بركة) - (انظر صورة هذا ص ٥٦٣).

وللإيضـاح فإن (عبيد) المـذكور هو (عبـدالله) جد المترجـم له، حيث ينتسب إليه حينًا وإلى مانع حينًا وإلى جلعود أحيانًا، وقد صار بيته بعد هذا التكليف مقرًّا لأمانـات المودعين، وقلمه ضمـانًا بين المتكـاتبين، ومجلسه ساحـة عدل وصلح بين المتنـازعين، بل لقد سخـر وقته وجهـده ومالـه لتعليم أبناء قـريته دون مقـابل دنيوي، وكان - رحمـه الله - يجمع أبناء القرائن (غسلة والـوقف) في الهواء الطلق تحت ظل أثلة على مجرى (وادي العنبري) فيعطي كلًا من الصغار والكبار دروسًا متنـوعة، كل حسب سنـه، ثم اقتصر على تـدريس أبناء قـريته (غسلـة) في غرفـة تسمى (المـديرسـة) نصفها مسقـوف والآخر مكشـوف (لا زالت قائمـة إلى الآن) واستمر على ذالك سنوات طويلة درس على يديه فيها خلق كثير.

وفاته: أصيب رحمه الله في آخـر حياته بمرض الاستسقـاء (الإلتهاب الكبدي) ولـم يمهلـه المرض فانتقـل إلى جوار ربه بتـاريخ ٢٧/ ٩/ ١٣٧٠هـ وخلفـه على

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن سلوم وجماعته اهل عنيزة عبد الله بن بليهد وعبد الله بن سعود ومحمد
وعلي بن عبد الكريم بن شبيب ومحمد بن عبد الرحمن بن سلوم وعبد الرحمن بن فاضل
ومحمد بن ابراهيم بن عبد الكريم وعبد الرحمن بن مانع الى جناب عالي الجناب الشيخ المكرم
الفاضل رفيع المكارم والشيم محمد بن عثمان سلمه الله تعالى وهداه وجعل جنة الفردوس
مثواه / امين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع جميل كتاب ابلاغ السلام والتحية
والاحترام والسؤال عن حالكم جعلها الله حال الاسلام وعلى طريق الحق مستقيمين
لا زلتم بخير وسرور سعده يا محب ... طال الله بقاءك على طاعته وإلى منعنا
بن صبح ذكر تعذر امام مسجدنا عبد الرحمن بن عبد الله العبيدي من الاقامة ولا
تمونينا ان نلزم عليه من قبل الشيوخ بسبب هو رجال غريب ... في ماسعة مال
ومتعطل والا انتم ما له ربيع يكفي وعذرناه ونبينا علي بن محمد بن عبيد يصير في
الامامه ولا شك منه حال بمنزلة الله يكفيه من شان جماعته والآن ما هنا مصلحه
وهو رجال انتفاع الله فيه بركته ورع و... والا لا اشغال تلهيه عن الجماعه
والآن تعذر الا بامر يجيء من جنابكم ادب كذلك خطكم الذي قبل الاامة وذا لم
على الامام الله يعز ... عنه اكود الله يبتدرنه معاونه الامام مسجدنا كاعوه مثل
الائمة الذي في الامام مسجد ان رتب هذا امر والآن كاتب الخط صالح بن سليمان بن سلوم يبلغ
جنابكم الشريف جزيل السلام وسلم لنا ... على العيال وحنويا كم البصيريين وهم
حماد و ... والاخوان الثريين وعبد الرحمن بن عوشن ومن عندكم ومن لديكم العيال والاخوان
ومنا الجماعه يسلمون عليكم والسلام سنة ١٢٣٥ [؟] بسم الله الرحمن الرحيم
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... فقد تقرر ... خصوصا امام مسجدكم اذا كان انه متعذر
فهذا الاخ علي بن محمد بن عبيد فيه كفاية فانا ملزمه بالمسجد والكتب للجماعه وما جرت

عادت اتمنكم بالقيام به واوصيه بتقوى الله والتثبت في الامور خصوصا عند
كتب الشهادات او الكنادات بحيث انه يعلم اننا ما نعتمد الا كتب الناس
المعروفين المشهورين بالعدالة وغيره ونقول ... والله فيه بركه هذا فاز ...
املاه الفقير الى الله محمد بن عثمان الشاذلي وكتبه محمد البصيري

١٢٣٥

الإمامة والتعليم أحد طلابه وهو إبراهيم بن عبدالرحمن المهنا.

[وأورد الكاتب من أسماء طلاب العلم الذين درسوا على يد الشيخ علي أكثر من سبعين اسمًا ما بين أحياء وأموات، منهم من تقلد وظائف عالية في الدولة ومنهم من صار من القضاة والمعلمين].

الرياض: محمد بن عبدالله الجلعود

الحواشي:

(١) عنز بن وائل انتقل إلى جنوب الجزيرة، واختلط نسله بقبائلها من القحطانيين كما جاء في كتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي ج ٢ - ص ١٩٣ تحقيق العظم -: عنز من خثعم حيث كانوا حلفاء لهم. قال: وفي الكوفة درب يقال له درب العنزيين، لم يبق منهم في ذالك الدرب أحد، وهو إلى جنب خثعم، وهم بالسراة مع خثعم حيث كانوا وكذالك هم بفلسطين مع خثم. انتهى، وعنزة هي القبيلة التي انتشرت في وسط الجزيرة وفي نجد، وأكثر المنتسبين إلى بكر بن وائل في نجد كبني حنيفة وغيرهم في العهد الأخير صاروا ينتسبون إلى (عنزة) إذ هي القبيلة الباقية من فروع ربيعة محافظة على كيانها، بينما جهلت الفروع الأخرى بين قبائل الجزيرة في العهود الأخيرة. والانتساب إلى القريب من فروع القبيلة حين يشتهر ويعرف من الأمور المعروفة بين العرب، قديمهم وحديثهم، ومن أمثلة ذالك (شَمَّر) كان اسم فرع صغير من طيئ، فلما اشتهر في العصور الأخيرة انضمَّت فروع قبيلة طيء التي كانت ذات شهرة عظيمة في الجاهلية والإسلام، فانتسبت فروعها إلى (شمَّر) وجهل اسم طيئ في نجد، ولم يبق سوى فرع صغير في أرياف العراق يجهل صلته بقبيلة (شمَّر).

(٢) قِرْبَتُهُ - كان من عادة المحسنين إيقافه قِرْبة - واحدة القِربْ أوعية الماء المعروفة - تُملأُ ماء عذبًا، وتعلَّقُ في المسجد للشرب، إذ الماء العذب مما يشق الحصول عليه لكل واحد.

و (المسقاة) البئر التي يستقى منها الماء، تكون بجوار المسجد، معدة للوضوء وغيره، وتحتاج لما يصلح شؤونها بتهيئة وسائل إخراج الماء منها، ومكان جمعه، وإصلاح ما يطرأ على البئر، وتلك الوسائل، ويوقف المحسنون على ذالك من غلة بعض العقارات ما يفي به، والوقف في الحالتين يكون الناظر عليه إمام المسجد.

(٣) الماقف: الموقف ويقصد به هنا العمل المنُوط بالمسجد من إمامة ونظر في شؤونه مما أوقف عليه كِقَرب للماء، وبئر، وغيرهما.

(٤) نَبِّينا: أمرنا - والكلمة عامية -.

(٥) الشيوخ: ولي الأمر، ويقصد به الملك عبدالعزيز في ذالك العهد.

(٦) الكَتْب: كتابة الوثائق عن العقارات والوصايا والأضاحي والأوقاف وعقود المداينة.

٦٨- بَابُ الَأيسنِ، وَالَأيسَرِ، والَأنسُرِ، والَأشْتَرِ، والَأشِيرِ[١]

أَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَبَعْدَها يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَسِيْنٌ مُهْمَلَةٌ ثُمّ نُوْنٌ: مَوْضِعٌ أَحْسِبُهُ مِنْ دِيَارِ الْيَمَامَةِ[٢].

وَأَمَّا كَالْأَوّلِ إِلَّا أَنَّ سِيْنَهُ مَفْتُوحَةٌ وَآخِرُهُ رَاءٌ: فِي شِعْرِ ذِي الرُّمَّةِ[٣].

وَبِالنُّوْنِ لِجَمْعِ نَسْرٍ، رَضِمَاتٌ صِغَارٌ فِي وَضَحِ حِمَى ضَرِيَّةٍ، وَهُوَ فِي الْأَشْعَارِ بِالنِّسَارِ، وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيْتِ: الْأَنْسُرُ: بِرَاقٌ بِيْضٌ بَيْنَ مَذْعَا والْجَنْجَاثَة مِنَ الْحِمَى، وَلَيْس بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ خِلَافٌ[٤].

---

(١) فِي كِتَاب الحَازِمِي: (بَابُ أَشْتَر وأَشِيْر).

(٢) عِنْد يَاقُوت: اسْمٌ لِبَطْنِ وَادٍ بِالْيَمَامَةِ، لِبَنِي عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي حَنِيْفَةَ، والأَيْسَنُ: هَذَا الوَادِي لَا يَزَال مَعْرُوْفًا، تَجَاوَزَهُ عُمْرَانُ مَدِيْنَةِ الرِّيَاضِ مِن النَّاحِيَةِ الغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ، وَفُرُوْعُه مِنْ مُرْتَفَعَات بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدَّرْعِيَّةِ، وَيَتَّجِهُ نَحْوَ الجَنُوب الشَّرْقِيِّ حَتَّى يَصُبَّ فِي وَادِي حَنِيْفَةَ، وَقَد شَمَلَه العُمْرَان.

(٣) أَضَاف يَاقُوْت:

بِحَيْثُ نَاصَى الأَجْرَعَيْنِ الأَيْسَرُ

وَهَذَا مِنْ أُرْجُوْزَةٍ طَوِيْلَةٍ فِي الدِّيْوَان يَصِفُ فِيْهَا الرُّسُوْمَ الدَّاثِرَةَ مِنْ مَنَازِل مَيٍّ وَبَعْدَه:

فَهِجْنَ وَقْرًا وَاقِرًا لَا يُجْبَرُ

وَجَاء فِي الشَّرْحِ: نَاصَى: وَاصَلَ. والأَجْرَعَان: رَمْلَتَانِ. والأَيْسَرُ: مَوْضِعٌ والوَقْرُ: الصَّدْعُ فِي العَظْمِ. وَلَعَلَّ المَوْضِعَ فِي الدَّهْنَاءِ.

(٤) أَوْرَد يَاقُوْتُ كَلَامَ نَصْرٍ بِنَصِّهِ، وَقَبْلَه: الأَنْسُرُ - بِضَمّ السِّيْنِ -: مَاءٌ لِطَيِّءٍ دُوْنَ الرَّمْلِ قُرْبَ الجَبَلَيْنِ، وَبَعْد كَلَام نَصْرٍ: والرَّضَمَاتِ جَمْعُ رَضَمَةٍ: وَهِيَ صُخُور يُرْضَمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَفِي كَلَام الهَجَرِيِّ عَلَى حِمَى ضَرِيَّةَ بَعْد أَنْ ذَكَر جَبَلَ نَضَادٍ فِي شَرْقِي النِّيْرِ، وَأَن سُيُولَهُ فِي وَادٍ يُقَال لَهُ ذُو بِحَارٍ قَالَ: ثُم الْجِبَالُ الَّتِي تَلِي نَضَادٍ مِنْ جَانِبِهِ الأَنْسُرُ، وَهِي أَبَارِقُ ثَلَاثَةٌ، بِأَسْفَلِ الوَضَحِ، يُقَال لأَحَدِهِمَا النَّسْرُ الأَسْوَد، وللآخر النَّسْرُ الأَبْيَض، وللثَّالِثِ النُّسَيْرُ، وَهُوَ أَصْغَرُهَا، وَهَذِهِ الأَجْبُلُ هِي النِّسَارُ والأَنْسُرُ، وَهِيَ فِي حُقُوق غَنِيٍّ، وَقَد ذَكَرَتْها الشُّعَرَاءُ. انْتَهَى

وَأَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَة ثُمَّ شِيْنٍ مَنْقُوطَةٍ سَاكِنَةٍ وَتَاءٍ عَلَيْهَا نُقْطَتَانِ وَآخِرُهُ رَاءٌ: بَلَدٌ قَرِيْبٌ مِنْ هَمَذَانَ(١).

وَأَمَّا مِثْلُهُ إِلَّا أَنَّ شِيْنَهُ مَكْسُوْرَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا ثِنْتَانِ: حِصْنٌ عَظِيْمٌ بِالْمَغْرِبِ كَان مِنْه شَيْخُنَا الْحَافِظ أَبُو مُحَمَّد عَبْدُ الله بن عَلِيٍّ الأَشِيْرِيُّ الأَنْصَارِيُّ(٢).

٦٩- بَابُ أَيِج، وَأُنَجَ، وَأَمَجِ(٣)

أَمَّا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ: بَلَدٌ بِفَارِسَ مِن كُوْرَةَ دَارَ أَبْجُرْد، مِنْه أَبُو مُحَمَّد عَبْدُ الله بن مُحَمَّد الأَيْجِيُّ النَّحْوِيُّ، أَكْثَرَ عَنِ ابْنِ دُرَيْدٍ(٤).

= والأَنْشُرُ: لَا تَزَالُ مَعْرُوْفَة، ولَكِنِ يَنْطِقُهَا بَعْض الْعَامَّة بِالْصَّاد - الأَنْصُرُ -، وَهِي أَبَارِقُ تَقَع فِي سَهْلٍ مِنَ الأَرْض تَبْرُز لَهَا رُؤُوس كَرُؤُوس الجِبَال الصِّغَار، ثَلَاثَة تَقَع شَمَال بَلْدَة البجَادِيَّة وَتُرى مِنْهَا بِالْعَيْن الْمُجَرَّدة، وَلَيْسَت بَعِيْدَة عَنْ جَبَلِ نَضَادٍ، وَلَهَا ذِكْرٌ كَثِيْرٌ فِي الشِّعْر القَدِيْم والحَدِيْث، وهي في مِنْطَقَة إِمَارَة الدَّوَادِمِي (وَتَقع الأَنْشُرُ بِقُرْب خَط الطُّول: ٣٢ً / ٤٣ْ وَخط الْعَرْض: ٢٥ً / ٢٤ْ).

وَمَزْعَا: مَنْهَلٌ قَدِيْمٌ أُخْتِلَف فِي ضَبْط الاسْم بَيْن الزَّاي والذَّال (مَذْعَا) وَلَيْس مَعْرُوْفًا هَذَا المَنْهَل، وَيرَى الاسْتَاذ سَعْدُ بْنُ جُنَيْدَل: أَنْ أَوْصَافَهُ تَنْطَبِق عَلَى مَنْهَل القَاعِيَّةِ الَّذِي أَصْبَح الآن مَكَانًا مَأْهُولًا فِي الجَنُوب الغَرْبِي مِنَ الأَنْشُرِ غَرْبَ قَرْيَة البجَادِيةِ.

(١) عِنْد الحَازِمِي: أَشْتَر: بَلَدٌ قَرِيْبٌ من نَهَاوَنْدِ، خَرَج مِنْه جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْل العِلْمِ وَحَدَّد يَاقُوْت المَسَافَةَ بَيْنَه وَبَيْنَ نَهَاوَنْد بِعَشَرَة فَرَاسِخ، وَأَطَال يَاقُوْت الكَلَامَ عَنْهُ، وَذَكَر بَعْض المَنْسُوْبِيْنَ إِلَيْه.

(٢) عِنْد الحَازِمِي: أَشِيْرُ: حِصْنٌ عَظِيْمٌ بَالْمَغْرِب، كَان مِنْه عَبْدُ الله بْنُ عَلَيٍّ أَبُو مُحَمَّد الأَنْصَارِيُّ الأَشِيْرِيُّ، وَفِي «الْمُعْجَم» أَشِيْرُ: مَدِيْنَةٌ فِي جِبَال البَرْبَرِ فِي طَرف افْرِيْقِيَّةَ الغَرْبِيِّ مُقَابِلُ بَجَايَة فِي البَرِّ، وَذَكَر طَرَفًا مِن تَارِيْخهَا، وَقَال: وَمِن أَشِيْرٍ هَذِه الشَّيْخ الفَاضِل أَبُو مُحَمَّد عَبْدالله بن مُحَمَّد الأَشِيْرِيُّ إِمَامُ أَهْل الحَدِيْث والفِقْه، والأَدَب بِحَلَب خَاصَّة، والشَّام عَامَّةً، ثُم ذَكَر اسْتِدْعَاء الوَزِيْر ابْن هُبَيْرَة لَهُ، وَقَدْ تَقَدَّم الخَبَر فِي تَرْجَمَة نَصْرٍ، وَذَكَر أَنَّه مَات فِي بِقَاع بَعْلَبَك فِي سَنَة ٥٦١هـ.

(٣) عِنْد الحَازِمِي (بَاب أَيْجَ وَعنْج وأَمَج وآبَج).

(٤) هُوَ تَعْرِيْفُ الحَازِمِيّ، وَقَد ذَكَر يَاقُوْتُ: أَيْجَ وَلَمْ يَضْبُط الاسْم، وَقَال: بَلْدَةٌ كَثِيْرَةُ البَسَاتِيْنِ والخَيْرَاتِ فِي أَقْصَى بِلَاد فَارِس كَانَتْ فِي جَزِيْرَة كَيْش، وَكَانَتْ فَوَاكِهُهَا الْجَيِّدَةُ تُجْلَبُ مِنْهَا إِلَى كَيْش، وَهِي مِن كُوَر دَار ابْجِرد، وَأَهْل فَارِس يُسَمُّوْنَهَا إِيْك ثُمَّ ذَكَرَ الأَيْجَيَّ النَّحوِيَّ الرَّاوِي عَنْ ابْن دُرَيْد.

وَأَمَّا بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَنُونٍ سَاكِنَةٍ: نَاحِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الزَّوْزَان بَيْنَ الْمَوْصِلِ وَإِرْمِينِيَّةَ(١).

وَأَمَّا أَمَجُ مَفْتُوحُ الْهَمْزَةِ بَعْدَهَا مِيمٌ مَفْتُوحَةٌ: بَلَدٌ مِنْهَا حُمَيْدٌ الَّذِي أَمَجُ دَارُهُ، دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قِيلَ مِنْ أَعْرَاضِ الْمَدِينَةِ(٢).

٧٠- بَابُ المُفْرَدَات(*)

آرَةُ: جَبَلٌ بِالْحِجَازِ فِي دِيَار مُزَيْنَةَ(٣).

---

(١) عِنْد الْحَازِمِيِّ نَاحِيَةٌ مِنْ أَعْمَال الزَّوْزَان.

(٢) عِنْد الْحَازِمِيِّ، وَزَادَ يَاقُوت وَهُو الْقَائِل:

شَرِبْتُ الْمُدَامَ فَلَمْ أُقْلِعِ ... وَعُوتِبْتُ فِيهَا فَلَمْ أَسْمَعِ
حُمَيْدُ الَّذِي أَمَجٌ دَارُهُ ... أَخُو الْخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعِ
عَلَاهُ المَشِيبُ عَلَى حُبِّهَا ... وَكَانَ كَرِيمًا فَلَمْ يَنْزَعِ

وَأَضَاف يَاقُوتُ: شِعْرًا أَتْبَعَهُ بِقَوْل ابن الكَلْبِي: أَمَجُ وَغُرَانُ: وَادِيَانِ يَأْخُذَانِ مِنْ حَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ وَيُفْرِغَانِ فِي الْبَحْرِ، ثُم أَوْرَد قِصَّةٍ فِي شِعْرٍ غُنِّيَ بِهِ، وَوَرَد ذِكْر أَمَج فِي كَثِير مِنَ الكُتُبِ. وَوَادِي أَمَج هَذَا قَرَنَهُ ابْن الكَلْبِي بِغُرَان لَايَزَال مَعْرُوفًا، وَلَكِن بِغَيْر هَذَا الاسْم فَهُو بَعْد انْحِدَارِهِ مِن حَرَّةِ بَنِي سُلَيْم يُسَمَّى سَايَة، فَإِذَا انْحَدَر سُمِّي المَرْوَانِي، ثُم يُسَمَّى بَعْد ذَالِك الْخُوَار - بِالْخَاء الْمُعْجَمَةِ - وَيَتَّصِل بِخُلَيْص، وأَسْفَلُهُ قَرِيبٌ مِنَ الْبَحْرِ يُسَمَّى ثُوَل، وَفِي الْوَادِي قُرَى وَمَزَارِعُ وَسُكَّانٌ، وَهُوَ فِي الطَّرِيق بَيْن مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ بِقُرْبِ مَكَّةَ.

(وَهُوَ بِقُرْب خط الطُّول: ٣٠/ ٣٩ وَخَط العَرْض: ١٥/ ٢٢)

(*) لَمْ يُرَاعِ نَصر - رَحِمَه الله - عِنْد إِيْرَاده المُفْرَدَات تَرْتِيبَهَا إِلّا بِالنِّسْبَة لِلْحَرْف مِنْهَا، وتَسْهِيلًا لِلْبَاحِث جَرَى تَرْتِيبُها أَبْجَدِيًّا بِحَسَب حَرْف كُل اسْم، مَعَ المُحَافَظَة عَلَى عِبَارَة المُؤَلِّف.

(٣) أَوْرَد يَاقُوت فِي «المُعْجَم» أَنَّ آرَةَ ثَلاثَة مَوَاضِع فِي الأَنْدَلُس، وَبَلَد فِي البَحْرَيْن، وَجَبَل بِالحِجَاز نَقَل وصفه عَنْ «رسالة عَرَّام بن الأَصْبُغ السُّلَمِي» وَيُفْهَم مِنْ تَحْدِيْد المُتَقَدِّمِيْن لِهَذَا الْجَبَل، أَنَّه يَقَع فِي مِنْطَقَة الْفُرْع التَّابِعَة للمَدِيْنَة، وَيُعْرَف الآن بِاسْم هَضْبَة أُمّ الْعِيَال بِاسْم عَيْن كَانَت تَنْبُعث مِن عُيُون الْفُرْع (وَيَقَع جَبَل آرة بِقُرْب خَط الطُّوْل: ٣٥/ ٣٩ وَخَطّ العَرْض: ١٥/ ٢٣).

أَسَكُ: عَلَى وَزْنِ أَدَمَ: مَوْضِعٌ بِقُرْبِ أَرَّجَانَ[1].

أُبَاضُ: قَـرْيَةٌ لِبَنِي عَدِي بْنِ حَنِيْفَـةَ، بِهَا كَانَت وَقْعَةُ خَـالِدِ بْنِ الوَلِيْـدِ، وَمُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ[2].

أُبَاغُ: مَوْضِعٌ بَيْنَ الرَّقَّةِ والكُوْفَةِ[3].

أُبَامُ وَأُبَيِّمُ: شِعْبَانِ لِهُذَيْلٍ، بَيْنَهُمَا جَبَلٌ مَسِيْرَةُ سَاعَةٍ[4].

---

(١) أَطَال يَاقُوْت الكَلَام عَلَى آسك، وَقَال: هُوَ بَلَد مِنْ نَوَاحِي الأَهْوَاز قُرْب أَرَّجَان، بَيْن أَرَّجَان وَرَامَهُرْمُز، بَلْدَة ذَات نَخِيْل وَمِيَاه، وَذَكَر حَرْب الخَوَارِج حِيْن نَزَلُوا آسك فِي أَوَّل العَهْد الأُمَوِي.

(٢) ضَبَط يَاقُوْت الاسْم بِضَمِّ الهَمْـزَةِ فَقَال: اسْمُ قَرْيَة بِالْعِـرْض، عِرْض اليَمَامَة، لَهَا نَخْل لَمْ يَـرَ نَخْل أَطْوَل مِنْهُ، وَعِنْدَهَا كَانَت وَقْعَة خَالِد بن الوَلِيْد - رَضِي الله عَنْه - مَع مُسَيْلِمَة، وَأَوْرَدَ فِي ذَالِك أَشْعَارًا.

ولأُبَاض هَذِهِ تَارِيْخ حَـافِل فِي أَوَّل العَهْد الأُمَوي حِيْن اسْتَقَل نَجْدَة بن عَامِر الحَنَفِي بِأَمْر اليَمَـامَة، واتخَذَهَا قَاعِدَة لَهُ، وَمَوْقِعُهَا غَرْب بَلْدَة العُيَيْنَة الـوَاقِعَة فِي وَادِي حَنِيْفَة وَقَدْ تَحَدَّثْت عَنْهَا بِتَفْصِيل فِي كِتَاب «ابْرَاهِيْم ابن عَرَبِي مُوَطِّد الحُكْم الأُمَوي فِي نَجْد».

(٣) أَطَال يَـاقُوْت الكَلَام عَلَى أُبَاغ، وَذَكَـر أَن مَنَازِل إِيَاد بن نِـزَار بِعَيْن أُبَاغ، وَأُبَاغ رَجُل مِن العَمَالِقَـة، وَعَيْن أُبَاغ لَيْسَت بِعَيْن مَاء، وَإِنَّمَا هُوَ وَادٍ وَرَاء الأَنْبَار عَلَى طَرِيْق الفُرَات إِلَى الشَّامِ، وَذَكَرَ طَرَفًا مِنْ أَخْبَارِها، وَذَكَرَها فِي الأَشْعَار.

(٤) فِي كِتَاب «بِلَاد العَرَب»: (وَأُبَـام وأُبَيِّم وَهُمَا لِهُذَيْل، وَهُما شِعْبَانِ بِنَخْلَة اليَمَانِيَّة بَيْنَهُمَـا جَبَل مَسِيْرَة سَاعة مِن النَّهَار، وَقَدْ قَال فِيْهما السَّعْدِي مِن سَعْد بَكْر:

وَإِنَّ بِهَـــذَا الشِّعْـبِ بَيْـنَ أُبَيِّـمٍ ... وَبَيْـنَ أُبَـامٍ شُعْبَـةً مِـنْ فُـؤَادِيَـا

انْتَهَى.

وَلَم يَرِد يَـاقُوْت عَلَى مَاوَرَد فِي كِتَـاب «بِلَاد العَرَب». وأُبَـام وأُبَيِّم شِعْبَان يَقَعَان شَمَـال قَرْيَة الـزُّبَيْمَة فِي وَادِي نَخْلَة اليَمَـانِيَّة، لِهُذَيْل، وأُبَيِّم يَقَع شَـرْق أُبَام، وَلَكِن أَهْل تِلْك الجِهَـة يَنْطِقُون الاسْمَيْن بِحَذْف الهَمْـزَة (بَام) و(بَيِّم).

وَيح من لامَ مستهامًا!!

آهِ لـــو أمتطي شبيــــه البُـــراق فيجــاري زُهْـرَ النجــوم انطــلاقي
وأنــاجي حلــو الأمــاني خَلِيًّــا ليس إلاكِ يــا مــلاذ اشتيــاقي
نــاغمِي مهجتي بنفحــة دِفءٍ عَلَّهَــا أن تُبِلَّ ممـــا تــلاقي
ســابقيني صَفْــوَ الــوداد فقلبي - عن حُمَيَّاكِ - حاذِقٌ في السباق
قـد يلــوح الشقــاق نَــزْرًا ولكن ليس من طبعك احتــدام الشقــاق
إن تَصُـدِّي فكم قـد الْتَعْتُ مِ الصَّـدِّ ومـا قَــدْ لقيتُــهُ من رِفــاقي
أو تجــودي فمــا التــواصل إلا - بالْتِصاق القلوب - حُلْوَ المذاق
والتَّــلاقي عبــر التَّمَنِّي مــرام لا يـدانيه - في مســاك - التَّـلاقي
في خضم النفـاق في موئل الصـدق يُجــافِي الأفــذاذُ وُدَّ النفـــاق
أَيُّهَـا الــراحلـونَ في وهـج الضـوء وفي داجيـــات ليل المحـــاق
اعْـذُروا مغـرمًا مُغِـذًّا مع الـدرب لِــوَأْدِ الشَّجَى لِسَلـوَى اللحــاق
اعـــذروه فقـــد حَــداه التَّمنِّي والتَّغِنِّي بِــوصْل حُــورِ المــآقي
وازْفِـدُوا مُـرْهَـفَ الفـؤاد المعَنَّى بقلـــوب وَلُهَى ونُجْـلِ الحِــداق
وَيْحَ مـن لام مُسْتَهــامًــا بَــراهُ لَثْمُ شَهْـدٍ بيـن الشفـاهِ الـرِّقـاق

عبدالرحمن بن عبدالله آل عبدالكريم

(الجُثَا) و (الظَّهْرَ)

ورد في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي»: الجُثَـا: قال ياقوت: بضم الجيم وتخفيف الثـاء والقصر - مـوضعٌ بين فَـدَكَ وخَيْبَـر، يطأه الطريقُ قـال بشَير أبو النعمان بن بشير:

لَعَمْـــرِي لَحَيٌّ بَيْـنَ دَارِ مُـــزَاحِمٍ   وَبَيْنَ الجُثَـا لَا يَجْثُمَ الصَّبْرَ حـاضِـرُ

وأورد الهجريُّ لعمرِو بن عونٍ الصارِدِيِّ:

يُهَيِّجُ عَلَيَّ الشَّــوْقَ أَنْ شَطَّتِ النَّوَى   بسهميـــة مـــا شملهـــا بمـــداني

تَحُل جُثَـــا وَالظَّهْـــرَ رَابِعـــةً بِـــهِ   وَمحْضَـــرُهَـــا بِـالصَّيْفِ جَـوُّعِتَـانِ

سهميـة: من سهم من مـرة. انتهى، ومـرة من غطفـان وما بين خيبـر وفـدك من بـلادهم ولم أحدد (الجُثَـا)، وقـد كتب إلى «العرب» الأخ عطـا الله بن ضيف الله الـرَّشِيـديُّ مقـالًا عن وادي المنجور - س ٣٣، ص ٨٣٤ - قـال فيـه: (فَـوادي المَنْجُـور هو الـذي أراه - في هذا العهـد - (المَمْـدُور قديمًـا) ينحدر سيلـه من الركن الجنوبي الشرقي من (الظَّهْر) فينصلت في غائط أفيح، أَسْنادُهُ بُرَقٌ، وأسافِلُهُ دِمَاثٌ، طَيِّبُ التُّرْبَة، ثم يواصلُ انـدفاعَهُ صوبَ الغـرب، فيجتمع مع وادي (جُثَا) في قاع واسع، ومنه تخـرج سيول الوادِيَيْنِ في مجرى وادٍ واحد، منـدفعًا مع جِرَاعٍ غير مـريئةٍ، وعلى أميـال يسيرة من ذالك يَنْدَاحُ من جانبه الشمـالي سَهْبٌ فسيح أبيض اللون، كـريمُ المَنْبت تعترضه أَبَـارِقُ منقادةٌ من الشـرق إلى الغرب، فتنقطع بِرُمَيْلَةِ (جُبَار) فيمـا مجرى الوادي آخذًا نفسَ الاتجاه صوب الغـرب مارًّا بـ (جُبَار) ومن هنا يأخـذ اسم وادي (جُبَارٍ) وعند وصـوله (جُبَـارَ) هناك مواضع منسـوبة إلى شجر الحرمل لتكاثره فيها). انتهى.

وفي هـذا الكـلام نصٌّ صـريح على أن جُثَـا والظَّهْـرَ لا يـزالان معـروفين كمـا حددهُمَا الكـاتب الكريم في كلامه المتقدم، وتلك المـواضع التي ذكر كَانَتْ من

منازل بني مُرَّة من غطفان في الشمال الشرقي من حرة خيبر. ومما يلاحظ. أن الأخ الكاتب من قبيلة (بني رشيد) التي ترجع في نسبها فيما اتضح لي إلى قبيلة غطفان، ولا يزال بَنُو رَشِيدٍ يُحِلُّونَ تلك البلاد.

آل حسن في منطقة الجوف من آل ماضي من المزاريع من عمرو بن تميم

كتب إلى «العرب» كل من الأخ المهندس دليمان بن عمشان بن دليمان آل حسن والأخ حمدان بن عجيريف آل حسن في الجوف بما ملخصه: إن عائلة آل حسن في منطقة الجوف تنتسب إلى ماضي بن محمد من (آل راجح من المزاريع من آل حماد من عمرو بن تميم) وحسن جد الأسرة متواتر لدينا أنه ابن سليمان ابن عبدالله بن ماضي، وأسرة آل حسن معروفة في دومة الجندل وما حولها بالفضل، واشتهر منهم دليمان بن شافي بن عبدالله بن إبراهيم بن سليمان بن حسن، ذو سمعة طيبة، خرج أجداده والأسرة من روضة سدير إثر غزوة الشريف زيد بن محسن شريف مكة الذي قتل أمير الروضة ماضي بن محمد وانتقل بعض آل ماضي إلى الزبير ومنهم سليمان بن عبدالله رئيسهم هناك الذي تولى إمارة الزبير كما ذكر الأمير تركي بن ماضي في «تاريخ آل ماضي»، وكما في كتاب «إمارة الزبير» أنه تولى الإمارة سنة ١٢١٠ ومنهم آل إبراهيم بن ماضي في البصرة والزبير.

ولسليمان بن عبدالله بن ماضي عدد من الأبناء هم: ماضي، وحسن، ودندن وشمردل. وكان نزوح سليمان وأبنائه وأخ له يلقب بالخطيب الراجح أن اسمه حمدان بن عبدالله وأبناؤه كان نزوحهم من الزبير حدود سنة ١١٦٣ فعادوا إلى الروضة بعض الوقت، ولم تكن الأحوال مستقرة فيها فرحلوا إلى الجوف وهناك استقرت الأسرة المنسوبة إليهم.

هذا ملخص ما كتبه به الأَخَوَان دليمان وحمدان وارفقا به مشجرًا لأبناء سليمان

وبعض أبناء حسن ووثيقة مكتوبة ذُكـر فيها أن عجيريف وإبراهيم وحسن عيال ابن سليمـان بن حسن المـاضي قامـوا بشـراء أرض لسكناهـم في الجوف سنـة ١٢٦٣ ومـذيلة بكلمـة (خلصوا علـى يد حمـد الشويعـر) وختم غيـر واضح وتاريخ سنـة ١٣٣٨ . وبنسخـة من مؤلف عن هـذه الأسرة ألفـه الأخ حمدان أوضـح فيـه ما يـرى إيضـاحه لإثبـات ما سبق، عنـوانه «آل حسـن في الجوف في المـاضي والحاضـر» صدر عام ١٤١٧ ورغبا إضافة ما تقـدم إلى كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» عند إعادة طبعه.

الأحامدة وبنو صَخْر

[انظر عن (الأحامدة «الدرر الفرائد المنظمة» و«العرب» س ١٧، ص٣١٢ و س ٢٤، ص ٥٤٧)]

سـرني الاطلاع على مجلـة «العرب» س ٣١، ص ٧٧٨ وفيها بحـث الأستاذ الكـــريم راشـــد بن حمدان الأحيوي بعنوان (فروع بني سليم في قبيلة حرب) وإشارته إلى قبيلة (بني صخر) وإلى (الأحامدة).

ومن هنا وددت الإشارة إلى أن فروعًا معروفة من (بني صخر) ومن (الأحامدة) ما زالت تقطن في (العُـلَا) وهـم معروفـون للناس حق المعـرفة، ويـؤيد ذالك وجـود وثائق تاريخية تشير إلى أن عشيرة القضاة بالعلا ترجع في أصولها إلى (الأحامدة) من قبيلـة (حـرب) يعـود ذالك إلى أكثـر من ٨٠٠ عـام، وهـم يتكـونـون الآن من مجموعـة من الأسر هي أسـرة القاضي، وأسـرة الإمام وأسـرة الريس، وهـذه الأسر جدُّهم واحد وهو (أمين) وأسرة الطعيمة..

وقد تحـالفت هذه الأسر مع عدد مـن أسر العشائر الأخرى، مثل أسـرة الريّس وأبي خالـد، والحميدات والخُـرَينق، والشكارنـة، والتميم، وكلها يعـود نسبها إلى قبـائل عربيـة معـروفة، بـالإضافـة إلى عـدد من الأسر المنقـرضـة مثل الهويـان، والشـريان، والجـريدة، وأخيـرًا أسرة التميم. ويـرأس مشيخة العشيـرة الآن الشيخ عبدالله بن رشيد بن سـالـم بن موسى القاضي، وكان لهذه العشيرة شـرف المناصرة

والولاء مع (آل سعود) أيدهم الله منذ عام ١٢٥٧هـ وتوضح الوثائق التاريخية هذه الحقائق بجلاء تام، لا يُساوره شك لدى المهتمين والمتتبعين.

أما عشيرة بني صَخْرٍ، والتي كانت تقطن (العُـلا) فما زالت بقاياهم موجودة، وهذا يتفق مع ما ذكرتموه في الصفحة (٧٨٩) من أن القبيلة عندما تنتقل من بلد إلى آخر فقد يبقى منها بقية في منزلها الأول.

والموطن الأول لبني صخر [جبل طيء في شمال نجد، ثم تفرقوا، ومنهم من سكن] العلا ولست ادعي في ذالك معروفة ولكنّي أَسْتَشِفُّ ذالك مما أسمعه من بني صخر الموجودين في (العلا) والمعروفين باسم عشيرة (العلي) وشيخهم الشيخ محمد بن عبدالله المبارك، الذي حباه الله فقهًا وعلمًا، وكثير منهم قد هاجر إلى الأردن، أما الباقون منهم فهم المعروفون باسم عشيرة العلي، ويتكونون من مجموعة من الأسر هي: أسرة المبارك وأسرة الجمعة وأسرة آل عبدالواحد وأسرة السويري وأسرة العامر وأسرة أبو زينة.

العلا: محمد بن عبدالله بن رشيد القاضي

حول بلدة العطيان وسكانها

نشرت «العرب» س ٣٣، ص ١٤٢ للأخ علي بن إبراهيم بن محمد الرويغ والأخ محمد بن فواز آل داوود كلمة عن بلدة العطيان وسكانها. وقد ورد إلى المجلة التعقيب التالي عليها من الأخ صالح بن علي آل مسلم: (نفيدكم بأن ماذكرتم في كتابكم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» هو الصحيح، إذ يوجد في بلدة العطيان من قبائل آل مرشد من بني تميم أربع قبائل هي كالتالي: آل إبراهيم بن سليمان من آل مسلم، آل سعيد من آل عوان، آل علي بن راشد من آل عبدالله، آل متين من الضيفان من تميم الأوائل من بني عبدالله بن دارم العبادلة، علمًا بأن هذه البلدة كانت في الماضي لآل راشد من العبادل من تميم الأوائل ولا تزال بعض آثار مساكنهم حتى الآن). انتهى، وطلب نشر هذا في المجلة.

* «فضل العرب والتنبيه على علومها»

لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِي المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

(المجمع الثقافي) في مدينة (أبو ظبي) يعد من المراكز الثقافيَّة الحديثة النشأة، ومع هذا فله في هذا المجال نشاط متميز، فقد نشر في فترة قصيرة من الزمن عددًا من المؤلفات، وهي وإن كان يغلب على أكثرها اتصالها بالجانب الحيوي المعاصر، إلا أن هذا لا يقلل من قيمتها العلمية، بل ربما يكون الاهتمام بهذا بالنسبة للأمة العربية أَعَمَّ نَفْعًا، وأعْظَمَ جَدْوى، فحياتها لا تتوقف على الجانب الروحي، الذي تمتد جذوره إلى أصول الثقافة العربية الإسلامية، في عصورها الزاهية فحسب، بل لا بُدَّ لها من أن تتدَرَّعَ بجميع وسائل القوة في حاضرها، ولن يتم هذا حتى تنال نصيبها من علوم العصر كاملًا غير منقوص.

ولقد كان مما أكرمني به هذا (المجمع) طائفة من منشوراته المتنوعة، مما كنت أود - من قبيل الاعتراف بالفضل - أن أتحدث عن جميعها حديثًا مفصلًا إلا أن تنوع موضوعاتها أجل وأوسع، وأعمق من أن أستطيع من ذالك ما أرتضيه لنفسي، إذ أُدْرِكُ قبل غيري قصوري وعجزي و (رحم الله امرأً عرف قدر نفسه).

لقد كان من أجَلِّ ما نشره (المجمع) كتاب «النقائض» وقد تحدثت عنه في مجلة «العرب» - س ٣٢ ص ٨٥٠ -.

وهذا كتاب آخر جليل القدر بغزارة علمه، وبعلو منزلة مؤلفه بين العلماء، وبقدم زمنه، إذ عاش في القرن الذي عده المصطفى - عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم - من القرون المفضلة بقوله: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» وتُعَدُّ مؤلفات ابن قُتَيْبَةَ من أهم مصادر الأدب، بل الثقافة العربية عامة، ككتاب «غريب القرآن» و «مشكل القرآن» و «مشكل الحديث» و «عيون الأخبار» و «أدب الكاتب» و «المعارف» و «طبقات الشعراء» و«الإمامة والسياسة» و «الأنواء» و «المَيْسِر والقِدَاح» وغيرها ومنها هذا الكتاب

«فضل العرب والتنبيه على علومها» الذي يرجع الفضل الأول في التنبيه على قدره لمؤرخ الشام وعالمه الأستاذ محمد كرد علي (١٢٩٣/ ١٣٧٢) الذي نشر بعضه في مجلة «المقتبس» سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) ثم أعاد نشر هذا في كتابه «رسائل البلغاء» فاتَّجه الباحثون المعاصرون للتنقيب عنه، ونشره، ودراسته، بل دراسة حياة ابن قتيبة، ومؤلفاته بصفة عامة، مما يجد القراء طرفًا منه في مقدمة الطبعة الحديثة التي بين أيديهم من هذا الكتاب.

وهنا يحسن التنبيه على أمر هام حول موضوع الكتاب وعنوانه هو أن صفة (الفضل) صفة مدح على الاتصاف بصفة، يتميز بها الموصوف، ومتى زالت عنه زال الاتصاف، و (العرب) في عهد ابن قتيبة وما قبله كانوا يتصفون بصفات حميدة، يمتازون بها على غيرهم من الأمم، ولهذا اختار الله سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم منهم، وهو ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ واختار اللغة العربية ليخاطب بها رسوله، بما أوحى به إليه من شرائع الإسلام وأحكامه وآدابه، وربط معرفة كل ذالك بمعرفة هذه اللغة، وبها صانه الذي تولى حفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وفي عهد ابن قتيبَة نبتت نابتةٌ من أبناء الشعوب التي اعتنقت الإسلام، من غير العرب، تجهل فضلهم، وتنال من قدرهم عرفوا بـ(الشُّعُوبية) فتصدَّى العلماء للرد عليهم، ومنهم ابن قتيبة في كتابه هذا.

ومعاذ الله أن يكون الحامل له تعصُّبًا، ولكنه أراد أن يبرز فضل أمة وصفها الله جل وعلا بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ، وتُؤْمِنُوْنَ باللهِ﴾ وأنها تُنْمَى إلى عنصر طيب.

ثم هو أرفع قدرًا وأَجَلُّ عِلْمًا بأن يتغاضي أو يَغُضَّ الطرف عن «النقائص» ولكنه عاش في عصر غير عصرنا، وفي أمة غير أمتنا:

وهَلْ إِنْ كَانَ حَاضِرُنَا شَقِيًّا ... نَسُوْدُ بِكَوْنِ مَاضِيْنَا مَعِيْدًا؟!

لقد أبرز ابن قتيبَة في كتابه «فضل العرب» محامدَ ومحاسنَ وفضائلَ للعرب في

ماضيهم، جاء الدين الإسلامي بإقرارها والحث عليها، وهي مما امتازت بها العرب ففضلت بها على غيرها، ومن يَدْرِي لعله لو كان ممن عاش في هذا العصر لا تَّضَحَتْ له جَوَانبُ أخرى يدعو إلى التحلي بها، ومنها اتخاذ جميع وسائل القوة - أيًّا كانَتْ - لحماية صورة الأمة، وصيانة كِيانها، والحِفَاظ على ثروتها، ولَنْ يكون ذالك إلا بالعلم، المقرون بالعمل النافع.

وأراني استرسلت في الحديث الذي ينبغي حصره في نشر أثر من آثار علمائنا العاملين، أبرز فيه صفحات مشرقة لأمتنا في ماضي عصرها، جديرة باتخاذها قدوة، ووسيلة للاعتبار والتفكير، والعمل الجاد لتجاوز ما نحن فيه من عَثْرَةٍ وخُمُود، إلى حياة أَسْعَدَ من حياتنا الحاضرة!!.

ولن تفوت الإشارة إلى الجهد المتميز الذي بذله الأستاذ الدكتور محمود وليد خالص في تحقيق هذا الكتاب حتى بدا بصورة من الوضوح لا يُقَلِّلُ منها ما وقع من غموض بعض كلمات[1] منه لما أصاب الأصل المخطوط من آثار القدم، وقد يجود الزمان بمخطوطة أكمل وأوضح.

ولا يعني هذا الغض عن الجهد الواضح للمحقق الكريم في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب، مما يدل على سعة اطلاعه وحرصه على أن يقدم الكتاب بخير صورة.

الحواشي:

(١) مثل كلمة (وهو حامد الله شاكرًا له) حيث قرأها المحقق الكريم ص ٢٠٧ وهو (حامل كفه شاكر له) ومثل ضبط كلمة (عمير بن سَلمى الحنفي) - ص ٦٣ - ووضع فتحةً فوق السين، خطأً والصواب ضَمُّ السين، وسكون اللام، والميم مكسورة (سُلْمي) قال ابن ماكولا في كتاب «الإكمال» - ج ٤ ص ٣٢٧ - في ذكر مُجَّاعة بن مُرَارَة بن سُلْمي الذي يقال له مجاع اليمامة كذا، وجدته مطبوعًا بخط ابن عبدة، وكذا قاله شبُلٌ النسابة بالضم، وعُمَيْرُ بن سُلِمْي قائد الجرباء كَتِيبَةً، وهو أحد الأوفياء. إلى آخر ما ذكر.

وكلام ابن ماكولا ليس كاملًا في الضبط، ولكن ورد في مخطوطة مكتبة راغب باشا في استنبول من «مختصر الجمهرة» سُلْمِيّ مضبوطة شكلًا واضحًا متقنا، بضم السين وإسكان اللام وكسر الميم بعدها ياء - ص ١٥٧ -. في نسب بني حنيفة وكذا رأيته في مخطوطات أخرى، ولا يزال هذا الاسم مستعملًا في نجد في عهدنا.

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العنوان
حي الورود - شارع حمزة بن أبي طالب - هاتف ٤٦٢١٩٢٣
ص. ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٩، ١٠ س ٣٤ - الربيعان، سنة ١٤٢٠هـ - تموز، آب (يوليه، اغسطس) سنة ١٩٩٩م

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٢٦)

ضَحْن: (الصَّحْن)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (ضَحْن: بالفتح ثم السكون: بَلَدٌ في دِيَار سُلَيْم بالقرب من وَادِي بَيْضَان، وَقِيْل بِالْصَّادِ المهملة، كُلُّهُ عن نَصْر).

وقال نَصْرُ فِي كتابه في (باب ضَجَنٍ وضَحْنٍ وصَحْنٍ): (مابعد الضاد حاء مهملة بَلَدٌ في دِيَار سُلَيْم بالقرب من وادي بَيْضَانَ، وَقِيْل بالصَّاد المُهْمَلة. والصَّحْن بَلَد واسع من أودية بني سُلَيْم).

وقال الحازمي في كتابه: صَحْن بفتح الصاد وسكون الحاء وآخره نونٌ: جَبَلٌ فِي بِلَادِ سُلَيْم فوق السُّوَارِقِية، قاله الكندي: وقال: فيه ماء يقال له الهباءة وهي أفواه آبار كثيرة مُخَرَّقَةُ الأَسَافِل، يُفْرِغُ بعضُها في بعض من موضع الماء عِذَابٌ طَيِّبَةٌ يزرع عليها الحِنْطَة، والشَّعِيْرُ، وما أشبهه قال الشاعر:

جَلَبْنَا مِنْ جَنُوب الصَّحْن جُرْدًا ... عِتَاقًا سِرُّهَا نَسْلٌ لِنَسْل
فَوَافَيْنَا بِهَا يَوْمَي حُنَيْنٍ ... نَبِيَّ الله جِدًّا غَيْرَ هَزْلِ

وأرى صواب الاسم بالصاد والحاء المهملتين (صَحْن) وهو الذي أورد فيه الحازمي قول عرام بن الأصبغ ونسبه للكندي وهو رَاوِي رسالة عرام ونص مافيها-: بعد ذكر وادي بَيْضَانٍ ٤٣٥-: وحذاؤُه وادٍ يقال له الصَّحْن، قال فيه الشاعر. إلى

آخر ماذكر الحازمي فسمَّاه واديًا وليس جبلًا كما هنا، وكما نقل ياقوت.

والصَّحْنُ هذا وادٍ لا يزال معروفًا وهو ثَنْيٌ من وادي بَيْضَان، أشهر أودية بلدة صُفَيْنَة الواقعة في منطقة المَهْد (مَعْدِن بني سُلَيْم قديمًا) ويبعدُ الصَّحْنِ عن صُفَيْنَة خمسة عشر كيلًا، ولا يزال ماءُ الهَبَاءَة معروفًا في الشمال الغربي من وادي الصَّحْن، ويقصد الشاعر بيومي حنين الأول يوم (حُنَيْن) ثم يوم (أَوْطَاس) حين انهزمت هوازن وخرجت من الجبال إلى سهل (أَوْطَاس) وعند نصر: الصَّحْن بَلَد وَاسِع من أودية بني سُلَيْم، والصَّحْنُ أرضٌ واسعة تخترقها عدد من الأودية.

وقد أفرد للصحن مصور جغرافي رقمه (٣٢/ ٢٣ ٤٠٢٣) وتقع هذه الأرض (بين خطي الطول: ١٥/ ٤٠ْ و ٣٠/ ٤٠ْ وخطي العرض: ٠٠/ ٢٣ْ و ١٥/ ٢٣ْ) تقع جنوب بلدة صُفَيْنَة بنحو ٢٥ كيلًا، وهذه الأرض المعروفة باسم الصَّحْن في منطقة المَهْد (معدن بني سُلَيْم قديمًا).

الضَّفِرُ: (صفر)

قال البكري في «معجم ما استعجم» في حرف الضاد والفاء: (الضَّفِرُ بفتح أوله وكسر ثانيه، بعده راء مهملة: موضع من الفَرْش، مذكور في رسم الفَرش، وبه كان منزل أبي عُبَيْدةَ بن عبدالله بن زَمْعَة بن الأَسْوَد بن عبدالمطلب بن أَسَدِ بن عبدالعُزَّى، وهو أحد الأجواد المُطْعِمِين). ولم يذكر في رسم (الفرش) الضفر هذا، ولكنه أحال إلى رسم ملل قائلًا: تقدم ذكره.

وقال في رسم (ملل): (وبالفَرْش جبلٌ يقال له صَفَر أحمر كَرِيْمُ المَغْرِس، وبه رَدْهَةٌ، وبناء لزيد بن حسن، قال عمرو بن عائذ الهذلي:

أَرَى صَفرًا قد شابَ رَأْسُ هِضَابِهِ وشابَ لِمَا قَدْ شابَ منه العَوَاقِرُ
وشابَ قَنَانٌ بالْعَجُوزيْن لم يَكُنْ يَشِيبُ وشاب الْعُرْفُطُ المتجاوِرُ

هكذا أنشده السكوني، والعجوزانِ: من الفَرْش، وهما هضبتان في قَفَا صَفَرٍ، وبها رَدْهَة وقال محمد بن بَشِير يذكر صَفرًا في رثائه أبا عُبَيْدَة بن عبدالله بن زَمْعَة:

أَلَا أَيُّهَا النَاعِي ابْنَ زَيْنَبَ غُدْوَةً نَعَيْتَ الفَتَى دَارَتْ عليهِ الدَّوائِرُ

أَقــولُ لـــه والــدَّمْعُ مِنـيَّ كأنَّـــه		جُمَـــانٌ وَهْي من سِلْكِـــهِ مُتَبَـــادِرُ
لعَمْرِي لَقَـدْ أَمْسَى قِرَى الناسِ عَـاتِمًا		لَـدَى الفَــرْش لمـا غَيَّبَتْـهُ الْمَقَــابِـرُ
إذا مـا ابْن زادِ الرَّكْبِ لم يُمْسِ نَـازِلًا		قَفَـا صَفَـرٍ لـم يَقْـرَبِ الفَــرْش زَائِرُ

وكان زَمْعَة - جد هذا المرثي - ابن الأسود بن عبد المطلب بن أسد، أحد أزواد الركب، وكان أبـو عبيدة هذا ينزل الفَرْش، وكان كبير ينـزل الضيفان وضاحِكَ: بين الفَرْشِ وبين الضيفان، وقد ذكره ابن أُذَيْنَة، فقال:

أَنْكَــرْتُ مَنْـزِلَــةَ الخَلِيطِ بِضَــاحِكٍ		فَعَفَـــا وأَقْفَـــرَ منهُـمُ عَبُّـــودُ

وعَبُّـود: بين الفُرَيْشِ وصَــدْر مَلَل، وبطَرِف عَبُّـود عينٌ لحسن بن زيد مُنْقَطِعَـة، وبالفرش الجَرِيبُ، وهو بطنُ وادٍ يقال له مَثْعَر، وهو ماء لِجُهَيْنَة) انتهى.

وكلمـة (صَفر) فـي كلام البكـري غيرهـا محققو الكتـاب وكـانت في الأصل (ضفر) ممـا يدل على أن البكـري - رحمه الله - صحف الاسم أو تصحـف عليه، ونص الكـلام الذي أورده البكـريُّ ورد بنصه في كتـاب «جمهرة نسب قـريش»[١] للزبير بن بكار، بما لا حاجة للإطالة بذكره.

وممـا وقع للبكري - رحمـه الله - فيما نقل عن كتـاب الـزبير ونصـه في كتابـه «جمهرة النسب»[٢]: (أبو عبيـدة بن عبدالله بن زمعـة وكان شريفًـا مطعامًـا، وكان كثير الضيفان) انتهى، فتوهم البكري - رحمـه الله - أن الضيفان اسم موضع، فقال في رسم ضِيْفَان: بكسر الضـاد وبالفاء بعد الياء على وزن فِعْلان: مـوضع قد تقدم ذكره في رسم ملل، ولهـذا قال في رسم ملل: وكـان كبير ينزل الضيفـان، وضاحك بين الفرش وبين الضيفان، وقد أوضح وهمه فـي الموضعين أستاذنا الشيخ محمود شاكـر - رحمه الله - في حـواشيه على كتـاب «جمهرة نسب قريـش» وجبل صفر هذا لا يـزال معروفًا، ولكن العـامة يبدلـون الصاد سينًـا فيسمونه (سفـر) وهو جبل أحمـر، يقع غـرب الفَـرْش، وبينهمـا يمـر سيل مَـرَيَيْنْ، ويـلاصق هـذا الجبل من الشمال جبل يعرف باسم العَوْد، وبينهما سهول مَرَيَيْنِ.

ضَهْيَدْ: (صَيْهَد)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (ضَهْيَدُ: بالفتح ثم السكون وياء مثناة من تحت مفتوحة، ودال مهملة، يقال: ضَهَدَهُ إذا قهرَهُ وضَهْيَدُ: موضع، قال ابن جنّي: ومن فوائت «الكتاب»: ضَهْيَد اسم موضع ومثله عَتْيَد، وكلاهما مصنوع، وقد ورد في الفتوح في ذكر فَلاة بين حَضرَمَوْت واليَمَن يقال لها ضَهْيَد، فَعَلَى هذا لَيْسَت بمصنوعة . انتهى.

وأرى أن صواب الاسم (صَيْهَد) بصاد مهملة بعدها هاء ساكنة فياء مثناة تحتية فدال مهملة، وهي الفلاة التي في جهة حضرموت واليمن، وقد قال عنها البكري في «معجم ما استعجم»:صَيْهَدُ - بفتح أوله وإسكان ثانيه، بعدها هاء مفتوحة، ودال مهملة - أرض باليمن، وهي ناحية منحرفة ما بين بَيْحَان فمأرِب فالجوف فَنَجْرَان، فالعَقِيْق فالدَّهْنَاء، فراجعا إلى عَبْر حَضْرَمَوْت. والرَّسُّ المذكور في التنزيل بناحية صَيْهَد قال الهمداني: ذَهَبَ في صَيْهَد في عهدنا قِطَارٌ فيه سبعون مَحْمِلًا من حاجّ الحضَارم صَادِرِيْنَ من نَجْران، كانت في أعقاب الناس، ولم يكن فيهم دليل، فساروا الليلة، وأصْبَحُوا قد تياسروا عن الطريق وتمادى بهم الْجَورُ، حتى انقطعوا في الدَّهْنَاءِ فهلكوا) انتهى.

وأصل كلامه هذا في كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني ونصه: (أما فلاة اليمن وغائِطُه فإنه صَيْهَدُ، وهي فلاة تتفرق من الدهناء من ناحية اليمامة والفَلَج، ويشرع عليها جزر اليمن من مصامة بني عامر، بناحية تَرْجِ فَتَثْلِيْثَ فيما بين تَثْلِيْث ودُثَيْنَةَ وتَفَرَّقُ هذه الفلاة بين جزر اليمن من أسافل هذه الأودية وبين حضرموت من أربع مراحل وخمس فيما بين نجران وبَيْحَان، وأما ما خلف نجران إلى الشمال فأكثرُ، لأن صَيْهَد تقبل عن فرقَيْنِ من الدَّهْنَاء أحدهما من شرقي اليمامة ويَبْرِيْن، والثاني من غربيّ اليمامة وما بينهما وبين جبل الحَضن فشرقي بلد بني هلال، وشرقي أعراض نجدِ تَبَالَةَ وتَرْجِ وبَيْشَة حتى يصدر عن المصامة، وهي فلاة لا ماء فيها، فمن أراد حضرموت من نجران والجوف جوف همدان ومأرب، فمخرجه العُبْرِ،

منهل فيه آبار، ومن قصدها من بيحان والسَّرْوِ ودُثَيْنَة فمخرجه من بلد مَذْحِجَ ثم خرج أوديـة تصب من بلد مَـذْحِج إلى حضرمـوت، حتى يصل إلى دَهْـرٍ، وهو أول حضرمـوت من ذالك الجانب وهو لكنـدة وساكنه تُجِيب، ثم إلى وادي رُخَيَّـة وفيه قرى منها صمغ وسور بني حارثة). انتهى

والصَّيْهَد: القـاع المطمئن يصهد فيه الحـر ويَصْخَد، وقد تَـوَسَّع الهمدَاني في وصف صَيْهَــد فـادخل أراضي واسعــة ليست داخل حــدودهـا ممـا دفـع أحـد المعاصريـن وهو الأستاذ محمد عبدالقـادر بامطرف بأن يستدرك عليـه، انظر عن ذالك مجلة «العرب» - س ٣٣، ص ٦١ - ومـا بعدهـا، وصَيْهَدُ الآن داخلـةٌ في مُسَمَّى (الرَّبع الخالي) الواقع شَرْق نجران المتصل في الجنوب ببلاد حضرموت.

طَاسَى: (طَاشَى)

قـال البكري في «معجم مـا استعجم» في رسم (الأشعـر): (ومن أودية الأشعـر طَاسَى، وهـو يصبُّ على الصفراء، وهي لبني عبـدالجبارِ الكليبيين، وهم يـزعمون أن لهم دعوة من رسـول الله ﷺ في أموالهـم، ومن أوديته عَبَاثِـرُ، وهو لبني عثم، من جهينة، وفيه يقول الخارجي:

خَلِيْلَيَّ دُلَّانِـي عَبَــاثِــرَ إنهــا ... يَمُـرُّ علـى قَيْسِ بن سَعْـدٍ طـريقُهَـا
هَـدَتنـا لهـا مشبـوبـة يُهْتَــدَى بِهَـا ... يُضِيءُ ذُرَا ذاتِ العُظُـوم حـريقُهَـا

يعني قيس بن سَعْد بن زَيْد الأنصاري).

وقال أيضًا: (وقد تقدم في رسم الأشعر: طَـاسَى موضع آخر، وهو وادٍ من أودية الأَشْعَر). انتهى.

وَصَواب طَاسى (طَاشَى) بالشين المعجمـة الممدودة بالألف المقصورة، وهو واد لا يزال معـروفًا فيه سكـان وزروع ونخيل، قال عنـه الهجري - ١٣١٩ -: (ومن أودية الأَشْعَر طـاشَى وهو يصبُّ على الصَّفْرَاء). ثم أورد نصَّ ما سـاقه البكري في «معجمه»، ونص كلام منقول عن الهجري ولكنه لم ينسبه إليه.

وجبل الأَشْعر يسمى الآن (جَبَل الْفِقْرَة) وَطَاشَـا من أوديته التي تتجه إلى الغَوْر، ولا يـزال معروفًـا وفيـه سكان وزرع ونخيل، (ويقـع بقرب خط الطـول: ٥٤َ / ٣٨ْ وخط العرض: ٠٢َ / ٢٤ْ). على ما ذكر الأستاذ الدكتور أسعد عبده، وأشار إلى أن اسمهُ ورد في الخريطة (تَشْحَة).

طِلْخام: (طِلْحَام)

قـال ياقـوت في «معجم البلدان»: (طِلْخَـام: بكسر أولـه وسكون ثـانيه، وخـاء معجمة، وهو في الأصل الفِيْلُ الأُنْثَى، وَرُبَّمَا روي بالحاء المهملة، قال لَبِيد:

فَصُـــــوَائِقٌ إِنْ أَيْمنَتْ فمظِنَّـــــةٌ مِنْهَـا وحَـافُ القَهْـرِ أو طِلْخَـامُهَـا).

وقد سبـق لياقـوت أن أورد الاسم بالصيغـة الصحيحة قـائلًا ما نصـه: (طِلْحَام بالحـاء المهملة قال ابن المعلَّى الأزدي: طِلْحَـامُ بَالْحَـاء المهملة، لا تلتفتنَّ إلى الخاء المعجمة فليست بشيءٍ، قاله زيد في قول ابن مقبل:

بَيْضِ الأُنُـوْقِ بِـزَغْمٍ دُوْنَ مَسْكَنِهَـا وَبِـالأَبَـارِقِ مِنْ طِلْحَـامَ مَـرْكُـومُ)

وكذا فعل قبلـه البكري الـذي قال: (طِلْحَـام بكسر أوله بـالحاء المهملـة وقال الخليل هو بالخاء المعجمة: أرض، وقيل اسم وادٍ، قال ابن مُقْبل) ثم أورد البيت.

وأضاف: (قال أبو حاتم: لم يصرفه لأنه اسم لشيء مؤنث ولوكان اسم وادٍ لَانْصَرف، وقال ابن مقبل أيضًا:

فَقَـال أَرَاهَـا بيـن تِبْـرَاكَ مَـوْهِنًـا وَطِلْحَام إذْ علم البلاد هَدَانِي). انتهى

وكذالك يسمى الوادي الذي تحـدثت عنه بتوسع في مجلة «العرب» – س ٢٨، ص ٨ – فعددته من أشهر الأودية التي تمتد فروعها من السراة، وقلت بعد أن أوردت قول لبيد: (وتمتـد فروع طلحام من قرب خط الطـول: ٤٤ْ وينتهي الوادي بقرب خط الطول: ٤٥ْ، وبقـرب خط العرض: ٤٠َ / ١٨ْ حيـث يجتمع بوادي أديمـة ويتجهان شرقًا بعد انقطـاع الجبال إلى الأرض البراح المتاخمة لرمال الـدهناء. وجاء في أحد التقارير الرسمية عن وادي يَدَمة وهـو وادي طِلْحَام ما نصه: يمتدُّ الوادي بطول دائرة عـرض ٤٥َ / ١٨ْ من الشـرق إلى الغـرب وينساب بـاتجـاه الشـرق ويختفي داخل

تكوين الوجيد، حيث يقوم بتغذية الطبقـة الحاملة للمياه، هذا مع العلم بأن حوض وادي يَدَمـة يغطي مساحة ٤٧٥ , ٦ كيلًا مـربعًا، ويقع بمنطقة قليلة الأمطـار، ولهذا السبب فإن إمكانيـات تنمية المياه الجوفيـة به ضعيفة، وحقيقة الأمـر أنه في جميع مساحة الوادي يقوم البَدْوُ باستخدام الآبار من أجل شرب حيواناتهم فقط) انتهى.

وقد حُرِّف الاسم فكتب في إحدى الخرائط (تِلْهِم).

طَيْح: (طَيْخ)

قال البكـري في «معجم ما استعجم»: (طَيْح - بفتح أولـه وإسكان ثانيـه بعده حاءٌ مهملة -: موضع مذكور في رسم (فَيْفَا خُرَيْم) فانظره هناك).

وقال في رسم فَيْفـا: (وَيَنْبُع منِ الحَوْرَاءِ قَرِيْبٌ مـن طَيْحٍ، وطَيْحُ من أَسَافِلِ ذِي الْمَرْوَةَ، وذُو المَرْوَة: بين ذِي خُشُبٍ وَوَادِي القُرَى) انتهى.

وقال يـاقوت في «معجم البلدان»: (طَيْخٌ - بِالْفَتحِ: مـوضع بأسفل ذِي المَرْوَةَ، وَذُو المَرْوة: بين ذي خشُب ووادي القُرَى، قال كُثَيِّرٌ:

فـوالله مـا أَدْرِي أَطَيْخًـا تَـوَاعـدُوا ... لِتَمٍّ ظَمٍ أم مَـاءَ حَيْدَةَ أوردوا) انتهى.

وكـذا ورد الاسم في كتب اللغـة كـــ «اللسـان» و «تـاج العـروس» ورد بـالخـاء المعجمـة. وَحيْـدَةُ عند يـاقـوت في رسم الحَـاءِ وفي هـذا الموضع وردت بـالحـاء المهملـة، وكـذا وردت في مطبـوعـة «ديـوان كُثَيِّـر» ولكنهـا وردت في «معجم مـا استعجم» بـالجيم وهـو الصـواب (جيـدة) فهي مـوضع لا يـزال معـروفًـا في تلك الناحية، وهي قرية كانت مقرًّا لأحد شيـوخ قبيلة بَلِيٍّ المعروف باسم (مَنْقَرَة) لها ذكر في الأخبـار والأشعـار الحـديثـة تَقَع شَرْق بَلْـدَة الـوَجْـهِ غـربيَّ سَهْل المَطْـران في المنتصف بين المَوْضِعَيْن (بقرب خط الطول: ٢٦ً / ٣٧ْ وخط العرض: ٠٩ً / ٢٦ْ).

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

الحواشي:

(١) من ص ٤٨٣ إلى ٤٩٥ -.

(٢) - ص ٤٨٢ -.

إسهام المملكة في نشر التراث وتحقيقه

(٢)

المؤسسات العلمية ونشر التراث:

أولاً: الجامعات السعودية:

أ- جامعة الملك سعود: كانت (كلية الشريعة) بمكة المكرمة التي أنشئت سنة ١٣٦٩هـ أول كلية للتعليم العالي في المملكة. غير أن الأسس المنهجية الحديثة للتعليم الجامعي لم تعرف إلا بإنشاء جامعة الملك سعود سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م فكان ذالك إيذانًا بانطلاقة التعليم العالي والبحث العلمي إلى آفاق متطورة سواء في المنهج أو في التناول.

وكانت بعثات جامعة الملك سعود الأولى إلى المراكز العلمية الجامعية خارج المملكة نوافذ فتحتها الجامعة للبلاد على العلم الحديث، وعلى ما يجري في دنيا البحث العلمي في مراكزه العلمية.. وعندما عادت كوكبة من أساتذة هذه الجامعة من الخارج عرفت الجامعة ضروبًا من التحديث الجامعي لم تكن معروفة في دنيا التعليم العالي بالمملكة، ومن ذالك تحقيق التراث على أسس علمية، وإنشاء المجلات العلمية، وتكوين الجمعيات المتخصصة والمتاحف التي تعني بالتراث القديم، وإنشاء المكتبات العلمية المتطورة ومنها مكتبات حفظ المخطوطات.

ولعل أول كتاب من كتب التراث ينشر لأستاذ من أساتذة الجامعات السعودية هو كتاب «الإيضاح العضدي» للدكتور حسن شاذلي فرهود وذالك سنة ١٣٨٦هـ الذي كان يمثل أطروحته للدكتوراه وقد حصل عليها من جامعة لندن، وقد طبعه على حسابه في القاهرة، وأعقبه نشر كتاب «الأمثال» لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي الذي نشر لأول مرة في «مجلة كليةالآداب» بجامعة الرياض في عددها الأول سنة ١٣٦٠هـ/ ١٩٧٠م بتحقيق أحمد بن محمد الضبيب وهو أول كتاب

تراثي - فيما نعلم - يصدر عن جامعة سعودية. ثم أفرد بالنشر في العام نفسه. وعلى الرغم من هذه الريادة لجامعة الملك سعود إلا أنها لم تواصل نشر كتب التراث على نطاق واسع، ولذالك لم تظهر في مطبوعاتها أعداد ملحوظة من المطبوعات التراثية لقلة المختصين في التراث، ولكون الجامعة تهتم كثيرًا بدراسات العلوم الحديثة والتقنية. فقد أصدر أساتذتها مجموعات كبيرة من المؤلفات في الفيزياء والكيمياء والرياضيات، وعلوم الأرض، والأحياء والنبات والحيوان، والعلوم الطبية والصيدلة والعلوم الهندسية والتطبيقية والعلوم الزراعية والأغذية والفنون والعمارة وغيرها. هذا إلى جانب أن كثيرًا من أساتذة الجامعة العاملين في مجال التراث فضلوا نشر نتاجهم في مجلة كلية الآداب في صورة تحقيق لرسائل صغيرة تفيد في الترقية بالدرجة الأولى. وسوف نتطرق إلى ذالك عند الحديث عن المجلات العلمية.

والناظر في دليل مطبوعات الجامعة الصادر سنة ١٤١٧هـ يجده لا يحتفظ برصيد كبير في هذا المجال فليس فيه إلا سبعة كتب مفردة نشرتها الجامعة هي حسب التسلسل التاريخي:

١ - كتاب «التمييز» للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) حققه وقدم له وعلق عليه محمد مصطفى الأعظمي سنة ١٣٩٥هـ.

٢ - «ترسل ابن قلاقس الإسكندري»، تحقيق عبدالعزيز بن ناصر المانع سنة ١٤٠٠هـ.

٣ - «التكملة» وهي الجزء الثاني من «الإيضاح العضدي»، لأبي علي الحسن ابن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ) تحقيق حسن شاذلي فرهود سنة ١٤٠١هـ.

٤ - «الإعراب عن قواعد الإعراب»، لابن هشام الأنصاري (ت ٣٦١هـ) تحقيق علي فودة نيل سنة ١٤٠١هـ.

٥ - «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة»، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ سنة ١٤٠٣هـ.

٦- «الزهر الباسم والعرف الناسم في مديح الأجل أبي القاسم»، لابن قلاقس الإسكندري، تحقيق عبدالعزيز بن ناصر المانع سنة ١٤٠٤هـ.

٧- «شعر ضبّة وأخبارها في الجاهلية والإسلام»، جمع حسن عيسى أبو ياسين سنة ١٤١٦هـ.

ب- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: وحسب التسلسل التاريخي في نشر كتب التراث المحققة تحقيقًا علميًا تأتي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (وكانت نواتها الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية) تالية لجامعة الملك سعود. وذالك بنشر كتاب مكي بن أبي طالب القيسي «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» سنة ١٣٩٦هـ بتحقيق أحمد حسن فرحات[١].

وقد تعددت جهات النشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فتارة تكون كلية الشريعة التي نشرت بعض كتب الإمام ابن تيمية كـ «الرسالة التدميرية» سنة ١٣٩٦هـ وبعض مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتارة كلية أصول الدين التي نشرت كتاب «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية بتحقيق محمد رشاد سالم سنة ١٣٩٩هـ، وكتاب «الاستقامة» له سنة ١٤٠٣هـ و «منهاج السنة النبوية» له سنة ١٤٠٨هـ، أو المجلس العلمي الذي نشر سنة ١٣٩٩هـ كتاب «المحصول في علم أصول الفقه» للفخر الرازي بتحقيق طه جابر فياض، و«الإبانة عن أصول الديانة» للإمام أبي الحسن الأشعري سنة ١٤٠٠هـ، و«تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين» وغيرهم لأبي مسعر التنوخي بتحقيق عبدالفتاح الحلو سنة ١٤٠١هـ و «حماسة أبي تمام» تحقيق عبدالله عبد الرحيم عسيلان سنة ١٤٠١هـ وغيرها.

وعندما أنشئت عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أوكل إليها نشر بعض كتب التراث واهتمت بالرسائل الجامعية، خاصة ما يتعلق منها بالنحو، فأصدرت سنة ١٤١١هـ «شرح اللمع» للأصفهاني تحقيق

إبراهيم محمد أبو عباة، و «شرح الحدود النحوية» سنة ١٤١١هـ تحقيق صالح العائد، و «شرح الرضى لكافية ابن الحاجب» تحقيق حسن الحفظي سنة ١٤١٤هـ. كما أصدرت «فهارس معجم الأماكن» الواردة في المعلقات العشر لعلي حسين البواب سنة ١٤١٣هـ.

والملاحظ أن نشر التراث في جامعة الإمام قد طرق مجالات مختلفة وإن كانت الكتب المتعلقة بالعقيدة قد أخذت النصيب الأوفر مما نشرته الجامعة (١٤ كتابًا) يليها الأدب (٨ كتب) ثم النحو (٥ كتب) ثم أصول الفقه، اعتمادًا على ماجاء في دليل مطبوعات الجامعة حتى نهاية سنة ١٤١٤هـ ونحسب أنه لم يظهر دليل بعده.

غير أن الجامعة لم تقتصر على مانشرته من كتب في تشجيع حركة إحياء التراث بل عضدت بعض كتب التراث بالشراء والتوزيع، مثل كتاب «طبقات ابن سعد»، و«سير أعلام النبلاء» و«طبقات الشعراء» لابن سلام، و «المغني» في الفقه لابن قدامة وغيرها من الكتب، إلى جانب ما أحدثته الجامعة من رواج عام في سوق الكتاب التراثي بفعل فتح الباب للدراسات العليا فيها بتوسع، واعتماد كثير من الباحثين والطلاب على كتب التراث، مما أدى إلى ازدهار نشر الكتاب التراثي. شأنها في ذالك شأن الجامعتين السعوديتين الأخريين جامعة أم القرى والجامعة الإسلامية، على ما سنتطرق إليه لاحقًا في الفصل الخاص بالدراسات العليا.

ج- جامعة أم القرى: في عام ١٣٩٦هـ أنشئ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، وهو أول مركز علمي يعنى بتحقيق التراث في المملكة، وكان تابعًا لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، وقد كانت آنذاك مرتبطة بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ثم تحول الفرع بعد ذالك إلى (جامعة أم القرى) وأخيرًا تغير اسم المركز إلى مركز (إحياء التراث الإسلامي) وضم إلى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) بجامعة أم القرى منذ عام ١٤٠٦هـ،

وهو أول مركز علمي يعنى بتحقيق التراث ونشره في المملكة وقد جاء من أهداف هذا المركز المتعلقة بإحياء التراث عند إنشائه ما يأتي:

١ - جمع التراث الإسلامي المخطوط على ميكروفيلم.

٢- تيسيره للباحثين كي يطلعوا عليه.

٣- اختيار أهم المخطوطات في الحقول المختلفة للتحقيق.

٤- التعاون مع العاملين في تحقيق التراث في العالم الإسلامي في تبني إنتاجهم ونشره.

٥- التعاون مع المراكز والمؤسسات المماثلة في نشر الموسوعات وتحقيق التراث.

٦- إعداد الكفاءات الناشئة، وتدريبها تدريبًا يمكنها من تحمل المسؤولية بإعداد دورات لهذا الغرض.

٧- إتاحة الفرصة للأساتذة الذين يتفرغون للبحث العلمي أو التحقيق من جامعة الملك عبدالعزيز أو الجامعات الأخرى[٢].

كانت أهداف المركز كبيرة، وقد حقق معظم هذه الأهداف بنجاح، فكون مكتبة للمصورات هي الأولى من نوعها في المملكة، وحسب إحصاء أخير يحتفظ هذا المركز بأكثر من ١٦٠٠٠ مخطوطة مصورة[٣]، كما قام في بداية أعماله بانتقاء الأعمال التي تدخل ضمن أهدافه ونشرها، وإن لم تكن من نتاج المركز. فكانت باكورة أعماله رسالة دكتوراه قدمت لجامعة الأزهر سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م في علوم الحديث بعنوان «يحيى بن معين وكتاب التاريخ» للدكتور أحمد محمد نور سيف نشرها المركز سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) ويضم دليل معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي الصادر سنة ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) (٦٩) إصدارًا كثيرًا، منها طبع وقليل منها تحت الطبع، ولقد غطت إصدارات المركز مساحة كبيرة نسبيًا من دنيا التراث العربي القديم في علومه المختلفة،

كعلوم القرآن التي صدر منها كتاب «القراءات السبع» لابن الباذش الأنصاري (ت ٥٤٠هـ)، وكتب الحديث التي صدر منها أربعة كتب مهمّة هي «غريب الحديث» للخطابي (ت٩٨٨هـ) و «غريب الحديث» للحربي (ت٢٨٥هـ) و «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» لأبي موسى المديني (ت٥٨١هـ) و «منال الطالب في شرح طوال الغرائب» لمجد الدين ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، وكتب أصول الفقه التي صدر منها «بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب» لشمس الدين محمود بن عبدالرحمن الأصفهاني (ت ٧٤٩هـ)، و«التمهيد في أصول الفقه» لمحفوظ بن أحمد الكلوذاني (ت ٥١٠هـ)، و «شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير» لمحمد بن أحمد الفتوحي، المعروف بابن النجار (ت٩٧٢هـ)، و «المغني في أصول الفقه» لجلال الدين عمر بن محمد الخبازي (ت ٥٩١هـ) و «المختصر في أصول الفقه» على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعلي بن محمد البعلي الحنبلي المعروف بابن اللحام (ت ٨١٣هـ).

أما في اللغة والنحو فقد نشر المركز عددًا لا يستهان به من المؤلفات مثل «المساعد على تسهيل الفوائد» لابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) و «التبصرة والتذكرة» لعبدالله الصيمري (ق ٤)، وكتاب «المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم» لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) و «المنتخب من غريب كلام العرب»، لكراع النمل (ت ٣١٠هـ) و «شرح الكافية الشافية» لابن مالك (ت٧٦٩هـ) و «إكمال الأعلام بتثليث الكلام» له، و «الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة» له و «الإرشاد إلى علم الأعراب» للكيشي (ت ٦٩٥ هـ) و«شرح فصيح ثعلب» المنسوب للزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

وأولى المركز تواريخ مكة وكتب التراجم عناية خاصة، واهتم بما ألف منها في عصر المماليك، مثل «الدليل الشافي على المنهل الصافي» لابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) و «الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين» لابن دقماق (ت ٨٠٩هـ)، و «إتحاف الورى بأخبار أم القرى» للنجم ابن فهد (ت٨٨٥هـ)، و«غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام» لعز الدين بن فهد (ت ٩٢٢هـ).

وفي الأدب نشـر المركـز «كتـاب الأمثـال» لأبي عبيـد القـاسم بـن سـلام (ت ٢٢٤هـ) و «تفسيـر أبيات المعاني من شعـر أبي الطيب المتنبي» لسليمان بن علي المعري (ق ٥).

د- الجامعة الإسلامية: أنشئت الجامعـة الإسلامية سنـة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) وكان إنشاؤها في المدينة المنورة باعثًا على حركة علمية نشطة، تدور حول التراث وتستمد منه، فإلى جـانب ماكان أساتذتها - وبعضهم من جلـة العلماء - يدفعون بـه من مؤلفـات، فإن الحركـة العلمية التي أحـدثتها الجـامعة جعلت المكتبـات التجارية في منطقـة المدينة تنشط لتلبية احتياجات الأساتـذة والطلاب، وكان من أثـر ذالك أن ازدادت المكتبـات التجـاريـة التي تتعـاطى كتب التـراث، وكـانت المـدينـة في السـابق مقتصرة في هـذا الشأن على أشهـر مكتبتين وهمـا المكتبـة السلفيـة لصاحبهـا محمد بن عبـدالمحسن اليمـاني والمكتبة العلميـة لصاحبهـا محمد النمنكاني، وكانتـا تلبيان حاجة الباحثين من علماء الحـرم النبوي الشريف وطـلابه، وتتـوليان طبع بعض كتب التـراث ونشرهـا. وبعد إنشـاء الجامعـة زادت المكتبات كما زاد نشر الكتب التراثية وتصويرها.

وفي سنـة ١٣٩٩/ ١٤٠٠هـ أنشئ في الجـامعـة الإسلاميـة المجلس العلمي (فرع إحياء التراث الإسلامي) وكان من أهدافه:

١- إحصاء البحوث والتحقيقات التي يقوم بها أعضاء هيئة التدريس بالجامعة.

٢- اختيار المناسب من هذه البحوث بغرض تعضيدها ونشرها من قبل الجامعة.

٣- وضع لائحـة لتعضيد التحقيق والتأليف والتـرجمـة عن طريق نشـر الكتب ومكافأة أصحابها.

وأنشئ مـركـز للبحث العلمي ملحق بـالمجلس العلمي، ضم إليـه عـدد من البـاحثين الذين عهـد إليهم بتحقيق بعض الكتب، وقـد أشـار المركـز إلى أن أول مشاريعه التي أسندت إلى أولئك الباحثيـن تحقيق كتاب «إتحاف المهرة بأطراف

العشـرة» للحافظ ابن حجـر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) وهو كتـاب ضخم يقع في حدود ألفي ورقة[٤].

ولقد تعددت المراكـز التي تقوم بطباعة الكتب ونشرها في الجـامعة الإسلامية، فإلى جانب مركـز البحث العلمي نجد (مركز شؤون الدعـوة)، وقد نشر جملة من الكتب التراثية، ويبدو أنه اهتم بالكتب المـدرسية، إذ لم نجد فيما اطلعنا عليه من مطبوعاتـه ما يتفق وقواعد التحقيق المعروفة، وإنمـا تنشر الكتب على شكل متون يستعملهـا الطلاب في الجـامعة، أو تـوزع على العامـة خارجهـا. مثل إعادة نشـر كتاب «الحيدة» للإمام عبدالعزيـز بن يحيى الكناني (ت ٢٤٠ هـ) وكتاب «الإبانة عن أصول الـديانـة» للإمـام أبي الحسن الأشعري الـذي قدم له الشيـخ حماد بن محمد الأنصاري سنة ١٤٠٩هـ.

ومركز ثالث أنشئ في الجامعة الإسلامية مـؤخرًا هو (مركز خدمة السنة والسيرة النبـوية)، الـذي نظن أنـه خلف مركـز البحث العلمي السـابق كي يتخصص في بحوث الحـديث النبـوي والسيرة، وكان بـاكورة إنتـاجه كتـاب «بغية البـاحث عن زوائد مسند الحـارث»[٥] تأليف الحـافظ علي بن سليمـان بن أبي بكـر الهيثمي الشافعي (ت ٨٠٧هـ) سنة ١٤١٣هـ بتحقيق حسين أحمـد صالح الباكـري سنة ١٤١٣هـ، وكـانت في الأساس رسالـة للدكتوراه قـدمها الباحث إلى شعبـة السنة بقسم الدراسـات العليا بـالجامعة الإسـلامية سنة ١٤٠٥هـ، كما صـدر عن هذا المركـز كتاب «الأحـاديث الـواردة في فضائل المـدينة»، جمعًـا ودراسة للـدكتور صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي سنة ١٤١٣هـ.

أن معظم ما أصدرته هذه الجامعـة يختص بتراث الحديث النبوي دراية ورواية وهو ما يتطرق إليه فصل خاص في هذا البحث.

ثانيًا:: المراكز العلمية:

إلى جانب ما أنشئ في بعض الجـامعات من مراكز علمية تهتم بـالتراث، فقد

تأسس خارج الجامعات مركزان تمثل خدمة التراث الوطني والعربي والإسلامي جل اهتماماتها وهما:

أ- دارةالملك عبدالعزيز: أنشئت دارة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٩٢هـ وصدر المرسوم الملكي بالموافقة على نظامها في ٥/ ٨/ ١٣٩٢هـ وكان الغرض من إنشائها كما جاء في ذالك النظام (خدمة تاريخ المملكة وجغرافيتها وآدابها، وآثارها الفكرية والعمرانية خاصة، والجزيرة العربية، وبلاد العرب والإسلام عامة) كما أن من وسائلها لتنفيذ ذالك: (تحقيق الكتب التي تخدم تاريخ المملكة، وجغرافيتها، وآدابها وآثارها العمرانية، وطبعها وترجمتها بشكل خاص، وتاريخ الجزيرة العربية والبلاد العربية والإسلام بشكل عام)(٦).

ولقد اهتمت الدارة بما أنيط بها من موضوعات، فأصدرت بعض كتب التاريخ المتعلقة بالمملكة العربية السعودية ولعلَّ أهم ما طبعته في هذا المجال ما يأتي:

١- كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» سنة ١٤٠٢هـ، محققًا بقلم عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ وهو إعادة لطبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩٤هـ، ولا تتميز عنها إلا بالتنظيم والترتيب والورق الصقيل، وإمداد الكتاب بفهارس مفصلة.

٢- كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب» لمؤلف مجهول، ربما كان اسمه حسن بن جمال أحمد الريكي، صدر سنة ١٣٩٥هـ. وقد سبق أن نشر هذا الكتاب في لبنان سنة ١٩٦٧م بتحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة، ولكن طبعة الدارة هدفت إلى تبيين الأخطاء التي حفل بها الكتاب، لأن المؤلف كان متحيِّزًا ضد الدعوة السلفية، وقد وكل إلى الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ وضع التنبيهات على مواضع كثيرة في الكتاب.

٣- كتاب «كيف كان ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب» لمؤلف مجهول، بتحقيق عبدالله الصالح العثيمين، عن مخطوطة وحيدة في المكتبة الأهلية بباريس رقم ٦٠٦١.

ذالك أهم ما أنتجته الدارة فيما يتعلق بتحقيق التراث. ويعجب المتابع من عدم قيام الدارة بتحقيق أقدم تواريخ الدولة السعودية وأقربها إلى انبثاقها، وهو كتاب «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» لمؤلفه الشيخ حسين بن غنَّام، خاصة والكتاب في حالته الراهنة غير مستفاد منه بالطريقة المثلى، وكان على الدارة أن تحاول إخراج نسخة علمية محققة موثقة تعتمد على النسخ - إن وجدت - وتوازن بين الروايات وتكمل النقص البادي في النسخة التي بين أيدينا، وتصنع الفهارس الضرورية.

غير أن مما يحمد للدارة أن اهتمت بجلب الوثائق التاريخية عن المملكة وحفظها وخاصة بعد أن أوكلت إليها مهام (المركز الوطني للوثائق والمخطوطات) ومن مهامه:

١- جمع الوثائق التاريخية وحفظها سواء كانت حكومية أو غير حكومية وكذالك حفظ التسجيلات الصوتية للذين عاصروا الملك عبدالعزيز.

٢- الإشراف على تنظيم الوثائق وتصنيفها وفهرستها.

٣- تيسير الاطلاع على هذه الوثائق ونشرها، والاستعانة بجميع الوسائل العلمية في هذا السبيل، والإسهام في تنشيط حركة البحث التاريخي ونشر المعرفة التاريخية فيما يتعلق بتاريخ المملكة.

٤- جمع أكبر عدد ممكن من المخطوطات من داخل المملكة وخارجها، وإصدار الفهارس اللازمة لها.

وقد ضم المركز وثائق تركية قدرت بخمسة آلاف وثيقة بين سنتي (١٧٤٦م) وحتى بداية العقد الثاني من القرن العشرين، كما ضم وثائق إنجليزية تدور بين عامي (١٩٠٤م) إلى (١٩٣٨م) بعضها صدر عن وزارة الخارجية البريطانية، وبعضها من مكتب الهند بلندن، وبعضها من وثائق جامعة كمبردج، كما حصلت الدارة أيضًا على وثائق إنجليزية محفوظة في السودان ولم تنقل إلى بريطانيا، هذا

إلى جانب بعض الوثائق العربية من العراق والوثائق الوطنية لدى الأفراد والمؤسسات وغير ذالك(٧).

وقد ترجمت الدارة بعض هذه الوثائق ونشرتها، وذالك إسهام يميِّزها عن غيرها من مراكز العناية بالتراث في المملكة(٨).

ب- مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية: أنشئ مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية سنة ١٤٠٣هـ ضمن منظومة مؤسسة الملك فيصل الخيرية. واهتم بشكل خاص بإنشاء قواعد المعلومات المتخصصة وكثير منها ذو علاقة بالتراث مثل: قاعدة المعلومات للمخطوطات العربية، قاعدة معلومات الببليوجرافيا عن المخطوطات المحققة والمنشورة، قاعدة المعلومات الببليوجرافية عن الرسائل الجامعية.

وقد أصدر المركز منذ إنشائه عددًا من الأعمال العلمية التي ألفها أسلافنا القدماء مثل كتاب «الأموال» لابن زنجويه (ت ٢٥١هـ) حققه شاكر فياض، وهو من الكتب التي تهتم بالاقتصاد الإسلامي إبَّان سيادة الحضارة الإسلامية، ونشر المركز كتاب «إشارة التعيين في تراجم النحويين واللغويين» لعبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني (ت ٧٢٣هـ) حققه عبدالمجيد دياب وهو من كتب القرن الثامن الهجري.

ومما سبق به هذاالمركز غيره من المراكز نشره لبعض كتب الطب القديمة المتعلقة بالكحالة (طب العيون) ككتاب «كشف الرين في أحوال العين» لمحمد ابن إبراهيم السنجاري المعروف بابن الأكفاني (ت ٧٤٩هـ)، وكتاب «نور العيون وجامع الفنون» لصلاح الدين بن يوسف الكحال الحموي (ت ٦٩٦هـ) وكلاهما بتحقيق محمد ظافر الوفائي ومحمد رواس قلعه جي سنة ١٤٠٧هـ.

وآخر ما نشره المركز من كتب التراث كتاب «طبقات القراء» للإمام شمس الدين الذهبي بتحقيق أحمد خان، وهي طبعة جديدة لكتاب الإمام الذهبي

المطبوع سابقًا بعنوان «معرفة القـراء الكبار»، وتمتاز هذه الطبعة بأنها تمثل الصيغة الأخيرة للكتاب كمـا وضعها مؤلفه، وقد زادت التراجم فيهـا بما يفوق الضعف عن الطبعة السابقة.

(للبحث صلة)

د. أحمد بن محمد الضبيب

الحواشي:

(١)لم يسبق ذالك، حسب علمنا، إلا نشر بعض أعمـال طلاب السنة الرابعة في مـادة الأدب، في مشروع أشرف عليه الدكتور عبدالـرحمن رأفت الباشا، يهدف إلى جمع شعر الدعوة الإسلاميـة وأطلق عليه اسم «موسوعة الدعـوة الإسلاميـة» وهذه المـؤلفات وإن كـانت تمثل جمعًا لبعـض نصوص التراث، إلا أنهـا، وقد كـانت أعمالًا طلابية سريعة - تفتقر إلى النضج العلمي.

(٢) «مجلة البحـث العلمي والتراث الإسلامـي» مكة المكرمـة، كلية الشـريعة والـدراسات الإسـلامية بجـامعة الملك عبدالعزيز، سنة ١٣٩٨هـ، ع ١، ص ٢٨١.

(٣) بافقيه، علي علوي، «مجموعات المخطوطات بالجـامعات السعودية»، القاهرة، «مجلة معهد المخطوطات العربية» مج ٤١، ج ١، محرم ١٤١٨هـ/ مايو ١٩٩٧م، ص ٣١٦.

(٤) جميع المعلومات الواردة عن هذا المركز مستقاة بتصرف قليل من تصدير للدكتور أكرم ضياء العمري رئيس المجلس العلمي لكتاب ابن مندة «كتاب الإيمان» ص.ب - ج، وفيمـا يخص كتاب «إتحاف المهرة» انظر الهامش التالي.

(٥) جاء على غلاف هـذا الكتاب أنه رقم ٢ في سلسلة مطبوعات المـركز، ولكن مدير الجامعة الـدكتور عبدالله الصالح العبيـد أشار في مقـدمته (ص ٢) إلى أنـه (الكتاب الأول الذي قـدمه المـركز للنشـر مع أن جهود المركز قد سبقتـه إلى كتب أخرى من أبرزها «إتحاف المهرة بالفوائد المبتكـرة، من أطراف العشرة» للحافظ ابن حجر العسقلاني، الذي تم تحقيـق معظم أجزائه إلا أن ضخامةالكتاب قد أخرت ظهـوره). وأشار مدير الجامعة نفسه في مقدمته لكتاب آخر هو «الأحاديث الواردة في فضـائل المدينة»، ط ١، الجامعة الإسلامية، مركز خدمة السنة والسيرة النبويـة سنة ١٤١٣هـ، ص ٦) إلى (أن الأجزاء الأولى من كتاب «إتحاف المهرة» قد دفعت للطبع، وأنه يقع في عشرين مجلدًا).

(٦) دارة الملك عبدالعزيز، دليل الدارة، الرياض، مط. الفرزدق التجارية سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م ص ص ١٢ - ١٢.

(٧) المرجع السابق، ص ص ٤٨ - ٥٢.

(٨) يوسف، أحمد كمال، «كشاف الدارة لخمسة عشرة عامًـا من السنة الأولى للسنة الخامسة عشرة»، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، بلا تاريخ، ص ص ١٢٢ - ١٢٣.

جولة في كتاب «الدلائل»

(١)

التشبُّث بالجد: وأريد به قد يكون هذا (التشبُّث) من صفات الجادّين الساعين إلـــى المعرفة والتزوّد بها إن كان لديهم طاقة في الوصول إلى ما يبتغون. غير أني وجدت أن بين هـاؤلاء المتشبثين نفرًا لم يدرك أنـه لا يطيق أن يصل إلى مايـريد. وكأنّ هذا النفر يجهل أنه لا يطيق، ولكنه يسعى، فهل يكون له ما يريد؟!

أقـول هــذا وأنـا أنظـر إلى كتــاب «الـدلائل»[١] للحسن بن بهلـول، وليس (البهلول)، كما أراد محققه الدكتور يوسف حَبي[٢]. وسأعرض للعلم (بهلول) في كلامي على مقدمة المحقق.

إن هذا الكتاب كـان من منشورات (المنظمة العـربية للتربية والثقـافة والعلوم) وكان ينبغـي أن يكون ممـا قد تـوجهوا به إلـى جمهرة القـراء توجُّهًـا حسنًا لينـالوا رضاهم. وذالك أن هاؤلاء يحكمون على أي عمل ثقافي بمقدار ما يجدون فيه من فوائد علمية.

أقول: وإني لآسفُ أشدَّ الأسف على ما أخرجتـه هذه المنظمة العلمية من آثار علمية. لقد كان لي أن اطّلعتُ على «المعجم الأساسي»[٣] الذي اضطلع بتصنيفه وترتيبه، وما يقتضي هذا العمل من تنضيد في الحـاسوب وغيره جمهرة من الرجال قـد تبلغ بهم السبعين. وأنت بعـد أن تقـرأ هذا القـدر الكبيـر من المشـاركين في إخـراج هذا «المعجم» يـذهب بك الظن إلى أنـه عمل فـريْـدٌ وأنه بعض معـادن العلم، وتقول كما قيل:

إذا الحمـل الثقيل تَـــوزَّعَتـــه   أكُـفُّ القـــوم هـــانَ علـى ....

ومـا إن تشرع في قـراءتـه حتى تـدرك مادرج عليـه العـامة فـي أمثالهم: (قِـدْر الشراكة ما يفور). لقد كان لي أن قرأت هذا المعجم - ولا أدعوه «الأساسي» الذي وجدت بيـن أسماء مصنِّفيه أسمـاءً من ذوي العلم. وأسفت أن يشارك هـاؤلاء في

هذا العمل الذي اشتمل على أوهام علمية وغيرهـا. لقد كان لي من هذا جزء يُرْبى على مئة مـن الصفحات، وقد أرسلت مـاكان لي إلى (المنظمـة) ولكني لم أتسلم جوابًا مـن هذه المؤسسة العلمية. وعجبتُ أن يكـون في المعجم تصدير لمـديرها الذي أطرى عمل هذه الجمهرة الذين شاركوا في هذه الصَّنْعة.

ثم كـان لي أن وقفت على كتاب كبيـر هو «المجمل» لأحمـد بن فارس الـذي أخرجتـه (المنظمة) في أجـزاءٍ عدّة. قرأت هـذا المعجم فوجـدت مديـر المنظمة يقـدّمه ويُثني على محقّقـه الذي أسـاء العمل لأنـه لم يكن من أهل هذه الصنعـة العلمية، ولكنه غامَرَ بنفسه مفيدًا من جرأتـه التي صارت سمة هذا العصر. لقد كان لي تصحيحات واستدراكات تجاوزتُ فيها مئتين من الصفحات.

ثم كان لي أن وقفت علـى الكتاب الثالث الـذي وسمه صاحبـه بـــ «الدلائل» ولـم تكن «الدلائل» إلا شيئًـا من مواد الكتاب، وكـأنه غلَّبَ البعض على الكُلّ، أو كأن ذالك من قبيل تسميه الكـلّ بما بُدئَ بـه العمل كما عرفنـاه في كتاب «العين» للخليل بن أحمد، وكتاب «الحماسة» لأبي تمام وغير ذالك.

ولقد أخذت بتصدير الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العـربيـة للتـربية والثقـافـة والعلـوم الـذي جـاء فيـه تعـريفًا لمـا يقـوم بـه معهـد المخطوطات العـربية فقال: (وهاهوذا [أي المعهد] يشـرف على إعداد كتاب من كتب التراث الثقافيـة الموسوعية المهمة، والمتميـز في بابه، فكرةً وتأليفًـا وعرضًا. وهـو كتـاب «الدلائل» الـذي وضعـه العـلامة الحسن بن البهلـول). ثم أضـاف: (والكتـاب يضم دلائل العلوم الطبيعيـة والحيويـة والطبية والهنـدسية والـرياضية والفلكية والعلوم الإنسانية، بما في ذالـك الآداب والتاريخ والجغرافية، ومفهومات النظريـة الفلسفية، وأصول الأفكـار الدينية، السمـاوية منهـا، والوثنية. وفيـه توثيق مقارن لحضارات الشعوب وعـاداتها، وتقاليدها ومعارفهـا، بما في ذالك مواسمها الاجتماعيـة كالأعيـاد وتقويمهـا الزمني وأسمـاء شهورهـا. وقد رصد المـؤلف كل ذالك وفقًا للتقويم العربي...)(٤).

ثم أشار الأستاذ صاحب التصدير إلى قدرة المؤلف في التصنيف وحسن إفادته من المصادر التي نوّه بها، ثم كان منه إشادة بصنعة المحقق الدكتور يوسف حبّي، كما أشاد بجهد معهد المخطوطات الكويتي.

أقول: لا أستطيع أن أنفي أن صاحب التصدير كان على بعض العلم من قراءة عابرة للكتاب، لم يقف فيها على جلّ ما فيه، وعلى عَواره، ولا أدري ما كان للمُراجع للكتاب، وهو الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريدة، وما الذي أضافه أو استدرك به على الكتاب، وهو أستاذ له دُربة في هذه النصوص؟

أقول: لم يكن من شيء لهذا المراجع الأستاذ الجليل، وإني لأشك أن كان منه قراءةٌ جادَّةٌ.

ولو أن شيئًا من هذا كان من صاحب التصدير مدير (المنظمة العربية)، ومن المُراجع أستاذ الفلسفة لكان لأيٍّ منهما أن يُطالبا المحقق، وهو في حماسته العارمة أن يُعرِّف بالمصنف الحسن بن البهلول تعريفًا جيدًا ولا يقتصر على شذرات لا تفي بالحاجة.

إن التعريف بالمصنِّف أو قل ترجمته شيء لا بُدَّ منه في (المقدمة) التي شمَّر فيها الدكتور يوسف حبّي المأخوذ بحماسة تتجاوز الحد للتراث النصراني.

أقول: إنّي لأحمد للأستاذ حبّي هذه الحماسة في نشر التراث النصراني، وإني لأوثره على غيره من أهل الدرس الفلسفي الديني من المسلمين، غير أني لا أعذره أن يبتعد عن هذا الأمر، وهو شيء لا بدّ منه في (تقديمه). إن القارئ القريب من هذه المعرفة الدينية التاريخية يطلب هذا وهو محتاج إليه، فضلًا عن عامة القراء الذين يعنيهم الدرس التاريخي.

أقول: كأنّي بِالمحقق قد بحث في «الأعلام» للزركلي وغيره من مصادر الدرس في تراجم المصنفين فلم يجد ضالته فطوى المسألة وأغفلها، وكأنه لم يعلم أنها مما يجب أن يُذكر، وكأني به لم يهتد إلى صاحبه الحسن بن البهلول في المصادر

النصرانية، ولو أني قريب من خزانتي في (بغداد) التي غادرتها منذ سنين لكان لي أن أبسط بين يدَي أخي الدكتور حبيّ بعض شيء يتصل بالتعريف بالمصنِّف أتجاوزه به إلى (شذراته الموجزة).

وأتجاوز هذه النسخة التي قدمتها بين يدي هذا الدرس فأعرض لـ (تقديم) الدكتور يوسف حبي الذي مهّد به للكتاب فأقول: إن المحقق الفاضل لم يكن من أهل اللغة العربية، ولذالك جاء في تقديمه الكثير من الجديد الذي حفلت به العربية المعاصرة التي لا يمكن أن تكون في تقديم لمادة عتيقة تاريخية نصرانية ومن هذا:

١ - جاء في الصفحة ٩ قوله: (وأنا أُعنى بتاريخ العلوم مركِّزًا على البواكير).

أقول: قول المحقق هذا وهو (مركزًا) عربية جديدة لا تصلح أن تكون في حشو تقديم لمادة عتيقة تاريخية، لأنها مأخوذة من فرنسية قذف بها التراجمة الذين اقتصروا في صنعتهم على ما يُسمَّى (الترجمة الحرفية) وهي من قول الفرنسيين... Concentré Sur أقول: إن (التركيز) في العربية ذات صلة برَكْز الشيء في موضعه كأن يقال رَكَزت العمود أو نحو هذا. ولو استعمل المُعرب في عصرنا هذه العبارة المنقولة في مقالة صحفية تتصل بما يهمنا في السياسة والاقتصاد وغيرها، ماكان لي هذا التنبيه.

٢- وجاء في هذه الصفحة قوله: (وأحصر نطاق بحوثي ضمن مناطق معينة وفترات محددة ومجالات أقرب إلى الحياة، خشية التشتت والسطحية).

أقول: لقد ميّز المحقق بين (النطاق) و (المنطقة) فخصّ كلًّا منهما بدلالة، وفاته أن (النطاق) مثل (المنطقة)، وله عذره فهذه عربية معاصرة تصلح في غير هذا التقديم. ثم إن (الفترات) في هذه العربية الجديدة قد صُرِفت إلى معنى الزمن، وكأنها (الحِقَب)، ولم يكن للفترة هذا المعنى، ذالك أنها تعني (الانقطاع).

وهذا نتبينه في قوله تعالى: ﴿يا أهلَ الكتاب قد جاءكم رسولُنا يُبيِّنُ لكُمْ على فَتْرةٍ من الرسل﴾.

وأقول: و(المجـالات) جمع مجال استعمال جـديد، لابد أن يكـون منقولًا من فرنسية أو إنكليزية، ثم نأتي إلى (السطحية) مصـدرًا صناعيًّا أريد به ماهو Supper Ficiel. ولو أن هذا كلّه في غير هذا (التقديم) ماكان لي أن أثبته في هذا الدرس.

٣- وجـاء في هـذه الصفحـة أيضًـا قـولـه: (فتـرانـي أتنـاول مُعْطَيـات أولى الحضـارت...). أقـول: (المُعطَيـات) جمع (مُعْطَى) اسم المفعـول من الفعل (أعطَى) غيـر أن هـذا الجمع لا صلة لـه بـ (العطـاء)، بل أريـد به لمـا هـو Les Dannées في الفرنسية.

والكلمة فـي الفرنسية ذات دلالـة فلسفية وهي مـا يكن أن يستفاد من الشـيء الذي يعرض لصاحب العلم. وأنت تجد سبيل هذه الكلمة في المعجم الفلسفي بـ La Land.

٣- وأتجاوز هذه الصفحـة إلى قوله: (يطيب لي أن أقدّم اليـوم سفرًا جليلًا بل موسوعة حضارية... بحيث يمكننا التعرف على علوم الأقدمين..).

أقـول: إن وصف هـذا الكتـاب بـ (مـوسـوعـة) شيء فيـه تفـريط بمـا يسمى (موسـوعة)، التي أريد بها (أنسكلـوبيديا)، ذالك أن مـادة الكتاب لا يمكن إلّا أن تصنَّف في الأدب القديـم الذي يختلط فيـه الجدّ بالعبث، غير أننا معنيُّـون به لأنه تراث قديم فيه العلـم وغيره، وسيجد صاحبي القارئ فيما سأبسط من مادة الكتاب أنه بعيد كل البعث أن نتسمّح فيه فندعوه (موسوعة).

لم يكن هذا الكتاب بعيـدًا عن كتاب «الأنواء» لابن قتيبة الذي سرد فيـه طائفة من نظرات تتصل بالعلم القديم من الفلك والتنجيم الذي لا يأنف مما هو موضوع من خرافة أو أسطورة، ولكنه في جملته (تراث)، لابد من احترامه.

ثم أقول: إن كتاب «الأنواء» لابن قتيبة قـد أفاد منه المصنف الحسن بن بهلول وإن لم يذكره بالاسم بل قال: قال ابن قتيبة.

غير أن المحقق لا يعـرف أن لابن قتيبة هـذا الكتاب، ولـو أنه عـرف أو أهتدى إليه وصحح مادة كتابه التي أخذها ابن بهلول من كتاب «الأنواء» مع العلم أن هذا الكتاب من مطبوعات الهند (حيدر آباد - الدكن).

لقد أفاد المحقق من كتاب البيروني في «الآثار الباقية...» وكتابه في «القانون المسعودي».

وقال المحقق في عبارته التي أثبتناها (بحيث يمكننا التعرف على علوم الأقدمين).

أقول: إن الفعل (تعرَّف) مُتعدٍّ، وليس قاصرًا فكان يجب أن يقول أن نتعرف علوم الأقدمين، قال الشاعر القديم:

وقــالـوا تَعَــرَّفْهَا المنــازلَ من مِنًى   ومــا كلُّ مَنْ وافَـى مِنًى أنــا عــارفُ

٤- وجاء في الصفحة ١٠ قوله: (إنه «كتاب الدلائل» لجامعه... ومؤلفه الحسن بن البهلول أنشأه في العقد الرابع من القرن الرابع للهجرة، العاشر للميلاد في مدينة السلام بغداد..).

أقول: كيف اهتدى المحقق إلى التاريخ، وهو قد أغفل كل ما يتّصل بالمؤلف وسيرته، ولم يكن في الكتاب أية إشارة إلى هذا سوى شذرات لا تبرد غلّة ظمآنٍ.

ثم قال: (أنشأه في مدينة السلام بغداد). أقول: إن (مدينة السلام) هي مدينة أبي جعفر المنصور، وقد وسمها بهذا الاسم، وهي كائنة في (بغداد) وهذه أعمّ منها، وهذا معروف للمطلعين على خطط بغداد.

٥- وجاء في هذه الصفحة أيضًا في كلامه على (فؤاد سيزكين) وقال: إنه وعده أن يرسل إليه مخطوط الكتاب ثم أضاف: (كتقدير لما بذلت من عمل في مهرجان أفرام - حنين).

أقول: في قوله: (كتقدير) نجد الكاف التي لا تفيد التشبيه، بل إنها أسلوب فرنسي في قول الفرنسيين COMME، ونظير هذا في الإنكليزية.

٦- وجاء في هذه الصفحة كلام المحقق في طبعة ثانية للكتاب إذا ما توفرت له موجبات الطبع من تصويبات ودراسات.

أقول: أراد بـ (التصويبات) ما يفيد التصحيح للخطإ. وحقيقة (التصويب) الحكم على ماهو صواب وليس تصحيح الخطأ.

٧- وجاء فيها أيضًا قوله: (يكفينا استعراض أبواب سِفْره الشيِّق..).

أقول: إن (الشيّق) هو المشتاق كقول الشاعر:

ما ناح طيرٌ أو ترنّم شاعرٌ ... إلّا انثنيتُ ولي فؤادٌ شيّقُ

وأجتزئ بهذا القدر مما ورد في (التقديم) الذي لا يمكن أن يكون في درس لمادة قديمة تاريخية، ثم أتحوّل إلى كلام المحقق على المصنف الحسن بن البهلول جاء فيه: ثمّة غموض يكتنف حياة الحسن بن البهلول فنحاول جهدنا تبديد شيء منه بالرجوع إلى ما تيسر من مصادر ومراجع أهمها: ثم ذكر جملة مصادر نصرانية للمؤلفين نصارى قدماء ومحدثين، وفيها مصادر بلغات أجنبية.

أقول: ليته خلص من هذه المصادر إلى بسط موجز مفيد عن (سيرة ابن البهلول)، إنه لم يفعل هذا وكان خليقًا به أن يفعله بل هو ما يقتضيه صنعة المحقق ولا سيما إذا كان المصنف لا يعرفه إلّا الخواصّ وهم قليلون، وليست شذراته في هذا الأمر كافية.

إنه استعمل مصطلح (حياة) لما هو (سيرة)، و(الحياة) هذه منقولة عن La Vie أو The Life).

إن (السيرة) هي المصطلح القديم وقد وردت في أسماء الكتب نحو «المغازي والسِّير»، و «سير أعلام النبلاء» وغير هذا.

إن النبذة اليسيرة التي أثبتها المحقق التي لا تتجاوز الثلاثة أسطر في الصفحة الـ(١٥) لم تكن سيرة المؤلف الذي انصرف إليه المحقق بحماسته الزائدة.

ثم أضاف إليها شيئًا لا يفي بحاجة أهل الدرس التاريخي فقال: كان مولعًا في صغره بالتصاوير، ولم نعلم على وجه الحقيقة ما المراد بـ(التصاوير).

وقال أيضًا مما لم يكن مادة سيرة: (ويبدو أنه تعلم في مدارس بغداد، وعلّم فيها، وقد كان له ضلع في انتخاب الجاثليق عبد يشوع الأول... في بغداد عهد ذاك). وليس من مصدر يذكره في هذا اليسير.

أقول: إن هذه الفـوائد التي لا تومئ إلى ماهو خبـر تاريخي موثوق غيـر مؤيّدة بمصادر يرجع إليها الدارس على نحو ما يفعل الدارسون في عصرنا.

ثم أختتم كلامـي فأشير إلى أن المحقق لم يكن لـه من العربية الـوافية مـا يعينه على تحقيق أثرٍ قديم، وسنجد شيئًا كثيرًا من هـذا في تعليقاته وحواشيه التي أثبتها في صفحات الكتاب.

ونأتي إلى الصفحـة (٢١) فأجد المحقق يتحـدث عن أبواب الكتـاب فيقول: (ويتصدر الكتاب عنوانه، أبوابه، ومقدمة بسيطة... مع التأكيد على العنوان..).

أقول: إن وصـف المقدمـة بـ (بسيطـة) جاء ممـا هو Simple، وهذا غير معنى (البسيط) في العربية الذي هو (المبسوط) أي الواسع، ومن هذا كتاب «المبسوط» في إلفقه الحنفي للسرخسي.

وأما قـوله: (التأكيـد على) فصوابه (تأكيـد العنوان)، وأمـا استعمال (على) مع (أكَّد) و (التاكيد) فمن اللغات الأجنبية فرنسية و إنكليزية.

وقال في الصفحـة ٢٢: (فجاء كتـابه موسـوعة تضمّ كل مـاهو ضـروري لحياة أنـاس زمـانـه..) أقـول: ليس لنـا أن نسيء استعمـال الألفـاظ العلميـة ومنهـا (المـوسوعـة) ونحن في مـواد هذا الكتـاب الـذي جمع فوائد تتصل بفهم النـاس للأزمنة وما يتصل بها كما سنرى. وليس الـذي بسطه المؤلف قد تفرّد به، فكثير منه من معـارف النـاس في عيشهم وسلـوكهم، ولا يخلـو هذا من عبـث فيه خـرافـة، ومايقرب مما نُبِزَ في أدبنا القديم بـ (أساطير الأوّلين).

وجاء في الصفحـة ٢٣ في كلام المحقق على تاريخ الكتاب ونسختـه: (لكان مصير هذا الكتاب مصير العديد من المصنفات التي عفاها الزمن).

أقول: والصواب: التي عفا عليها الزمن.

ويقول فـي مخطوطة الكتـاب: (لكنه مشـوش التنقيط). أقول:(المشـوش) من الكلم العامي، وقد أراد بـ (التنقيط) النَّقط.

وجاء في كلامه على مصادر «الدلائل» في الصفحة ٢٦: (وهي تُرجعنا إلى كتب اليونان وما تُرجم منها إلى السريانية والعربية). أقول: والصواب (يرجعنا) والفعل (رَجَع) مُتَعَدٍّ ولازم.

وجاء في الصفحة ٢٩: (لكنها لاشك المصادر الطقسية الكنسية). أقول: إن الحسن بن البهلول كثيرًا ماكان يقول: قالوا وذكروا ونحو هذا وهو يشير إلى العلماء الإغريق. وهو يذكر حنين بن إسحاق ويذكر ابن قتيبة ويذكر أبقراط وجالينوس وديمقراطيس دون أن يشير إلى المصدر الذي أفاد منه.

وقد ذكر المحقق في حواشيه ما كتبه العلماء السريان مما ألّفوه وماترجموه من الإغريقية، ما قرأه في «الآثار الباقية» و «القانون المسعودي» للبيروني، ولم يكن للحسن بن بهلول مثلًا أي إفادةٍ من مصادر يذكرها بأسمائها. وأعود إلى قول المحقق (المصادر الطقسية الكنسية) فأقول: إن (الطقسية) أراد بها المحقق وغيره من الكتبة النصارى ما سمّاه المؤلفون العرب (الرسوم) كما في كتاب «رسوم دار الخلافة» للهلال الصابي والمراد به ما يُدْعى في عصرنا (بروتوكول Protocole) وليس (الطقسية) إلّا (الرسوم) الدينية الخاصة بالنصارى، وهي ما عُرِّب عن (Taxe).

وقد عُرِّب هذا لدى أهل الجغرافية في عصرنا فذهبوا به إلى ما يتصل بـ (النشرة الجوية) وهو (الطقس) وأما (الكنسية) فهي النسبة إلى (الكنيسة).

أقول: إن مادة (كَنَس) مادة ساميّة عرفتها العربية وغيرها من اللغات السامية فقد جاءت في العربية بمعنى الاستقرار واللجوء في مكانٍ ما، ومنه قوله تعالى: ﴿الجواري الكُنّس﴾ ومنه (الخُنَّس) أيضًا، و (الكناس) بيت الظبي. ومثل هذا في العبرية כ ב ש ת ، ثم (الكنيسة) معبد النصارى، وهي كذالك في الأصول الآرامية.

وقد أخطأ أهل التَّعريب فزعم ابن الجواليقي في «المعرَّب» أن (الكنيسة) من

الفارسية وأضـاف وقيل: إنها حبشية، وهذا ضرب من التخليـط، فأين الفارسية من الحبشية؟

وأعـود إلى النسبة الى (الكنيسـة) فأقول: هي الكنيسيـة مثل الطبيعية، وأنـا في هـذا أفيد ممـا أثبتـه ابن قتيبة في «أدب الكـاتب» إذ قـال: النسبة إلى (فعيلـة) لا تحذف فيـه الياء إلا إذا كانت في علمٍ مشهور كـالنسبة إلى أسماء القبائل فقـالوا: بَجَليّ وحنَفَيّ وَمَـدنيّ وهـذه نسبـة إلى حنيفة وهـي قبيلة وبجيلـة كـذالك، وإلى المدينة وهي مدينة الرسول ﷺ - كما في قولنا: السُّوَرُ المدَنيّة).

وجاء في الصفحة ٣١: (ولابد من التنـويه إلى أن الحسن بن البهلول..) أقول: والصواب: (ولابـد من التنويـه بأن الحسن.... والتنـويه يوصـل بالباء مـن حروف الجـر. كأني أدركت أن ليس لـدى صاحبي المحقق الكثيـر من علم العـربية فهـو يخطىء القول ويبتعد عما هو صواب اتفق فيه أهل العلم.

أقول: وقد أثنى المحقق على صاحبه الحسن بن البهلـول فذهب فيه إلى قوله: (فكان له أن ينتزع منّا حق المفاخرة به كاتبًا لامعًا، لم يُكرر الأقدمين تكرارًا مملًّا، بل اختار خطًّا بيانيًّا، وسياقًا متكاملًا وفكرةً موحدة هي العلامات والدلائل).

أقـول: لقد ذهب المحقق في حمـاستـه فانتصـر لصـاحبه في كل شيء، وقـد ألبسه لبوس عصرنا فزعم أن صاحبه (اختار خطًّا بيانيًّا، وغير هذا...).

وأثبت المحقق في الصفحة (٣٤) ماكان لدى صاحبه الحسن بن البهلول فيما أثبته في كتابه «الدلائل» التي أشار إلى أن مـن يقرأه قد يذهب إلى أن بعض ماجاء فيها من المخاريق والخرافات.

وقد كان لـه أن دافع عما أورده في كتابه، فكـان للمحقق أن ذهب إلى أكثر من هذا حماسة في دفاعه عن صاحبه.

وتحوّل المحقق إلى صنعته فعقد فصلًا وسمه بقوله (أسلوبنا في التحقيق). وقد أشار في هذا إلى صنعـة الناسخ، وخلو الرسم من الهمزة وقلـة النقط وأشار إلى ما

سماه الأمـور الإملائيـة. وقد أراد بـ (الإملائيـة) ما نعـرفه من مادة (الإمـلاء) التي تعطى للصبية الصغار في المدرسة الابتدائية في تعلم رسم الحروف.

وأخلص فيما اجتزأت به عن كثير مما غضضت الطرف عنه لأتحول إلى الكتاب في الصفحة ٤٧ فأجد: كتاب «الدلا ئل والعلامات» تصنيف الحسن بن البهلول.

أقول: لقد اختار المحقق أن يكون صاحبه ابن البهلول وليس بن بهلول كما هو في المخطوطـة الوحيدة التي اعتمـدها، والتي حصل عليها من الأستـاذ (سيزكين) ولـم يُشر إلى مصدرها.

والـذي أراه أن المؤلـف هو ابن بهلـول وذالك لأن (بهلـول) هـذا عُرف لـدى القـدماء لقبًـا فهـو لقب ثعلبـة بن مـازن بن الأزد. إن الأعلام التـي اشتهرت لـدى القدمـاء محلّاة بـالألف واللام هي صفـات ومصادر ومن هـذه الحسن والحسين والعباس والفضل والمقداد وغيرها.

وقد قال أهل العربية: إن زيـادة الألف واللام تفيد في لمح الوصف أو المصدر قبل العلمية، وهذا بعض فوائد علم الرجال.

(للحديث صلة)

عمّان: د. إبراهيم السامرائي

الحواشي:

(١) من منشورات معهد المخطوطات العـربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقـافة والعلوم. طبع في الكويت سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) أقول النصارى الشـرقيون في العراق وغيره وهم السريان النسّـاطرة على طريقة في أسمائهم خـالفوا إخوانهم النصارى اليعـاقبة. ومن هذا أنهم ذهبوا إلى اليـاء في مَتي وزكي وحَبيّ وغير هذا، وهذه هي متى وزكّـا وحبّا لدى الآخـرين. ومن هذا أنهم ذهبـوا بألف الإطلاق في الأعـلام السريانيـة وهي الآرامية فقـالوا في (سـابا) (شابو) وفي (عبدا) (عبدو).

(٣) انظر عن هذا المعجم «العرب» س ٢٥، ص ٤٣٣.

(٤) «الدلائل» (٥).

من تاريخ اللهجة العراقية(*)

[دعا (ديوان الكوفة) في (لندن) أستاذنا العلامة محمد حسين الأعرجي - المحاضر في (جامعة آدم مسكيفج في بوزنان في بولندا) لإلقاء محاضرة في هذا الموضوع، وللصلات القوية بين اللهجتين العراقية والنجدية، إذ القبائل العربية تهاجر من نجد، وتستقر في أرياف العراق، ولا زالت الصلات بين السكان في القطرين قوية ومتواصلة، لهذا رغبت مجلة «العرب» من الأستاذ الجليل أن يتحف بتلك المحاضرة قراءها كما اتحفهم بالطريف المفيد الممتع من أبحاثه، فاستجاب مشكورًا، إلا أن قلم التحرير في المجلة رأى عدم الحاجة لكلمات يسيرة لا تتسع صدور بعض قراء المجلة، مستميحة من الأستاذ الكريم غض النظر عن هذا التصرف الاضطراري].

يروى عن أبي الأسود الدؤلي أن قالت له ابنتُه: ما أحرُّ الصيف؟ فقال: حمارَّةُ القيظ، فقالت له: أردتُ أن أتعجب لا أن أسأل؛ فقال لها: إذًا فقولي: ما أحرَّ الصيفَ!

وأبو الأسود وابنته بصريان عاشا في القرن الأوّل من الهجرة؛ فقد مات أبو الأسود بطاعون الجارف سنة ٦٩هـ فإذا صحَّ هذا وهو صحيحٌ فمعناه - كما هو بدهيٌّ - أنَّ هذا اللحن الذي ارتكبته بنتُ أبي الأسود قد كان قبل السنة المذكورة، ومعناه أيضًا أنَّ العربية الفصيحة بدأت تنحرف عن أوضاعها الأولى على ألسنة الناس. ولكنَّ هذا الانحراف مما يخصُّ بنيتها الإعرابية وليس اللفظية.

وإذ أطلَّ القرن الثاني من الهجرة بلغ هذا الانحراف في بنية اللغة الإعرابية واللفظية والدلالية مبلغًا جعل اللغويّين يُحرِّمون على أنفسِهم الاستشهاد بلغة الشعراء المُحدثين، بل بلغ الأمر أن بدأت خصائصُ لهجات محلية تتبلور في الاستعمال اليومي للغة، فقد حدثنا الجاحظ المتوفى سنة: ٢٥٥هـ مثلًا أنَّ أهل البصرة كانوا يُسمّون الساحة التي تقع في ملتقى طرقٍ أربعة: جهار سوك تأثرًا بمجاورة بلاد فارس، وأن أهل الكوفة يسمونها: مُربَّعة، وأن أهل البصرة يُسمّون المِسحاة (بال) على خلاف أهل الكوفة الذين يُسمونها مِسحاةً كما يُسميها العراقيون اليوم.

وظهرت في القرن الثالث - وربما قبله - لهجاتٌ عامية لها خصائص محلية،

فالذي نسميه نحن العراقيين نَغَلًا نعني أنـه مجهولُ الأب، كان يُسميه أهل المدينة المنورة فَرَخًا، وما نسميه ديكًا يُسميه أهل المغرب سَردُوكًا وهكذا.

ويهمني الآن أن أتعقب تأريخ لهجتنـا العـراقية دون أن أدعي أنني سأؤرِّخ لهـا تأريخًـا دقيقًا لا يستطيعُ بعـده أحدٌ أن يستـدرك عليـه؛ فهذا فضلٌ لا أدعيـه، ولن أفعلَ، وإنما أنا في أحسن أحوالي قارئ تمرُّ بي هذه اللفظة العراقية غير الفصيحة المستعملة إلى يومنا هـذا أو تلك فأضع تحت خطًّا بقلم رصاص لا أكثر ولا أقلّ. لذالك أرجو ألا يُحمَلَ حديثي على أكثر من هذا المحمل.

أما الألفاظ العراقية الفصيحة مثل: بَسْ بمعنى: كفى، وخايس بمعنى: مُتعفِّن، وآلاف سـواهمـا فليس تهمّني في شيءٍ، حـالُهـا في ذالك حـال الألفـاظ التي استعملها العراقيون في لهجتهم ثم ماتت، فقد كـانوا يُسمون ما يضعه الحمالُ من وقـاء على ظهـرهِ يتّقي به أذي الحمل: كَـرْزَن - كمـا جـاء ذالك عند ابـن أيْدَمِـر المتوفى ٧١٠هـ في مخطـوطة كتابه «الدر الفـريد وبيت القصيد» ولكنّني لم أُعن بمثل هـذه اللفظة لأنهـا ماتت، فقـد صار العـراقيون يُسمّـون الكرزن: جِنْـدة. وإذْ سُقْتُ كلَّ هذا بقي عليَّ أن أقـول إنني سأتحدَّث عن بعض هـذا الذي كنتُ أضعُ تحته بقلم رصـاصٍ خطًّا - كما أسلفتُ - لنتحـاور فيه فأقـول: ما يزال العـراقيون يستعملون كلمة: (يابا) للتحبّب، وللتعجّب، وللسخـرية، ويستعملها قُرّاءُ الأبوذية والمقامات من المُغنّيـن العراقيين. وقد رأيتُ هذه اللفظة قـد استُعمِلت في بغداد أثناء خلافة المأمون التي امتـدت من: ١٩٨ - ٢١٨هـ فقد ورد في «بغداد» لطيفور (ت: ٢٨٠هـ): (ودخلَ أبـو طالـب صاحب الطعـام، وكـان من أسخف النـاس وأجهلهم، فقال للمأمون: كـان أبوك (يابا) صديقنا... وأنت (يـابا) لا تعرف حقّنا، ولا ترفع بنا رأسًا... قال: والمأمون لا يزيد على التبسّم).

أقول: أصلُ يـابا: يا ابـه، ثم سُهِّلت الهمزةُ من (أبه)، فصـارت: (بَه)، وانقلبت هاءُ السَّكتِ ألفًـا، وإذ دخلت ياء النداء على الكلمـة صارت: يابا. هـذا وقد رجع العراقيون اليوم بالألف إلى أصلها الذي هو هاء السَّكت فصاروا يقولون: (يابه).

وعلى أنّ كشكشة بني تميم، وبني أسـد هي الغالبة على لهجة العـراقيين، إذ ما يزال العراقيّ ينطق حرف الكاف الموقوفَ عليـه في ألفاظ كثيرة جيمًا، كما كان بنو تميمٍ وبنو أسدٍ يفعلون، وما يزال العـراقيُّ من أهل الجنوب ينطق ما يكون على زِنِة فعيل - في الأعمّ الأغلب - بكسـر الأوَّل منه فيقـول: طِـويل، وكِصِيـر، وچِثيـر، وچِجيل كما كـان ينطق بنو تميم ولا عجب في تأثُّـر العراقيين بذالك فقـد كان من بني تميم من سكنـوا العراقين: الكـوفـة والبصرة لـدى أوّل تمصيرهمـا، وكان بنـو غـاضرة وهم فَخِـذٌ شيعيٌّ من قبيلـة بني أسـد السُّنيَّة يسكنـون الطفـوف المعروفـة بكربـلاء اليوم، حتى إنهم هم الذين دفنـوا الإمام الحسين مما يـدلُّ على سكناهم العـراق قبل استشهاده عـام واحد وستين، وكـان بنـو أسدٍ هـاؤلاء وبنو تميم ربمـا نطقوا الكاف الأصلية چيما كقول قائلهم كما رواه ابنُ الأعرابيّ:

علـيَّ فيمــــــا أبتغـي أُرضيـشِ　　بيضـــاء تُــرضيني ولا تُــرضيشِ
وتطلبـــــي ودَّ بنـــــي أبيـــشِ　　إذا دَنــــــوتِ جعلـتْ تُنئيـشِ
وإن نـأيـتِ جعلـتْ تُـــدنيـشِ　　وإن تكلَّمـتِ حثَـتْ فـــي فيـشِ
حتّـى تَنِقِّـي كنقيـقِ الـــدِّيـشِ

ففي قول هـذا الراجز ما يـدلُّ دلالةً واضحةً أنَّه لا الكـاف المكسورة في لغتهم من نحو كـاف خطاب المرأة هي التـي تنطقُ جيمًا فحسب وإنّما الكـاف الأصلية من نحو قـولِهم (ديچ) في ديك، قـال شاعـر آخر وقـد رأى ظبيةً أذكـرته بحبيبتـه فخاطب الظبية بقولِه:

وعَيْنـاشِ عينـاها، وجيـدشِ جيـدُهـا　　ســوى أن عظمَ الســاق منچ دقيقُ

أقـول: على أنّ كشكشة بني تميم وبعض بني أسـد[1] هي الغـالبة على لهجـة العراقيين؛ إلّا أنهم يهـربون منها في فعل نادر هو (أعطى) فيقـولون: (أنطى) على لغة أهل اليمن. أمّا هـذا الهروب فهو هروبٌ من معنى عـاميٍّ عراقيٍّ بذيء لا أدري متى استُعمل أوّل مـرَّة، ولكنّني وجدتُـه قد استعملـه الشاعر العـراقيُّ الكوفـي أبو

حُكيمة الكاتب المُتوفَّى سنة: ٢٤٠هـ في قولِه يُخاطبُ غلامًا مأبونًا:

[..]

وفرارًا من هذا المعنى البذيء صار العراقيون يهربون إلى لغة اليمن(٢) لئلا يتبادر هذا المعنى إلى الأذهان في الأحاديث التي لا يرادُ منها هذا المعنى. ثم طال العهدُ بالتفريق بين أعطى وأنطى فاستعاروا أنطى للمعنى البذيء أيضًا.

ومن أسماء الأواني العراقية التي ظلَّت تحتفظُ باسمِها، وتخلَّت عن وظيفتها (البَسْتوقة). فقد استعملها بديع الزمان الهمذاني المتوفَّى: ٣٩٨هـ في إحدى مقاماتِه، واستعملها ابنُ الرومي المتوفَّى: ٣٨٣هـ على أحد الأقوال في هجاء أبي الصقر إسماعيل بن بلبل:

سائل أبا الصقر إذا جئته عن أمِّه ذات البساتيق

فقال مُحقِّقُ الديوان الدكتور حسين نصّار في الحاشية: (ذكر «القاموس المحيط» أن البستق بمعنى: الخادم، ولعله يتهم أمه بالخدم، والمادة كلها تدل على الانحطاط والخسة كما يستفاد من معجم اشتينجاس للغة الفارسية).

أقول: البستوقة هي الزِّير الصغير، ومازالت تستعمل في العراق بهذا المعنى، ويبدو أنها كانت تستعمل لحفظ الخمر، وآية ذالك قوله بعد هذا البيت:

وضربها الكامخَ في... بين دنانٍ ودَواريق

فلا محلَّ لذكر الدنان بدون التفسير الذي ذهبنا إليه. هذا وصار العراقيون يستعملون البساتيقَ لحفظِ المخلّلات، وهم يُسمّون هذا المُخلَّل: الطُّرشي.

ومن الألفاظ العراقية ما تخلّى عن اسمِه، وبقي يحتفظ بمعناه فمن ذالك لفظة (الحق) فالحق في الفصيح ضدّ الباطل، ولكنه صار إلى معنى آخر هو الحَفلُ الذي يقام فرَحًا، أو حُزنًا. فقد روى ياقوت الحمويُّ في «معجم الأدباء» عن إبراهيم بن سفيان الزيادي المتوفّى: ٢٤٩هـ ما نصُّه:(حدّث المرزبانيُّ عن المُبرِّد عن الزياديِّ قال: كان في جواري حَقٌّ قد دُعِيتُ إليه فحضرتُ، وجيء بنبيذٍ

وطُنبورٍ فغنّى مغنّيهم...) وواضح أنَّ الحقَّ هنا يعني؛ الحَفل الذي يقيمهُ الناسُ في أفراحِهم من نحو ختانٍ، أو زواج.

وروى ياقوت نفسهُ في كتابه المذكور عن ابن البهلول المتوفّى سنة: ٣١٨هـ قوله: (كنتُ مع أبي في جنازةِ بعضِ أهل بغداد من الوجوه، وإلى جانبِه في الحَقِّ جالِسٌ أبو جعفر الطبريّ، فأخذ أبي يعِظُ صاحبَ المصيبةِ، ويُسلّيه، ويُنشِده أشعارًا، ويروي له أخبارًا... قال: ومضت على هذا مُدةٌ، فحضرنا في حَقٍّ لآخر وجلسنا، وإذا بالطبريّ يدخل إلى الحقّ...).

أقول: يبدو أن الحقَّ عندهم من الأضداد، وإنّما صارت كذالك لأنها جاءت من كلمة الحَقِّ الفصيحة، وهم يَعنون بها حقَّ الداعي إلى عُرسٍ أن يحضر عرسَه المدعوون، وحقَّ المفجوع بعزيز أن يحضر الناسُ لتعزيته، وهكذا. وماتت لفظة الحَقِّ بهذا المعنى في لهجة العراقيين اليوم، وحلَّت محلَّها كلمة (الواجب)، فصاروا يقولون: حضرتُ الواجب، وذهبتُ للواجب، يعنون بذالك حضور الحفلِ أو المأتمِ. وينبغي أن تكون الكلمة قد استُعمِلت بهذا المعنى قبل سنة: ٣١٠هـ؛ لأنَّ أبا جعفر الطبري توفّي في تلك السنة.

ومن هذه العاميَّة العراقية استعمال العراقيين - ويُشاركهم أهلُ الخليج في هذا - لفظة (البِشت) للعباءة الصيفية الخفيفة التي تشفُّ عمّا تحتها من لباس، والعباءة أو العباية - على تسهيل الهمزة - لما يُلبَسُ في الشتاء. ووجدتُ لفظ البِشت مُستعملًا في القرن السادس الهجري في قول أسامة بن منقذ المتوفّى ٥٨٤هـ في كتابه «الاعتبار» في قوله: (فضربَه الوالد بهذا السيف وهو في غمدِه مُتقلّد به، فقطعَ الجهازَ، والنعلَ الفضَّة، وبِشتًا كان على الركابيّ...).

وعلّق محقّقُ كتاب «الاعتبار» الأستاذ فيليب حتّي في الحاشية بقوله: (أو بُشتًا - عباءة. ولعلها (بُشت) الفارسية).

وبُشْت الفارسية التي تحدَّث عنها الدكتور حتّي تعني: (ظَهر الإنسان)، وتعني (الجزء الخارجيّ من كلِّ شيء مثلَ جلدِ الكتاب).

وأُراني أميل إلى أنَّ البِشت عباءة، ويبـدو أنها كانت تُنطق بكسر البـاء كما هي في متن «الاعتبار» وليس بالضمّ كما هي في حاشية المحقق.

وأُعيد القول أنّه: ما زال لفظُ البِشتِ وهـو يعني العباءة الخفيفة التي تشفُّ عمّا تحتها مُستعملًا في العراق. ومن أمثال العراقيين العامية: (يابو بِشت بيش إبْلَشِت) يقولـونه لمنْ يُغـالِب خصمًا لا يقدِر عليـه. ومعناه يا أبـا البِشتِ كنايـة عن الرجل المُترَف بماذا ورَّطْتَ نفسَك؟

ويقولـون العراقيون وبعض العرب سـواهم عمّا يجمعون بـه أمتعتهم من قماش (بُقجـة) ويجمعونهـا على: بُقَج؛ ووجـدتُ ابنَ أيبك الصفـدي المتوفّى: ٧٦٤هـ يقول في «الوافي بالوفيات» في حديثه عن الأميرِ فارس الدين: (وأخذ جوخةً كانت معه وطـرطورًا ضمـن بقجةٍ..)، ووجدت بيبـرس المنصوري المتـوفى سنـة ٧٢٥هـ يقول في كتاب «التحفة المملوكية في الدولة التركية»: (وحملوا الخِلع في البُقَج).

وتدور لفظة (البـوز) شيئًا غير قليلٍ في لهجة العراقيين لـدى الغضب، وكان قد استعملها الشاعر البغدادي الظريف ابن الحجّاج المتوفّى: ٣٩١هـ في قولِه:

بـــاسيـــدي قـــد مسحتُ بُـــوزي فـــــرفـعَ النـــــاسُ منكَ...

فعقَّبَ الشهـابُ الخفـاجيُّ في كتـابـه «شفـاء الغليل في المُعـرَّب والـدخيل» بقولِه: (البُّوز: الفمُ عاميّة... ويُطلقونها في الأكثر على فم الكلب، ونحوه).

وأقول: ما قاله الشهابُ صحيحٌ، ولكنّه لم يتعرَّض إلى: (مسح بُوزَه) ما معناها. ومسحَ بُـوزَه تعني: يئسَ مما كـان يطمعُ فيه. ومـا تزالُ هـذه الكناية مستعمَلَـة في اللهجـة العراقيـة، فإذا أرادوا إشعـارَ أحدٍ بـاليأس ممـا يطلبُ قـالوا: مِشْ بـوزَك. ومِشّ: امسَحْ. ولا أعلم إن كـان الفقيد عبّـود الشـالجي قد ذكـر هـذه الكنايـة في كتابه «الكنايات البغداديّة» أم لا؛ لأنني لم أر الكتابَ - مع الأسفِ - ولم أقرأه.

ويقول الشاعر الحاج زاير الدُويج في موّال:

تَميَّتْ احـومي عْلَى شـوفك بس اروحن ورِدْ
أبغي وصـــالك وَرُومْ من المـــراشفْ وِردْ

مكتــوب حُبّكْ علينـــا بـــالفــروض اوّ وِرْد

مِنْ حيثْ بيكــمْ تِتِمّ فــروضنـــا والـــدَّعـــه

رضـــوان حِسْنِ الحـــواري بـــوجنتِكْ ودَّعـــه

الـــورد قـــدَّم عـــريضـــه واشتكـــه، وادَّعـــه

ويكـــول إنتـــه الـــوردْ شْلُـــون تشتمْ ورِدْ؟!

ويقول أسـامة بن مُنقذ المتـوفّى: ٥٨٤هـ في كتابـه السالف الذكـر: (فلمّا رأوا أصحابنا ركبوا خيلَهم، وتَمُّوا يطردونَهم...).

وعلّق الدكتور حتّي بقوله: وتموا (عاميّة بمعنى: ومازالوا).

أقول: ليس معنـاها: ومازالوا، وإنّما بَقُـوا. ومازالت هذه اللفظـة مُستعملَة بهذا المعنى في اللهجة العراقية، وقد استعملها الشاعر العاميُّ العراقيُّ الحاج زاير كما رأينا بمعنييها العاميّ في قولِه:

(تَمّيتْ احومِي عْلى شَوفَك بسْ أروحَنْ ورِدْ)

يعني: بقيتُ أحوم على رؤيتك أروحُ وأرجعُ

وبمعناها الفصيح في قولِه:

من حيث بيكُـم تِتِمّ افْـروضنـا والـــدّعـــه

يعني: تكملُ فروضنا.

والحِـرُ بـالتخفيف: الفَـرْجُ، يجمعُ - في الغـالب - على أحـراح، وهـو فصيح، وحِرْها مـن ألفاظ أهل السواد في الاستهانـةِ بأمرٍ من الأمور، والسخريـة منه أو تعبيرًا عن عـدم الرّضى عنـه. قال المسعوديُّ في «مـروج الذهـب»: أنَّ الخليفـة المعتصم [ت: ٢٢٧هـ] كان يأنس بعلي بن الجنيد الإسكـافيّ.. فقال المعتصم يومًا لمحمّد ابن حمّـاد: اذهب بالغـداة إلى علي بن الجنيـد فقل له: يتهيّـأ حتّى يُزاملني، فأتـاه فقال... فتهيّأ لشروط مزاملة الخلفاء ومعادلتِهم، فقال علي:... وكيف أتهيّأ؟ أُهيِّيء

لي رأسًا غير رأسي؟أشتري لحيةً غير لحيتي؟... أنا متهيِّئٌ وفضلةٌ قال: لستَ تدري بعدُ ما شروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم؟ فقال عليّ: وماهي؟ هاتِ يامَن تدري. قال ابنُ حماد: شرط المعادلة الإمتاعُ بالحديث والمذاكرة والمناولة... فلمّا أكثر عليه في هذا الوصف والشروط، قطع عليه كلامَه، وقال كمايقول أهل السواد: آه حِرْهَا، اذهب، فقل له: ما يزاملك إلّا من أمُّه زانيةٌ وهو كشخان.

أقول: ما يزال العراقيون جميعًا، وليس أهل السواد فحسب منهم يقولونها في المعنى نفسِه، ولكنّهم يعدِلون عن لفظ الحِرِ إلى اسم آخر من أسمائه، وقد يحذفون كلمة: (آه) منها، أمّا إذا نطقوها فبدون الهاء، وكأنّها حرف مدٍّ لا أكثر.

ويقول العراقيُّ حين تسألُه عن فلانٍ: حَطّوه بالسجن، وحين تسألُه عما تحمله أين يجب أن تضعَه؟ يقول لك: حُطَّه هناك، ووجدتُ هذا المعنى العاميّ قد استعمل في «الحكايات العجيبة» المؤلّفة في القرن الثامن للهجرة في قوله: (وحَطَّه في السجن)، وفي قولِه: (... فحطَّ في عُنقهِ حبلًا وهو مكتوف...).

ويبلغ العراقيُّ غاية همّه وحُزنه فتسألُه عما هو فيه فيقول لك: (خلّيني بْدَرْدِي) فإذا سألتَه عن الدَّرْدِ ماهو صعب عليه أن يُجيبك، ووجدتُ معناه الأوّل عند الحسينِ بن الحجاج المتوفى: ٣٩١هـ في قولِه عن شهر رمضان وقد جاء في آب:

شهرٌ أراهُ يلجُّ معْ مَنْ ... يضجُّ من طولِه ويدرِدْ

وفسَّر أبو بكر الخوارزمي في: «الأمثال» يدرِدُ بمعنى: يحقِدُ. قال أبو بكر. (فإذا ذكروه بالعبوس، والعربدة قالوا: كأنه على الإسلام يدرد. أي: يحقد).

أقول: ونسي العراقيّون - كما يبدو بمرِّ الزمنِ - معنى الحقد في الفعل وهو مولَّد لا أصل له في الفصحى، واحتفظوا بمعنى العبوس فيه فصاروا - حين تسوَّد في عيونهم الدنيا لشأنٍ من الشؤون - يقولون:(خلّيني بْدَرْدِي). وقد كنتُ أسمعُ الفقيد الجواهري يقول لي حين نتفاوض في أمرٍ لم ينتهِ بعدُ وأريدُ أن أنتقِل منه إلى شيء آخر سواه: (خلّينا نِدّارَد). كأنَّ معنى قولِه: دعنا نتحدَّث، ولاشكَّ أنّه

سمِع هذه الصيغة ممن هم أكبر منه سنًا، ولكنّني لا أعرف - مع الأسف - شيئًا عن طبيعةِ الصيغة ولا عن مُستعمليها.

وروى الصفديّ (ت: ٧٦٤هـ) في «الوافي» شعرًا لابن الحجاج (ت ٣٩١هـ) يهجو به المتنبي يقول فيه:

و... بَغلٍ طوله سبعةٌ في مثل دَوْر الدُّقر تدويرُهُ

ولم يُفسِّر محقِّق «الوفيات» الدُّقر ماهو؟ رغم أنّه ضبطه، ويغلب على ظنّي أنَّ ابن الحجاج (ت: ٣٩١هـ) يعني به الخشبة المدورة، ففي الفصيح أنَّ الدُّقرانة تكون من خشبٍ، وهي تُنصبُ في الأرض مع أختٍ لها ليعرِّش عليها الكرم فيقال لهما الدُّقران بضمٍّ فسكون. هكذا فسَّرها الزَّبيديُّ في «التاج».

أقول: وصاغ العراقيون في عامِّيتهم منه صيغة فاعول فقالوا (داقور) ينطقونه بالكاف الفارسية، وهم يعنون بالداقور وتدًا من خشبٍ أو صفيحةً منه يسندون به الحائط الآيل للسقوط يتّكئ عليه لئلّا يسقط. والمهم عندي أن ابن الحجاج (ت:٣٩١هـ) يعني بالدّقر: الوتد الغليظ. ولاأعرف كيفية ضبطهِ، ولا أكاد أطمئنُّ إلى ضبط محقق «الوفيات».

وفي كتاب «الوزراء» للصابي: أنَّ العراقيين سمَّوْا أحد وزرائهم: (دقَّ صدرَه)؛ لأنَّه كان يتعهَّد بالإنجاز، ولا يفعَلُ.

أقول: مازالوا يقولون إذا تعهَّد لهم أحدٌ بشيء يُنجزُه: دقَّ صدرَه.

وفي «التاج»:... وذكر الأطبّاءُ في كتبهم: دوغ، بالضمِّ وهو المخيضُ.

وأقول: ذكره السمعانيُّ (ت: ٥٦٢هـ) في كتابه «الأنساب» بما هو أوضحُ في قولِه: (الدُّوغ... هو اللبنُ الحامض نُزِعَ منه السّمن). وأقول مرَّةً ثانية: إنّ الكلمة كانت مُستعملةً في العراق على أيّام طفولتِي في خمسينيات هذا القَرن، وإنَّ من علامات اللبن الدُّوغ أن كان بائعوه يكوِّرون الزُّبدَ بحيث يطفو عليه، وهو في الإجّانة.

وإذ يشتمك العراقي يقول لك: (لعنة على الديس الرَّضعَك). ونقل الزبيديُّ في «التاج» عن الصغاني قوله: (الدَّيْسُ: الثديُ عراقية لا عربية).

أقول: من مصاديق ما ذهبَ إليه الصغّانيُّ قولُ ابن الحجاج (ت: ٣٩١هـ) كما رواه صاحبُ «اليتيمة»:

قالوا: رأيناك بما فيك من هشاشةِ الفِطنةِ والكَيْسِ
تحبوا إلى بابِ (...) مثلما يحبو ابنُ عَامَيْنِ إلى الدَّيْسِ

واللفظةُ ما زالت مستعملَةً عند العراقيين يُطلقونها على كلِّ ثدي سواء أكان للإنسان أم للحيوان، ويُسمّون صنفًا من أصناف العنب تكون حبَّتُه طويلةً، وليست مُدوَّرةً: دَيس العَنْز.

وتسمع في لهجة العراقيين لفظة (الزنبرك)، والزَّنبورَك في أصلِه: من آلات الحرب التي يستعملها الرُّوم. هكذا قال العباسيُّ (ت: ٧١٠هـ) في كتابه: «آثار الأول في ترتيب الدول». ولا أعرف ماذا يعني به، ولكنّي أعرف أنّ العراقيين يستعملونها بغير هذا المعنى وينطقونها زُنْبَرَك، وزُنبلَك. فيقولون للكثير الحركة: كأنَّه زُنْبَرك، يُشبِّهونَه بزنبرك السَّاعةِ، وهو العَتلَة المُدوَّرة في داخلها، والتي تذهب وتجيء بشكلٍ متوالٍ أثناء عملِها.

ومن أمثال العراقيين قولُهم: (ماكو زور يخله من الواوية)، والزور في أصله الفصيلح الزار، والزار هو: الأجمةُ ذاتُ الحلفاء والقصب والماء. ومال المولَّدون بالألفِ إلى الواو فقالوا: الزور. قال أسامة (ت: ٥٨٤هـ) في «الاعتبار»: (نحنُ نتحدَّث والخنزيرُ خرج يريد زَوْرًا آخر...) وجمع أسامةُ الزَّور على أزوار في قولِه: (فخرجتُ أنا وأخي بهاءُ الدولةِ... ومعنا بعضُ البُزاةِ إلى الأزوار...).

أقول: ومازال العراقيون يُسمون الزار: زورًا، ومن أمثالِهم العاميّة: سوى لي الهور مرق، والزور خواشيق، وينطقون القافَين من (مرق) و (خواشيق) كافًا فارسيّة.

يضربون ذالك لمن يَعِدُك بالعريض الطويل ثم لا يفي بشيء. وإنّما نصّوا على الهور؛ لأنَّ أجمات القصب والحلفاء تكون فيه.

وفي «الاعتبار» لأسامة بن منقذ (ت: ٥٨٤هـ): (وأحضر آخَرُ قطعة سندروس.

قالت: هذه الخرزة). قال المحقّق عن السندروس: (كلمة فارسية تُطلق على صمغٍ من الشجر أو معدن شبيه بالكهرباء). أقول: يبدو أنَّه هو الذي نُسميه في العراق: السِّنْدلوسُ، وتُصنع منه المسابح.

وتَسَودَن: جُنَّ، واختلط، ووسوس. هكذا استعملها الذهبيُّ (ت: ٧٤٨هـ) في «تاريخ الإسلام»، وهو يروي كيفية وفاة الجوهري (ت: ٣٩٨هـ) صاحب «الصحاح»؛ فقد قال: (وقيل: إنَّه تَسَوْدَن، وعمل له دفّين، وشدَّهما كالجناحَينِ معًا، وقال: أريد أن أطيرَ، وقفز فأهلك نفسَه، رحمه الله، وكان من أذكياء العالم).

أقول: ما يزال الفعلُ مستعملًا في العراق، أما المجنون فهو في لغتِهم: المُسَوْدَن. وتسودَن: كأنّه اشتُقَّ من السوداء، والمُسودَن هو المصابُ بالسوداء.

ويقول بديع الزّمان الهمذاني (ت: ٣٩٨هـ) من رسالةٍ يعتذِر فيها لمسكويه: (ولولا أنَّ العُذرَ إقرارٌ بما قيلَ، وأكره أن أستقيل، بسطتُ في الاعتذار شَاذَرْوَانًا، ودخلتُ في الاستقالةِ ميدانًا...).

وورد (الشاذروان) عند الشهاب الخفاجيّ (ق ١٠٦٩هـ) فقال: (بفتح الذال من جدار البيت الحرام، وهو الذي تُرِك من عرض الأساس خارجًا، ويسمى تأزيرًا لأنّه كالإزار للبيتَ، وهو دخيلٌ، كذا في «المصباح» قلتُ: هو في كلامِ المولّدين أيضًا).

أقول: لا أعرف مالذي زجَّ الشَّاذروان بالبيتِ الحرام، ولكنّ الذي أعرفه أنَّ الواساني (ت: ٣٩٤هـ) قد استعمل اللفظة بمعنى النافورة كما في قوله الذي رواه الثعالبيُّ في اليتيمة:

كسروا السكرَ فاختلطتُ فقالوا: كيفَ تبقى بغيرِ شاذروان؟

وما زالت تُستعمل في اللهجة العراقية بمعنى النافورة، وليس بمعنى التأزيرة.

وقال العباسيُّ (ت: ٧١٠هـ) في «آثار الأول وترتيب الدول»: (والتُّركُ والبوادي يأكلون اللحمَ المسلوقَ، والمَشوي، واللبن، والشُّورباةَ القمح...).

أقول: الشُّورباة، وهي ما نسميه الآن بالشوربة.

والشَّربةُ: الإناء الـذي يُشرَبُ فيه الماءُ، وهو في الفصيح: المِشْرَبـة. قال أسامة ابن منقذ (ت: ٥٨٤هـ) في «الاعتبار»: (كلُّ ذالك وأمَةٌ عجـوز يُقال لها بـريكة... واقفةٌ بين الخيل على شطّ النهر في يدها شَربَةٌ تستقي بها، وتسقي الناس...).

أقول: واللفظـةُ ما زالت مُستَعملَـةٌ في اللهجة العراقيَّـة، وهم يعنون بهـا قُلَّةٌ من فخّار يُحفظُ فيها الماء، ويُمكن أن يُشرَب منها.

وإذ تخيط بدلةً فإن الخياط في التجربـة الأولى من عملِه يُشلِّل البدلة ليستطيع أن يُعـدِّل مالا يـرضى عنه في التفصيل، وفي «شفـاء الغليل» للشهاب الخفـاجيّ: شلّل الثـوب: خاطـه خياطـةً خفيفة. أقـول: وما يـزال اللفظ مستعملًا بمعنـاه في العـامية العـراقية وفي مخطـوطة «الكشـف عن مساوئ الخمـر» نقلًا عن «تـاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين» للعلّامة الأستاذ إحسان عبّاس ورد في تفسير قـول ابن الزرقـال (وهو من أهل القرن الخـامس للهجرة): (شَلِّلْ قفـاك) ما نصُّه: (وهم يقولون: شلَّلتُ الإناء إذا غسلته بالماء).

أقـول: ومـا زالت اللفظـةُ مستعملةً فـي الجزائر بـالمعنى نفسِـه، وقـد يتـوسَّعُ الجزائريون فيها فيقولون: شلَّلتُ فمي بكأسِ ماء.

في الفصيح: كفكفَ دمـوعَه مسحَهـا مرَّةً بعدَ مـرَّةٍ، وكفَّ دمعَه بمعنـى: منعه، والمعنيـان متقـاربـان واشتقَّ العـراقيـون من الفِعـل (كفَّ) لا (كفكف): الكَفِّيَّـة للمنـديل الذي يُمسح بـه الوجـه، والدمـوع. واشتقوا من الكفّيـة في القرن التـاسع الميـلادي فعـلًا هو (كفَّـفَ)؛ فقد ورد قسم أخبـار الشعـراء من كتـاب «الأوراق» للصولي المتوفى سنة: ٣٣٥ قوله عن عبدالصمـد بن المعذَّل إنه كانت فيه عربدة إذا سكر، وعـربد ذات يـوم في مجلس فيه حمدان الـلاحقي فقال حمـدان: (كِلوهُ إليَّ وحدي وأخذه وكفَّفَه...).

واللافت للنظـر أنّهم لـم يشتقوا من الفعل (كفَّ) اسـم آلة كمـا اشتقّوا من هفَّ النسيمُ اسم آلةٍ فقالـوا: مَهَفةً، وإنّما لجأوا إلى ياء النِّسبة فقالـوا كفّية، كأنها قطعةُ

القماش المنسوبة إلى الكفّ، والمنع.

وقد وجدتُ لفظ الكفيَّة مُستعملًا في القرن السابع للهجرة بمعنى غير المعنى الذي ذكرها فيه الصولي في قول ابن أيْدَمِر (ت: ٧١٠هـ) في: «الدر الفريد وبيت القصيد» مكتوبٌ على كَفِّيةٍ:

أنا للدمعِ إذا ما جادَ في وقتِ الرَّحيلِ
أتلقّى منهُ ما يَنْهلُّ في الخدِّ الأسيلِ

أقول: وما زالت اللفظةُ مستعملةً في العاميَّة العراقية، والعراقيون ينطقون الكاف منها جيمًا فارسيَّةً. واستعملها القاصُّ العراقيُّ الأستاذ فؤاد التكرلي في إحدى قصصهِ من مجموعتِه: «ذات العيون الخُضر» بالكاف في قولِه: (ففرش كفِّيتَه).

ومن هنا يبدو لي أنّ تأويل المُشتغلين بالعربية أنّ (الكفية) التي تكون تحت العقال هو كوفيّةٌ كأنّها مصنوعةٌ في أوّل أمرها في الكوفة مثل (الموسلين) المنسوب إلى مدينة الموصل، أقول: أنّ تأويلهم لا يكادُ يُطمأنُّ إليه؛ لأنّني أظنُّ أنّهم استعملوا الكفّية أوّل الأمر لهذا المعنى الضيّق ثم توسّعوا فيه.

أقول هذا لأنني رأيتُ لفظة (المنديل) تُستعمل في القرن الرابع بالمعنى الذي نستعملُه اليوم، ثمَّ أعرض البغاددة عن لفظها في عصر ابن أيدِمِر إلى الكفيّة، لأنّهم خصَّصوا المنديل بمسح ما كان يكون من آثار لقاء (....).

وإذًا فلا يُستبعدُ أبدًا أن تكون الكفيّة التي تحت العقال هي معنى مُتوسَّعٌ فيه من الكفّية التي يُمسحُ بها الوجه والدموع. أما وجه العلاقة بين الكفيتين فهي أنّ أحدهما تكفّ الدموع، والثانية تكفُّ أذى الطبيعة، من حرٍّ وبردٍ.

ويدور في كلام العراقيين كثيرًا لفظ (ليش) بمعنى: لماذا، وفي ترجمة العز بن عبدالسلام من «طبقات المفسرين» للداوودي قوله: (وقال [عز الدين...] للرسول: يا ولدي لَيْش تفعل هذا؟...).

أقول: إنَّ كلمة (ليش) كما هو معروفٌ - مركّبةٌ من اللام، وأيش، أي: لأيش؟ ثم سُهِّلت همزة (أيش) فصارت: ليش، ويهمّني منها أنَّ العزّ المتوفى سنة: ٦٦٠هـ كان من مستعمليها. أمّا أيش فتكاد تكون فصيحة لِقدَم استعمالها؛ فقد استعملها الخليفةُ عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه).

وإذا تحدَّث العراقي عن نفسِه وجماعته قال: نِحنَ، أو قال: إحنه، ويبدو أنّ الانحراف بنطق (نحنُ) إلى (نِحنَ) كوفيٌّ وقع قبل سنة ٣٨٣هـ، لأنَّها سنة وفاة ابن الروميّ؛ فقد قال يهجو أهل الكوفة:

وأهلُ الكوفةِ الرّذلـةِ أدنى الأرذل الأدنى
إذا قلنا لهمْ نَحنُ فَمِن قَولِهُمُ: نِحنَى

وواضحٌ أنّ لغة أهل الكوفة في: نحن هي: نِحنَ كما دلَّ عليه ابن الرومي. وما زال بعض العراقيّين يقول: نِحْنَ يريد: نحنُ الفصيحة، ومنهم - وهم الأكثرية - مَن يقول: إحْنَه(٣).

وفي معجمات العربيّة الفصيحة (هجَّت النارُ.. إذا اتّقدت وسُمِع صوتُ استعارها) مثلُه مثلُ: أجّت، وليس في الفعل من معاني الطرد إلّا صيغةٌ جامدةٌ هي قولُهم: هجْ هجْ، يزجرون بها الكلب، وهجا هجا يزجرون بها الجمال. ولكن العراقيين يقولون: هجَّ فلان، بمعنى: هرب، وهجَّجتُه بمعنى جعلتُه يهرب أي: طردتُه بشكلٍ غير مُباشر، وبهذا المعنى استعمل الشاعرُ المعروف بشيطان العراق من أبناء القرن السادس الهجري الفِعلَ في قولِه معتذرًا لأهل إربل بعد أن هجاهم:

هجَّجَ ذاك الهجوَ عن ربعِكمْ كلُّ أخيرٍ ينقضُ الأوّلا

ويقول العراقيّون في أمثالِهم (هَم زيارة، وهمْ تسيارة)، وفي «الرسالة البغدادية»، وفي «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيّان التوحيدي المُتوفّى سنة ٤١٤هـ قول الشاعر:

أبـــو العبـــاس قـــد حـجَّ | وقـــد عَـــاد وقـــد غنّي
وقـــد علّق عَنّـــازًا | فهـــذا هَمْ كمـــا كنّـــا

وشـرح العلّامـة الدكتـور مصطفى جواد في كتـابه «في التـراث العربي» كلمـة (هَمْ) فقـال: (لفظة عـامية عراقيـة عريقـة... ذكرهـا الأخفش، وأبو حيـان بمعنى: (أيضًا) و (لـم يزل)... ونصَّ الأستـاذ المرحوم عبـود الشالجـي على أنها بغـدادية خالصة بمعنى أيضًا).

أقول: مـا قالـه العلّامـة جواد أوسع فهي مستعملـة إلى الآن بالمعنيين اللـذين ذكرهمـا، وأنها عـراقية، وليست بغداديـة، كما قـرّر المرحوم الشـالجيّ. أما كـونها عراقية عريقة فلا أدري من عراقِتهـا سوى أنها في الفارسية مستعملة بمعنى أيضًا، في قولِهم (هـلا خوب، هم شوربـة همْ سبزي) وأن سعدي الشيـرازي (ق ٧) كان قد استعملها في (الكَلستان) في أكثر من موضع.

هـذا وقـد استعملها ابـنُ الحجاج (ت: ٣٩١هـ) من قبلُ في قـولـه كمـا رواه صاحبُ «اليتيمة»:

أحسنـتِ لـي هَـمْ هكـــــــذا | مُـــدّي وشُـــدّي واعصِـــري

ويعني بها: أيضًا.

واقتصـر الموفّق البغـدادي - كما نقل عنـه السيـوطيُّ في «المزهـر» - على أنَّ معناها: أيضًا، ونصَّ على أنّها مولّدة.

وأتـذكَّر أنَّ خضَّـاري النجف كـانوا حين يُنـادون على التين يصيحـون: (التِّين لاوي ياوزيري) بمعنى تينٌ وزيريٌّ ناضج. وفي كتاب «فوائد الموائد» لابن الجزّار خطبـةٌ للقاضي ابـن قريعـة وهـو من أبناء القـرن الـرابع ومن أصـدقاء أبي الفـرج الأصبهاني يفتتح بها مائدةً بحمـد الله: (الذي تيَّن فوزَّر...) أي: خلق التينَ فجعلَهَ تينا وزيريًّـا، والوزيريُّ: من أجود أنواع التين، وكـان الخضّارون في النجف، وربّما

في العراق بأسرِهِ يمدحون تينهم حين ينادون عليه بأنه: وزيريّ. أمّا لماذا سُمّي هذا التين وزيريًّا، ولمزرعةِ أيِّ وزيرٍ يُنسب فهذا مالا أعرفه حتى هذه اللحظة.

ويُسمّي العراقيون الثلج المُنهمر من السماء إلى اليوم: وَفرًا، وكانو يُسمونه في النصف الأوّل من القرن السادس، وربما قبلَه، كذلك؛ فقد قال البديعُ الأُصْطَرلابيُّ ٥٣٤هـ:

يا صُدورَ الزَّمانِ ليس بِوَفرٍ ... ما رأيناهُ في نواحي العِراقِ

إنَّما عمَّ ظلمُكمْ سائرَ الأر ... ضِ فشابتْ ذوائبُ الآفاقِ

وفسَّرهُ ياقوت الحمويُّ (ت: ٦٢٦هـ) في «معجم الأدباء» بقولِه: (الوَفرُ: الثَّلجُ بلغةِ أهل العراق، قال ذالك في عامٍ نزل فيه ببغداد ثلجٌ كثيرٌ).

هذا ما رأيتُ أن أنتخِبَه من مفرداتٍ عراقيّة لحديث هذه الليلة، وفي مِزودي البولنديّ مُفرداتٌ أخرى أرجو أن تجدوها قريبًا في «معجم اللغة المولدة» الذي أنا عاكفٌ على العمل فيه. وشكرًا جزيلًا لحضوركم وإصغائكم.

بوزنان: د. محمد حسين الأعرجي

الحواشي:

(*) محاضرة ألقيت في ديوان الكوفة بلندن يوم ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٨ بدعوةٍ كريمةٍ منه.

(١) الغريب أن هذه اللهجة المنسوبة لأسد وتميم وهما قبيلتان عدنانيتان، لا تزال مستعملة عند بعض القبائل القحطانية التي انساحت إلى نجد في عهود متأخرة، مما يحمل على البحث عن أصل منشإ تلك اللهجة.

(٢) أنطى بمعنى (أعطى) ورد في بعض القراءات: (إنا أنطيناك الكوثر)، وليست اللهجة خاصة باليمن، بل هي لغة سعد بن بكر من هوازن وهذيل وغيرهم، ويذكر اللغويون إنها وردت في أحاديث منسوبه للرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا تزال هذه اللهجة مستعملة لدى سكان شمال نجد، في بلاد الجبلين وسكان هذه البلاد طيء - قديمًا - وهم قحطانيون، ويبدو أن اللهجات بسبب تموج القبائل العربية من قحطانية وعدنانية واختلاطها في الجزيرة تغيرت وأصبح كثير منها لا يختص بمن تنسب إليه قديمًا.

(٣) ومن اللهجات الغريبة في نجد في (نحن): أَحِنْ المستعملة في إقليم (الوشم) وسكانه في الأصل من تميم.

أسـامة بـن منقـذ

من كتاب «أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء» لمحمد بن عمر الأيوبي المتوفّى سنة ٦١٧هـ

هذا نصّ نفيس في ترجمة أسامة بن منقـذ الأمير الشاعر المتوفّى سنة ٥٨٤هـ، وتأتي نفاسته في انفراده بذكر ٣٤ بيتًا أخلّ بها ديوانه المطبوع.

ومـؤلف الكتاب هـو الملك المنصور محمـد بن عمر بن شـاهنشاه بن أيـوب صاحب حمـاة، المتوفَّى سنـة ٦١٧هـ. كان أحـد العلماء بـالتاريخ والأدب، طُبع جزء من كتابه الكبير «مضمار الحقائق وسرّ الخلائق».

وله كتاب «درر الآداب ومحاسن ذوي الألباب»، مازال مخطوطًا.

أمّـا كتـابـه «أخبـار الملـوك ونـزهـة المـالك والمملـوك في طبقـات الشعـراء المتقـدمين مـن الجـاهليـة والمخضـرمين والإسـلاميين والمحـدثين» فمـازال مخطوطًا، ونسخته الفريدة بمكتبة (لايدن) تحت رقم ٦٣٩.

وقـد تفضل أخي الدكتـور نـاظم رشيد شيخـو بتصـوير الصفحـات الخاصـة بترجمة أسامة بن منقذ من نسخته، فجزاه الله خيرًا عن العلم والعلماء. وتقع ترجمة أسامة في الأوراق (١٩٦ ب - ٢٠١ أ).

الأمير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ الكنانيّ:

أسامة بن منقذ الكناني، كُنيتُهُ: أبو المُظَفّر، وهو أُسامة بن مُرْشِد بن علي بن مُقَلَّد ابن نَصْر بن مُنقذ الكنانيّ. كـان سيِّدًا فاضلًا عالمًا / ١٩٧ أ/ أديبًـا، وشاعرًا مجيدًا مُكثرًا محسنًا. وشعره كثير المُلَح والنوادر في فنون شتى. فمن قوله في الغزل(١):

يقولونَ مـا يَشْفي المُحِبَّ من الجوى ... سِـــوَى يأسِــهِ واليـأسُ أَفْتَكُ دائي

فكيفَ أُرَجِّي بُـرءَ سُقمـي مِن الهـوى ... ودائي الّــــذي يقضي علـيَّ دوائي

وله أيضًا(٢):

نفسي الفِداءُ لظالمٍ مُتَعتِّبٍ ... مُتباعِدٍ بالهجرِ وَهْوَ قريبُ
قَمَرٌ عليهِ من ذوائِبِهِ دُجًى ... يهتزُّ منهُ على القَضيبِ كثيبُ
[١٩٧ ب] في وجهِهِ ماءُ الملاحةِ حائِرٌ ... فقلوبُنا الظَّمْآى عليه تلوبُ
لِلِحاظِهِ في القلبِ وَقْعُ سهامِهِ ... لكنَّ تلكَ تطيشُ وَهْيَ تُصيبُ
أشتاقُهُ وهو السَّوادُ بناظري ... مَنْ لي بحُسْنِ الصَّبْرِ حينَ يغيبُ
أَحْبَبْتُ فيه اللائِمينَ لأنَّهُ ... يحلو بسمعي ذكرُهُ ويَطيبُ
ومنحتُهُ كلَّ الهوى دونَ الورى ... طُرًّا ومالي من هواهُ نصيبُ
ومنَ العجائبِ فعلُهُ بي في الهوى ... ما تفعلُ الأعداءُ وهو حبيبُ
[١٩٨أ] إنْ جارَ إذْ حَكَّمْتُهُ في مُهْجَتي ... فالعَدْلُ في حُكْمِ الغرامِ غريبُ
والصَّبُّ يَسْتَحْلِي مراراتِ الهوى ... فيه ويعذبُ عنده التّعذيبُ

وله في الغزل أيضًا[٣]:

يا ظالمًا أبدًا يُزَوِّ ... عُني بإعراضٍ وعَتْبِ
كَمْ ذا الصُّدودُ أما تخا ... فُ الله في ظُلْمِ المُحِبّ
أترى هواكَ وحفظَ عهـ ... ـدِكَ حيثُ لم تحفظْهُ، ذنبي
حَسْبي الّذي ألقاهُ مِن ... لومِ اللّوائم فِيكَ حسبي

وقال أيضًا متغزلًا[٤]:

إذا ما دَنَتْ دارُ الأحِبَّةِ جدَّدَتْ ... بقُرْبهم الأُنْسَ الّذي كانَ أَنْهَجا
[١٩٨ ب] فإنْ مَنَعَتْ مِن أنْ أراهم وقَدْ دَنَوْا ... صُرُوفُ اللّيالي عادَ أُنْسِي بهم شَجَا

واختياري من شعره كلمته الحائية، وهي[٥]:

باحَ بِشكْوَى ما بِهِ فاستراحْ ... فهلْ عليهِ في الهوى من جُناحْ

لمّـــا رأى كتمـــانَ مـــا ينطـــوي ... عليـــه لا يُغْني إذا الـــدَّمْعُ بـــاحْ
داوَى بمـــــــا أعلنَ مِـن بَثِّــــــهِ ... قلبًـا مِن الكتمــــان دامي الجـراحْ
صَبٌّ حمـاه الهَجْـرُ طِيبَ الكـرى ... وجسمُـــــهُ للسُّقمْ نَهْـبٌ مُبــــاحْ
[١٩٩أ] مُخـاطِرٌ يـركبُ هَوْلَ الهـوى ... أمَّـــا وأمَّـــا مِثـلَ ضَـرْبِ القِـــداحْ
يـا صـاحِ مـا أصحـابُكَ عن سَكْـرَتي ... عقلي بـأخْـــوَى ذي مـــراحٍ ورَاحْ
مُهَفْهَـفٍ صَحَّتْ علـى سُقْمِهـــــا ... جفـــونُـهُ فَهْـيَ مِـراضٌ صِحـــاحْ
لِطَــــرْفِـــهِ فَتْكَـــةُ بِيضِ الظُّبَى ... وقَـــدِّهِ هَـــزَّةُ سُمْـــرِ الـــرِّمـــاحْ
شمسُ نهـارٍ تـرتـدي بـالـدُّجى ... غُصْنَ مـراخ (؟) فـوقَ حِقْفٍ رَداحْ
طـــافَ علينـــا والـــدُّجى راكِـــدٌ ... يُظلُّنـــا مِن جُنحِـــهِ بـــالجَنــاحْ
[١٩٩ ب] بقهـوةٍ مِن خـدِّهِ أشْـرَقَتْ ... ونَشْـرُهـا الضَّـائعُ مِـن فيـهِ فـاحْ
وظَلْتُ فـي أَمْنِ غـــرامِي بـــهِ ... مِـــن كُـــلِّ واشٍ ورقيــــبٍ ولاحْ
في حِنْـــدِسَيْ طُـــرَّتِـهِ والـــدُّجَى ... ونَيِّـــرَيْ غُـــرَّتِـــهِ والصَّبـــاحْ
بغبطـــةٍ جـــادَتْ على بُخْلِهـــا ... بهـــا الليـالـي غَلَطًـا لا سمـــاحْ
حتى قَضَـى الـدَّهْـرُ بتفـريقنـــا ... فمـا احتيـالي فـي القضـاءِ المتـاحْ

ومن مختار شعره [٢٠٠أ] قوله متغزلًا(٦):

يـــاغـــائبيـنَ وفي قلبـي محلُّهُم ... لم تنـزحـوا لكِن الـدَّمْعُ الّـذي نَـزَحـا
هـــواكُمْ إنْ دَنَـتْ دارٌ وإنْ بَعُـــدَتْ ... كمـا عهدتُم وبُـرْحُ الـوجدِ مـا بَرَحـا

واختياري من شعره كلمته الدّالية، وأوّلُها(٧):

لا تحسبَـنَّ اللَّـــــومَ أجـــــدى ... بَـلْ زادَهُ كَلَفًـــــا ووَجْـــــــدَا
أبْـــدَى صبـــابَتَـــهُ وللإعــــ ... ــــلان مـــا أخْفَـى وأبْـــدَى
نَمَّـتْ بــــهِ زفـــراتُ شَـــو ... قٍ مـــــا أطـــــاق لهـنَّ رَدَّا

[٢٠٠ ب] لا تُكثِرَنَّ فما تَرَى ... ممَّنْ تُعنِّفُ فيه بُدَّا
قَمَرٌ أعارَ الظَّبْيَ ألحاظًا ... وغُصْنَ البانِ قَدَّا
شُغِفَ الجمالُ به فلم ... يجعلْ لما أعطاهُ حَدَّا
أَجْرَى الحَيَا ماءً ... وأَنْبَتَ فيه لي آسًا ووَرْدَا
مُتَحَرِّمٌ أبدًا إذا ... استعطفته بالعَتْبِ صَدَّا
وأرَى ضلالي في هواهُ ... هُدًى وغَيِّي فيهِ رُشْدَا
متباهِيًا بالحُسْنِ ما ... أنصفتُهُ إلّا تَعَدَّا
لو كانَ يُنْصِفُ لم يكنْ ... بغرائبِ الحُسْنِ استبَدَّا
.... أنْ يُوَحَّدَ أو يُوَدَّا(٨)

وله أيضًا(٩): [٢٠١أ]

مَلَّني واستحلَّ ظُلمي ... ومالي فيه يَدُ
بَدْرُ تمَّ أبْهَى من ... البدرِ حسنًا وأبْعَدُ
خانَ عهدي وخانني ... في هواه التّجَلُّدُ
أنا في نارِ هجرِهِ ... وقِلاهُ مُخَلَّدُ
كما تقرَّبْتُ بالوصالِ ... إليهِ وَيبْعُدُ
لا أطيعُ النّصيحَ فيه ... وإنْ كانَ يُرشِدُ
وإذا لا مني العِدا ... ذِلُّ فيه وفَنَّدُوا
عُدْتُ في حُبِّهِ إلى ... الغَيِّ والعَوْدُ أَحْمَدُ

كلية الآداب: جامعة بغداد - الدكتور حاتم صالح الضامن

الحواشي:

(١) أخلّ بهما ديوانه. (٢) أخلّ بها ديوانه. (٣) أخلّ بها ديوانه.

(٤) أخلّ بهما ديوانه. (٥) ديوانه ١٠. (٦) أخلّ بهما ديوانه.

(٧) الأبيات الستة الأولى في ديوانه ١٥، وأخلّ بالباقي.

(٨) مكان النقاط مطموس في الأصل. (٩) أخلّ بها الديوان.

نقيضـــتان جديدتـــان:
للعبلي وسُديف في بني أمية

هذا بحث كتبته أول مرة قبل عشرين سنة وأعطيتـه الزميل الكريم الدكتور عادل البياتي لنشره في «مجلة كلية الآداب»، وكان في هيئة تحريرها.

ولكنَّ دَمْجَ مجموعة من مجلات الكليات بمجلـة واحدة آنذاك وما ترتب على ذالك من تغيير هيئـات التحرير، واختـلاط البحوث المقدمة لهـا، أدى إلى ضياع ذالك البحث، وقـد أُنْسِيتُه أو كدت، لـولا أن ذكّرني بـه ما كتبتـه عن العبلي ضمن الشعراء الأمويين في البحث الذي تفضلت «العرب» الغرّاء بنشره س ٣٤، ص٤١ وما بعدها، وكنتُ أشرتُ فيه إلى قصيدته البديعة التي (قالها في دولة بني أمية عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم)[١].

وحمدت لأبي الفرج تفـرده بذكرها تفردًا كـاملًا لم يشركه فيه مصـدر آخر فيما علمت، وتمنيتُ لـو ذكرهـا كاملـة ولم يقتصر منهـا على ثلاثـة وعشرين بيتًـا فقط (وهي قصيـدة طويلـة، اقتصرت منها علـى ما ذكـرته)[٢] وهي في مديـح بني أمية والفخـر بهم وتحذيـرهم من الفرقـة والتناحـر، والإشفاق منَ ذهـاب دولتهم بسبب تلك الفتنة التي وقعت بينهم في سنتي ١٢٦ - ١٢٧هـ، بعد مقتل الوليد بن يـزيد ومبايعـة يزيـد بن الوليد بن عبـدالملك، ثم إبراهيم بن الـوليد، فمـروان بن محمد الذي استقر له الأمـر سنة ١٢٧هـ[٣]، وهو التاريخ المـرجّح لنظم هذه القصيدة، لأن الشاعر أشار فيهـا إلى أحداث تلك الفتنة، كما أظهر سـروره بانتهائها، وأن الله استجاب دعاءه فحمى أمية وحفظ دولتهم.

نـوَّهْـتُ بـالملك المهيمـن دعـوةً ... ورواحُ نفسٍ في البـلاءِ دعـاؤهـا
ليـردَّ إلْفَتَهـا ويجمـع أمـرهـا ... بخيـارهـا، فخيـارهـا رحمـاؤهـا
فأجـاب ربـي في أميـة دعـوتي ... وحمى أميـة أن يُهـدَّ بنـاؤهـا

وكما تفرد أبو الفرج المتوفى سنة ٣٥٦هـ بذكر هذه القصيدة، فقد تفرد المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤هـ تفردًا كاملًا لم يشركه فيه مصدر آخر على حَدِّ علمي بذكر قصيدة سديف في هجاء بني أمية وإظهار الفرح والسرور لذهاب دولتهم، وما وقع عليهم من قتل وتشريد، وهي ردٌّ صريح واضح على قصيدة العبلي ونقضها، إذ جاءت على وزنها ورَوِيِّها ودارت على موضوعها نفسه، وتكاد بعض أبياتها أن تكون ردًّا مباشرًا على أبيات بعينها من قصيدة العبلي.

ولعلّي بحمد الله أول من ربط بين هاتين القصيدتين، وتنبه إلى الصلة القائمة بينهما، وإنهما نقيضتان جديدتان، من عصر الخضرمة الثانية، وما رأيتُ أحدًا من القدماء أو المعاصرين قد التفت إلى ذالك أو تنبه له، وهو أمرٌ غريبٌ حقًّا أن يغفل عنه أبو الفرج والمرزباني.

وقد تفرد أولهما بذكر قصيدة العبلي في «أغانيه»، وترجم لسُديف ترجمة موجزة مبتسرة، كما ذكر ما قاله من شعر في التحريض على بني أمية، وإغراء العباسيين بقتلهم، ولكنّه لم يُشر إطلاقًا إلى قصيدة سُدَيف هذه المناقضة لقصيدة العبلي، لا عند ذكره لها، ولا عند ترجمته لسديف، ولعله كره ذكرها لما فيها من هجاء قومه الأمويين والشماتة بهم.

وليس مثله من يخفى عليه مثلها، ولا يقلّ عنه غرابةً في هذا، المرزباني، لإغفاله مثل هذه الإشارة عند تفرده بذكر قصيدة سُديف في كتابه «أخبار شعراء الشيعة» الذي لخصه السيد محسن الأمين ونشره الشيخ محمد هادي الأميني في النجف سنة ١٩٦٨م.

وليس معقولًا أن المرزباني المتوفى بعد أبي الفرج بثلاثين سنة تقريبًا لم يَطَّلِع على كتاب «الأغاني»، ولم يقرأ فيه قصيدة العبلي، ثم لا يلتفت إلى وجوه الشبه بينها وبين قصيدة سُدَيف المناقضة لها والتي لم يذكرها غيره.

وواضحٌ أن سُدَيْفًا لم يردّ على قصيدة العبلي ولم ينقضها في حينها، في سنوات

بني أمية الأخيرة، خوفًا من بطشهم. وإنما فعل ذالك بعد خمس سنوات تقريبًا. أي في سنة ١٣٢هـ أو بعدها قليلًا، لأنه يشير فيها إلى قيام الدولة العباسية، وذهاب سلطان بني أمية وملكهم:

ولقد سُرِرْتُ لعبدشمس أنّها   أمستْ تُساقُ مباحةً أحماؤها

أمسَتْ أميةُ، لا أميةَ تُرتجى   قُلِبَ الزمانُ لها، وحُمَّ فناؤها

وإذا كان أبو الفرج قد أشار إلى طول قصيدة العبلي واعتذر عن ذكرها كاملة، مقتصرًا على ثلاثة وعشرين بيتًا منها، فإنّ المرزباني وعلى عادته في البخل بعلمه وولعه بالاختصار والابتسار، دون إطالة أو إفاضة في الحديث لم يذكر من قصيدة سُديف غير ثمانية عشر بيتًا، ثم لم يقل بعدها: أهذه هي كل القصيدة، أم أنها أطول من ذالك، واقتصر على ما ذكره منها.

وإذا كان أحدٌ من القدماء والمعاصرين لم يشر إلى رابطة التناقض بينهما، ولم يتنبّه إلى ذالك أحدٌ - فيما اعلم - فلاشك أن القارئ الكريم سيؤيدني فيما ذهبتُ إليه إذا نظر إلى نَصّي القصيدتين ووازن بينهما، ولعله لا يفوته أن يلاحظ أن العبلي بدأ قصيدته بالبكاء على تفرق قومه وتناحرهم بقوله:

ما بالُ عينك جائلًا أقذاؤها   شرقَت بعبرتها وطال بكاؤها

ذكرت عشيرتها وفرقَةَ بينها   فطوتْ لذالك غُلَّةً احشاؤها

وأن سديفًا كان يعنيه ويردّ عليه ردًّا مباشرًا بقوله في ختام قصيدته:

يا أيها الباكي أمية ضلّةً   أرسل دموع العين، طال بكاؤها

وإذا قال العبلي:

ماذا أؤمل إنْ أميةُ ودَّعَتْ   وبقاءُ سكانُ البلاد بقاؤها؟

ردّ عليه سديف قائلًا:

فلئن أميةُ عبدِ شمسٍ ودَّعَتْ   فقد اضمحل عن البلاد بلاؤها

وعندما ذكر العبلي سروره لانتهاء الفتنة، وأن الله حمى أمية وحفظ ملكها:

فأجـاب ربـي في أميـة دعـوتي   وحمى أميـة أنْ يُهَـدَّ بنـاؤهـا

ردَّ عليه سُديف بقوله:

زعمتْ أميـةُ وهي غيـر حليمـة   أنْ لن يـزول ولن يُهَـدَّ بنـاؤهـا

وقضى الإلـهُ بغيـر ذاك فـذُبِّحَتْ   حتى تـرفـع بـالعجـاج دمـاؤهـا

وعندما أظهر العبلي جزعه من عواقب الفتنة، مشفقًا على قومه من الفناء:

فَبِـذَاكُمُ أمسـتْ تعـاتب بينهـا   فلقـد خشيت بأنْ يُحـمَّ فنـاؤهـا

ردَّ عليه سديف متشفِّيًا بوقوع ماكان يخشاه، من فناء قومه وهلاكهم:

أمست أُميـةُ لا أميـةَ تُـرتجى   قُلِبَ الـزمـانُ لهـا، وحُـمَّ فنـاؤهـا

فإذا فرغنا مما نظنّه من إثبات ما زعمناه من المناقضة بين القصيدتين، وفرغنا قبل هذا من الحديث عن العبلي ومروءته وحبه لقومه ورثائه لهم بعد ذهاب دولتهم. وماكان من خصومته لهم أيام سلطانهم لموقفهم المعادي للهاشميين، وهو الذي حماه من بطش العباسيين ومذابحهم، حتى تورط في تأييد ثورة (النفس الزكية) واضطر عند إخفاقها على الهرب إلى اليمن، خوفًا من بطش المنصور، وموته هناك غريبًا بائسًا مضيّعًا (انظر «العرب» س ٣٤، الصفحات ٤٣ - ٥٠).

فلا بدَّ أن نحدثك شيئًا عن معاصره ومناقضه، وهو شاعرنا هذا الثاني، قبل أن نذكر نَصَّي القصيدتين، ونترك لك الحكم على ما زعمناه في شأنهما.

وهو سُديف بن ميمون، الذي ذكره ابن المعتز بقوله: (كان سديفُ شاعرًا مفلقًا، وأديبًا بارعًا، وخطيبًا مصقعًا، وكان مطبوع الشعر حسنه)[٤] وعرّف به أبو الفرج قائلًا: (سديف بن ميمون، مولى خزاعة، ثم تزوج مولاة لآل أبي لهب، فادَّعَى ولاءهم، شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الحجاز، من مخضرمي الدولتين، شديد التعصب لبني هاشم، مظهرًا لذالك في أيام بني أمية[٥]). وقال ابن عساكر في

صفته: (وكان سديف شديد السواد، أعرابيًّا بدويًّا)[٦] ومعظم المصادر التي مرت به لم تذكر من شعره، على الأغلب، إلّا ما حرّض به العباسيين على من بقي من الأمويين، بل أن بعض المصادر لم تذكر سديفًا ولم تُغْنَ به إلّا عند حديثها عن قتل العباسيين لبني أمية، ودور شعره التحريضي في هذا، وهو سبب شهرته فيما أظن، فقد كان له القِدْحُ المعلّى من ذالك، وربما اختلط - بعض شعره ذاك بأشعار غيره من المحرضين.

ويبدو أن جوائز العباسيين لسُديف، شحذت شاعريته، بعد أن أتقن ما وكل إليه من دور الشاعر المحرّض، فاستمرأ ذالك، حتى صار ديدنه وشغله الشاغل، فما يكاد يرى حاكمًا عبَّاسيًا حتى يبادره بالتحريض على بني أمية، في حضورهم أو غيابهم، بقي منهم أحدٌ أم لمْ يبقَ.

ومع كل ما أظهره من إخلاص في القيام بدور المحرض في تلك التمثيليات الساذجة التي نظمها العباسيون لاستئصال بني أمية، وكل ما أظهره من حماس في مديحهم، والإخلاص لهم، فإنَّ ذالك كله لم يشفع له عند العباسيين، وأمرَ المنصور بقتله قتلة شنيعة، لما كان من تأييده لثورة (النفس الزكية) ومناصرتها خطابة وشعرًا[٧].

ويكون من سخرية الأقدار فعلًا، أن يَدْفع هذان الرجلان المتناقضان في بني أمية، والمخلصان للهاشميين، ثمن ولائهما للعلويين، تشريدًا وقتلًا، على يدي المنصور وفي ظل دولته الهاشمية.

قصيدة العبلي:

ما بالُ عينك جائلًا أقذاؤها ... شرقت بعبرتها وطال بكاؤها
ذكرت عشيرتها وفرقةَ بينها ... فطوَتْ لذالك غُلَّةً أحشاؤها
واعتادها ذكر العشيرة بالأسى ... فصباحها ناب بها ومساؤها
شركوا العِدَا في أمرهم فتفاقمت ... منها الفتوق وفُرِقت أهواؤها
ظلت هناك وما يعاتب بعضها ... بعضا فينفع ذا الرجاء رجاؤها
إلّا بمرهفة الظُّبات كأنها ... شهبٌ تَقِلُّ إذا هوت أخطاؤها
ويعُبَّلٍ زُرق يكون خضابها ... علقَ النحور إذا تفيض دماؤها

فبـــذاكمُ أمسـتْ تَعـــاتَبُ بينهـــا فلقـــد خشيتُ بأن يُحَـمَّ فنــاؤهـــا
مـــــاذا أؤَمّلُ إنْ أميـــــة ودَّعَـتْ وبقـــاءُ سكـــان البـــلاد بقـــاؤهـــا
أهلُ الـريـاســة والسيـاسـة والنـدى وأســـودُ حـــرب لا يخيم لقـــاؤهـــا
غيث البـــلاد هُمُ، وهُمْ أمـــراؤهـــا سُـرُجٌ يُضِـيء دُجى الظـلام ضيـاؤهـا
فلئـن أميــــةُ ودعت وتتـــــابعت لغـــوايـــة حَمِيتْ لهـــا خلفـــاؤهـــا
ليُـــودِّعَنَّ من البـــريـــة عـــزُّهـــا ومن البـــلاد جمـــالهـــا ورجـــاؤهـــا
ومن البليـــــة أَنْ بقيـت خـــــلافهم فـــردًا تُهِيْجُك دورهـم وخـــــلاؤهـــا
لهفي على حـــرب العشيـرة بينهـــا هَـــلَّا نَهـى جُهّـــالَهَـــا حلمـــاؤهـــا
هـــلّا نُهَى تَنْهَى الغَـــويَّ عـن التي يُخشى على سلطـــانهـــا غـوغـــاؤهـا
وتُقًى وأحـــلامٌ لهــــا مُضَــرِيَّـــةٌ فيهـــا إذا تَـــدْمَى الكلـــوم دواؤهـــا
لمّـــا رأيت الحـــرب تـــوقـــدُ بينهـــا ويشب نـــار وقـــودهـــا إذكـــاؤهـــا
نـــوهـتُ بـــالملك المهيمـن دعـــوةً ورواحُ نفس في البـــلاءِ دعـــاؤهـــا
ليـــردَّ إلْفَتَهـــا ويجمـع أمـــرَهـــا بخيـــارهـــا، فخيـارُهـــا رحمـــاؤهـــا
فأجـــاب ربـي في أميـــة دعـــوتي وحمى أميـــةَ أن يُهـــدَّ بنـــاؤهـــا
وحبـــا أميـــةَ بـــالخـــلافـــة إنهم نـــورُ البـــلاد وزينهـــا وبهـــاؤهـــا
فبنـــو أميـــة خيـــرُ مـن وطئ الثـرى شـرفًـــا وأفضلُ ســاسـة أمـــراؤهـــا(٨)

قصيدة سُديف:

أمست أميـــة قـــد أظـلَّ فَنـــاؤهـــا يـــا قـرة العيـن المـــداوي داؤهـــا
أمست أميــة قـــد تصـــدع شَعْبُهـــا شَعْبُ الضـــلال وشُتِّت أهـــواؤهـــا
ولقـــد ســـررتُ لعبـــدشمسٍ أنَّهـــا أمست تُســاق مبـــاحـةً أحمـــاؤهـــا
فَلَئِنْ أميـــة عبـــد شمسٍ ودعت لقـــد اضمحل عن البـــلاد بـلاؤهـــا
زعمت أميـــةُ وهي غيـــرُ حليمـــةٍ أنْ لن يـــزول ولن يُهـــدَّ بنـــاؤهـــا
وقضى الإلـــهُ بغيـــر ذاك فـــذُبِّحث حتى تـــرفع في العجـــاج دمـــاؤهـــا
فأميـــةُ العيـنُ الكليلـــةُ في الهـــدى وأميـــةُ الأيـــدي القليـل جـــداؤهـــا

وأميــــةُ الأذُنُ المصيخـــــةُ للخنــــا وأميــة الــداءُ الــدويُّ وعــــاؤهــــا
وأميــــةُ الكفُّ المُصــــرِّدُ نيلهــــا وأميــــةُ القــولُ البعيــــدُ وفــاؤهــــا
وأميــــةُ القَــدَمُ المقــدَّمُ شــرُّهــا وأميــةُ القَـدمُ المُقصِّـــرُ شــاؤهــا
هيهــات قــد سفهـت أميــةُ دِينَهــا حتى أذلَّ صغــارهَـــا كبــــراؤهـــــا
ولهت بمنــــزل غــــــرةٍ فأحلّهـــــا دارَ النــدامــة للشقـــاءِ شقــاؤهــا
يــــارُبَّ حُــرمـــــةِ مسلمٍ متعبـــدٍ هُتِكتْ وكُشِّفَ بــالعــراءِ غطــاؤهــا
ودعـــاءِ أرملــــةٍ دعتْ ويــــلًا وقــد كمـدتْ فلم يُـرحَـمْ هنـاك دعـاؤهـا
لُعِنَتْ أميــــةُ كـم لهـــا من ســــوءةٍ مع ســـوءةٍ مشهــــورةٌ عــــوراؤهـــا
لا ســوقــــة منهــا أتــت قصــدًا ولا عملت بقصــدِ طــريقــةٍ أمــــراؤهـــا
يــــا أيهـــا البـــاكـي أميــةَ ضُلَّــةً أرسل دمـــوع العين طــال بكـاؤهــا
أمست أميـــــةُ لا أميـــــةَ تُــــرتجَى قُلِبَ الـزمــانُ لهـا وحُمَّ فنــاؤهـا[٩]

وقد اختلف القـدماء اختلافًـا كبيرًا في روايـة قصص مذابح الأمويين وأبطـالها وشخوصها وأماكنها، ونسبة الشعر الـذي قيل فيها، وتفنن خيال الرواة في هذا كله، وفي وصف ما حدث، حتى جعله بعضهم مهـرجانًا للقتل والإبادة، وصوّره بعضهم بشكل مسرحي، لا يخلو من سذاجة وبلاهـة، وهو موضوع حديثنا إليك في بحث قادم إن شاء الله.

كلية الآداب – جامعة بغداد: د. محسن غياض عجيل

الحواشي:

(١) «الأغاني» ١١/ ٣٠٧ (دار الكتب). (٢) نفسه ١١/ ٣٠٩.

(٣) «الكامل» لابن الأثير ٥/ ٣ و «مروج الذهب» ٣/ ٢١٣ – ٢٣٢.

(٤) «طبقات الشعراء» لابن المعتز ٣٧. (٥) «الأغاني» ١٦/ ١٣٥.

(٦) «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور ٩/ ٢١١.

(٧) «طبقات الشعراء» لابن المعتز ٤٢.

(٨) «الأغاني» ١١/ ٣٠٧ – ٣٠٨ ومجلة «العرب» ج ١ – ٢، س ٣٤ رجب وشعبان ١٤١٩هـ.

(٩) «أخبار شعراء الشيعة» للمرزباني، تلخيص السيد محسن الأمين العاملي، تحقيق محمد هادي الأميني ٧٧ – ٧٨ النجف ١٩٦٨.

في التنظير النقدي

الشعر والنكوص: من فضائل الشعر أن يوفر لصاحبه وقارئه (نكوصًا) مقبولًا أو (ارتدادًا) مرضيًا نحو مرحلة سابقة من العمر لا يوفرها غير الشعر، فمن العيب الاجتماعي أن ينكص الكبار من طريق غير طريق الشعر فإذا ما تَصَابى أحدٌ وهو في السبعين عِيْبَ عليه ذالك. وإذا ما احتاج إلى (عبث معقول) أو قل إلى (عفوية) مهدئة اضطره المجتمع واضطره سنه إلى قمعها وردها. فإذا ما أشتدت الحاجة مارسها شعرًا، فقبلت منه (غزلًا) و (وصفًا) و (سخرية) والأول أشدها ظهورًا، وأكثرها قبولًا فهي عنوان البقاء ورمز الوجود.

وفي مثل هذا الشعر يضحى الشاعر ومتلقوه رهائن ضروب من (الإنكار) و(الإسقاط) و (الفصام)، برضا وقبول، بوعي وبغير وعي، لهذا عُدَّ الشعر فعلًا (بدائيًّا) و (ابتدائيًّا) وسلوكًا (عفويًّا) عبر عنه بـ (الوسيلة اللغوية). فكم من شيخ يَجِيْئُ في الشعر طفلًا، أو يافعًا، أو شابًّا وقد حاصره الزمن بالكبر. واضطرته الأيام على (الانحناء) فأرته شبح (الانقضاء) وقربت بينه وبين (الانتهاء) فلا أقل من أن يعود ليخفف و (يرتد) ليستريح. ولا أحد يعترضه في هذا بعد أن ارتدى لنكوصه ثوب الشعر! ولا حكم على هذا القول بالكذب مادام شعرًا. فليس الشعر بخاضع لهذا (المعيار) وارتداد مثل هذا لا خلاف في قبوله مادام كلامًا، بل (كلامًا شعريًّا) ولكن مَنِ الذي يقبل منه إذا كان (كلامًا نثريًّا) أو من منثور يومه؟. ومثلما يقال في مثل هذا النكوص العمري يقال في (النكوص الحضاري) و(النكوص المدني) اللذين يتخفف بهما المرء من ضغوط الحاضر ليعود حيث الماضي أو حيث الحلقات المشرقة من الماضي. فهذا بعض من سلوك (المقهور)!!

الشعر بين التكرار والحاجة: لقد ورثنا شعرًا كبيرًا. وهذا الذي ورثناه - بسبب كثرته وأسباب أخرى - تكررت مضامينه وموضوعاته، ولكن هذا التكرار لم يورثه (الملال) ولم يُصَب قارئه بـ (الضجر) فقد أغنى النفوس وأثرى العواطف، ونَمَّى

الأخيلة، ثم قدم نماذج موضوعية من (حسن) يقتدَى به و (قبح) يُنفر منه فأسهم - أخلاقيًا - في (التربية) و (التعليم) وساعد في هذا الإسهام سُهُولَةُ حفظ الشعر، فوفر للصغار والكبار فرصًا أكبر لادخاره في الذاكرة وخزنه في (اللّاوَعْي) والمخزون والمحفوظ يقومان ويوجهان ويعدلان في السلوك اللغوي والعملي. بل أن ذالك التكرار - والصياغة مختلفة ضرورة - كان أهم أسباب التقويم والتوجيه والتعديل، لأن التكرار (الموضوعي) يفسد النثر (غالبا) فيقبل القليل منه ويرفض الكثير، ولكنه في الشعر مختلف بالتمام والكمال، لما يميز الشعر عن النثر بما هو معروف من أسباب (التمييز) التي ينبغي أن (تظل) ليبقى للشعر أثره وتأثيره، ولكي لا تعدم (فضائله) التي لو (غادرت) أو (غودرت) لفقدت (آثاره) الصالحات تلك التي أبقت الشعر متربعًا - بسلطانه - على عرش (التغير) و(التأثير)، فكم من (أسوة) و (مُحْتَذَى) حفظها الشعر وساعد في تأثيرها، وبخاصة لمن هو في طور (التكوين) و (البناء) النفسيين مما لا يتوفر إلا للشعر والشعر حسب، فكم من (معلّقة) ظلت في القلوب و (مذهَبة) استوطنت الأفئدة تنافس اليوم (معلقات) العصر و (لوحاته) و (أجهزته) وقد صير بعضها أصواتًا (معلبة) في أشرطة التسجيل. وقد مضى على موضوعها مئات الأعوام. ولكن هذا المضي لم يفقدها من تأثيرها شيئًا، أو أنه أفقدها القليل القليل.

وبهذا أثبت الشعر أن المرء لا يكبر عاطفة بقدر ما يكبر عقلًا، وأن الذات البشرية لتحتاج الشعر. فلو لم يكن موجودًا لسألنا عنه، ولبحثنا عن ضياعه ولو غادر - لأي سبب - لترك فراغًا لا يملؤه غيره. والذين غادروه عادوا إليه بوجه أو بآخر!

الشعر والحاسة السابعة: أعتقد أن ليس من أحد لا يملك (حاسة شعرية) مثلما يمتلك حواس أخرى، أو وسائل حسية أخرى، بصرية وسمعية وشمية وذوقية ولمسية، وحاسة غامضة أخرى يدعونها (الحاسة السادسة) غامضة مثل غموض حاستنا السابعة هذه والسبب بسيط لوجود (الحاسة الشعرية) هو أن الشعر شيء في النفس قبل أن يكون في خارجها. وكل مافي النفس فإن عدته معه، غير أن هذه

الوسيلة قد تضعف وقد تقوى تبعًا للإهمال والتدريب، كما تقوى غيرها وتضعف. ولا يحتاج المرء لكي يتذوق الشعر أن يعلمه أحد. فللشعر طريق سالكة في النفس مثل الحواس الأخرى، ولكن الفارق أن هذه الحواس مشخصة معينة وتلك معروفة بـ (آثارها) مدركة بـ (نتائجها). وأيٌّ من الناس الأسوياء لا يتذوق شعرًا في تذوقه مع غيره من أبناء لغته - ابتداء - والنفوس تصادف استجابة عامة واحدة فتطرب لشعر وترفض شعرًا قبل أن تسأل أو (تدرك) القبول، أو الرفض. والإيقاع الداخلي أو الخارجي للشعر يحسه معظم الناس الذين يملكون قدرًا متواضعًا من (القراءة) و (السماع) فتقوى عندهم (السابعة) هذه مثلما يقوي غيرها من الحواس. وقديمًا قال الفيلسوف المتكلم إبراهيم النظام في الحكم على دوائر الخليل العروضية: (فتنته دوائره التي لا يحتاج إليها غيره!!).

رضاعة الشعر ورضاعة اللبن: أراجيز الترقيص وشعر التنويم في شعرنا العربي هو مثيل لغيره في حضارات تقدِّسُ الأسرة وتحرص على بقائها قوية متينة العرى تقوم بواجبها (تربية) و (تعليمًا).

كانت الأم بل وكان الأب - أحيانًا - يفرغان لابنهما أو ابنتهما في يقظته، ويفرغان له قبيل نومه فينشد أحدهما ابنه - في يقظته - رجزًا (منغَّمًا) يعشقه الأطفال، فيعم لهذا الانشاد الفرح، وسرور مقرون بمعارف (لغوية) و (أدبية) و(أخلاقية) وربما علمية. وللنوم كما لليقظة شعر يغفو على ترنيمه الرضّع، وقد سَقَتْهم أمهاتهم إياه مع (لبن الصدور) وما أدراك ما لبن الصدور! حليب لبناء الجسم ومعه شعر لبناء النفوس!!

لقد ورثنا من هذا الشعر تراثًا زاخرًا بالمعاني الجليلة، حاملًا من الدلالات العميقة ما يبعث على الفخر ويدعو إلى الاحتذاء، وضعه المحدثون اليوم تحت عنوان عام أسموه (الشعر الشعبي) ضم ألوانًا من شعر (الأفراح) و (الأحزان) وضروبًا من أغاني العمل. فأين هذا الشعر؟.. لقد غاب؟.. وغابت معه حافظاته الأمهات! وحفّاظه الآباء حين غابوا عن البيت! فأكثروا وأطالوا!!

غـابت الأمهـات فهجـرن الإرضـاع من صـدورهن! وهجـرن إرضـاع الشعـر من أفواههن!! فهل من أمل بعودة؟.. عودة يرتضع فيها الصغار حقهم (لبنًا) و (ترنيمًا).

فلا أقل من واحد إذا كان الآخر عسيرًا. ولا حياء في القليل فإن الحرمان أقل منه!!

شعر الرجـل وشعر المرأة: إذا كان هناك فارق (نـوعي) و (جوهري) بين جنس المرأة وجنس الرجل. فإنـه ينبغي - ضرورة - أن يكون هناك فـارق بين إبداعيهما. والإبداع متأثـر بـ(جنس) المبدع، فثمـة شعر نساء وشعـر رجال، فالـذي فرق بين شاعر وشـاعر أو بين شعراء وشعراء آخـرين هو فرق (عَرَض) وليكن فـرق (جوهر) وفروق الأعـراض هذه كـانت في (العصر) و (البيئـة) و (القبيلة) في معظمهـا. أما الفروق بين شعر الرجل وشعر المرأة فهي فـروق (جوهر) - كما يبدو - وليس فروق (أعـراض) متغيـرة أو (لاحقـة) لهـذا فإن التمييـز بينهمـا سيكـون (منطقيًـا) على (القيـاس) أو (المقارنـة) والشعر أحقُّ أن تظهـر عليه خصـائص مبدعـه وسماتـه (الجـوهريـة). إن في شعر المـرأة خصوصيـة ليست في شعر الـرجل لأن شعرهـا (موحّـد) بـ(الشعريـة) و (الجنسية) وكلاهمـا ينتج فنًّا مكثفًا في (تـوحده) بسبب التماثل أو التقارب بين (الشاعرية) وبين (جنس) المـرأة. فالمرأة شاعرة مرتين مرة بجنسها وأخرى بالشعر.

الأدب ومشكلة المفهوم: عانى أدبنا، وما زال من تقويم يضيق به أتاه من بعض (نقاده) ومن عامة (قارئيه) مفاده أن الأدب لا يكون إلا في النثر (الفني)، فضلًا عن الشعر. وإذا لم يكن أحـد قد أخرج الشعر من (الأدب) لأنه (شعـر) حسب، سواء أكان فلسفيًا أم تعليميًا. إلا أن الكثير قد أخرج معظم النثر من (الأدب) بدعوى أنه ليس منـه. فلم يُقْبل كثير من النثـر الفلسفي، والتاريخي، والاجتمـاعي مما أبـدعه متكلمون ومفكـرون، وفلاسفـة، فحُرِمَ الأدب - بسبب هـذا الإخراج - من كثيـر من الأدب (المعمّق) بالفكر.

أما في الشعر فقد فتحنا عيوننـا على (واقع) أدبيٍّ صاغ (مسلَّمات) ترى الشعر

الـذي ينـاجي ظـاهر العـاطفـة، وسطحي المشـاعـر، ولا تـرى غيره، وتبصـر نثـر (الرسائل) و (التـوقيعات) الذي أُثْقِل بـالصناعة اللفظة، وسيطـرت عقلية (العمود الشعري) في تاريخنا الأدبي فخنقت محاولات تعميق الشعـر لموضوعات فكرية، وفلسفية كان الصـوت الغالب للشكلية (البحترية) التي رفعت سيف التقليـد بوجه بدايات النهوض الفكري للشعر على يـد أبي تمام. فلم يظهر في تاريخنا الشعري إلا قلائل من أمثال أبي الطيب، والمعري. ولم يظهـر إلا قلائل من أمثال الجاحظ والتوحيدي. وغاب عن معظم الأذهان أن الشعـر ألصقُ بالفلسفة. فالشعر يتحدث عن ما يجب أن يكون.

الاضطهاد الاجتماعـي والجزاء الشعري: يخلص الاستقراء الشعـري إلى نتائج جمـة منها أن معظم الشعـر - عندنـا - يعـاني من (شعور) تـاريخي بالاضطهـاد، فمعظم هـذا الشعر متخم بـالشكوى و (التأوه) وقلّ أن تجـد شعرًا فـرحًا مسـرورًا، ولعل ذالك يعود إلى سببين اثنين مهمين أولهما: فرط رهافة الشاعر، وثانيهما: سوء حاله الاقتصـادية والاجتماعية ممـا نجم عنه سوء في (التكيُّف) ظل يـلازم الشاعر الذي يعلن - في منـاسبة وفي غير مناسبـة - ما لحق به من أضرار، ومـا واجهه من أذى، يعلن ذالك في غزله وهجـائه ووصفه ومديحه، فلا يكاد يخلـو غرض شعري من شكوى ظاهرة وباطنه، ولا يكاد الشاعر يفارق لغة (الإسقاط) و (التبرم) فحمَّل شعره كثيـرًا من السخرية الجـزائية ردًّا منه علـى اضهاده . بوعي منـه أو بغير وعي. ومشكلة الشاعر - بوجه عام - أنـه بهذا يقلب قانون التكيُّف فيريد من مجتمعه أن يتكيف معـه وليس العكس. وإذا كـان التكيف من مهمـة الفرد - كمـا يقـول علم النفس - فإن من حق الـرأي (الفرد) أن يرقى إليـه المجتمع. من هنا كـان الصراع. ومن هنـا كان ذالـك الشعور، فـلا المجتمع يستجيب لبعض مثـاليـة الشاعـر، ولا الشاعر يفارق بعض هذه المثالية فيكون على قدر من (الواقعية)!

الشعر والتوازن: في مجتمع الحضارة يقوم الشعر بتلطيـف المناخ، بالعودة إلى التركة الشعريـة المتصلة (جدليًّا) و (فنيًّا) بما سبقهـا من تراث، فيستلهم أو يأخذ

الموروث اللغوي غير القابل للتجزؤ (بناء) و (محتوى). ويقوم الشعر في مجتمع البداوة أو الـزراعة بـالعمل التلطيفي ذاتـه فينعش جفاف هـذا المناخ بـ(الرطـوبة) العـاطفية. فـالشعر يحمل قـوتين متنـاقضتين في الظـاهر، لا تبـدو إحداهمـا إلا في الوسـط. فإذا ما طغت البـداوة سلوكًـا ظهر شعر فيـه ملمح حضاري، وإذا مـا طغى التمـدن ظهر شعـر فيه ملمح بـداوة كي يحفظ قـدرًا من التوازن ويخفف - بقـدر - بعضًا من الميوعة أو الغلظة، فمن المعروف أن (من بَدَا جفا) و (من تحضَّر ضعف).

الفروسية الشعرية والتعويض: قلَّ أن تجد فارسًا شاعرًا ولكنك واجد شاعرًا فارسًا في شعره. والسبب الجوهـري بسيط - كما يبدو - هو أن الفروسيـة والشعر طبيعتان مختلفتان، فإذا ما اجتمعـا في نفر قليل كان اجتماعهما (نـدرة) و (شذوذًا). فالكم العاطفي الهائل لدى الشاعر ينأى به عن أن يكـون فارسًا أو أن تكون لديه خصائص الفارس، لهذا يعوض الأخيـر أميرًا أو قائدًا بسماع الشعر، لِيَسُدَّ هـذا الفراغ العاطفي الذي يعـاني منـه ويعوض الشاعـر فيكون فـارسًا في شعـره، مستبدلًا بسلبيـة الفعل إيجابيـة القول، ومزينًـا الفروسية في أعيـن أصحابها بعـد أن يملأ بها نفسـه ونفوس الآخـرين الـذين لا يقـربـونهـا، تعويضًـا عن الفقـدان ليشبع الحـاجـة (النفسيـة) و(النظريـة) لدى غيره بصناعـة البطولة فيوفـر - بذالك - (أمنًا) نفسيًّا لا يقـدر غير الشعـر أن يوفـره. فصناعـة الكلمة الحـربية تقـوم بتهيئة المنـاخ، وتحضير النفـوس وإدامة فعلهـا. لهذا يمكـن أن تكون في اللغـة صناعـة (صيدلانيـة) تقدم (عقـاقير) الإثارة، وأدويـة التنشيط مثلما تقـدم صناعـة الصيدلـة من (مهدئات) و (منـومات) فـ(النظم) و (الأسلـوب) بل الكلمـة الواحـدة تقـوم - في أغلب الأحيـان - مقـام الحبوب (المقوية) و (المهدئة). ولا تبعد الموسيقى عن اللغة كثيرًا فهي تجتمع في الخاصية والتأثير، ولكن اللغة تزيدها تأثيرًا بفعل وجود (المعنى) و (ظلاله) فيها.

القبح الطبيعي والجمال الفني: في الفن - بعامة - وفي الشعر - بخاصة - يمكن أن يكون الشيء قبيحًـا في الطبيعة، جميلًا في الفن. فترى الشيء مهمـلًا في الطبيعة مزهودًا فيه، ولكنه يصير مهمًّا مفتونًا به حين تمسكه الأيدي الماهرة من صناع الكلم، فتقلبه علـى غير مـاهو عليه، وتغـدو النكرات معـارف، والمعارف نكـرات. فكم من

مشهد مقرف أو ركن مهمل أو بيت خرب أو شجر يابس أو ثوب خلق أو جسد ناحل محدودب، أو وجه شاحب، أو هيئة زرية أو بائعة منكرة أو امرأة شوهاء أو صانع متسخ، أو سائل وضيع، أو مومس تزكم رذيلتها الأنوف، أو قاتل ذبح الفضيلة، كم من هذا وذاك!!، وكم من غيره صار آية أدبية أو معلقة خالدة أو لوحة فاتنة، صفقت لها الأيدي، واهتزت لها الأفئدة ووَرَتِ الأكْبُدَ شَجى، فأحالت القبيح جميلًا والكريه محببًا، ليس ذالك غريبًا فالجمال والقبح الطبيعيان هما غير الجمال والقبح الفنيين، ولا عجب أن يكون من البيان سحر... ولكنه السحر الحلال.

شعرهن وشعرهم: النساء أكثر من الرجال (واقعًا) و (تاريخًا) وهن (أكثر) عاطفة و (أشدها) قوة، وإذا كان فعل العاطفة في الشعر أقوى من فعل العقل فإنه ينبغي أن يكون شعر النساء أكثر من شعر الرجال و (أقوى). فهل هو كذالك (تاريخًا) و (حاضرًا)؟.. وأدع القوة فليست بشأني الآن. أدعها سؤالًا أو تساؤلًا. ولكن شعرهن ليس مساويًا لشعرهم، بل إن الفارق بين كثرة شعرهم، وقلة شعرهن ما يجعل المقارنة غير صحيحة! فأين السبب؟...

قد يقول مجيب: إن المرأة لم تأخذ نصيبها من (الحضور) و (المشاركة) و(التدوين) ولكن هذا لا يصح في حضارة الأمس أيضًا. فثمة قرائن وأسباب تدحض ذالك فمن النساء من رُوي شعرهن من (الإماء) الشواعر ومن (الجواري) وغيرهن ممن لم يغفل التاريخ شعرهن. وهن (محصنَات) و (محصِّنات) ويقولون: إن البيت - بتفاصيله - استحوذ على المرأة. ولكن (العمل) استنفر كل طاقات الرجل فلم يشغله عن قول الشعر، لأن الشعر شيء من الحياة وليس بخارج عنها. وإن من المدهش أن موضوعات شعرية (نسوية) نافس الرجل فيها المرأة ونجح في منافسته إن لم يكن قد تفوق فيها. فهل وكَلت المرأة هذه المهمة للرجل؟.. أو رأت إن (المنافس) جدير وقوي فغادرت معترفة متواضعة. ولها في ذالك فضل! وهل عوضّها الرجل عن هذا!!

عمَّان: د. عدنان عبيد العلي
كلية الآداب - جامعة آل البيت

الحالات التي تقل فيها موارد بيت المال

(٢)

٤ - إجراءات المسؤولين في الدولة:

اتخذ بعض المسؤولين في الدولة الإسلامية بعض الإجراءات، إما بدوافع مالية أو لضرورات سياسية، وإن إجراءاتهم تلك أدت بشكل أو بآخر إلى نقص في موارد بيت المال.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، إن بعض الفقهاء جوز للمسؤولين في الدولة أن يعدُّوا كل جربَيْنِ[1] من الأراضي الخراجية، فيكون أحدهما للمزروع والآخر للمتروك على أساس أن الأرض يزرع نصفها ويترك النصف الثاني ليزرع في السنة القادمة[2]. وفي هذه الحالة تقل موارد بيت المال إلى النصف.

وعلى الرغم من أن بعض الفقهاء لم يجوز نقل الأراضي الخراجية وتحويلها إلى أراضي عُشْرٍ[3] إلا أن أبا حنيفة وشاطره الرأي فقهاء آخرون، جوز ذالك[4] كذالك أبو يوسف[5] وتشير النصوص إلى أن المسؤولين في الدولة العباسية أخذوا بالرأي الأخير. وكان من جراء ذالك أن انخفضت موارد بيت المال أربعين في المئة تقريبًا.

وأباح النهج الاقتصادي الإسلامي للإمام أن يقسم أربعة أخماس الأراضي الزراعية على الجند، الذين يظهرون عليها عنوة وحربًا[6] وبذالك تصبح هذه الأراضي عشرية، وأن مستثمرها يؤدي عنها ضريبة العشر إذا كانت تُسْقَى سيحًا أو بالمطر (١٠٪ من إنتاجها)، وقد يؤدي عنها نصف العشر (٥٪ من إنتاجها) إذا كانت تسقى بالآلات الرافعة. والإمام يكون مقتديًا بما فعله الرسول ﷺ في أرض خيبر، حين وزع قسمًا منها على المسلمين الذين ظهروا عليها، وأخذ عشر إنتاجها[7] وطبق هذا الإجراء في الثغور، إذْ قسمت الأراضي الزراعية هناك على من

أسهم في الظهور عليها. وبلا ريب، فإن حصـول هذا الإجراء من شأنِهِ أن يقلل من موارد بيت المال، ذالـك أنه لو اتخذ الإمام الإجـراء الذي يقضي أن تبقى الأراضي التي تخضع للدولـة عنوة وحربًا بأيـدي أهلها السابقين، يستثمرونها ويـدفعون عن إنتاجها الخراج، سوف تكون موارد بيت المال منها أكثر من الحالة الأولى بحوالي أربعين في المئة من إنتاجها(٨).

ثم إنَّ حثّ المـواطنين على إحياء الأراضي المـوات واستثمارهـا، معناه زيـادة موارد بيـت المال، وإن عكس ذالك سيـؤدي إلى تعطيل طاقـة إنتاجيـة، وخسارة لمورد مهم من موارد بيت المال.

أجـاز النهج الاقتصـادي الإسـلامي لـلإمـام أن يُقطـع القطـائع من الأراضي الخراجيـة(٩)، أو الأراضي العشـرية(١٠). وبـلا بـدل. ففي هذا الصـدد أشـارت النصوص إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقطع عددًا من الصحابة(١١) وأصبح ذالك اتسـاقًا عـامًـا، حيث حـذا الخلفاء الـذين جـاؤوا من بعـده حَذْوَهُ في هـذا التوجه.(١٢) والقطائع التي تُقْطَعُ من قبل الإمـام إذا كانت من الأراضي الخـراجية دفع عنها مستثمرها الخراج، وإذا كانت مـن الأراضي العشرية أدَّى عنها مستثمرها عشر إنتاجها(١٣). وفي الوقت نفسـه أجاز النهج الاقتصادي الإسلامي لـلإمام أن يقطع من أراضي العنـوة ويجعل عليهـا الخراج، ولـه أن يصيـرهـا عشريـة فيجعل عليهـا عشرًا ونصفًـا، أو عُشْرَيْنِ، أو أكثـر، أو خراجًـا(١٤). إلا أنـه من المؤكـد أَنَّ جعلها في أية حالة غير حالة الخراج، سيؤدي إلى قلة موارد بيت المال.

ويجـد ربنـا أن نؤكـد في هـذا الصـدد أن عمليات إحيـاء الأراضي المـوات، وإقطاع القطائع، ليس الهـدف منها تكريس للملكية، بل هو إيجاد وسيلـة جديدة مضافة تسهم في رفد بيت المال بموارد جـديدة، وزيادة الإنتاجية وبما أن الخراج واجب بـاجتهاد أئمـة المسلمين، وأنـه يجوز أن يكـون خراج كـل ناحيـة مخالفًـا لخـراج غيـرهـا عن النـواحي(١٥)، فإن من شأن ذالك أن يـؤدي إلى حصـر بل

انخفاض في مقادير الخراج، ذالك أن المسؤولين فـي الدولة كانوا حريصين على أن تكون مقادير الخراج على وقف ما تتحمله الأرض[١٦].

وإذا أخذ المسـؤولون في الـدولة العربيـة الإسلاميـة برأي الإماميـن مالك وأبي حنيفـة في مسألـة تحصيل الخـراج واستيفائه تقل مـوارد بيت المـال، حيث قـال الأول: لاخراج على الأرض التي لم تزرع. سواء تركها صاحبها مختارًا أم معذورًا.

وقال الثـاني: يؤخـذ من صاحبها الخـراج إذا عطلها مختـارًا، ويسقط عنها إذا كان صاحبهـا معذورًا[١٧]، ومرة أخـرى تقل موارد بيـت المال حين أجـاز الفقهاء للمسلم شراء أراضي خراجين من أراضـي الصلح، مثل أرض (بني صولبا) وأرض (الحِيرة)، لأن لهـم عهـد صلح[١٨]. فإذا اشتراهـا المسلم أصبحت أرضًا عشـرية، وبذالك تقل موارد بيت المال من هذا النوع من الأراضي ثمانين في المئة[١٩].

ويرى الإمـامان مـالك[٢٠]، وأبو حنيفـة[٢١]، أن أجور مـن يتولى قسمـة إنتاج الأراضي الخراجية تؤخذ من وسط الإنتاج. فـي حين يرى الإمام الشافعي أن تؤخذ من حصـة الإمـام التي استـوفاهـا من الخـراج، والتي ستـذهـب إلى بيت المـال، وتصبح من موارده. ففي هـذه الحال تقل موارد بيت المال إذا طبق المسـؤولون في الدولة العربية الإسلامية رأي الشافعي.

كما أن هجـرة الفلاحين من قـراهم وأريافهـم إلى المدن والأمصار، قـد سببت ترك مساحات واسعة من الأراضي من دون استثمار، الأمر الذي دفع عمال الخراج لأن يكتبـوا إلى والي العـراق الحجـاج بن يوسف الثقفـي قائلين: إن الخـراج قـد انكسر، وإن أهل الذمـة قد أسلموا، وألحقوا بـالأمصار. فكتب إليهم: (إن من كان له أصل في قريـة فليخرج إليها[٢٢] كما أن ضياع سجـلات الأراضي بسبب حرق الـدِيْوان أثنـاء فتنة عبـدالرحمن بن الأشعث الكنـدي كان أيضًـا سببًا من أسبـاب تحول بعض الأراضي الخراجيـة إلى أراضي عشرية[٢٣] وأدَّى هذا الأمر إلى نقص في موارد بيت المال.

وأشار الصولي إلى ظاهرة مؤداها أن عمال الخراج قد يعمدون إلى أخذ موارد بيت المال واستيفائها قبل أوان دفعها، فأدّى ذالك إلى نقص موارد بيت المال، فشعر به الحجاج بن يوسف الثقفي وتساءل عن سبب ذالك، فقيل له: إن عماله أخذوا العاجل ولم يبصروا للعام القادم. فنقص الخراج لذالك)[٢٤].

واقترح قاضي القضاة أبو يوسف على الخليفة الرشيد أن يقاسم أصحاب الأراضي الخراجية التي تزرع بالحنطة والشعير على الخُمْسَيْن إذا كانت تُسْقَى سيحًا أو بالمطر. أما التي تسقى بالدوالي فعلى خمس ونصف (أي ثلاثين في المئة من إنتاجها). أمَّا النخل والكرم وبقية الأشجار المثمرة الخاضعة للخراج فعلى الثلث. أما غلال الصيف فعلى الربع (أي ٢٥٪)[٢٥] والذي يعنينا من هذا أن موارد بيت المال من الأراضي التي تزرع بالحنطة والشعير انخفضت عشرة في المئة (١٠٪)، حيث أصبحت أربعين في المئة بعد أن كانت خمسين في المئة. كما انخفضت موارد الأراضي التي تُسقى بالدوالي ثلاثًا في المئة (٣٪)، إذْ أصبحت ضريبتها ثلاثين في المئة بعد أن كانت ثلاثًا وثلاثين.

وهناك عوامل أخرى ساعدت على حصول نقص في موارد بيت المال وتذبذبها فخلال الحقب التاريخية التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية، تحول بعض الأراضي الخراجية إلى عشرية عن طريق الشراء[٢٦]، والهبات[٢٧]، فضلًا عن عملية إلجاء الأراضي التي هي الأخرى أسهمت في نقص موارد بيت المال[٢٨].

وفي ضوء الإجراءات التي اتخذها الخليفة المهدي، القاضية بجعل الخراج خراج مقاسمة بل خراج الوظيفة، وأخذ بنظر الاعتبار قرب الأراضي الخراجية المزروعة بالنخيل والأشجار المثمرة وبعده عن الأسواق والفرض، لأن ذالك يسهم في رفع سعر الكلفة[٢٩] فبهذا الإجراء أدى إلى حصول انخفاض في موارد بيت المال. وأشار الماوردي[٣٠] إلى إجراء اتخذه المسؤولون فأدَّى إلى انخفاض في

موارد بيت المال، فقال: إذا بلغ حاصل الغلة ما يفي بخراجين أخذ عنها خراج واحد، وإذا نقص عن مقدار خراج واحد أُعْفي المزارع عن أداء الخراج، وبذالك تكون موارد بيت المال قد انخفضت إلى النصف في أقل تقدير من هذا النوع من الأراضي. ويؤكد الماوردي أن هذا الإجراء طُبِّقَ في سواد العراق(٣١).

وقد عالج بعض ولاة الأقاليم، ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي، مسألة نقص موارد بيت المال إذْ حاول استصلاح أراضي جديدة(٣٢) ومنع تحويل الأراضي الخراجية إلى عشرية(٣٣) ومنع هجرة الفلاحين إلى المدن(٣٤). والاهتمام بنظام الري، فشقَّ أنهارًا وجداول وقنوات جديدة، وأقام السدود لدرء خطر الفيضانات(٣٥).

وتقل موارد بيت المال في حالة استيفاء موارد الخراج بطريقة القبالة والضمان. وهي الطريقة التي بموجبها يدفع الإمام أو من ينوب عنه، إقليمًا، أو بلدة، أو قرية، لمدة سنة بمال معلوم، إلى شخص معين، يؤديه إليه عن خراج أرضها، فيقبَل ذالك ويكتب عليه بذالك كتابًا، ويتولى هو جباية الخراج، وليس موظفو الدولة المكلفين لهذا الغرض(٣٦) وهو ما يعرف أحيانًا بنظام الالتزام، فيستفيد المسؤولون في الدولة من تعجيل وسهولة حصول المال، ولو أن هذا المال أقل عادة مما كان يأتي سابقًا من المنطقة أو الإقليم.

ويستفيد المُتقَبِّلُ من الفرق عن مقدار ماسبق أن دفعه وما يحصل عليه فعلًا(٣٧).

وقد أشارت النصوص إلى هذه الظاهرة لأول مرة عندما قدم رجل إلى عبدالله بن عباس عندما كان واليًا على البصرة إبَّان خلافة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأراد أن يتقبل منه خراج الأُبلة(٣٨) بمئة ألف درهم فرفض طلبه وعاقبه، لأنه عد ذالك نوعًا من الربا، وأن فيه إجحافًا بحق بيت مال المسلمين(٣٩). لكن الطبري(٤٠) أشار إلى أن معاوية بن أبي سفيان خَيَّرَ عامله على العراق عبيدالله بن زياد بين العزل أو الضمان لخراج العراق الذي بلغ مقداره ألف ألف درهم. ولكن

هـذا الأسلـوب في تحصل مـوارد بيت المـال بدأت دائرتـه تتسع خـلال العصـر العباسي لاسيما في القـرن الثالث الهجري[٤١]. على الرغم من أن المسؤولين في الدولـة كانوا يشعـرون أن استيفاء موارد بيت المال بهـذه الطريقة من شأنـه إلحاق ضرر نقصـان بموارد بيت المال، وأنه هـو السبب المباشر الـذي أدّى إلى حصول عجز في تسديد نفقات بيت المال.

ب- **أثر الظـروف الطبيعية**: تقل موارد بيت المـال أو ربما تنعـدم، إذا أصابت الغلال الـزراعية آفـة زراعية. أو كـارثة طبيعيـة. ذالك أن جمهور الفقهـاء يرون أن الخراج يسقط عن صـاحب الأرض الخراجية في مثل هـذه الحالات[٤٢] هذا فيما إذا كانت الأرض الخـراجية، تعامل على وفق خـراج الوظيفة. أما إذا كـانت تعامل على وفق خـراج المقاسمـة فلا نحتـاج إلى رأي الفقهـاء لِلْبَتّ في هذه المسألـة، ذالك أن الخراج يـؤخذ من الإنتاج المتحقق، فإذا قل، أو انعـدم، قلت موارد بيت المال عنـه، أو انعدمـت ويوجد رأي آخـر للفقهاء مـؤداه أنه إذا عطل رجـل أرضًا خراجيـة لسنتين ثم عمرهـا، أدى عنها خراجًـا واحدًا[٤٣] وقد تتعـرض المحاصيل الزراعية لظروف طبيعية قاسية، كالفيضانات والآفات الزراعية، أو انحباس الأمطار وما شـاكل ذالك[٤٤] ومن المـؤكد أن مثل هذه الظـروف تؤدي إلى نقـص الإنتاج الزراعي الذي يسهم بدوره في نقص موارد بيت المال وتذبذبه.

وتأسيسًـا على مـا أكـده النهج الاقتصـادي العـربي الإسـلامي، على ضـرورة تحصيل الخـراج من الغلة الأوفـر خـراجًا في حـالـة وجود نـوعي من الغـلال في الأرض الخراجية[٤٥]. فإن موارد بيت المال تقل في هـذه الحال. وإذا بار الشجر أو تلف. أو غرس مستثمر الأرض شجرًا جديدًا بـدله، وانفق عليه من ماله وجهده، أصبح الجديـد ملكه، وعليه أن يؤدي عشـر إنتاجه فقط، إذا بلغ الإنتـاج النصاب الـذي سبق أن ذكرنـاه[٤٦] وبـذالك تصبح هـذه الأراضي عشـرية بعـد أن كـانت خراجية، وعندئذ تقل موارد بيت المال نتيجة لهذا التحول.

وقد أثـرت الفتن والاضطرابات التي أحدثهـا أعداء الدولـة وكمثال على ذالك،

حركة صاحب الزنج[٤٧] وحركة القرامطة[٤٨]، وحركة بابك الخرمي[٤٩]، وحركة يعقوب بن ليث الصفار[٥٠]، وغيرها على موارد بيت المال، ذالك أن المناطق التي شملتها هذه الحركات كان لها تأثير سلبي على الإنتاج الزراعي وتَنَاقص أموال الجباية. كما أدى انفصال بعض الأقاليم عن جسم الدولة إلى انقطاع موارد تلك الأقاليم، وبذالك فقد بيت المال جزءًا من موارده[٥١].

حالات أراضي الصوافي: أراضي الصوافي، نوع من الأراضي التي حررت، أو فتحت بمجهود قتالي، غير أن ملاكها السابقين فارقوها فأصبحت وقفًا للمسلمين، تستثمر وتدر موارد لبيت المال. قال أبو يوسف: إن موارد بيت المال من أراضي الصوافي في سواد العراق فقط بلغ سبعة ملايين درهم،[٥٢] وتوجد إيماءات تُنْبِئ أن موارد الصوافي انخفضت، ذالك أن بعض الناس كانوا يعزفون عن استثمارها. ففي هذا الصدد ذكر يحيى بن آدم أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز كان قد فوض عماله إعطاء أراضي الصوافي بالمزارعة على النصف، فإن لم تزرع فبالثلث. فإن لم تزرع فبالعشر فإن لم تزرع منحت لمن يعمرها، فإن لم يحصل على من يعمرها أنفق عليها من بيت المال[٥٣]، والذي يعنينا من أمر هذه الحال أن أراضي الصوافي قد يصبح وارد بيت المال منها عشر إنتاجها، بدلًا من أن يكون نصف إنتاجها، وبلا ريب، فإن في ذالك حيفًا لموارد بيت المال.

وانخفضت موارد بيت المال من الإجراء الذي اتخذه الخليفة معاوية بن أبي سفيان حين اصطفى ماكان في بلاد الشام، والجزيرة واليمن للملوك من ضياع، وصيرها لنفسه خاصة، وكان أول من اصطفى الصوافي في الدولة العربية الإسلامية[٥٤]. فكان يحمل إليه، ولمن كان بعده من الخلفاء الأمويين خمسين ألف ألف درهم من إنتاج صوافي سواد الكوفة[٥٥] وعشرة آلاف ألف درهم من إنتاج صوافي البصرة[٥٦]. وإذا كانت هذه الأموال تذهب إلى ملكية الخليفة معاوية بن أبي سفيان الخاصة، فيكون بيت المال قد فقدها بعد أن كانت تشكل أحد موارده فيما سبق.

ونخلص من هـذا أن مـوارد بيت المـال لم تكن مستقـرة، دائمًا وإنمـا كـانت متذبذبة، متأثـرة بجملة عوامل سياسية وطبيعية، فضـلًا عن مدى تمكن الدولة عن السيطرة الفعليـة على جميع أقاليمهـا، وقدرتهـا على إخماد أية حـركة تمـردية أو انفصالية يحاول أن يقوم بها ذوو الأطماع والأطماح. ونحن لا نعدم وجود مثل هذه الحركات في أقاليم الدولة الشرقية والغربية على السواء. ناهيك أثر إهمال منظومة مشاريع الـري وإدامتها. لأن إهمالهـا يُسْهِمُ في انخفاض مـوارد بيت المال. ومن المؤكد أن انخفاض موارد بيت المال كان يؤدي إلى حصول رُدُوْدِ فعل سلبية على بقية مـرافق الدولة الحيويـة، وربما يعيق إسهامـاتها في تنشيط الدولة الاقتصـادية فضـلًا عن احتمـال تعـرض كيـان الـدولة وأمنهـا وتطـورهـا إلى عـدم الاستقـرار وهجمات الأعداء.

الدكتور حمدان عبدالمجيد الكبيسي

كلية الآداب (جامعة بغداد)

الحواشي:

(١) الجريب: مقيـاس المساحـة في الدولة الإسـلامية، ويسـاوي ١٠٠ قصبة مربعـة، وبذالك يسـاوي ١٥٩٢ مترًا مربعًا. ينظر: أبو عبيد، «الأموال»، ص ٧٥، هنتس، «المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٦) (عمان ١٩٧٠م).

(٢) الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٧٦.

(٣) الماوري، «الأحكام السلطانية»، ص ٢٣٧، أبو يعلى، «الأحكام السلطانية»، ص ١٤٥.

(٤) الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ٣٧.

(٥) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٦٣ و ٦٥ و ٦٧، أبو عبيد، «الأموال»، ص ٤٨٢ و ٥١١.

(٦) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٢٦، ابن آدم، «الخراج»، ص ٣٨، ابن زنجويه، «الأموال» جـ ١، ص ١٨٧.

(٧) أبو عبيد، «الأموال»، ص ٥١١.

(٨) ابن زنجويه، «الأموال»، جـ ١، ص ١٨٧ وما بعدها.

(٩) أبـو يـوسف، «الخـراج»، ص ٦٠، ابن آدم، «الخـراج»، ص ٧٧ - ٧٩، البـلاذري، «فتـوح»، ص ٤٥٣ (مطبعةالموسوعات) مصر ١٩٠١.

(١٠) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٦٠، ابن آدم، «الخراج»، ص ٧٧ - ٧٨.

(١١) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٦١، البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ١٩ و ٢٧، أبو عبيد، «الأموال»، ٢٨٧ و٢٨٩، ابن سعد، «الطبقات»، جـ ٢، ص ٥٨ و جـ ١، ص ٤٦ (مطبعة بريل) ليدن ١٣٣٢هـ الطبري، «تاريخ الرسل»، ص ١٤٥، ابن زنجويه، «الأموال»، جـ ٢، ص ٦٢٣، ابن عبدالحكم، «فتوح مصر»، ص١٣٧ (القاهرة ١٩٢٠).

(١٢) ابن آدم، «الخراج»، ص ٧٨، أبو عبيد، «الأموال»، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(١٣) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٥٨ و ٦٠. (١٤) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٥٨.

(١٥) ينظر: الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٤٢ و ١٤٩.

(١٦) ينظر: أبو يوسف، «الخراج»، ص ٣٧ و ٤٨. ابن آدم «الخراج»، ص ٧١ ابن رجب الحنبلي «الاستخراج» ص ٦٢.

(١٧) الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٥٠ وما بعدها.

(١٨) ابن آدم، «الخراج»، ص ٥١ و ٥٣، أبو عبيد، «الأموال»، ص ٨٨.

(١٩) $\frac{٤٠ \times ١٠٠}{٥٠} = ٨٠\%$

(٢٠) قدامة، «الخراج»، ص ٢٠٨.

(٢١) الماوردي، «الأحكام السلطانية»، ص ١٥١ وما بعدها.

(٢٢) ينظر: الطبري، «تاريخ الرسل والملوك»، جـ ٥، ص ٨٥. ابن الأثير، «الكامل»، جـ ٤، ص ٤٦٥.

(٢٣) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٣٧٥.

(٢٤) الصولي، «أدب الكاتب»، ص ٢٢٠ - ٢٢١ (تصحيح وتعليق محمد بهجت الأثري - القاهرة ١٣٤١).

(٢٥) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٥٠.

(٢٦) ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ)، «تاريخ مدينة دمشق»، مطبعة المجمع العلمي لدمشق (دمشق، ١٩٥١)، جـ ١، ص ١٨٣.

(٢٧) ينظر البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٣٠٢ و ٣٧٣ و ٣٧٥ وما بعدها. أبو يوسف الخراج، ص ٦١.

(٢٨) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٣٠٢.

(٢٩) ينظر: «الماوردي» «الأحكام السلطانية»، ص ١٤٩ و ١٧٦، قدامة، «الخراج»، ص ٢٢٣ و ٣٦٨.

(٣٠) «الأحكام السلطانية»، ص ١٧٦. (٣١) ن. م.

(٣٢) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

(٣٣) نفس المصدر (٣٧٥). (٣٤) ابن خرداذبه، «المسالك والممالك»، ص ١٤ - ١٥.

(٣٥) البلاذري، «فتوح البلـدان»، ص ٢٨٣، ٢٩٨، شُهراب. «عجائب الأقاليم»، ص ١٢٥ . طبعـة دولف هوزن (فينيا ١٩٢٩).

(٣٦) الرحبي، «الرتاج»، جـ ٢، ص ٣ (ينظر: أبـو يوسف، «الخـراج»، ص ١٠) وشاعت طـريقة الضمـان في العصر العباسي.

(٣٧) ينظر: أبو عبيد، «الأموال»، ص ٧٦، البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٤١٨ وما بعدها.

(٣٨) الأبلة: بلدة على ضفة شط العرب الغربية، قرب البصرة (ينظر: ياقوت، «معجم البلدان»، جـ ١، ص ٩٧). طبعة دار صادر (بيروت ١٩٥٧م).

(٣٩) أبو عبيد، «الأموال»، ص ٧٦، الجهشياري، «الوزراء»، ص ٦٩.

(٤٠) «تاريخ الرسل والملوك»، جـ ٥، ص ٥٢٣.

(٤١) ينظر: الصابي، «الوزراء»، ص ١٣ - ١٤، مسكويه، «تجارب الأمم»، جـ ١، ص ١٩ - ٢٠ و ١٠٠ و٢٣٤، قدامه، «الخراج»، ص ٦٢، ابن خرداذبه، «المسالك والممالك»، ص ٣٩.

(٤٢) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٤٥٢. (٤٣) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٤٥٣.

(٤٤) ينظر: ابن الجوزي، «المنتظم»، جـ ٦، ص ٢ وما بعدها و ٢٧ و ٥٠ و ٥٧ و ١٣٠ و ١٥٦ و ١٦٢ و ١٧٢ ابن الأثير، «الكامل»، جـ ٦، ص ٥٠ و ٦٠ و ١١١ و ١٣٨ و ١٦٥ و ١٧٧ وما بعدها.

(٤٥) ينظر: أبو يوسف، «الخراج»، ص ٨٥.

(٤٦) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ٤٥٢، وما بعدها. ابن رجب الحنبلي، «الاستخراج»، ص ٤٨.

(٤٧) عن حركة صاحب الزنج ينظـر: الطبري، «تاريخ الرسل»، جـ ٩، ص ٤٣١ و ٤٧٠ - ٤٧٢ و ٤٧٧ - ٤٧٨ و ٤٨١ و ٤٨٨ و ٥٠٤ - ٥٠٦ و ٥٢٧ - ٥٢٩ و ٥٣٤ و ٥٤٢ - ٥٤٣ و ٥٥٤ - ٥٥٦.

(٤٨) ينظـر الطبري: «تـاريخ الرسل»، هـذا، ص ٢٣ - ٢٧، ١٣٤ - ١٣٦، ابن الأثيـر «الكامل». جـ ٦، ص ٩٢ و١٠٠ و ١٠٤ و ١٠٨ و ١١٢ و ١١٥ - ١١٦ و ١٨٠. ابن الجوزي، «المنتظم»، جـ ٦، ص ٢٤، ٢٧، و ٣٠.

(٤٩) الطبري، «تاريخ الرسل»، جـ ٢٩، ص ١١ - ١٧ و ٢٣ - ٢٨، و ٣٠ و ٥٢ - ٥٥.

(٥٠) ينظر، الطبري، «تاريخ الرسل»، جـ ٩، ص ٣٨٢ - ٣٨٦ و ٤٧٦ و ٥٠٧ - ٥١٠.

(٥١) الطبري، «تـاريخ الرسـل»، جـ ٩، ص ٨٠ - ٨٩ و ١٧٥ و ١٨٧ - ١٨٨ و ٢٧١ و ٣٤٦ و ٣٨٢ - ٣٨٦. ابن الأثير، «الكامل»، جـ ٦، ص ٢ و ٥ و ٧ و٢١ و ٦٥.

(٥٢) أبـو يوسف، «الخـراج»، ص ٥٧، ابن آدم، «الخـراج»، ص ٦٤: أبو عبيـد، «الأمـوال» ص ٢٩٦. قدامـة، «الخراج»، ص ٢١٧، ابن زنجويه، «الأموال»، جـ ٧٢ ص ٦٣١ ، اليعقوبي، «تاريخ»، جـ ٢، ص ٢٢٢.

(٥٣) ابن آدم، «الخراج»، ص ٦٣. (٥٤) اليعقوبي، «تاريخ اليعقوبي»، جـ ٢، ص ٢٢٢.

(٥٥) ن. م. (٥٦) ن. م، ص ٢٠٧.

نظرات نقدية في:

رحلة الخياريّ المسمّاة «تحفة الأدباء وسلوة الغرباء»

توطئة: للرحلات أهمية كبيرة تتجاوز ما يصفه كاتبها من الأماكن والمدن ومقدار مسافاتها، والأعلام الذين التقى بهم، فالرحلة سيرةٌ ذاتية لصاحبها، يصف ما يعتمل في نفسه من رِضًى وحبور أو حوادث وآلام يُجَسّدها نثرًا أو شعرًا، فهي - أيضًا - تُعَدُّ مصدرًا أدبيًا ثرًّا لمصنفها أو لأدب الأعلام الآخرين الذين مَرَّ بهم أو استشهد بآثارهم، علاوةً على ما فيها من فوائد تأريخية وفقهية واجتماعيَّة.

وقد وصَلَ إلينا عدد من الرحلات - بعضُها قد طُبِع، والآخر مخطوط ينتظر مَنْ يُحقّقه وينفض عنها غبار الزمن-، ولعل رحلةَ الخياريّ المُسَمَّاة «تحفة الأُدباء وسلوة الغرباء» من الرحلات المهمة الماتعة.

ومؤلف الرحلة العلامة إبراهيم بن عبدالرحمن الخياريّ المدنيّ (ت ١٠٨٣هـ - ١٦٧٢م) شيخ جليل، ومن أُسرةٍ مدنية كريمة، قام بهذه الرحلة قبل وفاته بعامين، إذْ خَرَجَ من المدينة المنورة في ٢٢ من المحرم ١٠٨٠هـ، ثم ذَهَبَ إلى دمشق فالقسطنطينية - ومدنها - ثم عاد إلى دمشق فالقدس والقاهرة حتى عاد إلى المدينة في ٢٨ ذي القعدة ١٠٨١هـ، في رحلةٍ استمرت عامًا إلا عشرين يومًا.

والملاحظ على أسلوب الخياري السجع الذي عمد إليه عمدًا، ولغته البسيطة، علاوة على أنه يستخدم (ما) بعد (كان) واللام مع (بعض) و (غير) في عباراته التي قد نراها متكلفة في بعض الأحيان. كما نرى تضمينه لكثير من الأشطار والأمثال سواء في القصائد التي يوردها أو ضِمْن سردِهِ لأحداث الرحلة، مع استشهاداته بالأبيات المفردةِ - لكنه في أغلب الأحوال لا يذكر قائلها، وفي بعضِ القصائدِ كثير من علم التأريخ الشعري.

ولعل أشهر مَنْ تأثر بهذه الرحلة هو الشيخ عبدالغني بن إسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣هـ) في رحلته الشهيرة «الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز»، بل إنه اجتمع بالشيخ الخياري بدمشق سنة ١٠٨٠هـ.

وقد وصلتْ إلينا من رحلة الخياري أربع نسخ، في عدد من المكتبات والمدن، هي:

١- دار الكتب المصرية ٥٤٥ جغرافية. ٢- المتحف العراقي ١٣٦٢.

٣- توبنكن (المانيا) ٦١٣٥. ٤- مانجستر ٣٢٠.

٥- اصطنبول.

وفي عام ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م[1] نشر الشيخ حمد الجاسر مقالًا قيمًا بعنوان (مع الشيخ إبراهيم الخياري المدني في رحلته)، فترجم له، مستعرضًا نصوصًا من رحلته بالاعتماد على النسخة الألمانية، ونشر ثلاث صفحات منها.

وبعد عامين - أي ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م - صَدَرَ الجزء الأول من هذه الرحلة بتحقيق الدكتور رجاء محمود السامرائي، ولم يصدر الثاني إلا بعد عشر سنوات، إذْ صَدَرَ عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م وفي عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م صدر الجزء الثالث والأخير وختمه محققه الفاضل بفهارس عامة للآيات والأحاديث والأمثال والأعلام واللغة والأبيات الشعرية مع المصادر والمراجع التي نهل منها ورجع إليها. ولم يُشرْ إلى مقال الشيخ حمد الجاسر(*).

ولأهمية هذه الرحلة المباركة، فقد اطلع عليها الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي ونشر عرضًا لها.

ثم قام المرحوم الأستاذ إبراهيم الوائلي بنشر ملاحظات نقدية مهمة في جريدة «العراق» بغداد ١٩٨٦م، تخصّ الجزء الثاني فقط.

ثم تجمعتْ لدينا ملاحظاتٌ أُخر ونقداتٌ جديدة، رأيْتُ أنْ أنشرها هنا خدمة لهذه الرحلة وصاحبها ومحققها المفضال.

وقد أَثبتُّ الملاحظات والنظرات على الوجه الآتي:

أوَّلًا: مخطوطات الكتاب: رجع المحقق الكريم إلى النسخ التي أَشرنا إليها قبل قليل، عدا نسخة اصطنبول، أما النسخة الألمانية فقد رمز لها بحرف (ت)،

وهي النسخة نفسها التي رجع إليها في مقاله الملمع إليه في مجلة «العرب»، ولقد لاحظنا الأمور الآتية:

١- في أقصى طرّة النسخة من جهة اليسار وَرَدَت عبارةُ: (الحمد لله، وغفر له، من عواري الزمان لدى فقير محمد بن عبدالرحمن بن تاج الدين البعلي الحنفيّ، لطف الله به.. والحمد لله أولًا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا) وهي مثبتة عند الجاسر، لكنها مشطوبة في نسخة السّامرائي!، ولعل يدًا خفيَّةً فعلت ذالك.

٢- في المطبوعة ١/ ١٣ - السطر ١٢ بعد كلمة (الأبصار) وردت عبارة: (وأرجو من الله حصول الاجتماع وتملّي الأبصار) عند الجاسر، وساقطة عند السّامرائيّ.

٣- ١/ ١٣ - السطر ١٣ (اخبر)، وفي الهامش عن نسخة (ت) - أي: الألمانيَّة - (اخبرني)، وهو الصحيح.

٤- ١/ ٣٥٦ السطر ٦ (بساط الجو)، وفي نسخة (ت): (بساط المجو).

٥- ٢/ ١٢٢ - السطر ٣: (ثم منها لحمص)، والصحيح: (ثم منه لحماة، وبتْنا مطرقين لحمص).

- إنَّ هذه الاختلافات مهمةٌ جدًا، ولعلها نماذج قليلة، لم نجد الدكتور السامرائي يشيرُ إليها.

ثانيًا: تخريج الآيات القرآنية: حفل الكتاب بكثير من الآيات القرآنية الكريمة، سواء وَرَدَت صريحة، أو بصورةِ اقتباسٍ أو تضمينٍ، وقد خَرَّجَ المحقق بعضها، وسها عن بعضها الآخر، على ماهو مُفَصَّل هنا:

١/ ٢٨ - السطر ١٦، ٣٥٥ - السطر ١ - ٢.

٢/ ٥٦ - السطر ١٨ - ١٩، ٢٣، ٩٨، ١١٢، ١١٩.

٣/ ٤٠، ٤٩ (آيتان)، ٥٩، ٩٢، ١١٩، ١٦٤، ١٦٥.

وفي ٣/ ٨٣ - السطر ٢ - ٣ وردت آيتان ذكر المحقق إنها آية واحدة!، وهذا

وهم، ثم وَرَدَتْ فيهـا كلمةُ (فيهـا)، وهي زائدة، كمـا زيد حـرف الواو في أول الآيـة الواردة في ٣/ ١٦٥، مع وجود نقص في الحرف نفسه في كلمة (زروع) في ٣/ ٨٤.

وكان الصواب - في كلّ ذالك - أنْ تُذكر الأبيات داخل أقواس مُزَهرة مضبوطة بالشكل التام.

أما الأحاديث النبوية الشريفة فقد وَرَدَ حديثٌ في (٢/ ١٩٩).

ثالثًا: تخـريج الأشعار: في الكتاب أبيات كثيرة جـدًا أوردها الخياريُّ لنفسِهِ أو لغيرِهِ، منَ القُـدماء أو المعاصـرين له، ولئِنْ خَرَّج المحققُ بعضَهـا - وهو قليل - فأنه أَهمل الكثيرَ منها، على الرَّغَم منْ شهـرتها أو شهرة قائليها، ووصول دواوينهـم منشـورة محقَّقـة، علمًـا بأنَّ بعض هـذه الأبيات أوردهـا الخيـاريّ ضمن كـلامـه الطبيعيّ في النثر، أو ضمن قصائد أخرى.

وأدوّن هنا تخريجات الأَشعار التي أهملها المحققُ.

١/ ٣٢، الشطر الثاني للمتنبيّ.

١٢/ ٤٨: وبلـدةٍ ليس فيهـا أنيس حتى اليعـافيـر وحتى العيس

قال المحقق في الهامش: إنه لِبِشْرا

قُلت: وهـذا وَهْمٌ، فـلا وجود لـه في ديـوان بِشْر بن أبـي خازم، تحقيق د. عـزَّة حسن، المطبـوع بدمشق، بل هـو ثابـت النسبة لجـران العَوْد في ديـوانه المطبـوع بالقاهرة، ثم ببغداد!

١/ ١٧١: مَنْ تلق منهم تَقُل لاقيت سَيِّدهم مثل النجـوم التي يَسْـري بها السَّـاري

وسكت المحققُ عن تخـريجـهِ، وهو لعبيـد بن العـرنْدس الكـلابّي من قطعـة مشهورةٍ له، في: «حماسة أبي تمام»، برواية الجواليقي: ٥١٩):

١/ ٣٠٤: إذا رضيتْ عليَّ بنـو قشيـر لعمـر الله أعجبنـي رضـاهَـا

قلتُ: والبيت للقحيف العقيلي، في: شعـر ٤٠٩ (جمع الشيخ حمد الجـاسر، مجلة «العرب» ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).

٢/ ٥٠ جاء فيها: (فلا يغيب عنك المثل المشهور: مصائب قوم عند قوائم فوائدُ).

قلتُ: هو شطر بيتٍ للمتنبي لم يَنْتبه إليه المحققُ الكريمُ، وكان حقّه أنْ يُصَحّحَ إلى (عند قومٍ)، ويطبع منفردًا، وصدره: بذا قَضت الأيامُ ما بين أهلها.

٢/ ٥٢ - السطر ١٣ - ١٤ بيت وَضَعَهُ المحققُ بصورةِ نثرٍ، ولم يُخَرِّجْهُ.

٢/ ٥٤ بيتان للمتنبي، لم يُخَرّجْهُما المحققُ على ديوانه.

٢/ ٦٤ بيتان لم يعزهما المصنف إلى القائل، وسكتَ المحققُ عند ذالك. وهما لابن النّبيه المصريّ.

٢/ ١٩: أ- ألَا يا اسْلَمِي دارَ الحبيب عن البلا   ولا زال منهلًّا بجرعائك القطرُ

ب- ويادارها بالخيفِ إنَّ مزارها   قريبٌ ولكن دونَ ذالك أهوالُ

فعلّقَ المحققُ: (لم أتعَّرف على قائل هذا البيت والذي بعدَهُ).

قلتُ: البيت الأول لذي الرمة، وفيه (دار مية)، والثاني لأبي العلاء المعرّيّ.

٢/ ٥٤: ثلاثة تشرق الدنيا بطلعتهم   شمس الضحىٰ وأبو إسحاق والقمر

قلتُ: البيت لمحمد بن وهيب في: «ديوان المعاني» ١/ ٢٨، وفي شعره الذي نشره د. يونس السامرائي ضمن: «شعراء عباسيون»، بيروت، ج ١، ١٩٨٦م.

٢/ ١٤٥، عجز البيت الثامن، فيه اقتباس من آية قرآنية.

وعجز البيت العاشر، كذالك، ولم ينبّه المحقق إلى ذالك.

٢/ ١٣٠: وإنما أولادنا بيننا   أكبادنا تمشي على الأرض

قلتُ: هو بيتٌ شهير لحطّان بن المعلّىٰ، في: «الزَّهرة» ٢/ ١٨٨، «عيون الأخبار» ٣/ ٩٥.

٢/ ١٣٠ وَرَدَ بيتٌ للبهاء زهير، لم يخرِّجْهُ المحقق على «ديوانه» ١٢٤ (دار المعارف، ١٩٧٧م).

٢/ ٥٥ وَرَدَ بيتٌ للفتح الحلبي، لم يُشر المحققُ إلى أنه وَرَدَ قبل ذالك في ١٨.

٢/ ١٤٥: وقد وافاه للتدليل شمس   تشبيه الشيء منجذب إليه

قلتُ: عجز البيت لأبي تمام بن رباح (؟) في «نزهة العمر» للسيوطي ١٢.

٢/ ٧٧ البيت ١٤ هو لأبي تمـام، ولم يُشر المحققُ إلى ذالك. (قاله المـرحوم الوائليّ).

٢/ ٦١ و ٣/ ١٤٩ وَرَدَ بيتان، همـا لأبي الحُسَيْن الجزّار، في «فوات الـوفيات» ٢/ ٤١٨.

٢/ ١٢١: ورد فيها (ولقد قيل للضرورة يؤتىٰ الكنيف).

قلتُ: هذه إشارة إلى بيت ابن بَسَّام:

ولـــولا الضـــرورة مـــاجئتكم وعنـــد الضـــرورة يـــؤتـى الكنِيف

٢/ ٦١ - البيتان الأوّلان، هما لمجير الدّين في «فوات الوفيات» ٢/ ٤١٨.

٣/ ٥٧ ورد بيت نسبه المحقـق إلى أبي عليّ البصيـر، وخـرّجه على «نهـايـة الأرب»، وحقّه أن يخرَّج على: شعره الذي نَشَرَهُ د. يونس السامرائي بمجلة «المورد» مج ١، ١٩٧٢م. ثم في كتابه: «شعراء عباسيون»، بيروت ١٩٨٧م - ج ٢.

٣/ ٢٤: وَرَدَ بيتٌ شهيرٌ للمتنبي، لم يُشَرْ إلى نسبته إليه.

٣/ ٧١ - ٧٢، وردت قصيـدة صَحَّحَ المحققُ الكـريمُ نسبتها إلى الجـرجـانيّ صاحب «الوساطة».

قلتُ: وهي في «يتيمـة الـدهر» ٤/ ٢٤، «المنتظم» ٧/ ٢٢١، «معجم الأدبـاء» ١٤/ ١٧.

٣/ ٧٣ ورد البيت الآتي:

نجـــوم سمـاء كلّمـــا غـاب كـــوكب بـــدا كـــوكب تـأوي إليـــه كـــواكب

قلتُ: والبيت لأبي الطمحان القينيّ في «الكامل» ٣/ ١٢٩ «حماسة البحتري» ٢/ ٢٧٢، وفي شعره بتحقيق محمـد نايف الدليمي في مجلـة «المورد» مج ١٧ - العدد ٣ - ١٩٨٨م، ص ١٥٧، ورواية القافية: كواكبه.

٣/ ٧٨: الأبيات الثلاثة الأولى في «فوات الوفيات» ٢/ ١٨٠.

٣/ ٨٥: ورد بيتان لأبي الصلت أمية بن عبدالعزيز الداني، هما في «ديوانه» ٩٣ (تونس ١٩٧٩م).

٣/ ١٠٥ - الأبيات الثلاثة هما لأبي الصَّلت أُمية في «ديوانه» ٩٨.

٣/ ١٠٧ وردت جملة نثرية فيها: أنا الغريق فما خوفي من البللِ

قلتُ: وهذا شطرُ بيتٍ للمتنبيّ، وَجَبَ أنْ يفردَ في سطرٍ وحده.

٣/ ١٢٩ - الأبيات هي لأبي الصَّلْت أُميّة الداني، في «ديوانه» ١٠٣، ورواية الأول: (السِّماك)، بدلًا من السماء. ورواية عجز الثاني: (شمس الخدور)، بدلًا من: شمس الخدود.

والبيتان بعدهما في «ديوانه» ٨٥، مع ضرورة التنبيه إلى أنَّ عجز الثاني هو لأبي عُيَيْنة المهلّبيّ في: «رحلة التجاني» ٨٧ وينظر «شعر أبي عُيَيْنة» لصلاح الفرطوسي ص ٣٢٢ - ٣٢٤ «شعراء مقلون» ٣٦٦ (الخليل الفراهيدي).

٣/ ١٥٩ أورد المحققُ في هامشه بيتًا وَنَسَبَهُ لنهار بن توسعة، ولم يرجع في تخريجهِ إلى: شعره الذي جَمَعَهُ وحقَّقَهُ الدكتور خليل العطية في مجلة «المورد» - مج ٤ - العدد ٤ - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣/ ١٦٠: وَرَدَ البيت الآتي:

إذا ما كنت للأحزان عونًا عليكَ مَعَ الزمانِ فمن تلومُ

قلتُ: أ- صوابُ عجز البيت أنْ تلحق به علامة الاستفهام.

ب- البيت لمحمدّ بن أُمية (ت نحو ٢٢٧هـ)، في «الدر الفريد» لابن أيدمر ٢/ ٧٩.

ج- يُنْسَبُ البيتُ لمحمّد اليزيديّ في «وفيات الأعيان» ٦/ ١٨٨، «شعر اليزيديين» ١١٢ (بغداد ١٩٧٣م).

٣/ ١٦٢: وَرَدَ بيتان سكتَ عن نسبتهما المحققُ، هما:

١- الخيـر يبقىٰ وإنْ طـال الزمـانُ بـه   والشــرّ أخبث مـــا أوعيـت منْ زادِ

٢- ومَنْ يلقَ خَيْـرًا يحمد النـاسُ أَمْرَهُ   ومَنْ يغـو لا يَعْـدم على الغيِّ لائمًـا

والأول لطرفة بن العبد في «ديوانـه»، والثاني للمرقش الأَصْغَر، في «شعره» ٥٣٧ (صنعة د. نوري القيسي، مجلة كلية الآداب - العدد ١٣ - ١٩٧٠م).

٣/ ١٧٤، وَرَدَ بيتان على قـافية الباء، وقد خَـرَّجهما المحقق عن «نَفْح الطيب» للمقري على أنهما للملك الناصر داود بن عيسىٰ.

قلتُ: وقد طبع ديوانـه ورسائله المسماة «الفوائد الجلية في الفـرائد الناصريَّة» بتحقيق الدكتور نـاظم رشيد ببغداد ١٩٩٢م، وهو في الأصل رسـالة (دكتوراه) من جامعة بغداد ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

والبيتان فيه ص ٢٩٢.

ورواية صدر الأول:

ولمـــا بَـــدَتْ للعيـن أعـــلام جِلَّقٍ

ورواية عجز الثاني:

نأتْ، ومشيب العيـش عـاد قبـابـهُ(؟)

٣/ ١٨٧: وقد يَتَسَمّىٰ بالهوىٰ غير أهلِهِ

قلتُ: هو شطر بيت للمتنبي في «ديوانه» ٣/ ٣٢٧، وفيه: وقد يتزيّا

وعجزه:

ويستصحب الإنســانُ مَنْ لا يُـلائمـهُ

رابعًا: **أوهامُ التَّحقيق وفواته**: وندرج هنا نظراتٍ في بعض الأوهام التي رَأيناها في تحقيق الدكتور السامرائي للكتاب، علاوةً على مـافاته من أُمور مهمةٍ تفيد التحقيق،

وبعضها عن كتب صدرت بعد طباعة الكتاب، وددنا ذكرها زيادةً في الفائدة.

١ - وَرَدَ في نهـاية الجُزء الأول تأكيـد المحقّق من أنَّـه سيزودّ الجزءَ الثـاني من الكتاب بخـريطةٍ تبيّن المنازل التي مرّ بهـا الرحّالة إلى (تـركية) في ذهابه وإيـابه، لكنه لم يفعل.

٢- وَرَدَت في الكتاب أسماءُ كتبٍ ورسائل لعدد من الأعلام، لذالك كنا نتمنى - وفق المنهج العلمي - أنْ يضعها المحققُ داخل أقـواسٍ، ويشير إلى المصادر التي جاءت فيها، وأن يُعَرِّف ببعضها، إنْ كانت مخطوطة أو مطبوعة. يُنْظر: ٢/ ٤٣، ٤٨ - ٤٩، ٦٥، ٣/ ٤٢ - ٤٣، ٤٨ - ٤٩.

٣- وَرَدَت عبارة فيهـا خطأ لغويّ صحَّحه المحققُ في الهـامش، ولم يُصَحِّحْهُ في المتن، وتكرر الأمرُ في: ص ١١٠ و ١١٣.

٤- في ٣/ ١٩ أورد الخيـاريّ نصًّا لابن خلكـان، فكـان من الواجب أنّ يـرجعَ المحققُ إلى النص المحـال إليـه وهو «وفيـات الأعيـان». لكن المحقق لم يفعل ذالك، وتكـرر الأمــر ص ١٠٣، إذْ لم يـرجع المحققُ إلى بعض كتـب الجـاحظ ليتبيّن الإشارة التي نقلها عنه.

٥- في ٣/ ٤٩ جاءت كلمة (الـروشن)، فعلّق عليها المحققُ: (لـم أتوصَّل إلى معناها).

قلتُ: الروشن: الشرفة أو الكوَّة.. فارسي معرَّب.

٦- وَرَدَتْ في ٣/ ١٥١ كلمة (جوامك)، ولـم يعرِّف بها المحققُ.

قلتُ: معناها: الرواتب.

٧- ٢/ ٧٢ - السطر ٤ - النصوص، صوابها: الفصوص.

٨- ٢/ ١١٢ (الأقدام فيه متداينة)، الصَّواب: متدانية. وفيه: عبادة، والصواب: عبارة.

٩- ٢/ ١١٦ (باق شهر)، وفيها: إلا ما يمكن، والصواب: إلّا ما يحكى!.

١٠- ٢/ ١٨٥ - يُضاف إلى هامش التعريف بالسرمرّي: (ت ٧٧٦هـ)، إن له: «نهج الرشاد في نظم الاعتقاد»، وهي أرجوزة حققهـا الأستاذ هلال ناجي في مجلة «جامعة صدام للعلوم الإسلامية» العدد الأول، ١٩٩٣م.

١١- ٣/ ٢٠٤ - المناويّ (ت ١٠٣١هـ). ولنا دراسة متكاملة عن حياته وآثاره.

١٢- ٣/ ٣٩ - السطر ٦ - (ورسالته)، الصواب: وسألتُهُ.

١٣- ٣/ ١٢٣ نقل المـؤلف من كتـاب «السكـردان» لابن أبي حجلـة (ت ٧٧٦هـ) (ولم يتم لهم ما قصدوه) - السطر ٩، والنص في «السكردان» ص ٣٣ - ٣٤ (وخانهم ما قصدوه)، ولم يُشر المحققُ إلى ذالك الاختلاف برغم رجوعه إليه!

١٤- ٣/ ١٦٧ ذكر المحققُ وهو يترجم للشيخ مجـد الدين ابن ظهير الإربليّ، أنَّ له ديوانَ شعر مخطوط.

قلت: حقق ديوانه الدكتور ناظم رشيد، وصدر عن جامعة الموصل ١٤٠٩هـ - ١٩٩٨م.

١٥- في ٢/ ٩٧ ورد اسم (كمال باشا)، فلم يترجم له المحققُ.

قلتُ: توفي سنـة ٩٤٠هـ، تـرجمته في «الشقائق النعمـانية» لطـاش كبري زاده ٢٢٦، «شذرات الذهب» ٨/ ٢٣٨.

١٦- كثير من الأبيات الشعرية والأقوال لم تُضْبَط بالشكل.

١٧- في ٣/ ٥٤ (العلاء بـن العطار)، ولكن المحقق الفاضل خلـط في فهرس الأعـلام ٣/ ٢٢٤ بينه وبين يحيى العطـار ص ٣٨، وَسَقَطَ (الجاحظ) من فهـرس الأعلام!

١٨- من المفضّل أنْ يُطبع (فهرس الأماكن والأعـلام الجغرافية) على عمودين

في الصفحـة، تجنبًا لتبـذيـر الـورق وتضخيم حجم الكتاب، وكـذالك (الفهـرس اللغوي).

١٩- في فهـرس (الأبيـات الشعريـة) أورد المحققُ الكـريم البيت كـامـلًا مع مـوضعه الـذي وَرَدَ فيه، وكـان يُفَضَّل أنْ تُـذكر القـافيـة فقط ثم القائل ثم البحـر الشعري ثم الجزء والصفحة.

٢٠- في فهـرس (مصادر ومـراجع التحقيق)، أوردَ المحققُ بعض الكتب دون ذكر سنة الصدور ومكانها أو اسم محقق الكتاب، أو مؤلفه.

يُنظـر: ص ٣٤٨ رقم ١٧ و ص ٤٥٩ رقم ٣ و ١٠ و ١٩ و ص ٣٥٠ رقم ١١، وص ٣٥٢ رقـم ٥، و ص ٣٥٣ رقم ٢ و ٤ و ١٠ و ١٢ و ١٣، و ص ٣٥٤ رقـم ٢ و١١ و ١٤ و ١٨ و ١٩، و ص ٣٥٦ رقـم ١ و ١٣ و ٢٠، و ص ٣٥٧ رقـم ٢ و ٩ و١٠، بل إنـه رجع إلى طبعـات غيـر علميـة لعـددٍ من المصـادر على الـرُّغم من صدور نشراتٍ منها محققة تحقيقًا علميًا.

وَبَعْدُ: فَقَدْ كـانتْ هذه السُّطُور وَقَفات ونظـرات نقديَّة تحقيقيَّة لكتـاب «تُحفَة الأُدَباء وسلْـوة الغربـاء» نَحْسبها ضـروريَّة لـه، والتي نأمل أنْ تكونَ مفيـدةً ومُتَمِّمَةً لعملِ مُحقِّقهِ المرحوم السَّامرائيّ.

الحلة: عباس هاني الچراخ

الحواشي:

(١) مجلة «العرب» ج - ٣ - السَّنة ٢، ص ١٩ - ٢٢٤. ورجع الشيخُ الجاسر إلى الكتابِ نفسِهِ عند تأليفه قسم شمال المملكة من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية».

(٢): [«العـرب»: كان محقق الـرحلة الـدكتور السـامرائي بعث إلى صـاحب «العرب» مـلازم الجزء الأول منهـا مطبوعًا، وطلب منه إبداء رأيه حيالها فبعث نقدًا مُطَّولًا لما حوته تلك الملازم (الكراريس) مع خلاصة جاء فيها إن طبع الـرحلة بهذه الصـورة يعد عَبثًا يجب أن يُصـان تراث الأمة عن مثلـه، ويحسن إعادة الطبع وفق التصحيحات، كما بعث لـه بصورة مخطوطة على درجة من الصحة... ولم يـرد جواب، ولم يُسمع بخبر عن الرحلة بعد ذالك، إلا من أفواه بعض الإخوة بأن الرحلة طبعت كاملة في بغداد.

شعر الشنفرى الأزدي

لمؤرج السدوسي

قراءة نقدية: كتاب «شعر الشنفرى الأزدي»[١] الصادر عن مطبوعات مجلة «العرب» بتحقيق الدكتور علي ناصر غالب؛ جاء ليسد فراغًا في مكتبة الشعر الجاهلي، بعد أن اعتمد الباحثون - سنوات طويلة - على تحقيق الأستاذ عبدالعزيز الميمني - رحمه الله - في «الطرائف الأدبية» الصادر سنة ١٩٣٦، وهي - على تقدمها واستقصاء محققها - لا تفي بالغرض المطلوب الذي يغني الباحث، كما أن لديوان الشنفرى طبعات أخرى تجارية لا تفي بالمطلوب؛ لذالك جاءت هذه الطبعة محققة تحقيقًا علميًا - في ضوء الإمكانات المتاحة، ومراجعة من قبل عالم جليل في هذا الميدان هو الدكتور عبدالعزيز المانع، وذالك كله تحت عين وبصر شيخنا ووالدنا الأستاذ حمد الجاسر - حفظه الله -.

وقد كَرُم شيخنا أبو محمد بإهدائي نسخة من هذا العمل القيم؛ كونه يعلم اهتمامي بشعر الشنفرى، وتقديرًا منه لشخصي الضعيف؛ فكان لزامًا عليَّ كتابة هذه الدراسة عن هذا الإصدار.

اسم الشنفرى ولقبه: عدَّدَ المحقق الفاضل الروايات التي ذكرت اسم الشنفرى: عامر بن عمرو أو شمس بن مالك أو عمرو بن مالك[٢]، والذي نرجح أنه عمرو بن مالك لوروده في أكثر من مصدر[٣]، وربما كان اسمه عامر بن عمرو كما ورد في «العمدة»، لكن لا يوجد مصدر آخر يعضد ذالك، غير أن المحقق الكريم اعتمد - في ذكر أن اسمه عمرو بن مالك - على مصدرين حديثين هما: «معجم المؤلفين» و «الأعلام»، بينما ذُكر ذالك في مصادر قديمة.

وينقل العبدري عن كتاب مفقود اسمه كتاب «العَدَّائين» بعضًا من أخبار الشنفرى، وأن اسمه: الشنفرى بن مالك بن الأدرم[٤]، وهو المصدر الوحيد الذي ذكر جده، وشيئًا من أخبار والده.

عد المحققُ الشنفرى - اعتمادًا على «المزهر» من أغربة العرب، وهم الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم، وهو وَهْمٌ سببه أن السيوطي قد خلط بين الأغربة وبين الصعاليك والرآبيل؛ لارتباط هذه الصفة ببعض الصعاليك (اللون الأسود)، وسوف نرى أن الشنفرى لم يكن أسود اللون بل كان أبيض اللون اعتمادًا على الأدلة التالية:

أولًا: تذكر بعض المصادر أن أمه سبية من (فهم)[٥] وأنه عندما قتل أبوه ولم تجد من يأخذ بثأره انتقلت إلى (فَهْم) وكونها سبية لا يعني أنها كانت أمة حبشية؛ وإلا لما رحلت إلى قومها الأصليين، بل ذكر آخرون أنها حرة تزوجها أبوه في (فَهم) وحملها إلى ديار قومه[٦].

ثانيًا: لم يُذكر الشنفرى ضمن أغربة العرب في مؤلفات المتقدمين من تلاميذ الأخباريين الأوائل كابن حبيب وابن قتيبة[٧]: لمعرفتهم الفرق بين الأغربة وبين الصعاليك.

ثالثًا: كانت طبقات المجتمع الجاهلي هي: العرب الصرحاء أو أبناء القبيلة صليبة ثم الموالي، ثم العبيد، وهم إما أن يكونوا أسرى أو أحباشًا اشتروا واستعبدوا، والعبد الحبشي أسود اللون كما هو معلوم، وقد ذكروا أن للشنفرى أختا - كما ظن هو - طلب أن تَصُبَّ عليه الماء، فلطمتهُ منكرة أنها أخته، وهذا الخبر يَشِي أن الشنفرى لم يثر ارتيابه سواد لونه - إن كان أسوده - ونتساءل: ألم يكن سواده - إن وجد - مدعاة للتساؤل في نفسه؛ أحقًا هذه الفتاة أخته أو شقيقته في مجتمع كان يقيم للون وزنا؟! ولما كان الشنفرى أبيض البشرة لم يثر في نفسه أيُّ شك من جهة ذالك.

رابعًا: الشنفرى قطعت إحدى يديه قبل أن يقتل، فرثاها بأرجوزة مطلعها (لا تبعدي إما هلكت شامة)، أي يرثي شامة كانت في يده وكان بها معجبًا، ونتساءل: أسيكون الشنفرى معجبًا بشامته إن كانت على لون جلده الأسود، وحينذاك

سيكون لونها ضائعًا في لون الجلد، لكنها ستكون أوقع في نفسه إن كانت الشامة على يد بيضاء كقول القائل (كنقطة عنبر في صحن مرمر).

خامسًا: الشنفرى نفسه يقول:

أبي ابن خيار الحَجْر بيتًا ومنصبا   وأمي ابنة الأحرار لو تعرفينها

ألا يجعلنا ذالك نتساءل: إن كان الشنفرى يكذب على الناس بإدعاء أن أمه ابنة أحرار بينما هي (ابنة العبيد) لِمَ لَمْ يُكَذَّبْ من معاصريه أو من مؤلفي سيرته، خاصة أنه يعلم سوء منزلة الكاذب عند العرب؟!

سنة وفاته: ليس لدينا تحديد لوفاة الشنفرى في أي سنة كانت، فهو قد عاش حتى وخطه المشيب، كما يقول تأبط شرًا في رثائه.

وقد حدد الزركلي وفاته سنة (٥٢٥ م) أما سركيس فذكر إنها سنة (٥١٠م) وذالك تحديد بعيد عن وقت وفاته، إذا أردنا أن يكون قريبًا من الحقيقة؛ لأننا نعلم أن حياة الشنفرى ارتبطت بحياة تأبط شرًا، وكانت لتأبط شرًّا أخت متزوجة في مكة اسمها آمنة، أو أمية، أسلم ابنها عدي بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى في فتح مكة وكان عاملًا على حضرموت لعمر أو عثمان، وإذا كان الشنفرى وتأبط شرًا ذَوَا سنٍ واحدة وماتا في وقت متقارب - قتل الشنفرى قبل قتل تأبط شرًا، ولم يدرك تأبط شرًا طول العمر مثل المعمرين أي أنه قتل في أوج قوته - وابن أخت تأبط شرًا من الجيل التالي للشنفرى وتأبط شرًا، ألا يمكن القول أن الشنفرى قد مات في أواخر القرن السادس الميلادي أو مطلع القرن السابع الميلادي قبيل ظهور الإسلام (٦١٠م)!

نسبة الشرح إلى مؤرج: في الحقيقة كنت أتمنى أن أوافق نفسي على نسبة هذا الشرح الجليل لمؤرج السدوسي؛ لافتقارنا إلى معرفة مفصلة بمناهج الشراح المتقدمين كأبي عَمْرو بن العلاء ومؤرج السدوسي ومن عاصرهما وسبقهما؛ إلا أنني أقف موقف شك من نسبة هذا الشرح إلى مؤرج، للأسباب التالية:

أولًا: لا أعلم كيف اختار المحقق أن ينسب هذا الشرح لمؤرج رغم وجود أشخاص آخرين من رواة هذا الكتاب (قال أبو المنهال: حدثني مؤرج قال: حدثني عبدالله بن أبي هشام بن أبي عمير النمري)[٩].

وربما كان ذالك أنه وردت روايات أخرى عن أخبار الشنفرى لمؤرج فَرَجَّح المحقق - بسببها - أن يكون الكتاب له.

ثانيًا: لم يرد على صفحة عنوان المخطوطة أن هذا الشرح من عمل مؤرج - رغم أن ذالك موجود في معظم شروح الشعر العربي القديم، حين يذكر اسم الشارح أو الرواة - ولم تظهر إلى الآن مخطوطة أخرى تؤكد أن هذا الشرح لمؤرج أو غيره؛ لأن المخطوطتين الأخريين - التركية والمصرية - غفلان من اسم الشارح أيضًا، وهذه النسخ الثلاث تختلف في الرواية والشرح وعدد القصائد والأبيات وترتيبهما.

ومعلوم لدينا أن بعض القدماء كانت لديهم شروح لشعر الشنفرى أو روايته، إلا أنه لم يقع لنا مخطوطة عليها اسم الشارح، رغم ورود شروح منسوبة لعلماء أجلاء، ولا أعتقد أن هاؤلاء سوف يخجلون من إيراد أسمائهم على شرحهم لشعر الشنفرى.

ثالثًا: لم يذكر الرواة أو من ترجموا لمؤرج أن له شرحًا لشعر الشنفرى - مثل ابن النديم في «الفهرست» وإن كنا نرجح أن يكون له كتاب مفقود عن الشنفرى، وعدم ذكره في المصادر لا يعني أنه لم يؤلف.

رابعًا: ورد في الشرح مَثَلٌ يقول: (قد أُسْرِي عليه بليل)[١٠]، وقد أورد مؤرج هذا المثل - في أمثاله بروايتين هما (أمر قُضِي بليل) و (أمر صُرِم بليل)[١١]ومعنى ذالك أن مؤرجًا كان يستقصي روايات هذا المثل عندما ذكره، فكيف يغفل مؤرج هذه الرواية في شرحه لشعر الشنفرى لا يوردها في كتاب «الأمثال» وهي تختلف عن روايتي كتاب «الأمثال» في بعض الألفاظ؟!

خامسًا: هناك رواية لمؤرج عن حياة الشنفرى لم تذكر في هذا الشرح، وذكرها ابن الأنباري في شرحه لـ«المفضليات»[١٢] مما ينفي أن يكون هذا الشرح بتمامه لمؤرج، ولكن ربما كان هناك كتاب لمؤرج اعتمد عليه الشارح.

سادسًا: تمتاز الشروح في عصر مؤرج (١٩٥هـ) بـالبساطة وقلة الشرح اللغوي والتاريخي[١٣]، ومن أمثلـة ذالك «ديـوان الخـرنق» بروايـة أبي عمـرو بن العـلاء (١٥٤هـ) وهـذه الصفة مـوجودة في معظم قصـائد الديوان عـدا اللاميـة، لأن بها استقصاء فـي الشرح يمـاثل مافي الشـروح الأخرى كشـرح العكبري والـزمخشري وهما متأخران، بينما الشرح المنسـوب للمبرد (٢٨٥هـ) أو ثعلب (٢٩١هـ) يتميز بالبساطة، وهو أقل غنى من هذا الشرح المنسوب - مع بقية القصائد - لمؤرج.

سابعًا: يتسم هذا الشرح بتعدد الروايات أو قوله بعد البيت (يقول:...[١٤] وهذه ليست من سمات الشروح المتقدمة، وهي أقرب إلى الشرح التعليمي، كما أن كثرة الروايات ترد في أمثلة منها بعد قول الشنفرى:

وإني كفـاني فقـد مـن ليس جـازيًـا بحسنى ولا فـي قـــربــــه مُتَعَلَّلُ

ويروى: بنُعمى، المتعلل: الشيء اليسيـر الذي يتعلل به، أي يُكتفى بـه، يقول: كفـاني فَقْدُ من لا يجـازي بحسنى ولا في قربـه ما يكتفى بـه، قال غيـره: المتعلل الذي يتعلل به من العيش، وقال غيره: متعلل، يريد به أنس[١٥]).

وذالك يعني أن هـذه السمة ليست من سمـات جيل مؤرج، بل إن كـاتب هذه النسخة أو الذي اختـارها كانت أمامـه أكثر من رواية لشعر الشنفـرى وهو يضيف إلى الرواية الأصلية التي أمامه ما يجده مناسبًا.

ثامنًا: مؤرج كما نعلم متـوفى سنة (١٩٥هـ)، وترد في الكتـاب روايات وشروح عمن هم أصغر منه سنًا كالأصمعي (٢١٦هـ) وأبي عبيدة (٢١٠هـ) (والعقر مقام الشاربة من الحوض في قول الأصمعي، وقالت الأعراب وأبو عبيدة: عقر الحوض مؤخره...)[١٦]

من مؤلف الشرح؟: نحن أمام شرح لا يبدو أن مؤلفه متقدمًا مثل مؤرج، بل هو يرجع إلى فترة متأخرة، ونحن أنكرنا أن يكون مؤرج صاحب هذا الشرح بناء على ما

ذكرناه من حجج ودلائل؛ مع أننـا لا نغفل أن يكون لمؤرج شرحًا لـديوان الشنفرى أوكتابًا عن أخبار الشنفرى كان مصدرًا من مصادر هذا الشرح.

قد نتسـاءل: لم لا يكون أبـو المنهال صـاحب هذا الشرح؟! قـد يعقل ذالك، لكن هـذا لا يمكن أن يكـون رأيًـا حـازمًـا؛ وبعض الأدلـة تشيـر إلى اهتمـام أبي المنهال بشعر الشنفـرى، إذ تذكر مخطوطة دار الكتب رواية لـه في إحدى قصائد الشنفرى، كما أن ابن طيفور في «القصائد المفردات» روى لامية الشنفرى عن أبي المنهال، ونعجب حينما نـرى أن رواية أكثر أبيات اللامية مطابقـة لما في القصائد المفردات، كمـا أن الفقرات الأولى من الشـرح مطابقـة لما في شـرح أبي المنهال للامية عند ابن طيفور؛ ففي شرح البيت الأول من اللامية:

أقيمـــوا بني أمـي صُـــدُوْر مطيكم فإنـي إلى قـــوم ســـواكـم لأمْيَلُ

يقول أبو المنهال: أي جدُّوا في أمركم، وانتبهوا من رقدتكم)[١٧].

وفي شرح شعـر الشنفرى: (قولـه: أقيموا صدور مطيكم: أي جـدُّوا في أمركم، وانتبهـوا من رقـدتكم، ويقـال: مطيـة ومطـايـا ومطي، وقـال غيـره: أقـام صـدر المطية...)[١٨].

ومثل ذالك في أكثر أبيات اللامية في المصدرين.

وهذا يستبعد أن تكـون هذه الرواية التـي أمامنا لشعر الشنفـرى وهذا الشرح أن يكونا لأبي المنهال كاملين.

نحن نذهب إلى أن شخصـا ما صنع هذا الشـرح معتمدًا بالـدرجة الأولى على رواية أبي المنهال وشـرحه، مضيفًا إليها الشروح الأخرى والروايـات التي بين يديه، ولا نستبعد أن تكـون رواية أبي المنهال بـدورها معتمدة على روايـة مؤرج. إذن من هو صاحب هذا الشرح؟!

عنوان المخطوطة التي بين أيدينا يقـول: (كتاب فيه شعر الشنفرى، كامل، كتبه العبد الفقير إلى رحمـة ربه محاسن بن إسماعيل بن علي لنفسه، شـاعر مجيد من

أهل حلب)، ونحن نعتقد أن هذا العنوان أو هذه النسخة منقول عن نسخة محاسن؛ إذ لا يمكن أن يصف نفسه بأنه شاعر مجيد، ومعنى ذالك أن محاسن هذا قد كتب هذه النسخة لنفسه وانتقاها من الروايات التي قبله معتمدًا على رواية أبي المنهال روايةً أصلية، ومضيفًا إليها ما وجده في الروايات الأخرى - خاصة لامية العرب - وقد نبه على ذالك حتى لا يعده من يأتي بعده شارحًا للديوان مثل الشراح المعروفين، وكتب ذالك على صفحة العنوان ليزيل اللبس الذي يمكن حدوثه بسبب ذالك؛ وإلا فإن الناسخ عادة يُذكر اسمه في ذيل المخطوطة وليس في أولها، وهذا يدلنا على أن هذه المخطوطة أو شعر الشنفرى كتاب منتقى قصد به التعليم أو الاستذكار.

المستدرك: يُحمد للمحقق استقصاؤه شعر الشنفرى، فزاد على مافي المخطوط أشعارًا أخرى، وهي نوعان:

أ- زيادات على القصائد الواردة في المخطوط. وهي أبيات وردت في مصادر أخرى - لم ترد في قصائد الديوان، لعل أهمها بيتان في لامية العرب أوردهما الخالديان، لم يردا في جميع نسخ اللامية وشروحها.

ب- زيادات ألحقها المحقق في ذيل الديوان، أبيات وقصائد، لعل أهمها تلك الأبيات التي وردت في كتابي «الأنساب» للعوتبي و «شرح مقصورة حازم» للشريف الغرناطي.

جـ- أورد المحقق أبياتًا نسبت للشنفرى وللقتَّال الكلابي، وما نسب للشنفرى منها بيتان فقط في «الأشباه والنظائر» بينما ساق المحقق المقطوعة منسوبة في خمسة أبيات للقتّال الكلابي، ونبّه على أن للشنفرى بيتين منها قد نسبا له، وكان عليه أن يورد البيتين المنسوبين للشنفرى فقط وينبه إلى وجود أبيات أخرى تنسب للقتال الكلابي...

وهناك زيادات لشعر الشنفرى لم تقع للمحقق الكريم، وهي:

(١) قال:

١- تـراها أمـام الحي حين تشايحـوا لـــدى منكبيهــا كل أبيـضَ مصلتِ

(«شعر الشنفرى»، مخطوطة دار الكتب المصرية)

تشايحوا: جدوا.

(٢) قال:

١- فإنْ تُقبلــوا نُقْبِلْ بمـن نِيلَ منكم وإن تـــدبـــروا فـأمٌّ من نِيـلَ فيأَتِ

(«شعر الشنفرى»، مخطوطة دار الكتب. «الأغاني» ٢١/ ١٨٩ وفيه: فُتَّت).

نيل. أسر. فيأت: سبيت.

(٣) قال:

١- إذا أوحشَ الليلُ الهِـدانَ وجدتُّنِي هــو الأُنْسُ لي والمشــرفيُّ المهنَّــدُ

(شروح «سقط الزند» ٢/ ٥٤٦). الهدان: الجبان.

(٤) قال:

١- فقال غُرابٌ لا اغتـرابٌ من النوى وبــالبــانِ بَيْنٌ من حبيبٍ تعــاشــرُهْ

(«الممتع» في التصريف ١/ ٥٠، وهو لكثير عـزة في ديوانه ٤٦٤، «عيون الأخبار» ١/ ١٤٧، «الحيوان» ٣/ ٤٤١، «زهر الآداب» ٢/ ١٦٩).

(٥) قال:

١- تــؤرقني وقـــد أمست بعيـــدًا وأصحـــابي بِعَيْهَـمَ أو تَبــالَـــهْ

(«مجاز القرآن» ١/ ٢١٦، وهو يشبه قـول حاجز الأزدي في «نوادر أبي مسحل» ١/ ٢٢٤:

ألا طـــرقـت خيـــالــــة أم كـــرز وأصحـــابي بعيهم من تبـــالــــهْ)

(٦) قال:

١- لا تبعـــدي لمـا قطعـت شـامــهْ	٢- فـرب خـــرق قـد قطعت هــامـهْ
٣- ورب حي قـــد نهبت ســـامـــه	٤- ورب واد جـــاوزت أعـــلامـــه
٥- ورب قـــرن فصلت عظـــامـــه	٦- ورب شهــــر عبــرت أيـــامـــه
٧- وربّ قفـــر قـــد علـت آكـــامـه	٨- ومضمـــر قـــد الكـت لجـامـه
٩- وقطعت من جَـــزْيـــه حـــزامـه	١٠- فَسِيقَ جـري الـوعـل والنعـامـه
١١- ورب زِقٌّ شـــربــت أثـــامـــه	١٢- يـارب غـــور جئت من تهـــامـه

١٣- وشعب نجـــد لم أهب عـــرامـــه

(«تمثال الأمثال» ١/ ٣٣٩).

دبا الحصن: أحمد محمد عبيد الهنداسي

الحواشي:

(١) «شعر الشنفرى الأزدي»، لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (١٩٥هـ)، تحقيق وتذييل: د. علي ناصر غالب، راجعه: د. عبدالعزيز بن ناصر المانع، أشرف على طبعه: حمد الجاسر.

(٢) «شعر الشنفرى» لمؤرج ٥.

(٣) «نزهة الألباب في الألقاب» ١/ ٤٠٨، «تاج العروس» (شنفر)، ونسبته إلى مالك في مصادر: «جمهرة اللغة» ١/ ٣٢٨، «الأغاني» ٢١/ ١٦٠، «نظام الغريب» ١٥٤، «نهاية الأرب في شرح لامية العرب» ٣٧.

(٤) «تمثال الأمثال» ١/ ٣٢٢ و ٣٣٩. (٥) المصدر ١/ ٣٢٢، «ديوان المفضليات» ١٩٥.

(٦) «رفع الحجب المستورة» ٣١٣ (مخطوطة دار الكتب).

(٧) «المحبر» ٣٠٦، «الشعر والشعراء» ١/ ٢٥١.

(٨) «جمهرة نسب قريش وأخبارها» ٤٢١، «الإصابة» ٢/ ٤٦٤.

(٩) «شعر الشنفرى» لمؤرج ٥٦. (١٠) نفسه ٦٦.

(١١) «أمثال مؤرج» ٤٤. (١٢) «ديوان المفضليات» ١٩٦.

(١٣) «شروح الشعر الجاهلي» ١/ ١٩٥ (لأحمد جمال العمري).

(١٤) «شعر الشنفرى» لمؤرج ٦٩، ٧٨.

(١٥) نفسه ٦٩، وينظر: ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٧، ٨١، ٨٣، ٨٧، ٨٨، ٩٠.

(١٦) نفسه ٧٨. (١٧) «القصائد المفردات» ٦٩.

(١٨) «شعر الشنفرى» لمؤرج ٦٦.

من رجال التربية والتعليم في بلادنا

- ١ -

أسرة العتيقي من الأسر العلمية في نجد

عرف في بلاد نجد في العصور الأخيرة أُسَرٌ عنيت بالعلم طلبًا وتدريسًا وقضاءً فترة متعاقبة من الزمن في بلدة (أشيقر) كآل مُشَرَّف الوهبية التميمية، وأسرة آل إسماعيل، وغيرهما، وفي (سدير) كأسرة آل أبي بُطين العائذيين العقيليين، وفي (المجمعة) كآل العتيقي، وأسر كثيرة أخرى لا يتسع المجال لذكرها، وهي جديرة بالدراسة وإفرادها بالتأليف ممن تناقلوا العلم، وتوارثوه كابرًا عن كابر، ومن أشهرها في عهدنا أسرة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - المعروفة أولًا في (الدرعية)، ثم في مدينة (الرياض) باسم (آل الشيخ) وهي امتداد للأسرة المُشَرفِيَّة.

وقد دعت المناسبة للحديث عن أسرة العتيقي، حيث وقعت أسماء لبعضهم في كتاب «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» تحقيق الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين بحاجة إلى تصحيح حيث حرف الاسم (حمد) في بعضها إلى (أحمد) ومن حسن الحظ أن من كتب هاؤلاء مالا يزال موجودًا محفوظًا في (مكتبة الأوقاف العامة) في الكويت، قد سجلوا أسماءهم بأنفسهم على الوجه الصحيح، ولعل من إكمال الفائدة ذكر بعضها:

١- «تفسير سورة الشعراء» للخازن: وقف سيف العتيقي سنة ١١٧٥هـ.

٣- «ديوان يحيى الصرصري» من كتب محمد بن سيف بن حمد العتيقي سنة ١٢٠٤هـ.

٢- «التنقيح المُشْبع في تحرير أحكام المقنع» للمرداوي، وقف إبراهيم بن سيف العتيقي سنة ١٢١٦هـ.

٤- «شرح دليل الطالب»، وقف عبدالعزيز بن حمد بن سيف العتيقي ٢ رجب ١٢٣٩هـ.

٥- «الوسائل إلى معرفة الأوائل» للسيوطي، من كتب عبدالله بن صالح بن سيف العتيقي سنة ١٢٢٣هـ.

٦- «هـداية الـراغب شـرح عمدة الطـالـب» لعثمـان بن أحمد النجـدي وقف الشيخ سيف سنة ١٢٣٦هـ.

تلك بعض الكتب المـوقفة بأسمـاء المذكـورين كما سجلـوها، ومنهـا يتضح اهتمامهم باقتناء الكتب وخاصة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -.

وممن كان مشهورًا من علماء هذه الأسرة المشايخ: سيف وابناه إبراهيم ومحمد، وسيف بن حمـد بن سيف، وعبـدالعـزيـز بن حمـد وعبـدالله بن صـالح بن سيف، وصالح بن سيف، وحمد بن عبدالعزيز وغيرهـم، ممن سآتي بعرض تراجم بعضهم.

وتحسن الإشـارة إلى أن آل العتيقي ينتمون بـالنسب إلى قبيلة جهينـة المشهورة، نزح جـد الأسرة حمـد العتيقي من الحجاز إلى نجـد، وهو من أسـرة العتيقي من بني حميـد من بني سنان من جهينـة، بسبب خـلاف دبَّ بين أبناء العمـومة، فـالتحق آل العتيقي بمصاهرة بالحوازم، من بني سـالم في (وادي الصفراء) قرب المدينة المنورة، ثم نزح الشيخ سيف بن حمـد العتيقي إلى نجد، وبعض أسرته إلى الكـويت، ولدى الأسرة وثيقة من الشريف عبدالله بن جُبَـارة والشريف عبدالله بن عبدالمعين بتاريخ ٦ شعبان سنة ١٢٥٩هـ تؤكد أن آل العتيقي من جهينة - كما تقدم -.

والآن استعرض تراجم بعض مشـاهير هذه الأسرة مبتـدئًا بأقربهم زمنًا وأوسعهم شهرة بيننا:

١- **الشيخ عبدالعزيز بن محمد العتيقي**: هو عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن سليمان العتيقي، ولد سنة ١٣٠٠هـ، وتربَّى في بيت علم ودين، حيث جده لأمه هو الشيخ إبراهيم بن محمـد العتيقي، قاضي (المجمعة) و(سدير)، تعلم مبـادئ الدين على يـد جده إبـراهيم، والمطـاوعة أمثـال عبدالله بن سيف وعبـدالله الفاخري، وأحمـد بن عُبيد، ونشأ في بلدة (المجمعة) عـاصمة (سدير)، وكـان تَوَّاقًا إلى طلب العلم والاستـزادة منه، وصدف أن تعـرف في (البصرة) إلى السيـد محمد رشيـد رضـا، من أقطاب الحـركـة الإصـلاحية، صـاحب «المنـار» واتفق معـه على الدراسـة على يديه في مصر، في مـدرسة (دار الدعوة والإرشـاد)، وبالفعل درس في هذه المدرسـة في (مصر) سنتين من ١٣٣٠ حتى ١٣٣٢هـ، وتتلمـذ على يد السيد

رشيد رضا وغيره مثل أحمد أفندي الديك، والسيد طه، والدكتور محمد صدقي.

وأثناء الحرب العالمية الأولى توقفت الدراسة، وكان السيد رشيد رضا، أراد أن يرسل رسائل إلى الزعماء العرب، فكلف الشيخ عبدالعزيز العتيقي بتوصيل رسالة إلى السلطان عبدالعزيز آل سعود، حاكم نجد، وكلف السيد محب الدين الخطيب برسالة مماثلة إلى السيد طالب النقيب حاكم البصرة، وانتقل الاثنان إلى (البصرة) بعد رحلة شاقَّةٍ، وُضِعا خلالها تحت الإقامة الجبرية فترة من الزمن، وكانا يتراسلان مع السيد رشيد رضا بـ (الشفرة)، لإخطاره بتطورات الأحداث أثناء احتلال البصرة من قبل الإنجليز.

ثم انتقل الشيخ عبدالعزيز بعد ذالك للعمل بين (الأحساء) و (الكويت) حيث انتقلت عائلته، وفي تلك الفترة قام بزيارة (البحرين) في شعبان ١٣٣٤هـ ونزل ضيفًا على السيد علي إبراهيم الزيَّاني، من أثرياء البحرين وكان يريد أن ينشئ مدرسة هي أول مدرسة في البحرين، وكلف الشيخ العتيقي بكتابة النظام الأساسي للمدرسة، والإشراف عليها، فقام بذالك، وأشرف على بنائها، ثم انتقل إلى (الكويت) و (المجمعة) لزيارة والدته، وتولى الشيخ حافظ وهبة إدارة المدرسة في (المُحَرَّق) وبعدها فتحت مدرسة ثانية في (المنامة) وكان أن مُنِع السيد حافظ وهبة من دخول (البحرين) سنة ١٣٣٩ لأسباب سياسية بعد قضاء إجازته في (الكويت)، فتولى الشيخ العتيقي الإشراف على (معارف البحرين) مدة أربع سنوات من ١٣٣٩ حتى ١٣٤٢هـ، وحيث أن مدرسة البحرين هي أول مدرسة تنشأ في البحرين على النظام العصري، فإن الشيخ عبدالعزيز يُعَدُّ بحقٍّ أحد رواد التعليم الحديث في منطقة الخليج.

ثم بعد ذالك ترك (البحرين) لأسباب صحية، وتنقل في بلدان الشرق الأقصى، حيث تفرغ للدعوة السلفية والتعليم، يتنقل بين الهند والملايو واندونيسيا، واستقر فترة من الزمن في جزيرة فلفلان (بنانغ)، حيث أشرف على إدارة مدرسة أهلية عربية بناء على طلب الشيخ محمد الحساوي صاحب المدرسة، واتصل مع الشيخ أحمد السُّوْرْكَتِي من زعماء الجالية العربية في أندونيسيا، فكان يسهل له

التنقل بين الجزر لنشر الدعوة والتصدي لإفتراءات المفترين على الحركة السلفية، كما قام بالدعوة في الهند من أجل التقريب بين المسلمين، وتوضيح مبادئ الدعوة السلفية، وأنفق خلال هذه الرحلات كل ما يملك من أموال، واتصل بكثير من زعمائها أمثال الزعيم غاندي وأبي الكلام آزاد، وشوكت علي والشيخ سليمان الندوي وحبيب الرحمن الشيراوي وغيرهم، وساعده في ذالك زملاءه من تلاميذ السيد رشيد رضا، الذين انتشروا في الأقطار، وبالتالي فإن أفكار الشيخ العتيقي تُعَدُّ مزيجًا من العقيدة السلفية صيغت بأسلوب إصلاحي.

ثم انتقل إلى الحجاز عند فتحها من قبل الملك عبدالعزيز آل سعود، وشارك في لجنة تسليم جدة له من قبل الشريف علي بن الحسين، وتنفيذ اتفاقية التسليم سنة ١٣٤٤، ثم عمل مساعدًا للأمير فيصل بن عبدالعزيز، نائب الملك بمكة المكرمة والحجاز ذالك الوقت، ونائبًا له، كما كان عضوًا في (مجلس الشورى) للهيئة التأسيسية لتنظيم أسس حكم الحجاز التي أسسها الملك عبدالعزيز في ذالك الوقت.

وللشيخ عبدالعزيز مقالات نشرت في جريدة «أم القرى» في الفترة ما بين ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ حتى رمضان ١٣٤٤[١].

ثم حدث في أول سنة ١٣٤٦هـ أن وُجِّهَتْ تهمة إلى عدد من الوجهاء في مكة وجدة منهم الشيخ محمد سرور الصبان والشيخ محمد الطويل والشيخ عبدالعزيز العتيقي، والدولة في أول تأسيسها بحاجة إلى اتخاذ الحذر والحيطة، خشية تسلل عدو خارجي يضاف إلى هذا أن في هذه السنة[٢] حدث الخلاف بين الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وبين الإخوان وكانوا أقاموا مؤتمرًا في (الارطاوية) حضره رؤساء القبائل، وكان الملك إذ ذاك في مكة بعد فراغه من الحج، وقرروا في مؤتمرهم هذا من الأمور ما يثير القلق وعدم الاستقرار، فعلم به الملك عبدالعزيز، من هنا وقعت التهمة على أولئك، مما استدعى اعتقالهم في سادس شهر صفر سنة ١٣٤٦ وأُتِي بهم إلى الرياض، فأمضوا رهن الاعتقال فيها إلى شهر رجب ١٣٥٠، حيث أفرج عن الشيخين محمد سرور ومحمد الطويل، أما الشيخ العتيقي فقد أُرسل إلى الأحساء، فمكث أربع سنوات، حتى توسطت الأميرة

الجليلة نورة بنت عبدالرحمن، أخت الملك عبدالعزيز - رحمهم الله - في العفو عنه، فتم ذالك، وسُمِح له في الإقامة الجبرية أربع سنوات في بلدة (المجموعة) أنشأ خلالها مدرسة تولى التدريس فيها تَطَوُّعًا، ثم أُذِن له بالسفر إلى (الكويت) حيث تقيم أسرته فعاد إليها سنة ١٣٥٨ (١٩٣٧م) وعمل في (المدرسة المباركية) ثم (المدرسة القِبْلِيَّة) حتى سنة ١٣٦٩ (١٩٤٩م) ثم قررت الحكومة فتح مدرسة (الفُحَيْحيل) هي أول مدرسة خارج مدينة الكويت العاصمة، وكان اسمها في (الفُحَيْحيل الابتدائية للبنين) وسميت فيما بعد (مدرسة عثمان بن عفان) فانتقل إليها ناظرًا وبقي فيها حتى سنة ١٣٧٦ (١٩٥٦م) حيث أُحيل إلى التقاعد لكبر سِنِّه، وقد كان يشاركه التدريس في ذالك الوقت الشيخ أحمد المبارك مطوع الفحيحيل وابنه الأستاذ محمد العتيقي الذي تسلم إدارة المدرسة بعد ذالك حتى سنة ١٣٨٥ (١٩٦٥م) وقد قدرت الحكومة الكويتية الشيخ عبدالعزيز فسمت هذه المدرسة باسمه في منطقة (الصليبخات).

وفاته: انتقل إلى رحمة الله بعد عمر مديد أمضاه في الدعوة إلى الله والتعليم في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ١٣٨٥ (٢٨/ ٣/ ١٩٦٦) وله من الأبناء محمد وموضي ونورة وأمية، ولابنه محمد ابن سيأتي ذكره.

من أقواله: يوم ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٤٤ يوم المبايعة للملك عبدالعزيز حاكمًا للحجاز بمكة المكرمة ألقى كلمة مختصرة عند البيت الحرام قال فيها: (الناس على دين ملوكهم، أما وقد أعطانا الله هذا الملك الصالح فعلينا أن نكون معه دعاة إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - والمحافظة على شعائر الإسلام حتى نسترد ماكان لنا من مجد عظيم، وذكر حسن).

حمد الجاسر

الحواشي:

(١) فاتحة العدد الـ (٤٤) في ١٢/ ٤/ ١٣٤٤ بعنوان (حكومة جدة ودعاياتها وجناياتها على نفسها) وفي عدد يوم ٤/ ٥/ ١٣٤٤ بعنوان (الدجالون وكيف أبطل الله كيدهم) فاتحة العدد الـ (٦٤) في ٥/ ٩/ ١٣٤٤ بعنوان: (الفقه والفقهاء، منشأ الفقه وظهور المذاهب).

(٢) انظر «النجم اللامع للنوادر جامع» للشيخ محمد بن علي آل عبيد حوادث سنة ١٣٤٦.

العبايدة: نسبهم وفروعهم وديارهم

(٢)

ومن أخبار العايد تحت مسمى العبايدة - وقد مرّ بعضها - في بلادهم القديمة ما يلي: جرى العرف عند البدو أن العبايدة كانوا ملاك بلاد التيه وجنوبي فلسطين ومنطقة العقبة ومن ذالك ما حدثني به الحاج سالم بن غانم الأحيوي المسعودي قال: كان وادي اليتم مع العبايدة وكان لهم ماء في وادي أم حلّوف ومن آثارهم قبور لهم في تلاع العيال قلت: وادي اليتم وادٍ عظيم من أودية حسمى ينبع من جبال الشراة ويسيل على رأس خليج العقبة حيث يلتقي سيله مع سيل وادي عربة وكان يعرف قديمًا بالأتم وهو من ديار جذام القديمة وأم حلّوف وادٍ صغير يسيل إلى وادي الجرافي على الحدود بين فلسطين وسيناء في شمال غرب العقبة قرب جبل سماوة على نحو ٨٠ كيلًا من العقبة أو يزيد وتلاع العيال وادٍ صغير يسيل إلى وادي العقفي على نحو ٤٠ كيلًا من العقبة في شمالها الغربي داخل فلسطين ومما يُروى عن العبايدة أن شيخًا عباديًّا كبيرًا دَلَّ نفرًا من الغراقين الأحيوات على ماء المالح في جنوب غرب العقبة على نحو ٣٥ كيلًا داخل سيناء وكان ذالك قبل نحو قرنين بعدما علم أنهم من سكان تلك المنطقة ومن آثارهم ببلاد التيه مقبرة قديمة لهم في جنوبي بلاد التيه إلى الغرب مع ميل إلى الجنوب من ماء المالح قال نعوم شقير في ذكر وادي أبو متيقنة أحد أودية جنوبي بلاد التيه قال: (وعلى نحو خمس دقائق من مصبّ هذا الوادي منحدرًا بوادي العريش بارود العبايدة وهي مدافن قديمة للعبايدة عن يمين الوادي قد نُصب عليها أخشاب كأخشاب البنادق ومن ذالك اسمها)[1] قلت: ومن آثارهم في نواحي أبو متيقنة السِّقِي ويعرف اليوم بسِقِي البدارة يصنعون منه الرَّحى أودعه العبايدة مع البدارة حينما ارتحلوا إلى شمال غرب سيناء والبدارة بنو أخت العبايدة فأمهم عبادية وهم فرع من الحمدات من الأحيوات من المساعيد وفي ذكرهم في بلاد الطور قال نعوم شقير: (وأما العبايدة فإنهم استوطنوا بلاد الطور مدّة ثم رحلوا عنها بسبب القحط

في الأرجح إلى مصر فسكنوا مديرية الشرقية و غربي بلاد العريش ومن الأقوال المأثورة عنهم أنهم قالوا عند ارتحالهم من بلاد الطور: تركنا الشَّرّ في خُشيم الطُّرّ. وبقي لهم كرم نخيل في وادي فيران إلى عهد قريب فرهنه سليمان ابن غانم العيّادي عند رجل من العوارمة ثمَّ باعه له سنة ١٩٠٥)[٢] قلت: يعنون بخشيم الطُّرّ خشيم - تصغير خشم - الطور ومن أحداثهم في شمال شرق سيناء كونة العيّادي أورد ذكرها عارف العارف فقال: (كونة العيّادي: هي أوّل حرب أهلية اتصل بنا خبرها وقد قامت بين العربان الذين نزلوا هذه البلاد وبين العيايدة من عربان سيناء إذ كان هاؤلاء أصحاب الأراضي الواقعة بين العريش والسويس من شبه جزيرة سيناء فهاجمهم الترابين والتياها والجبارات معًا وكان النصر بادي ذي بدء حليف العيادي إلا أن أعداءه أجمعوا أمرهم وقوّوا صفوفهم وأغاروا عليه فكسروه وقومه شرّ كسرة حتى إنهم يقولون إنه لم تقم للعيّادي قائمة منذ ذالك الحين ثم اصطلح الفريقان واتخذا جبل المغارة في سيناء حدًا فاصلًا بينهما على أن ينزل العيايدة في غربه والتياها والترابين وباقي حلفائهم في شرقه)[٣] وقد ظلت للعيايدة بعد انحسار ديارهم بقايا في جنوبي فلسطين وغيرها ستأتي الإشارة إليهم وهنا نلاحظ أن مسمى العيايدة ظهر في كافة أنحاء ديار العايد حيثما كانوا في منطقة العقبة وجنوبي فلسطين وبلاد العريش والتيه والطور في سيناء والشرقية وحوالي القاهرة مما يهدم أباطيل القائلين بأن العايد غير العيايدة وسيأتي تفنيد ذالك خلال هذا البحث.

العيايدة عند بعض الكتاب: الذين ذكروا قبيلة العايد كثيرون قديمًا وحديثًا ففي عهد ابن فضل الله العمري (٧٠٠ - ٧٤٩هـ) كان شيخهم يدعى نجم بن هجل قال: (نجم بن هجل شيخ عائذ الشرقية)[٤] وقال في «مسالك الأبصار»: (عليهم درك الحاج إلى العقبة)[٥] ونقل القلقشندي عن ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) أن مساكن العايد تمتد من بلبيس إلى العقبة وإلى الكرك[٦] وقال: (ومن جذام أيضًا بالشرقية العائد وهم بطن من جذام عليهم درك الحاج إلى العقبة)[٧] وقال في ذكر

عربان درب الحاج المصري: (أما العربان بالدرب المصري إلى مكة فمن بركة الحجاج إلى عقبة ايلة للعائد من عرب الشرقية)[٨] وقال ابن خلدون: (العائد وعليهم درك السابلة بتلك الناحية ولهم على ذالك الأقطاع والعوائد من السلطان)[٩] وقد تحدث الجزيري كثيرًا عن العايد وأورد شيئًا من أخبارهم وقد مرّ ما أشار إليه وفي ذكرهم قال: (أما عربان العائد فهم عربان الريف وهم بدنات متعددة) وقال: (منازلهم بأقليم الخانقاه السرياقوسية والريف وظواهر القاهرة)[١٠] وقال في ذكر دركهم: (وأما الدرك الكليّ المشور فهو على أمير عربان العايد بالشرقية وعلى جماعته وابتداؤه من أول صحراء القاهرة وخان داود باشا إلى الحمام وهو بجانب البحر الملح محلّ زينة أمير الحاج بعد نزوله من عقبة ايلة)[١١] إلا أن أمير العايد يعود من نخل الواقعة على نحو ١٥٠ كيلًا من العقبة باتجاه مصر قال في ذكر نخل: (ومن هذا الحدّ يرجع أمير العائد بخيله إلى القاهرة زاعمًا أن هذا آخر دركه)[١٢] وذكر أن المنطقة من نخل إلى العقبة من درك بني عطية قال: (الدرك مختلف فيه كأختلاف عربان العائد وبني عطية في الدرك من منزلة نخل إلى سطح عقبة ايلة ومنه إلى جانب البحر محلّ زينة أمير الحاج فإنه في خفارة بني عطية اصطلاحًا)[١٣] وذكر أن العايد يشاركون في حمل البحر فقال: (يحمل عربان العائد فوق الثلاثين من حمل البحر فقط لا من غيره)[١٤] قال: (ولأمير العائد عند نهاية الحمل جوخة مخيوطة من جوخ العربان الخاص من ديوان أمير الحاج)[١٥] وفي ذكره فروع عربان العايد ذكر أن منهم عيايدة الريف وعيايدة البرّ في سيناء قال: (عيايدة البرّ منهم: مساعد بن سلامة يحملون من ستين إلى خمسين حملًا وفي غالب أحوالهم يحضرون مع عربان الطور، عيايدة الريف منهم أحمد بن محمد بن ناصر يحملون من ثلاثين إلى خمس وعشرين[١٦]، قال الأحيوي: ولم يميز الكتاب المحدثون بين العايد والعيايدة فقد استخدموا كلا الأسمين للدلالة على أنهما قبيلة واحدة حالهم كحال استخدام اسم العائذ والعايذ آخره ذال معجمة وعايذة وعائد والعائد وعايد والعايد للدلالة

على ذات القبيلة وممن ذكرهم علماء الحملة الفرنسية ففي حديثه عن القبائل المتوطنة في ولاية الشرقية ذكر (ج. دي شابرول) أن منها قبيلة العايد وذكر أن القبائل المتوطنة ومنها العايد يستوطنون القرى ويفلحون الأرض وقال: (هاؤلاء يسكنون القرى ويفلحون الأرض ومع ذالك فإن لديهم في نفس الوقت شأنهم شأن الأولين ميلًا لا يقاوم يدفعهم للقيام بأعمال السلب إذ تراهم في معظم الأحيان يتركون محراثهم ليمسكوا ببنادقهم ويسلبوا أمتعة المسافرين) وفي ذكر قبائل ولاية القليوبية ذكر أن منها الأعيادية - كذا سمّاهم - وذكر أن قبائل القليوبية بما فيها العيايدة تهاجم القاهرة باستمرار قال: (وهم يقيمون في الخيام ويروّعون سكان ضواحي القاهرة بغاراتهم التي يقومون بها للسلب والنهب وهم يشاركون الفلاحين في زراعة الأرض ولكن دائمًا وبلا جدال على حساب هاؤلاء الأخيرين)[١٧] وفي ذكرهم ذكر (اميديه جوبير) وهو أحد علماء الحملة الفرنسية أن أماكن قبيلة العايدي هي ضواحي القاهرة على مسيرة يوم إلى الشرق من المدينة وعدد فرسانهم المفترض ١٠٠٠ فارس وقال: (تنقسم هذه القبيلة الكبيرة العدد إلى فروع كثيرة اسماؤها مجهولة لنا) وقال في ذكر قبائل نصف حرام والبيصار والعايدي والحبايبة: (كانت هذه القبائل الأربع وبخاصة القبيلتين الأخيرتين في حالة حرب ضد الفرنسيين)[١٨] وذكر إحدى فرقهم في فلسطين فقد ذكر أن عرب العايد يقيمون في مناطق التلّ وعراق المنشية[١٩] وعراق المنشية قرية في جنوب شرق غزّة على نحو ٥٠ كيلًا وورد ذكر للعيايدة في مجلة «الهلال» سنة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م وقد اسمتهم المجلة قبيلة الأيادي والصواب العيّادي وذكرت أن منازل هذه القبيلة هي القليوبية وأن رئيسها سنة ١٨٣٠م هو سالم أبو عاجي وأن عدد فرسانها ١٥٠ وعدد مشاتها ٢٠٠٠[٢٠]. وقد تحدث نعوم شقير عن العايد والعيايدة إلا إنه فرّق بينهما فقال: (وأما العايد فهم الآن من سكان مديرية الشرقية في جهة بلبيس وقد تحضروا وتركوا البادية وهناك خطّ يُدعى خطّ العايد إلى اليوم وليس لدينا دليل على أنهم سكنواجزيرة سيناء ولكنا نرى أن

الحكومة المصرية عهدت إليهم قديمًا خفر المحمل الشريف من مصر إلى العقبة وقد ورد ذكرهم في كتاب «الأم» المحفوظ الآن في الدير أن لهم الإشراف على قبائل الطورة وفي بيت شيخهم كانت تعقد شروط الاتفاق بين عربان الطورة ورهبان دير سيناء بشأن تأجير الإبل وتأمين الطرق ونحوها كما سيجيء راي في كتابه - والعايد الآن فريقان فريق يرجع بنسبه إلى إبراهيم العايدي وفريق إلى حسن أباظة ومن هذا الفريق أُسرة أباظة المشهورة وكبيرها إسماعيل باشا أباظة قيل وينتهي نسب العايد إلى عُقبة إلى جذام إلى قحطان)[٢١] قال الأحيوي: وفيما أورده نعوم شقير أوهام مدفوعة فعدم اطلاعه على دليل على سكنى العايد في سيناء لا يدلّ على صحة ما ذكره ذالك أن العايد استوطنوا سيناء قرونًا طويلة ولا زال بقيتهم فيها إلى اليوم تحت مسمى العيايدة وقد مرت بنا نصوص غير واحد من المؤرخين تؤكد سكناهم سيناء بل وسيطرتهم عليها ومنها نص ابن خلدون الذي ذكر امتداد مساكن العايد من بلبيس إلى العقبة والكرك وقوله أن نسب العايد ينتهي إلى بني عقبة من جذام غير صحيح فهم بنوعمومة بني عقبة ويجتمعون معهم في غطفان من فروع جذام بالذال المعجمة لا بالزاي المعجمة وقوله أن العايد فريقان فريق ينتسب إلى إبراهيم العايدي وفريق ينتسب إلى حسن أباظة وَهْم كبير لم يسبقه إليه أحد ذالك أن إبراهيم العايدي تُوفي سنة ١٢٥٢هـ - ١٨٣٦م فيما توفي حسن أباظة بعده بـ ١٣ سنة في سنة ١٢٦٥هـ - ١٨٤٩م فهل أراد نعوم شقير القول أنَّ قبيلة العايد انحدرت وتسلسلت من هذين الرجلين وهي القبيلة التي ورد ذكرها في الديار المصرية منذ القرن السابع للهجرة وإذا كان هذا ما أراده فإلى من ينتهي نسب الآخرين من هذه القبيلة فمن لم ينحدروا من نسل إبراهيم العيايدي ونسل حسن أباظة؟ إن هذا أحد أوهام نعوم شقير فيما كتبه حول القبائل العربية في سيناء وقد اغترّ بأقواله محمد سليمان الطيب فردّدها دونما تحقيق كما سيأتي بيانه وقد تعقب د. عبّاس مصطفى عمّار في حديثه عن العايد تفريق نعوم شقير بين العايد والعيايدة فقال: (يفرّق نعوم بك شقير وحده بين عرب

العائد والعيايدة ويعتبرها قبائل منفصلة في حين أن جميع الكتابات عن قبائل العربان في مصر تأخذ اسم العيايدة وتضم العائد تحته)[٢٢]، قال الأحيوي: وقد مرّت بنا بعض النصوص مما أشار إليه د.عباس مصطفى عمّار.

وقفة مع الطيب: تحدث محمد الطيب عن العايد والعيادة وفرّق بينهما مغترًّا برأي نعوم شقير وقد نسب كلّا منهما إلى أصل منفصل عن الآخر وقال في ذكر العايد والعيايدة في تعليقه على ذكر الجزيري لبني عيّاد قال: (أما بني عياد المشار إليهم فهم قبيلة العيايدة من القبائل الحديثة بعد القرن الثامن الهجرى ومرجع نسبها إلى القحطانية وقد كانت هذه القبيلة تسيطر على طريق الحج من بلبيس حتى العريش؟! وقطن منهم في جنوب سيناء ثمّ بعد تغلب الطورة على الجنوب رحلوا إلى الشمال ونزل كثير من عشائر العيايدة إلى وادي النيل في القليوبية والجيزة والدقهلية وغيرها ولهم دور في تاريخ مصر الحديث أيام الحملة الفرنسية كانوا من ألدّ أعداء نابليون مع قبيلة بلي وكانوا يعادون محمد علي باشا ويؤيدون الألفي بك زعيم المماليك ووهم من ظنّ أن العيايدة من بقايا العايد من جذام؟! لأن العايد ورؤساهم الأباظية في الشرقية حتى الآن؟! ومصنفات كثيرة في هذا القرن ذكرت العايد والعيايدة كل على حده أبرزها «تاريخ سيناء» لنعوم شقير وقبائل العرب لأحمد لطفى السيد وغيرها من الكتب التي سردت عن تاريخ مصر في القرون الأخيرة)[٢٣] وقال: (العايد أصلهم من جذام ومقرّهم في الشرقية وقد تحضرت العايد في القرى ولهم بأسمهم كفور العايد في الشرقية ومن أشهر عائلات العايد الأباظية وعدد الأباظية كثير وكانت كما يقول الرواة جدتهم تركية الأصل وتزوجت بأحد قبيلة العايد فسُمّيت أولاده أباظية نسبة إلى أمهم التركية وكبيرهم كان إسماعيل باشا أباظة) وقال: (كان خفر المحمل الشريف من مصر للعقبة للعايد وهناك خط يدعى خط العايد وهم فريقان فريق نسبه في إبراهيم العايدي وفريق من حسن أباظة)[٢٤].

وقال: (وعشيرة العايد ظلت فيها الرئاسة والمسؤولية للحجاج فترة طويلة أي

لعدّة قـرون حتى عهد محمد باشـا والأباظية تقلّدوا البـاشوية وهم من العايـد منذ آخـر القـرن العاشـر للهجـرة أي في بـداية الحكـم العثماني كمـا ورد في كتـاب الأم)[٢٥]؟! وقال: (العيـايدة: نسب القبيلة: أجمـع الرواة ومحققو العصـر؟! لما تواتـر عند أجـداد العيايـدة أن نسبهم إلى قبيلـة قحطان في الجـزيرة العـربية وأن أجدادهم المؤسسـون كانوا إخوة ثلاثـة قد توطنوا حـوالي النصف الثاني من القرن السابع الهجـري ومن هاؤلاء الرجال نمت القبيلـة وتكاثرت ثمَّ انتشرت في الـديار المصرية) وقـال: (أجمع الرواة لما تواتر عنـد أجداد العيايدة أن الثـلاثة رجال هم جـربـوع ومنـه بطن الجـرابعة وسلطـان ومنـه بطن السـلاطنـة وجـوعل ومنـه بطن الجواعلـة وقيل أن هاؤلاء من أبنـاء رجل يُسمى سعود بن عيّاد والأخير هـو القادم من الجزيرة العربية فتسمّت به القبيلة وقيل أن قبر سعْود في سيناء)[٢٦] وقال: (بدأ نزوح العيـايدة من مـدّة تقارب أربعـة قرون إلى غـرب قناة السـويس في محـافظة الشرقية والسـويس ثم القليوبية أو ضواحـي القاهرة وكانت صحراءًا وأريـافًا ذالك الوقت)[٢٧] وقال: (العـايد غيـر العيايدة وأكثـر العايـد هاؤلاء في الشـرقية ومنهم الأباظيـة ظهر منهم بـاكوات وبـاشوات في القـرنين الأخيرين وينسب العـايد إلى جذام القحطـانية وَوَهَم من ظنَّ أنَّ العيـايدة من العايـد كما تخبّط بعض الباحثين الحديثين في بعض المصنفـات في هذا القرن)[٢٨]، قال الأحيوي: فلمـا طالعت أقوال الطيب هذه كتبت إليه رسالة مؤرخة بيوم الأربعاء ١٤ ربيع الأول ١٤١٤هـ - ١/ ٩/ ١٩٩٣م ومما كتبتـه فيها: (... ومن جـانب آخـر فإنني أرى إنكم جـانبتم الصـواب في نسب بعض القبائل العـربية مثل البيـاضية والأخـارسة وافتقـرتم إلى الدقة في نسب بعضها الآخر مثل العيايـدة الذين ميزتم بينهم وبين العايد) فأرسل إليّ ردّه بتاريخ ٢٠/ ٩/ ١٩٩٣م ومما جاء فيه: (...أما عن العيايدة فمن المعروف عند جميع الباحثين؟! مثل نعوم شقير ولطفي السيد ومصطفى دروزة وغيرهـم حتى اميديه جوبيـر الفرنسي فقد ذكروا جميعًا أن العايد خـلاف العيايدة علاوة على أن شيوخ العيايـدة أنفسهم يذكرون نسبهم إلى قحطان في السعوديـة وكذالك غيرهم

من شيوخ قبائل المعّازة والمساعيد وبلي) فأرسلت إليـه رسالة مؤرخة بيوم الأربعاء ١٣ ربيع الثـاني ١٤١٤هـ - ٢٩/ ٩/ ١٩٩٣م وممـا كتبتـه فيها: (ثـانيًـا: العايـد والعيايـدة قال الأحيـوي: هما وجهان لعملـة واحدة وتفـريق نعوم شقيـر بينهما لا يُنظـر إليه وقـد توفـرت لديّ نصـوص عديـدة وأهمها لمـؤرخين مصريين فيهـا أن العيايدة هم العايـد وفيها أن آل أباظة هم شيوخ العيايـدة قديمًا ولا يتسع المجال لإيرادها هنـا مع الإشارة إلى أن أحد أصدقـائي أعدّ بحثًا عنهم وثقد تنـاقشنا حول نسبهم وقد اتفق معي أن العـايد هم العيـايدة) انتهى ما علّقت بـه حول العيـايدة والصديق المشار إليـه هو الأستاذ الباحث فـايز بن أحمد أبو فـردة وبحثه المشار إليـه هـو عن العـايـد في فلسطين فأرسـل الطيب إليَّ بتـاريخ ٤ جمـادى الأولى ١٤١٤هـ ٢٠/ ١٠/ ١٩٩٣م وجـاء فيما كتبـه عن العيايدة قـوله: (وعن العيـايدة وقـولك عنهم إنهم وجهان لعملـة واحـدة من العايـد ولقـد اضحكتني كلمة قـال الأحيوي فهي تعني حضرتك وكأني بك توجـه لي أمر واجب الطاعة وتعتبر نفسك علامة زمـانك فالعايد غيـر العيايدة شئت أم أبيت لأن المؤرخين فـي مصر فصلوا العنصرين. ثانيًا لأن عشـرات الشيوخ من العيايدة يعرفون إنهم غيـر العايد ومازال العايد هاؤلاء متحضرين أشبه بالفلاحين في الشـرقية خلاف العيايدة. والأباظية يا أخي الفاضـل ليسوا شيوخ العيـايدة وإنمـا هم رؤساء العـايد القدامـى من جذام سُمّوا بـاسـم جدتهـم التركية ومـن الأباظيـة وزير الكهربـاء المصري الحـالي، ثم اضحكتني أكثر قولك إنـك تناقشت أنت وصديق لك واتفقتما هكـذا بكل بساطة أن العايـد هم العيايـدة فرأيك ياعـزيزي أنت وصديقـك احتفظ به لنفسك وليس يلزمنا في شيء ولا يُلتفت إليه لأنه تخبّط وهراء وليس فيه شيء من الصحة)؟؟!!

قال الأحيوي: قـالت العرب: عش رجبًا ترى عجبًـا ذالك أن الطيب قد وقع في حيص بيص فكان مقتل الرجل بين فكيه فلقد اغترّ ببعض الأوهام فظنها حقائق لا يأتيها الباطل من بين يديها أو من خلفها وقد سبق لنا أن بيّنا شيئًا من أوهام الطيب في أبحاثنـا عن النفيعات والبياضيـة والعزازمة وغيـرها من قبائل سينـاء وقد تحقق

لـدينا أن الطيب لا يقبل التـراجع عن أي من آرائه ومن ثم فإنـه إذا مـا ظهر لـه نصٌّ مغـايرٌ للقـدماء أو المحـدثين هـاج وماج كشأنـه مع العـلامة النسـابة أبـو الحسن الهمداني الذي ذكـر البياضية ونسبهم إلى جذام فـاغضب هذا الطيب الذي نسبهم لثعلبة وذهب إلى أن الهمداني ركيك العبارة وليس حجـة فيما ذكره مع أن الهمداني بلا خلاف حجة في أنساب العرب القحطانية وفي تعليقنا حول مزاعم الطيب نقول:

١- ذكـر الطيـب أن العيـايـدة يسيطــرون على طـريق الحـج من بلبيس حتى العريش قـال الأحيوي: هل قـال غير الطيب أن درب الحاج تسيـر من بلبيس إلى العـريش الواقعـة في شمال شـرق سينـاء على ساحل البحـر المتوسط على نحـو ٣٠٠ كيلًا عن بلبيس، ألـم يعلـم أن هذا القول الشاذ لـم يقل به أحد من قبل، وهل له أن يخبرنا عن مكان الحج الذي تسير إليه الدرب من بلبيس إلى العريش ذالك أن درب الحاج المصـري المعروف تمـرّ عبر بلاد التيـه بوسط سينـاء مرورًا بنخل إلى العقبـة فمكة المكـرمة ثم أليست منطقـة بلبيس هذه هي من معـاقل العايـد وهم عنده غير العيايدة؟

٢- هل يعني وجود العـايد أو الأباظية منهم في الشـرقية إن لا علاقة للعيـايدة بهم بنص قـوله: (... لأن العـايد ورؤسـاهـم الأباظيـة في الشرقيـة حتى الآن) وهل يريد القول إنه لا وجود للعيايدة في الشرقية مع أنهم موجودون فعلًا؟

٣- ذكر الطيب أن العيايدة سيطروا بعد القرن الثامن على طريق الحج وذكر أن العـايد كـان لهم خفر المحمل في درب الحـاج من مصر إلى العقبـة لعدة قـرون حتى عهـد محمد علي بـاشـا (ت ١٢٦٥هـ - ١٨٤٩م) فكيف هـذا وهما عنـده قبيلتان منفصلتـان أم أن للحج دربان تسير أولاهمـا من بلبيس إلى العريش تحت سيطرة العيايدة وتسير ثانيتهما من بلبيس إلى العقبة تحت سيطرة العايد؟

٤- أن الطيّب اعتمد في تفريقـه بين العايد والعيايدة على زعم شقير فـاغترّ به وقلّده وهو زعم بيّنا وهنه في موضعه ولا يوافقه عليه إلا الواهمون.

٥- زعمه أن الأبـاظية تقلّدوا الباشـوية منذ آخـر القرن العاشر للهجـرة كما ورد في كتاب «الأم» زعـم مزوّر مردود ذالك أن كتـاب «الأم» كان بـدء تدوينـه في سنة ١٠٠٩هـ أي في آخر العشـر الأول من القرن الحـادي عشر للهجـرة هذه واحـدة والأخرى أن الطيـب يذكر أن الأبـاظية يـرجعون إلى حســن أباظة وهـذا توفـي سنة ١٢٦٥هـ فكيف هذا؟ والثـالثة أن الطيب يقرّ أن ظهور باشاوات الأبـاظية كان في القرنين الأخيرين وهذا هو الصواب فما للطيب قد خلط الحابل بالنابل؟

٦- ادعـاؤه اجماع محققـي العصر على نسبـة العيـايدة إلـى قحطان القبيلـة المعـروفة في السعـودية ادعـاء باطل لـم يسبقـه إليه أحـد فمن هم محققو العصـر هـاؤلاء وهل له أن يُبـرز نصًا واحـدًا وهيهـات هيهات؟ ثم طـالما إنـه نسبهم إلى قحطان وهي قبيلة تتألف من فروع عديدة أغلبها من مذحج وفيها فروع من همدان وغيرها فهل له أن يحقق لنا إلى أي من فـروع قحطان يعود نسب العيايدة وهل هذا الفرع الذي يُنسبون إليه من مذحج أم من همدان أم من غيرهـما؟

٧- أن انتساب العيايـدة إلى قحطان يعني قحطان جد عـرب اليمن القحطانية فيما جُلّ القبيلة المعروفـة بقحطان في يومنا هذا تعود إلى مـذحج من فروع كهلان من قحطان ثم هل يعني انتسـاب بلي أو جهينة أو بني عقبـة إلى قحطان إنهـم من قحطان مذحج؟ بالطبع لا فالمقصود قحطان جد القحطانية.

٨- يـذكـر الطيب أن العيايـدة صـاروا قبيلـة بعـد القرن الثـامن وسيطـروا على المنطقة الممتـدة من بلبيس إلى العـريش واستوطنـوا الشرقية والطـور ونحن نسأل أليست هذه ديار العايد الذين سيطروا على طـرق سيناء واستوطنوها منذ عهد مبكر وفق ما ذكـره المؤرخـون ثم أليس العايـد هم الذين امتدت منـازلهم من بلبيس إلى غـزة مرورًا بـالعريش وإلى العقبـة مرورًا بنخل وإلى بـلاد الكرك شـرقًا والطـور في جنوبي سيناء؟ وما بال الطيب يجعل ما للعايد للعيايدة وهو يفرّق بينهما؟

٩- أن الطيب في سبيل إثبات مزاعمه لم يبال بتزوير بعض النصوص خدمة لأغراضه ومزاعمه التي لا نعرف الهدف من ورائها والبيان فيما يلي:

١- أنه ذكر نقلًا عن الجبرتي في حودث سنة ١٢١٩هـ من نص للجبرتي: (....وجاء شيخ العيايدة أبو طويلة) [«موسوعة القبائل العربية» ص ٧٢٤] قال الأحيوي: ونص الجبرتي الذي سبق إيراده هو: (... حضر أبو طويلة شيخ العائد).

٢- أنه ذكر أيضًا نقلًا عن الجبرتي في نفس النصّ أن أمراء المماليك واتباعهم ساروا إلى القليوبية قال: (وذهب العربان والأمراء بعد ذالك إلى القليوبية وحصروا كاشفها ولكنه تمكن من النجاة فنهبوا متاعه وجبخانته (عتاده الحربي) وطالبوا مشايخ النواحي مثل الروامل والعايد وقليوب وغيرها بتقديم المؤونة لهم..) [«موسوعة» ص ٧٢٤] قال الأحيوي: الروامل تصحيف الزوامل وفي هذا النص نجد أن العايد من سكان قليوب والذي نجده اليوم هو العيايدة أليس هذا دليلًا على أن العايد هم العيايدة؟

٣- أورد الطيب نقلًا عن اميديه جوبير نصًا سبق إيراده جعله الطيب نصًّا للعيايدة [«موسوعة» ص ٧٢٤ - ٧٢٥] مع أن هذا النص للعايد الذين سمّاهم اميديه جوبير قبيلة العايدي فإذا كان العايد غير العيايدة فلم جعل الطيب هذا النص للعيايدة؟

١٠- طالما أن الطيب اعتمد الجبرتي ونقل عنه فما قوله في نص الجبرتي الذي سبق إيراده وفيه: (... وعبدالرحمن أباظة أخو سليمان أباظة شيخ العيايدة..)؟

١١- يتجلّى التقليد الأعمى في نقل الطيب عن نعوم شقير أن العايد فريقان ينتسب إحدهما إلى إبراهيم العايدي والآخر إلى حسن أباظة وهو وهم بيّن سبق تفنيده والرد عليه.

١٢- زعْمُ الطيب أن العيايدة هم بني عيّاد الذين ذكرهم الجزيري زعْم لم يسبقه إليه أحد فلا علاقة للعيايدة ببني عياد، فبنو عياد المذكورون كانوا عشيرة

من عشائر الشرقية في القرن العاشر للهجرة وهم من لفيف بني عطية واتباعهم قال الجزيري: «طائفة تدعى بأولاد عيّاد من لفيف بني عطية)[٢٩] والعيايدة في عرف الطيب لم يكونوا آنذاك قد استوطنوا الشرقية فهو يرى أن نزوحهم كان منذ أربعة قرون أي في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة فما قول الطيب وتعليقه؟

١٣- ما قول الطيب وتعليقه على ما نصّ عليه د. عباس مصطفى عمار أن كل الكتابات حول عربان مصر ضمت العايد تحت العيايدة وقد مرت نصوص تؤكد هذا؟

١٤- وما قوله في نصوص الجبرتي التي ذكر فيها أن العايد هم العيايدة ومنها أن آل أباظة هم شيوخ العيايدة وأن أبا طويلة هو شيخ العائد وما قوله في دفاع أبي طويلة عن أملاك عرب بلبيس وهم من العايد؟

١٥- وما قوله في هذا التطابق العجيب في ظهور العيايدة في كافة أماكن ظهور العايد في وادي اليتم والعقبة وغزة والعريش والتيه والطور والشرقية والقليوبية والقاهرة أم أن ذالك محض مصادفة عجيبة؟

١٦- كون العايد هم العيايد عدا عن كونه أمرٌ ثابت تاريخيّا فإنه أمر متعارف عليه في مصر وفلسطين وغيرهما ومن ذالك أن قبيلة العايد في فلسطين تنتسب للعيايدة في سيناء وأن العيايدة هم العايد قال الدباغ في ذكر عشائر طولكرم بفلسطين: عرب العائد: يقيمون في جوار مسكة وجلجوليا تعود بأصلها إلى عرب العائد في سيناء ومصر)[٣٠] وذكر أنّ من فروع جذام: (عرب العائد في سيناء وفي محافظة الشرقية بمصر) وقال: (وعائلة هيكل في يافا تعود بنسبها إلى العائد هاؤلاء)[٣١] وقال: (وإلى عرب العايد تنتسب عشائر العايد من مجموعة وحيدات الترابين والعايدي من التياها والعيايدة من نجمات أبي صهيبان الترابين في ديرة السبع كما تنتسب إليها عائلة هيكل في يافا ومن العائد شتيت نزلوا في جوار

قريتي مسكة وجلجوليا من أعمال طولكرم وعرب العائد منتشرون في سيناء ومصر وإليهم تنسب عائلة أباظة)[٣٢].

١٧- ما معنى قول الطيب أن أجداد العيايدة الذين استوطنوا سيناء في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة كانوا يسكنون بمحاذاة درب الحاج قال: (كان العيايدة وقتئذٍ يسكنون بمحاذاة خط مرور الحجّاج عبر سيناء وقسم منهم في جنوب السويس) وقال: (سيطرت العيايدة فترة من الوقت على طرق التجارة والحج من بلبيس حتى قرب العريش في شمال سيناء) [«موسوعة» ص ٧٢٢] ما معنى هذا القول وقد صرّح المؤرخون وعلماء النسب أن الذين كانوا يسكنون سيناء ويسيطرون على دروبها آنذاك هم قبيلة العايد وهي قبيلة لا علاقة لها بالعيايدة عند الطيب فهل من سبيل للتوفيق بين تضارب هذه الأقوال إلا أن يكون العيايدة هم العايد؟

١٨- ما قول الطيب باتحاد وسم قبيلة العيايدة وهو المحلّة ووسم قبيلة السماعنة وهذه فرع من بني مهدي من جذام مع الإشارة إلى أن قبيلتي السماعنة والعايد كانتا تقطنان جنوبي الأردن في ديار جذام القديمة؟

قال الأحيوي: تُرى هل نجد عند الطيب شبه إجابة أو شبه تعليل لكل ما سبق بيانه؟ إننا نقول: هيهات هيهات.

(للبحث صلة)

العقبة: راشد بن حمدان الأحيوي

الحواشي:

(١) «تاريخ سيناء» ص ٦٦ وحدثني الحاج سالم بن غانم الأحيوي قال: للعيايدة مقابر في الكنتلّة والفحّام وضيقة العقفي وتلاع العيال.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) «تاريخ بئر السبع وقبائلها». عارف العارف. مطبعة بيت المقدس. فلسطين ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م، ص ١٦٣.

(٤) «التعريف بالمصطلح الشريف» ص ١٠٨.

(٥) «نهاية الأرب» ص ٣٣٣.

(٦) المصدر السابق ص ٣٣، «قلائد الجمان» ص ٦٥.

(٧) «صبح الأعشى» ج ١، ص ٣٣٣.

(٨) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٨٤.

(٩) «تاريخ ابن خلدون» مجلد ٦، ص ٧.

(١٠) و (١١) و (١٢) و (١٣) و (١٤) و (١٥) «الدرر الفرائد» ص ٣٣٥ وحاشيتها و ص ١٣١٣ و ١٣٢٩ و ١٣٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٦ و ٣٤٠ على التوالي.

(١٦) المصدر السابق ص ١١٧٨ - ١١٧٩ وفيه العيايرة وهو تصحيف العيايدة وفي كتاب «الدرر» تصحيفات عديدة وقد أشار الجاسر إلى هذا فقال: (أسماء أفخاذ العشائر (البدنات) وردت في المخطوطات بصورة كثيرة الاختلاف لم أهتد إلى وجه الصواب فيها ولم أر إكثار الحواشي بإيراد تلك الصور) [«الدرر الفرائد» حاشية ١١٧٨] قلت: ومن هذه التصحيفات أيضًا قول الجزيري: (عربان الطور الذين هم الصوالحة والقليعات) وقوله: (عربان الطور وهم الصوالحة والقليعات) [«الدرر ص ٣٣٦ و ٣٣٨] والصواب كما هو معروف العليقات وهو ما ذكره الجزيري في ص ١١٨١ من «الدرر» ومن التصحيفات: التبة والصواب التبنة [«الدرر» ص ١١٨١] ومن التصحيفات قوله: (غيظان: بغين مكسورة وظاء معجمة ساكنة) [«الدرر» ص١٥٨٢] والصواب: غِظْيان وهو موضع شمالي رأس خليج العقبة على نحو ٥٠ كيلًا. وقوله: عبايدة البر وعبايدة الريف فإن المقصود بالبر سيناء حيث لا يزال تسمى قبائلها بقبائل البرّ ومن ذالك قولهم تياهة البرّ وترابين البرّ ورميلات البرّ.. إلخ. أما الريف فهو ريف مصر بالشرقية.

(١٧) «دراسة في عادات وتقاليد مصر المحدثين». ج. دي شابرول. ترجمة زهير الشايب. مطبعة الجبلاوي. القاهرة. مصر ط ١/ ١٩٦٧٦م، ص ٢٥ - ٢٦.

(١٨) «العرب في ريف مصر وصحراواتها». علماء الحملة الفرنسية. ترجمة زهير الشايب. مكتبة مدبولي. القاهرة. مصر. ط ٢/ ١٩٨٠م، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

(١٩) المصدر السابق، ص ٣٨٢.

(٢٠) مجلة «الهلال». مصر سنة ١٥، ج ٣ بتاريخ ١ كانون / ١٩٠٦م، ١٥ شوال ١٣٢٤هـ ص ٣٦٦.

(٢١) «تاريخ سيناء» ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٢٢) «المدخل الشرقي لمصر» د. عباس مصطفى عمار.

(٢٣) و (٢٤) و (٢٥) و (٢٦) و (٢٧) و (٢٨) «موسوعة القبائل العربية» محمد سليمان الطيب، دار الفكر العربي، القاهرة. مصر ط ١/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ٦٤ و ٥٢٤ و ٦٢٣ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٤ حاشية على التوالي.

(٢٩) «الدرر الفرائد» ص ٣٣٧ وانظر ص ٣٣٨ و ٩٤١ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧.

(٣٠) «بلادنا فلسطين» مصطفى الدباغ ١/ ٢٣٦.

(٣١) المصدر السابق ١/ ٧٠٩ و ٧١٠.

(٣٢) «القبائل العربية» مصطفى الدباغ ص ١٣٠.

«الأمكنة والمياه والجبال والآثار»

لأبي الفتح نصر بن عبدالرحمن الأسكندري المتوفى بعد سنة ٥٦١هـ

- ١٧ -

باب المفردات

الأَبْرَقُ: بَلَدٌ بِبِلَادِ بَنِي شَيْبَان بِبَلَدٍ يُقَال لَهُ البَطْنُ(١).

أَبْرَقُ العَزَّافِ: عَلَى ثَمَانِيْنَ مِيْلًا مِنَ المَدِيْنَةِ(٢).

الأَبلَقَانِ: جَوَّانِ فِيْهِمَا أَكَمٌ بِيْضٌ وَجِصَاصٌ مِن حَقِّ بَنِي عَبْس(٣).

أُبْنَى: قَرْية بِمُؤْتَةَ(٤).

أُبَيْطٌ: مِنْ مِيَاهِ بَطْنِ الرُّمَةِ(٥).

---

(١) الأَبْرَق عَلَى مَا نَقَل عُلَمَاء اللُّغَة عَنْ الأَصْمَعِي: حِجَارة وَرَمْل مُخْتَلِطَة، وَكَذَا البُرْقَة والبرقاء، وَمِن هُنَا فالأَبَارِق فِي بِلَاد العَرَب كَثِيْرَة.

(٢) فِي «مُعْجَم البُلْدَان»: أَبْرَق العَزَّاف: مَاءٌ لِبَنِي أَسَد بن خُزَيْمَة فِي طَرِيْق القَاصِد إِلَى المَدِيْنَة مِنَ البَصْرَة يُجَاء مِنْ حَوْمَانَة الدَّرَّاج إِلَيْه، وَمِنْه إِلَى بَطْن نَخْل، ثُم الطَّرَف ثُمَّ المَدِيْنَة، وإِنَّمَا سُمي العَزَّاف لأَنَّهم يَسْمَعُون فِيه عَزِيْف الْجِن، وأَوْردَ شَوَاهِد مِن الشِّعْر وَفِي كِتَاب «المَنَاسِك»: مِن الرَّبَذَة إِلى أَبْرَق العَزَّاف عِشْرُون مِيْلًا، وَمِنْ أَبْرَق العَزَّاف إِلَى السِّتَار خَمْسَة وَعِشْرُوْن مِيْلًا، وَمِنْه إِلَى ذِي القصة، وَمِنْ ذِي القصة إِلَى المَدِيْنَة ثَلاثُونْ مِيْلًا وَهُو مئة وَمِيْلَانَ بَيْنَ الرَّبَذَة والمَدِيْنَة، وَفِي كِتَاب الهَجَرِي فِي كَلَامه عَلَى حِمَى ضَرِيَّة: بَيْنَ رَخْرَحَان من غَرْبِيه يُقَال لَه الجواء بَيْنَه وَبَيْن الرَّبَذَة ٢١ مِيْلًا، وأَقْرَب المِيَاه إِلَيه مَاء للسُّلْطَان يُقَال العَزَّافَة، بِأَبْرق العَزَّاف بَيْنَه وَبَيْن الجواء ثَلاثَة أَمْيَال. انتهى

وَفِي غَرْب الرَّبَذَة شَمَال مَنْهل السلِيْلَة رِمَال تُعْرَف باسْم نُفُود القوز، يَنْطَبِق عَلَيْه قَوْل الهَجَرِي، وَصَاحِب كِتَاب «المَنَاسِك».

وَمَا أَرَاه فالَّذِي فِي كَلَام صَاحِب «مُعْجَم البُلْدَان» قد يكون موضعًا آخر بَعِيدًا عَنْ بِلَاد بَنِي أَسَد.

(٣) لَم أَرَ هَذَا الاسْم فِي «مُعْجَم البُلْدَان».

(٤) أَوْردَ يَاقُوت كَلَام نَصْر مَنْسُوبًا إِلَيْه، وَقَبْله: أُبْنَى - بِوَزْن حُبْلَى: مَوْضِع بِالْشَّام مِنْ جِهَة البَلْقَاء، جَاءَ ذِكْره فِي قَوْل النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم، لأُسَامَة بن زَيْد، حِيْن أَمرَهَ بِالْمَسِير إِلَى الشَّام، وَشَن الغَارَة عَلَى أُبْنَى.

(٥) فِي «بِلَاد العَرَب»: وَفِي بَطْن الرُّمَة مِن المِيَاه العُرَيْنَةُ وغَرَّاءُ وأُبَيْط وَجُلَيْجِلَةُ لِبَنِي عَبْدالله، والْحَاجِر: قَرْيَةٌ وَسُوْقٌ. وَلَمْ يَزِد يَاقُوْت عَلَى مَا ذَكَر نَصْر.

أَثَابَات: فَلَاة بِنَاحِيَة اليَمَامَة[١].

أُثَامِدُ: وَادٍ بَيْنَ قُدَيْدٍ وَعُسْفَانَ[٢].

الأَثْبِجَةُ: صَحْرَاءُ لَهَا جِبَالٌ يُقَال لَهَا جِبَال الأَثْبِجَةِ لِبَنِي جَعْفَر بن كِلَاب[٣].

أُثَيْفِيَةُ: حِصْنٌ مِنْ مَنَازِلِ تَمِيم[٤].

الأُثَيْلُ: بِضَمِّ الهَمْزَةِ بَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ وَيَاءٌ سَاكِتَة تَحْتَهَا نُقْطَتَان: مَوْضِعٌ قُرْبَ المَدِيْنَةِ هُنَاك عَيْن مَاءٍ لآلِ جَعْفَر بن أَبِي طَالِب، بَيْنَ بَدْرٍ والصَّفْرَاءِ وَيُقَال: ذُو أُثَيْل أَيْضًا[٥].

وَمَنْهَلٌ أَيْضًا فِي ذَالِك الصُّقْع، أَكْثَرُهُ لِبَنِي ضَمْرَةَ مِنْ كِنَانَةَ[٦].

---

(١) لَمْ أَرَ لَهُ ذِكْرًا فِيمَا بَيْنَ يَدِي مِنَ المَصَادِر.

(٢) لَمْ يَزِد يَاقُوت عَلَى هَذَا غَيْر مَنْسُوب، وَقُدَيْد وَعُسْفَان مَوْضِعَان بِقُرْب مَكَّةَ مَعْرُوفَان.

(٣) أَصْل هَذَا فِي كِتَاب «بِلادَ العَرَب» فَبَعْد أَنْ ذَكَر مَوَاضِع بِقُرْب ضَرِيَّة قَال: وَلَهُم النَّامِيَة: مَاءٌ وَجِبَالٌ، والأَثْبِجَةُ: صَحْرَاءُ لَهَا جِبَالٌ يُقَال لَهَا: جِبَالُ الأَثْبِجَة وَذَبْذَبُ، وَفِي «المُعْجَم» - بِالفَتْح ثُم السُّكُون وَكَسْر البَاء المُوَحَّدَة وَجِيم-: بِصِيغَة جَمْع القلّة كَأَنَّه جَمْع ثَبَج، والثَّبَج فِي كل شَيْء مَابَيْن كَاهِلِهِ وَظَهْرِه، وَيُقَال ثَبَج كُل شَيْء وَسَطه، ثُمَّ أَوْرَدَ تَعْرِيف نَصْر غَيْر مَنْسُوب.

(٤) فِي «المُعْجَم»: أُثَيْفِيَة: قَرْيَة لِبَنِي كَلْب بن يَرْبُوع بِالْوَشْم مِنْ أَرْض اليَمَامَة وَأَكْثَرهَا لِوَلَد جَرِيْر الشَّاعِر، وَقَال ابْن أَبِي حَفْصَة: أُثَيْفِيَة: قَرْيَة وأُكَيْمَات، وإِنَّمَا شُبِّهَت بِأَثَافِي القِدْرِ، لأَنَّهَا ثَلاثُ أُكَيْمَات، وَبِهَا كَان جَرِيْر، وَبِهَا لَه مَالٌ، وَبِهَا مَنْزِلُ عُمَارَة بن عُقَيْل بن بِلَال بن جَرِيْر، وَأَوْرَد بَيْتًا مِنْ شِعْرِهِ، وَقَوْل نَصْر مَنْسُوبًا إِلَيْه، وَبَيْتًا لِرَاعِي الإِبِل:

دَعَوْن قُلُوبنا بِأُثَيْفِيَّات ... وَالحَقْنَا قَلَائِص يَعْتَلِيْنَا

وَأَضَاف: وَقَد دَلَّنَا عَلَى أَنَّ أُثَيْفِيَة وأُثَيْفَات وَذَات الأَثَافِي كُلّه وَاحِد، وَذُو أُثَيْفِيَة مَوْضِع فِي عَقِيْق المَدِيْنَة.

(٥) أَوْرَد هَذَا يَاقُوت مُضِيْفًا: وَقَد حَكَيْنَا عَنْ ابْن السِّكِّيت - أَنَّه بِتَشْدِيْد اليَاء - وَقَدْ أَوْرَد قَبْلَه: قَال ابْن السِّكِّيْت فِي قَوْل كُثَيِّر:

فَشِرَاج رِيمَة قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا ... بِالسَّفْح بَيْن أُثَيِّلٍ فَبَعَال

قَال: شِرَاج رِيمَة: وَادٍ لِبَنِي شَيْبَة، وَأُثَيِّل مِنْهَا مُشْتَرك، وأَكْثَره لِبَنِي ضَمْرَة، قَال: وَذُو أُثَيِّل: وَادٍ كَثِيْر النَّخْل بَيْن بَدْر والصَّفْرَاء لِبَنِي جَعْفَر بن أَبِي طَالِب، وَقَال عَن الأُثَيْل: تَصْغِيْر الأَثْل: مَوْضِع قُرْب المَدِيْنَة، وَهُنَاك عَيْن مَاء لآل جَعْفَر بن أَبِي طَالِب بَيْن بَدْر وَوَادِي الصَّفْرَاء وَيُقَال لَهُ: ذُو أُثَيْل، وَقَدْ حَكَيْنَا عَن ابْن السِّكِّيت أَنَّه بِتَشْدِيْد اليَاء، وَكَان النَّبِي صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم قَتَل عِنْدَه النَّضْر بن الحَارِث عِنْد مُنْصَرفه مِنْ بَدْر، ثُمَّ أَوْرَد شِعْرًا لِبِنْتِه قُتَيْلَة تَرْثِي أَبَاهَا.

وَقَدْ أَوْضَح الحَازِمِي أَنَّ هَذَا الشِّعْر مَصْنُوْع.

(٦) يُفْهَم مِنْ كَلَام يَاقُوت المُتَقَدِّم أَنَّه هُوَ المَوْضِع الَّذِي قَبْلَه.

قَالَ أَبُو الحُسَيْن: الأَثِيْلُ - بِفَتْحِ الهَمْزَةِ وَكَسْرِ الثَّـاءِ: مِنَ المَوَاضِعِ التِّهَامِيَّةِ، ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشِّعْرِ، بِضَمِّ الهَمْزَةِ وَفَتْحِ الثَّاءِ[١].

الأَجَاءَةُ: أَجَاءَةُ بَدْر بن عِقَالٍ، فِيْهَا بُيُوتٌ مِنْ مَتْنِ الْجَبَلِ، وَمَنَازِلُ فِي أَعْلَاهُ[٢].

أُجَارِدُ: وَادٍ يَنْحَدِرُ مِنَ السَّرَاةِ عَلَى قَرْيَةِ مُطَارٍ لِبَنِي نَصْرٍ[٣].

وَأَيْضًـا: وَادٍ من أَوْدَاة كَلْبٍ، وَهِيَ أَوْدِيَـةٌ كَثِيْرَةٌ تَنْشِلُ مِنَ الْمَلْحَـاءِ، وَهِي رَابِيَـةٌ مُنْقَادَةٌ مُسْتَطِيْلَةٌ، مَاشَرَّقَ مِنْهَا الأَوْدَاةُ، وَمَاغَرَّبَ فَهُوَ البَيَاضُ[٤].

أَجْرَاذُ: آخِرُهُ ذَالٌ مَنْقُوْطَةٌ: مَوْضِع بِنَجْد[٥].

وأُمُّ أَجْرَاذٍ: بِئْرٌ قَدِيْمَةٌ بِمَكَّةَ، وَقِيْل بِدَالٍ مُبْهَمَةٍ[٦].

الأَجْدَلَانِ: أَبْرَقَـانِ مِنْ دَار عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدٍ مِنْ أَطْـرَاف الستار، وَهُوَ وَادٍ لامْرِئِ القَيْس بن زَيْد مَنَاة، حَيْثُ الْتَقَى هُوَ وَبَيْضَاءُ الخَطِّ[٧].

الأَجَيْرَاف: (الأُعَيْرِف).

---

(١) وَفِي «مُعْجَم البُلْدَان»: الأَثِيْل - بِالْفَتْح ثُم الْكَسْـر - بِوَزْن الأَصِيْل: أَثِيْل مَوْضِع فِي بِلَاد هُذَيْل بِتِهَـامَة، قَال أَبُو جُنْدَب الهُذَلِي:

بَغَيْتَهُـم مَـا بَيْـن حَـدَّاء والحَشَـا وَأَوْرَدْتُهـم مَـاء الأَثِيْـل فَعَـاصِمَـا

(٢) لَمْ يَزِد يَاقُوْت عَلَى هَذَا عَنْ نَصْر، وَمِثْلُه صَاحِب «تَاج العَرُوْس».

(٣) أَوْرَدَه يَاقُوْت عَنْ نَصْر بِدُوْن زِيَادَة، وَقَال قَبْلَه: أُجَارِدُ: اسْم مَوْضِع فِي بِلَاد عَبْد القَيْس.

(٤) أَوْرَدَه يَاقُـوْت بِنَصِّه وَلَمْ يَنْسِبه، وَقَـال الهَجَرِي: كُلُّ فَاعَلَـةٍ لَامُهَا يَـاءٌ، فَإِنَّ فُصَحَاءَ طَيِّئٍ يَجْعَلُوْنَهَـا أَلِفًا، فَمِن ذَالِك الأَوْدَاةُ - جَمْعُ أَوْدِيَةٍ - والنَّاصَاةُ لِلنَّاصِيَةِ، والرَّاوَاةُ لِلرَّاوِيَة، وَقَال فِي كَلَامه عَلَى حَزِيْز كَلْب: ثُمَّ تَهْبِطُ مِنْ حَزِيْز كَلْبٍ فِي الوَصْلِ بَيْنَ الأَوْدَاةِ وَبَيْن حُزَيْـزٍ، وَإِنَّمَا هِي الأَوْدِيَةُ، وَلَكِنَّهَا لُغَةُ طَيِّئٍ، فَأَوَّلُ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الأَوْدَاةِ ذُو القُوْرِ، ثُـمَّ أَحَامِـرُ، ثُمَّ عَزعَـر، ثُمَّ أَبْلَى، ثُمَّ تُبَل، ثُمَّ بَطْن ظَبْي، هَذِه كُلُّهَـا أَوْدِيَةٌ تَصُبُّ فِـي الفُرَات، وانظُر عَنْ الأَوْدَاة هَذِهِ (قِسْم شمَال المَمْلَكَة) مِنَ «المُعْجَم الجُغْرَافِي لِلْبِلَاد العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة».

(٥) زاد ياقوت قال الراجز:

أتعْـرِفُ الـدَّارَ بِـذِي أَجْـرَاذِ دَارًا لِسُعْـدَى وابْنَتَيْ مُعَـاذِ

وَمَا أَكْثَر مَوَاضِع نَجْد.

(٦) أَوْرَد هَذَا يَاقُوْت، وَلَمْ يَزِد، وَآبَار مَكَّةَ دَرَسَتْ.

(٧) لَمْ يَزِد يَاقُوْت عَلَـى هَذَا غَيْر مَنْسُوْب، والسِّتَار وَبَيْضاء الخَطِّ: قَدْ تَحَـدَّثْتُ عَنْهُمَا بِتَفْصِيْل فِي (قِسْم المِنْطَقَة الشَّرْقِيَّة) مِنَ «المُعْجَم الجُغْرَافِي».

نظام النصة عند عوامر بني شهر

العوامـر هم ذرية عامر بن ربيعـة بن شِهْرِ بن الحَجْرِ، وينقسمـون إلى بني عَبْد وبني سَعدْ أبنـاء عامـر بن ربيعة وديارهم بين النّمَـاص وتَنُوَمَـة، ويدخل معهم في النصة بنو لام، ويشكل العوامر ربع قبيلة بني شِهْرِ السراة تقريبًا.

والنَّصَّةُ بفتح النون مع فتح الصاد وتشديـدها، وتأتي بمعنى العدد والمقدار، جاء في «اللسان» لابن منظـور في مادة (نصص): [روى أبو تـراب عن بعض الأعراب - كـان حصيص القوم ونصيصهـم وبصيصهم كذا وكـذا أي عـددهم بـالحاء والنـون والباء]. انتهى. وهي من النظم العشـائرية القديمة، وأساسهـا المقدار المفروض من المال أو الرجـال. على جهة معلومة ضمن مجموع معلـوم من القبيلة في أي مشروع حربي، فيمـا كان يعرف (بـالجهاد). ونَسْتأْنِسُ في هـذا المقام بما ورد في مـذكرات تـركي الماضي - رحمـه الله - ص ٨٠، ط ١ الذي زار شهـر مع لجنة مكـونة لهـذا الغـرض في ذي الحجة ١٣٤٨هـ حيث قال: (فبـدأنـا باستحصـال جميع ماكـان للحكومة من الزكاة والجهاد ووفقنا إلى تحصيل ذالك بهدوء واطمئنان).

والنصـة الإجماليـة للقبيلة الأمّ يجب أن تحـدد بظروفهـا، تزيـد وتنقص حسب الطلب أو الحاجـة، ومن ثَمَّ يتم توزيعهـا على الجميع على اعتبـار البطن والفخذ والقرية ثم اللحمة فالأسرة.

وقـد ينـوب البطن أو الفخذ أو حتى اللحمـة في ظـرف معين في حمل النصـة المقررة عن مجمـوع القبيلة فلا يخـرج من القبيلة إلا نصـة ذالك الفخذ أو البطن، وذالك في حالة الاتفـاق بينهم على مبدإ التناوب خاصة إذا كـان العدد المطلوب قليلًا، فـإذا خرج البطن أو الفخـذ (أ) في هذه المـرة فلا يخـرج في المرة القـادمة وإنمـا يخرج البطن أو الفخـذ (ب) وهكذا، ومثـال ذالك أن لحمة آل بَلْعَـدْل في

قـريـة (مليح) وهـم من عشيـرة آل بُهيش من دُحيـم، تعطى نصتهم إلى بلحصين، ففي حـالـة دفع النصـة عن آل بهيش فقط لا يخـرج معهم آل بلعـدل وإذا خـرج بلحصين يخرج معهم آل بلعدل وذالك للموازنـة في العدد، وفي ذالك دليل أيضًا أن مبدأ النَّصَّـة قديم جدًا بحيث أن الأفخـاذ المعروفة حـاليًا كانت في مـرحلة من الزمن مجرد (لحام) أو أسر داخل البطون التي كانت في حينها في مرحلة الأفخاذ.

والنصة عمومًا ليست مقـامة على مبْدإ النسب فوجودها بشكـل ما لا يقرر نسبًا ولا ينفيه، فـاللحمة من القريـة داخل الفخذ تتساوى مع اللحمـة الأخرى في نفس الفخـذ من حيث قرب النسـب أو بعده بِجَـدٌ ذالك الفخـذ لأن تجمع القبائل قـد يكـون مبنيًا على الحلف كمـا في بعض أسر بني لام بـالنسبة للعـوامر ممـا يجعل بالإمكان دفع نصة فخذ بأكمله إلى أحد البطون مثلما تدفع نصة آل بْرَيَّاع وهـم من الأساودة إلى شهر ثِرامين، ونصة إخوانهـم العُمرة إلى بلحارث.

وإذا ألزمت أسـرة أو لحمة بإخراج نصتهـا من الرجـال كان بالإمكـان استئجار من يقوم بـذالك حتى ولو كـان من قريـة أو قبيلة أخرى فـالقصد الـوفاء بـالإلتزام وأداؤه.

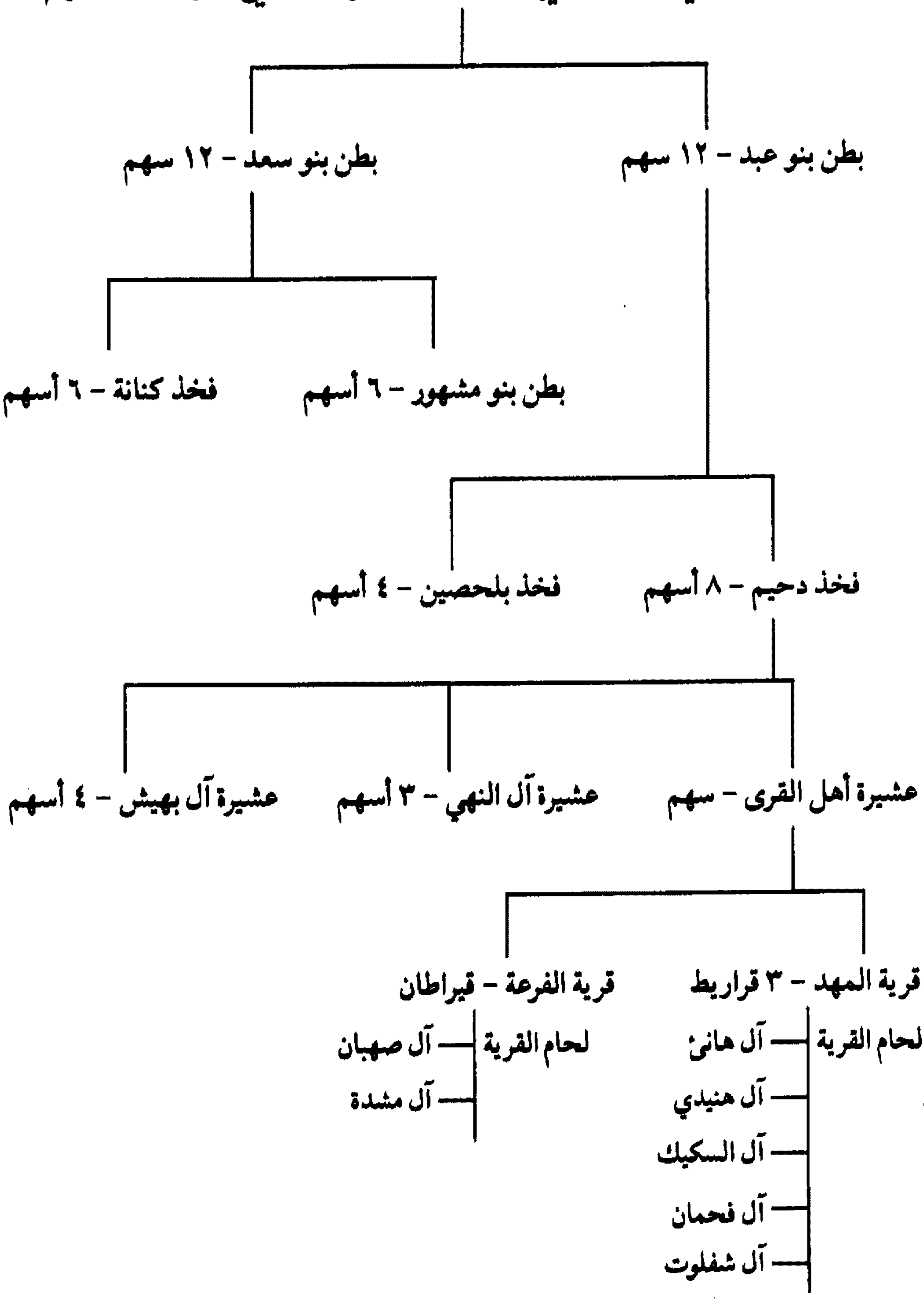
وقد وزعت النصـة سابقًا على مبدإ الإمكـانات البشرية والماديـة، ومدار ذالك الأملاك الـزراعية ومناشـر الرعي، وعدد السكـان في هذه القريـة أو تلك، ولذالك نجد أن بنـي عبد وبني سعد متسـاويان في النصـة ولكن دُحَيمًا يحمل ثلثـي نصة بني عبد. ويحمل بَلْحُصَين الثلث، في حين أن نصـة بني سعد مقسومة بـالتساوي بين بني مشهـور وكنانـة مع العلم أن الفخذ دحيم هـو الوحيـد في أفخاذ العـوامر الذي يحتـوي على ثلاث عشـائر كل عشيرة منفصلـة بمشيختها ومَنْشـرها وقـراها

وهي أهل القـرى وأهـل النهي وآل بهيش، ونصـة كل عشيـرة تـدفـع لعمـوم نصـة العـوامر، وهـذه العشائر متسـاويـة في الحقوق والـواجبـات. ومختلفة في مقـدار النصة. وإذا أخذت نصـة العوامر كافـة فالرئاسة في بني عبـد وحامل (البيرق) في بني سعد.

وقد انتفت الحاجة حاليًا إلى نظـام النصة التقليدي بعد استتباب الأمن في هذا العهد الـزاهر، وتـوحيد بلادنـا تحت راية واحـدة حيث كانت حـرب الريث (جبل القهر) في عـام ١٣٧٥هـ آخر الحـروب التي اعتمد فيهـا نظام النصة على أصـوله المذكورة، فقـد جاء في مذكرات تركي المـاضي أمير أبها ص ٣٩٢ - ٣٩٣ ط ١، قوله: إنـه في أوائل عام ١٣٧٥هـ (صدر أمـر جلالة الملك.. بحشد المجـاهدين من قبائل عسيـر ورجال الحجـر وقحطان وشهران) ثم قـال بعد التحـرك من أبها: (فنزلنا المخـاضة وأقمنا عليها ثـلاثة أيام حتى اجتمعت الجنود مـن عسير ورجال الحَجْر وقحطـان وشهران وكـان عددهم نحـو ثلاثـة آلاف)، وقد بيّن مهمـة رجال الحَجْر في تلك المشكلة كما قال في ص ٤٠٠: (أمـا رجال الحَجْر وهـم بنو شهر وبنو عمـرو وبلأسمـر وبلأحمر فقـد رتبناهم في محلهم لحمـاية السـاقة، وتأمين خط المـواصلات بين جبل الـريث ووادي رَخْيَـة الذي فيـه المخيـم... صباح يـوم الأربعاء الموافق ٢٥ صفر سنة ١٣٧٥هـ).

ملاحظة: ومحاولة من العشائر في المحافظـة على نوع من التكاتف فيما يخدم مصالحهم فقد استحـدث مبدأ المشاركة في دفع الديات وخـاصة وفيات حوادث السيارات داخل العشيرة الواحدة أو الفخذ الواحد على أن يتم توزيع مبلغ الديات على أساس حـامل البطاقـة منهم، وهذا مـوضوع آخر يختلف إختـلافًا كـاملًا عن نظام النصة الذي تحدثنا عنه سواء في الأسس أم الأهداف.

توزيع نصة بني عبد وبني سعد (من عوامر بني شهر) ٢٤ سهم



السهم = ٥ قراريط

الرياض: د. محمد بن ظافر آل عساف

بلـد الشـنفرى الأزدي وقبيلتـه

لا أريد ترجمـة الشنفرَى وبيان سيرتـه، بل أريد بيان أمر اختلف فيـه المؤرخون والأدباء قديمًا وحـديثًا ألا وهو بلد وقبيلة هذه الشخصيـة الجاهلية الشنفَرَى حيث شرق النـاس وغربوا وأخطأوا ولم يصيبـوا في نسبه وارضه حتى قـال يوسف خليف في كتـابه «الشعراء والصعـاليك في العصر الجـاهلي»[1] قال: إن اصـل الشنفرى ونسبه شديدتا الغمـوض وقال في موضع أخر[2]: من المرجح أن دمًا أفريقيا زنجيًا أو حبشيًّـا كـان يجـري في عـروقـه. انتهى. قلت لقـد نسبـه بعضهم إلى بني فهم والبعض الآخـر نسبـه إلى سلامـان كـذالك نسبـه بعض من كتب في التـاريخ في واقعنا المعاصـر إلى قبيلة زهران، وأقول: إن هذا كلـه جهل وإيهام والذي أوهمهم عدم النص في كتب التاريخ والأدب على أصل الشنفرى وبلده ولا خفاء أن معرفة نسب كل إنسان، ومعرفة بلده يحصل من الإنسان نفسـه من أقواله نثرًا أو شعرًا لذا قيل: الناس مؤتمنـون على أنسابهـم، وعلى هذا فقد ذكـر الشنفرى أصل قبيلته في شعـره كما ذكـر ذالك الـرجل الـسلاماني الـذي كـان الشنفـرى عنده فمن شعـر الشنفرى قوله:

ولـو علمـت قعسـوس أيـام والـدي ووالـدهـا ظلت تقـاصـر دونهـا
أبي ابن خيـار (الحَجْـرِ) بيتًا ومنصبًا وأمي ابنـة الأحـرار لـو تعـرفينهـا
أليس أبي خيـر (الأواس) وغيـرهـا وأمي ابنـة الخيـريـن لـو تعلمينهـا

فقد نص الشـاعر على قبيلته (الحَجر) ثم نَصَّ على القبيلـة الأواس بن حَجْر، وقد فصلت القـول عن قبائل رجال الحجـر في كتابي الـذي صدر حديثـا «تاريخ رجـال الحجر» وهم بنـو عَمْـرو، وبنـو شِهْر وبَـالأسمـر وبالأحمـر[3] وهم من أزد السراة، ضمن قبائل الأزد الذين ذكرهم الهمداني في «صفة جزيرة العرب»[4] وذكر رحمه الله بلاد رجـال الحجر[5] ويعرف الشنفـرى بالأزدي وهـم أزد السـراة وحيث أنني أحـد أبناء رجـال الحجر وبـالأخص أنا في ديـار الأواس بن الحَجْر فسـوف

أربط بين القديم والحديث ربطًا مطابقًا للواقع في هذا الموضوع فأقول: إن مواطن الأواس معلومة منها هضبة (عيار) التي ذكرها الحموي في «معجم البلدان»[٦] وقال: لقد وقع في (عيار) يوم حراق بين قبيلة غامد والأواس وأورد القصة وذكر شعر لزهير الغامدي وهو:

نُبَغِيّ الأواسَ بأرضها وسمائها — حتى انتهينا في دواب تكبدًا
حتى انتهينا في عيار كأننا — أظب وقد لبد الرؤوس من الندى

والذي يظهر أن غزو غامد للأواس ردًّا على أفاعيل الأواس بغامد يدل على ذالك موقعة (ثرام) وهو موضع في ديار الأواس بن الحجر حيث غزت غامد الأواس كما قال الشاعر زهير الغامدي[٧] أيضًا:

أفي أن طلبنا أهلَ جُرْمٍ بذنبهم — زففتم كما زف النعام النوافر
حديث أتانا عن (ثرام) وأهلها — بني عامر وودعتنا الأساور

فقد قال: أهل جرم بذنبهم كأنهم يردون لهم الصاع صاعين، وبنو عامر جزء من الأواس، كما سأبينه قريبًا.

وثرام هذا يسمى حاليًا الثرمانة.

وأما عيار فلا زال باسمه وقد يسميه بعض أهله (الحيد) ومكان الموقعة منه شمال (عيار) يسمى حاليًا (المصبح) لأن الصبحة حصلت فيه من غامد لأهله.

أما الأواس أهل عيار وثرام فلا زال ينتسب إليهم قبيلة تسمى قبيلة آل عِياء سُمُّوا بالوادي الذي نزلوا فيه شرق عيار، بحوالي ثلاثين كيلًا لكثرة مياه ذالك الوادي وخصبه والمثل يقول في بيت شعر نبطي:

بلاد العياءْ من بقيف وشرق — وبقية البلدان خشر وفشر

و (بقيف) هضبة قريبة من (عيار).

ومعلوم أن بلاد رجال الحجر يحدها شرقًا وادي بيشة ولكن قبيلة آل عياء قدْ

أخذوا شرق وادي بيشة مسافة حوالي ثلاثين كيلًا بما فيها وادي الصَّحْن المتجه من الشرق إلى الغرب يصب في وادي بيشة حيث قال شاعرهم في هذا الصدد:

ديـرة رجـال الحجر من بيشـة وبَحْـرًا   و (الصَّحْن) فإنه لمن يلبسـون الدروع

ويتحدث النـاس عن قوتهم قـديمًا، وأنهم أهل خيل وسيـوف ودروع حتى قال قائلهم.

يـامـاجـرى للخيل من ريع عــاصم   فـي كل يـــوم صـــائح وشليـل

وفي وقتنا الحاضر قل عددهم سنة الله في خلقه ولا يزالون يعتزون بقولهم (عيال الواسي) وبعضهم بحرف فيقول (بني يـوسي) كما أن أوصاف الشنفرى تنطبق على أوصافهم الخَلْقية وهـذه القبيلة جزء من قبيلة بني منبح من بـالأسمر ومنهم من نزح شمـالًا إلى باديـة (خثعم) و (شمـران) ومقرهم الآن شـرق (البشـائر) مركـز خثعم وشمران، وتربطهم بأصلهم (بني واس) روابط وفي أول هذا القرن زارهم جماعة من آل عيـاء ومنهم الشاعـر سعيـد بن رابعـة العيائي الأسمـري وحصل بينهم محـاورة شعرية ومنها قول شاعر بني واس القاطنين في بادية شمران:

مـرحبًـا يـاسعيـد ومـن معك نغليـه   مـرحبـا مرحبـا بك يـاعصـابـة رأسي
يــاحمى بلــدنــا وأنتم حــراسهــا   أمن قلبـي على حــدّ نــزلتم فيــه
فـــاتـق الله في قسم (الـــواسي)   مظهـــر الشمس يقفيـــه نــورهـــا

فرد عليه شاعر منهم سعيد بن رابعة قال:

يـاسـلام على الـديـر ومن جـاء فيـه   وعلىْ الشيخ ظافر هـو ودعوى (الواس)
عــد من طــاف بـالكعبــة وزارهــا   أمـا قسمك فلا حن جـاحْدِ ينك فيـه
لكنك أخذت المصالح واكتفيت الباسِ   مثل وعـل تَعَلْـــوَى في وكـــورهـــا

الشـاهد أن شـاعر (بني واس) يـرحب بـوفد من أصلهم. ويـذكرهم بجـزء من بلادهم ولـم يجحد الوفد قسـم المرحب بهم.

(بنو واس) القاطنين في بادية شمران تنطبق أوصافهم على أوصاف آل عياء بني واس، ولا يوجد قبيلة حَجْرية تنطبق عليها أوصاف الشنفرى إلا هذه القبيلة وقد كان (الأواس) المذكورون يسكنون من (حضوة) إلى (عيار) و (ثرام) ثم نزحوا إلى (وادي عياء) مقرهم الآن وسموا باسم الوادي.

أما كيف صار الشنفرى في بلاد غامد وزهران حتى قتل في بادية زهران في (بيدة) وإنه ظهر لي أن بين بني الحجر وغامد وزهران مناوشات حيث يغزو بعضهم بعضًا كما حصل في جبل عيار وثرام وحصلت موقعة بين بني الحجر وغامد في وادي (دوقة) ذكرها الحموي[8] وفيها يقول زهير الغامدي:

اعاذل منا المصلتون خلالهم ... كأنا وإياهم بدوقة لاعب

اتيناهم من أرضنا وسمائنا ... وأنّى اتى لِلْحَجْرِ أهل الأخاشب

وهذا يدل على أن أبناء غامد وزهران غزوا بني (الحجر) في الجاهلية وأسروا الشنفرى في صغره مع أمه، وأبيه ثم قتلوا أباه فانتصر الشنفرى لأبيه في منى، بعدما استعبده (بنو سلامان) ثم فدوا به رجلًا منهم والذي يظهر أنه بني سلامان سلامان الحجر، لأنهم نصف بني الحجر وقد فصلت القول فيهم في كتابي «تاريخ رجال الحجر»[9] إضافة إلى علاقته بمثله من الصعاليك.

سعيد بن عوض الأسمري

الحواشي

(١) «الشعراء والصعاليك» الدكتور يوسف خليف ص ٣٣٢

(٢) ص ٣٣٤ نفس المصدر.

(٣) «تاريخ رجال الحجر» مؤلفه سعيد بن عوض الأسمري ص ٨١ و ٨٥.

(٤) «صفة جزيرة العرب» الهمداني ص ٣٦٩ وما بعدها.

(٥) المصدر ص ٢٦٠.

(٦) «معجم البلدان» للحموي ص ١٧١ جزء ٤.

(٧) نفس المصدر ج ٢/ ٧٥.

(٨) نفس المصدر ج ٢/ ٤٨٥.

(٩) «تاريخ رجال الحجر» ص ٨٦ و ٨٧.

(شقراء الوشم)

الله أكبـــر .. إنهـــا الشقـــراء   تغنيك عن وصـف المهـا الأسمـاء
هـذي مباسمهـا تبـدت لـؤلـؤا   وبكل نــاحيـــة سنــا وسنـــاء
تـاقت إليهـا في السمـو سمـاؤنـا   ورنت إليهــا عينهـــا الـــزرقـــاء
وتـــزاحمت صـــور الطبيعـة لهفـة   فتســاقطـت دمعـاتهـــا الأنـــواء
والسحب مـاست بـالظفـائر حلـوة   فتهـدلت ينســـاب منهـا المـاء
والمهـر من تبـر الـرمـال صيـاغـة   جــاءت لـــه بنقــائه الـــدهنـاء
يـا أيهـا الشقـــراء أنــت مليحــة   حنت إليـك بعشقهـا الـــورقـــاء
تبـــدين أرضًـا في الطبيعـة رقعـة   لكـن حسنـك ذروة وسمــــــاء
والشعـــر ينظم في بهـــاك قصـــائدًا   مـــاضمهـا الإيطـــاء والإقـــواء
وتنـــافست في حـب أرضك أغصن   وبـــراعم قـــد شـــاقهن بقـــاء
وهفـــا النسيم مهفهفـــا في رقـــة   تبـــدو عليـــه سعـــادة وهنـــاء
والطيـــر أنشـــد دون أي قصيـــدة   فـــالشعـــر أنت، وأنت أنت غِنَـاء

* * *

يـــادار علم لـــلأنـــام ثـــريـــة   أنت الضيـــاء فشعشعـت أرجـــاء
يـادار قـوم في الحـروب أشـاوس   لكنهم لحمـى الهـــدى أبنـــاء
يـــادار قـــوم في التجـارة بـــرهنـــوا   أن النـــزاهـــة مهنـــة ووفـــاء
يـا أرض قـــوم في السخـاء حـــواتم   ونـــدى الكـــريم مـــودة وصفـــاء

يــادار قــوم فـي المبــادئ أثبتــوا أن المـــــروءة ديــــدن ونقـــــاء
النـــاس فيهـــا صفــوة بـل نخبــة يسمـــو بهـــا خلـق العــلا وحيــاء
ليست بحـاجـة أن تعــد صفـاتهـا أو تستشـف لحسنهـــــــا الآراء
هي في الحقيقـة فــوق كل حـروفنـا يكفي مــديحــا: (هــذه شقــراء)

* * *

لا تقبلي مـــدحــا إذا هـــو ضيق فـــالمسلمـــون أُخُـــوّةٌ وســـواء
كــوني كعُــود حــازم في حــزمــة رفعت إلى القـدس الشـريف حُـداء
كــونـي لســان تــآلف وتــوحـد فــالجمع فـي درب الإخــاء نمــاء
والعقل يعظـم كلمـــا زانت لــــه لغــة التــواصـل فــالعــداء فنــاء
لـو كـان فيك من الجمـال نقـائص لأزاحهـــا بيـــد الطمـــوح بنـــاء

* * *

أنـت الأبيـــــة دون أي تعصـب فـــالمجــد يطلــب، والتعصب داء
مستفعلـــن مستفعلـــن مستفعلـــن إن الظـــلام تـــذيبـــه الأضـــواء

الرياض: علي بن محمد العيسى

«العرب»: أُلِّفَتْ عن مدينـة (شقراء) مؤلفـات حديثة، منها كتـاب «شقراء» للدكتـور محمد بن سعد الشويعـر وكتاب «شقراء» الأستاذ محمـد بن إبراهيم العمار، إلَّا أن تأريخها القديم - كغيرهـا من مدن نجد - لا يزال مجهولًا ولكن الآمال القويـة بأن بين هذه الصفوة من شباب البـلاد الذين وردوا جميع مناهل العلوم والمعارف من يحاول سدَّ الثغرة.

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم:

آل صقيه من الوهبة من بني تميم

اطلعت على كتاب «معجم أسر بني تميم في الحديث والقديم» لمؤلفه حمد ابن ناصر آل وهيب، وهو كتاب جدير بالاهتمام بذل فيه المؤلف الكثير من وقته وجهده رحمه الله.

وقد ورد في ج ٢، ص ٧٠٨ بعنوان (أسر لم تلحق إلى فروع) وذكر منهم آل شايع (الشايع) في صبيح من قرى الرس. كما أن هناك أسر من آل صقيه في صبيح لم يوردها المؤلف في كتابه، ولم ترد أيضًا في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد».

وأجدها مناسبة لكي أقوم بتفصيل شامل للأسر التي تلتحق بـ (آل صُقَيْه) ممن استوطنوا بلدة (صُبَيح) أو استقروا في (النبهانية) بعد نزوح أجدادهم إليها.

١ - **آل جلهمي** (الجلهمي) في (صبيح) من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة وهم أبناء عم للعيسى والعكُّوز، وهم من ذرية محمد بن عُبيد بن صقيه له من الأبناء اثنين صالح - وحمود (١٢٩٠/ ١٣٥٥هـ) وقد تفرقوا في مناطق مختلفة، ومنهم من يسكن (عفيف) والمنطقة الشرقية، وهم غير جلاهمة العتوب (بني عتبة) الذين ينتمي إليهم رحمة بن جابر.

٢ - **آل جميل** (الجُمَيْل) في صبيح من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة، وهم أبناء عم للعكوز وهم من ذرية صالح بن عبدالله بن عبيد بن صقيه (١٢٨٥/ ١٣٤٠هـ) له من الأبناء عبدالله (١٣٠٤/ ١٣٧٩هـ) وسليمان (١٣٣٥/ ١٤١٢هـ).

٣ - **الحصان** في صبيح والرس من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة من بني تميم وهم أبناء عم للشايع والعقيل ومنهم محمد بن سليمان بن فهد الحصان (١٢٩٤/ ١٣٥٩هـ) وفهد بن خليفة بن فهد الحصان (١٣٢٢/ ١٣٩٢هـ)، وله من الأبناء أربعة أغلبهم يحملون اسم الصقيه.

أيضًا أود تصحيح ما ورد في مجلة «العرب» س ٣٣، ص ٧٠٨ حيث ذكر الأخ محمد الفهد التميمي من (حائل) في مقالة (أسر تميمية لم ترد أسماؤها في الكتاب) وذكر منهم الحصان بأنهم من آل صقيه وأنهم عدة فروع منهم الحصان هاؤلاء والخليفة والعيسى والعيادة في مدينة (جُبَّه).

والصحيح بأن أسرة العيادة تميمية النسب ولا أعرف أنها تلتحق بآل صقيه أو فروعها.

٤- الخليفة عائلة صغيرة متفرعة من أسرة الحصان من آل صقيه من الوهبة، وتسموا بالخليفة نسبة إلى جدهم خليفة بن فهد بن فرج بن زايد بن صقيه (١٢٨٧/ ١٣٥٢هـ) ويقيمون في حائل ولا يوجد في صبيح منهم أحد.

٥- آل شايع (الشايع) في (صبيح) و (النبهانية) من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة أحد بطون بني تميم ومنهم صالح بن راشد بن شايع بن فرج بن صقيه (١٢٩٦/ ١٣٧٦هـ) وله من الأبناء أربعة سكنوا (صبيح) من بعده، أما أخوه عبدالله بن راشد (١٢٨٧/ ١٣٦١هـ) فقد استقر به المقام في (النبهانية) وأولاده الثلاثة وأحفادهم من بعده.

وأود التنويه بتصحيح ما ورد في مجلة «العرب» س ٣٠، ص ٦٩٢ حيث ذكر الأخ عبدالرحمن بن سليمان الشايع (ولا أعلم أنه يمت لهاؤلاء بصلة) بإن الشايع في صبيح من المشارفة من الوهبة من تميم والصحيح ما ذكرته آنفًا.

٦- آل عقيل (العقيل) في (الخبراء) من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة من بني تميم، نزحوا قديمًا من (صبيح) وسكنوا (الخَبْراء) ومنهم من نزح إلى بغداد وهم من ذرية عقيل بن محمد بن زايد بن صقيه ومن أحفاده عقيل بن محمد بن عقيل (١٣٠٩/ ١٣٩١هـ) وهم أبناء عم للشايع والحصان والآن لا يوجد أحد منهم في (صبيح) وأغلبهم يحملون اسم الصقيه.

٧- آل عكّوز (العكوز) في صبيح ذكرهم صاحب كتاب «أسر بني تميم» في

الصفحة ٤٦٧ حيث ذكر بأنهم (في القصيم من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة أحد بطون بني تميم)، وأضيف إلى ما ذكر بأن العكوز في صبيح إحدى قرى الرس، وهم من ذرية محمد بن عبدالله بن عبيد بن صقيه المتوفى عام ١٣٢٥هـ وله من الأبناء ثلاثة ومن أحفاده فضيلة الشيخ محمد بن سعد العكوز رئيس محاكم جازان سابقًا وعضو هيئة التمييز بمكة المكرمة الآن، وقد تفرقوا في مناطق مختلفة ولا يوجد في صبيح إلا القليل منهم.

٨- آل عيسى (العيسى) في صبيح ذكرهم المؤلف في ٤٧١ وهم من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة، كما أنهم أبناء عم للجلهمي والعكوز، وقد خرجوا من صبيح في الخمسينات الهجرية، وهم من ذرية عيسى بن عبيد بن صقيه وله من الأبناء عبدالله وفهيد، ومنهم معالي السفير الشاعر محمد الفهد العيسى.

٩- آل فهيد (الفهيد) في صبيح من آل عيسى من آل صقيه من الوهبة، وهم من ذرية فهيد بن عيسى بن عبيد بن صقيه، والآن لا يوجد أحد منهم في صبيح.

١٠- آل كحلان (الكحلان) في صبيح من آل صقيه من الوهبة من بطن حنظلة وهم أبناء عم للشايع وهم من ذرية محمد بن راشد بن شايع بن صقيه (١٢٦٥/ ١٣٦٠هـ) وله من الأبناء ثلاثة، لا يوجد أحد منهم في صبيح.

وخلاصة القول فإن جميع الأسر المذكورة ممن استوطنت بلدة صبيح أو استقرت قديمًا في النبهانية أمثال حمد بن علي بن حمدان بن صقيه (١٣٠٠/ ١٣٧٥هـ) ودخيل بن حماد بن حمد بن حمدان بن صقيه(١٣١٦/ ١٣٨١هـ) وأخوه عبدالله بن حماد (١٣٢٣/ ١٣٨٤هـ) إضافة إلى ناصر بن الحميدي بن سعود بن حمد بن صقيه (١٣٣٠/ ١٣٦٨هـ) جميعهم وذريتهم من آل صقيه من آل بسام بن عساكر ابن بسام بن عقبة بن رَيّس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب من بطن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم.

وفي الختام أود أن أنوه بأن آل إبراهيم (البراهيم) الذين أشار إليهم الشيخ حمد

الجاسر في كتابه «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» القسم الأول ص ١٦ هم من ذرية إبراهيم بن حمد بن عبدالله بن صقيه (١٣٠٦/ ١٣٧٦هـ)، وكان يطلق عليهم اسم البراهيم كتعريف داخل البلدة نسبة إلى جدهم المذكور، إذ لا يوجد أسرة من آل صقيه تحمل اسم (البراهيم) وهم من آل صقيه.

هذا ما أردت توضيحه عن تلك الأسر الكريمة من آل صقيه متوخيًا الدقة والبحث والتقصي لفترة ليست بالقصيرة، والله الهادي إلى سواء السبيل،

محمد بن خليفة بن فهد الحصان الصقيه

أسـرة آل عيبـان

كتب إلى مجلة «العرب» الأخ الأستاذ عبدالرحمن بن ناصر العيبان مستوضحًا عن بعض مشاهير أسرته ومنهم الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن عيبان، وهو جده من جهة والدته، الذي سافر إلى البحرين، واستقر فيها وتولى القضاء، وتزوج بنتًا من آل خليفة حكام البحرين، ثم نزح منها إلى نجد ومعه زوجته التي انجبت له ابنه محمد الذي لازم أباه في تعلم القراءة والكتابة وهو الشاعر. ثم أورد شيئًا من شعره.

ويؤسفني أنني لا أتذوق الشعر العامي، ومن هنا فليس لي اطلاع واسع ولا معرفة به.

أما أسرة آل عيبان فقد تكرر ذكرهم في كثير من مؤلفات أهل نجد، حيث ذكرهم ابن بشر في كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد» حوادث سنة ١١٧٩ بما نصه[١]: (وفيها قُتل عيبان واثنان من أولاده، قتلهم أهل شقراء، بلغهم أنهم يعاونون الأعداء، فأرسلوا إليهم وهم في بلدة الفرعة وقتلوهم).

وفي حوادث سنة ١٢٦٢ قال:[٢]: (وفيها أمر الإمام فيصل على عبدالعزيز بن عيبان يكون إمامًا لأهل الناحيتين، أهل الوشم وسدير، ومذكّرًا لهم، فكان في مدة هذه الغزوة يذكرهم ويراوحهم بالمواعظ ويباكرهم، وله قراءة على الشيخ عبدالرحمن [بن حسن] في تاريخ الإسلام والسيرة، وكان له معرفة في التفسير

والحفظ، بحيث لا يماثله غيره، خصوصًا في تفسير الإمام المحدث ابن كثير، فإنه كان قد اعتنى به في صغره وقرأه مرارًا، فكان مبلغًا وواعظًا).

وقال في حوادث سنة ١٢٦٣[٣]: (وفي المحرم أرسل عبدالله بن رشيد رئيس الجبل إلى الإمام فيصل يطلب النصرة، وذالك أن بينه وبين عنزة محاربات قديمة، وأوقع بهم عدة وقائع... فجهز له الإمام فيصل من الرياض مئة وخمسين مطية، عليها رجال من خدامه، وأمر على بلدان سدير بغزو يتحملون معهم، واستعمل في الجميع أميرًا عبدالعزيز بن مشاري بن عيَّاف أمير سدير، وأمر على الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن عيبان يركب معه إمامًا للغزو، فركب ابن عياف ونزل الصمان وبلغه أن عبدالله بن رشيد أغار على عدوه وقضى وطره، وأرسل عبدالعزيز يخبره بإقباله ومكانه، فأقام في الصَّمَّان نحو أربعة عشر يومًا يرقب رد الكتاب من ابن رشيد، فأبطأ عليه الخبر، فرحل وقصد الكويت يطلب ابن رشيد، فبلغه أن ابن رشيد رجع إلى وطنه فقفل راجعًا).

وفي حوادث سنة ١٢٦٥ في الكلام على الإمام فيصل[٤]: (واستخلف أخاه عبدالله أميرًا في الرياض وأمره أن لا يخرج من القصر، وأمر على الشيخ عبدالعزيز ابن عيبان أن يكون عنده إمامًا مذكِّرًا، وكان ذا معرفة في التفسير والتذكير).

واطلعت على نسخة مخطوطة من كتاب «عنو ان المجد» كانت في خزانة آل رشيد وفي طرتها: (ملكه بفضل ربه المنان عبدالعزيز بن حمد بن عيبان) ثم ترجمة للشيخ عثمان بن بشر، وكان مما كتبت تعليقًا على هذا: أن الشيخ عبدالعزيز ذو اهتمام بتاريخ ابن بشر، وهو معاصر للإمام فيصل، وأنه اقتنى مخطوطة الفاخري بعد وفاته سنة ١٢٧٧، ومن أسرة لا تزال معروفة في سديرإلى عهدنا الحاضر ينتمون إلى الحمران من آل رحمة من النواصر من بني تميم.

ثم نقلت بعض المعلومات التي تتعلق به والتي سبق ذكرها وقلت: ومما تنبغي ملاحظته أن ابن عيبان - رحمه الله - وهو أقدم من أرخ ابن بشر - نسبه إلى بني زيد أهل شقراء، وجاء الشيخ محمد بن مانع في طبعته المختصرة، فذكر أنه من

النواصر، والمؤرخ ابن بشر نص ابن عيسى في حوادث سنة ١٢٩٠[٥] على أنها سنة وفاته، وعلى أنه من بني زيد، ولا يزال في جلاجل وبريدة والأسياح أسرة تدعى آل بشر، ينتسبون إلى المؤرخ عثمان، ويذكرون أنهم من الحراقيص من بني زيد، وعلى هذا الأساس سار الدكتور عبدالعزيز الخويطر في كتابه «عثمان بن بشر منهجه ومصادره»[٦].

وتلقيب ابن بشر لابن عيبان بـ (الشيخ) يدل على أنه بلغ مرتبة من العلم في ذالك العهد حيث لايطلق هذا اللقب إلا على من تأهل لتولي القضاء، ومن هذه صفته قلَّ أن يُهْمَل دون ترجمة، وأتوقع أن له ترجمة لدى بعض المعنيين بتراجم متأخري علماء الحنابلة كالأستاذ المحقق الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، أبرز عالم معني بذالك في عصرنا)[٧].

أما نسب آل عيبان فقد فصله الأستاذ عبدالله بن مساعد بن عبدالرحمن الفايز في كتابه «البواصر في التعريف بأسر النواصر»[٨] فقال عن تفريع الحسانا من آل رحمة، أن عبدالله بن محمد بن حسين له ستة أبناء فذكر منهم إبراهيم الذي أنجب سبعة أبناء منهم عُضَيْب ويطلق على فرعه (العُضَيب) وقد تفرع منه عدة فروع بأسماء أخرى منهم: العيبان ومن علمائهم الشيخ عبدالله بن عضيب (١٠٧٠/ ١١٦١) ومنهم محمد بن عبدالله بن عيبان الذي كان وكيلًا للحرس الوطني في المنطقة الغربية قبل وفاته - رحمه الله).

هذا ما لديَّ عن هذه الأسرة كتبته تحقيقًا لرغبة السائل الكريم.

الحواشي:

(١) ج ١، ص ١٠١ طبعةالدارة. (٢) ج ٢، ص ٢٣٥.

(٣) ج ٢، ص ٢٣٩. (٤) ج ٢، ص ٢٥٦.

(٥) «عقد الدرر» حوادث سنة ١٢٩٠. (٦) ص ٨، الطبعة الثانية.

(٧) نشرت ذالك في «المجلة العربية» عدد ٢٥٠ القعدة ١٤١٨.

(٨) ج ١، ص ٥٨ وما بعدها.

آل سلامة والعطا الله في الزلفي من النواصر

كتب إلى «العرب» الأخ صالح بن عبدالعزيز بـن محمد آل سلام (: بأنه لم يرد في كتاب «أنسـاب الأسرة المتحضرة في نجد» عنـد ذكر فروع النواصـر في الزلفي آل سلام والعطا الله وأضـاف: وأسرة السلامة يرجع نسبهـم إلى سلام بن محمد بن نـاصر بن راشـد ويتفـرع منها: المحيـا والـواصل في الـزلفي والحضارى بحـايل والفـراج بأرطـاوي الرقـاص وكـانت مساكنهـم قديمًـا الـروضة من قـرى الـزلفي، وأملاكهم مـوجودة بـاقية ومنهم الشيخ عبـدالمحسن بن واصل بن سلامـة من آل سلامة العـالم المعروف إمام مسجد الواصل بـالروضة من الأساعـدة من الروقة من عتيبـة ولد في بلـدة الزلفي ونشأ وتـرعرع بهـا في كنف والـده واصل بن سلامـة بن محمـد بن نـاصر بن راشـد الـذي تولـى تربيتـه وتعليمـه، تعلـم القـراءة والكتابـة بكتاتيب بلدته الزلفي وحفظ القرآن الكريم، وجد واجتهد في طلب العلم الشرعي على يـد علماء أجـلاء، حتى أصبح مرجعًـا للعلم والفتيا في بلـدته وبنى مسجـد الواصل في بلدة الروضة بالزلفي، وتـولى الإمامة فيه، وله دروس في العلوم الشرعية وهو من الدعاة المصلحين في بلده ومن الأعيـان المشهود لهم برجاحة الرأي ففي عام ١٢٧٤هـ وجه الأميـر فيصل بن تركي إلى أعيـان الزلفي خطـابًا يخبـرهـم فيه تعيين مجاهد بن عبدالله بن مجاهد أميرًا للزلفي ومن ضمن من وجه لهم الخطاب الشيخ عبدالمحسن بن واصل، من تلاميذه الشيخ عبدالعزيز بن محمد الطيار.

شمر القبيلة الطائية وأصلها

بعث الأخ عقيل بن إبـراهيم من حايـل استيضاحًـا عن كتاب «مجمع الأنسـاب» لابن قدامـة المتوفى سنـة ٦٢٠هـ أشـار إلى أن الأستاذ أبـو عقيل الظاهـري ذكره في كتابه «آل الجـرباء». وقد رجعت إلى كتاب «آل الجـرباء» فوجدتُّ فيـه ما نصه - ص ١٤ -: وأتوقع أن كتاب «مجمع الأنساب» لابن قدامـة المتوفى سنة ٦٢٠هـ ربما أفاد

جديدًا وهكذا كل ما تأخر عصره. انتهى.

والواقع أنني لا أعرف لابن قدامة كتابًا بهذا الاسم، وما أعرف له في الأنساب هما «الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار» و «التبيين في نسب الصحابة من القرشيين» والكتابان مطبوعان، ورأيت الأستاذ الظاهري علق لي رأيًا تعليقًا على ما ورد في كتاب «عشائر العراق» للعزاوي وذكر أن الكتاب الذي رجع إليه الأستاذ العزاوي هو «مختصر جمهرة النسب» وليس لابن قدامة كما أوضحت هذا في مقالات لي في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق وفي مجلة «العرب».

وما أضيفه هنا هو أنني قد اهتديت إلى معرفة هذا المختصر وهو المبارك بن يحيى بن المبارك الغساني الحمصي، وأوضحت هذا في مقال نشرته «العرب» - س ٢١، ص ٢٨٩ وما بعدها -.

أما ما استوضح عنه الأخ عقيل مما ورد في هذا الكتاب الذي هو «مختصر جمهرة النسب» للمذكور فنصه: زُرَيق بطنٌ وشَمَّر بطن ابنا عبد جذيمة بن زهير ابن ثعلبة بن سلامان بن ثعل(١)، ولقيس بن شَمَّر هذا يقول امرؤ القيس:

وهل أنا لاقٍ حيَّ قيس بن شَمَّرا

ومنهم الجرنفش الشاعر من بني شمَّر بن عبدة بن امرئ القيس بن زيد بن عبد رضا بن جذيمة بن حبيب بن شمَّر، وهو الذي أسرته الديلم وله حديث، سَبْعةٌ بطن بن عوف بن ثعلبة بن سلامان وفيه المثل المَقُول (لأعملنَّ بك عمل سبعة).

عمرو بن درماء الذي نزل عليه امرؤ القيس بن حُجْرٍ هو عمرو بن عدي بن وايل بن عوف بن ثعلبة بن سلامان.

ومنهم مالك بن أبي السمح المغنّي يعني من بني سلامان وكأنه من عوف بن ثعلبة والله أعلم. انتهى.

وفي كتاب «معد واليمن الكبير» لابن الكلبي - ١/ ٢٤٦ - طبعة ناجي حسن - ما يزيد هذا إيضاحًا، فقد جاء في تفريع بني سلامان: وولد ثعلبة بن سلامان: عوفا وزهيرًا وعمرًا وهو عيد، فولد زهير بن ثعلبة بن جذيمة، فولد عبد جذيمة بن زهير زُرَيقا وشَمَّر بطنان، فولد شمَّرُ بن عبد جذيمة قيسا وله يقول امرؤ القيس:

أجاز قُسَيْسا فالطَّهاء فَمِسطَحًا ... وجَوًّا فروَّى نخل قيس بن شمرا

ومنهم الجرنفس بن عبدة الشاعر بن امرئ القيس بن زيد بن عبد رضا بن خزيمة بن حبيب بن شمَّر الذي أسرته الديلم وله حديث. وحوس بن خالد بن وديعة الشاعر بن ربيعة بن النبيت. انتهى.

ومما ينبغي ملاحظته أن الصديق الكريم الأستاذ عباس العزاوي - رحمه الله - لا يعتمد على ما ورد في كتابه «عشائر العراق» عن أصول الأنساب، فقد وقعت فيه أخطاء شنيعة في أصل قبيلة سبيع وأصل قبيلة حرب وغيرهما ونبهته على ذالك عند اجتماعي به حين زرت بغداد وقد اقتنع برأيي ووعد بإصلاح ما ورد في الكتاب عند إعادة طبعه كما نبهته على خطإ وقع فيه حيث نسب مخطوطة وصفها في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق ونسبها للعمراني تلميذ الزمخشري فاطلعته على نص في مخطوطته بأنها ألفت في زمن الناصر الخليفة العباسي الذي وقعت في أيامه حادثة بغداد الشنيعة وقتل فيها وذالك بعد عصر العمراني، فاستغرب من كونه فاته الاطلاع على هذا النص والكتاب بين يديه، وجَلَّ من لا يغفل ولا يسهو.

الحواشي:

(١) وثَعَل هو ابن عمرو بن الغوث بن طَيِّءٍ.

آل أبا الحصين من آل علي من آل محفوظ
أهل الرس من العجمان

أطلعت على كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» واتضح لي بعض النقص والخطأ فيما ورد فيه عن الأسر المنتمية إلـى أسرة أبا الحصين أهل الرس فآل أبا الحصين هـم أبناء محمد الملقب أبـا الحصين بن علي بن راشد بـن محفوظ بن حدجـان بن مرزوق بن علي الملقب عجيم بن هشـام وقد اشترى الـرس من أسرة آل صقيه من الـوهبة من بني تميم سنة ٩٨٥هـ وعلى هذا فأسـرة آل أبا الحصين تنتمي إلى آل علي من آل محفـوظ من المرازيق من العجمـان من الهـواشم من مذكـر من قبيلة يام وقـد استقر محمد أبا الحصين في محلة (الجناح) في عنيـزة فترة من الوقت بعد مجيئه من منطقـة نجران ثم انتقل إلى الرس هو وأولاده بعد شرائهـا ويعد محمد المذكور الجد العـاشر للجيل الحاضر تقريبًا ولـه من الأولاد خمسة هم: علي وحمد وشارخ وسليمان ورميحي، وعـدد الذكور من أبناء تلك الأسَر الـذين على قيد الحياة حتى شهـر رمضان ١٤١٦هـ حسب الإحصائيـة المـوجودة لـدي من شجرة آل أبـا الحصين المطبوعة (٧٠٠٠) شخص وهم على النحو التالي:

أولًا: أبناء علي بن محمـد أبا الحصين بن علي بن راشد بن محفوظ ولـه ثلاث أولاد زامل وحمد وسليمان، وفيه الأسر التالية:

أ- الرشيد أبناء رشيد بن زامل بن علي بن محمد أبا الحصين.

ب- العفيسـان أبنـاء زامل الملقب (عفيسـان) بن رشيـد بن زامل بن علي بن محمد أبا الحصين ولا يتسمى بهذا اللقب أحد فـي الوقت الحاضر إذ أنهم حملوا ألقابًا جديدة وهم:

١- الصغير أبناء محمـد الملقب (الصغير) بن زامل بن حمد بن زامل الملقب (عفيسـان) بن رشيد بن زامل بن علي بـن محمد أبـا الحصين وهاؤلاء من سكـان مدينة عنيزة.

٢- الشُّـرَيف تصغيـر شريف وهم أبنـا حمـد الملقب (الشـريف) بن علي بن

زامل بن حمد بن زامل الملقب عفيسان بن رشيد بن زامل بن علي بن محمد أبا الحصين وهم من سكان مدينة عنيزة.

ج- السعود أبناء سعود بن عبدالعزيز بن رشيد بن زامل بن علي بن محمد أبا الحصين.

د- الرفاع أبناء علي الملقب (رفاع) بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالعزيز بن رشيد بن زامل بن علي بن محمد أبا الحصين.

هـ- القرناس أبناء الشيخ قرناس بن عبدالرحمن بن قرناس بن حمد بن علي ابن محمد أبا الحصين.

و- أبا الحصين وهم أبناء علي الملقب (أبا الحصين) بن حمد بن علي بن محمد أبا الحصين انتقلوا إلى عنيزة من الرس ثم إلى تدمر بالشام ثم عادوا إلى عنيزة وشهرتهم الآن الحصين.

ز- الطولان وهم أبناء سليمان الملقب (الطويل) بن علي بن محمد أبا الحصين وهم:

١ - الرميح أبناء رميح بن سليمان الملقب (الطويل) بن علي بن محمد أبا الحصين ومنهم الرمخ أبناء سالم بن رميح بن سليمان في عنيزة.

٢- المزروع أبناء مزروع بن سليمان بن محمد بن سليمان الملقب (الطويل) ابن علي بن محمد أبا الحصين.

٣- النصيان أبناء عبدالله الملقب (نصيان) بن عليان بن محمد بن سليمان الملقب الطويل بن علي بن محمد أبا الحصين.

٤ - الدغش أبناء دغش بن سليمان الملقب (الطويل) بن علي بن محمد أبا الحصين انتقلوا من الرس إلى مسكة ثم إلى عفيف والرياض.

٥- الطويل وهم أبناء راشد بن سليمان بن راشد بن سليمان الملقب الطويل ابن علي بن محمد أبا الحصين وهم بالرس وعفيف.

٦- القحم والعقيلي وقد انقرضوا.

ثانيًا: أبناء حمد بن محمد أبا الحصين وله ولدان محمد وناصر وفيه الأسر التالية:

١- العساف أبناء عساف بن محمد بن حمد بن محمد أبا الحصين.

٢- الحواس أبناء عبدالله الملقب (حواس) بن عساف بن ناصر بن عساف بن حسين بن عساف بن محمد بن حمد بن محمد أبا الحصين.

٣- العواجي أبناء محمد الملقب (العواجي) بن عساف بن محمد بن حمد بن محمد أبا الحصين.

٤- الدخيلي أبناء دخيل بن محسن بن محمد الملقب (العواجي) بن عساف ابن محمد بن حمد بن محمد أبا الحصين.

٥- العماش أبناء محمد الملقب (عماش) بن حسن بن حسين بن محمد الملقب العواجي بن عساف بن محمد بن حمد بن محمد أبا الحصين.

٦- العميل أبناء جاسر الملقب (العميل) بن ناصر بن حمد بن محمد أبا الحصين.

٧- العذل أبناء عذل بن جاسر بن ناصر بن حمد بن محمد أبا الحصين.

٨- الحميد أبناء حميد بن ناصر بن حمد بن محمد أبا الحصين.

٩- العقلان أبناء محسن الملقب (عقلان) بن صالح بن حميد بن محمد بن حميد بن ناصر بن حمد بن محمد أبا الحصين.

١٠- الصبي أبناء ناصر الملقب (الصبي) بن حميد بن ناصر بن حمد بن محمد أبا الحصين.

١١- الدليمان وقد انقرضوا.

ثالثًا: رميحي أبناء رميحي بن محمد أبا الحصين ويقطنون في الرس وعنيزة والمريديسية.

رابعًا: سليمان بن محمد أبا الحصين وذريته العويصي وهم أبناء حمد بن إبراهيم

ابن حمد بن سليمان الملقب (العويصي) بن محمد أبا الحصين وقد انتقلوا من الرس أواخر القرن الحادي عشر الهجري تقريبًا إلى عنيزة ثم إلى عين الصوينع في السر.

خامسًا: أبناء شارخ بن محمد أبا الحصين وله خمسة أولاد عبدالله ومفيز وفوزان وسليمان ومحمد وفيه الأسر التالية:

١- الدهلاوي أبناء عبدالله الملقب (الدهلاوي) بن شارخ بن محمد أبا الحصين ومنهم الطفش وقد انقرضوا.

٢- العواجي أبناء محمد الملقب (العواجي) بن شارخ بن محمد أبا الحصين ومنهم الزراج أبناء حماد الملقب (الزراج) بن إبراهيم بن محمد الملقب العواجي.

٣- أبناء سليمان بن شارخ وفيه الأسر التالية:

أ- الغفيلي أبناء سالم الملقب (الغفيلي) بن سليمان بن شارخ بن محمد أبا الحصين ومنهم أسرة الأُمَيِّر أبناء ناصر بن عبدالله بن سالم الملقب الغفيلي ومنهم آل بنقي أبناء محمد بن عبدالله بن سالم الملقب الغفيلي.

ب- الجري وهم أبناء عبدالله الملقب (جري) بن إبراهيم بن سليمان بن شارخ ابن محمد أبا الحصين.

جـ- الجمعة أبناء جمعة بن إبراهيم بن سليمان بن شارخ بن محمد أبا الحصين.

د- العلي وهم أبناء علي بن إبراهيم بن سليمان بن شارخ بن محمد أبا الحصين ويتوزعون إلى ثلاث أسر وهم:

- المطوع أبناء عبدالله بن علي بن إبراهيم بن سليمان.
- الأصقه أبناء محمد بن علي بن إبراهيم بن سليمان.
- الحِزَاب أبناء حزاب بن علي بن إبراهيم بن سليمان.

٤- أبناء مفيز بن شارخ بن محمد أبا الحصين وفيه الأسر التالية:

أ- المجحود أبناء محمد بن علي بن محمد الملقب (مجحود) بن حضيرم بن إبراهيم الملقب قرطان بن حميدان بن مفيز بن شارخ.

ب- الذيب أبناء محمد الملقب (الذيب) بن زبيل بن حمد بن مفيز وقد انقرضوا.

جـ- الأكرش أبناء محمد الملقب (الأكرش) بن محمد بن مفيز بن شارخ ومنهم العيص أبناء فواز الملقب العيص بن محمد الملقب الأكرش ومنهم الحزابيَ أبناء حزاب بن مفيز بن محمد الملقب الأكرش.

د- الهوشان أبناء حمد الملقب (هوشان) بن محمد بن عمر بن فوزان بن حمد ابن مفيز بن شارخ.

هـ- الحمد أبناء حمد بن عمر بن فوزان بن حمد بن مفيز بن شارخ.

و- الرميح أبناء رميح بن عمر بن فوزان بن حمد بن مفيز بن شارخ ومنهم العامر أبناء عامر بن رميح بن عمر بن فوزان.

ز- العليان أبناء عليان بن شارخ بن مفيز بن شارخ بن محمد أبا الحصين.

ح- الشارخ وهم أبناء شارخ بن مفيز بن شارخ بن محمد أبا الحصين.

٥- أبناء فوزان بن شارخ بن محمد أبا الحصين وفيه الأسر التالية:

أ- المزيد أبناء مزيد بن مسعود بن عمر بن فوزان بن شارخ بن محمد أبا الحصين ومنهم المتعب أبناء متعب بن محمد بن مزيد بن مسعود بن عمر بن فوزان يقطنون كل من الرس وضرية وعفيف وتيماء والدوادمي.

ب- البلطان أبناء محمد الملقب (بلطان) بن علي بن سليم بن فوزان بن شارخ.

جـ- العبيشي أبناء صالح الملقب (العبيشي) بن إبراهيم بن علي بن سليم بن فوزان بن شارخ.

د- أبو فقارة أبناء علي الملقب (أبو فقارة) بن عبدالله بن سليم بن فوزان بن شارخ.

هـ- العلوان أبناء محمد الملقب (علوان) بن سالم بن حمود بن سليم بن فوزان بن شارخ.

و- السليم في دومة الجندل في الجوف، وهم أبناء عبيد بن علي بن حمود بن سليم بن فوزان بن شارخ.

ز- الشارخ (أهل المطية) أبناء شارخ بن فوزان بن شارخ بن محمد أبا الحصين ومنهم الفديح أبناء محمد الملقب (فديح) بن علي بن شارخ بن فوزان بن شارخ ومنهم العضيب أبناء صالح الملقب (عضيب) بن علي بن شارخ بن فوزان بن شارخ.

هاؤلاء هم آل الحصين أهل الرس فأبناء شارخ وسامة العرقاة + وأبناء حمد وعلي وسليمان ورميحي وسامة الهلال وجميع تلك الأسر تقطن مدينة الرس ما عدا أسرة العويصي في عين الصوينع بالسر، وأسرة الرميحي بعضهم في مدينة عنيزة والمريديسية وأيضًا أسرة الصغير وأسرة الشريف وأسرة الحصين وأسرة الرمخ في عنيزة.

واستكمالًا للفائدة أود أن أضيف بعض المعلومات عن بعض الأسر التي تنتمي إلى قبيلة العجمان في نجد وهم:

١- الجفن في مدينة عنيزة ثم انتقلوا إلى مدينة رابغ وهم من آل محفوظ من العجمان.

٢- آل اليميني في الدلم بالخرج وهم من آل ذايل من آل محفوظ من العجمان.

٣- آل خزيم بالدلم بالخرج من آل سعدي من آل هتلان من العجمان.

٤- آل جوفان في أوسيلة بالصوح بالوشم من آل معتق من آل هتلان من العجمان.

٥- آل حمد في مدينة حائل من آل مفلح من العجمان.

٦- آل بريكان في عنيزة من آل محفوظ من العجمان.

الرياض: محمد بن عبدالله المتعب المزيد

العبيكي في عنيزة من آل جناح من بني خالد

بعث إلى مجلة «العرب» الأخ محمد بن صالح العَبِيكي مستدركًا على عدم ذكر أسرته الكريمة في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» فكان مما قال بعد ثنائه على الكتاب وموالاة نشر الملاحظات والاستدراكات: ولي بعد

ذالك مشاركة أقدمها بين يديكم وهي وإن كانت متأخرة إلا أنه لابد منها فقد سقط اسم أسرتنا (العَبِيكي) ضمن سردكم للأسر الخالدية في نجد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد».

وزيادة في الإيضاح أقول: اسم عائلتنا (العَبِيكي) - بفتح العين - أسرة خالدية من سكان القصيم، وتحديدًا في عنيزة، من آل جناح من الجبور من بني خالد، وهي غير عائلة العبيكة - بالهاء - في المنطقة الشرقية، وهي التي أوردتموها، وإن كانت خالدية أيضًا، وهذه النسبة هي النسبة المشهورة المستفيضة عندنا، جاء في كتاب «النجم اللامع للنوادر جامع» تأليف الشيخ محمد بن علي آل عبيد في أخره بما هذا نصه: (أغلب بني خالد بقايا أهل الجناح الذين جلوا من عنيزة في أخر القرن الثاني عشر الهجري، حينما سار ثويني المنتفق من العراق ونزل القصيم وكان معه جيش جرار، فعاث في الديار قتلًا ونهبًا وتشريدًا، فمن بني خالد الحبيب والبراك.... والعَبِيكي والمغاولة والونين) إلى آخر ماذكر من الأسر الخالدية.

كما ذكر الشيخ محمد العثمان القاضي في كتابه «منهاج الطلب» - ص ٥٧ - اثنين من رجلات العائلة المشهورين وأرخ وفياتهم ونص ماذكر: العبيكي بعنيزة ومن أبرزهم عبدالله السليمان ومحمد السليمان وكانا من رجال الدين، الأول توفي سنة ١٣٦١ والثاني محمد توفي سنة ١٣٦٨).

وقد ذكر هذه النسبة أيضًا الأستاذ محمد بن ناصر الهزاع في بحثه عن بني خالد المنشور في «العرب» س ٢٦ وما بعدها وأشار إلى أننا والنعيم والمطرودي والونين والجابر أبناء عمومة وجميع هذه الأسر متفرعة من أسرة الخويطر، وما ذكره صحيح وهو المعروف.

هذا ما أحببت الإشارة إليه فيما يتعلق بملاحظتي على السقط المشار إليه.

عنيزة: محمد بن صالح العبيكي

*** «أنساب الأشراف» للبلاذري**

[انظر «العرب» س ٣٣، ص ٢٤٣]

يوشك أن يكون ما ألفه البلاذري من كتاب «أنساب الأشراف» قد أُعِدَّ للطبع محققًا، ومنه ما صدر، كما صدرت مطبوعة كاملة منه، يقال: إنها محققة، ولم أعن بالتثبت من هذا، فالكتاب جميعه وُكِل إلى أناس يعدون من خيرة المعنيين بتحقيق التراث، اختارهم (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية) في بيروت، وصدرت أجزاء منه، هي بين أيدي القراء، منها ما حققه الأستاذان الجليلان الدكتور إحسان عباس والدكتور عبدالعزيز الدوري وغيرهما.

إلا أن باحثًا جليلًا صرف همته وجل جهده بتحقيق كتب النسب هو الأستاذ محمود فردوس العظم، قد اتجه لتحقيق الكتاب جميعه، وصدر بعض أجزائه، وآخرها ما اطلعت عليه منها هو الجزء الرابع (العنابس من ولد أمية الأكبر بن عبد شمس، معاوية، زياد، يزيد).

وقد رأيت من قبيل تقدير عمل الأستاذ العظم والاعتراف بفضله في هذا المجال التحدث عن هذا الجزء الذي صدر في (تشرين الثاني ١٩٩٨م) فقد صَدَّرَه بمقدمة استغرب فيها الطريقة التي أشار إليها أستاذنا الدكتور عبدالعزيز الدوري من حيث تقسيم الكتاب إلى ستة أقسام قائلًا: ولا أعرف من الذي ارتأى ذالك حسب طبيعة الكتاب وموضوعاته، فليس في الكتاب موضوعات، وإنما هو كتاب نسب، كأنه شريط (سينمائي)، أمامك المنسوب وجميع ما حدث له من ولادته إلى مماته.

وأضاف: ولذا فقد قسمت الكتاب بحسب النسب، فلم أدخل بطنًا مع بطن آخر،

أو عمارة مع عمارة أخرى، ما أمكنني، ولذالك ستجد في هذا الكتاب أنني خصصته للعنابس من أمية الأكبر، وأخرجت عثمان منه إلى الكتاب الذي بعده، لأنه من الأعياص وليس من العنابس، رغم أن الدكتور إحسان عباس قد جعله مع العنابس في كتابه، ولم أدخل خبر سقيفة بني ساعدة في كتابي الجزء الأول كما فعل الدكتور محمد حميد الله، لأن أخبار السيرة تنتهي بوفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وقد وضع له المحقق الكريم فهارس تسهل الموضوع الذي ذَكر العَلَمَ فيه من أجله، ونبه إلى بعض أخطاء وقعت في تحقيق أستاذنا الدكتور إحسان عباس مع تقديره وإجلاله واحترامه له، وقد وقع هذا الجزء في (٤٧٤) من الصفحات متبعة بالفهارس إلى ص (٥٣٥) وهي فهارس مفصلة، والطباعة حسنة.

وقد بذل المحقق الفاضل جهدًا بارزًا بإضافة بعض التعليقات والحواشي إلى ماهو بحاجة إلى ذالك، مع التنبيه إلى اختلاف بعض النسخ، والإشارة إلى بعض مصادر القصص والأخبار، فيما هو متداول ومعروف من المؤلفات.

وكنت أود أن لديَّ من الاستطاعة ما يمكنني من مقارنته بالمخطوطة الأصلية كما فعلت في الجزء الذي قبله، ولكنني لم أتمكن من هذا، لا لعدم ثقة بعمل الأستاذ العظم، ولكنني أدرك كغيري أن داء التطبيع (الخطأ المطبعي) قل أن يسلم منه كتاب مهما بُذل في سبيل تصحيحه والعناية به.

وقد أصبح الكتاب بكثرة مطبوعات وبانتشار المخطوطة الأصلية بين أيدي القراء، ولا يعيي المعنيين بالتثبت من التحقيق الرجوع إلى ما بين أيديهم من الكتاب.

وهذا لا يحول دون الاعتراف بالجهد البارز الذي يبذله الأخ الصديق الأستاذ محمود فردوس العظم في عنايته بالإنساب - زاده الله توفيقًا وتسديدًا - وفي عمله في هذا الكتاب.